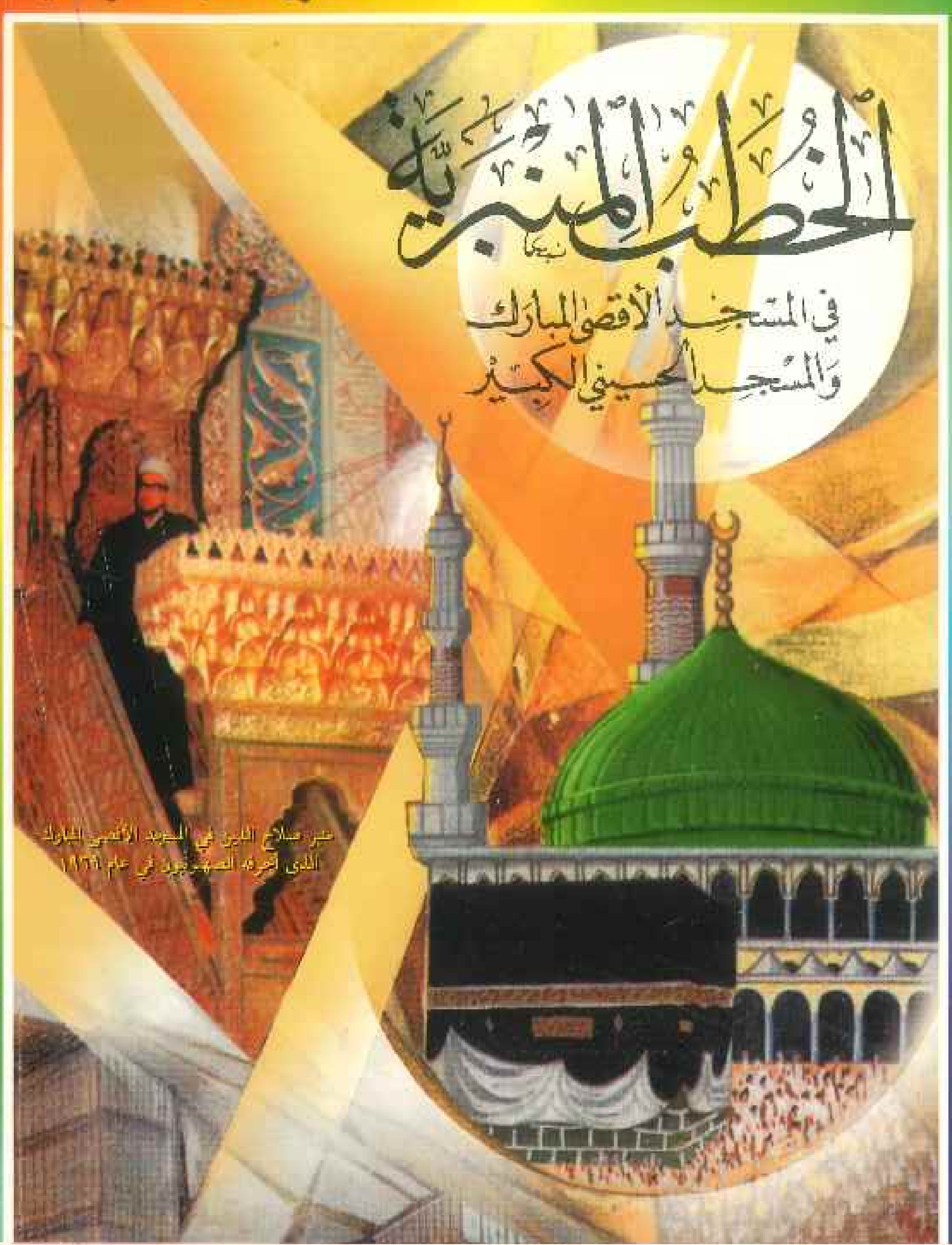
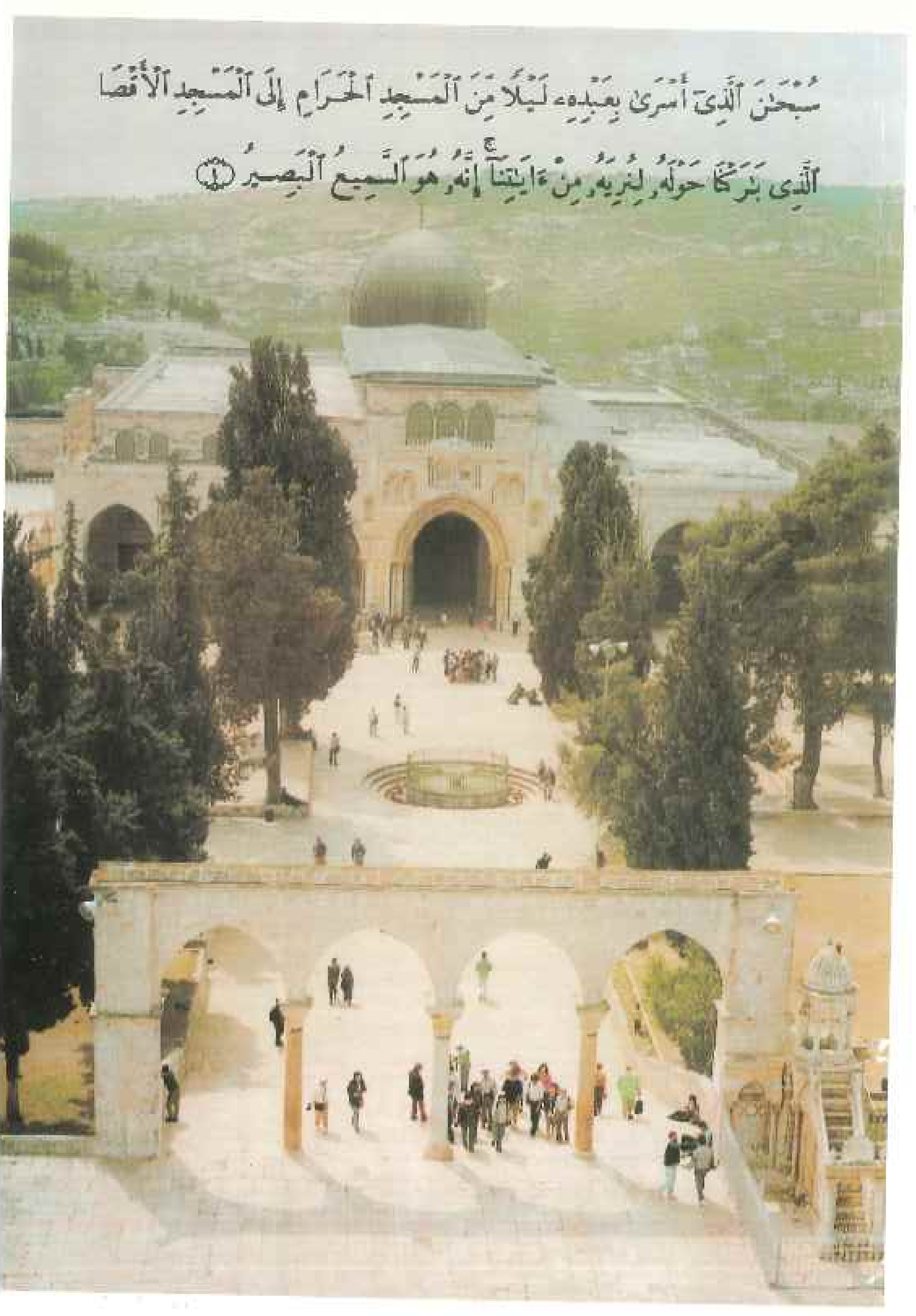
منشورات دار الفقه والحديث



لفضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ
محمد عادل الشريف الخليلي الحسيني

الجزء الثالث

خاص بخطب المسجد الحسيني الكبير



صورة المسجد الاقصى المبارك







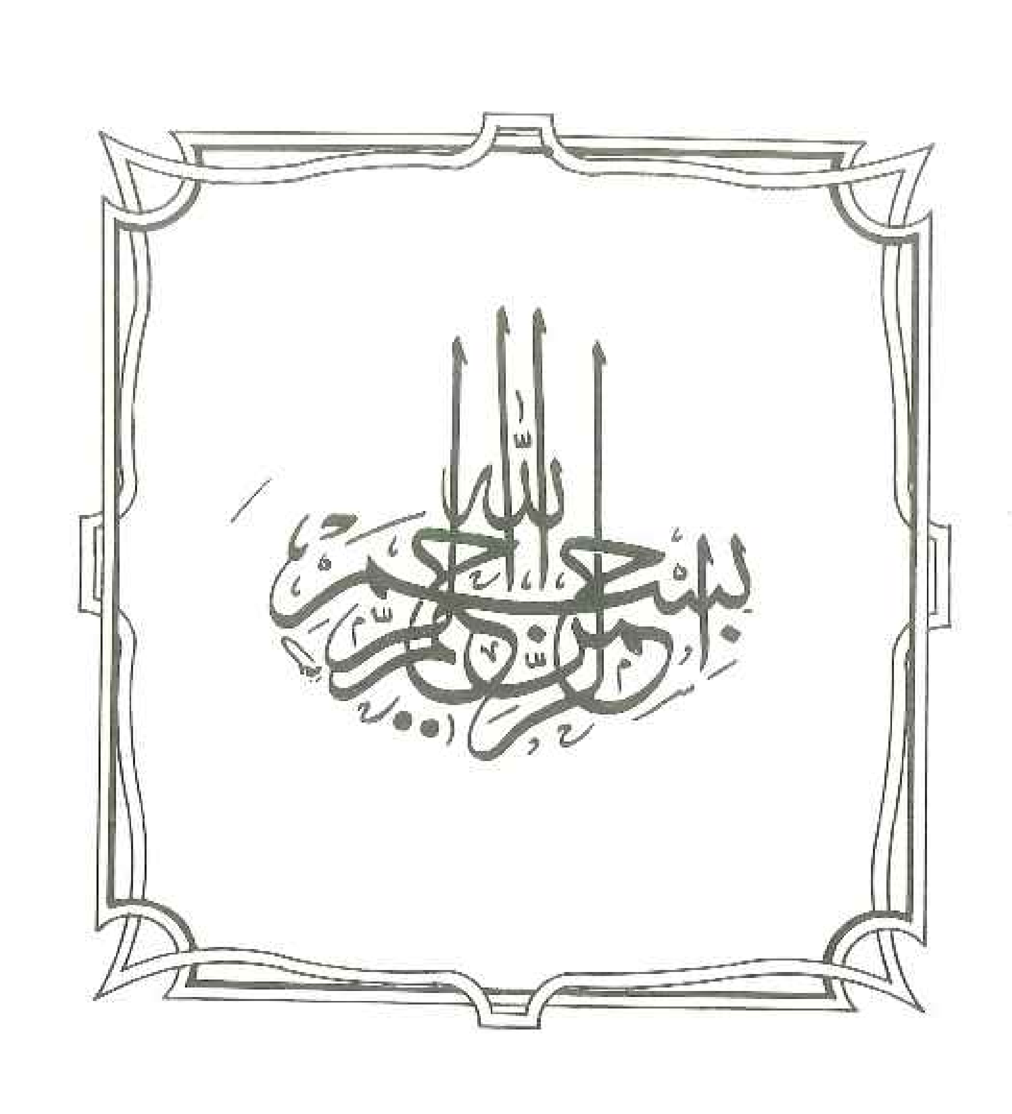
٢١٦
محم
محمد عادل الشريف

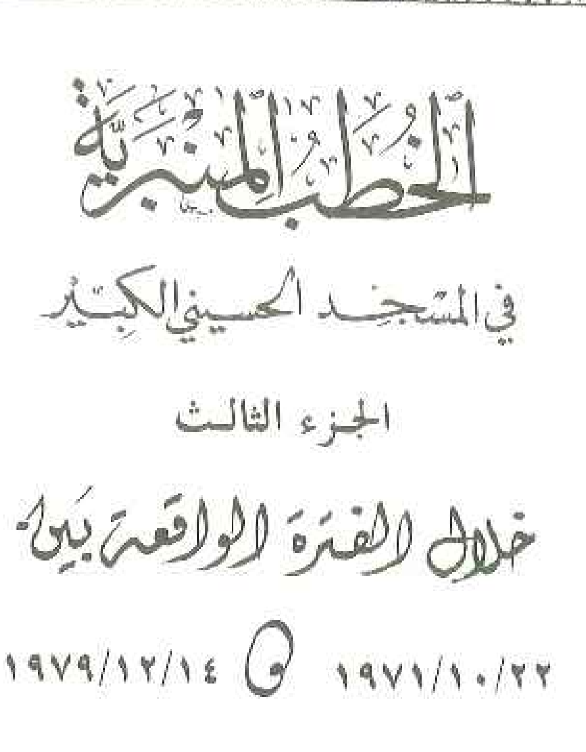
الخطب المنبرية في المسجد الأقصى/ محمد عادل الشريف . ــ عمان : دار الفقه والحديث ، ١٩٩٠
(٧٩٠) ص .
ر.أ. (١٩٩٠/٢/١٣٣) .
١ ــ الاسلام ــ فقه أ ــ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٩٠/٢/١٠٨

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٩٠/٢/١٣٣

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٦٣٧٧٢١٠٣ - ص.ب ٨٥٢ - عمان - الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم



خاص بخطب المسجد الحسيني الكبير



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ سورة الكهف الآية (٢٨)

تنويه

بعد الصلاة على رسول الله ﷺ وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد أن مَنَّ الله علينا بإصدار الجزء الثالث والأخير من كتاب **الخطب المنبرية في المسجد الأقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير** . فإننا نتوجه بالنصح إلى الآخوة القراء باقتناء أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ، لما لها من الناحيتين العلمية والتاريخية ، وخاصة كلمة فضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ في الصفحة (١٩) من الجزء الأول بمقدمة المقدمات من الناحية الخطابية . والأحداث التي تحدث عنها فضيلته ونبَّه إليها العالمين العربي والإسلامي في خطبة قبل وقوعها كان يحث الناس على الجهاد ، ويبث فيهم الروح الوطنية ، وكان هو نفسه قدوة لهم إذ شارك ببعض المعارك ضد اليهود. ولكن « لا حياة لمن تنادي » .

وإن (دار الفقه والحديث) لتدعوكم لزيارتها للاستماع إلى دروس الفقه كل يوم خميس ، ما بين صلاتي المغرب والعشاء . وأداء صلاة الجمعة في هذه الدار ، حيث تقام بها صلاة الجمعة في كل يوم جمعة . بالإضافة إلى أنها تفتح أبوابها طيلة شهر رمضان المبارك بعد صلاة المغرب ، لإعطاء دروس في الفقه والحديث للنساء والرجال (في قاعة خاصة بكليهما) ، وكذلك أداء صلاة التراويح . كما تدعو الباحثين وطلاب العلم للاطلاع على مكتبتها القيمة التي تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب الدينية : الفقهية والعلمية الإسلامية النادرة .

والله ولي التوفيق

دار الفقه والحديث

الشعيلية ـ حي الدباية

ص . ب ٨٦٥ عمان ١١١١٨ ـ الأردن

هاتف ٧٧١٤٥٥ ـ ٦٣٨٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

كانت أمنية فضيلة المرحوم الشيخ « **محمد عادل عبد السلام الشريف الخليلي الحسيني** » أن يصدر هذا السفر الجامع المانع بأجزائه الثلاثة في حياته . وأن يتصفحه ويهديه لاصدقائه واقرانه من أهل العلم والدين . ولكن إرادة الله ـ سبحانه ـ كانت أسبق من تلك الأمنية الغالية . فانتقل الشيخ إلى رحمته تعالى ، وبقي .. (الأوفياء) بدار الفقه والحديث الذين أصروا على إخراج هذه الخطب إلى حيز الوجود . فصدر الجزء الأول قبل خمسة أعوام محتوياً على أربعة وثمانين خطبة هي جماع خطبه في المسجد الأقصى المبارك ، مع مقدمة ضافيه لسماحته في إحدى وثلاثين صفحة . فبلغت (٦٤٤) صفحة .

وها هي (دار الفقه والحديث) بالرغم من ظروفها المادية الصعبة ، تتولى إصدار الجزئين الثاني والثالث من هذا الكتاب ، وهما خاصّان بخطبه في المسجد الحسيني الكبير ويشملان (١٩٦) خطبة ، قسمت بينهما بالتساوي ، أي (٩٨) خطبة ، بحيث وصلت صفحات الجزء الثاني الى (٧٧٠) صفحة و الجزء الثالث بلغت صفحاته (٧٩٠) صفحة

* * *

متممين بذلك رسالته العظيمة ، إيماناً منا بأن العلم الذي يُنتفع به باق في الأرض إلى ما شاء الله . عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) ، (صحيح مسلم باب الوصيه) .

نسأل الله ان يكون هذا العمل في ميزان حسناته يوم القيامة .

وهذه النتيجة المشرفة التي بلغتها (دار الفقه والحديث) كناشرة لهذا الكتاب ، ابتغاء لوجه الله ، ولتفوز برضوانه وهداه ، لتدعو الله مخلصة أن يوفق كل من أسهم بإخراجه إلى حيز الوجود ، سواء عن طريق الدعم المادي أو الأدبي أو المعنوي أو الطباعي ، وتخص بالشكر الذين سهروا الليالي وهم يقلّبون صفحاته إعداداً وتبويباً وتدقيقاً حتى وصل إلى يد القارىء وهو على هذه الصورة من الاخراج والترتيب البديعين ، وهذا الشكل الأنيق .

﴿ **ولينصـرن الله من ينصـره ، إن الله لقوي عزيز** ﴾ . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك.

مدير دار الفقه والحديث

الدكتور فؤاد حسن جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمّد عليه أفضل الصلاة والتسليم . وبعد ..

ماذا أكتب عن شيخي وأستاذي ، وشيخ طريقتي الروحي ، الشيخ الجليل (محمد عادل عبدالسلام الشريف) ؛ شيخ الطريقة الخلوتية الرحمانية(١) الجامعة .؟

إنني أشعر أن القلم عاجز عن الكتابة ، والعقل متوقف عن التفكير . لأنني مهما كتبتُ ، فلن أستطيع أن أفي جزءاً صغيراً مما كان عليه شخصه الكريم ، عطفاً ونُبلاً وأبوّة روحيّة .

لقد كان فضيلته أولاً وقبل كل شيء أباً مُرشِداً ، وإنساناً رحيما ، وكان علماً من أعلام الفكر والدين ، وشعلة تضيء بالإيمان ، بالإضافة إلى كونه مثالاً يحتذى في أداء رسالة السَّماء المباركة المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعوة الناس إلى طاعة الرحمٰن الرحيم ، ونبذ المعاصي ما ظهر منها وما بطن .

عندما التقيته في مكتبه لأول مرّة ، وتعرّفت عليه، كان يشغل منصب المفتي العام للمملكة بالوكالة ، وكان مكتبه في وزارة الأوقاف عام ١٩٦٨ ميلادية . إذ كنت ـــ آنذاك ـــ مُكلّفاً من قبل وزارة الداخلية بالإشتراك في بعثة الحج الأردنية كمندوب عن الوزارة . وقد

---

١ ـــ طريقة صوفية توفي شيخها سنة ١٣٠٥هـ وهو (المرحوم الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ حسين الشريف الحسيني) ، وهو جد المؤلف المرحوم الشيخ محمد عادل الشريف صاحب الخطب ، وقد شرح الحفيد أوراد هذه الطريقة في كتابه (شرح مجموع الأوراد) المطبوع عام ١٣٩٩هـ ـــ الموافق ١٩٧٩م ، طباعة جمعية عمال المطابع التعاونية طبعة أولى ، على نفقة دار الفقه الحديث . وقد ورد في الهامش رقم (١) من الصفحة السادسة من الكتاب المذكور في شرح هذه الطريقة ما نصُّه : « الخلوتي نسبة للطريقة الخلوتية ، والرحمانية نسبة لمؤسس ومنشيء الطريق في بدء القرن الرابع عشر الهجري جدنا المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشريف » . ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب (شرح مجموع الأوراد) ، الآنف الذكر ، المدقق .

عرّفني عليه المرحوم عطوفة الأستاذ (عبدالوهاب الموصلي) قائلاً : « عندنا رجل صالح تقيٌّ نقيٌّ ، أحب أن تتعرف عليه ، وقد كان خطيب المسجد الأقصى المبارك ، نزح إلى البلاد عام ١٩٦٧ على إثر الإحتلال الصهيوني لبيت المقدس » . وحين جلستُ إليه ، كان حديثه مُنصبّاً حول الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف ، وكان يبدي مخاوفه من الحقد الصهيوني ، وسياسة المراوغة ، التي تتبعها إسرائيل والدول التي تقف وراءَها ، ويرسل تنهيدةً حَرّى من قلبه الكبير ، وهو ينظر إلى أوضاعنا العربيّة الراهنة ، ويقول : « لا يعرف عالمنا العربي مدى الخطر الذي يلحق بأهلنا في الضفة الغربيّة ، وخاصة القدس . إنهم يتعرضون لأبشع أنواع الإضطهاد ، لكي يتركوا الأرض التي التصقوا بها ، وقد منعني اليهود الظالمون الغزاة من خطبة الجمعة في المسجد الأقصى ، وأسمعوني شريطاً مُسجّلاً ، وأنا أدعو العرب والإسلام في خطبة الجمعة قبل الإحتلال بيومين ، وأنا أقول المسجد الأقصى يتهاوى . أنقذوا الأقصى . وقالوا لي : هذه خطبَتك سجلت عليك ، ولن نسمح لك أن تخطبها ثانية » . مما دعاني إلى القول : إن شاء الله سيعود الأقصى ، وستعود القدس ، بفضل جهود العلماء العاملين أمثالكم . فقال لي إن شاء الله يا ولدي . فسألته عن الشيخ عبدالسلام عارف الشريف ، شيخ الطريقة الخلوتية الرحمانية ، لأني عثرت بين أوراق والدي وبخطه على ورقة تشير إلى أنه كان أحد مُريدي الشيخ المذكور ، وهو شيخ الطريقة الخلواتية الرحمانية مؤرخة في ١٦ شوّال سنة ١٣٦٧ للهجرة .

فقال لي الشيخ ــ رحمه الله ــ « هذا والدي ، وأنا أسيرُ على طريق والدي ، وعندما نزحت من القدس إلى عمّان ، أقوم بإعطاءِ دروس فقه في منزلي في جبل الحسين ، كل ليلة جمعة ، بعد صلاة المغرب إلى العشاء ، فإذا أردت أن تحضر دروسنا ، فنحن نسير على نهج والدنا » . وذهبت مساءَ أول ليلة جمعة صادفني في تلك السنة ١٩٦٨، إلى بيت الشيخ، فوجدت عدداً لا بأس به من الإخوة الكرام، يجلسون في صالون بيته. فرحب بي الشيخ، وابتسم، وقال: «أهلاً بابن مُريد والدي».

وجلست بينهم ، وأنا أنظر إلى وجه الشيخ الذي كان منيراً ، وقد شعرت في تلك اللحظة ، وكأني أعيش في الجنّة كما وُصِفَتْ في كتاب الله .

وبدأت أتردد على الدروس التي تشمل الفقه واللغة العربيّة ومُصطلح الحديث والبلاغة والتوحيد وأحكام التجويد ، منذ ذلك التاريخ ، ولم أنقطع لحظة عن الدروس حتى ليلة زفافي ، فقد حضرت الدرس ، ثم ذهبتُ إلى الزفاف .

ولما سألني الشيخ مستغرباً مني الحضور ــ يومها ــ أجبته بأن الزوجة ملكي ، أما دروس الفقه فلست أملكها . عندها ، تهلل وجه الشيخ ، ودعا لي بخير .

* * *

هكذا بدأت رحلتي مع الشيخ العالم الفقيه محمد عادل الشريف ، وهكذا أحببته حُبّاً كثيراً ، لما وجدت عنده من كريم الخلق ، وعمق العلم ، وصدق الحسّ الوطني ، الغيور على حرمات الله ومقدسات دينه ، وبما يتميز به من صدق العقيدة ، والتزام الحقيقة العلمية .

وبقيت بجانبه أدرس وأنهل من مناهل العلم الصافي النقي . كنت أشعر أن أسعد أوقاته ، هي تلك التي يقضيها في مكتبته العامرة القيمّة ؛ التي كان يجمع فيها كتب الدين واللغة والأدب والتاريخ والسياسة والإجتماع ؛ قديمها وحديثها . فقد كان ــ رحمه الله ــ يجد متعته العقلية وسعادته الروحية في القراءة والكتابة والتأليف . وكثيراً ما شاركته في قراءاته ، وكم دارت بيننا مناقشات وأحاديث كنت أنا المستفيد الأول منها . لأن الشيخ كان بحر علم زاخر ، فقد ألّفَ ما يقارب العشرين كتاباً في المسائل الفقهية والعلمية المختارة من الكتب المعتمدة . وعندما كان يجد

في بعض الكتب مسألة فقهية غريبة ، أو دعاءً جديداً علينا ، أو موضوعاً هاماً ، كان يصرُّ على إفادتنا به ، وكان يضع إشارة خاصة على الكتاب ، قائلاً : « انني أحبُّ أن أُعلم إخواني ومريديَّ أي شيء أجد فيه فائدة لهم في أي كتاب ، لأن هذه جواهر من الصعب الحصول عليها ، إلا بالمطالعة الدائبة .

وفي عام ١٩٧٠ الميلادي ، استأجرنا بيتاً في الأشرفية ليكون (داراً للفقه والحديث) ، لأن بيت الشيخ ــ رحمه الله ــ لم يعد فيه متسع ، لكثرة المريدين .

وفي عام ١٩٧٣ ، أي بعد ثلاثة أعوام فكر الشيخ ببناء (دار للفقه والحديث) ، مستعيناً بالله تعالى . وعرض الفكرة على المريدين ، فتبرع أحدهم وهو الحاج (عزمي عبدالجليل سلام) بقطعة أرض لبناء الدار ، أسوة بدور الفقه والحديث التي أسسها الشيخ في (القدس) و (الخليل) و (غزة) و (بيت حنينا) . وقد أكرمنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ بإخوة مخلصين ، قيضهم لنا ، فقمنا وإياهم جميعاً ببناء الدّار ، وسميناها : (دار الفقه والحديث) في منطقة الشعيلية بـ (عمان) .

وتوخينا بناءَها على الطراز الإسلامي الرفيع، لذلك كانت (دار الفقه والحديث) من أجمل الأبنية الإسلامية في مدينة عمان الكبرى. والفضل في ذلك لله الذي هدانا إلى هذه الفكرة الجليلة، ومنحنا العزم على تنفيذها، حتى أصبحت صرحاً علمياً ودينياً شامخاً، يُشار له بالبنان.

وكم كانت فرحة الشيخ كبيرة عند افتتاح هذه الدار ، والدموع تطفر من عينيه ، وهو يقول : « الحمدُ لله الذي أكرمنا بإنشاء هذه الدّار » . وعرف الجميع في هذه الدار ما كان عليه الشيخ من رسوخ

العقيدة ، وقوة الإيمان ، ورجاحة العقل ، وحب الخير ، وسحر البيان . وقد وهبه الله تعالى ، بالإضافة إلى بهاءِ الطلعة وجلالها ، نفساً صافيةً ، وذهناً يقظاً ، وقلباً ذاكراً ، وقريحة خصبةً وقّادةً ، وذاكرةً قويّة ، إلى جانبِ فصاحة النطق ، وقوّة العارضة ، والبيان الذي امتاز به . وكان إلى جانب هذا كله ، قوياً في سلوكه ، واضحاً في اتجاهاته ، مُخلصاً في أداءِ واجباته ، صادقاً في توجهاته . وكان نِعمَ المعلم المخلص ، والمربي القدير ، والزوج الوفي ، والأب الحاني ، والصديق الطيّب ، والقاضي العادل .

لقد كان ــ رحمه الله ــ يرى أن أسعد الناس أحبهم للناس ، لذلك منحهم ودّه وصفاءَه وثقته ، وبذل لهم ما يستطيع بذله ، من جاه ومال . وتلك سجاياه التي عرفها القاصي والداني ، والتي تستحق أن يبقى ذكره العطر في النفوس خالداً على الزمن .

لقد سافرت مع الشيخ في رحلات طويلة ، إلى المملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية السورية ، وجمهورية مصر العربية . والسفر ــ كما يقولون ــ يسفر عن أخلاق الرجال ، ويبيّن حقيقة معادنهم . فكان ــ رحمه الله ــ مثال الفضل ، ومعدن الكمال تُقىً وإيماناً ، حلو الحديث ، لطيف المعشر ، أنيس في سفره وجلساته ، لا يذكر أحداً بسوءٍ مهما أساءَ إليه . ولم أسمع منه كلمة نابيةً في حق أُحدٍ . وكان من أبرز مافيه من تلك الشمائل ؛ البساطة . إنها بساطة العظماء ، مع التواضع والعفّة ، واحترام الذّات .

وقد رأيت ما رأيت من كراماته في تلك الرحلات . وكنت دائماً أراه في الليل لا ينام وهو يذكر الله كثيراً .

وفي أثناء زيارتنا سوريا ، كان من ضمن ما زرناه مقامات الصحابة والأولياء الصالحين ، مقام البطل والقائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي)

بجانب المسجد الأموي بدمشق . فوقف أمام الضريح وهو يبكي ، حتى ابتلت لحيته من دموعه ، وهو يقول : « رحمك الله يا صلاح الدين ، وهيء اللهم لأمتنا صلاحاً آخر ، حتى نصل بإيماننا وديننا وعقيدتنا ، وتكاتفنا إلى ما نرجو .

يا صلاح الدين قم وانظرْ إلـــى حالةٍ في القدس تستبكي العيـون
بُــدِّل العهدُ الــذي أسستهُ ذِلّـــةً واستأسد المستعمـرون

القدسَ ، القدسَ ، يا صلاح الدين » .

وبعد انتهاء الزيارة إلى دمشق ، ذهبنا إلى حمص ، وزرنا الصحابة والقادة ، ومنهم الخليفة العادل (عمر بن عبدالعزيز) . وبعد السّلام عليه ، كان يقول له : « قم وانظر إلى الظلم والفساد الذي انتشر في البلاد وبين العباد ، اللهم هَيِّئْ لهذه الأمة حاكماً عادلاً كعمر بن عبدالعزيز) . وبكى ، وعدنا ...

وعند زيارتنا للمدينة المنوَّرة ، وتشرفنا بزيارة قبر الرسول الكريم (ﷺ) ، وبعد السّلام عليه ، وقف يُناجي سيّد الخلق ، محمداً عليه الصلاة والسّلام ، ويقول : « يا سيدي يا رسول الله ، ضاعت فلسطين ، وسقط الأقصى ، وشُرِّدنا . فيا ربّ بجاه الحبيب المصطفى ، صاحب هذا المقام ، أن تعيد لنا مقدساتنا ، وأن توحِّدَ كلمة المسلمين ، وتنصرنا على اليهود » . وجاءَ أحدُ المشايخ مُعترضاً ، فقال له : يا شيخ تطلب من هذا المقام أن يعيد لكم فلسطين .. ! فقال له الشيخ محمد عادل الشريف ـــ رحمه الله ـــ لقد جاءَ في كتاب الله قوله تعالى ﴿ ... ، **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدو الله توَّاباً رحيماً** ﴾ . الآية (٦٤) من سورة النساء ، فسكت المعترض .

وبعد أن خرجنا من المقام ، قال لي الشيخ : « لقد بشّرني رسول الله (ﷺ) بنصر المسلمين ، وعودة بيت المقدس ، إن شاء الله .

أمّا زيارتنا إلى البيت الحرام في مكة المكرمة ، فلا أستطيع أن أصف ما رأيته من الشيخ من كرامات وأشياء لا أستطيع ذكرها ، لأنها من الكرامات والأسرار .. !

* * *

وعندما كان ــ رحمه الله ــ يدرِّسُ في (دار الفقه والحديث) ، كان يقول لي : « قل لإخواني أن لا يحدثوني بشيءٍ عن المريدين ، لأني أحبُّ أن أدخل عليهم في الدرس وأنا منشرح الصَّدر » .

وفي عام (١٩٧٠) للميلاد ، فقد الشيخ ولديه الجامعيين ؛ (عبدالسَّلام) و (محمد أمين) ، وشقيقه (محمد عزّت) . وظل صابراً ، مؤمناً ، راضياً بقضاء الله وقدره . وما وجدت في حياتي من هو أصبر منه عند الشدائد ، والرضاء بقضاء الله وقدره .

* * *

وقد حاول بعض المتنفذين في الأوقاف منع الشيخ من الخطابة لأنه يقول الحق ، لكن الشيخ لم يأبه بهم . لا سيّما وان من ابرز ملامحه الوقار الأصيل ، الذي يتكون من كرم الأخلاق ، وسمة العلماء ، ونظافة اليد واللسان ، التي اشتهر بها الشيخ في هذا الزمان الرديء ، الذي اسودَّت به الأيدي ، وفسدت الألسن . وكان جريئاً في قول الحقّ ، لا تأخذه في الله لومة لائم طوال حياته الوظيفيّة الطويلة العريضة . حيث كان نموذجاً متميزاً مستوعباً لواجباته ، مدركاً لمسؤولياته ، مُلتزماً بأخلاق العلماء العاملين ، وهو يتمتع بذكرى تفوح عطراً في الزمن الذي زكمت فيه

الروائح الكريهة أنوفاً كثيرة ، وهو في مواقفه العامة واضح لم تؤثر الأيامُ فيه برغم تقلُّبها ، بل ظل منسجماً مع موقفه ، لم يساير التيارات السياسية التي عصفت بالمنطقة ، ولم يُجامِلْ أحداً من أجل منفعة خاصة ، أو منصب ، أو جاه ، مع ما في هذا الزمن من رداءَة ورخص للرجال . فلم يحسب على تيار من التيارات التي عصفت بالمنطقة ، بل ظل يلتزم حدود الفكر الإسلامي الذي عاش ومات في رحابه ، عالم من علمائه ، وعلم من أعلامه .

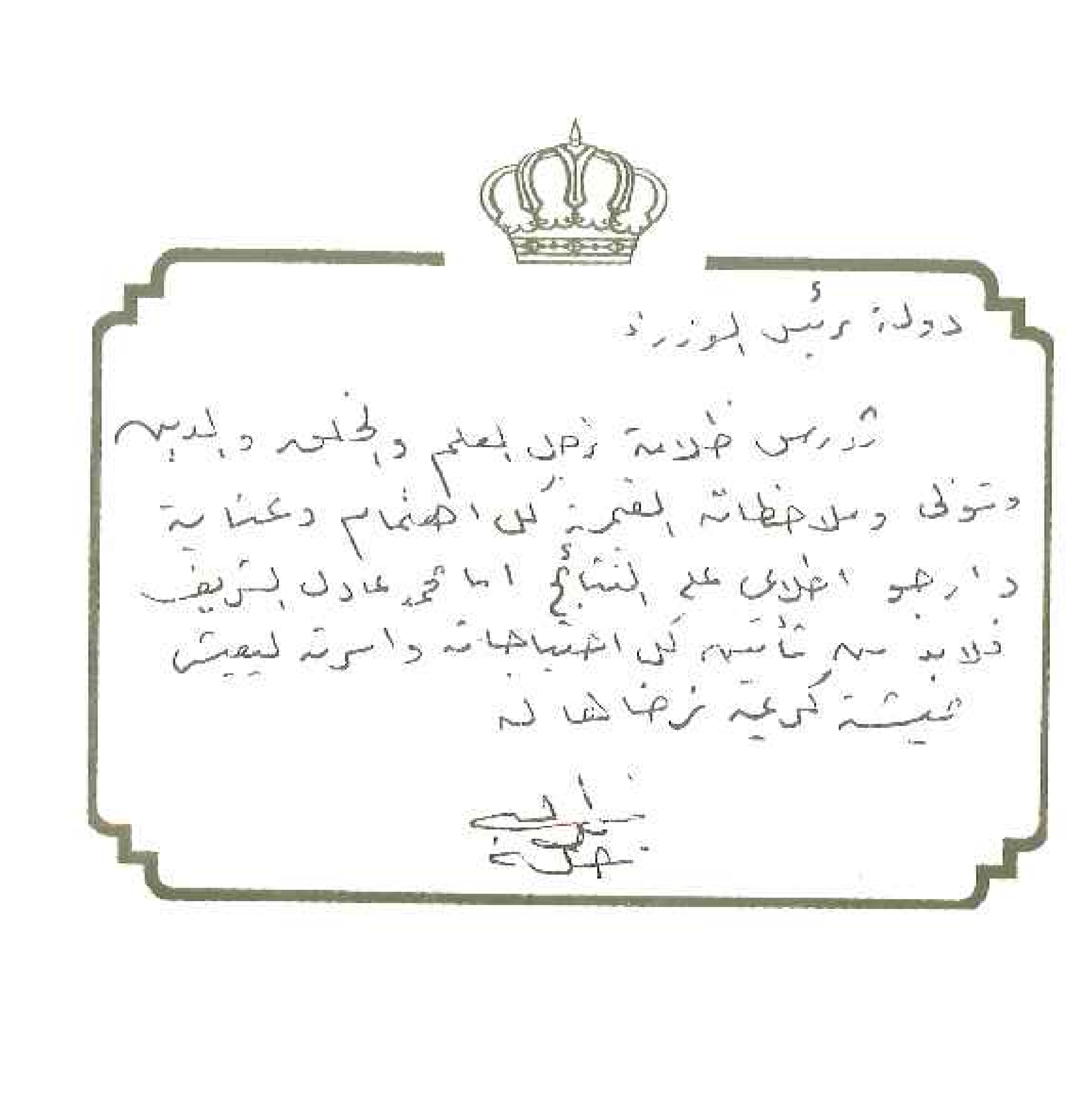
وربما كان أحد أسباب منعه من الخطابة أنه لم يكن حزبياً ، فلم يأبه بذلك ، وبقي يدرس ويخطب في دار الفقه والحديث ، دون أن تأخذه في الحق لومة لائم ، إلاّ أن بعض المسؤولين الحزبيين حقدوا عليه ، وحاولوا إحالته على التقاعد عام (١٩٧٣) الميلادي ، للتخلص منه ، ومن كلمة الحق ، لولا علم حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين الذي نما إليه الخبر ببرقية الشيخ التي يعلمه فيها بذلك . وقد وقف جلالته ــ أيده الله ــ إلى جانب الشيخ محمد عادل الشريف الرجل الذي يقول الحق وليس حزبياً ، ووجّه جلالته رسالته السّامية التالية (المرفق صورة عنها في الصفحة التي تلي هذه الكلمة) إلى دولة رئيس الوزراء ، ونصُّها :

« **دولة رئيس الوزراء**

تدرس ظلامة رجل العلم والخلق والدين ، وتولى ملاحظاته القيمة كل اهتمام وعناية ، وأرجو اطلاعي على النتائج . أما محمد عادل الشريف فلا بُدَّ من تأمين كل احتياجاته وأسرته ، ليعيش عيشة كريمة نرضاها له » .

توقيع الحسين بن طلال .

٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٣ وفق ٢٠ حزيران ١٩٧٣ .



دولة رئيس الوزراء

أدرس خلاصة رجل العلم والخلق والدين
وتولي ملاحظاته القيمة كل الاهتمام والعناية
وأرجو الاطلاع على الشيخ أبا محمد عادل الشريف
فلا بد من تأمين كل احتياجاته وأسرته ليعيش
عيشة كريمة رضاها له

الحسين

وقد ألغت هذه الإرادة الملكية السّامية العادلة إحالة الشيخ على التقاعد ، وأنقذته من شر الحزبية البغيضة ، وتمّ نقله من الأوقاف إلى دائرة قاضي القضاة .

فبارك الله الحسين القائد ، رمز الوطن النقي ، الذي أنصف الشيخ في حياته .

★ ★ ★

وكان الشيخ ــ رحمه الله ــ يبعث من راتبه الخاص ، للعائلات المستورة والفقيرة والأيتام في كل المناسبات ، ويقول لي : « يا ولدي لا تعلموا هذا لأحدٍ أبداً » . وكنت أنفذ ما يقول ، ولا زلنا ــ بحمد الله وتوفيقه ــ نسير على خطوات الشيخ ، رحمه الله ورَفَعَ منزلته بين عباده الصالحين .

لهذا ، أجدني مهما كتبت وأكتب عن الشيخ وأفعاله الطيبة ، عاجزاً عن بلوغ التعبير الذي يفيه حقه ، كما ذكرت في البداية .

وخلاصة القول أنه كان على خلق عظيم . ولم يكن يهتم بجمع المال ، أو يقيم للمادة وزناً . فقد فارق الدنيا وعليه بقيَّة من دَيْن في القدس ، وقد تم ــ والحمد لله ــ سدادُها (حسب وصيته) ، لأنه ــ رحمه الله ــ قبل أن يتوفاه الله بيومين ، أي في يوم الخميس الموافق ١٩٨٥/٥/١٣م ، كان مريضاً ، وخرج من المدينة الطبيَّة إلى بيته ، وعندما كنت أنقله من المدينة الطبيَّة بسيَّارتي الخاصَّة ، أخرج مفاتيح من جيبه ، وقال لي : « يا ولدي خذ هذه المفاتيح ودعها معك ، لأنني وضعت في إحدى الخزائن وصيتي ومبلغ (٤٠٠) دينار ، ادخرتها في حياتي ، ولا أملك غيرها . فإذا توفاني الله ، فأنت المسؤول عن تنفيذ

وصيتي ، وتجهيزي من هذا المبلغ ، وسداد ما في ذمتي من دين يقارب الـ (٤٠) ديناراً ، ويوجد مع وصيتي كشف بأسماء أصحابها في القدس الشريف .

ويوم الجمعة استقبل الشيخ في بيته جميع أسرته ، وأولاده ، وكان فرحاً مسروراً بأنباءِ بنات ابنه الشهيد عبدالسلام (نوال ووصال) لأن الأولى حصلت على التوجيهي .

وفي صباح يوم السبت ، اتصل بي أخي الدكتور (فؤاد حسن جبر) ــ أطال الله عمره ــ وأعلمني بأن الشيخ في حالة تستدعي نقله إلى المستشفى ، وطلبنا أنا وأخي الدكتور فؤاد سيارة إسعاف من المستشفى الإسلامي بعمان . وبقيت في المستشفى بجانبه في غرفة المعالجة الحثيثة ، من الساعة الثامنة صباحاً ، وكان جهاز التنفس على فمه ، ولم يترك ذكر الله لحظة واحدة ، إلى أن قاربت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، حين نظر إليَّ وقال : « أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » . وانتقل إلى الرفيق الأعلى مسلماً الروح إلى بارئها في الثاني من ذي الحجة الموافق ١٥/٨/١٩٨٥م .

ورأيت في تلك اللحظة مالا يخطر على بال أحد ، وشممت رائحة جميلة لم أشم رائحة مثلها من قبل .

* * *

وإذا كان فقد عزيز طاهر كالشيخ هو أقصى ما يصيب الإنسان من صدمةٍ عنيفة تهزُّ كيانه، وتفجعه في حياته. فكيف إذا كان هذا العزيز والدا روحيًّا...؟!

لقد كان الشيخ بالنسبة لي ليس مجرد عزيز فقط، بل كان أباً روحيًّا وأخاً وصديقاً وموجهاً ومربياً في آن واحد. وقد ترك شيخنا ــ رحمه الله ــ فراغاً كبيراً، لن يستطيع أحد أن يملأه مهما امتد بنا العمر وطال الطريق.

لذلك أسأل الله أن يجعل مأواه في أعلى عليين ، وأن يجزيه عنا وعن اخواننا في (دار الفقه والحديث) خير الجزاء ، وأن يبارك خليفته الحبيب المُحَبَّ الدكتور (فؤاد حسن جبر) لأداء رسالة الشيخ ــ رحمه الله ــ وهو أهل لها ، ومن خيرة المخلصين من أبناء دار الفقه والحديث .

والفاتحة لروح الشيخ الطاهرة ، ولجميع أموات المسلمين ، بعد المصطفى ﷺ وآله الطيبين وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان ، ومن دعا بدعوته الشريفة (عليه الصلاة والسلام) إلى يوم الدين .

اللهم اجمعنا بهم أجمعين في مستقر رحمتك ، في جنات النعيم ، يا سميع ، يا مجيب من دعاك ، يا الله ، يا ولي التوفيق ، ويا أرحم الراحمين .

العبد الفقير إليه تعالى

عبدالكريم صبحي شموط

أمين سر دار الفقه والحديث

أحد مريدي الشيخ ، وأبناء الدار

عمان في ١٤ صفر ١٤١١هـ .

وفق ٤/٩/١٩٩٠م .

* * * * *

* * *

*

الخطبة التاسعة والتسعون :

٣ رمضـان ١٣٩١ هـ

١٩٧١/١٠/٢٢

« كيف يتحقق معنى الصيام »

أحمدك ربي على ما أنعمت به وأوليت، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، خير مَن أرسلت وبعثت. أمرنا بالصيام وتجنب الأثام، وعلى آله وصحبه الكرام .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، عمده وخطأه، سره وعلانيته ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله يُقَدِّر الليلَ والنهارَ، جعل شهر رمضانَ زمانَ نفحاتٍ وإحسانٍ وغفران، وأشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالصيام، ليطهرنا من الذنوب والآثام ، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، خيرُ من دعا إلى الصيام والقيام، وعلى آله وصحبه الأئمة الأعلام .

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد : فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين، الامر بالخير والدين. ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدوداتٍ** ، ... ﴾[1] .

أيها المسلمون :

يشرق على العالم الإسلامي ، اليوم ، شهر من أعظم الشهور وأفضلها ، عند الله تعالى .

نعم. إنه أعمُّ الشهورِ منفعةً وفائدةً. أرفعُها منزلةً ومكانةً وقدراً. أجل. شهر أجلّه الله وعظمه رسولُنا، سيدنا محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه، وقدَّسه المسلمون في جميع أرجاء المسكونة وأقطارها، ذلكم هو شهر رمضان المبارك، الذي خصَّه الله بخلال الخير، وخصال المعروف والسخاء، والمروءة، ومكارم الأخلاق .

أيها المسلمون :

أظلكم شهر عظيم. شهر الصيام والقيام. إنه شهر الجود والكرم ، شهر البر والإحسان. شهر الرحمة والعفو وتهذيب الإنسان. ورَدَ أنه كان ﷺ إذا جاء شهر رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل. شهرٌ أوّلُه رحمة، وأوسَطُه مغفرة، وآخره عِتق من النار ، فيه ليلة خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، شهر أعطى الله فيه نبيه محمداً ﷺ رسالته، وأرسله رحمة للعالمين، لينقذ الناس من الظلمات إلى النور بإذنه ، فيه كانت غزوة بدر، التي تغير بها وجه التاريخ، وتطوَّر بها وضع العالم الإسلامي؛ من ضعف إلى قوة، ومن ذِلة إلى عزة ﴿ ... ، **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة البقرة (١٨٣ ــ ١٨٤) .

٢ ــ سورة المنافقون (٨) .

فبفضلها، وُضِعَ أولُ حجر للدين الإسلامي الحنيف ، فيه فتح مكة المكرمة، صُرَّةِ العالم الإسلامي كلّه ، ومَهْبطِ وَحيِهِ ، شهر أوله عيد، بنعمةِ فضلِ الصيام والقيام، وآخِرهُ عيدٌ لفرحةِ الأنام، واستبشارهم بقبول فريضة الصيام ، تُغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد فيه مردة الشياطين، إلى غير ذلك من خصال الخير والأمان .

ولكن، ليت المسلمين يعقلون . ليت المسلمين يفهمون . ليتهم يقدرونه حقَّ قدره. ليتهم يُنزلونه منزلته. ليتهم يحققون كلّ ما فيه من معاني الفضائل السامية والآداب العالية. إذلو كان ذلك، لرجونا لهم شأناً غير شأنهم اليوم، وحالاً غير حالهم اليوم. وتمنينا لهم مجداً وفخاراً وجهاداً وعزة وانتصاراً. ولكن هيهات هيهات أن تعود بعد عمل منك قد فات. وقد توالت عليك الملمات..! فإن عدت إلى الله، أفسح لك مجال القبول، واليك حُلل المطالب والمأمول. كفاك كفاك ما أسلفت من السيئات .

أيها المسلمون في زماننا هذا :

ليس رمضانُنا هذا بأول رمضان جاء ، ولا بآخر رمضان سيجيء. فكم أهَلَ وأطلّ رمضانٌ ورمضانٌ، وكم مضى رمضانٌ ورمضان، والمسلمون وقوف في مكانهم. إن لم يتأخروا ، خلاعةٌ تخنَّث في الشباب، وترجل في النساء، عقوق وبلاء، ومجون وتهتُّك واستهتار، وإباحية في الأخلاق ، واستهانة بآداب الدين. وتلاعب في الأحكام، وتقاعس عن الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله. فما أكثر الحلف بالطلاق. وما أكثر نقض العهد والميثاق ﴿ **كلا إذا بلغت التراقي . وقيل من راقٍ . وظنَّ أنه الفراق . والتفتِ الساقُ بالساق . إلى ربك يومئذ المساق** ﴾[1] .

---

١ ــ سورة القيامة (٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨ ــ ٢٩ ــ ٣٠) .

أيها المسلمون .

إعلموا، وفقكم الله لطاعته، أن في مجيء شهرِ رمضان، وذهابهِ وبدئه وختامهِ، لآياتٍ بيّنات لأولى الألبابِ، وعظاتٍ بالغاتٍ لقوم يعقلون. فكلّ شيء في هذه الحياة الدنيا يأتي ويذهب، ويدوم ويزول ، ويزيد وينقص ، ويسكن ويتحرك ، ويتغير ويتبدل، دليلٌ على فناء هذه الدنيا وزوالها ، وإن الدوام والبقاء الثابت لله الواحد القهار ﴿ ... ، **كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون** ﴾[1] حقاً لقد دار الفلك دورته، وقطع العالم شوْطاً ، وأتمت الدنيا فصلا من رواية الحياة، وطوى الانسان صحيفة من كتاب أجله المحتوم. كلّ ذلك دال على عبودية الانسان، وقدرة الله تعالى. فكم ولد إنسان لم يكن موجوداً ، وكم مات إنسان كان بينكم موجودا ، وكم اغتنى فقير، ما كان يطمع في غناه، وكم افتقر غني، ما كان يخطر له الفقر على بال . ﴿ **إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله، وتلك الأيام نُداولها بين الناس** ... ﴾[2]. حدَثَ ذلك كلّه ويَحدثُ باستمرار، تحت السمع والمشاهدة، والعالم في سكرتهم يعمهون ، وفي جهالتهم يتخبطون، وفي دنياهم يسرحون ويمرحون ، حتى أظلمت أرواحهم، وجَمَدت قلوبهم، وعميت عيونهم، وضلّت عقولهم، وماتت ضمائرهم، وانهارت أخلاقهم، وضعف بينهم وازع الدين، من حيث لا يشعرون ، لقد استقطب فهم الأهواء ، وتمكنت منهم الشهوات، حتى أصبح الاسلام على شفا جُرفٍ هارٍ. نافقوا وتزلفوا وتكيفوا، ولبسوا لباس الذئاب، وتقربوا من الكبراء المتعجرفين، حتى خرجوا عن جادة الحق والصواب . فما اصغر النفوس التي لا تجد سبيلاً الى الحياة، إلا بالتقرب من الأقوياء، تملقاً وزيفاً . فكان لا بد أن يجيء شهر رمضان، ليبعث العالم من رقدته، وينبهه من غفلته ، ويوقظه من سباته، وليخفف من وطأة تلك المادية العمياء. تلكم

---

١ ـــ سورة القصص (٨٨) .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٤٠) .

الشهوات الدهماء، التي غرق الانسان فيها لأذنيه ، كان لا بد من مجيء شهر رمضان، ليصْهر هذه القلوب المتجحرة بنارِ الصيام، وليعالج هذه النفوس المريضة بعملية القيام، وليرشدَ هذه العقول الضالة الحائرة، بنور الفقه والعلم والعرفان ، ويثلج هذه الصدور الحاقدة، ببرد الايمان ، وليطهر هذه الألسنة الآثمة، بحلاوة القرآن، وليغسل تلك الأيدي القاتلة الظالمة، المجرمة، بماء الصدقة والاحسان ، ويتصهر الانسان كله إلى درجة الكمال والسمو والجمال ، حيث تغفر الذنوب، وتكفر الخطايا، وتضاعف الحسنات، وترفع الدرجات ، يا له من شهر ملؤه الجلال والجمال. كيف لا يكون كذلك، وقد احتفل به الملأ الأعلى في السموات العلا، فزخرفت من أجله الجنان، ففتحت أبوابها وخزائنُها، وزينت حورها وولدانها، وتطاولت قصورها ودورها، وفاح مسكها وعبيرها. كل ذلك تعظيماً لشهر رمضان ﴿... **الذي أنزل فيه القرآن هُدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ، ...﴾[1] . كل ذلك إكراما للصائمين، من أمة محمد ﷺ سيد العالمين، ومن أجله يا مسلمون. احتفل بترقية العلماء والمُسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها. فأحكمت لأجله المراصد. وتزينت بشذاه الصحف والمجلات والمساجد .

أيها المسلمون :

ليس الصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب. ولكن الصيام كفُّ الأذى عن الناس، بأي جارحة من الجوارح .

يا عُبَّادَ رمضان.؟ يا من تتظاهرون بالايمان والاخلاص، قد تقولون أعددنا لشهر رمضان الطعام والشراب، ليس هذا هو المطلوب. فالمطلوب أن تلتمسوا عتق رقابكم من النار. وتصلحوا أعمالكم فيما بينكم وبين الله، وتجددوا نشاطكم لاعلاء كلمة الله، والرجوع الى الله. إن من الناس من يحارب

---

١ ــ سورة البقرة (١٨٥) .

ربه بالمعاصي. وقد يجاهر بها ويهجر مساجد الله، ولا يؤدي فريضة من فرائض الاسلام ، ومن الناس من يصلي في شهر رمضان، ويتظاهر بالتقى والصلاح، ليُرائي الناس بأعماله وسجيته، وإذا خلا بنفسه، كان أشدّ الآثمين. يا عجبا ممن يزعم الاسلام ويده ملطخة بالعصيان..! يا عجبا ممن يدعي الاسلام وقلبه مملوء بالاحقاد والاضغان..! يا عجباً ممن يزعم الاسلام، وهو عدوُّه ..! يا عجباً ممن يدعي الاسلام، ويعمل أعمال الجبابرة اللئام ..! فكيف وهذا حالنا، ونحن نطلب نصر مؤزرا ، كيف ينصرنا ويرحمنا، ونحن أشداء على بعضنا، رحماء بالكافرين والملحدين والهدامين والظالمين .؟ بخيل بالطاعات، وتجود بالسيئات. نعم. نستقبلك يا شهر الصيام ببطون مستعدة للشهوات والملذات، وفتح البارات ، نستقبلك ببيوتٍ مفتوحة لا لمصالح الفقراء والمساكين، بل لمجرد الرياء والسمعة الخادعة، وتمزيق أعراض المسلمين، والوقوع في غيبتهم، والوقيعة فيهم. لا لنعلم الفقه في دين الله رب العالمين . قال عليه الصلاة والسلام (من صام رمضان، وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي أن يتحفظ، كفرّ ما قبله)[1] وقال (من أفطر يوما في رمضان من غير رخصة، ولا مرض، لم يقضه صوم الدهر كلّه)[2] وقال (لكلّ شيء باباً وباب العبادة الصوم)[3] وقال ﷺ (من لم يدع (ويترك) قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[4] أو كما قال .

استغفر الله لي ولكم من الذنوب والآثام أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

---

١ — رواه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن ابي سعيد الخدري .

٢ — رواه الاربعة والإمام أحمد في مسنده عن ابي هريرة .

٣ — رواه احمد عن صخرة بن حبيب مرسلاً واخرجه ابن المبارك في الزهد وابو الشيخ بسند ضعيف .

٤ — رواه البخاري واحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة .

الحمد لله بطاعته تطمئن القلوب، وبفضله ورحمته تغفر الذنوب، سبحانه أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم. والله بما تعملون بصير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، ففتح به أعينا عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه الركع السجود، والصائمين القائمين الخاشعين، إيمانا واحتسابا.

وبعد. فيا أيها المسلمون. فإني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله العظيم وطاعته، وأحذركم من عصيان أمره ومخالفته. فما أجمل الصائمين القائمين، الراغبين في التفقه في الدين.

اتقوا الله، وصلوا على نبيه تعظيما له وتكريما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[١].
اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم القويم، باحسان الى يوم الدين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اعنا على صيام هذا الشهر وقيامه، وجنبنا بفضلك الذنوب والآثام، وباعد بيننا وبين الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها، حكامها وقادتها ورؤسائها، يا أكرم الأكرمين. واشمل الحسين بن طلال بعنايتك ورعايتك وتوفيقك، يا رب العالمين.

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[٢].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦).
٢ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة المائـــة :

١٧ رمضان ١٣٩١ هـ
١٩٧١/١١/٥

(غزوة بدر الكبرى غيرت مجرى التاريخ)

أحمدك ربي، وأشكرك، واستعين بك، ولا أكفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، قائد الغر المحجلين، وقائد ركب الأنبياء والمرسلين، ومقدم جيش المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أصحابه أخلص المجاهدين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[١].

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، يَهبُ النصرَ لمن يشاء، سبحانه من إله حكيم، يعلم السر وأخفى، وأشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالجهاد. وفيه العزة والغلبةُ للمحقين، وفي تركه الخِذلانُ للمبطلين، أُنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، أرسل للناس رحمة وفاتحاً وعارفاً ومبشراً، وقمراً منيرا، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، الذين زلزلوا أركان الشرك والباطل، فأثابهم ربُهم، وأناهم فتحاً قريبا.

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨).

أما بعد : فقد قال ربكم الحكيم العليم ﴿ ولقد نصرَكُم الله ببدرٍ وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقولُ للمؤمنين ألَنْ يكفيكم أنْ يُمدَّكم ربُكم بثلاثة آلاف من الملائكةِ مُنْزلين . بلى، إنْ تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فَورِهم هذا يُمدِدْكم ربُكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسَوِّمين . وما جعله الله إلا بُشرى لكم ولتطمئنَّ قلوبُكم به، وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾(١) .

أيها المسلمون .

إن الله يمتنُّ على عباده المؤمنين، بنصره لهم في الغزوة العظمى. وهي كبرى الغزوات، التي تغير بها وجه التاريخ الإسلامي، واتجه نحو الرفعة، والنصر والكمال .

معشر المسلمين في زماننا هذا .

لقد سُمي يومُ بدر، يومَ الفُرقان، الذي أعز الله فيه الإسلام، وأهله ومتبعيه، وأذلّ فيه الشرك، وأهله ومشايعيه، مع قلة عدد المسلمين، وقلة سلاحهم، وكثرة عدد المشركين، مع ما كانوا عليه من سوابغ الحديد، والعُدة الكاملة، والخيول المسوَّمة، والخيلاء الزائدة .

ولذلك، فقد أظهر الله مِنته وتفضله على المؤمنين الصادقين، من أصحاب رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أجل. إنَّ هذه الغزوة كانت أعظم غزواتِ الإسلام. اذ منها كان ظهورُه، وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره. وكانت في مثل هذا اليوم في السابعَ عَشَرَ من شهر رمضان ، وهو اليوم الذي ابتدأ فيه نزول القرآن .

---

١ ــ سورة آل عمران (من الآية ١٢٣ إلى الآية ١٢٦) .

أيها المسلمون :

هناك فرق شاسع، وبون واسعٌ بين مسلمي اليوم، ورجال اليوم، وقادة اليوم، وبين قادة الأمس ومسلميهم. نعم. بين مسلمي الأمس، ومسلمي اليوم بين إيمان الأولين السابقين، وبين إيمان المقلدين .

انظروا هنا إلى زُبدة الغزوة ومغزاها، وكيف يصنع التفرقُ والتخاذل في الأمة، وكيف تُصدع الصفوفُ، عندما انصرف المسلمون، من دفن رُقية بنت رسول الله ﷺ وهي زوجُ عثمانَ بن عفان، رضي الله عنه، وقد قفل رسول الله ﷺ راجعاً. وهناك وقع اختلاف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم. التي غنمها المسلمون من المشركين في غزوة بدرٍ الكبرى. فصار الشبان، يقولون ويمُنون على رسول الله ﷺ كنا رِدْءاً وساعداً لكم، فنشاركُكم. وقال آخرون، نحن الأوائل في الجهاد والقتال. وقال آخرون كذا وكذا ، ولما كان هذا الاختلافُ، وهذا التنازع الماديُّ، مما يدعو ويؤدي إلى ضعف شوكة المسلمين ، ويزرعُ في القلوب العداوة والبغضاء، المؤديين إلى الفُرقة، وتشتت الشمل .

أنزل الله على قلب رسوله عليه الصلاة والسلام، حسماً للنزاع والشِقاق، أول سورة الأنفال فقال (**يا محمد**) يعني أن الخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿ **يسألونك عن الأنفال، قلِ الأنفالُ لله والرسولِ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾[1] .

والمراد بالأنفال هنا، الزيادة والغنيمة. يعني أنهم يسألونك يا محمد عن كيفية تقسيمها، قل لهم إن الأمر في ذلك عائد لحكم الله ورسوله، يجعلانها حيث شاءا ، أو قد قسمها رسول الله ﷺ بالسواء والعدالة، روى ذلك

---

١ ــ سورة الأنفال (١) .

الحاكم في المستدرك، أصلحوا ذات بينكم، لا تلتفتوا إلى عرض ماديٍّ زائل، أصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وتركِ التنازع، واتبعوا ما جاءكم عن الله ورسوله إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقا، أتدرون من هم المؤمنون الصادقون المخلصون.؟ ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[1].

ولما سمعوا هذا النداء الإلهيَّ، سطع على أفئدتهم نور القرآن العظيم، فالتفَّتْ قلوبُهم بعد أن كادت تفترق، وتركوا أمر الغنائم لرسول الله ﷺ يضعها كيف شاء، كما حكم القرآن، على السواء للراجل والفارس. حتى أعطى من أمرهم بالرباط في المنازل والبيوت.

أيها المسلمون في زماننا اليوم.

يمتاز شهر رمضان، بما يمتاز من بين شهور السنة العربية بنصرين هامين: أما أحدهما فنصر روحي بالصيام، فإنه انتصارٌ للروح على شهوات النفس وحاجاتها، التي لا تقف عند حد. وانتصار ماديٌّ ملائكي روحي انتصرت فيه جيوش المسلمين الصادقين، على جيوش المشركين والملحدين، في موقعتين، كانتا نقطة تحوُّل في تاريخ الإسلام والمسلمين.

الأولى موقعةُ بدر، والثانيةُ فتحُ مكة المكرمة. ففي صبيحة مثل هذا اليوم السابعَ عَشَر من شهر رمضان المبارك، من السنة الثانية لهجرة المصطفى، صلوات الله وسلامه عليه. وفق الثالثَ عَشَرَ من مارس (آذار) سنة أربع وعشرين وستمائةٍ من ميلاد المسيح عليه السلام.

أيها المسلمون.

لا حاجة إلى ذكر العدد والعُدد. لا حاجة إلى ذكر السلاح والسيوف والرماح. يكفي أنهم نفذوا مافي كتاب ربهم، الذي دعاهم إلى الجهاد في

---

١ ـــ سورة الأنفال (٢).

مواطن كثيرةٍ من القرآن ، ولقد تفانوا وتسارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض، عندما سمعوا رسولهم المصطفى، وقائدهم المغوار ﷺ يقول (الجنة تحت ظلال السيوف)[1] .

لا حاجة إلى ذكر الكم والكيف، إن مثل ذلك يحصل في كل زمان ومكان، والمسلمين وغير المسلمين، أو يكفي أيضاً أن نعلم من ذكراها، ان النصر قد تم للمسلمين في سويعات من نهار. فما أكثر المواقع التي تم فيها مثل ذلك، في تاريخ بني الإنسان . إنه لا يكفي في ذكراها أن نعلم هذا أو ذاك مجردَ سماع أو علم، ولا أن نعلمَ ما قُتِل من المشركين، وما غنمناه منهم ، يجدر بنا أن نتغنّى ونتحدث ونفاخر، بان المسلمين ما انتصروا الا لثقتهم بأنفسهم، وثقتهم بالظفر، وثقتهم بخالقهم الأكبر قبل كل شيء. تلك أمة قد خلت، تمسكت بشريعة السماء، وسارت بهمة قعساء، فكتب الله لها النصر والغلبة والتوفيق. ولما خلف من بعدهم خلف لا يعرف معنى الجهاد، ولا يزن عواقبه بمقدار. سلط عليهم أعداءً فساموهم سوء العذاب. وصدق الله العظيم ﴿ **وما كان ربُك ليُهلِكَ القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾[2] . فأين هو إصلاحنا يا قوم.؟ لإن الإصلاح عمل، والعمل لأجل الحياة الإنسانية السعيدة، وأين هي الحياة السعيدة .؟

إي وربي، وسرِّ الحق الذي فقدناه. فإنّ البطولة في سبيل الحق، وإعلاءِ كلمة الله، ونُصرة الأوطان، زينةٌ وكمال ، وإن الذَودَ عن حمى المقدسات، وتطهيرها من رجس الغادرين، قوةٌ وجمال . أما البسالة والشجاعة للنيل من الضعفاء والأبرياء وهضم الحقوق، فذلك فساد وفتنة وضلال. ولقد حفل تاريخُ الإسلام بالبطولات والشجاعات النادرة العالية. نعم. شجاعةٌ يزينها الإيمان وتحفها الخشيةُ والخوف من الله لإعلاء كلمة الله. فكم عرضنا في تاريخ خطبنا ودروسنا صوراً رائعة للبطولات الإسلامية الفذة

---

١ ــ رواه الحاكم عن ابي موسى باللفظ المذكور . ورواه البخاري بلفظ اعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ورواه مسلم في كتاب المغازي وابو داود في الجهاد .

٢ ــ سورة هود (١١٧) .

الرائعة ، أيام المسجد الأقصى المحتل الذليل، وغيره من المساجد، وما ذلك إلا ليأخذ الحاكمون والقادة والرؤساء منها عظاتٍ ودروساً، ليستردوا بها مسلوب الكرامات والمقدسات . نعم. نحن أبطال على بعضنا، شجعانٌ في إراقة دمائنا، وفي الكيد والباطل نخادع أنفسنا .

هؤلاء صناديد القائد المجرب سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، كانوا يقاتلون بدافع العقيدة، بدافع الإيمان، والموت أسمى أمانيهم، في سبيل نصرة دينهم يومُ بدرٍ، يومُ الفرقان، يوم التقى الجمعان، كان لسان حال كل صحابي مجاهد .

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

كان أمرهم شورى بينهم، لا استبداد فيه من سيد على مسود، ولا كبرياء ولا عنعنة ولا جحود. كلّ ذلك مستمد من دستور السماء، من روح قائد الدنيا بأسرها، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

أيها المسلم في زمن التظاهر بالإسلام، للمصالح الذاتية الشخصية .

أحقُّ ما جاء في هذه السيرة النيِّرة. اسمعوا وعوا. يقول عليه الصلاة والسلام (من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات. ومن أشفق من النار أي خاف تلّهى عن الشهوات والملذات. ومن راقب الموت ترك المعاصي والموبقات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب)[1]، وقال ﷺ (الجنة تحت ظلال السيوف)[2] أو كما قال، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

١ ــ رواه البيهقي عن علي بن ابي طالب والعقيلي وابن عساكر في تاريخه ، قال الحافظ العراقي سنده ضعيف .
٢ ــ انظر الصحيفة التي قبل هذه .

الحمد لله، يهبُ النصر لمن يشاء، يُعز من يشاء ويُذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير. أشهد أن لا إله إلا الله، يهدي لنصرة دينه من أراد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

عباد الله اتقوا ربكم ، اتقوه قبل أن تلاقوه، راقبوا ربكم في أقوالكم وأفعالكم، فإنه عليكم نعم الرقيب، وصلوا على نبيكم تنصروا وتُسعدوا، وقولوا معي (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، اللهم كما كتبت العزة والنصر للمؤمنين السابقين، فاكتب لنا نصراً مؤزراً يا أكرم الأكرمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأصلح نفوس القادة والحاكمين والمجاهدين الصادقين، واجمعهم على كتابك وسنة نبيك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا، يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الأولى بعد المائـــة :

٢ شوال ١٣٩١ هـ

١٩٧١/١١/١٩

(ويح عبد يعبد ربه في رمضان فقط)

أحمدك ربي، واشكرك وأتوب إليك، واستغفرك مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ذوي الوفاء والصفاء. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واصلح لي شأني كله. اللهم اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * * *

الحمد لله الدائم، فلا يزول ولا يتغير، الحكيم الذي جعل في انقضاء الشهور عبرة لمن تذكر وتدبر. لا إله إلا هو جعل الفوز والفلاح لمن داوم على العمل بشريعة سيد العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، أعز من لازم طاعته، وفتح له أبواب رحمته، وحجب فضله وكرمه عمن انقاد لهواه وشهوته، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين .

أيها المسلم .

إن الله جلت حكمته، جعل لكل بداية نهاية، ولكل وسيلة من وسائل الحياة غاية. فإن كان شهر رمضان المبارك، قد مضى كأنه طيف خيـال ،

---

١ ــ سورة طه (الآية من ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

وعزمتم على الرجوع الى التفريط والضلال في شوال، وغيره من الشهور والأيام فالله حيٌّ أبديٌّ لا يلحقه الزوال، ولا يفنيه تداول الشهور والأيام والليال . لا تقولوا ذهب شهر رمضان بما فيه، واستراحت قلوبنا منه، وتشتغلوا بما بعده من فراغ في اللهو واللعب، والقيل والقال . إنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء .

أيها المسلمون .

ألم تعتبروا بما مرَّ من أيام وأعوام.؟ ألم تنزجروا بمرور الأيام والساعات والثواني.؟ وهي مذكرة لكم بكل ذاهب وفاني .

دقـات قلـب المرء قائلـــــة له
إن الحيــــاة ودقائـق وثـــوانِ

أيها الشاب المغرور بشبابك ونضارتك. يا من كنت تدعي الاسلام في شهر الصيام وما سبقه من أيام، وفي الاذاعات والتلفازات، بل في بيوت الله، اطلقت لسانك في تجريح أعراض الناس، وأكل لحومهم، وجراحات اللسان أشد من جراحات السنان .

جراحـــات السـنان لهـا التئام
ولا رُقيـا لما جـرح اللســان

كيف بك اليوم وأنت في شوال، وبعد رمضان .؟ أما آن لك يا سطحيُّ التفكير، أن ترجع لمولاك .؟ بادر بالتوبة قبل الندامة والحوْبة. أتظن نفسك عالما ذكيا ألمعيا. عندما تقف وتدعي أن الخطأ والنسيان جائزان على الرسول وغيره من رسل بني الانسان، وهم معصومون حتى من الذهول والغفلة والنسيان، إذ لو كان الرسول مخطئا في تبليغه، لكانت دعوته إلى دين الله باطلة الاساس والتبيان . قل لي بربك، ما الذي دعاك حتى تصول

بلسانك وتجرح في رسل اختارهم الله من صفوة خلقه.؟ والواجب على المسلم اعتقاده في حق الرسل أجمعين؛ الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة. وقد عصم الله رسالة السماء من تضليل المضلين، وخروجهم عن الصراط المستقيم. فلو اعتقد المسلم بخطأ رسول من رسله، لضل وهلك. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فيستحيل عليهم حتى الذهول والغفلة والنسيان. وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان، ولم يقل رُفع الخطأ عني وعن الرسل السابقين من قبلي. أيها البعيد عن ربك، أيها المجار بعصرك وضلال أهل زمانك، ليقول الناس عنك عصري. إرجع الى ربك. فما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من أعمال، إنما كانت للتعلم والارشاد والتشريع والاجتهاد، وقد اجتهد كثير من الصحابة في حياة رسول الله ﷺ كمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري، وما كان اجتهاد النبي ﷺ إلا إرشاداً ودروساً لأصحابه وأمته من بعده. يقول عليه الصلاة والسلام (طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرُمت علانيته، وعزل عن الناس شرّه. طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل الزائد من قوله ولسانه)[1].

أيها الشيخ الطاعن في السن.

يا من تجاوزت الستين والسبعين والثمانين. يا من تقف على شفير قبره. وينتظر واقع أمره. راقب ربك؛ في أقوالك، وأفعالك وأعمالك. أيتها المرأة المسلمة. أيتها الفتاة. امسكي لسانك ولا تطلقي له العنان، قبل أن تقفي بين يدي الملك الديان، فيسألك عن هذه الأزياء المخزية لبني الانسان. أين الذين كانوا في رمضان يذكرون الله.؟ تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا، أين الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، خوفا من الله وجزعا.؟ رحم الله عبدا عرف ربه، فأقبل على الحياة الباقية، وأعرض عن الحياة

---

١ ـــ رواه الترمذي في التاريخ عن ركب المصري، وأوله: طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ نفسه في غير مسكنة، وانفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذلّ نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه، وانفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله.

الفانية الذاهبة . رحم الله عبدا عرف مساوىء لسانه، فأمسكه عن الغمز واللمز، والطعن في أعراض الناس وانسابهم ﴿ **ويلٌ لكل هُمَزةٍ لُمَزةٍ . الذي جمع مالا وعدَّده . يحسبُ أن ماله أخلده** ﴾[1] ؟ يقول رسول الله ﷺ (إن الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم خُلقا)[2] .

أيها الناس .

لا تركنوا إلى الدنيا، فأنوارها ظلمات إن أضحكت يوما أبكت أياما . متاعها قليل، وصحيحها عليل. تأملوا في العواقب. فالذنوب لا تنسى، والكرام الكاتبون لا يهملون شيئا من سوء أعمالكم. والبر لا يبلى، والديان لا يموت .

أيها الناس . افيقوا من سكرتكم. فقد ذهبت بلادكم شبرا شبرا. وستذهب منكم مرة أخرى. قلت هذه الكلمة من على منبر المسجد الأقصى، ويا ليتها كانت لنا عبرة وذكرى. خطب رسول الله ﷺ خطبته الأولى في مكة، بعد حمدالله والثناء عليه، فقال (إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا، ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا، ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة. (ولا يجوز أن أكذب على أحد) والله لتموتن كما تنامون، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبُنَّ بما تعملون ، ولتجزونَ بالاحسان إحسانا، وبالسوء سوءاً. وإنها لجنة أبدا، وإنها لنار أبدا) أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. أو كما قال . ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

الحمد لله ، ﴿ **غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديد العقابِ ذي الطَّوْلِ، لا إله إلا هو، اليه المصير** ﴾[3] .

---

١ ــ سورة الهمزة (١ ــ ٢ ــ ٣) .

٢ ــ رواه احمد والطبراني عن جابر بن سمرة ، قال الحافظ العراقي اسناده صحيح .

٣ ــ سورة غافر (٣) .

أشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، البشير النذير، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد. فيا أيها المسلمون . أحسنوا الظنّ بربكم. أحسنوا الظن برسولكم. آمنوا بما أنزل الله من كتب ورسل. وبكل ما جاء به المرسلون. داوموا على طاعة ربكم. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أحب الأعمال إلى الله أحمزها، أي (أدومها) وإن قل)[١] .

اتقوا ربكم. راقبوه في أقوالكم وأفعالكم. تذكروا قول ربكم ﴿ **اليوم نختم على أفواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾[٢] تذكروا موعظة رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل (كفَّ عليك هذا، وأشار إلى لسانه، قلت يا نبي الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم)[٣] . اتقوا ربكم، وصلوا على نبيه، كما صلى عليه ربه وملائكته، تعظيما له وتكريما، فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[٤] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن الخلفاء

---

١ ــ متفق عليه بدون أحمزها .

٢ ــ سورة يس (٦٥) .

٣ ــ رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح . عن معاذ بن جبل ، وأوله قلت يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار ، قال لقد سألت عن عظيم ، وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : الا أدلك على ابواب الخير .؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، حتى بلغ يعملون ، ثم قال الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يا رسول الله . قال رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله . ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله . فقلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه . وقال كفّ عليك هذا . قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به . فقال ثكلتك أمك ، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم . وقال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .؟

٤ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين. اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، والطف بنا وبالمسلمين أجمعين. اتقوا الله. ولا يرضى بعض الناس ان تقول لهم اتقوا الله. قلت لعمر بن الخطاب أعدل من وجد في زمنه، فقال رجل من الصحابة لا تقلها لعمر ، فقال له عمر بل قُلها لنا ، فالويل لنا إن لم نقبلها ، والويل لكم إن لم تقولها لنا .

اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين قلوب القادة والحاكمين على كتابك وسنة رسولك، واحفظنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وانصرنا على عدونا يا أكرم الأكرمين. اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك. اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا، واشمل الحسين بن طلال برعايتك وتوفيقك يا رب العالمين) .

وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، يا أرحم الراحمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية بعد المائـة :

٧ ذي القعدة ١٣٩١ هـ
١٩٧١/١٢/٢٤

(حاجة المسلمين فيما بينهم إلى المحبة والتعاون)

أحمدك ربي، شاكراً نعمك وآلاءك، مصلياً ومسلماً على أشرف رسلك وأنبيائك، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم القويم. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

الحمد لله، أمرنا بتصفية القلوب ومعاشرة الأخيار، وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الجبار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعانا إلى المحبة والتعاون قولاً وعملاً، ونهانا عن مصاحبة الأشرار، وعلى آله وصحبه الأئمة الأطهار .

أما بعد . فيا أيها المسلمون في زمان ضعف فيه الإسلام، وقلت أنصاره. يقول رسولنا المصطفى ﷺ (المسلم أخو المسلم، لا يَظلِمُه ولا يُسْلِمُه)[2]، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُربة فرّج الله عنهُ كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[3] .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

٢ ــ متفق عليه عن ابن عمر .

٣ ــ متفق عليه عن ابي هريرة .

أيها المسلمون :

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، المسلم هو الذي دعا إلى الهُدى معتصماً بحبل الله، فالمسلم هو الذي لا يُسلم أخاه إلى عدوه، ولم يُلقه إلى الهلكة والخُسران. فمن واجب الأخوة الإسلامية ألا تظلم أخاك، فتهضِمَه حقَّه، نعم. الرسول ﷺ يقول (المسلم أخو المسلم) كأخوَّةٍ في الدمِ واللحم والنسب، يترتب عليها المحبة والمودة والمواساة عند الكربات، والنصْرة عند التعدي عليه، ومن مقتضى الأخوَّةِ ألاّ يظلم أخاه، ولا يتعدى عليه بحق من حقوقه، ومن الظلم لأخيك؛ إراقةُ دمه، وانتقاصٌ في نفسه، أو مالِه أو عرضه، فالظلم عند إطلاقه حرام من كل مخلوق على كل مخلوق. قال صلوات الله وسلامه عليه (الظلم ظلمات يوم القيامة)[1] وفي الحديث القدسي (يا عبادي. إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا)[2] أي لا يظلم بعضكم بعضا.

المسلم لا يترك أخاه لعدوه، ينكِّل به، على غيه حتى يقضيَ عليه، المسلم لا يسعى في خِذلان أخيه وهُجرانه وبُعده. المسلم لا يُغْلق حدوداً عامة مشتركة بينه وبين إخوته وجيرانه وبني قومه وأعوانِه. فإذا كان الإنسان يحمي أعضاء جسمه من الآفات والمُهلكات، ويخشى عليها مما يؤذيها ويضرها، إذاً فليَحْمِ أخاه المسلمِ، الذي هو عُضو منه (ترى المؤمنين أو مَثَل المؤمنين في تراحُمهم وتعاطفهم وتوادِّهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عُضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[3] .

المسلم ينصر أخاه ظالماً أو مظلوما. ونَصرهُ على ظلمه، سعيُك جاهداً لمنعه من تجبره وظلمه، إذا كنت قادراً على ذلك .

ليتنا أيها المسلمون نتعلم، ونقتدي، نأخذ من كتاب الله ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ...** ﴾[4] .

---

١ ـــ رواه مسلم عن جابر وتمامه : اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم .

٢ ـــ رواه مسلم عن ابي ذر الغفاري وهو مطلع حديث طويل .

٣ ـــ رواه البخاري بلفظ ترى ، ورواه مسلم بلفظ مثل عن النعمان بن بشير .

٤ ـــ سورة الاسراء (٩) .

وليتنا نقتدي برسول الله ﷺ ونتعلمُ منه، كيف نعاشر الأخيار المخلصين، لنأخذ من سلوكهم وتصرفاتهم، ما يجعلنا أمة موحدة واعية، تشعر بقصورها وتقصيرها نحو الأمة بأفرادها وجماعاتها. إنه سبحانه خلقنا لنكون متحابين متعاونين، على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

لكن الإنسان هو الإنسان. فيه حب التقليد لغيره، يحاكيه ويشابهُه. (المرء على دين خليله)[1] فإن خالط المؤمنين ذوي العقول الأصيلة الراجحة النيرة، والأفكار العالية النزيهة، سرى من كل ذلك إليه، بل إذا طال أمد الصحبة للأخيار، اقتبس عنهم ما كان فيهم من خصال الخير. وكذلك من يخالط الأشرار فإنهم يُعرِّفونه من طرق الشر، ما كان جاهلاً، ومن بُؤَر الفساد ما كان عنه غافلاً، يرشدونه إلى كل نقيصةٍ، ويجرونه إلى كل وقيعه. فالعاقل الحازم، هو الذي يبحث عن ذوي النفوس النقيَّة الصافية، ويبحث عن مجالسها وأنديتها، فالطبع دائماً يسرق من الطبع، والأخ يكون مع أخيه، بالفعل لا بالقول.

إن أخاك الحقّ من كان معـــكْ
ومن يضـــرُّ نفسه لينفعَـــــكْ
ومَن إذا ريب الزمـــان صدعـك
شتت فيـــك شملـــه ليجمعـك

أيها المسلم في زمن الفساد والإلحاد.

إن النفوس من شأنها أن تتأثر بمن حولها[2] وتنشأ كالوسط الذي يُحيط بها، فإنْ كان مَنْ حَولَها ممنْ شَرُفت غاياتُهم، وكَرُمت سجاياهم.

---

١ ــ رواه الترمذي وابو داود بسند صحيح عن ابي هريرة، بلفظ الرجل بدل المرء.

٢ ــ ولذلك حثنا رسول الله ﷺ على الجليس الصالح، والابتعاد عن الجليس السوء، فقال: مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك وأما تبتاع منه. وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة. فلا بد إذن من التأثر بصلاح الصالح، أو فساد المفسد.

كانت كذلك سامية المبدأ، نبيلة الغاية، صالحة العمل، محبةً للاستقرار، تعطف على خلق الله، وتواسيهم عند المصائب، وتوآزرهم عند الشدائد، وإذا أحاط بالنفوس عكس ذلك. لا يعرفون الله ولا يذكرونه، لا يعرفون إلا الفساد وأربابه، والفسق وعُشاقه، لا يعرفون مساجد العبادة، إلا حسب العادة، إلا في اليوم الذي يموتون فيه، لا يعرفون دور الفقه ومجالسَ العلم، ولا دور القرآن الإلهي، إلا شعاعاً فهؤلاء كيف يرجى خيرهم ويؤمن شرُهم، وقد أصبحوا منبع جرائمَ ومصدرَ كوارث.؟ ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُم النارُ وما لكم مِن دون الله أولياءَ ثم لا تُنصَرون** ﴾[1].

والرسول ﷺ يقول (ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته)[2] في هذا حَثٌ على السعي في مصالح العباد. سواءٌ أكانت مصالح مالية أو دينية أو أدبيه أو وطنية، فلو بذل الإنسان، ولو شيئاً يسيراً في سبيل نصرُة أخيه، ورفع الظلم عنه، نال من الله خيراً كثيرا، وهذا داخلٌ في عموم قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[3].

وأما قوله عليه الصلاة والسلام (ومن فرج عن مسلم كربته) الخ فيه حضٌ على القيام بمصالح المسلمين وخدمتِهم، بل الناس أجمعين لدفع البلايا والرزايا، التي تنزل بساحتهم، أو تنزل قريباً منهم في هذه الحياة الدنيا، وكل مخلوق مُعرَّضٌ للنكبات والويلات، فمن أصابته مصيبةٌ أو مجاعة، بذلت له ما تستطيع. أو دعوت الأغنياء والقادرين على معونة إخوتك، وواليت السعي وراء إصلاح أعضاء جسدك، الذين هم منك وإليك.

---

١ ــ سورة هود (١١٣).

٢ ــ مرَّ في أول الخطبة. وروى الخطيب عن انس من قضى لأخيه المسلم حاجة. كان له من الأجر كمن حجّ واعتمر، ولأبي نعيم في الحلية عن انس من قضى لأخيه المسلم حاجة. كان له من الأجر كمن خدم الله عمره.

٣ ــ سورة محمد (٧).

أيها المسلم :

يرشدك رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، ويدعوك جدًّا لا هزل فيه، أن تكون جندياً صالحاً، لبنةً قوية في مجتمعك، عاملاً جاهداً في إزالة النوائب والكوارث، أو تخفيفها على الأقل، وبذلك فقد ضمن الله لمن فعل ذلك أن يدفع عنه، ولو كُربة واحدة من كُرب يوم القيامة، وهي كُربٌ عصيبة شديدة، لا توصف بكرب الدنيا ﴿ **ويوم يَعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا** ﴾[1] .

ثم قال (ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة) ، إرشادٌ للناس على ستر زلات بعضهم وعوراتهم، وعدم التتبع لمساوئهم ، إلا إذا كانت زلةً في عقيدة، أو كانت ابتداع شيء في الدين، أو ادعى أنه يعلم الغيب ولا يعلم الغيب أحد سواه. أو ادعى أنه نبيٌّ أو مهديٌّ، فحينئذٍ يكون هذا منكراً يُوجِبُ منع مُدعيه، وإزالة هذه المخالفات من أفكارهم. ويكون ذلك من باب (الدين النصيحة)[2] بل ولا يعتبر ذلك غيبةً في حقهم، ولا مانع من تحذير الناس، من أمثال هذه الأقوال والادعاءات، التي لا يقرها دينٌ ولا عقل ولا برهان، ولا تعتبر هتكاً للعورات. بل يكون ذلك من قبيل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

فقد بين الرسول علامات الساعة، ولم يعيِّن مواعيدها. ولكن جميع علاماتها حاصلةٌ واقعة، فالمهديُّ مثلاً من ذرية رسول الله ﷺ واسمه (محمد بن عبدالله) فإذا ظهر فينا، يكون على رأس ملك ينادي من فوقه. (هذا هو المهديُّ المنتظر، قد ظهر فيكم) والمهدي لا يظهر حتى يسبقه دجال ودجاجلة، والأمر واقع. فمن ادعى أنه المهدي فعليه الدليل، فإذا علم مسلم عالم عاقل، بأن فلاناً ادعى أنه المهدي وسكت، ولم ينصحه،

---

١ ـــ سورة الفرقان (٢٧) .

٢ ـــ متفق عليه من حديث أبي رقية الداري .

وسكت عنه وهو يعلم أنها مخالفةٌ لأمر الله ورسوله، ولم يحذر الناس من دعواه، فهو آثم. فديننا صحيح سليم واضح. ما قام إلا على الحجة والإقناع. يقول ﷺ (ما زار رجل رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبةً في لقائه، إلا ناداه ملكٌ من خلْفه (يا هذا) طبتَ وطاب ممشاكَ، وطابت لك الجنة)[1].

يا ناس. يا مسلمون .

تحابُّوا في الله. تواصلوا. فإن من أحبَّ خالقه، عمل كلَّ ما يرضيه، وتباعد عن كل ما يغضبه ويجافيه، تأملوا معي أيها المسلمون قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ (والله يا رسول الله إنك لأحبّ إلي من كل شيء إلا نفسي، التي بين جنبيّ) فيقول له النبي: (يا عمر لن يكمُلَ إيمان أحدكم، حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه، التي بين جنبيه) فيقول عمر (والذي أنزل الكتاب، إنك لأحبُّ إليّ من نفسي، التي بين جنبيّ) فيقول الرسول (الآن يا عمر)[2] أو كما قال. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لِله يُغدِقُ الخير لكل من يخلص المودة لأخيه، أشهد أن لا إله إلا الله، جعل المحبة والمودة بين عباده عنوان الإيمان ومظاهر الإحسان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

١ ــ رواه الترمذي ، وقال حديث حسن عن ابي هريرة وتمامه من عاد مريضاً ، أو زار أخاً له في الله ، ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً .

٢ ــ أخرجه البخاري باختلاف في بعض الألفاظ عن عبدالله بن هشام ، ولفظه : « كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحبُّ الي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر : فانه الآن والله لأنت أحبُّ الي من نفسي ، فقال النبي ﷺ الآن يا عمر » .

وبعد. فإن من كمال إيمان المرء، أن يضمر المحبة لإخوانه المسلمين، وإخوته المؤمنين في كل مكان وزمان. يعاشرهم بقلوب صافية، وألفة كاملة وافية. فبهذا الحب العظيم، الذي كان معقوداً بين محمد وأصحابه، وبين المسلمين والقاطنين تكوّن المجتمع المتحابُّ المتكامل. وسادجوُّ التفاهم صفوف الناس. وألّف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخوانا.

واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه ورسوله تعظيماً له وتكريما، فقال **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾**[1] (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم) وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ... اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، وبين قادتنا وحكامنا وأفرادنا وجماعاتنا. وانصرنا على عدونا يا رب العالمين. ووفق الحسين بن طلال لما فيه خير هذه الأمة وفلاحُها، يا أكرم الأكرمين.

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[2].

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦).

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثالثة بعد المائة :

٢١ ذو القعدة ١٣٩١ هـ
١٩٧٢/١/٧

(الإيمان والعمل قريبان)

أحمدك ربي، حمداً يوافي نعمك، ويكافىء مزيدك، مصلياً ومسلماً على عبدك وابن عبدك، محمد نبيك ورسولك، وعلى آله وصحبه، قدوة المتوكلين، حتى أعزهم الله بتقواهم، في الدنيا والآخرة، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن، لا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، الذي بيده العزةُ والقوة والغنى ﴿ **لله مُلكُ السمواتِ والأرضِ وما فيهن، وهو على كل شيءٍ قدير** ﴾[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله، الكبيرُ المتعال، الذي بيده الأرزاق والآجال، ﴿ **ذو العرش المجيدُ . فعالٌ لما يريدُ** ﴾[3].

وأشهد أن سيدنا محمداً، عبدالله ورسوله، أعظمُ الناس إيماناً، وأقواهم يقينا، وأكرمهم عند الله بتقواه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨).
٢ ــ سورة المائدة (١٢٠).
٣ ــ سورة البروج (١٥ ــ ١٦).

أما بعد. فيا أيها المسلمون.

يقول رسول الله ﷺ (الايمان والعمل قرينان، لا يصلحُ كلٌّ واحد منهما إلا مع قرينه)[1].

نعم. الايمان دون عمل وتطبيق، لا يكفي ولا يفيد، والعمل المجرد عن النية والايمان بغير عقيدة ولا روية لا يجدي، ولا يفيد أيضاً.

أيها الناس.

ليست السعادة والعزة والقوة أمانيَّ وآمالا، يسعد الانسان في حياته، بمجرد الشعور بها، كلا. ثم كلا. فليست السعادة شعورا بالعزة، ولو بأي لون من الوان الحياة، إنما هي مقاصد عالية، وأهداف سامية، تنال بوسائلها وأسبابها، فلا أحد أهدى وأتقى من رسول الله ﷺ سيد الدُعاة والمصلحين، فقد هدانا، ودلنا على الأخذ بأسباب السعادة، بنور الله وهدايته، عرَّفنا وعلمنا أن التقوى والعمل الصالح ناشئان عن الأصل الصحيح الراسخ في النفس، ألا وهو الايمان الصحيح.

نعم. علَّمنا أن التوكل على الله والاعتماد عليه؛ هما عدة النصر، وباعث القوة. إذ لا قوة بغير إيمان، ولا نصر بغير إيمان، فالاستغناء بالله ثقة به تعالى تثمر غنى النفس، فتنهض وتعمل وتقنع وتجود، والأخذ في الاسباب لا ينافي التوكل على الوهاب.

أيها المسلمون في زمن الفسق والفجور والطغيان. إعلموا أن من اتقى ربه واستمسك بكتابه، وسار على هدى رسوله، عليه الصلاة والسلام في سلوكه في معاملته، في اخلاصه في جهاده ومعاشرته، وجَد عاملاً مجاهداً في الحياة، كان عزيزاً بإعزاز الله له، ومن أعزه الله فلن يغلبه أحد، ولن يقدر على إذلاله أحد، هذا إذا كنا أمة تؤمن إيماناً صحيحاً بهدي الله ورسوله، نعم.

---

١ — رواه ابن شاهين عن محمد بن علي مرسلاً بسند حسن، ورواه ايضاً عنه: الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه.

إنه جل وعلا على كل شيء قدير . أمام قوته تضمحل جميع القوى ، وتزول الجبال الراسيات . ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل** ﴾[1] .

يخاطب رسوله محمداً، يا محمد. ألم تعلم كيف فعل ربك بالظالمين المعتدين.؟ بمن أرادوا بك وبأصحابك كيدا .؟ كيف سلط الله عليهم طيراً، أصغر شيء في مخلوقاته. وكيف رماهم بأحقر شيء. بحصى من طين متحجرٌ ، غيرة على حرمة بيته، وحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته. إنه لم يرم أصحاب الفيل، بقنابل، ولا متفجرات، ولا غارات. رماهم بحصيات صغيرة بالغة في الخطورة، تخرق الرؤوس والصخور الصُمّ. خرقت رؤوس الذين ناصبوك العداء. وتألبوا على إزالة التوحيد من الوجود، وترسيخ الظلم والشرك في أرجائه ﴿ ... **ليُطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتم نورهِ ولو كَرِهَ الكافرون** ﴾[2] . ولكن أتدرون أيها المسلمون في زمن الجحود والالحاد، كيف نصر الله محمداً وأصحابه وجنده .؟ إنكم لا تعلمون حقيقة ذلك، مع أنكم تتقلبون في نعم الله وآلائه، آناء الليل وأطراف النهار، وأنتم ساهون لاهون، وعن آيات ربكم معرضون غافلون .

لقد تولىّ الله بنفسه، تعذيب الظالمين والمعتدين، بحجارة من سجيل، حملت الموت إلى الفيل وأصحابه، الذين قدموا مكة لهدم بيت الله الحرام. فوقاه الله سيئات ما عملوا، وأهلك أعداء دينه، من الباغين والمنافقين .

أتدرون لماذا هذا الانتصار من الله .؟ كل ذلك دفاعاً عن حرمة بيته، الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، دفاعاً عن المؤمنين ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يُحب كلَّ خوَّان كفور** ﴾[3] .

---

١ ــ سورة الفيل (١ ــ ٢) .
٢ ــ سورة الصف (٨) .
٣ ــ سورة الحج (٣٨) .

أين هذا من تحضير المعسكرين في الشرق والغرب.؟! ما قدروا عليه من أسلحة فتاكة، وقنابل هدامة محرقة، وما ذلك الا لفناء بني الانسان، لخراب عالم الأرض بأسره. أجل. لو كنا أمة مؤمنة، اعتصمنا بكتابه، وسرنا على شرعه، لانتصر إلينا انتصاره لأوليائه وعباده. إن كثيراً من الناس من يكرر القول معترضاً على ربه، فيقول هذا هو القرآن يقول ﴿ ... ، **وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين**﴾(١) فأين هو نصر الله.؟.

يا أمة جهلت أمر دينها، وكفرت بربها. إنه تعالى يقول: كان لزاما علينا، وتفضُلاً منا نصرُ المؤمنين، لا الظالمين، ولا المتباغضين، ولا المتخاصمين، ولا النفعيين والمستغلين، إنه لينصر المؤمنين الصادقين، متى كانوا بشرعه عاملين. عند ذلك يمنحهم قوة من عنده، ونصراً مؤزراً، فلا يرهبون عدوا في سبيل دينهم، ونصرة وطنهم وأمتهم. لما عزم أصحاب رسول الله، على السير الى غزوة بدر، مرة أخرى(٢) بعد التي انتصروا فيها، ساروا على قلب رجل واحد، متجهين الى رب واحد، وهدف واحد. قائدهم رسول الله ﷺ وقلوبهم مملوءة شجاعة وعزة وإيماناً، وهم قلة. فلم يبالوا بما سمعوا من زحف عدوهم، وحشده وقوته، إنما اندفعوا مهللين مكبرين في جرأة وحماس، فتراجع عدوُهم عن قتالهم. وفي ذلك يقول الله في حقهم ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم** ﴾(٣).

---

١ — سورة الروم (٤٧).

٢ — إنما كان ذلك بعد غزوة أحد، وكان هذا يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين في أحد، كروا راجعين الى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم ندموا لم لم يتمموا على أهل المدينة، ويجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، ندب المسلمين الى الذهاب وراءهم، ليرعبهم ويريهم ان بهم قوة وجلداً، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد سوى جابر بن عبدالله، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والاثخان طاعة لله ولرسوله ﷺ. انظر تفسير ابن كثير (٤٣٠/١).

٣ — سورة آل عمران (١٧٣ — ١٧٤).

يا أمة استعبدها هواها، ولم تطع مولاها. إننا لا ندعوكم إلى الكسل، فالاسلام نفّر وحذّر منه. وقد استعاذ الرسول ﷺ منه. إنما ندعوكم إلى العودة الى الله بايمان صحيح، غير مشوب بشائبة من حطام الدنيا وأغراضها. كيف ندعوكم الى العمل، ونحن أبعد ما نكون عنه.؟ كيف ندعوكم الى الايمان، ونحن أضعف الناس إيماناً.؟ لكنني أقولها لكم صريحة، خذوا بأقوالنا، ولا تنظروا إلى أعمالنا، فالحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها التقطها[1]، ألا فليعمل العاملون. ألا فليتنافس المتنافسون. والله على نصركم لقدير ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[2].

إنه تعالى يَهبُ نصره وقوته لمن يشاء من عباده. يهبه للمخلصين الصادقين، للموقنين بيوم الدين، للمتراحمين.

واليوم، نحن الأمة الاسلامية والعربية، لجأت هذه الملايين المبعثرة الحائرة المنتشرة في طول الأرض وعرضها. نعم. لجأت الى معسكرين متطاحنين على مصالحهما الذاتية، من أجل ذلك، خذل الله هذه الأمة التي تشبهت بالاسلام، وقلدت تعاليمه تقليداً أعمى. هذه الملايين من المسلمين والعرب، ركنت الى معسكرين متفقين في الحقيقة والهدف، مختلفين ظاهراً تغريراً وتضليلاً، يا ناس. يا قوم. تالله إنهم متفقون ومتكتلون على هدف واحد، ومقصد واحد؛ ألا وهو محو كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إن المعسكرين يحضران الأسلحة الفتاكة

---

١ ــ قول لأحد الصالحين، وقال الامام علي كرم الله وجهه، خذ الحكمة أنى تأتك، فإن الكلمة منها تكون في صدر المنافق فتلجلج، حتى تسكن الى صاحبها. وقال رسول الله ﷺ كما عند ابن عدي: الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في السفر، وواحدة في الصمت، عن أبي هريرة.

٢ ــ سورة يس (٨٢).

بجميع أنواعها ، لابادة من ينطق بالضاد . بل متفقون على محو الديانات السماوية بأسرها من البسيطة . إنهما لا يريدان سعادة الأمة ولا انصافها . إنما يريدان تدميرها وزوالها . وهذه كلمة حق ، لكننا جربناكم فلم تؤمنوا بالحق . إن المعسكرين يتسابقان على تقديم العون والسلاح لفناء البشرية بأسرها . فلقد أصبحت قضيتنا اليوم في أيدي الدول الكبرى . لا في أيدي أهلها . فقد أصبحنا والله كالعبد مع سيده ، إن المعسكرين يريدان أن يشعلا نار الحرب والفتنة في الشرق الأوسط . في أرضنا ، في بلادنا ، في مواقعنا ، في استراتيجتنا ، في وطننا ، ليجعلوا منا اندلساً ثانية ، وباكستان ثانية أو ثالثة . لقد أذلوّا إخوتنا المسلمين في باكستان ، ليجعلوهم عبيداً مستعبدين ، إن المعسكرين متفقان على المد بالسلاح ليقتتل الطرفان ، ويفني الطرفان ، ويخلوَ لهما الجو الواسع الكبير . أما جعلوا في حرب باكستان مناورة ، وإظهار عضلات مفتولة ، حسب التكتيل السياسي المعروف ، والتظاهر بالاساطيل والمدرعات ، وهم ينتظرون فناء المسلمين في باكستان الشرقية ، وقد تم لهم ما أرادوا ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾[1] .

إنهم يريدون اشعال حرب لا يعلم مداها ونهايتها إلا الله ، وهناك تقع الملاحم الكبرى لا سمح الله . فأين هي العدالة .؟ وأين هي الرأفة .؟ وقلوب المعسكرين متعلقة بربيبتهم إسرائيل ، ولا يمكن التفريط فيها ، إنها جسر للمعسكرين . إنها رأس الحربة . إن المعسكرين اغتنما فرصة خلافاتنا وخصوماتنا ، وقد فرح بنا عدونا ، قل لي بربك ، فهل يعتبر إغلاق

---

١ ــ سورة ابراهيم (٤٦) .

الحدود بين الأشقاء من الدين .؟ وهل التحريض على قتل النفوس من الايمان في شيء .؟ أما يكفينا ما مر بنا ودهانا .؟ أليست أعمال قادتنا ورؤسائنا من الدول الاسلامية والعربية في خلافاتها هذه ، تنفذ مخططات استعمارية .؟ نحن نسمع بأن كثيراً من بسطاء الناس ينادون بالحرب . ويطربون لها . إنهم ينادون بالويل والخراب والدمار . نعم . والله لو كانت حربا دينية مقدسة ، وجهادا في سبيل الله ، لرغبنا فيها ودعونا إليها . وكم دعونا وحرضنا اولي الأمر ، ولكن أين هو الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمته لا في سبيل عقائدية ، ولا اشتراكية ولا شرقية ولا غربية .؟!

وبعد . فيا أيها المسلمون .

أما آن لهذه النفوس أن ترجع إلى رشدها وهداها .؟ أما آن لهذه القلوب المتباعدة أن تتقارب وتتصافى بعد فرقة وجفاء .؟ عالجوا النفوس المتخالفة بحكمة ورأفة ومودة . تسامحوا يا قوم فيما بينكم . أما آن لكم أن تستيقظوا من سُباتكم .؟ وترجعوا إلى ربكم .؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

لقد أسمعت لو ناديت حيـــا   ولكــن لا حيــاة لمن تنـادي

لقد نبهناكم إلى ما كنا منه خائفين ، فوقعتم فيه ، ولكنكم غير معتبرين (إنا لله وإنا إليه راجعون) ﴿ **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾[1] . يقول ﷺ (إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا

---

١ ــ سورة البقرة (١٠٧) .

تشركوا به شيئاً ، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم؛ قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)[1] (يعني في غير طريقه المشروع) واستغفروا الله ، والله غفور رحيم . ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

الحمد لله خلق عباده لا ليأنس بهم من وحشة ، ولا ليعتز بهم من ذِلة ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أَلْهَمَ نفوسنا رشدها وتقواها ، ونفوسا فجورها وطغواها ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه .

وبعد . أيها المسلمون .

إعلموا أن الأمة التي تعد بالملايين ، إذا كانت ترضى بالذِلة والهوان ، فلا مكان لها بين الأعزاء . وأما الأمة التي لا ترضى من عدوها أن يتحكم فيها ، وفي مقدراتها ، ويسيطر عليها ، وتشرب كأس المرارة بصبرها وصمودها ، فإنها أمة لا بد وان ينقذها الله وينصرها نصرا مؤزراً . صلوا على نبيكم تغنموا وتنصروا (اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وهب لنا قوة من عندك . اللهم قوِّ في رضاك ضعفنا ، واجمع بين كلمتنا وقادتنا وحكامنا ، يا أكرم

---

١ ـــ رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة .

الأكرمين ، اللهم انصرنا على عدونا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الظالمين ، واحفظ هذه الأمة الأسيفه من مكر الماكرين وكيد الكائدين ، يا أرحم الراحمين ، واشمل الحسين بن طلال بعنايتك ورعايتك يا رب العالمين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾(١) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة بعد المائــة :

٥ من ذي الحجة ١٣٩١ هـ
١٩٧٢/١/٢١

(الأمانة بمعناها الواسع)

أحمدك، يا من له الحمد كله، وله الفضل كله، وبيده الخير كله، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، الذي بلغ رسالة ربه، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وعلى آله وصحبه، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ﴿ **... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله، وأعز عباده بالأمانة، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، وليكون بعضهم لبعض ظهيراً، (أحمده) سبحانه وتعالى، وأشكره، وأتوب إليه، وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين عرفوا قدر الأمانة في دين الله، فأدّوها ورعَوها حقّ رعايتها، وعرفوا ذل الخيانة، فتباعدوا عنها ﴿ **... أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون** ﴾[٢] .

وبعدُ، فقد قال عَزّ من قائل ﴿ **إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقْن منها وحملها الانسان، إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾[٣] .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة البقرة (١٧٧) .
٣ ــ سورة الأحزاب (٧٢) .

أيها المسلمون في زمان لا فقه فيه ولا دين. لقد كثُر التساؤل عن موضوع الأمانة والمرادِ منها، وفي الحق لا غموض فيها ولا إشكال، فالمراد من ذكرها في القرآن، التنويه بعظم شأنها ومكانتها في الدين .

حقاً أيها المسلمون . إن الأمانة شأنها عظيم. وكيف لا تكون كذلك.؟ وقد عرضها الله على السموات والأرض والجبال، وهي أعظم مخلوقاته. كما قال ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] . نعم. لو كان فيها إدراك وعقل، لامتنعت من حمل الأمانة لعظم المسؤولية عنها. ولكن حملها الانسان المسكين الجهول بعواقب أمره. يوم يجمع الله الأولين والآخرين .

الأمانة[2] كلمة جامعة، وأمر يتعذر القيام به على كل انسان، إلا من رحم ربي . ومن هنا نعلم أن هذا الانسان هو أشقى مخلوق في هذا الوجود. حيث تحمَّلَ عبء الأمانة، ورضى بها، ومع هذا فالأمانة أصل الفضائل ورأس المزايا والشمائل. من أجل هذا فقد لقب النبي ﷺ بالأمين، وسرى ذلك في الماضي والحاضر، واشتهر بذلك بين قومه وعشيرته، ولقد لقب الرسول ﷺ قائد الجيش الاسلامي في هذه الديار، أبا عبيدة عامرَ بن الجرَّاح بأمين هذه الأمة ، فالأمانة يا أخي هي رعاية حقوق الله، وحقوق عباده ، فالأمين مَنْ يؤمن ما عليه من واجبات وحقوق لله، ولا يخون له عهداً ولا يجحد له فضلا، ولا يطمع في وديعة أؤتمن عليها، ولا في مال وكل إليه أمر حراسته، ولا يخون أحدا في عرضه وشرفه وكرامته، ولا يقتل من أمَّنه على دمه، ولا يقول إلا صدقاً وحسنا، ولا يفعل إلا جميلا، يعامل الناس بما يجب أن يعاملوه به . أجل : أمينٌ من استمسك بشرع الله الحنيف، وعمل به، يقول الرسول ﷺ (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخُن من خانك) . تالله إن الحياة لا تصفو، ولا تعمر ولا تهدأ إلا بالأمانة ، ولا يكون الخراب

---

١ ــ سورة غافر (٥٧) .

٢ ــ المقصود بالأمانة التي حملها الإنسان كما في الآية السابقة (٧٢) سورة الأحزاب ، هي كما قال الحافظ ابن كثير بعد عرضه لأقوال الصحابة والتابعين : وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي متفقة وراجعة الى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك اثيب ، وأن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله ، وظلمه ، إلا من وفق الله وبالله المستعان .

والشقاء والمحن، الا حيث تكون الخيانة. فكم منزل خلا بفقدان أهله للأمانة. وكم أسرة تبعثرت، وشقيت وفنيت، بسبب الخيانة. إذ امتلأت القلوب بالأحقاد بسبب القتل والافساد. وتبديد الأموال في المكايد والرزايا. وهكذا عند فقد الأمانة تُظلم الحياة، ويسوء المصير، ولا ريب أن الناس يسعدون في الآخرة إذا راقبوا ربهم، وينجون من عذاب أليم. قال تعالى ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[1] .

الأمانة منبع مكارم الأخلاق. أمر الله بها عباده، وصلّى بها ملائكته، وجمّل بها رسله، لقد كانت الأمانة عبئاً ثقيلاً على الأنبياء والمرسلين، ومسؤولية الزعماء والمصلحين، إنها لشرفُ الغني، وفخر الفقير، وواجب الموظف، ورأس مال التاجر، وسبب شهرة المصانع، وسرُّ نجاح العالم والعامل من الرجال، وجمال النساء إذا حافظن على أعراضهن وعفافهنّ. الأمانة مفتاح كل تقدم ونجاح، ومصدر كل نجاح وفلاح، لقائد في القيادة ومرشد في المجتمع، وعامل في الحق، أمرنا الله بأدائها في قوله ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ...** ﴾[2] .

أيها المسلم في زمن الضياع. وعدم الأمانة. الأمانة هي كلّ ما لله في طاعة وامتثال. فالطهارة أمانة في عنقك، فإذا لم تتطهر من الأرجاس والأدناس، وبقيت على جنايتك وجنابتك كنت خائناً للأمانة ﴿ **... ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[3] . والصلاة أمانة يجب عليك اداؤها، فإذا ما فرّطت فيها وأضعتها كنت خائناً للأمانة ، والزكاة أمانة في عنقك أيها الغني، أمانة يجب عليك اداؤها في وقتها، من طيّب كسبك،

---

١ ــ سورة المؤمنون (٨ ــ ٩ ــ ١٠ ــ ١١) .
٢ ــ سورة النساء (٥٨) .
٣ ــ سورة البقرة (٢٢٢) .

امتثالاً لقوله تعالى ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم** ﴾[1] فإذا لم تؤدها لمستحقيها، كنت خائناً للأمانة .

أيها المسلم :

كذلك الصيام أمانة وعهد بينك وبين ربك، فلو جحدته وتركته، خُنت الأمانة. يقول ﷺ (الصيام أمانة بين العبد وربه)[2] والحج أمانه بدنية تاليه، فإن قدرت على اداء فريضته وأهملتها، كنت خائناً للأمانة، فالذي يريد الحج يجب عليه أن يؤدي جميع ما عليه من حقوق وواجبات لله، ولعباد الله، وان يرضى خصماءه قبل ذهابه، وعلى مريد الحج أن ينظر قبل سفره للحج في المال الذي سيحج به، أهو من حرام أم من حلال، وهل جمعه من عرق جبينه وكسب يمينه.؟ أم من قوت الناس ودمائهم. انظر في أي طريق أنت تسير. هل تريد لقب الحاج سمعة ورياء، أو تريد ذلك ابتغاء مرضاة الله .

أتريد حجاً بلا صلاة.؟ أما علمت أنك إذا خرجت للحج بنية ترك الصلاة، سقطت عنك فريضة الحج لكفرك وجحودك وعدم أهليتك.؟ إن كل إنسان مطالب بالأمانة في كل نفس ولحظة، وفي كل نفس من أنفاسه ، وما من إنسان منا إلا وعمله أمانة لله في عنقه. فالشعوب أمانة في أيدي الحاكمين، والرؤساء والقادة والمصلحين ، والأوطان أمانة ، والمقدسات والأرض أمانة، والأعراض أمانة، والدين أمانة في يد العلماء العاملين، لا في أيدي المستغلين والمحتكرين والمنافقين. والشرف والكرامة أمانة في يد الشعوب

---

١ ـــ سورة المعارج (٢٤ ـــ ٢٥) .

٢ ـــ روى ابن جرير أيضاً عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ ، أنه قال : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، وقال يكفر كل شيء إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له : اد أمانتك ، فيقول أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا ثلاث مرات ، فيقول اذهبوا به الى أمه . الهاوية ، فيذهب به إلى الهاوية ، فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها ، فيجدها هنالك ـــ أي الأمانة التي ضيعها ـــ فيحملها فيضعها على عاتقه ، فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه ، فهوى في أثرها أبد الآبدين . قال والأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائع .

الضالة المستهترة، التي خرجت عن حدود الله، وعن المألوف والمعقول، فخرجت النساء عن طاعة الرجال، وصرن هُنَّ القوامات على الرجال، وخرج الأبناء عن طاعة الآباء، وتغنت النساء بالموضات والزينات، وانحلت النفوس والأخلاق انحلالا مخزيا وهداما، يسعى إليه دعاة الكفر والالحاد. فكلٌ منا فرَّط في الأمانة، والتزم الخيانة، وتعدى حدود الله ﴿... ، **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمرا** ﴾[1] . واعلموا أيها المسلمون الحاضرون بأجسامكم لا بقلوبكم، أن الديار والأوطان أمانة في يد القائمين، والحقُّ أمانة في يد المحامين، والصدق أمانة في يد الشهود، والمرضى أمانة في أيدي الأطباء، ومصالح الناس أمانة في الموظفين، والمرؤوسين أمانة في يد الرؤساء الحاكمين، والتلاميذ والطلاب أمانة في يد المعلمين والمربين، والولد أمانة في يد والده، يربيه ويعلمه ويصاحبه، ثم يتركه يعمل مع الكادحين المجدين العاملين في ميدان الحياة، والأوطان التي نحن فيها وما بقي منها، أمانة في أعناق الأمة بأسرها .

أيها التجار . أيها الفجار . أيها السائقون . أيها المستغلون . أيها المتجبرون .

إنكم أمناء على البضائع والسلع والسيارات، التي تحت أيديكم. أنتم مسؤولون أمام الله والتاريخ عن هذه الأمانة، فانظروا ماذا تعملون، وانظروا كيف تتجبرون على الضعفاء من عباد الله المؤمنين. لقد هيمن عليكم الشرَه والجشع، وسيطر عليكم الحرص والطمع، ونحن في هذه الظروف العصيبة الدقيقة المحزنة، التي قاطع فيها الأخ أخاه، والشقيق شقيقه، والولد أباه .

إن هؤلاء المتجبرين يعيشون من دماء الناس، ينغصون على الناس عيشهم، ويكدرون عليهم صفوهم. يحبون الحرب والغلاء، ولو كان فيهما الهلاك والفناء، ويكرهون الأمن والرخاء، لأنهم أصبحوا سادة أغنياء .

أيها المسلمون. يامن تحضرون بأجسامكم، لا بقلوبكم وعقولكم .

يا قومنا أجيبوا داعي الله. أما يكفينا ما نحن فيه.؟ أما يكفينا مقاطعة الدول الشقيقة المجاورة لنا والمتاخمة لحدودنا.؟ أما علمت هذه الدويلات

---

١ ــ سورة الطلاق (١) .

التي لا أمانة لها ولا دين لها. أنها خنقت اقتصادياتنا في بلدنا خنقاً كبيراً، وعطّلت علينا أعمالنا ومصالحنا .؟

ظلموا الرعية واستباحوا ظُلمهـــا
ونسُوا مصالحها وهم أُجَراؤهـــا

تجارنا اليوم، إذا أرادوا بيع سلعتهم، لا يتكلمون إلاّ بطلاق ثلاث، وأيمان مغلّظة، أو حلفوا بالأمانة، وسألتهم مرة لا تحلفوا بالأمانة، فهذا لا يجوز. لم تحلفون بالأمانة.؟ فقال أحدهم إنني أقصد أمانة العاصمة، وقال أخر أقصد الأمانة الحقيقية. يا للعار للعار وللشنار. أما علم هؤلاء وهؤلاء أن رسول الله ﷺ إن كانوا يصدقون قوله طبعاً. قال (من حلف بالأمانة فليس منا)[1] وما علموا أنه ﷺ قال (اليمين الفاجرة مُنْفِقَةٌ للسّلعة مُمحقةٌ للكسب)[2] (أي ماحيةٌ للبركة) وصدق الله العظيم ﴿ **اتخذوا أيمانهم جُنَّةً فصدُّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين** ﴾[3] .

أيها المسلمون :

إن الخيانة في الأمانات داء، وسبيل خطير، وشر مستطير. واعلموا أيها الناس ﴿ ... **أن الله لا يهدي كيد الخائنين** ﴾[4] يقول صلوات الله وسلامه عليه، (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة له، ولا زكاة له، ألا ولا عهد له)[5] أو كما قال، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون، لعلكم تفلحون، واستغفروا الله، وادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

---

١ ـــ رواه ابو داود عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً .
٢ ـــ متفق عليه من حديث ابي هريرة ولفظه عندهما : الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب .
٣ ـــ سورة المجادلة (١٦) .
٤ ـــ سورة يوسف (٥٢) .
٥ ـــ رواه الامام أحمد والمحب الطبري عن أنس بدون زيادة ولا صلاة له ولا زكاة له وإنما: لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له، ورواه الطبراني في الأوسط، عن ابن عمر: لا ايمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له ، وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد.

الحمد لله الذي من اعتصم بحبله اهتدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالأمانة وحثنا على التمسك بها، لنكون من السعداء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه .

وبعد. فيا أيها المسلمون. اتقوا ربكم. واعلموا أنكم ملاقوه، وإنه سيسألكم عن أماناتكم التي أضعتموها. كفى بالأمانة شرفاً، أن الرسل متصفون بها. كفى بها شرفاً أن يلقب صاحبُها بالأمين. وكفى بالخيانة ذماً أنها من صفات المنافقين والفاسقين، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً له وتكريما، فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ،...** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعزنا بالإسلام، واجعل الأمانة شعارنا، والصدق دثارنا، والإخلاص زينة قلوبنا. اللهم ألف بين قلوبنا وبين قلوب قادتنا وحكامنا. واجمع شملهم على كتابك وسنة رسولك، يا أحكم الحاكمين، واشمل الحسين بن طلال برعايتك وتوفيقك، يا أكرم الأكرمين .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة بعد المائة :

١٩ من ذي الحجة ١٣٩١ هـ
١٩٧٢/٢/٤

« الإعراض عن المواعظ »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على شريعتك ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١].

* * * * *

الحمد لله، ذي الفضل والكرمْ، أمرنا بالتحلي بالفضائل، والاقتداء بذوي المكارم والشيمْ ، وأشهد أن لا إله إلا الله، هدانا بدينه وشرعه إلى خير وسائل السعادة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُ الله ورسوله، فتح لنا بسنته واتباعه أبواب الخير والبر والسيادة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين تأدبوا بآداب هذا الدين ، فبلغوا ذروة العزة والمكرمة، حيث كانوا يستمعون القول، فيتبعون أحسنه .

أما بعد . فقد قال الله جل وعلا ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السُبُلَ فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون** ﴾[٢] .

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .
٢ ـــ سورة الأنعام (١٥٣) .

أيها المسلمون :

نزلت هذه الآية الكريمة على قلب رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، يقول له ربه الكريم : يا محمد قل لقومك وجماعتك، طريقتي هي طريقة دين الله الحنيف، الذي لا أميل عنه، ولا أتحوّل، هو الطريق المستقيم الذي لا عِوج فيه، هو طريقي الواضحُ البيّنُ، الذي أسلكه، فاسلكوه واتبعوه مثلي، واتركوا الطرق المشبوهة المخالفة لأوامر الله سبحانه وتعالى، فلا تسلكوها، وهي طرق البدع والضلالات، طرق الزيغ والانحرافات، والتشبه بالمبتدعين، فإنها تباعد بينكم وبين دينكم، وهو الدين القيّم والمنهاج السويّ المستقيم، ذلكم الدينُ الذي اختاره الله طريقاً للنجاة، ارتضاه الله ديناً لخير أمة أخرجت للناس .

أيها المسلمون .

في هذه الآية يحذرنا الله من اتباع المبادىء الهدامة، والمذاهب المختلفة، التي لا تلتقي مع مذاهبِ أئمتنا الأربعة، رضي الله عنهم أجمعين .

وأسفاه . لقد سلك المسلمون في زماننا هذا سبيلاً غيرَ سبيل المؤمنين . واتبعوا فريقاً غيرَ فريق المؤمنين . فبعد أن كانوا سادةً متبوعين، أصبحوا عبيداً أذلاء تابعين ﴿ **ومن يُشاقِقِ الرّسُولَ من بعد ما تبيّن له الهُدى ويتّبعْ غيرَ سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصلِه جهنّمَ، وساءت مصيرا** ﴾[1] .

يعني أن من يخالف أوامر رسول الله ﷺ من بعد ما اتضح له الحق، ويلتزم مبدأ هداماً غير شريعته . وتبعْ طريقاً غير طريق الله ورسوله، ويحكّمْ شرعاً غير شرعه، نُوجّهْهُ الوِجهة التي ارتضاها لنفسه، ولا يموت إلا عليها، ونُدْخِلْه في الآخرة ناراً، وما أقبحها مآلاً .

---

١ ــ سورة النساء (١١٥) .

نعم. لقد أعرض المسلمون عن دين الله. صاروا يتضايقون من الوعظ النافع والإرشاد السليم. يريدون وعظاً على حسب هواهم. فإن ذُكِّروا لا يذكرون، وإن وُعِظوا لا يتعظون ولا يعتبرون، وبالفسوق والعصيان ينغمسون، وإذا ذكِّروا بأعمالهم السيئة، التي نفرَّ منها الدين، حَصِرت صدُورهم، وضاقت عليهم أنفسهم، ولسانُ حالهم يقول: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم. كما قال جل وعلا ﴿ **قل أتحاجُّوننا في الله وهُو ربُّنا وربُّكم ولنا أعمالُنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون** ﴾[1].

آهٍ. لقد بلغ السيلُ الزُّبى[2]، ووصل الأمر إلى ما تعلمون. فهل بعد هذا نحضر أثناء الخطبة بعقولنا وقلوبنا وأرواحنا، أم نحضر بأشباحنا وأجسامنا.؟ وهذا خطاب عامٌّ شامل، ليس قاصراً على من هو في المساجد، إنما هو خطاب لكل سامع من وراء المذياع، متى أعرض عن تنفيذ أوامر ربه، كان أمام الله مسؤولا. ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى** ﴾[3].

يا قوم اتقوا الله فيما تقولون، اتقوا الله فيما على الله تعترضون، وأنتم في الشهوات والملذات غارقون، ولكنكم لا تشعرون بالله، لو كنا نحضرُ بقلوبنا وعقولنا ومحبتنا لديننا، واعتصامنا بكتابنا، وقد مرَّت بكم البضائع والمواعظ، لما وقعتم في الفتن والمصائب والكوارث، ولما سقطت بلادنا في أيدي عدوِّنا. وصدق الله العظيم ﴿ **بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمَّا يأتِهم تأويلُه، كذلك كذَّب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبةُ الظالمين. ومنهم مَن يؤمنُ به ومنهم من لا يؤمن به، وربُّك أعلم بالمفسدين. وإن كذبوك**

---

١ ـــ سورة البقرة (١٣٩).

٢ ـــ يقصد به قول الشاعر:

لقد بلغ السيـــل الزبـــى   وجـــاوز الحـــزام الطبيـــين
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكلي   وإلا فأدركنـــي ولما أمـــزق

وقد تمثل سيدنا عثمان عندما حوصر في الدار وارسله الى سيدنا علي كرم الله وجهه.

٣ ـــ سورة طه (١٢٤ ـــ ١٢٥ ـــ ١٢٦).

فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتمُ بريئون مما أعملَ وأنا بريءٌ مما تعملون. ومنهم مَنْ يستمعُون إليك، أفأنت تُسمِعُ الصُمَّ ولو كانوا لا يعقلون. ومنهم من ينظرُ إليكَ، أفأنتَ تهدي العُميَ ولو كانوا لا يبصرون. إنَّ الله لا يَظلِمُ الناس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسَهم يظلمون ﴾[1].

سِيقَ هذا كلّه تسليةً لنبيه ﷺ لئلا يحزنَ ولا ييأسَ من دعوته، وما عليه إلا أنْ يستمر في طريقه إلى الله، مهما كانت الظروف والنتائج والأهواء. لا نزال نحذر الناس من سوء ما يعملون، وسنمضي. وسندعوهم دائماً إن شاء الله إلى التبصر بعواقب الأمور، وسنحذرهم من الفوضى الأخلاقية العارمة، لئلا يقعوا فيها.

أيها المسلمون في زمن الشك والإلحاد. ها هي ذى خطب الخلفاء الراشدين، والصحابة، والتابعين، ماثلةٌ أمام أعيننا، وتحت سمعنا وبصرنا، لم يكن فيها مُصانعةٌ ولا مجاملةٌ، ولا تزلّفٌ ولا نفاقٌ، ليس فيها تقربٌ للخلفاء والحاكمين.

كان القرآن لا يستحي من الحق. يدعو الناس أن يسلكوا السبيل المستقيم. كان في وعظه لا ينظر إلى مكانتهم ومنازلهم. كان يَعْرِضُ إلى حال المنافقين من الناس، يقول ولا يحابي، ولا يجامل ﴿ **وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزلَ الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صُدودا** ﴾[2] وبعد أن ندّدَ بأحوالهم وصفاتهم، في آياتٍ بعد هذه الآية، قال ﴿ **أولئك الذين يعلمُ الله مافي قلوبهم فأعرِض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا** ﴾[3].

---

١ ــ سورة يونس (من الآية ٣٩ إلى الآية ٤٤).

٢ ــ سورة النساء (٦١).

٣ ــ سورة النساء (٦٣).

وإليكم نموذجاً مختصراً عما جاء في خطبة أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، جاء في كتاب نهج البلاغة، في الصفحة الرابعة بعد المائتين، ما نصُّه (ولقد أصبحت الأمَمُ تخاف ظلمُ رعاتها، وأصبحتُ أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد، فلم تنفِروا، وأسمعتكم النصائح والمواعظ، فلم تسمعوا، ودعوتكم سِراً وجهراً، فلم تستجيبوا، ونصحت لكم، فلم تنتصحوا، ولم تقبلوا) ثم قال عليٌّ كرم الله وجهه: أشهودٌ أنتم كغُياب.؟ (معنى أنكم حاضرون غائبون) وعبيدٌ كأرباب (يعني أنكم عبيدٌ لله، ولكنَّ تصرفاتكم كأنكم آلهة من دون الله) ثم قال رضي الله عنه أتلو عليكم الحِكَم فتنفِرون منها.؟! وأعِظُكم بالموعظة البالغة الحسنةِ فتتفرَّقون عنها، وأحُثكم على جهاد أعداء الإسلام، فما آتي على آخر كلامي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم. أقوِّمُكم غُدوةً، وترجعون إليَّ عشيةٍ كظهر الحيَّة، عَجَز الواعظُ والمقوِّم وأعضل المقوَّم (يعني امتنع عن قبول الموعظة) ثم قال رضي الله عنه في خطبته (أيها الشاهدةُ أبدانُهم، الغائبةُ عقولُهم، المختلفةُ أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبُكم (يعني أميركم علي بن أبي طالب) يطيع الله وأنتم تعصونه) ؟ وصاحب أهل الشام، يعصي ربَّه وهم يطيعونه ؟ ثم قال مخاطباً رعيته (يا أهل الكوفة مُنيتُ وابتليتُ بكم بثلاثٍ واثنتين) : صمٌّ ذَوُو أسماع، وبُكمٌ ذوو كلام وأطماع، وعُميٌ ذوو أبصار. لا أحرار صِدقٍ عند اللقاء، ولا إخوانَ ثقة عند البلاء. إلى غير ذلك من خطبته رضي الله عنه. وهذا كان في زمن كان فيه الإسلام حيّاً، وكان فيه دُعاة الإسلام أقوياء أحياء. أما نحن اليوم فوالله أشباهُ رجال، وأشباهُ مسلمين.

عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر واليُسر، والمنشَط والمكره، وعلى أثره علينا، وعلى

ألا نُنازِع الأمر أهلَه، وعلى أن نقول بالحق إينما كنا، لا نخافُ في الله لومةَ لائم. وفي رواية ألاّ ننازع الأمر أهلَه، قال ﷺ إلا أن تَرَوا كُفراً بَواحاً عندكم من الله فيه برهان(١).

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله، واهبِ المنن، الكريم الذي لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضرُّه معصية العاصين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي مَن تمسك به رشَدَ ونجا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ومن سار على دربه ونهجه وهُداه، وبعد. فيا أيها المسلمون. اتقوا ربكم. وتمسكوا بكتابه وسنة نبيه، إذ لا حياة لكم إلا بالرجوع إليه، ولا يصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُح بها أولها.

اتقوا الله، وصلوا على نبيه، تعظيماً له وتكريما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما** ﴾(٢).

اللهم صل على سيدنا محمد، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، وارفع بفضلك راية الحق والدين.

اللهم ارفع شأن من أعز هذا الدين، وأخذل من خذله. اللهم انصرنا نصرك الذي وعدتنا، ولا تفضحنا يا أكرم الأكرمين. اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين. واجمع شملهم على العمل بكتابك المبين، يا رب العالمين.

---

١ ــ متفق عليه عن عبادة بن الصامت.

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦).

واشمل اللهم عبدَك وابن عبدك، وابن أمتك، الحسين بن طلال بتوفيقك وهدايتك يا ربَّ العالمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة بعد المائـــة :

١٠ محرم ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٢/٢٥

(صفحة مشرقة من خطب رسول الله ﷺ ومواعظه)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك ربي، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الأئمة الكرام، مَنْ نصح الأمة قسطاً وعدلاً، وسلك بها سبيلاً ذلولا سهلا، فكانت عظاته نبراساً ونوراً وسراجاً منيراً .

اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، وحَّد قلوبنا بمعرفة شريعته، وأنار قلوبنا بموعظته وإرشاداته، وأشهد أن لا إله إلا الله، اختار نبيَّه ورسوله هادياً ومرشداً، وناصحاً كبيرا، ومبشراً ونذيرا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، صارح العالمين والناس أجمعين بكلمة الحق، أمام كبراء الدنيا، وأمام الحاكمين، لم تأخذه لومة لائم في دين أحكم الحاكمين، وكان بذلك جديراً وفياً، وعلى آله وصحبه السادة المخلصين العاملين .

أما بعد . أيها المسلمون في القرن الرابع عشر بعد الهجرة النبوية . هذه نماذجُ واضحةٌ صادرةٌ من قائليها . هذه بعضٌ من كل . هذه إحدى خطب

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

النبي ﷺ إسمعوا ما قاله صاحب الهجرة، الذي تحتفلون بهجرته وتتباعدون عن شريعته وطريقته، هذه خُطَبُه وتوجيهاته ﷺ التي كان يفوه بها أمام الجموع الغفيرة، والجيوش العديدة الكثيرة، والأكاسرة الظالمة الجبارة، لا يبالي بما وراء ذلك من بوائق ودقائق، ما دام فيها عزةُ الإسلام، ورضاءُ الخالق ، كان يُحدثهم بما هم فيه واقعون، ويخاطبهم بما به يفهمون، لا يبالي بما يترتب على قولة الحق، ما دام فيها إحقاق الحق، وإن لم يكن هناك من هو مؤيد للحق، وإن لم يكن هناك من هو راضٍ بالحق.

قال في أول خطبة خطبها، يوم قدم المدينة، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، (اما بعد) أيها الناس. فقدموا لأنفسكم. تعلمُنَّ والله ليُصْعَقَنَّ أحدُكم، ثم ليَدَعَنَّ غنمه ليس لها راعٍ، يشير بذلك إلى يوم قيام الساعة، حين يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً، ثم ليقولَنَّ له ربُّه، ليس له ترجمانٌ ولا حاجبٌ يحُجبه دونه: وهنا عَرْضٌ شامل للمسؤول أمام السائل، وهو الله أحكمُ الحاكمين. ألم يأتِك رسولٌ يُبلغكَ.؟ وآتيتك مالاً، وأفضلتُ عليك، فما قدَّمتَ لنفسك.؟ فلينظرنَّ يميناً وشِمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنَّ قدامه فلا يرى غير جهنَّم، فمن استطاع أن يتقي بوجهه من النار، ولو بشقِّ تمرةٍ فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة[1] فإنها تُجزيْ (أي تكفي) إشارةً إلى قوله ﷺ (الكلمة الطيبة صدقة)[2] الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.
وقال عليه الصلاة والسلام في غزوة أخرى، بعد حمد الله والثناء عليه، (أما بعد) فإن أشرفَ الحديث ذكر الله، أي كتابُ الله. وأحسن القصص هذا القرآنَ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هديُ الأنبياء، وأشرف الموت استشهادُ الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهُدى، وخير الأعمال ما

---

١ ـــ رواه البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم مع اختلاف في بعض الألفاظ وهو : ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة . فمن لم يجد فبكلمة طيبة .
٢ ـــ رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة مطلعه : كل سلامي بين الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع، فيه الشمس، تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة.

نفع، وشرّ العمى عمى القلب، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت (أي أن العاقل، هو الذي يطيع ربه قبل نزول الموت فيه) فهذا هو صدق الرجولة وعين الايمان، ألا وإن شرّ الندامة يومُ القيامة)[1] ثم قال ﷺ في خطبته وهو عازم على الجهاد لاعلاء كلمة الله:[2] من الناس من لا يأتي الصلاة إلا دَبرًا: أي لا يصلها إلا آخر الوقت، ومن الناس من لا يذكر ربه إلا هُجْراً (أي أن وقته يذهب سُدَىً في الكلام الباطل). ألا وإن من أعظم الخطايا، اللسان الكذوب، ألا وإن خير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، واعلموا أن خير ما وقر في القلوب، اليقين بالله. والشك في قضائه وقدره من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول والخيانة من حرِّ جهنم، وكنز الأموال ومنع المستحقين منها، كي من النار ﴿... **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم**﴾[3] واعلموا أن الشّعرَ في المدح والهجاء وسماع الغانيات والقَيْنات من فعل إبليس. والخمر جماع الاثم. وهي أم الخبائث، والنساء حبائل الشيطان. وأول فتنة وقعت في بني إسرائيل كانت من النساء. يقول ﷺ (وما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء، والشباب شعبة من الجنون. لا سيما أيام المراهقة، فراقبوهم لئلا تخسروهم. واعلموا أن شرّ المكاسب كسب الربا. والله تعالى يقول ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...**﴾[4] وشرّ المآكل مال اليتيم ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشُدَّه،...**﴾[5] ثم قال عليه الصلاة والسلام، فالسعيد من وعظ بغيره، والشقي شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع

---

١ ــ رواه البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني ، وهو حديث طويل جامع .

٢ ــ بقية الحديث نفسه .

٣ ــ سورة التوبة (٣٤) .

٤ ــ سورة البقرة (١٨٨) .

٥ ــ سورة الأنعام (١٥٢) .

أربعة أذرع، والأمر بآخره. واشار الى ذلك بقوله القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[1] وملاك العمل خواتمه. فالأعمال قد تكون سببا في حسن الخاتمة. نسأل الله حسنها يقول عليه عليه الصلاة والسلام (لن يُدخل أحداً عمَلُه الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله.؟ قال: ولا أنا. إلاّ أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسدِّدُوا وقاربوا) فاطلبوا من الله أن يلهمكم السّداد والصواب في أعمالكم، ألا وإن شرّ الرّوايا ــ أي روايات الكلام ــ رَوايا الكذب. ثم قال: وكلّ ما هو آتٍ قريب[2] يشير إلى قوله جل وعلا ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه، ...﴾[3] وذلك دليل على قرب قيام الساعة. ثم قال: وسباب المؤمن (أي شتمه وتوبيخه) فسوق. ــ أي سبب الفسوق والعصيان ــ وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه[4] وقد قالها يوم الحج الأكبر (ألا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، في عامكم هذا. ألا هل بلغت فاشهد)[5] ألا وإن من يتأول على الله يكَذّبه الله ــ أي من يحلف به غير صادق ــ يفضحه الله يوم القيامة، على رؤوس الخلائق، ومن يغفر يُغفرْ له، ومَن يعفُ يعفُ الله عنه، لقوله عليه الصلاة والسلام (من لا يرحم لا يُرحم، ومن لا يقبلْ عُذر أخيه، لا يقبل الله عذره، ومن لا يغفرْ زلة أخيه، لا يغفر الله له زلته، ومن لا يعفُ عن أخيه لا يعفو الله عنه، ومن يكظم الغيظ، يأجره الله. يقول سبحانه وتعالى[6] ﴿... **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب**

---

١ ــ أخرجه الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري، ولكن ذكر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة.

٢ ــ متفق عليه مختصراً، ورواه احمد بسند صحيح. وبقيته واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا.

٣ ــ سورة النحل (١).

٤ ــ الحديث السابق.

٥ ــ متفق عليه.

٦ ــ من الحديث السابق نفسه.

المحسنين﴾[1] وفي الخبر عن سيد البشر ﷺ (من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا[2] وورد أنه مكتوب في الأنجيل (يا ابن أدم أذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، وارض بنصرتي لك، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك) ثم قال عليه الصلاة والسلام في خطبته (ومن يصبرْ على الرزيّة (يعني البلية) يعوِّضه الله. إشارة إلى قوله تعالى ﴿...، وبشر الصابرين﴾[3] وإلى قوله ﷺ (الصبر من الايمان، بمنزلة الرأس من الجسد)[4] وقال أحد الحكماء: (بالصبر على مواقع المكاره، تدرك الحظوظ والمآرب) .

صبرٌ النفسَ عنـــد كل مُلِـــــم
إن فـــي الصبر حيلـــة المحتـــال
رُبَّما تكره النفوس مـــن الأمـــر
ما له فرجة كحـــلِّ العقـــال

يقول عليه الصلاة والسلام (كل ذنب عَسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركا، أو قتل مؤمنا متعمداً)[5] أو كما قال أقول قولي هذا، وادعوكم الى التوبة والاستغفار، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله بيَّنَ للناس سبل الاستقامة والهداية، وأزال عن بصائر من أناب إليه غشاوة الضلاله والغواية، وأشهد أن لا إله إلا الله. دعانا الى العمل بتعاليم دينه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه.

---

١ ـــ سورة آل عمران (١٣٤) .
٢ ـــ رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب ، عن ابي هريرة وهو بلفظ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأ الله عليه أمناً وإيماناً » .
٣ ـــ سورة البقرة (١٥٥) .
٤ ـــ رواه الديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك والبيهقي عن علي موقوفاً . قال الحافظ العراقي ضعيف .
٥ ـــ رواه الحاكم والنسائي والإمام أحمد عن معاوية ورواه ابو داود عن ابي الدرداء ، ورواه البزار عن عبادة ورجاله ثقاة .

وبعد. فيا أيها المسلمون. ليس الاسلام طقوسا ولا عادات، ليس الاحتفال بالاحداث التاريخية؛ كالميلاد، والاسراء برسول الله ﷺ، والهجرة النبوية، دون أن نُقرن الأقوال بالأعمال، يخلصنا من المسؤولية أمام الله. كل ذلك لا يكون كافيا ولا مرضياً لله ورسوله، ما دامت نوايانا بعيدة عن حقائق الدين، ومبادئه القويمة.

فاتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، فصلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله اكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السابعة بعد المائـــة :

٢٤ محرم ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٣/١٠

(المعاصي تقوض بناء المجتمع)

أحمدك ربي، وأشهد بواحدانيتك، واستغفرك ربي، وأتوب إليك من ذنوبي وحوبتي، مستعيذاً بك من شر نفسي، وسيئات أعمالي، ومعصيتي. مصلياً ومسلما على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، نبي الرحمة وهادي الأمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت **﴿...رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾**[١].

* * * * *

الحمد لله، أكرمنا إذ هدانا للاسلام، وشرفنا بالانتساب إلى ملة خير الأنام، الحمد لله، العليم بما في هذه الدنيا؛ من حوادث وخطوب وآثام، البصير بما حلّ بنا نحن المسلمين، من شدائد وكروب وخذلان، أشهد أن لا إله إلا هو، يقلب الليل والنهار، ويغير العالم، ويحوله من حال الى حال، فيضع أمما طغت وبغت، ويرفع أخرى جدّت وجاهدت، سبحانه يذل من اغترّ بجبروته وقواه، ونسي خالقه ومولاه، سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أدبه وكمله، وقضى برسالته على الطغاة والعصاة، الذين يستحلون حرمات هذا الدين، ويعيثون في الأرض فساداً، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين دافعوا عن دين ربهم، حتى أعزّهم الله أحكمُ الحاكمين، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨).

أما بعد ، أيها المسلمون. فقد أصبحنا في هذه الأيام، لا نرى إلا منكرا من القول وزورا، فلا نسمع الا فاحشاً ، ولا نشمُّ الا كريها ، ولا نذوق إلا مرّاً ، حُرمات للدين تنتهك علناً، بلا مبالاة ، وألسنة لا تنطق إلا بفحش القول وسقطه ، وعيون ساخرة زانية ماجنة، وأيد طامعة، ممتدة إلى ما حرم الله العليم الحكيم ، نيّات خبيثة، وعفة مقبورة، وأعراض مبذولة حقيرة ، وأذان إلى الشرِّ صاغية. وعن سماع الخير لاهية ، تسمع المنكرات، فلا تنكرها، بل تطمئن إليها، وتسمع آيات الله تُتلى فتنصرف عنها ، تسمع حديث الظالمين والهدامين، فتصغى إليهم كلَّ الاصغاء، فتسارع إلى تنفيذه، ولو كان فيه خراب معالم الدين ، تسمع كلام العلماء الأولين. ولكنهم يقولون سمعنا وعصينا، فلا تؤمن بهذا عن يقين .

نعم. نحن مقصرون معكم في دعوتنا الى الله، من قبل ومن بعد، نأمركم بالتقوى، ونحن أبعد ما نكون عنها ، نأمركم بالمعروف، ونحن أبعد الناس عنه. بل نقوله سمعة ورياء واستهلاكا، ننهاكم عن المنكر، ونحن به متلبسون، وإلى آذاننا غارقون، إذاً فكيف يُسمع لأقوالنا ونحن لا نرجع إلى ربنا من سوء أحوالنا.؟ كما قيل :

إبدأ بنفسك فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خُلق وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

أيها المسلمون .

إنكم تقولون، هذا دستورنا يتمشى مع التشريع السماوي. فأين هو تشريع الاسلام.؟ أين هي تعاليمه.؟ أين هي اثاره.؟ أم هو كلام في كلام.؟

قل لي بربك أيها المسلم. هل يُعزُّ الله امة اتخذت إلهها هواها.؟ فتركت كتاب ربها، واستبدلت بكتابها القصص والرّوايات والتمثيليات الفاتنة الماجنة والأضحوكات الهزلية . أمة تداس فيها تعاليم القرآن، ينصرها الله ويكتب لها الفوز على عدوِّها .؟ هيهات هيهات أيها المسلمون في عصر المدنية الزائفة. هل من العدالة الاجتماعية التي يتبجحون بها، أن تقام في دور السينما حفلات خبيثة، لاغراء الشباب والشابات بالفجور والعصيان .؟ نعم. إن شباب اليوم وشابات اليوم ــ والحمد لله ولا يحمد على المكروه سواه ــ على وعي تام بالنواحي الجنسية، لكثرة الاختلاط في النوادي والمجتمعات اللاأخلاقية .

وأسفاه واحسرتاه . أمة عهودها منقوضة، ووعودها مكذوبة، تقلبها الأغراض والمصالح ذات اليمين وذات الشمال. أهذه هي أمة إمامها القرآن، وقدوتها خير الأنام .؟ حرام والله حرام، أن يكون مسلمو اليوم لشهواتهم وملذاتهم عبيداً أرقاء. حرام والله حرام، أن يسيطر الأجنبي والعدو الظالم على أصحاب الحقوق الشرعية في بلد مسرى الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام. حرام والله حرام، أن يُهان دين الاسلام وتقترف المنكرات والكبائر والعلماء صامتون لا يسألون. فأين هي غيرة الاسلام والمسلمين .؟ حرام والله أن تكون نهاية قضيتنا ومقدساتنا تحت رحمة المعسكرين الظالمين. اتخذوها مطية وسلعة للمساومة، على مرأى ومسمع منا، لمصالحهم الذاتية، ونحن أصحاب الحق والايمان. وصدق الله العظيم **﴿ومن يَعشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين﴾**[1] .

يا قومنا. أجيبوا داعي الله . واعلموا أن السعادة والله في اتباع أوامر الله، والشقاوة في البعد، والتغافل عنها .

---

١ ــ سورة الزخرف (٣٦) .

لِمَ تحارب ربك يا أخي المسلم في زمانك هذا .؟ والله تعالى يقول ﴿ **إن الذين يُحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلّين . كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي، إن الله قوي عزيز**﴾ لِمَ تُغضِبُ نبيَّك بفعل ما تعافه النفوس الأبيّة، وتتألم منه الضمائر الحية ، إن الله جل وعلا أمرك بالعمل الطيب الجميل ، ونهاك عن كل أمر مرذول ، أمرك بالصون والعفاف ، ونهاك عن كل ما يُعرض الشرف للضياع والابتذال. بين لك سبحانه أن اختلاط الرجال بالنساء على أي نحو كان، فيه الخزي والعار والدمار، فيه الفضيحة في الدنيا وفي الآخرة عذاب النار، صدقت والله يا شوقي .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلا

أو كما قيل :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

هل علمت أيها المسلم ما يجري على شواطىء البحرة وضفافها .؟ ولا شواطىء هناك . لا لا ما رأيت ولا علمت . هل رأيت العرايا من الفتيات والفتيان في كل مكان.؟ هل عملت هنا حسابا عن عدد زجاجات الخمور، وعليٌّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ ومن آل بيته الطاهر، يقول: (والله لو أن نقطة من خمر وقعت في بحر، لنجسته) هناك الجماهير يصفقون للفسوق والفجور وشرب الخمور رضاً واستحساناً . وغداً يلقى كل واحد منهم مذلة وهوانا، فما هكذا يكون حال أمة إمامها القرآن، ودينها الاسلام، كيف تسمح لنفسك أن يرى الناس حريمك عاريات متهتكات، والناس ينظرون الى موضع الستر والعفاف .؟! هل يرضى بذلك إلا من ضاع دينه، وقل حياؤه .؟

١ ــ سورة المجادلة (٢٠ ــ ٢١) .

أمـــا والله مافي العيش خيـــرٌ
ولا الدنيـــا إذا ذهـــب الحيـاءُ

إذا لم تخشَ عاقبـــة الليالـــي
ولـم تستحـي فاصنع ما تشاء

هل سمعت ما قالته فاطمة الزهراء.؟ أمُّ الحسن والحسين، رضي الله عنهم، حينما سألها أبوها رسول الله ﷺ قائلاً لها (أيُّ شيءٍ يا فاطمة خيرٌ للمرأة.؟ فقالت يا رسول الله: ألاَّ ترى رجُلاً ولا يَراها رجل) فضمها صلوات الله وسلامه عليه إلى صدره، رحمةً ومحبةً وحنانا. وقال (حمداً لله ذريةً بعضُها من بعض)[١].

قل لي بربك. أين هم قدوتنا.؟ حتى نقتدي بهم، وتسير على هديهم وإرشادهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هل سمعت يا أخا الإسلام، أنَّ نبينا الكريم دخلت عليه أسماءُ بنتُ أبي بكر الصديق، وعمرُها يومئذٍ إحدى عشرة سنة، وكانت تلبس ثوباً رقيقاً لا يُشبه جزءاً واحداً من لباس سيدات اليوم وآنسات اليوم، فأعرض عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهي أخت عائشة أمِّ المؤمنين، ومحرَّمة عليه تحريماً مؤقتاً، قال لها بصراحة: يا أسماء يا ابنة الصِّديق، إن المرأة (أي الفتاة) إذا بلغت المحيضَ، لا يحل (لأحد) أن ينظر منها إلا إلى هذا وهذا (يشير إلى الوجه والكفين فقط)[٢].

---

١ — رواه ابو الفرج في كتابه النساء بخبر هذا اللفظ وهو: أن رسول الله ﷺ سأل علياً وجماعته من الصحابة عما هو خير للنساء، فلم يدروا ما يقولون، فانصرف علي إلى فاطمة، فذكر لها ذلك، فقالت: إن خير النساء اللاتي لا يرون الرجال ولا يرونهن، فأخبر علي بذلك رسول الله ﷺ فقال: أعنك هذا أم عن غيرك، فقال: بل أخبرتني به فاطمة. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وقال انما فاطمة بضعة مني.

٢ — رواه أبو داود بسند مرسل عن عائشة، وهو متقدم على نزول آية الحجاب؛ وذلك لا يعني أن عورة المرأة جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها، لأن آية الحجاب وضحت وحددت أن جميع جسد المرأة عورة، لقوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**...﴾. الآية من سورة الأحزاب (٥٩) وروى الطبراني عن ابن عمر المرأة عورة، وأنها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان. وإنها لا تكون أقرب الى الله منها في مقر بيتها. وسنده صحيح. إضافة إلى أحاديث كثيرة، تدل على أن جميع بدن الحرة عورة بلا استثناء، وللتوسع في ذلك راجع كتاب (حجابك اختي المسلمة)، لمؤلفته السيدة رغداء بكور الياقتي.

أيها المسلمون .

بعد كل كارثة تبتدعون لنا شيئاً جديداً. بعد سنة ثمان واربعين نشأت الأحزاب الهدامة، وفرقتنا. بعد كارثة واحتلال بلادنا ومقدساتنا. ابتدعتم لنا الأزياء والملابس؛ منيجوب، ومكروجوب، بعد حوادث ايلول المشؤوم. ابتدعتم لنا الخنافس والتخنث في الرجال كباراً وصغاراً، والترجل في النساء بلا استثناء، وعلى ما أظن بعد أن تحتل إسرائيل وتتوسع في بلادكم بسبب شؤم أعمالكم ــ لا سمح الله ــ سوف لا تجدون فرصة لابتداع شيء آخر. بل يكون كل واحد منكم مشغولاً بنفسه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها المسلم :

إن يوم الجمعة له فضل عظيم في الإسلام. أشاد به الكتاب والسنة، وحث الإسلام على صلاة الجمعة فيه. لكننا سمعنا بأن المسلمين المكلفين شيباً وشباناً، يخرجون في سيارات عديدة، بنحو الف سيارة بخمسة آلاف رجل للنزهة والفسحة والاستجمام. ليفرحوا على البحرة بهزيمتنا وطردنا وانكسارنا، وإخراجنا من بلدنا الغالي، وبحريتنا المسلوبة يسرحون ويمرحون ويطربون. وهم في عقاب الله مشتركون، بعد أن ساق رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً قال (واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو بعدي، وله إمام عادل أو جائر، استخفافاً بها وجحوداً بها، فلا جمع الله له شمله)[1] (والملائكة أيضاً تدعو عليه، عند تركه صلاة الجمعة، بلا عذر مشروع)[2].

---

١ ــ رواه ابن ماجه عن جابر بن عبدالله ورواه الطبراني عن ابي سعيد وقد ذكرت مطلعه في الخطبة السابعة والسبعون فضل الجمعة .

٢ ــ فقد ورد أنه إذا سافر العبد يوم الجمعة ، دعا عليه ملكاه يقولان : لا رده الله سالماً ، ولا أربح الله تجارته .

ثم قال عليه الصلاة والسلام (فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره. ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حجَّ له ألا ولا صومَ له، ألا ولا بِرَّ له، حتى يتوبَ، فمن تاب تاب الله عليه)[1] رواه ابن ماجه. أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم. فتوبوا إليه واستغفروه، يغفر لي ولكم. أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، نسأله أن يرفع عن عباده البلاء ، ونشكره في الشدة والرخاء . سبحانه من إله رحيم . أنت حسبنا ونعم الوكيل ، وأشهد أنك الواحد المنفرد بالحكم والسلطان ، مشيئتُك يا ربنا هي النافذة ، وإرادتك هي الماضية . وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، لقي الشدائد في سبيل دعوته فصبر وصابر ورابط وجاهد ، وعلى الله اعتمد ، فلم يَهُن ولم يضعفْ ، صبر صبر الكرام ، ففاز بالنصر والتأييد التام .

عباد الله . الشدائد تصهر الرجال، وتظهر الأبطال، والدنيا هذه تارة تكون رخاءً وتارة تكون بلاء. ويوم لك ويوم عليك، والعاقبة الحسنى للصابرين.

اتقوا الله عباد الله. وراقبوا ربكم. فشؤم المعاصي سبب في الهلاك والخسران. اتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، وصلوا على نبيكم تعظيماً وتكريما. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، إنه كان بالمؤمنين رحيما.

---

١ ـ هو بقية الحديث الأول واعلموا ان الله افترض عليكم الجمعة ... الحديث .

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين. وأعلِ بفضلك ورحمتك كلمة الحق والدين. وانصر الإسلام والمسلمين، كما نصرتهم بصلاح الدين، يوم كانوا مكروبين. اللهم لا تسلط علينا أحداً من الضالين الفاجرين. إنك أرحم الراحمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا .

ونسألك اللهم أن تلهم الحسين خيراً ورشداً. وتشمله بعنايتك وتوفيقك، يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة بعد المائة :

١٦ صفر ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٣/٣١

« عظات موجهة لكل مسؤول »

أحمدك ربي وأشكرك، وأتوب إليك وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك، الذي يجهر بالحق، إرضاء للحق سبحانه، وعلى آله وصحبه، ومن صار على نهجه القويم .

اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. اللهم اغفر لي ذنوبي، وإسرافي في أمري. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله، الذي هدانا لدينه القويم، وبيَّن لنا صراطه المستقيم، وأنه قرآن ناطق، وسُنة نبيه قائمة، الحمد لله يهدي إليه من أناب، ويبصِّر دينه أولي الألباب ﴿**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[٢] ﴿... **إنما يتذكر أولو الألباب**﴾[٣] أشهد أنه الإله وحده، بيده الهداية والتوفيقُ والإرشادُ إلى خير طريق، هو ربي لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب. وأشهد أن محمداً عبدالله ورسولهُ، وصفيُّه وخليله، تركنا على المحجة البيضاء، والشريعة الواضحة الغراء، التي من اعتصم بها هُدِيَ إلى طريق مستقيم، ومن اعتصم بغيرها ضلَّ سواء السبيل، فصلوات

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة ق : (٣٧) .
٣ ــ سورة الزمر (٩) .

الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين اهتدوْا بهديه ، وساروا وراء سيره . ففُتِّحت لهم سبل الخيرات، فصاروا في الأرض حكامها العادلين ، بعد أن كانوا في جزيرة العرب خاملين جامدين مجهولين .

أما بعد. فيا أيها المسلمون في زمن الطغيان والظلمات، في عهد الكُره والخلافات. إن الله قد أكمل لكم دينكم، الذي ارتضاه لكم، وأتّم عليكم نعمته، ورضي لكم الإسلام دينا. فهل قمتم بواجبات دين اختاره لكم، وهل بقرآنه اقتديتم؟ وهل بسنة رسوله تمسكتم.؟ هل تعاونتم وتحاببتم.؟ أم تخاذلتم وتفرقتم، هل جاهدتم وانتصرتم.؟ أم اثّا قلتم وتقاعستم.

أمركم أن تكونوا إخواناً متحابين، وأصدقاء متناصرين، فكنتم أشقاء متعاونين فأصبحتُم أعداءً متنافرين غير متحابين ولا متعاونين ، لا يُعينُ الأخ منكم أخاه، فيما فيه رفعة شأنِه وعلاه ، لا يُرشده إلى تقوى، ولا يحثه على سلوك الطريق الأهدى. لا يقف إلى جانبه مُنجداً مُستعدا ، ولا يهتم بأمره رحمةً به، إلا ظالماً مستبدا ، والرسول يقول: (من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[1] .

كل منكم شغله ماله وبنوه، وصاحبته وأهلوه ، شغلكم عن طاعة ربكم، التي فيها السرور المقيم ، والعِزّ الذي ليس فوقه عزٌّ، والسعادة التي ليس بعدها سعادة .

نعم شغلكم : هذا المال الحاضر، والجاه الواسع، والخيال الماكر . أمركم دينُكم وقرآنكم أن تكونوا أحراراً إلا من عبوديته ، وألا تكونوا خاضعين إلا لسلطانه وسُلطته ، يخاطبكم أهل الدنيا وأرباب الغفلة والضلال، فتسمعون ، ويُناديكم أرباب الجاه، فتُهرَعون ، ثم بعد ذلك يخاطبكم ربُّ العالمين وهو أحكم الحاكمين، وبيده خزائنُ السموات والأرضين، فلا

١ ـــ رواه الطبراني عن ابي ذر بسند ضعيف ، وهو بلفظ من لم .

تسمعون، ولا تجيبون. يدعوكم إلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة، فلا تسمعون. فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون.؟! يدعوكم الرسول الأعظم، ﷺ إلى ما فيه صلاحكم وعزكم ونصركم، فعن كلامه ونصحه تعرضون وتقولون ﴿... **قلوبنا في أكنّةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ** (أي سَمْعُنا ثقيل) **ومِنْ بيننا وبينك حِجابٌ فاعملْ إننا عاملون**﴾[1].

يا قومنا. أجيبوا داعي الله. لقد أصبح الجهل فينا ناشراً أجنحته، جَهِلْنا أمر ديننا، فتهجمنا على مقامات الأنبياء والمرسلين، الأولياء المتقين، والعلماء العاملين، دون ما رحمةٍ أو حساب. جهلنا أمر دُنيانا في الصناعة والزراعة، ولكن سبقنا الأعداء. فإلى متى هذا التكاسلُ والخِذلان.؟ استغلّ العدو خلافاتنا، فأمعن في الإيذاء والتعدّي والتحدي.

أيها الناس. أيها الحاكمون الغافلون في كل بلد عربي إسلامي. أيها الحاكمون في كل مكان من العالم العربي. أيها المتربعون على كراسي الحكم على حساب الأمة العربية الإسلامية. يامن أسكرتكم الكراسي والشهواتُ والملذاتُ، حتى نسيتم المسجد الأقصى والمقدسات.

﴿ **هكذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾[2]. يوم تقولون يوم الحساب، يوم الحسرة والندامة ﴿... **يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحدا** ﴾[3].

أيها القادة في كل مكان.

نذكركم بما أوصى به الإمام أبو يوسف، رضي الله عنه، صاحبُ الإمام أبي حنيفة النعمان، يوم أوصى أميرَ المؤمنين هارون الرشيد، الذي كان يستمع إلى مواعظ العلماء، خشيةً من حساب الله وعقابه.

---

١ ــ سورة فصلت (٥).
٢ ــ سورة الجاثية (٢٩).
٣ ــ سورة الكهف (٤٩).

أوجه هذا القول، لكل حاكم ومسؤول في دول المشرق والمغرب، بلا استثناء، إن كانوا يؤمنون. قال رضي الله عنه، بعد المقدمة (يا أمير المؤمنين. إن الله ولهُ الحمد، قد قلدّك أمراً عظيما، ثوابهُ أعظمُ الثواب، وعِقابه أشدُّ العقاب، قلدّك أمر هذه الأمة. فأصبحتَ وأمسيتَ وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاكهم الله، وأئتمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولاّك أمرهم، وليس يلبث البُنيان إذا أسس على غير التقوى، أن يأتيه الله من القواعد، فلا تضيعَنَّ ما قلّدك الله من أمر هذه الأمة والرعية. فإن القوة في العمل ــ بإذن الله ــ لا تؤخر عمل اليوم إلى غدٍ، فإنك إذا فعلت ذلك يا أمير المؤمنين أصبْتَ، إنَّ الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل، إن الرُّعاة مؤدُّون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه، فأقِمِ الحقَ فيما ولاك الله وقلدك، ولو ساعةً من نهار. فإنَّ أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة، راعٍ سَعدت به رعيته، ولا تُزغ فيزيغَ رعيتك، وإياك والأمرَ بالهوى، والأخذَ بالغضب، وإذا نظرت إلى أمرين، أحدهما للآخرة، والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا. فإن الآخرة تبقى، والدنيا تفنى، وكن من خشية الله يا أمير المؤمنين على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله، سواءٌ القريبَ والبعيد، ولا تخفْ في الله لومة لائم، واحذر، فإن الحذر بالقلب لا باللسان، واتق الله، فإنما التقوى بالتوقّيّ. ومن يتق الله يقيه، فهناك الموقف الأعظم، الذي تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحُجج لِعزة مَلِكٍ قهرهم جبروتُه. والخلق له داخرون بين يديه، ينتظرون قضاءَه، ويخافون عقابَه، فكفى بالحسرة والندامة، يومئذٍ في ذلك الموقف الرهيب، لِمَنْ عَلِم ولم يعمل.

يومٌ تزل فيه الأقدام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب ﴿...، **وإن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدُّون**﴾[1] كما قال تعالى ﴿ **هذا يومُ الفصلِ، جمعناكم والأولين** ﴾[2].

---

١ ــ سورة الحج (٤٧).

٢ ــ سورة المرسلات (٣٨).

فيا لها من ندامة لا تنفع ، إنما هو اختلاف الليل والنهار ، يُبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ، ويجزي الله كلَّ نفس بما كسبت . إن الله سريع الحساب . فالله الله (أي اتقوا الله) فإن البقاء قليل ، والخطبَ خطير ، والدنيا هالكةٌ وهالكٌ من فيها . والآخرةُ هي دار القرار .

ثم قال رضي الله عنه ، واعلم يا أمير المؤمنين ، أنه لن تزلَّ غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى ، إلا من بعد المسألة . فقد قال ﷺ (لا تزلُّ قدما عبدٍ يوم القيامة ، حتى يُسأل عن أربع : عن علمه ما عمل فيه ، وعن عمره فيم أفناه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه .؟ وفيمَ أنفقه .؟ وعن جسده فيم أبلاه .؟)[1] .

إلى أن قال (فلا تنس القيامَ بأمرِ مَن ولاّك الله أمرَه ، فلست تنسى ، ولا تغفلُ عنهم ، وعما يُصلحهم ، واجعل لسانك رطباً بذكر الله ، تسبيحاً وتهليلا وتحميداً وصلاةً على رسوله ، نبي الرحمة وإمام الهدى ، فإن الله بمنّه ورحمته وعفوِه ، جعَلَ ولاةَ الأمر خُلفاءَه في أرضه ، وجعل لهم نوراً يُضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور ، فيما بينهم ويبيِّن لهم ما اشتبه من الحقوق عليهم ، بإقامة الحدود ورد الحقوق إلى أهلها ، بالتثبت والأمر البين ، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون ، أعظم موقعاً . فإن إحياءها من الخير الذي يحيى ولا يموت ، فليس شيءٌ أحبَّ إلى الله من الإصلاح) .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، وادعوه ، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله على نعمه وآلائه ، وأشهد أنك المنعم على خلقه بصفوة رسله وأنبيائه . اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه .

---

١ ـــ رواه مسلم عن ابي برزة الأسلمي بتقديم بعض الألفاظ ، وهو كما يلي : لا تزول قدماً عن يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ـــ وعن عمله ما عمل فيه ، وعن ماله من اين اكتسبه ؟ وفيم انفقه .

عباد الله . اتقوا الله. وتمسكوا بدينكم، ولا تخدعنكم الأهواء، واستعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين .

اتقوا الله. وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم. فإنه قال (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله ، وسنة رسوله) وصلوا عليه تعظيماً له وتكريما ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. اللهم انصرنا فإنك خير الناصرين، وثبتنا على الحق المبين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وألف بين قلوب القادة والحاكمين، وألف بين قلوبنا وكلمتنا اجمعين، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، يا رب العالمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بفضلك وتوفيقك الحسين بن طلال، وألهمه فعل الخير والصواب يا أكرم الأكرمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

﴿**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون**﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة بعد المائـــة :

٨ ربيع الأول ١٣٩٢ هـ

١٩٧٢/٤/٢١

« ليس لنا إلا الصدق والصبر والأسوة الحسنة بصاحب الميلاد ﷺ »

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على رسولك ، الذي أرسلته رحمة للعالمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، رب اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، عمده وخطأه ، سره وعلانيته ، ما علمت منه ، ومالم أعلم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأنه كله ، اللهم اغفر لي ذنبي ، واذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، أنار الوجود بطلعة خير البرية ، صلوات الله وسلامه عليه وبكرة وعشياً . الحمد لله ، الذي نشر السعادة والأمان والاطمئنان برسالته المحمدية ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أنزل على رسوله الكتاب والحكمة ، ودعاه إلى الصبر ، والتأني والابتعاد عن كل فتنة ، أرسله ربُه هدىً ورحمة للعالمين . ﴿ **وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٢] .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

٢ ـــ سورة سبأ (٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله. صفوةَ الأولين والآخرين المبعوثُ رحمةً للعالمين ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، المثلِ الكاملِ لجميع المناقب والفضائل، وعلى آله وصحبه، الذين اتبعوا سنته وتأدبوا بآدابه ، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب .

أما بعد. أيها المسلمون . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً. ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله، وكفى بالله وكيلا** ﴾[1] .

أيها المسلم :

في هذا الخطاب الإلهي الواضح، أوصافٌ رفيعةٌ عالية، لنبينا محمدٍ ﷺ وفي ذلك بشائرُ ميلادِه، وبشائر ظهوره ، أجل. في هذه الآية إيذانٌ وبيانٌ للناس، بتفضُّلِ الله وعظيمِ مِنته، على هذه الأمة، بظهور نبيٍّ ليس له في الأنبياء والمرسلين نظيرٌ، ولا مثيل ، فيها توجيهٌ للنفوس المؤمنة الواعية، لتهتم باتباع هذا الرسول العظيم ﷺ فمن اتبعه وسار على طريقه، أحبَّه الله وأعلى قدره، وأعزه ونصره على عدوه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحبِبْكُمُ الله ويغفرْ لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم** ﴾[2] .

فهو ﷺ بكتاب الله الذي بلَّغه، هُدَىً ونورٌ يهدي به من يشاء ، وبسنته الهادية الواقية، شاهدٌ بتوحيد الله. شاهدٌ بحُسن السَّير والسلوك، لمن صبَّرَ صبرَه، وسلك سبيله ، شاهدٌ على متبعي الغيِّ والضلال في هذه الحياة، المستحقين لعقاب الله، عاجلاً وآجلاً، بما فعلوه وما أوقعوه في أممهم وشعوبهم، وما زالوا يفعلون .

---

١ ـــ سورة الأحزاب (من الآية ٤٥ إلى الآية ٤٨) .

٢ ـــ سورة آل عمران (٣١) .

أيها المسلمون في زمن الحيرة والانقطاع. إن رسولكم صاحبَ ذكرى الميلاد، سيؤدي هذه الشهادة على ما يفعله حكام الأرض جميعاً في هذه الأمة، التي تولَّوْا زمام أمرها في كل بلد، وفي كل مكان وزمان، إنهم ولاة وقادة، لا يخشوْن الله ولا يتقونه، ولا أنفسهم ولا شعوبهم يرحمون. ومن لا يرحم، لا يستحق رحمةً من خالق الخلق أجمعين، سيشهد على أعمالهم صاحب الميلاد، عليه الصلاة والسلام ﴿ **فكيف إذا جئنا من كلِّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا وعَصَوُا الرسول لو تُسَوَّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثا** ﴾[1].

كيف يكون حالكم أيها الناس يوم القيامة، إذا اشتد الموقف، وحَمِي الوطيس، وفار التنوُّر، ودنت الشمس من رؤوس الخلائق، وتصاعدت الأنفاس، وانقطعت الوسائط، وارتفعت الأقدام، حتى صارت مائة ألف قدم فوق قدم واحدة .؟ في ذلك اليوم، يتمنى كلّ من فرَّط في جنب الله، أن تغور به الأرض، تُسَوَّى به الأرض، فيدفن فيها لشدة ما يَرى من العقاب، حتى يتهرأ لحمه عن عظمه ﴿ **لكل امرِيءٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه** ﴾[2]. قولوا بربكم إذا كانت الذكرى تنفعكم ولا تهزكم، فماذا أنتم فاعلون .؟.

كيف يكون الحال غداً في القيامة، إن كنتم بها تؤمنون ؟ إن الأبرياء من الخطايا والبلايا والذنوب، يخافون مثل هذه الوقفة بين يدي ربهم. فما بالكم فيمن انغمست أيديهم في اليمِّ، وأنتم عنه غافلون ؟ قل يا محمدنا يا من أنت بأعيننا، كيف بهؤلاء إذا جئنا بك شاهداً على فساد عقائدهم، وقبح أعمالهم، وابتعادهم عن شرعك وشريعتك .؟ .

---

١ ــ سورة النساء (٤١ ــ ٤٢).

٢ ــ سورة عبس (٣٧).

مولاي الرسول الكريم .

تالله لو كنت فينا اليوم رسولا لأنكرتنا، ولما تعرّفت على أحد منا. نتصنعُ بالأقوال، ولا نقتدي ولا نهتم بالأفعال. فأين هي قدوتنا بك يا صاحب الميلاد .؟ أين أنتم من صاحب الميلاد.؟ وأين صاحب الميلاد منكم ؟ كيف بكم أيها المسؤولون في كل بلد اسلامي عربي، إذا وقفتم بين يدي أحكم الحاكمين، جبار السموات والأرضين . هل من سبيل إلى نكران ما فعلتموه بأمتكم.؟ هذه الأمة المسكينة، التي تصطلي بنار الخلافات والانقسامات، ولا يدفع ثمنها الا هذه الشعوب المضللة، التي لا تعرف الصحيح من الفاسد. ولا تعرف الغث من السمين. تسير وراء كل ناعق ، إنكم إذا وقفتم أمام الله وهو يسألكم عما اقترفتموه. هل تستطيعون أن تنكروه أو تتجاهلوه .؟ سينطق الله جوارح الانسان، شاهدة على أقواله وأعماله وأفعاله. كما قال تعالى ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يُوفّيهمُ الله دِينهمُ الحقّ ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾[1] .

أيها المسلمون: إين من يرحمكم.؟ أين من يفكر فيكم ؟ كان ميلاد رسول الله ﷺ في مثل هذا الشهر، وما كان ظهوره الى العالم الا رحمة للناس، ونعمة سابغة عليهم يا صاحب الميلاد، ويا صاحب الأسوة الحسنة نشهدك على الصبر الجميل. فالصابرون على ما يعملون ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[2].

إنها والله تسلية للنبي، صلى الله عليه وسلم، وبشرى للمؤمنين أجمعين. ليكونوا صابرين ثابتين، متحابين متوادين. إن عدوكم أيها الناس يترقب أخباركم. إنه ينتظر ثغرات الخلافات، التي يمكنه أن يتسلل منها، إن من

---

١ ــ سورة النور (٢٤ ــ ٢٥) .
٢ ــ سورة الأحزاب (٢١) .

يقولون إنهم معكم وبجانبكم، ليسوا معكم، كما قال تعالى ﴿ **يسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا** ﴾[1] لكم أيها الناس قدوة حسنة في رسولكم، من الثبات في الحرب، والصبر على معاناة الشدائد، على الحصار والمحاصرة، وقطع العلاقات. ذلك كله لمن كان يرجو ثواب الله والفوز في اليوم الآخر. إنه سبحانه قَرَنَ رجاءه هذا بكثرة ذكر الله تعالى، والتفقهِ في دينه، قبل ذكره والالتجاءِ إليه سبحانه، حتى يجعل لكم من أمركم رشدا، وحتى يجعل لكم من كُلِّ ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجا، فارجعوا إلى الله بقلب مفعم بالإخلاص.

مولود هذا الشهر أيها المسلمون. هو المولود الموصوف بتلك الصفات الباهرات، التي وردت في الآيات البينات ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] إنه خير والد لهذه الأمة، وخير مولود يسعد به الوجود، بعثه الله للإيمان منادياً، وإلى الصراط المستقيم هادياً، وإلى الجنة والفردوس داعيا.

نعم. جاء بالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وفي مرضاة ربه ساعيا. إنه إمام أهل الكمال، الذي به أيقظ الله الضمائر وأنار البصائر، وطهرَّ من الأحقاد والأضغان السرائر، أزال من النفوس الكراهية والبغضاء، عَمرّ القلوب بالمحبة والصفاء، ونشر في الناس مبادىء العدالة والحرية والمساواة والإخاء، فصار الناس بنعمة الرخاء أعواناً، وصارت الأمة والقادة والشعوب بنعمة الله قادةً إخوانا.

أما نحن اليوم، وفي القرن الرابع عشر بعد الميلاد والهجرة، أصبحنا لا نعرف محمداً، ولا ميلاده لا ولا هجرته ولا هديه، ولا نتعظ، ولا نأخذ دروساً من سيرته، فأرضينا العدو المريب، وأغضبنا الإله السميعَ المجيب.

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٢٠).

٢ ـــ سورة القلم (٤).

أيها المسلمون :

إننا إذ نحتفل في هذا الشهر الكريم. في اليوم الثاني عَشَر من ربيع الأول . إنما نحتفل باعمال صاحب الميلاد ﷺ. نحتفل بأقواله وإرشاداته. أتى بالمبادىء القويمة، والتعاليم السليمة، التي بها سمت الانسانية، وسعدت البرية، وليكن احتفالنا بتلاوة الكتاب الذي جاء به وتدبُّره وتدارسه، والعمل بأحكامه. وليكن احتفالنا بقدوته والسير على شريعته. فليس من وفاء حقه اقامة احتفالات، تُسفر عن مجرد روايات، وخطب وكلمات . والحقد على حاله، والمكر على حاله، والخبث على حاله. لم تؤثر هذه الذكرى البليغة، على شيء من مجرى حياة هذه الأمة. إذا أي معنى لهذا الاحتفال بمولد سيد العالمين .؟ ولكن ماذا نقول. فقد طلب السابقون الأولون من الله أن يمنحهم رحمته، ويصرف عنهم عذابه. فأخبرهم بقوله في محكم كتابه ﴿ ...، **ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل** (إلى أن قال سبحانه) ﴿ **فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ (ثلاث من كنّ فيه، وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء، لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذا أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار)[2] . أو كما قال :

استغفروا الله، يغفر لكم، وسلوه يعطكم. إنه هو الغفور الرحيم ، ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

---

١ ــ سورة الأعراف (١٥٦ ــ ١٥٧) .

٢ ــ متفق عليه .

الحمد لله، أحمده حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله لا رب غيره، ولا معبود سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون .

وبعد. فيا أيها المسلمون . ارجعوا إلى ربكم. إلى كتاب ربكم. إلى هدي نبيكم. إرجعوا إلى صوابكم، واستمسكوا بشريعة نبيكم، لتنالوا العزة والنصر والتوفيق.

عبادالله ، اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، وصلوا على نبيه ومصطفاه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر لنا ذنوبنا. وإسرافنا في أمرنا، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، وردنا إلى دينك القويم، رداً جميلاً . واشمل الحسين بن طلال بعنايتك وتوفيقك يا رب العالمين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾(١) .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة العاشرة بعد المائــة :

٢١ ربيع الأول ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٥/٥

« الجدل واللدد يمنعان من العمل »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على نبيك ورسولك وحبيبك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، أمرنا بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ودعانا إلى الصبر والتحمل في سبيل دعوته، وأشهد أن لا إله إلا الله العليُّ القديرُ، سبحانه من إله عليم حكيم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، تحمّل وصبر وصابر في سبيل دعوته. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وعشيرته .

أما بعد . فقد قال الله عز وجل ﴿ **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة النحل (١٢٥) .

أيها المسلمون .

آيةٌ صادقة ناطقة من كتاب الله، المصدرِ الأولِ في التشريع[1]، يبين الله فيها لنبيه عليه الصلاة والسلام، آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يرشده إلى أفضل الطرق وأصوبها، يدعوه إلى اتباع أقوم الأساليب في الدعوة إلى الدين ، ويأمره بمراعاة الحكمة ، وقويم الموعظة الحسنة، دون أن يُثير محاورةً أو مكابرةً، حتىّ كان الحق أبلج والباطل لجلج ، دون إثارة الفوضى والاختلاف، دون أن يحدث شغباً أو لغَبا ، دون أن يُحدث جدلاً أو مراء، لقوله تعالى ﴿ ... ، **فلا تمارِ فيهم إلا مِراءً ظاهراً ولا تستفتِ فيهم منهم أحدا** ﴾[2] . دون أن يوجد منفراً. ذلك لأن الجدل في أغلب الأحيان، لا يأتي إلاّ بشرٍ ، لا سيما إذا كان ناشئاً عن سوء نية وقصد ، وكان الباعثُ عليه حبّ الظهور والرياء، والتصنع باليدين أمام الآخرين، فإنّه والحالةُ هذه، يكون مبعثاً للخصومة والشقاق ، وسبباً للعداوة والبغضاء ، ومثاراً للضغائن والفتن ، ومحكاً للخلاف والنزاع ، إلى غير ذلك من النتائج الوخيمة السيئة، التي تعود على الأمة بالتشيُّع والتحزب، والتفرق والانقسام ، والخيبة والفشل، والهزيمة والخِذلان .

أيها المجادلون في آيات الله وأحاديث رسول الله. اقرأوا إن شئتم، هذه الآية البيِّنة الواضحة ﴿ **ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للناس من كل مَثَل، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا** ﴾[3] .

أيها المسلمُ الحاضرُ سمعهُ الغائبُ قلبُه. إغتنم ما جاء في كتاب ربك من آيات وعبر وأحكام، ووعدٍ ووعيد ونظام . لا تسأم من كتاب ربك. فإنه دستورنا الأعلى، ومرجعنا الأول، فقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ في

---

١ ـــ لأن التشريع الاسلامي له مصادر أربعة أولها كتاب الله ، وثانيها السنة النبوية الصحيحة ، وثالثها الاجماع ورابعها القياس .

٢ ـــ سورة الكهف (٢٢) .

٣ ـــ سورة الكهف (٥٤) .

علامات الساعة، عن رفع القرآن من الصدور والسطور، متى أعرض المسلمون عنه ظلماً وجُوراً، متى كان هذا القرآن بينهم مهجوراً ، لا يتدبرون آياته، ولا يستفيدون من عظاته، عند ذلك تطلعُ الشمس من مغربها، ويُغلَقُ باب التوبة ولا استغفار، ولا انتظار. فعند ذلك يقع الندم، وتزل القدم ﴿ ... ، **يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربك لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً، قُلِ انتظروا إنَّا منتظرون** ﴾[1].

يا أمة الإسلام . لا تختلفوا ، يا أمة الإسلام لا تنازعوا، يا أمة الإسلام لا تختصموا ، يا أمة الإسلام لا تلاعنوا، يا أمة الإسلام لا تستخفوا بالنصائح، فإذا أهملتموها فسوف تكون عليكم فضائح. وأي فضيحة أكبرُ من فضيحة يوم المعاد ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه، سبحانه وتعالى عما يشركون. يُنزِّل الملائكة بالرُوْح من أمره على من يشاء من عباده أنْ أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾[2] .

أيها الناس في زمن الغيبة والنميمة والنفاق. هذا هو كتاب ربكم يناديكم، ويخاطبكم خطاباً عاماً شاملاً ﴿ ... **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم، واصبروا، إن الله مع الصابرين** ﴾[3] .

هذا رسولنا وحبيبنا، سيدنا وسيدُ الأولين والآخرين، محمدُ بن عبدالله يقول: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم)[4] ومتى اختلفت القلوبُ، ومُلئت بالأحقاد والعيوب، هان على عدونا استلابُنا، وكسرُ شوكتنا .

---

١ ــ سورة الأنعام (١٥٨) .
وجميع المفسرين أجمعوا على أن الآية الكبرى تلك هي طلوع الشمس من مغربها ، عندها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، او كسبت في ايمانها خيراً .

٢ ــ سورة النحل (١ ــ ٢) .

٣ ــ سورة الأنفال (٤٦) .

٤ ــ رواه ابن خزيمة في صحيحه ، عن البراء بن عازب ، واوله قال : كان رسول الله ﷺ يأتي الصف من ناحية إلى ناحية ، فيمسح مناكبنا أو صدورنا ، ويقول : لا تختلفوا فتختلف قلوبكم .

إن الله لم يرتض الجدل، حتى من أحد رسله، فقال له[1] ﴿ ... يا نوح **قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** ﴾[2] إن الجدل يا قادة ويا سادة، آفة فتاكة وداء، وسبيل يأكل المودة، ويُفسد الصداقة، ويُكدر العيش، ويضعف الحِلم، ويُذهِبُ بالعفاف والتقدير، ويحيي الباطل، ويميت الحق .

مَثَلُنا اليوم، كمثل من يُحاسب ويخاصم على تمرة، وهو مطرود من وطنه إلى أرض الهجرة . وهناك الجدل في المسائل الفقهية الفرعية، فحدِّث عنه ولا حرج، شيء تَعِبَ به الأولون، وهيأهُ الأئمة المجتهدون وبناه السلف المصلحون . ونحن اليوم نقوم على هدمه، وتشكيك الناس في أساسه، والعدوُّ واقف لنا بالمرصاد .

قل لي بربك أيها المسلم . هل قسَّم الأمةَ إلى شيعٍ وأحزاب، وفرقٍ وطوائف ومذاهب، إلا الجدلُ البغيض.؟ وعامة الناس من الجهل لا يفرقون بين البصل والتين، ولا بين العقيق والياقوت، إن هؤلاء المجادلين كلُّ مالديهم إنما هو معلوماتٌ مشوشة من هنا وهناك، وعباراتٌ ملفقة يحتسبُها البسطاء من الناس علماً خالصاً وأدباً صُراحا، هذا حكم خاطىء وضلال مبين، فما كلُّ بيضاءَ فضةٌ، ولا كلُّ صفراء ذهب .

فكيف يصحُّ في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليلِ.؟!

أيها المسلمون .

لا يطلب منا اليوم، إلا أن نركز في الناس الأصول والعقيدة . وهذه هي وظيفة العلماء، فالعاميُّ مسكين لا يُقدِّر المشاكل والمسائل، ولا يعرف وجه الصواب فيها .

---

١ ـ الظاهر أن الشيخ محمد عادل رحمه الله، قد كتب هذا الكلام سهواً . لأن الآية ليست خطاباً من الله سبحانه وتعالى لنوح عليه الصلاة والسلام، وإنما كانت خبراً عن كلام قوم نوح له، فقال تعالى مخبراً عن قومه : ﴿ **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعِدُنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاءَ وما أنتم بمُعجزين** ﴾ .

٢ ـ سورة هود (٣٢ ـ ٣٣) .

أيها المسلمون .

إذا كان الإسلام من واجبه الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر ، فيجب أن يكون ذلك لأهله من ذوي العلم ، الذين يخشون الله ويخافونه ، ويعملون بما يعلمون .

وإذا كان لا بد ناصحاً آخر جاهلاً ، فليكن حكيماً في نصحه ، فلا يُسرف في القول ، ولا يلجأ إلى السَفَهِ والتقريع .

هذا إمامنا الشافعي ، رضي الله عنه يقول :

تعهدني بنصحك في انفراد   وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع   من التوبيخ لا أرضى استماعه

نعم . علينا أن نرشد الناس ، ولكن في رحمة ولين ، ومحبة ويقين ، فإن الجدل لا يزيد المجادل إلا ضلالا ، ولا تزيد القسوة في التوجيه إلا شدةً وخبالا .

تجنبوا الجدل أيها الناسُ في كل حال . تجنبوا المراء . فإنه أعظم داء عُضال ، تدبروا قول الله ، السميع البصير ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سُلطان أتاهم إنْ في صدورِهم إلا كِبْرٌ ماهمْ ببالغيه ، فاستعذْ بالله ، إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

قال ﷺ (أنا زعيم (أي كفيل) بيتٍ في رَبَضَ الجنة ، لمن ترك الجدل ، ولو كان مُحِقاً)[2] .

---

١ ــ سورة غافر (٥٦) .

٢ ــ رواه الطبراني عن معاذ بن جبل بلفظ : أنا زعيم ببيت في ربض الجنة ، وببيت في وسط الجنة ، وببيت في أعلى الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وترك الكذب وإن كان مازحاً ، وحسن خلقه . ورواه ايضاً عن ابن عمر : انا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وهو مازح ، وببيت في اعلى الجنة لمن حسنت سريرته .

أيها المسلمون في زمن التفكك والانحلال والجدال . إن النهي الوارد في الجدل في الأمور الباطلة، وتأييد العقائد الزائفة المخالفة للصريح من أقوال جمهور العلماء، حتى يُضِلوا عامةَ الناس، ويشوشوا عليهم، ما سمعوه وما قبلوه عن العلماء الأقدمين، الذين برّزوا في العلم والمعرفة والتأليف وصفاء النفوس. وكذلك يدخل في الذم من يخاصم في الحق، ويتجاوز في الخصومة قدر الحاجة، ولا يعرف قدر نفسه، فيسُبّ ويكذبُ لإيذاء خصمه، أو مَن يخاصمه عناداً، ليظهر ويرائي أمام الناس. واسمع ما جاء في ذلك ﴿**ولا تجادلْ عن الذين يختانون أنفسهم، إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيما**﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام (من تعلّم العلم، ليجادلَ به العلماء، أو ليماريَ به السفهاء، كان زادَه إلى النار)[2] استغفروا ربكم يغفر لنا ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، دعانا إلى العمل وحذرنا من التجاوز والتهاون والجدل، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه .

وبعد. فيا أيها المسلمون. اتقوا ربكم وراقبوه. واعلموا أن الخصومة والجدل يقضيان على صحيح العمل، بل على المروءة والأخلاق. فقد ورد بأن الله إذا أراد بقوم سوءاً منعهم العمل، وسلط عليهم فيما بينهم الجدل. إذاً فلنتجه إلى الله، ولنتجه إلى قضايا الساعة التي نحن فيها .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

---

١ ــ سورة النساء (١٠٧) .

٢ ــ رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي بلفظه : من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس ، أدخله الله جهنم ، وبلفظ : من تعلم العلم ليجاري به العلماء او ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار . وصح بسند فيه انقطاع : من تعلم العلم لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار .

ولنخلِصْ في أعمالنا، ولنترك الجدل والمجادلين، فالدين واضح لا يحتاج إلى مجددين، ولكن مضى علينا أربعة عشر قرناً، ونحن لحقيقة هذا الدين قد أصبحنا مشوّهين. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلنتمسّك بكتاب الله وسيرة نبيه العظيم، فقد قال عليه الصلاة والسلام (من تعلّم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة)[1] أي رائحتها. واعلموا أنه تعالى صلى على رسوله، تعظيماً له وتكريماً، فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، يا أرحم الراحمين. اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وأصلح فساد قلوبنا؛ أفراداً وجماعات وحكاماً وقادة وشعوباً، وألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا، وانصرنا على عدونا. اللهم لا تجعلنا ممن يجادل في دينك بغير حق، ولا تجعلنا ممن يجادل فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

واشمل الحسين بن طلال بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، يا رب العالمين .
واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ رواه ابو داود باسناد صحيح عن ابي هريرة وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، على شرط الشيخين .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية عشرة بعد المائة :

٦ ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٥/١٩

« لمن التمكين في الأرض » ؟

أحمدك ربي، وأشكرك على مزيد آلائك ونعمك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً. وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اغفر لي ذنوبي، وإسرافي في أمري . اللهم رحمتك أرجو. فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضلات الفتن) ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، جعل الحياة والسعادة لمن كافح ونافح، وعمل عملاً صالحاً ، وجعل الدار الآخرة، لمن أخلص في طاعة ربه وإليه أناب. سبحانه عزَّ من قائل ﴿ **إن الله مع الذين آتقوا والذين هم محسنون** ﴾[2] .

أشهد أن لا إله إلا الله، جعلكم أمـــةً وسطا، لتكونوا شهـــداء علــى الناس، ويكـــونَ الرسول عليكـــم شهيدا، وأشهد أن سيـــدنا محمداً عبدالله ورسوله، الذي رفـع الله به شأن الأمين إلـى أعلى عليين،

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة النحل (١٢٨) .

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمُهُمُ الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين ﴾[1].

صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين رفعوا أصواتهم لحماية الحق وأهله، وشرَوْا أنفسهم (أي باعوها في سبيل الله) فاستخلفهم الله في الأرض. أي جعلهم خلفاءَ وقادةً وأئمةً، ومكنَّ لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، بالصدق والإخلاص .

أما بعد . فقد قال سبحانه وتعالى **﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ... ﴾**[2] .

أيها المسلمون .

حاشا لله، أن يكون الله قد عنى بهؤلاء، من يرتكب المنكرات والمعاصي، وينغمس في الموبقات من المسلمين .

تعلمون أيها المسلمون، ما كان لأسلافنا الأولين من الصحابة والتابعين من العزة والرفعة، ونفاذِ الكلمة والسيادةِ في الأرض، ما كان لهم من الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة، والقلوبِ النقية الصافية، والمعاملات الحسنة. ما كان ذلك إلا أثراً من آثار الإسلام وهديه في نفوسهم، وتمكنه من قلوبهم . نعم. بسبب نظرهم إلى كتاب الله بعينٍ ملؤها الإجلال والإعظام، وإلى السنة بالاتباع والاحترام. إذاً ما كان الله ليخذُل قوماً قد نصروا دينه، وأيدوا شريعته، وولَّوْا وجوههم شطْره ﴿ ... ، **وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾[3] .

---

١ ــ سورة الجمعة (٢) .

٢ ــ سورة النور (٥٥) .

٣ ــ سورة البقرة (١٤٣) .

معشر المسلمين .

أيليق بنا أن ننتسب إلى دين ارتضاه لنا ربُّ السموات والأرض، ونحن أبعدُ الناس عن العمل به، والتأدب بآدابه .؟ أيليق بنا أن نقول إننا المسلمون بالحصر، ونحن العاصون .؟

أيليق بنا أن نقول إننا للإسلام محبون، ونحن نطعن في القرآن وآياته وأحكامه .؟ أيليق أن نطعن في الرسول ومعجزاته، والوليِّ وكراماته.؟ هاهي ذى أعمالنا شاهدة علينا، بأننا بدين الله متلبسون، وله كارهون .

أيها الناس .

فما بال القلوب تغيَّرت.؟ وما بال الأخلاقِ تبدَّلت.؟ ما بال الشريعة تحطمت وتهدمت.؟ يتكلم فيها من ليس للعلم أهلاً.! وكفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يُحسنه ، ويتطفل على موائده، من لا يعلمه، ما بالنا يا قوم نخشى الناسَ ولا نخشى رب الناس، والله أحق أن نخشاه .

أيها المسلم .

ألم تَعِظْكَ الأيام .؟ ألم تعتبر بما جرى، وما وقع، وما كان .؟ ذِلةٌ بعد عزة ، ونفاق بعد إخلاص ، ومُجونٌ بعد صلاح وإيمان . وضيقٌ والله في الأرض بعد سعة ، استعمار أجنبي ذاتي في كل بلد من بلاد الإسلام، واستعمار عربيٌّ أخوي بإغلاق حدوده علينا، كأننا نحن المعتدون والمحتلون.! كأننا المعادون والمجرمون .! كأننا نحن الأعداء المقصودون.! كأننا نحن الذين اعتدينا على الأرض والمقدسات .!

إذاً نعود فنقول في تفسير الآية، حاشا لله، أن يمكنَ الله في الأرض، من فرَّطوا في مقدساتهم وبلادهم لأعدائهم ، حاشا لله، أن يمكن الله في

الأرض، من يَسْعَوْن في تمزيق وحدة الإسلام والمسلمين . إننا ندعو الأمة التي اتخذت طريق الإسلام من ماضيها القريب، لامن حاضرها المعادي لتعاليم الإسلام والمسلمين . إن الأمة العربية الإسلامية، كان لها تاريخها المجيد العريض، الحافل بالأعمال الجليلة الخالدة .

حاشا لله، أن يمكن الله في الأرض ويستخلفَ فيها من يجالسون أعداء الإسلام، ويناصبون إخوانهم في الدين وشركاءهم في الوطن، العداوة والبغضاء، ابتغاء عَرَض زائل من الحياة الدنيا. حاشا لله، أن يوفق الله قوماً خرجوا على إجماع الأمة، وتمسكوا بخلافات شكلية لا طائل تحتها، ولا حساب . أولئك جميعاً لا يستحقون من الله تمكيناً في الأرض، ولا عزةً ولا نصرا .

أيها المسلمون .

إن ديار الإسلام وديار العروبة في كل مكان، لا تخلو من هؤلاء المخدوعين المروجين لدعايات المستعمرين، الذين تتخذ منهم مطايا لهم، للاستيلاء على مساجد المسلمين وأوطانهم ومقدساتهم، بثمن بخس، في مقابله بيع الضمير الإنساني، في التفريط في دينهم وعقيدتهم وأوطانهم .

إن هؤلاء، أيها الناس. لم يكتفوا بالقعود عن الجهاد، والتخلف عن الدفاع عن حظيرة الإسلام، حتى تسلطوا عليهم بنفوذهم وسيطرتهم، وهم يدعون حياداً إيجابياً، لا نفوذ فيه للأجنبي. لقد سيطر عليهم الأجنبي في فترة الحكم التي يشغلونها، حتى أغرقوا الأمة بأسرها في أخطائهم وخضوعهم، ولم يعلموا أنهم أضرُّوا بأنفسهم وغيرهم. وما يشعرون .

نعم. أيها المسلمون.

إن دول الاستعمار لم تفرض سيطرتها ونفوذها على البلاد العربية والإسلامية؛ في شرقها وغربها، إلا بأيدي العرب والمسلمين أنفسهم. وفي ذلك تصديق لما جاء في الحديث الشريف، الصحيح عن رسول الله ﷺ (إن الله زوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوِيَ لي منها. إلى أن قال: وإني سألت ربي لأمتي ألا يُهلكها بسَنَةٍ عامة، (يعني قحطاً وجفافا) وألا يسلطَ عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بعضهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها، حتى يكون بعضُهم يُهلك بعضا، وسبي بعضُهم بعضا)[1].

صدقت يا رسول الله. صدقت يا حبيب الله. فيما تنبأت به، وأخبرتنا عنه قبل وقوعه. فالتاريخ لا ينسى، وهو يقص علينا بكل خجل وحياء، أنه ما تسرَّب شيء من أراضي المسلمين إلى أعدائهم، إلاّ بخِذلان من العرب والمسلمين أنفسهم، وهذا معنى قوله جلت حكمته ﴿ ... **إلا بحبل من الله وحبل من الناس** ... ﴾[2].

هذه مأساة الخامس عشر من أيار؛ وأيار شهر الكرامات، والذكريات، والترهات، هذه مأساة فلسطين ونكبتُها، ليست عن أذهاننا ببعيدة.

قل لي بربك. أيُّ خزي وأيُّ عار، أقسى وأعظم من التفريط في العقيدة والوطن.؟ كل ذلك في سبيل مُتعة طائشة وحطام بائد، لا يستقر ولا يدوم، من ورائه عذابٌ وعقابٌ. ولعذاب الآخرة أشدُّ وأخزى، ﴿ ...، **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾[3].

---

١ ــ رواه الامام احمد، وروايته هكذا مختصراً، وباختلاف في بعض الألفاظ، وقد مرَّ سابقاً بكماله، وبلفظه.

٢ ــ سورة آل عمران (١١٢).

٣ ــ سورة الشعراء (٢٢٧).

بعد هذا كله الا تثوبون لرشدكم أيها الناس.؟ لعله يستخلفكم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلكم، يا من اعتمدتم وعولتم على أحد معسكرين، يسعيان إلى ترسيخ أقدامهما في الشرق الأوسط بأسبابكم، وعن طريقكم، وبمساعيكم، لمصالحَ ذاتية وأطماع سياسية. ألا تعقدون الخناصر على مقاومة أعدائكم، الذين لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم.؟! (أي ما سعوا إلا في مشقتكم وإذلالكم) قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر .

يا سادة. ويا قادة. ويا مسلمون .

هل نسيتم مأساة الأندلس الكبرى، ومصيبة المسلمين العظمى ، التي لم يفرغ التاريخ من التحسر والتأسف عليها، ولا تزال ذكراها حيَّةً في نفوس المؤمنين الصادقين.؟ لقد عاشت الأندلس ثمانية قرون في قلب أوروبا، وحاضرتُها آنذاك مدينةُ (قُرطبة)، التي كانت كعبة القُصاد، وقبلة الرواد، يأوى إليها كل راغب في الحياة الإسلامية والاقتصادية والاجتماعية. كان فيها سبعُمائة مسجدٍ عدا المسجدَ الأعظم، الذي يسع ثمانين ألفَ مُصَلٍّ. ولا تزال أصولها وأطلالها شاهدة على عزتها، حتى أصبحت مرجعاً للآثار والمتاحف، تلك هي دولة إسلامية، أبيدت وأزيلت بأسرها من عالم الوجود .

أيها المسلمون في كل مكان .

كنا نرجو أن يتخذ المسلمون من بعدهم دروساً وعبر ليحافظوا على ما تبقى من بلاد الإسلام ومقدساته. إنا لله وإنا إليه راجعون. بعد هذا يا سادةُ. وقادةُ، ألم يأنِ للمسلمين أن يُخلصوا دينهم وعملهم لله، ويعفُوا عن المطامع الشخصية والأهواء الذايتة الباطلة.؟ ألم يأنِ لهم جميعاً، أن يتركوا

هذا الانقسام المرير، والتحدي السافر الجائر، ليتعاونوا على درء الأخطار المحدقة بهم من أعدائهم .؟ ألم يأنِ لهم أن يصلحوا ذات بينهم، وما أفسدته أيديهم، ويرجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، ليستردوا مقدساتٍ وحرمات وكرامات استبيحت، بسبب هذا التخاذل والانقسام .؟

أما يكفينا هذا التقاطع والتدابر والتحاسد.؟ أما يكفينا استغلال الشاكين في عقائدهم، هذه الخلافات لمآرب أخرى، تبيح لذوي المبادىء الهدامة، والآراء الفاسدة، وأنصار التبشير، أن يتخللوا صفوف الأمة.؟ حتى إنهم شكلوا أكثر عامة الناس في عباداتهم ودينهم، جعلوهم والله حيارى، لا يدرون إلى أين يتوجهون .

يمر بنا أيار، يدفعنا إلى الذكرى، والأسى يتبع الأسى . نعم. يا سادة. ويا قادة. أما آن لنا ان نسعى في توحيد جهودنا وجمع كلمتنا.؟ وبهذا يمكننا التخلص من نفوذ وعبودية أجنبية، لا شأن لها بالدين، ولا في الإسلام .

إنكم إذا ما تعاونتم على الخير، وكنتم ساعين راغبين بحق في وحدة الصف والهدف، وآمنتم بوحدة ربكم، الذي خلقكم ووهبكم من فضله نصراً مؤزراً، ومكنَ لكم دينكم، الذي ارتضاه لكم، وأمكنكم من استرداد ما فقده العرب والمسلمون، من مجد غابر تليد وعزٍ مكين ﴿ ... ، **ولينصرُنَّ الله من ينصره، إن الله لقويٌ عزيز** ﴾[1] .

استغفروا الله من ذنوبكم، وأستغفر الله لي ولكم، وللمؤمنين أجمعين . أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله الحكيم العليم، لا يظلمُ الناس مثقال ذرة، سبحانه كتب رحمته للمتقين، وأعد عذابه وعقابه للمتخاذلين. أشهد أن لا إله إلا الله، دعانا إلى الصراط المستقيم، وحذرنا من مكائد الشيطان الرجيم، وأشهد أن سيدنا

---

١ ــ سورة الحج (٤٠) .

محمداً رسولُه الأمين، جاء بالهدى ودين الحق المبين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

عباد الله . اتقوا ربكم، الذي خلقكم . تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . تمسكوا بدينكم، واعتصموا بحبل ربكم، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا .

اتقوا ربكم حق تقواه. وراقبوه، فإنه يعلم مافي نفس العبد، ويراه، وصلوا على نبيكم تعظيماً له وتكريما، كما قال سبحانه ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات ، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، وانصر من نصر هذا الدين، واخذل من خذله، يا رب العالمين . اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين، وردّهم إلى كتابك الحكيم، وسنة نبيك يا أحكم الحاكمين .

واشمل مليك البلاد الحسين ابن طلال بعنايتك ورعايتك، يا رب العالمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .
٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية عشرة بعد المائة :

٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ
١٩٧٢/٦/٢١

« في الصمت عن الخوض في الباطل نجاة وسلامة »

أحمد الله على نعمائه، وأشكره، وأتوب إليه، وأستغفره، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد، أشرف رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت .

اللهم طهر عملي من الرياء، ولساني من الكذب. اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، خلق الإنسان، علّمه البيان، ومنحه من نعمه وبِرّه فصاحةَ اللسان، وجعل القلب رئيس الأعضاء كلّها؛ به الفساد والإصلاح، جعل للإنسان لساناً به يذكر ربه، يعظمه ويمجده، وبه يتلو كلامه، ويتجنب اثامه .

وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عددا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، خيرُ من راقب سيده ومولاه قولاً وعملا. حذّرنا من زلة اللسان، وفحش الكلام، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله ومتبعيه، والمقتدين به، أولئك الذين طيبوا ألسنتهم بتسبيحه وتقديسه، ففازوا بالسعادة الأبدية .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

أما بعد . أيها المسلمون . فقد قال الله جل وعلا ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[1] .

يفهم من هذه الآية الكريمة، أنه سبحانه وتعالى، هو الذي خلق أعظم شيء في مخلوقاته، خلق السموات والأرض، ولم يعيَ بخلقهن، خلقها على عظمتها وضخامتها ولم يعجز عن خلقهن فكيف يَعْجزُ عن خلق الإنسان وهو أهون عليه بدليل قوله في الآية السابقة ﴿ **أفعيينا بالخلق الأول، بل هم في لبس من خلق جديد** ﴾[2]. إنهم في شك من قدرتنا ﴿... **ونذرُهُم في طغيانهم يعمهون** ﴾[3] قل لهم يا عبدنا ورسولنا محمداً ﴿ **لخلقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[4].

إن الله يتحدى هؤلاء، ويعلمهم، سواءٌ علينا أشكرتم أم كفرتم، فكلُّه مسطَّرٌ ومسجلٌ عليكم. هذان الملكان العظيمان، يسجلان عليكم أعمالكم. يسجلان ما تنكرونه من دلائل قدرة الله، وهو الذي يذكركم بأنه عالم بما يدور في نفوسكم، فيقول ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلمُ ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[5].

أيها المسلمون .

إن الله جلت قدرته، يقول لهؤلاء المنكرين الجاحدين، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو خطاب عام لكل من يتأتى منه العلم. إننا لنعلم علماً أكيداً أصواتكم الخفية، وهَمْسكم الباطل، ومن باب أولى، العِلمُ بما تجهرون به، نحن نعلمُ إسراركم وإعلانكم. نحن أقرب إليكم من حبل الوريد. الذي هو عِرق في صفحة الأعناق .

---

١ ــ سورة ق (١٦ ــ ١٧ ــ ١٨) .
٢ ــ سورة ق (١٥) .
٣ ــ سورة الأنعام (١١٠) .
٤ ــ سورة غافر (٥٧) .
٥ ــ سورة ق (١٦) .

أيها المسلمون في زمن القيل والقال .

لقد تضمنت هذه الآيات الكريمة قواعدَ عامة عظيمة، اشتملت على عقائد سَليمةٍ، من حافظ عليها وعلى ما يخرج من لسانه، سَعِدَ في دنياه وأخراه .

أيها الناس في زمن اللهو والفراغ .

اللسان تَرْجَمانُ الفؤاد، يعبر عما استتر فيه، وينبيءُ عن خبايا النفوس، ويخبر عن مستور الضمائر. وقد ذكر علماء الأدب، أن المرء يعرف بأصغريه؛ قلبِه ولسانِه، فلا يملك الإنسان زمام أمره ، ولا يمكن أن يكون سيد نفسه، إلا إذا ملك لسانه. وفي الحكم المأثورة « لسان العاقل من وراء قلبه، إن كان له فيه خير تكلّم به، وإذا كان فيه شر أمسك عنه » ، وبالعكس قالوا : قلب الجاهل من وراء لسانه، يتكلم بكل ما يراه .

أيها المسلمون .

إن من يتأمل في أحوالنا الحاضرة، يجدُ أكثر مشاكل الحياة يرجع إلى إذاعة الأسرار ، أو التدخل فيما لا يعني ، أو الإسراف في المزاح، الذي يورث الضغائن ، أو الجدل المفضي إلى الخصام ، أو بسبب الغيبة؛ أو النميمة، ونشر الأسرار بين الأنام .

عباد الله .

لقد خلق الله للإنسان لساناً واحداً وأذنين أثنتين، ليكون ما يسمعه أكثر مما يُثرثر فيه، والثرثرة في الشيء؛ هي الإكثار منه في تخليط .

يقول عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)[1] ويقول (من حُسنَ إسلام المرء، تركُه ما لا يعنيه)[2] ويقول نبيُّنا وسيدنا محمد ﷺ (كفى بالمرء إثما، أن يحدث بكل ما سمع)[3] ألا وإن كثرة القيل والقال، دليل واضح على فراغ الوقت من العمل. يقول عليه الصلاة والسلام (نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ)[4] فالعاملون يهتبلون الساعات، يشغلُهم عملهم عن هُراء الكلام وبُطْلِه، يعلمون أن الوقت كالسيف، إن لم يقطعه صاحبه بالأعمال النافعة، قطعه بالأسى والأسف. يقول عليه الصلاة والسلام (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله)[5] .

أيها المسلم .

أَمسِك أخي عليك لسانك، عند المدح والذم، عند الرضا والغضب، عند الوعد والوعيد . أيها الإنسان في زمن التملق. لا تذمَّنَّ شخصاً لمزيد كراهتك له، أو مطاوعةً لثورة غضبك وحقدِك عليه .

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل

---

١ ــ رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة وتمامه : ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه .

٢ ــ رواه الترمذي بسند حسن عن ابي هريرة .

٣ ــ رواه مسلم وأبو داود عن ابي هريرة ولكن بلفظ كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع .

٤ ــ رواه البخاري والنسائي وابن ماجة والترمذي عن ابن عباس .

٥ ــ متفق عليه ورواه الترمذي وابن ماجة وأحمد ، ولكنه ليس بتلك الزيادة ، ولفظه : كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

أيها المسلم .

لا تبحث عن عورات الناس لتذيعها بين الناس، فيفضحك الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، يقول عليه الصلاة والسلام (من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه الله، ولو في جوف رحله)[1] أي بيته .

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا
فيهتـك الله سترا عن مساويكـا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكـروا
ولا تعـب أحـداً منهم بما فيكا

يقول عليه الصلاة والسلام (من كان له لسانان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة)[2] ويقول (ذو الوجهين، لا يكون وجيهاً عند الله يوم القيامة)[3] ويقول عليه الصلاة والسلام (من ذكر امرءاً بما ليس فيه ليعيبه، حبسه الله في نار جهنم، حتى يأتي بنفاذ ما قال)[4]. أي حتى يأتي بشاهد على صحة ما قال . وقديماً قيل .

إذا ضـاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الـذي يُستودعُ السرَّ أضيقُ
إذا المـرء أفشى سره بلسانـه
ولام عليـه غيرُه فهـو أحمـق

---

١ ـــ رواه ابن ماجة عن ابن عمر وأوله : يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يفض الإيمان الى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين ، يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف رحله .

٢و٣ــ رواه ابن ابي الدنيا في الصمت والطبراني والأصبهاني واللفظ كما يلي: « من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار »، عن أنس . ورواه ابو داود وابن حبان في صحيحه عن عمار بن ياسر، «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» .

٤ ـــ رواه الطبراني عن ابي الدرداء قال المنذري اسناده جيد .

أخي المسلم .

أشغل لسانك بخيرٍ، يعود عليك على أمتك وذويك ووطنك، أشغل لسانك في كتاب ربك. أشغل لسانك في سنة نبيك ﷺ. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحثْ على البر بالضعفاء، أشغل لسانك في إصلاح ذات البين، وإسعاد الأفراد والجماعات. أشغل لسانك في علم وفقه ودين.

احفـــظ لسانـــك أيهـــا الإنسان
لا يلـــدغنّـــك إنـــه ثعبـــان

جاهد بلسانك، يا أخي الكفرَ والإلحاد، والانحرافَ والإجرام.

قل بلسانك كلمة حق عند من لا يعرفونه، تعلي بها قدراً، وترفع بها شأناً، إذا كنت أهلاً لذلك .

إجعل لسانك سَوْط جزاءٍ على المفسدين، الخارجين على السنة والجماعة وجمهور العلماء. إشْهَد بلسانك الحقَ في موضعه، تكن من الفائزين، حذرٌ بلسانك الغشاشين والمرتشين، ومن يأكلون أموال اليتامى ظلماً. جرد لسانك من الأغراض والغايات، وأطلق عِنانه على كل قائم بفتنة أو تحريض.

يا هؤلاء وهؤلاء. يامن أسرفتم بألسنتكم. فتناولتم بألسنتكم عباد الله المؤمنين، وتجاوزتم الحد من غير خشية أو مبالاة. أما علمتم أن أعضاء الإنسان وأخطرها اللسان، شاهدةٌ على ما تفعلون.؟ إذ في كل صباح تقول أعضاء الإنسان له قبل خروجه من منزله، يا هذا اتق الله فينا، فنحن بَضعةٌ منك، إن أحسنت أحسنا، وإن أسأت أسأنا، كلٌ منا مجزيٌّ بعمله .

واليكم هذه العظة التاريخية من تراثنا الإسلامي الخالد. هاهو ذا رسول الله ﷺ يقول لمعاذ بن جبل، رضي الله عنه، وناهيك به عالماً ومجاهداً ومُجِداً. هذا الذي قال عنه رسول الله ﷺ يأتي العلماء يوم القيامة

يتقدمهم معاذ برتوة أو رتوتين، يعني بدرجة أو درجتين، يقول له عليه الصلاة والسلام (ألا أخبرك بملاك ذلك كله) .؟ قلت بلى يا رسول الله قال (كُفّ عليك هذا. وأشار إلى لسانه ، قلت وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به) .؟ قال ثكلتك أمك. وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم)[1] رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أيها المسلمون .

من راقب ربه في السر والإعلان، مؤمناً بأنه تعالى يراه حيثما كان، أورثه ذلك خشية سبحانه فاتقاه .

إن من كان معه ربُّه، كان معه القوة القاهرة، والقدرة الباهرة، والجيشُ الذي لا يُغلب، والأسطولُ الذي لا يقهر ﴿ ...، **ولينصرنّ الله من ينصره، إنّ الله لقويٌّ عزيز** ﴾[2].

لا عجب عندئذ أن يكون من راقب ربه شجاعاً مقداماً، أمّاراً بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، داعياً إلى خير، ناهياً عن كل ضلاله.

يقول ﷺ (إن أفضل الإيمان، أن تعلم أن الله معك حيثما كنت)[3] أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

* * * * *

الحمد لله على آلائه، وأستغفره، واتوب إليه، مصلياً ومسلماً على صفوة رسله وأنبيائه. اشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه .

وبعد فيا عباد الله، اتقوا ربكم الذي خلقكم، وإليه ترجعون. راقبوه فيما تقولون. راقبوه فيما تأتون وتذرون. اتقوا الله في ألسنتكم. يقول عليه

---

١ ــ رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن معاذ بن جبل وأوله: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ... الحديث .

٢ ــ سورة الحج (٤٠) .

٣ ــ رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبادة بن الصامت .

الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت)[١] ويقول عليه الصلاة والسلام (كل كلامِ ابن آدم عليه، إلا ذكر الله، أو أمراً بالمعروف، أو نهياً عن المنكر)[٢] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يُلقي لها بالاً، يرفع الله بها درجاته. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، لا يُلقى لها بالاً، يهوى بها في جهنم)[٣] .

صلوا على نبيكم تعظيماً له وتكريما. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين. واجمع شملهم على كتاب الله وسنة سيد المرسلين. اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الكذب، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم أعزّنا بالاسلام . واشمل عبدك وابن عبدك الحسين بن طلال بتوفيقك ورعايتك، رب العالمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[٤] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ــ مرَّ سابقاً .

٢ ــ رواه ابن مردويه عن أم طيبة بدون لفظ كل، ورواه الترمذي بلفظ: « كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله » .

٣ ــ رواه البخاري والإمام أحمد والنسائي عن ابي هريرة . ورواه الحاكم متعرضاً لبيان السبب فقال : كان رجل بطال يدخل على الأمراء فيضحكهم ، فقال له علقمة ويحك لم تدخل على هؤلاء فتضحكهم ، فإني سمعت بلال بن الحارث يحدث، أن رسول الله ﷺ قال فذكره .

٤ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثالثة عشرة بعد المائـة :

٥ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ
١٩٧٢/٦/١٦

(شخصية الامام الشافعي في الأئمة الأربعة)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك من جميع ذنوبي وخطاياي، مصلياً ومسلماً على الهادي إلى سواء السبيل، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ذوي الشأن الجليل، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اغفر ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن، اللهم رحمتك ارجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، واصلح لي شأني كله. اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. **﴿... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾**[1].

* * * * *

الحمد لله، جعل في الأمة أئمة يقتدى بهم، ويسار على نهجهم، هم هداة الأمة ومصابيحها، بعد رسول الله وصحابته، أمرنا الشارع الحكيم بتقليد واحد منهم، والتعبد على مذهبه، والسير على طريقته. أشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالتبصر والتدبر، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، هدانا الى سواء السبيل، فقال وعالم من قريش يملأ طباق والأرض علماً، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم واقتدى بهم، بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد. فهذه صفحة مشرقة عن حياة إمام من الأئمة الأربعة، وعَلَم من أعلامها، ألا وهو إمامنا الشافعي، رضي الله عنه، وقد أردت أن

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

أذكره في خطبة اليوم لتكونوا على بصيرة من أمركم، لئلا يشتبه عليكم أمر هذه الأئمة، فتضلوا عن سواء السبيل .

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن ادريس ابن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبدالله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصي القرشي المطلبيّ الشافعيّ الحجازيّ المكيّ، يلتقي مع رسول الله ﷺ في عبدِ مناف ، وقد أكثر العلماء من المصنفات في مناقب الامام الشافعي ـــ رحمه الله ـــ وأحواله من المتقدمين والمتأخرين، وخلائق لا يُحصَوْن .

أيها المسلمون :

هذا هو إمامنا الشافعي، قرشيٌّ مطلبيّ، بإجماع أهل النقل من جميع الطوائف. وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في فضائل قريش، وانعقد إجماع الأمة على تفضيلهم، على جميع قبائل العرب، وغيرهم. وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ (الأئمة من قريش)[١] وقد رواه البخاري بهذا اللفظ في تاريخه، وجاء في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال (الناس تَبَع لقريش في الخير والشر)[٢] ولد رضي الله عنه، سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة ـــ رحمه الله ـــ ولد الامام الشافعي بغزة، على نحو مرحلتين من بيت المقدس، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وتوفي بمصر، وهو ابن اربع وخمسين سنة .

كان الشافعي في صباه يجالس العلماء، ويكتب ما يستفيده على العظام ونحوها، حتى ملأ منها خبايا، كان الشافعي أول أمره، يطلب الشعر وأيام العرب والأدب، ثم أخذ بعد ذلك في طلب الفقه، وعن الشافعي رضي الله عنه، كنت أنظر في الشعر، فارتقيت عَقَبة بمنى، فإذا صوت من خلفي

١ ـــ رواه البخاري في تاريخه بهذا اللفظ ، والذي في الصحيحين لا يزال هذا الأمر في قريش ، وقد رواه في اللفظ المذكور النسائي وأبو يعلى واحمد وابو داود الطيالسي والبزار .

٢ ـــ رواه مسلم عن جابر بن عبدالله .

« عليك بالفقه » ، وعن الحُمَيْديِّ قال: قال الشافعي خرجت أطلب النحو والأدب، فلقيني مسلم ابن خالد الزَّنجيُّ، فقال: يا فتى من أين أنت .؟ قلت من أهل مكة. قال أين منزلك.؟ قلت شِعْبُ بالخَيْف، قال من أيِّ قبيلة أنت.؟ قلتُ من عبدِ منافٍ. قال بخٍ بخٍ، لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك في هذا الفقه، فكان أحسن بك.؟ ثم رحل الشافعي من مكة الى المدينة، قاصداً أخذ العلم عن مالك بن أنس — رحمه الله — فلما قدم عليه قرأ عليه الموطأ حفظاً، فأعجبته قراءته، ولازمه[1]. وقال له الامام مالك سيكون لك شأن عظيم. وكان عمر الشافعي حين أتى الامام مالكاً ثلاث عشرة سنة[2]، ثم اشتغل بالعلوم. ورحل الى العراق، وناظر محمد ابن الحسن، ونشر عِلم الحديث، ونصر السنة، وطلب من عبد الرحمن بن مهدي، إمام أهل الحديث في عصره أن يصنف كتاباً في أصول الفقه، فصنَّف كتاب الرسالة، المعروف بين علماء الفقه والحديث، وهو أول كتاب صُنف في اصول الفقه ، وكان القطان وأحمد بن حنبل يدعوان للشافعي في صلاتهما، وأجمع الناس على استحسان رسالته، وأقوالهم في ذلك مشهورة. وقال المُزني قرأت رسالة الامام الشافعي خمسمائة مرة، فما من مرة الا واستفدت منها فائدة جديدة، وقال أيضا إني لأنظر في رسالة الشافعي من خمسين سنة، فما أعلم أني نظرت فيها مرة، إلا واستفدت شيئا لم أكن عرفته من قبل. اشتهرت جلالة الشافعي — رحمه الله — في العراق. وسار ذكره في الآفاق، وأذعن بفضله الموافقون والمخالفون، واعترف بذلك العلماء أجمعون. وعظمت عند الخلفاء وولاة الأمور مرتبته، واستقرت عندهم جلالته وإمامته. رجع كثير من المخالفين الى مذهبه وتمسكوا بطريقته. فهو أول من صنف أصول الفقه، بلا خلاف ولا جدال ولا ارتياب. وهو الذي لا يضارع ولا يساوى بل لا يداني، في معرفة

١ — روى ابو نعيم في الحلية عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول أتيت مالكاً وقد حفظت الموطأ، فقال اطلب من يقرأ، قلت لا عليك أن تستمع لقراءتي فإن خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لي فقال لي اقرأ، فقرأت لنفسي فكان الشافعي يقول أحيرنا مالك، وفي رواية اخرى وانا ابن ثنتي عشرة سنة فاستصغرني.

٢ — وروى انه قال له : ان الله عزوجل قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعاصي ، وأذن له في الفتوى وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وقيل ابن خمس عشر سنة .

كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد بعضها الى بعض. وهو الإمام الحجة في لغة العرب ونحوهم، مع أنه عربيّ الدار واللسان والعصر. وبها يعرف الكتاب والسنة. وهو الذي قلد المنن الجسيمة جميع أهل الآثار، وحملة الاحاديث ونقلة الأخبار، بتوقيفه إياهم على معاني السنن، وقذفه بالحق على باطل مخالفي السنن[1] وقد تصدَّر في عصر الأئمة المبرزين للافتاء والتدريس والتصنيف. أمره بذلك شيخه أبو خالد مسلم بن خالد الزنجي، إمام أهل مكة وفقيهها، وقد لقب عند قدومه العراق (بناصر الحديث). وقد أخذ رضي الله عنه بالاحتياط في مسائل العبادات وغيرها، كما هو معروف من مذهبه، وذلك لشدة اجتهاده في العبادة، وسلوك طرائق الورع والسخاء والزهادة، ولا يتمارى في فضله إلا جاهل بقدره، أو ظالم أو متعسف. فكان رضي الله عنه بالمحل الأعلى، من متانة الدين .

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنما قدمت في ذكر الأئمة الامام الشافعي على غيره، اتباعاً للسنة. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قدموا قريشا، وتعلموا من قريش) والى هذا ذهب الامام أحمد بن حنبل في تأويل الخبر، ومن ذلك مصنفات الشافعي في الأصول والفروع، فهي كثيرة مشهورة؛ كالأم، وجامع المزني الكبير، وجامعه الصغير، ومختصر من الكبير والصغير، ومختصر البويطي والرَّبيع، وكتاب حرملة، وكتاب الحجة، وهو التقديم، والرسالة القديمة والرسالة الجديدة، والأمالي، والاملاء، وغير ذلك مما هو معلوم من كتبه، وجاء في تراجم الايمان، أن الشافعي ــ رحمه الله ــ صنف مائة وثلاثة عشر كتاباً؛ في التفسير والفقه والادب وغير ذلك، وأما كتب أصحابه التي هي شروح لنصوصه، ومخرجة على أصوله،

---

١ ــ هذا ما كتبه عنه الامام النووي ملخصاً جملة من حاله رضي الله عنهما انظر المجموع (١/١٠) .

ومفهومة من قواعده، فلا يحصيها مخلوق كتعليق الشيخ أبي حامد الاشطريني، وصاحبيه القاضي أبي الطيب وصاحب الحادي، ونهاية المطلب لامام الحرمين. وهذا هو المشهور، وهو أشهر من أن يذكر. قال الشافعي ـ رحمه الله ـ ما ناظرت أحداً على الغلبة أي ما ناظرت أحداً بقصر غلبته، ولكني وددت إذا ناظرت أحدا أن يظهر الحق على يديه، أو على لسانه، وهو رضي الله عنه، الذي قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. وقال رحمه الله الناس في غفلة عن سورة العصر ﴿ **إن الانسان لفي خسر** ﴾، قال بحُر بن نصر (ما رأيت ولا سمعت انه كان في عصر الشافعي أتقى، والله ولا أورع، ولا أحسن صوتاً بالقرآن منه)[1] وقال الحميدي كان الشافعي يختم في كل شهر ستين ختمة، وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ ما كذبت قط، ولا حلفت بالله تعالى صادقاً ولا كاذبا، وما شبعت من طعام الا مرة واحدة، طرحتها من حساب حياتي. وقال رضي الله عنه، ما فزعت من الفقر أبداً. وقال طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد. وقيل للامام الشافعي لم تُمسك العصا في أكثر أحيانك، ولست بحاجة إليها؟ فقال: لأذكر أني مسافر في هذه الحياة الدنيا. وقال ـ رحمه الله ـ خير الدنيا والاخرة في خمس خصال؛ غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله تعالى على كل حال. وقال لتلميذه الربيع عليك بالزهد، وقال (من أحب أن يفتح الله قلبه، أو ينوره، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي)[2].

وقال ليونس بن عبد الأعلى، لو اجتهدت كل الجهد لارضاء الناس كلهم، فما وصلت إلى ذلك. فأخلص عملك ونيتك لله، عز وجل. قال رضي الله عنه، ليس هناك سرور يعدل صحبته الاخوة في الله، ولا غمّ يعدل فراقهم، وقال ارفع الناس قدرا من لا يرى له قدرا على الناس، واكثر الناس فعلا من لا يرى له فضلا على الناس.

---

١ ـ انظر المجموع للنوي (١٢/١).

٢ ـ وقوله في ذلك مشهور رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيلي سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

أيها المسلمون . لقد عاش الشافعي رضي الله عنه في العصر العباسي، حيث قويت شوكة الدولة الاسلامية، وازدهرت الحياة الاجتماعية، وانتعشت الأوضاع الاقتصادية، وصحب التطور السياسي تطور اجتماعي، امتزجت فيه شعوب الدولة الاسلامية، ودخل العرب في طور حضاري جديد، وسادت الحرية الفكرية، وبدأ التسامح في شؤون الدين، واتخذ بعض الشعوب الدخيلة من هذا التسامح، سبيلا الى نشر ما كانوا يحملون من آراء وأفكار، وما كانوا يتطلعون إليه في العهد الجديد من امل سعيد، معتمدين على ما قدموه من مساعدة عملية، في خدمة الدولة العباسية. والى جانب التطور السياسي والاجتماعي، وجد تطور عقلي، نتيجة لترجمة العلوم المختلفة عن الحضارات القديمة؛ كالفارسية والهندية واليونانية، وعملت الدولة على تشجيع المترجمين والمؤلفين، فتوثبت النهضة في كل مجال. وكان للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي أثره في الاستقرار الفكري. فأقبل المفكرون على الدرس والبحث، وحب الاطلاع وهضم العلوم الدخيلة، والإضافة إليها، ووضعت أصول أكثر العلوم العقلية والنقلية، كما كان للعلوم الدينية واللغات الأخرى نصيب كبير.

في هذا الجو، نشأ الإمام الشافعي وعاش، متنقلاً بين أكبر المدن الإسلامية، التي تموج بالعناصر المختلفة . وخالط العلماء والمفكرين، وجادل من يلتزم الأقيسة العقلية، باستخدام المنطق والبحوث الفلسفية ، وكان يتصدى لهم بالرد على طريق الأدلة النقلية، واستنباط الرأي منها[1] .

لقد تأثر رضي الله عنه، بكل هذه الأوضاع والبيئات، وحوى الكثير من الثقافات المنتشرة فيها واستطاع أن يهضم هذه الثقافات بعقليته الممتازة،

---

١ — نشأ رضي الله عنه في مكة المكرمة ، وكان نادرة الدنيا في الذكاء والحفظ ، فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وأولع بالعربية من النحو والشعر واللغة ، وتبعها من رواتها . ورحل الى البادية في تطلبها ، ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ شيئا كثيرا . وبينما هو يترنم بشعر لبيد زجره بعض الحجبة ، عن أن يكون مثله في شرفه ونسبه رواية للشعر ، وقال له تفقه يعلمك الله ، فانتفع بهذا الكلام ، وكان أفضل من رأى الناس ذكاءً وعقلاً وفصاحة لسان وقوة حجة ، ولم يناظر أحداً إلا ظهر عليه . وكان يقول ما ناظرت أحداً الا وددت له ان يظهر الحق على يديه وجملة القول انه أمام في كل شيء حتى الرمي ، فكان يصيب تسعة من عشرة رضي الله عنه وارضاه .

وغزارة علمه الممتازة، ثم استقر به المقام في مصر، بعد أن نضجت مواهبه، فأعاد النظر فيما اختطه من مذاهب الفقه، وجمع آراءه في كتبه، وأهمها كتاب الأم الذي احتوى على زبدة آرائه، وعظيم أصول علمه. توفي رضي الله عنه في مصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة.

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ما أحد مسّ بيده محبرة ولا قلما، إلا وللشافعي في رقبته مِنّةٌ فهذا قول إمام أصحاب الحديث، وأهله، ومن لا يختلف الناس في ورعه وفضله، قال له شيخه أبو خالد مسلم بن خالد الزنجي، إمام أهل مكة ومفتيها، وقال له أفتِ يا أبا عبدالله، فقد والله آن لك أن تفتي. وكان للشافعي أنذاك خمس عشرة سنة.

ومع هذا فقال ما هو ثابت عنه، من وصيته بالعمل بالحديث الصحيح، وترك قوله المخالف للنص الثابت الصريح. وقد امتثل الأصحاب وصيته، وعملوا بها في مسائل كثيرة مشهورة؛ كمسألة التثويب في أذان الصبح، واشتراط التحلل في الحج بعذر المرض ونحوه، وغير ذلك مما هو معروف. ولكن لهذا شرط قلّ من يتصف به في هذه الأزمان، ومن ذلك تمسكه بالأحاديث الصحيحه، وإعراضه عن الأخبار الواهية الضعيفة.

قال الساجي في أول كتابه في الاختلاف، سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: وددت ان الخلق تعلموا هذا العلم، على ألاّ ينسب إليّ من حرف، وهو إسناد لا يشك في صدوره إلا مكابراً، وجاحداً لفضله وعلمه.

قال تلميذه الربيع سمعت في منزل الشافعي ليال، فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا[1]. وقال ليس بأخيك من أصبحت إلى مداراته، وقال من صدق في أخوة أخيه، قبل علله، وسدّ خلله، وغفر زلله، من وعظ أخاه سراً

١ ـــ وكان رضي الله عنه جزأ الليل ثلاثة اجزاء الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام.

فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه شأنه . وقال (من سام بنفسه فوق ما تساوي، ردّه الله تعالى إلى قيمته) وقال التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، وقال التواضع يورث المحبة ، القناعة تورث الراحة .

قال رضي الله عنه، من شهد الضعف من نفسه، نال الاستقامة مع الله تعالى ، وقال من صدق الله، نجا ومن أشفق (أي خاف) على دينه، سَلِمَ من الردى، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله تعالى غداً. وقال (كن في الدنيا زاهداً، وفي الآخرة راغباً، واصدق الله تعالى في جميع أمورك، تنجُ غداً مع الناجين) وقال من كان فيه ثلاث خصال، فقد كمل فيه الإيمان، من أمر بالمعروف وائتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى عنه، وحافظ على حدود الله تعالى .

قال لا وفاء لعبد، ولا شكر للئيم، ولا صنيعة عند نذل . وقال : عاشر كرام الناس تعش كريماً، ولا تعاشر اللئام فتنتسب إلى اللئام. قال له رجل أوصني فقال: إن الله تعالى خلقك حراً، فكن حراً كما خلقك. وقال (من سمع بأذنه صار حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً .

قال ابو حسان الرازي: ما رأيت محمد ابن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي، رحمه الله ، وقال عبدالله بن الحكم ما رأيت مثل الشافعي، وما رأيت رجلاً أحسن استنباطاً منه، وقال يحيى بن أكثم ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي. وقال الزعفراني راوي كتب الشافعي القديمة، ما رأيت مثل الشافعي افضل ولا أكرم ولا أتقى ، ولا أعلم منه، وما رأيته لَحَنَ قَطّ .

وقال هلال بن العلاء، أصحاب الحديث عيال على الشافعي، فتح لهم الأقفال. قال الربيع كان الشافعي أشجع الناس وأفرسهم. وكان يأخذ بأذنه واذن الفرس، والفرس يعدو ويسرع. وقال بحر بن نصر (كنا إذا أردنا أن تبكي، قمنا الى الشافعي، فإذا أتيناه استفتح القراءة حتى تساقطوا، وكثر عجيجهم بالبكاء. فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة لحسن صوته، وقال رضي الله عنه: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. وقال أحب أن تكثروا الصلاة على رسول الله ﷺ .

وقال المزني: ما رأيت من العلماء من يوجب للنبي ﷺ في كتبه ما يوجبه الشافعي، لحسن ذكره رسول الله ﷺ وتتمته بها. وقال الشافعي إني لأكره أن يقول الرجل أو المحدث قال الرسول، ولكن يقول قال رسول الله ﷺ تعظيماً له .

وقال ابو عبدالله محمد بن يعقوب الهاشمي، رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: « الشافعي في الجنة أو من أهل الجنة » وقال ابو العباس الأصم، رأيت عبدالله ابن صالح في المنام، وذكرت الشافعي أمامه، فأشار عبدالله بيده نحو السماء، وقال ليس ثم أكبر منه .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة عشرة بعد المائـة :

١٩ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ
١٩٧٢/٦/٣٠

(الشخصية الثانية الإمام ابو حنيفة النعمان أحد الأئمة الأربعة)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على نبيك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، الملهم للصواب، إليه المتاب والمآب. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، البشير النذير. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على شريعته إلى يوم الدين.

أما بعد. فيقول الله جلت حكمته ﴿ **يوم لا يُغني عنهم كيدُهم شيئاً ولا هم يُنصرون. وإن لِلذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون. واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا، وسبِّح بحمد ربك حين تقومُ. ومن الليل فسبِّحه وإدبارَ النجوم**﴾[2].

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨).
٢ ــ سورة الطور من (الآية ٤٦ إلى الآية ٤٩).

أيها المسلمون .

لقد أحاط المشركون بسيدنا رسول الله ﷺ وأرادوا به كيداً وفتكاً، ولكنه سبحانه حفظه ووقاه، وطمأنه وسلاه، بقوله (إن يوم القيامة لقريب، وإن عذاب الله لشديد) وفي ذلك اليوم، لا يدفع عنهم كيدهم شيئاً من عذاب ربك، في هذه المقولة تسلية وتبشير للنبي ﷺ بالنصر على من عاداه. فقد بيّن له أنّ للظالمين عذاباً أقربَ من عذاب يوم القيامة، فيه جرحٌ لنفوسهم، وغيظٌ لقلوبهم، بسبب فشلهم. إذ يقول سبحانه لنبيه إن قومك لا يسمعون النصيحة، ولا يحبون الذكرى لبعدهم عن دينك، فهم فاشلون في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فاصبر يا رسولنا لحكمنا وقضائنا، واصبر لحكمتنا . لحكمة ربك، الذي لا ينساك، فأنت بأعيننا، في ظلنا في حراستنا نزه ربك وقدسه، حامداً شاكراً حين نهوضك من نومك، سبحه بكرة وعشيا، فإننا نرعاك ونكلؤك .

أيها المسلمون .

تفقهوا في دينكم، وتمسكوا بكتاب ربكم وشريعة نبيكم، واسمعوا ماذا يُملى عليكم . لما قامت الدولة الأموية بعد القرن الأول، الذي هو خير القرون.؟ كان كثيرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد انتقل عن المدينة إلى الأمصار الإسلامية؛ كمكة والبصرة والكوفة وغيرها، فنشروا الدين ، وعلموا الناس دينهم وقرآنهم، وأكثروا من رواية الحديث، وانتفع بهم خلقٌ كثير، وتخرّج على أيديهم عددٌ وافر من التابعين، فنبغوا في فهم القرآن والحديث، واستنباط الأحكام منهما، واعترف الصحابة للتابعين آنئذٍ، بالفضل والعلم .

وفي هذا العصر الأمويِّ؛ انقسم العلماء إلى أهل حديث، وأهل رأي ، كان علماء الحجاز أهل حديث، وأكثرُ علماء العراق أهلَ رأي . ومن هنا كثر الاختلاف، وتعددت الآراء في الدين، وظهر بعض أفراد الشيعة المتطرفين، القائلين بأحقيته الرسالة لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه .

وظهرت طائفة من الخوارج، ضدّ علي بن أبي طالب، وهاتان الفرقتان السياسيتان، خلطتا السياسة بالدين، حتى نفر منهم جمهور المسلمين ، وكان لكل منهما فتاوى؛ تخالف فتوى الآخرين، وفتوى الجمهور ، ومن أشهر الصحابة الذين أفتوا في هذا العصر، أمُّ المؤمنين عائشةُ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين. ومن أشهر التابعين الذين نبغوا في العلم وشاركوا أصحاب رسول الله ﷺ في الفتوى؛ سعيد بن المسيب المدني، وعطاءُ بن أبي رباح المكي، والحسن بن يسارٍ البصري، وغيرهم من التابعين .

أيها المسلمون .

لقد ظهر في عصر العباسيين كثير من الأئمة المجتهدين؛ من الحجازيين والعراقيين، وأشهرهم الأئمة الأربعة المجتهدون، الذين بقي اجتهادهم نبراساً وهاجاً يُستضاء به إلى يوم الدين . ولكن في عصر العباسيين، وُضع للاجتهاد أصول وقواعدُ، يجري عليها المجتهد في استنباط الأحكام ، وظهر أثر الاجتهاد واضحاً، بسبب نشأة الفقه الإسلامي وتدوينه في أواخر العصر الأموي، بأمر من الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه .

نعم تعددت المذاهب الفقهية، وكثر الاختلاف بين أصحابها، لكنْ الاختلاف لم يكن في الأحكام الشرعية العامة والعقائد، لم يكن الخلاف

فيما ثبت صريحاً في الكتاب الكريم، وما حفظوه من السنة ، كانوا متفقين على وجوب أركان الإسلام بأسرها، متفقين على الأحكام العامة كمشروعية الزواج ووجوب المهر فيه وغير ذلك .

نعم. كان الخلاف بين الأئمة في أحكامٍ جزئية فرعية، تتفرع عن الأحكام العامة برُغم هذه الخلافات .

أيها المسلمون . بقيت المذاهب الأربعة، على قوتها وصمودها ونفوذها . واليكم الشخصية الثانية من أئمة هذه المذاهب، فمن هو الإمامُ أبو حنيفة يا ترى .؟ هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ولد سنة ثمانين من الهجرة النبوية، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة، وهو ابن سبعين سنة[1].

تلقى الفقه عن حماد بن أبي سليمان، قال: وكان في زمنه أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ : أنس بن مالك ، وعبدالله بن أبي أوفى، وسهل ابن سعدٍ ، وأبو الطفيل .

هو إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك، وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا اسحق السبيعي وآخرين كثيرين من التابعين ، وكان بالكوفة، فنقله الخليفة أبو جعفر المنصور إلى بغداد، فأقام بها حتى مات، وقبره هناك ظاهر مشهور يزار .

كان ابو حنيفة خزازاً يبيع الثياب، ليأكل من كسب يمينه، وعرق جبينه، وأما جده زوطى فمن (كابل) وهناك أقوال كثيرة في أصل مسقط رأسه، حتى قيل إنه من أبناء فارس ، وأصل نجاح أبي حنيفة وبروزه في الفقه والعلم، أن والده ثابتاً أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو صغير فدعا له بالبركة في ذريته، فاستجاب الله دعاءه .

---

١ ـــ كان من أعبد الناس واكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن ، واكثرهم ورعاً وتقىً ، وتوخياً للكسب من وجه حلال ، قرأ عليه الفقه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منهما الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن وابي يوسف وزفر وربيعة الرأي ووكيع بن الجراح وغيرهم . من كتبه : الفقه الأكبر ، وكتاب العالم والمتعلم ، والرد على القدرية .

أما زهدُه في القضاء، فحدث عنه ما شئت ولا حرج، فقد كلمه ابن هبيره حينما كان والياً، أن يلي قضاء الكوفة، فأبى عليه فضربه أحد عشر يوما مائة وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، فامتنع عن ولاية القضاء، وكان يُضرب يومياً فيأبى، ولقد بكى في بعض أيامه ويقول (من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين)[1] كان يذكر قول رسول الله ﷺ (من ولي أمةً من أمتي قلّت أو كثرت، فلم يعدل فيهم، كبّه الله على وجهه في النار)[2].

دائماً يذكر قول رسول الله ﷺ (إن الله مع القاضي مالم يجر، فإذا جار (أي ظلم في حكمه) تخلّى (الله) عنه، ولزمه الشيطان)[3]، كان الإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، إذا ذكرت سيرة الإمام أبي حنيفة وامتناعه عن القضاء بكى، وترحّم عليه، ولما أراد أبو جعفر المنصور توليته على القضاء امتنع، فحلف عليه فامتنع، فأمر به إلى السجن. والصحيح أن أبا حنيفة مات في السجن، وهو يكتب ويؤلف، وعن الربيع قال: رأيت أمير المؤمنين، وهو المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، والإمام يقول له إتق الله ولا تشرك في أمانتك، إلا من يخشى الله تعالى. والله ما أنا مأمون الخطأ في حالة الرضا، فكيف بي في حالة الغضب .؟ فلا أصلح لذلك. فقال له أبو جعفر: كذبت، أنت تصلح. فقال له حكمت على نفسك، فكيف يحل لك أن تولى قاضياً على رعيتك، وهو كذاب .

أيها المسلمون .

أنظروا بالله عليكم، قارنوا بيننا وبين هؤلاء، انظروا كيف يتداعى الناس في زماننا اليوم على ولاية القضاء. ويرجون ويتمسحون بالأذيال، يتهافتون كتهافت الفراش على النار. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ ــ رواه الترمذي وابو داود عن ابي هريرة بسند صحيح .

٢ ــ لم أره هكذا، ولكن يوجد أحاديث كثيرة في معناه منها : عن ابي الدرداء : ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولة يمينه فكه عدله أو غله جوره، رواه الطبراني، وللإمام أحمد : ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقضي بين اثنين في تمرة واحدة . وقوله يؤتى بالقاضي فيوقف للحساب على شفير جهنم فإن أمر به دفع فهوى فيها سبعين خريفاً .

٣ ــ رواه الترمذي بسند حسن عن عبدالله بن ابي أوفى، وروواه ابن ماجه وابن حبان .

أما سمته ودلّه، فقد كان ابو حنيفة طيبُ الريح، حسن المجلس، كثير الكرم، حسن المواساة لإخوانه. وهو كما قال صاحبه ابو يوسف ومحمد بن جعفر، كان أبو حنيفة كثير التعطر بالرائحة الطيبة، يعرف بريح طيبه، إذا أقبل، وإذا خرج من منزله .

أيها المسلمون .

أما علمه وفضله، فقد قال ابو جعفر المنصور عن من أخذت العلم .؟ فقال عن حماد بن أبي سليمان، وعن الحنفي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس، فقال أبو جعفر بخ بخ، (هنيئاً لك) استوفيت يا أبا حنيفة. أجلّ. هذا عالم أهل الدنيا. قال الفضيل ابن عياض (كان أبو حنيفة فقيهاً معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار. كثير الصمت. قليل الكلام. حتى ترد مسألته في حلال أو حرام .

وعن يحيى بن أيوب الزاهد، قال (كان أبو حنيفة لا ينام الليل)، وقال زافر بن سليمان قال: (كان أبو حنيفة يحيي الليل بركعة، يقرأ فيها القرآن ، وعن أسد بن عمرو قال: صلى ابو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه. وذكر عنه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرةٍ، ولما غسله عند موته الحسن بن عمارة، قال له غفر الله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، الصلوات الخمس يا أبا حنيفة بوضوء واحد، رحمك الله. وعن علي بن عاصم قال (لو وزن عقل ابي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض، لرجح بهم) . أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين ؛ ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾[1] ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

---

١ ـ سورة نوح (١٠) .

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه .

عباد الله . إن المذهب الحنفي أقدمُ المذاهب الأربعة. والذين دوَّنوه أربعون فقيهاً؛ أشهرهم ابو يوسف، ومحمد، وزفر. وقد وصل هؤلاء الثلاثة إلى مرتبة الاجتهاد، إلا أنهم لم يخالفوا في الأحكام العامة، وإنما خالفوه في الفروع الجزئية، وكان ابو حنيفة واصحابه يستكثرون من القياس في الأمور الواقعية. وقد انتشر هذا المذهب في سائر البلاد الإسلامية. ولكن ليس كانتشار المذهب الشافعي .

أيها السادة. هذه نبذة من تاريخ حياة الإمام أبي حنيفة. لتكونوا على بصيرة من أمركم، فلا يخدعنكم الكلام المموه المعسول، بأنهم قادرون على درجة الاجتهاد، وعندكم اليوم من يقول: « نحن رجال وهم رجال » .

سارت مشرقة وسرت مغربـــا
شتانَ بــين مشرق ومغـــــرب

هذا هو المذهب، الذي احتاط للنظافة والطهارة، واهتم بها في الثوب أو المكان، وأسبوعنا هذا أسبوع النظافة فتنظفوا ﴿... ، **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾[1] . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي،أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ألف بين قلوبنا وقلوب الحكام .

---

١ ــ سورة البقرة (٢٢٢) .

اللهم أعزنا بالإسلام، وانصرنا على من عادانا، واشمل الحسين بن طلال برحمتك وتوفيقك يا رب العالمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله اكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة عشرة بعد المائة :

٤ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/٧/١٥

(الإمام مالك بن أنس ومكانته في الأئمة الأربعة، رضي الله عنهم أجمعين)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، ويقيني بك يا الله يقيني، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم لا سَهْلَ إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله الحكيم العليم، علَّم الإنسان مالم يعلم، الحمد لله جعل في هذه الأمة أئمة عاملين، وهداةً مصلحين ، أشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا باتباع السَّواد الأعظم من العلماء العاملين، ونهانا عن الابتداع في دينه الحكيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أمرنا بالتفقه في الدين، لنكون في الأرض عاملين بالطاعة، حيث قال ﷺ (يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار)[2] صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم، من التابعين والأئمة المجتهدين .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

٢ ــ رواه الترمذي في الفتن عن ابن عباس وقال الهيثمي رجاله ثقاة .

أما بعد. أيها المسلمون. فإني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله العظيم وطاعته، وأحذركم من عصيان أمره ومخالفته، مُستغفراً من ذنوبي كلها والآثام، مُذكراً لكم بقول سيدنا رسول الله، عليه الصلاة والسلام (من يُرد الله به خيراً، يفقهه في الدين[1] (وإنما العلم بالتعلم)[2].

أيها المسلمون في زماننا هذا.

لا يزال بحثنا في الأئمة الأربعة المجتهدين، ليعرف كلّ واحد منا قدر نفسه، وقيمة نفسه من العلم والعلماء، وليعلم كلّ منا أن العلم ليس مجرد تبجح وفلسفة بالأقوال. إنما العلم أعمال وأفعال. نعم. أقوال مقرونة بل ممزوجة بالأعمال. كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ ويتنصّل منه، من نُسبَ إليه.

أيها المسلمون.

هذه هي الشخصية الثالثة من أئمة المذاهب الأربعة، ألا وهي شخصية الإمام مالك بن أنس الأصبحي[3]. قدمته لكم ثالث الأئمة ذكراً، لكنه في الحقيقة، ثاني الأئمة مرتبة ومنزلة بعد الشافعي، رضي الله عنهم أجمعين. وإنما قدمت الإمام أبا حنيفة على الإمام مالك، لأن مذهب الأحناف أقدمُ المذاهب الأربعة.

فالإمام مالك، إمام دار الهجرة، وشيخ السنة في عصره، ومذهبه ثاني المذاهب الأربعة في القدم على ما قيل، وأصحابه أهلُ الحديث، كان يرى عمل أهل المدينة المنورة ــ زادها الله وشرّفها ــ سُنّةً متواترة، عن رسول الله ﷺ.

---

١ ــ رواه البخاري عن معاوية بن أبي سفيان.

٢ ــ رواه الطبراني في الكبير : وهو : يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

٣ ــ ولد الامام مالك بالمدينة المنورة سنة ٩٥هـ وتنشأ فيها، وتعلم وتفقه على يد ربيعة الرأي سنة ١٣٦هـ، وتعمق في علوم الدين حتى صار في الحديث حجة، وفي الفقه اماماً، حتى اشتهرت مقولة في عهده « لا يفتى ومالك بالمدينة ». وكانت شمائله وأخلاقه تظهر عند تحديثه بحديث رسول الله. فكان يلبس أحسن ثيابه، ويتطيب ويتوضأ، وكان لا يركب دابة في دار الهجرة، إجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله ﷺ. توفي رضي الله عنه في المدينة المنورة ١٧٩هـ.

أيها المسلم المقلّدُ لمذهب إمامك. نشأ المذهب المالكيُّ بالمدينة المنورة موطِن الإمام نفسه، ثم انتشر مذهبه، في الحجاز ومصر وما والاها من بلاد إفريقيا، والأندلس، وصقلية والمغرب الأقصى، وكثير من الأمصار الإسلامية. لكنه أخيراً ركد ركود الماء في المدينة المنورة. وهي مكان نباتِه، وغلب عليه المذهبُ الشافعي، واستمر هذا المذهب معمولاً به في مصر، إلى أن جاء الفاطميون فأيدوا مذهب الشيعة. لكنّ المذهب المالكي عاد إلى الانتعاش، زمن الملك الناصر لدين الله بحق (صلاح الدين الأيوبي) .

ولم يزل منتشراً هناك، حتى الآن. وأنه أكثر انتشاراً من المذاهب الأخرى، لاسيما في المغرب الأقصى، والجزائر وتونس، وغيرها من البلاد، ويقل انتشاره في البلاد الأخرى، كالعراق والأردن، ومُدُن الحجاز ، إذاً فمن هو الإمامُ مالك، الذي سنتحدث عنه يا تُرى .؟ هو الإمام مالك بن أنس، أو هو أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، وهو الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، وهو من تابعي التابعين ، سمع نافعاً وأبا الزبير والزهري، وخلائق آخرين من التابعين لا يُحصون .

أيها المسلمون .

لقد أجمع كافة العلماء، على إمامة الإمام مالك، وجلالته وعظيم سيادته، والإذعان له في الحفظ والتثبيت، وتعظيم حديث رسول الله ﷺ قال الإمام البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن بن عمر . وقيل أصح الأسانيد الشافعي عن مالكٍ عن نافعٍ عن ابن عمر عن النبي ﷺ وقال الإمام الشافعي عنه؛ إذا جاء الأثر فمالك النجم، ولولا مالك وسفيان بن عيينه لذهب علم الحجاز . وقال وهب بن خالد (مابين المشرق والمغرب رجل آمن على حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، من الإمام مالك[1]).

---

١ ـــ انظر حلية الأولياء (٩/ ٧٠) .

نحن نذكر هؤلاء الأئمة، لعل الله يرحمنا ويفرج كربتنا بذكراهم. أما مناقبه وصفاته رضي الله عنه، فقد رُوِيَ عن أبي سلمة الخزاعي قال (كان الإمام مالكٌ إذا أراد أن يخرج للحديث والدرس، توضأ وضوءَه للصلاة، ولَبِسَ أحْسَنَ ثيابه) وإذا سئل عن ذلك، قال: (إنما أُوقِّرُ به حديث رسول الله، ﷺ) وقال معن بن عيسى (كان مالك بن أنس، إذا أراد أن يجلس للحديث، تطهر وتطيب) وإذا رفع أحدٌ صوته في مجلس العلم، قال لهم يا قوم، قال ربكم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾[1].

أما قال ربكم، لا تُحدثوا رسول الله كما يحدث بعضُكم بعضا.؟ ولا تخاطبوه باسمه ولا كنيةٌ، ولكن خاطبوه حياً وميتا بيا رسول الله، يا نبي الله، خشية بُطلان أعمالكم وعباداتكم، وأنتم لا تشعرون ببطلانها. ثم قال فمن رفع صوته عند حديث النبي ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه. وروى ابن أبي حاتم بإسناده الصحيح، عن الشافعي، رحمه الله قال (ما في الأرض كتابٌ من العلم أكثر صواباً، من موطأ مالكٍ) قال الشافعي هذا القول قبل وجود صحيحي البخاري ومسلم، وإلا فهما أصحُ الكتب المصنفة، وهما أصحُ من موطأ مالك بالاتفاق ، ولما سمع حُمادُ بن زيد بوفاة مالك رحمه الله، رَجّعَل. أي قال (إنا لله، وإنا إليه راجعون) رحم الله أبا عبدالله، ما خلّف أحداً بعده مثله . ولكن عندنا اليوم، ما شاء الله جماعة مجتهدون ..!

هيهات هيهات، أن يأتي الزمان بمثله، وقال آخر والله لا يأتي الزمان بمثله. إن الزمان بمثله لبخيلُ. وقال أبو حاتم الرازي: مالكٌ ثقةٌ إمام أهل الحجاز، وإذا اختلفوا فالحكم لمالك. مالك تقيُّ الرجال، نقيُّ الحديث، وهو

---

١ ــ سورة الحجرات (٢) .

اتقن حديثاً من الثوري والأوزاعي ، وفي أمانته على العلم، قال عبدالرحمن بن مهديٍّ (كنا ذات يوم عند مالكٍ في درسه فجاءه رجل فقال يا ابا عبدالله. جئتك من مسيرة ستة أشهر لسؤالك في العلم، حمّلني أهلُ بلدي مسألةً علمية أسألك عنها. فقال له الإمام مالكٌ، وبعد أن نظر فيها وأنعم وأعمل فكره فيها. سَلْ عن غيرها ما تريد، أما هذه المسألة فلا أدريها .

أيها المسلمون .

إسمعوا بالله عليكم. هذه والله هي الأمانة في العلم بعينها. فالرسول ﷺ يقول (من قال لا أدري فقد أفتى)[1] وقال (لا أدري نصفُ العلم)[2] أما مجتهدو زماننا وعلماؤه، فإنهم يفتون فوراً بلا تفكير، ولا تدبير، ولا تريث، علماً بأن رسول الله ﷺ قال (من أفتى بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار)[3] وقال (أجرؤكم على الفُتيا، أجرؤكم على النار)[4] .

١و٢ــ لم أرها بهذا اللفظ ، وإنما جاء في البخاري في باب ما كان النبي يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول : لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي . لم يقل برأي ولا قياس . وقد جاءه رجل فقال أي البقاع خير .؟ فقال لا أدري . أخرجه ابن حبان وأقرب ما ورد في ذلك حديث ابن مسعود في تفسير سورة ص : من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم .

٣ ــ رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير بلفظ : فمن قال علي مالم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار ، ومن حفظ شيئاً ، فليحدث به . وروى الطبراني عن ابن مسعود : اشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً ، أو قتله نبي ، أو رجل يضل الناس بغير علم . أو مصور يصور التماثيل ، وروى الطبراني أيضاً ، ان الله لا ينزع العلم منكم بعدما اعطاكموه انتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم ، ويبقى جهال ، فيُسألون فيفتون فيُضلون ويضلون . ورواه الشيخان عن عبدالله بن عمر : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً فينزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض ......، حتى اذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوساء جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا واضلوا .

٤ ــ رواه الدارمي عن عبيدالله بن ابي جعفر مرسلاً .

إسمعوا أيها الناس. إسمعوا يا مسلمون. ماذا قال الرجل السائل الذي أتى من مسافة ستة أشهر، يا إمامُ مالك أيُّ شيء أقولُه للناس، إذا عُدتُ لأهل بلدي.؟

اسمعوا، ماذا قال الإمام مالك (قل لأهل بلدك، قال لي مالك لا أدري، ولا أُحسِن) وذلك خير لي من نار الله الموقدة. سُئلت أخت مالك، حيث كانت تُلازم بيته، ما كان شُغلُ الإمام في بيته حال حياته.؟ قالت كتابُ الله يتلوه ويتدبره. كان مشغولاً بدراسة العلم والحديث. يالها من مفخرة. يالها من مَكرُمة. هكذا العلماء يا مسلمون. هكذا العاملون يا مجتهدون. ولكن — ويا للآسف — نحن في زماننا الفاسد هذا، نريد بقصور نظرنا، أن نتجاهل هؤلاء الأئمة، ونقول هم رجال ونحن رجال. نريد أن نعمل مجتهدين ولو بالعافية ببضاعتنا العلمية، التي لا وزن لها في ميدان العلم والثقافة، ولا حساب لها في ميدان الفكر والتخصص، من أمثال هؤلاء الأئمة الأعلام ، رحم الله امرءاً عرف قدره، ولم يتعدَّ طوره ، رحم الله امرءاً عرف نفسه ووقف عند حدودها. قال أبو مُصْعَبٍ وهو معروف عند أهل الحديث (كان الناس يزدحمون على باب مالك، فيقتتلون على الباب من الزِّحام ، وكنا جالسين عند مالك، فلا يُكلم هذا هذا ولا يلتفت ذا إلى ذا، هكذا كأنما على رؤوسهم الطير)[١] .

---

١ — وكانت معاملته لجميع مستمعيه على حد سواء على اختلاف طبقاتهم : فقد أرسل اليه هارون الرشيد أن يأتي إلى قصره ليحدثهم بكتابه الموطأ ، فأرسل إليه الامام مالك : إن هذا العلم عنكم أخذ ، وأنتم اولى بصيانته ، العلم يؤتى ولا يأتي ، فقال الرشيد صدقت ، ثم ركب الرشيد إلى مالك فحبسه ببابه . فقال يا أبا عبدالله لم تأتنا وإذا أتيناك حبستنا بالباب ، فقال علمت أن أمير المؤمنين قصدني إلى حديث رسول الله ﷺ ، فأردت أن أتأهب لذلك فطلب منه أن يقرأ عليه في مجلس خاص به ، فقال الامام اعلم ان الخاص لا ينتفع به ، فنصب له كرسي ، فقعد عليه ، فقال الامام : حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ ، أنه قال من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله . فنزل الرشيد عن كرسيه وقعد على الأرض بين الناس . انظر حاشية الشيخ يوسف الصفتي المالكي ص (١٢) .

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

كانت الحكام في زمن مالك تخشاه وتهابه ، كما كان الحال مع العز بن عبدالسلام ، والإمام الثوري ، وغيرهم من العلماء العاملين . نعم . كانوا يخشونهم ، لأنهم يخشوْن الله ، ويعملون بما يقولون . أما نحن اليوم فليس لنا إلا الطعنُ في هؤلاء السادة الأكرمين . حتى تطاولنا على مقام الأنبياء والمرسلين ، واعتبرناهم جيفة ، كباقي عامة الناس من المخلوقين .

نحن اليوم نتمسح بالأذيال ، لننال رضا مخلوق كباقي مخلوقاته ، ولا نسأل عن خالق الخلق أجمعين . نعم نحن اليوم نتملّق ونتزلف ، توصلاً إلى غرض شخصي ، أو عرض مادي ، أنظروا أيها المسلمون . كيف كان العلماء العاملون .؟ وقارنوا بين زمان وزمان ، وبين رجال ورجال .

انظروا كيف كانوا يجلسون مجالس العلم ، وهم مُصْغون مستمعون !! وعن محمد بن رمح قال : رأيت النبي ﷺ مناماً ــ والرؤيا حقٌ لا مجال فيها لشاكٍ أو مرتاب ــ وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة ، فقلت يا رسول الله (مالكٌ والليثُ بن سعد يختلفان في مسألة علمية ، فأجابه النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله (مالك مالكٌ مالكٌ (ثلاث مرات) ورث حولي إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام .

أما شيوخ مالك . فقد أخذ العلم عن تسعمائة شيخ ، منهم ثلاثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعيهم .

عاش رضي الله عنه من العمر المبارك ، ستاً وثمانين سنة على الأصح ، رحمه الله . وقد قال عند احتضاره وخروج روحه ﴿ ... ، **لله الأمر من قبل ومن بعد ، ...** ﴾[1] .

---

[1] ــ سورة الروم (٢) .

روى مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال (سيكون في آخر الزمان ، ناس من أمتي ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم)[1] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله وحده ، ولا نعبد إلا إياه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . فيا عباد الله . اتقوا الله ربكم . اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . واعلموا أن الشكَّ في العقيدة ، يورث سوء الخاتمة والعياذُ بالله — تعالى ، فاستمسكوا بدينكم ، استمسكوا بأئمتكم — لا تسمعوا لأقوال المرجفين والمضللين ، وصلوا على نبيكم تربحوا وتجبروا وتنصروا ، كما صلى عليه ربه وملائكته في محكم كتابه .

اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

١ — رواه مسلم عن أبي هريرة .

اللهم أعزّنا بالإسلام، وآمنا في الديار والأوطان، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات. اللهم ألف بين قلوبنا وبين قلوب الحكام والقادة، وألهمهم العمل بكتابك وسنة رسولك، يا رب العالمين.

واشمل الحسين بن طلال برحمتك وعفوك، ياذا الجلال والإكرام، ووفقه لأحسن الأقوال، وصالح الأعمال، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السادسة عشرة بعد المائة :

١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/٧/٢٨

« رابع الأئمة الأربعة المجتهدين الإمام أحمد بن حنبل الشيباني »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على عبدك وحبيبك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي ثناء عليك، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، ذي الفضل والكرم، الحمد لله، وليّ النعم، ذي الرحمة الشاسعة الواسعة الشاملة، جعل لنا في مذاهب أئمتنا رحمة واسعة، وأمدّنا بأنوارهم وإرشاداتهم الساطعة. وعلى آله وصحبه وتابعيه، ذوي الهمم العالية الرفيعة النافعة .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكُفْراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، ولَيحْلِفُنَّ إنْ أردْنا إلاّ الحُسْنَى ، والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً، لَمَسْجِدٌ أُسِّس على التقوى من أول يوم أحَقُّ أنْ تقومَ فيه، فيهِ رجال يُحبُّون أن يتطهَّروا، والله يحبُ المطَّهّرين. أفَمن أسَّس بُنيانَه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أمْ مَّن أسَّس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنّم، والله لا يَهدي القومَ الظالمين. لا يزال بنيانُهم الذي بَنوْا رِيبَة في قلوبِهم إلاّ أنْ تَقطَّع قلوبُهُم، والله عليم حكيم** ﴾[1].

أيها المسلمون .

سبب نزول هذه الآيات بنيُّ عمرو بن عوف، لما قاموا ببناء مسجد قباء، وتعاونوا مع رسول الله ﷺ وسلم في تأسيسه ورفع بنائه، طلبوا من رسول الله بعد اتمامه أن يصلي فيه، فاستجاب لذلك فقويت دعوته، وكثرت جماعته، فجاشت نار العداوة والبغضاء في نفوس أخْوال بني عمر حَسَداً من عند أنفسهم، فبنوْا لهم مسجداً خاصاً قريباً من مسجد قباء، وانتظروا أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب، متى قدم من الشام. فنزلت هذه الآية في حقهم، تعلمهم بأنهم ما بنوْه وما رفعوه وما أسسوه إلاّ مُضَارَّة للمسلين، لتشكيكهم في دين محمد ﷺ ودعوته. أجلْ. تظاهروا بنفاقهم ودَجلهم، أنهم بُناةُ دين، ودعاة إصلاح، وهداة أمة. وهم في الحقيقة والواقع ما بنوْه الا لتفريق كلمة المسلمين، وتمزيق وحدتهم. نعمْ. ما بنوه إلا ترصُّداً وترقبا لحضور من حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الذي رأت جماعته أن يكون إماماً وقيما لمسجدهم. ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ما قصدوا من بناء قباء الا خيراً عاماً للمسلمين. وإذا سألت

---

١ ـــ سورة التوبة (من الآية ١٠٧ ـــ الآية ١١٠) .

هؤلاء الضالين، عن أسباب بناء مسجد آخر بجانبه، قالوا ﴿ **إنْ أردنا الا الحسنى** ، ... ﴾[1] يعني أنهم ما أرادوا إلا خيراً. لكنَّ الله رد عليهم بأبلغ رد بقوله ﴿ ... ، **والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾[2] وهكذا حال دعاة حُب الظهور، والسمة والرياء، وهكذا شأن دعاة الاستغلال. وهكذا الانتهازيون دعاة الاجتهاد، لايجاد إسلام جديد، في زمن علم الذرة. روى ابن حيان في الصحيح، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نهى أن يتباهى الناس بالمساجد. أو في المساجد).

أيها المسلمون .

نحن والله في زمان عجيب وغريب. انقلبت فيه الموازين الصحيحة والقيم الصحيحة. انقلبت فيه الحقائق، وتغيرت فيه حقيقة الاسلام، فصار الاسلام في زماننا عرضا للأهداف والمصالح الدنيوية، والأغراض المادية الشخصية لا غير. ولكن لكل زمان خوارجه، ولكل فرعون موسى، ولكل جبار قهار، والناس مجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. دخل الخوارج المخالفون لأهل السنة والجماعة، في زمن علي بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله ﷺ وهو باب مدينة العلم. دخلوا عليه أثناء ارشاده للناس في المسجد، ورفعوا أصواتهم في المسجد، كما هو حالهم، وقالوا يا عليّ أحكم لنا بالاسلام، وهم بعيدون عن الاسلام. فأجابهم قائلا أنا لا أحكم إلا بالاسلام، إنها كلمة حق، أردتم بها باطلا . واليوم يريدون أن يعملوا لنا مجتهدين، ونحن والله نقرأ كتبهم ولا نفهمها .

أيها المسلمون .

إن للدين الاسلامي، الأثر المحمود في حياة الأمم، بما حث عليه من خصال الخير، فإذا تمسك كل بدينه ومذهبه، فإنه يحيا حياة سعادة وهانئة.

---

١ ـــ سورة التوبة (١٠٧) .

٢ ـــ سورة التوبة (١٠٧) .

يعيش حياته مصون العرض، ناعم البال، باجتنابه محارم الله. أمينا على ما يُستحفظ من علم وأمانات واموال. وما يُسنِد إليه من أعمال، صادقاً في أقواله لا يفتري على غيره، ولا يختلق الحيل والأكاذيب، صابراً على ما يصيبه من نوائب الزمان، مقداماً مثبتا رجولته في ميدان الحياة، لا يتزعزع .

أجل أيها المسلمون .

لو أن دعوة محمد ﷺ أثرّت في نفوس أعدائه. لو أنها أثمرت في قومه، لو أنهم ساروا في إسلامهم ــ بني عمرو بن عوف ــ لدخلوا مسجد قباء مع رسول الله وأصحابه، وصلوًا فيه. ولكن إنه العناد. إنها الكبرياء. إنهم شاكون في عقائدهم. ما بنوه إلا للتفرقة وإثارة الضغائن والأحقاد. من أجل هذا قال الله لنبيه ﴿ **لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسّس على التقوى من أول يومٍ أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهّرين** ﴾[1] هكذا يا مسلمون تصنع المسائل الخلافية. كَبُرَ العجائب تفرق بين الموحدين والمتوحدين .

فكــل شــيء أمره في ليــن
إلا اختــلاف واقــع في الديـــن
يا ليتنـــا عدنا لديـن واضــح
ديـن السماحــة والتقى والليـــن

أيها المسلمون .

إليكم الامام أحمد بن حنبل، وهو الرابع من مجتهدي هذه الأمة ، إنه الامام البارع، المجمع على جلالته وإمامته وورعه وزهادته، هو أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسيد بن إدريس بن عبدالله بن عوف، يتصل نسبه بنسب النبي ﷺ من ربيعة بن نزار بن مَعَد بن عدنان الشيباني المروزي، ثم البغدادي، ولد ببغداد، ونشأ بها إلى أن توفي بها[2] .

---

١ ــ سورة التوبة (١٠٨) .

٢ ــ ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ. ونشأ يتيماً ، وطلب الحديث لستة عشرة سنة ، وقد كثرت رواته وعرفت ثقاته ، فجاب الأقطار الاسلامية في تلقيه وجمعه ، حتى حفظ ألف ألف حديث (يعني مليون حديث) ، تنخل منها أربعين ألفاً ، فدونها في المسند . وهو من اصحاب الشافعي وصفوة تلاميذه ، توفي سنة ٢٤١هـ فشيعه ثمانمائة ألف رجل ، وستون ألف امرأة من المسلمين ، رضي الله عنه .

إن الأمام أحمد دخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة والجزيرة، أما شيوخه فهم سفيان بن عينيه وابراهيم بن سعد ويحيى القطان وخلائق لا يحصون، وروى عن إبراهيم الحربي أنه قال (رأيت ثلاثة لم نر مثلهم أبدا؛ أبا عبيد القام، وما مثله إلا بجبل نفخ فيه الروح ، وبشر بن الحارث، وما مثله الاّ برحل عجن من فرقه إلى قدمه عقلا. أما أحمد بن حنبل، فقد جمع الله عز وجل علم الأولين. وروى عن أبي زرعة أنه قال: (ما رأيت أحفظ من أحمد بن جنبل، وقال أيضا، حزرت كتبه اثنى عشر حملا، وعن أبي عبيد قال: انتهى العلم إلى اربعة، وهم أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وقال أبو زرعة أيضا، كما قال فيه سابقاً (ما رأيت أحداً أكمل منه، اجتمع فيه زهد وفقه وفضل، وقال قتيبه: أحمد الحنبلي إمام الدنيا. وقال الامام الشافعي (ما رأيت أعقل من أحمد ابن حنبل. ما رأيته يميل الى التبذير والاسراف، ولو في حجه وسفره، وقال الميموني: ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة من أحمد بن حنبل، ولا أشدّ اتباعاً للسنن منه، وقال ابن أبي حاتم: قال التوركاني أسلم يوم وفاة أحمد بن حنبل عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس، ساروا في جنازته مع مئات الألوف من المسلمين، ولقد كان مأتمه موزعاً بين أربعة أنواع من الملل، لشدة حزنهم عليه، بالنظر لما كان عليه من علم وفضل، وزهد وورع[1].

أيها المسلمون في زماننا هذا. إن أحوال الامام أحمد ومناقبه، أكثر من تحصى وتحصر[2]، ولد رضي الله عنه في شهر ربيع الأول، سنة اربع وستين ومائة، وتوفي ــ رحمه الله ــ ضحوة يوم الجمعة، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، سنة احدى واربعين ومائتين. يعني أنه عاش من عمره المبارك سبعاً وسبعين سنة. ودفن ببغداد، وقبره مشهور، يزار ويتبرك به. هكذا قال الامام النووي في ترجمة حياته ومماته، فيكون لهذه الأمة إمامان جليلان في بغداد،

١ ــ ومعروف كيف امتحنه الله سبحانه وتعالى في عصر الرشيد والمأمون ودعي الى القول بخلق القرآن فأبى فضرب تسعة وعشرين سوطاً حتى تقطر دمه وغاب رشده واعتل جسده وظل صامداً على الحق.

٢ ــ من مناقبه وفضائله: انه كان عابداً يعبد الله ليل نهار، وكان متمسكاً بالرواية وتصدى لمجادلة المتكلمين ومناضلة الفلاسفة ولذلك قال عنه الامام الشافعي خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه ولا ازهد ولا اورع ولا أعلم من ابن حنبل وقال قتيبة احمد إمام الدين وقال ابراهيم الحربي كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين رضي الله عنه.

وارجعوا إلى تاريخ دمشق، تجدوا فيه عدة جمل متكاثرة، وكرامات باهرة، ظهرت في حياته وبعد مماته .

وأثبتن للأولياءِ الكرامـــة وَمَنْ نفاها فانبُذَنْ كلامَه

أيها المسلمون . إن مذهب السادة الحنابلة، نشأ ببغداد وانتشر فيها، حتى القرن الرابع الهجري. وروى الثُقاةُ، أنْ أحمد بن حنبل كان متفانياً في محبة سيدنا رسول الله ﷺ خلافا لمن يدعون أنهم يسيرون على مذهبه ــ إنه بفضل الله ــ بعيد عن معتقداتهم، وإنكارهم بالتوسل برسول الله ﷺ كل البعد، شاع مذهبه وذاع في القرن الرابع، لا سيما في بغداد وبلاد نجد، وتأخر ظهوره بمصر، حتى القرن السابع. وهذا المذهب قليل في البلاد العربية الأخرى. كثر في الحجاز، وجميع أهل نجد حنابلة. لكن الكثير منهم ينكرون التوسل برسول الله، ﷺ الذي أقرّه أهل السنة والجماعة .

هؤلاء هم الأئمة الأربعة. إنهم صفحة تاريخية مشرقة مؤيدة بالأقوال والأعمال، لا بالشقْشِقة والهذيان. أيها الناس. ها أنتم أولا سمعتم ما كانوا عليه، فمتى اتفق هؤلاء الأئمة على حكم شرعي، وجب على المسلمين اتباعه، ولا تسوغ مخالفته، إلا إذا كان من الخوارج، الذين خرجوا على أهل السنة والجماعة، لأن الأئمة أعلم منا بمقاصد الشريعة، فلا يتفقون على الخطأ، لقوله عليه الصلاة والسلام (امتى لا تتفق على الضلالة)[1] وقال الشيخ محمد حبيب الله، المحدث الشهير والعالم النّحرير، إن هؤلاء الأئمة هم أولو الأمر منا بعد الله ورسوله وأصحابه، الذين أمرنا باتباعهم، في قوله جل وعلا ﴿**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأَطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردُوهُ إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله**

---

١ ــ روى الامام أحمد عن ابي بصرة قال رسول الله ﷺ ، سألت ربي أربعاً ، فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة . سألت الله عزوجل أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها ، وروى أيضاً عن أبي ذر ، عن رسول الله ﷺ إثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة ، فإن الله لم يكن ليجمع أمتي إلا على هدى ، وقال : ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء .

واليوم الآخر، **ذلك خير وأحسنُ تأويلا﴾**[1]. هكذا ورد في زاد المسلم، فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، حتى قال في شرحه، إنهم آباؤنا في الدين. هذا واني لا أزال أقول لكم، لولاهم لضللنا أجمعين .

أجل أيها المسلمون. إنهم كانوا متبعين لرسول الله لا مبتدعين. لا يكفرونَ الناس ولا يقولون بشركهم. لا يدعون العصمة من الخطأ. إن أحمد بن حنبل، الذي تعطر المنبر اليوم، وتعطر المسجد بقدره، لا يكفر الناس لأتفه الأسباب، ولا يمنعهم من الصلاة على النبي ﷺ والتوسل به، وهو يعلم قوله ﷺ من كفر مسلماً فقد باء بها. واليكم أقوال هؤلاء الأئمة المأثورة عنهم سجلها لهم التاريخ، بمداد الفخر والاعجاب والاعتزاز، قال الإمام مالك (إنما أنا بشر اخطىء وأصيب، فانظروا ما في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة من ذلك فخذوا به، والا فاتركوه. ثم قال كلمة تدل على أن رسول الله ﷺ حيٌ طريٌ في قبره، قال الامام مالك، وكان بجانب قبر رسول الله (كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلام صاحب هذا القبر. وأشار بيده إلى حجرة النبي ﷺ التي دفن فيها).

وقال الامام أبو حنيفة (لا ينبغي لمسلم الأخذ بأقوالي، حتى يعرضها على الكتاب والسنة) وقال الامام الشافعي (إذا رأيتم قولي مخالفاً لما روى من الحديث، فاضربوا به عرض الحائط. وقال هذان الامامان (إذا صح الحديث، فهو مذهبي) وقال الامام أحمد بن حنبل، رحمه الله (لا تكتبوا عني شيئاً حتى ترجعوا إلى أصله. يعني الكتاب والسنة) هؤلاء هم أئمتكم يا مسلمون **﴿...اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير،...﴾**[2]. هؤلاء الذين سبقونا بتحرير وتدوين مقاصد هذا الدين، لم يتركوا شاردة ولا واردة، الا محصوها وذكروها ، انهم ليسوا مجتهدي مذهب، ولا مجتهدي فتوى. وإنما كل واحد منهم يعتبر مجتهداً مطلقاً، وإماما بارعاً في مذهبه،

---

١ ـــ سورة النساء (٥٩) .
٢ ـــ سورة البقرة (٦١) .

والله الهادي الى سواء السبيل . استغفروا ربكم، لي ولكم وللمسلمين أجمعين، وتوبوا اليه. أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، له الكمال وحده، وله الفضل وحده، وهو على كل شيءٍ قدير. وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، دعا الناس إلى التفقه في دينهم، ليحول بينهم وبين عذاب السعير. صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه .

عباد الله. اتقوا ربكم وراقبوه. اتقوا ربكم وآمنوا به. اتقوا الله واتبعوا الهداة المهتدين، لتكونوا غداً مع الصادقين المتقين. اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه. تمسكوا بدينكم. تمسكوا بمذاهبكم، واتركوا الشطط والخروج على أهل السنة والجماعة، وصلوا على نبيكم، يزدكم إيمانا .

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. اللهم أعز الإسلام والمسلمين . اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، وباعد بيننا وبين الفتن الظاهرية والباطنية . اللهم الف بين قلوب القادة والحاكمين، واهدهم إلى العمل بكتابك وسنة رسولك، يا أكرم الأكرمين، واشمل الحسين بن طلال برعايتك وعنايتك وهدايتك، وهيِّيء له بطانة صالحة، تأمر بالخير يا أرحم الراحمين .

﴿ ...، وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السابعة عشرة بعد المائة :

١٦ رجب ١٣٩٢هـ
١٩٧٢/٨/٢٥

(إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن)

أحمدك، يامن وسعت كل شيء رحمة وعلما، يامن بيده مقاليد الأمور ومقادير الخيرات كلها، يامن إليه يرجع الأمر كله، يا فتاح يا عليم، افتح لنا فتحاً قريبا، وأصلي وأسلم على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله، أمرنا بالإخلاص في العمل، والجهر بالحق، أينما كنا. حمّلنا أمانة العلم، ونهانا أن نقف مواقف الضعف. حذرنا من العجز والكسل، والتباطؤ في العمل ، الحمد لله يعز المجاهرين بالحق، ويعلي شأنهم إلى الدرجات العُلى تفضلاً منه وتقديراً ويأخذ بالمخادعين والمنافقين إلى أسوأ الدركات، جزاءً وفاقاً، كما قال سبحانه ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[٢] .

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .
٢ ـــ سورة النساء (١٤٥) .

كلّ امرئٍ بما كسب رهين ، أشهد أن لا إله إلا هو ، يعلم ما نظهر وما نبطن، وما نخفي وما نعلن، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، وصفيُّه وخليله، جهر بالحق وأعلى شأنه. لم تأخذه في الله ولا في الحق لومة لائم، ولا بغيُ باغ، ولا مَعْتبةُ عاتب ، صلى الله عليه، اتخذ الصراحة في الحق دَيْدَناً وسبيلاً، حتى انتصرت دعوته، واتخذ التزام الصدق منهجاً ودليلاً، فتمّت له الكلمة على الطغاة والجبارين، المذبذبين المداهنين ، فرجعوا بالخزي في الحياة الدنيا ، والعذاب في الآخرة، فصلوات الله وسلامه على هادي الخلق ، وعلَم الحق سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن سلك سبيله وهداه .

أما بعد . قال فقد عزّ من قائل ﴿ **ولو أرادوا الخروجَ لأَعدُّوا له عُدّةً ولكنْ كَرِهَ الله انبعاثهم فثبّطَهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضَعُوا خِلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعونَ لهم، والله عليم بالظالمين** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

بينَّ الله في هذه الآية الكريمة، صفاتِ الشاكين والمرتابين والمترددين في الشهادة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، بين صفاتِ هؤلاء المتخلفين عن الجهاد، وأنهم هم الذين قال في حقهم، في الآية السابقة ﴿ **إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ﴾[2] .

بين لرسوله، أن هؤلاء وأمثالهم، لو أرادوا الجهاد فعلاً، وصدقوا به، لهيأوا له سلاحاً قاطعاً لعدوهم، لا لأنفسهم، لاتخذوا أهبةً من الآلة والزاد، ولكن ما رغبوا في الجهاد ولا أحبوه، حرصاً على حياة ذاهبة زائلة، كما هو

---

١ ــ سورة التوبة (٤٦ ــ ٤٧) .

٢ ــ سورة التوبة (٤٥) .

شأن المنافقين المرائين، من أجل هذا كَرِهَ الله خروجهم، لأنه يعلم الكذب المستقرَّ في قلوبهم، لقد ثبَّط عزائمهم وأعاقهم عن الخروج، فأوقع في قلوبهم حُبَّ الترف والدَّعة، فاطمأنت نفوسهم، واستخذت قلوبهم أمام عدوهم، لذلك قيل لهم، اقعدوا مع القاعدين من المرضى والعجزة والصبيان، والقواعد من النساء . ثم بين سبحانه وتعالى، أنهم لو خرجوا فيكم، أي معكم فعلاً، ما زادوكم إلا فسادا، ولأسرعوا بينكم بإيقاظ الفتنة، وإيجاد التميمة والهزيمة بين صفوف المؤمنين، لا يبغون من وراء ذلك إلا إبعاد الناس عن الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة الله ، ومع هذا، فإنه يوجد بينكم سماعون، سماع قبول، لما يقولون بإلقائهم أنواعاً من الشبهات الموجبة للضعف، والتراجع والتقهقر .

وبعد . فيا أيها المسلمون . هذا ما قاله ربكم، وقد رددناه مراراً وتكراراً، فلا مغيث ولا مجيب . يا أمة الإسلام . لقد ملأنا الجو نداءً عبر السنوات الماضية، منذ الاحتلال الصهيوني لأول مرة، منذ خمس وعشرين سنة، وحق كان نداؤنا من روابي فلسطين الجريح . كان نداؤنا في كل بلد؛ في يافا وحيفا وغزة وصفد وبيسان وعكا والرملة واللد والقدس والخليل، وأخيراً حيث حلَّت نكبة الاحتلال سنة سبع وستين، حيث ناديت من على منبر المسجد الأقصى، والآن من على منبر المسجد الحسيني في عمان .

انطلقت تلكم الصيحات في الهواء، فكانت عند المسؤولين والنواب والحاكمين هباء ﴿ **ما عندكم ينفدُ، وما عند الله باقٍ، ولنجزين الذين صبروا أجرَهم بأحْسَنِ ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

نعم . أيها المسلمون . قلنا وقال غيري من الخطباء والمدرسين، قلنا كثيراً، وما فعلناهُ قليلاً، تحركت للحق شفاهُنا، وما تحركت قلوبنا . ذهبت

---

١ ــ سورة النحل (٩٦) .

ضحايانا وشبابنا وأموالنا، فلم نعتبر ولم نتعظ، ولا زلنا منغمسين في شهواتنا. بينا للناس الحرام من الحلال، قلنا للناس الربا حرام، والخمر حرام، وقتل النفوس المؤمنة حرام، والنفاق حرام، والكذب حرام، فلم يعبأ أحد بأقوالنا. أقوالٌ تبخرت في الهواء والفضاء. قلنا التبرج والتبهرج حرامٌ، مُعَلِق مُفسدٌ مزعج، ولكن لم تتضافر على قمعه جهود العلماء لدى الحاكمين والمسؤولين. لم تعالج هذه المشكلة الأخلاقية حتى اليوم، وأخيراً ابتلينا بالخنافس والخُنفسات. والأدهى من ذلك كلّه اختلاط الجنسين، في النوادي والمجتمعات، والملاهي ومسابح الماء، وغيرها.

وهناك أفراح ومكبرات في المخيمات، تقام على حساب جماجم الشهداء. كل ذلك يا قوم بعد حوادث الاحتلال. بعد طردنا من بلادنا ومقدساتنا. بعد حوادث ايلول المشؤومة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما تعلمون ياناس، بأن الخنافس أصبحت خطراً يهدد كيان الأمة، بهذا الاختلاط الشائن المُريب.؟ أما تعلمون بأننا أصبحنا لا نُميِّز بين الذكر والأنثى، ولا بين العربي واليهودي، ولا غيره.؟ أما تعلمون بأن هذا الزِّيَّ، وهذا اللباس قد يخفى على كثير من الناس، فيدخل البلد أفرادٌ من العدو، فيقضون على الأخضر واليابس لاسمح الله، هذه الأعمال بعد الكوارث والملاحم، لقد عادت إلينا التمثيليات الجنسية المروِّعة، القاضيةُ على الأخلاق، بفظاعتها وبشاعتها.

منذ أيام يا أمة الإسلام، منحت حكومتنا الرشيدة رخصةً لفتح بارٍ، أي خماره بجوار مثوى أبي عبيدة عامر بن الجراح، رضي الله عنه، الذي يلتقي مع رسول الله ﷺ في نسبه في الجد السابع، وهو فِهرُ بن مالك

وهو أمين هذه الأمة ، جاء من الحجاز قائداً لحملةٍ ضد الكفر والطغيان، وهو قريب من هذا البلد، مقامه في غور بيسان، كتب الله له الشهادة بالوباء هناك، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، مع رسول الله ﷺ وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (إن لكل أمة أميناً[1] وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح. أنضع بعد ذلك خمارة بجوار أمين هذه الأمة.؟ تالله إن ذلك يعتبر تحدياً واستفزازاً، لشعور المسلمين، نددنا بالأحزاب وأضرارها، وما تجره على الأمة من بلاء، فلم يسمع لندائنا، حتى وقعت الطامة الكبرى .

يا مسلمون .

الساكت عن الحق شيطان أخرس. فكيف نسكت على منكرات.؟ ومن العجيب أن البعض من ضعفاء الإيمان يقول هذا، يريد أن يُقيمَ الدين في مالطة، وهذا يقول حامل الدين على اكتافه، استهزاءً واستخفافاً ﴿ ...، **صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يعقلون** ﴾[2] .

فوالله ما أضاع هذه الأمة إلا غفلتها، وإعراضُها عن دينها ، واستهتارها بالقيم الإنسانية، ألم يسمعوا قول الله تعالى ﴿**لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون**﴾[3]؟ وقول ربهم ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون** ﴾[4].

وهناك آيات كثيـــرة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أين أنتم يـــا علمـــاء المسلمين في كل زمان ومكان، من قول رسول الله ﷺ

---

١ ـــ انظر الخطبة السادسة والخمسون فيها تفصيل عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

٢ ـــ سورة البقرة (١٧١) .

٣ ـــ سورة المائدة (٧٨ ـــ ٧٩) .

٤ ـــ سورة آل عمران (١٠٤) .

(من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[١] فإزالة المنكرات باليد، إنما هي للحاكم وحده، إذ هو الوالي القادر على إزالة المنكرات، ولو شيئاً يسيرا. نعم. قادر بيده، بتشريعه، بأوامره، بسنِّ قانونٍ، ببلاغ يَردَعُ المجاهرين بالفسق. يقول عليه الصلاة والسلام (مامن عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ رعيته، إلا حرَّم الله عليه الجنة)[٢] وفي رواية لم يُرَحْ رائحة الجنة. وأما إزالة المنكرات باللسان، فهي من وظيفة العلماء، الذين يجهرون بكلمة الحق، فلا تأخذهم فيه لومة لائم.

أيها المسلمون.

هذه المنكرات، ومنها مسابح الماء، نُشرت في الصحف اليومية. وقد أُعلن عن الخمارة عند أبي عبيدة، والإعلانات يومية عن الملاهي، بكل وضوح، وهناك إعلانات في الحب والغرام، تُنشر تباعاً من غير حساب. هذا بعض ما وقع في بلد دينه الرسميُّ الإسلام. وهناك نشرات التبشير والإلحاد والتضليل، تداهَمُ بها البيوت بشتى الوسائل والمغريات، في بلد الحسين الذي ينتسب إلى رسول الله ﷺ.

ناشدتك الله يا حسين، أن تسير وراء جدك المصطفى ﷺ فهل من وثبة هاشمية، وغيرةٍ حُسينية، تمنع اختلاط الجنسين.؟ يا ابن بنت رسول الله، هذا جدكم يقول (لتستحِلَنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر، باسمٍ يسمونها إياه)[٣] إن العلماء هم أولى الناس بالاتصال بالحاكم والمسؤول، ليبينوا ما عليه هذا البلد من منكرات وموبقات. فهذا جدكم ﷺ يقول (من وَلِيَ من أمر الناس شيئاً، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة)[٤].

---

١ ـ متفق عليه.

٢ ـ متفق عليه من حديث معقل بن يسار.

٣ ـ رواه الامام احمد والضياء المقدسي عن عبادة بن الصامت بسند حسن.

٤ ـ رواه الامام أحمد بسند جيد والترمذي بلفظ: « ما من امام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، إلاّ أغلق الله تعالى ابواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته ».

أيها الناس .

نحن لا ندعو الناس أن يلازموا بيوتهم، فلا يخرجوا منها للترفيه والنزهة. نحن لا ندعوهم إلى الضغط على الحريات . إن وسائل الترفيه والترويح عن النفس كثيرة، يمكن للإنسان بأخذ أهله في مكان أمين، بعيد عن خائنة الأعين، بغير اختلاط الجنسين، وبغير المنكرات، التي يحسبونها من أنواع الحياة والإنعاش لهذا البلد، ويعتبرونها من المدنية والحضارة .

نعم إن بلدنا يحيا بالإنتاج، والتمسك بأهداب الفضيلة، والتحلي بمكارم الأخلاق ، إن هناك أشخاصاً معدودين من الوصوليين والانتهازيين، لا يريدون خيراً لهذا البلد، فيتألمون من البحث في هذه المشكلات .

إن بلدنا يعيش ويحيا بالعلم والعمل، بتقويم الأخلاق ، فتقوم النفس بالأخلاق المستقيمة ، حياة هذا البلد أن تكون كلمة الحاكمين نابعةً من صميم دستورنا وقرآننا، وهدي نبينا، وتراثِ آبائنا وأجدادنا .

إننا يا مسلمون. مهما تعالت صيحاتنا. وارتفعت أصواتنا، فلا بد لنا من دعم الحاكم. لأنّ النبي ﷺ يقول (إن الله ليزعُ بالسلطان، أكثرَ مما يزَع بالقرآن)[1] استقرار هذا البلد بتعزيز الدولة لكلمة العلماء، الذين يخشون الله ويخافون عذابه، لا للذين يربطهم كرسيٌّ أو مركزٌ أو جاه، أو محسوبية أو وجاهة .

يقول ﷺ (السلطان ظل الله تعالى في الأرض، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فان عدل كان له الأجر، وكان على الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم، كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر[2] .

---

١ — مرّ تخريجه .

٢ — رواه الديلمي في الفردوس ، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب بسند ضعيف .

أيها المسلمون .

لقد ساد هذا المجتمع الفاسد، فوضى أخلاقية عارمة، برزت منها أعمال لا إنسانية، ولا أخلاقية .

أما العقيدة، فعدا عن دعاة التبشير والإلحاد، ظهر في الآونة الأخيرة جماعة تدعو الناس إلى التشكيك في رسولهم، رسول الله نفسه، في جاهه ومقامه، والصلاة عليه . يريدون أن يحملوا الناس على ترك مذاهبهم، ليعملوا باجتهادهم مذهباً جديداً يلائم العصر الحديث، غيرَ ما ارتضاه الله ورسوله، فلا حول ولا قوة، إلا بالله العلي العظيم .

يقول عليه الصلاة والسلام (من زنى، أو شرب الخمر، نزع الله منه الإيمان، كما يخلعُ الإنسان القميص من رأسه)[1] . أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه . ادعوا الله .

* * * * *

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، وأشهد أن لا إله إلا الله، دعانا للعمل بالتنزيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حذرنا من أهل البغي والتضليل، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين .

عباد الله . اتقوا ربكم وتوبوا إليه، لعلكم تفلحون . كم طالبنا حكوماتنا المتعاقبة على الحكم، بإزالة بعض المنكرات، ولكنها بمعزلٍ عن السمع، فتركتها حتى تراكمت وتجسمت، لضعف الوازع الديني في نفوس الناس أجمعين . يقول ﷺ (لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهونّ عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[2] .

---

١ ــ رواه الحاكم عن أبي هريرة ، وقال الذهبي اسناده جيد .

٢ ــ رواه الطبراني في الأوسط ، والبزار في مسنده ، والخطيب بسند ضعيف .

اتقوا الله حق تقواه. وراقبوه مراقبة من يتقيه. وصلوا على نبيكم، تعظيماً له وتكريماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبيّ ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأعلِ راية الحق والدين.

اللهم ألف بين قلوبنا، اللهم ألف بين قلوب الحاكمين، واجمع بين كلمتهم على كتابك وسنة نبيك، يا أرحم الراحمين. ونسألك اللهم ان تشمل الحسين بن طلال، برعايتك وتوفيقك وعنايتك. اللهم هيِّئ له بطانة صالحة مؤمنة، صادقة تحثه على الخير، وتباعده عن الشر، يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ **... ، وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦).

٢ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثامنة عشرة بعد المائة :

٢ رجب ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/٨/١١

« أدعياء الاجتهاد في زمن الإلحاد والفساد »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، وعلى آله وصحبه ذوي الود والوفا. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله العليم الحكيم، ذي الفضل العظيم ، أشهد أن لا إله إلا الله، يظهر الحق ويخفي الباطل، كما قال : ﴿ **وقل جاءَ الحقُّ وزَهَق الباطل، إن الباطل كان زهوقا** ﴾[٢] .

وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، إمام المهتدين وقدوة العالمين، وعلى آله وأصحابه، نجوم الهداية، ورجوم المعتدين، وعلى التابعين لهم، ممن سلكوا سبيلهم، فكانوا هم الأئمة المجتهدين .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

٢ ــ سورة الاسراء (٨١) .

أما بعد : فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهُدى ويتّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين نولّهِ ما تولّى ونُصْلِه جهنّم، وساءت مصيرا ﴾[1] .

أيها المسلمون .

إن الله جلت حكمته، بعث رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كره الكافرون، وأيده بأصحاب كرام بررة أوفياء، ليأخذوا عنه ما نُزّل إليهم مفصلاً، فكانوا نجوم الهدى وشموس العرفان، يهتدي بهم المهتدون، ويستمد من أنوارهم الجاهلون، صلوات الله وسلامه عليه، وعليهم أجمعين .

أيها المسلمون في زمن الفساد والإلحاد .

لقد ظهر في هذا الزمان، الذي قلّ فيه العلم، وذلّ وكثر فيه الجهل، وحلّ جماعات ضئيلة، وشرذمة قليلة، لعب بهم الشيطان، وسول لهم أعمالهم، فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق، حتى زعموا أنهم أعلم وأفقه من الشافعي ومالكٍ وأحمدَ وأبي حنيفة النعمان، حتى نشأ من دعواهم بلبلةٌ في الأذهان، واضطرابٌ في العقيدة .

أيها المسلمون .

لقد بينتُ لكم آنفاً، فضل الأئمة الأربعة، ومكانتهم من الدين، وأزيدكم اليوم علماً بصفحة جديدة، من أقوال العلماء والمحدثين والعارفين. قال العلامة ابن حجر في كتابه الفتح المبين، الموافق لإجماع الأمة، إن المذاهب الأربعة صحيحة، وإنها على الحق، وقد أيد هذا الحافظ السيوطي ، وقال الإمام الشعراني، في كتابه الميزان (إن الأمة الشريفة قد أقبلت على هذه

---

١ ـــ سورة النساء (١١٥) .

المذاهب، وأجمعت على تلقيها بالقبول، وجرت على ذلك عصور المجتهدين، مع علمهم به، وعدم إنكارهم له، حتى استقر أمر الأمة على العمل والانتفاع به. ثم قال إنها باقية، ولا تزال معمولاً بها. فلو كانت غير صحيحة، لذهبت وتبخرت مع الزمن. معاذ الله. ولذهبت جُفاء، وقال (أقوال الأئمة على هُدىً من ربهم، وكل قول منها موافق للشريعة. وقال السيد مصطفى البكري، في كتابه «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد».

أخبرني شيخنا محمدٌ الخليلي، قال (كنت أعمل على مراعاة المذاهب، واتبع محل الإجماع منها، ولا آخذ بالأقوال المختلف فيها، فأعمل بما عليه الإجماع. فرأيت رسول الله ﷺ مناماً، فقلت يا رسول الله، هل العمل بالمتفق عليه من شريعتك أولى، أو المختلف فيه .؟ قال: فانتهرني رسول الله ﷺ (كأنه) لم يرض بهذا السؤال، ثم ألهمت، فقلت له، فهمت مرادك يا رسول الله، الكلّ من عند الله، فقال عليه الصلاة والسلام، هكذا قل) ومن شك في الرؤيا ومكانتها في الدين، فليرجع إلى بدء الوحي في فتح الباري. وجاء في الميزان أيضاً، قوله: (ومن نازع في ذلك، فهو جاهل بمقام الأئمة) وقال الأستاذ علي الخواص (لا ينبغي لمقلدٍ، أن يتوقف في العمل بقول من أقوال الأئمة، لأنه سوء أدب في حقهم. وكيف ينبغي التوقف عن العمل، بأقوال قد بُنيت على صحيح الأسانيد.؟ والرسول ﷺ لا يخبر الا بالواقع، لعصمته من الظن والباطل ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾[1] وقال الخواص نفسه (كلّ من نور الله قلبه، وجد مذاهبهم كلّها متصلةً برسول الله ﷺ).

أيها المسلمون.

هناك جماعة متعصبون لرأيهم، يقولون لا نسلم إلا بالقرآن فقط. وقد ورد أن رجلاً قال لعمران بن حُصين رضي الله عنه، لا تتحدث معنا إلا

---

١ ـــ سورة النجم (٣).

بالقرآن، فقال له سيدُنا عمران: إنك لأحمق، هل في القرآن بيانُ عدد ركعات الصلاة، فقال لا. فأفحمه عمران بن حصين. وجاء في الحديث الصحيح (ألا وإني أوتيت القرآن، ومثله معه)[1] وهذا ردٌّ آخر على المانعين.

وورد أنه ﷺ قال (من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه، جاء مع القرآن. ومن تهاون بالقرآن وحديثي، خسر الدنيا والآخرة)[2] وفي هذا إشارة إلى أن الحديث لا يفارق القرآن، وأنهما كشيءٍ واحد. والعمل بالسنة عمل بالقرآن، قال القاضي عياض في الشفاء، قال أمير المؤمنين وخليفة المسلمين العادل، عمر بن عبدالعزيز، رضي الله تعالى عنه، وهو من الفقهاء الأعلام، سنّ رسول الله ﷺ وولاة الامور بعده سُننا، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، وقوةٌ على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من يخالفها. من اقتدى بها فهو مقتدٍ، ومن انتصر بها فهو منتصر، ومن خالفها، واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولىّ، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا، لأنهم لا يقولون شيئاً من عند أنفسهم، وإنما يقولون ما رووه عنه ﷺ أو ما استنبطوه، من الكتاب والسنة، وما حصل عليه الإجماع[1].

---

١ ـــ ولذلك قال الإمام الشافعي هارون الرشيد، عندما قال له وكيف بصرك بسنة رسول الله ﷺ، فقال له الشافعي: إني لأعرف منها ما يخرج منها على وجه الايجاب، ولا يجوز تركه، كما لا يجوز ترك ما أوجبه الله تعالى في القرآن، وما خرج على وجه التأديب، وما خرج على وجه الخاص، لا يشرك فيه العام، وما خرج على وجه العموم يدخل فيه الخصوص، وما خرج جواباً على سؤال سائل ليس لغيره استعماله، وما خرج منه ابتداءً لازدحام العلوم في صدره، وما فعله في خاصة نفسه، واقتدى به الخاصة والعامة، وما خص به نفسه دون الناس كلهم، مع مالا ينبغي ذكره، لأنه أسقطه عليه الصلاة والسلام عن الناس وصفه ذكرا، فقال له الرشيد أخذت الترتيب يا شافعي لسنة رسول الله ﷺ، فأحسنت موضعها لوصفها.

أيها المسلمون .

إن ابن حزم الظاهري، هو الذي فتح باب الطعن في الأئمة الأربعة، وقد انتهى أمره إلى أسوأ الأحوال. والعياذ بالله تعالى[1] .

يا إخواننا المسلمين .

نعم . الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان . وهذا ردٌّ على من يخيَّل إليه أن شريعة الإسلام رجعيةٌ غير صالحة لكل زمان ومكان . ردٌّ على من يعتقد أن القوانين الوضيعة مرنةٌ ، تقوم على رعاية المصالح . ومعلوم أن مصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً . والقول الصحيح الثابت الأكيد ، أن الشريعة الإسلامية تُساير كل عصر ، وتحفظ مصالح كلّ جيل . ولما كان التشريع الإسلامي يعتمد في معظم أحكامه على الاجتهاد ، فلا بد من البحث فيه ، لنعلم عظمة علماء الشريعة . وأنهم كانوا هُداةً مصلحين .

فالشريعة عامة دائمة . لا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل ، ولا جيلٌ دون جيل . إن القضايا الفقهية واسعةُ المدى . تسير مع الزمن سيراً حثيثاً ما دام القياس مُضافاً إلى مصادر التشريع ، واجتهاد الأئمة الأربعة ، وفَّر على هذه الأمة تعباً ونصبا واختلافاً ، هم في غنىً عنه . فدعوى الأجتهاد في زماننا هذا ، مهما كانت ظروفها وحوادثها ، لا يلتفت إليها ، ولا يعول عليها .

---

١ ـــ واجزم على التحريم أي جزم ... والرأي أن لا يتبع ابن حزم
فقـــد ابيحت عنده الأوتار ... والعود والطنبـور والمزمار

إن الاجتهاد قد انقطع منذ مئات السنين، باتفاق علماء المذاهب، الذين يعول عليهم. وهم سادة الأمة وحماة دينها، ولم يبق للمسلم إلا أن يتبع مذهباً من هذه المذاهب .

قال الإمام المناوي في شرحه على الجامع الصغير، قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيثمي لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد، وناهيكم بالجلال فهو أحد الجلالين (السيوطي والمحلي) وناهيكم بالجلال علماً وفضلا وقضاء، فلما حاول بلوغ درجة الاجتهاد، أنكر عليه معاصروه من العلماء. فكتبوا له، فرد إليهم الجواب من غير كتابة، واعتذر عن ذلك، مع أنه ادعى الاجتهاد في الفتوى، الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد. فما بالكم بالاجتهاد المطلق، الذي يدعيه اليوم أدعياء العلم والفلسفة والعرفان .؟!!

وقال ابن الصلاح، وهو معروف من رجال الإمام النووي، قال: انقطع الاجتهاد من نحو ثلاثمائة سنة، وقيل من ستمائة سنة. وهو من أهل القرن السادس. وقيل من ألف سنة، لأن ابن حجر من أهل القرن العاشر. ذلك لأن الاجتهاد كان في نهاية القرن الثالث الهجري، ونقل ابن الصلاح نفسه عن بعض الأصوليين، أنه لم يبق بعد عصر الشافعي مجتهدٌ مستقلٌ. وقال الأئمة في الرُّوياني صاحب البحر، إنه لم يكن من أصحاب الوجوه، وهو الذي قال: لو ضاعت نصوص الشافعي، لأمليتُها من صدري. فكيف بنا ونحن لا نفهم أكثر عباراتهم، وما يرد عنهم على وجهها، فأين أنتم يا مدعي الاجتهاد .؟

﴿... **سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾[1] وجاء في كتاب الأنوار، ان القوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد اليوم. وقال عالم الأقطار الشامية بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق، هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا، في شخص

---

١ ــ سورة النور (١٦) .

من العلماء. بل لا يوجد على وجه البسيطة مجتهد مطلق. بل ولا مجتهد في مذهب. لأن الله أعجز الخلائق، إعلاماً منه لعباده بقرب قيام الساعة. وقال شيخ الأصحاب الإمام القفال: إن من يقوم بشرائط الاجتهاد، أعزُّ وأندر من الكبريت الأحمر، فكيف بمجتهدي اليوم، ونحن في عصر الشهوات والملذات.؟! عصر الشدائد والخلافات والكربات. عصر الفتن التي تذَرُ الحليم حيران. فلا يستطيع عالم، مهما كانت أعصابه ومعلوماته، أن يفكر بحل مسألة، أو يستنبط مسألة، إلا وقد أضاع مسائل، بالنظر لما يسمعه ويراه. فأين هو الصفاء، بينا كان الواحد من العلماء السابقين، يقضي ليله ونهاره في طاعة ربه، فلا يكتب مسألة من مسائل العلم، إلا بعد الطهارة والاستخارة. كان الحكم والحاكم، يساعدان العالم على الضبط والتأليف، يشجعانه ويدفعانه، لأن الحُكم كان حكما إسلاميا خالصاً. وقال في الوسيط، شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي حسين، قد تعذرت في عصرنا هذا. وهذا قبل مئات السنين.

أيها المفتون لِـــمْ لا تستفيـــق

وتـــرى ما أنت فيـــه من وسَنِ

اتبـــع واسلك سبيـــل الحُنفـــا

من سعى في نهجهـــم لم يُفتَـــنِ

هـــم بقـــول الله كانـــوا أعرفـــا

مِـــن سواهـــم بمعـــاني السُّنَن

روى الإمام أحمد وغيره، عن أبي أمامة، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما ضلَّ قوم بعد هُدَىً كانوا عليه. وفي رواية بعد (هَدْيٍ) إلا أوتوا الجدل)[1] ثم تلا هذه الآية ﴿...بل هم قوم خصمون﴾[2]

---

١ ــ رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي امامة، وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي.

٢ ــ سورة الزخرف (٥٨).

وقال عليه الصلاة والسلام (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)[1] رواه الحاكم عن أنس . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، ويا فوز المستغفرين . أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * *

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله .

أما بعد . فإن التمسك بالشريعة وسيلة للنصر على الأعداء، فتمسكوا أيها الناس بدينكم، وارجعوا إلى سالف مجدكم، واتقوا الله ربكم، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم . أولئك هم الفاسقون . إرجعوا إلى كتاب ربكم وسنة رسوله، لعلكم تهتدون . وصلوا على نبيه تعظيماً له وتكريما **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾**[2].

وارض اللهم عن سادتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الاحياء منهم والأموات . اللهم اعز الإسلام والمسلمين. وأعل بفضلك كلمة الحق والدين. اللهم الهمنا رشدنا وسدد خطانا. اللهم باعد بيننا وبين الفتن الباطنية والظاهرية، يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على الايمان. اللهم الف بين قلوب القادة والحاكمين، ونسألك اللهم أن تشمل الحسين بن طلال برعايتك وتوفيقك .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[3] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ وسنده ضعيف ، ورواه السجزي في الإبانة .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة عشرة بعد المائة :

٣٠ رجب ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/٩/٨

(الوعظ لا يؤثر في الناس، ما دام السلطان لا يؤيد دعوة الداعين)

أحمدك ربي على ما أنعمت به وأوليت، أحمدك، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك من المعاصي كلها، ما علمت منها ومالم أعلم، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، حبيبك وصفيك؛ من أرسلته رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾(١).

* * * * *

الحمد لله، كتب العزة والكرامة لمن أطاعه، والسعادة لمن سمع فوعى، وخاف وخشي الملك الأعلى سبحانه، وهو على كل شيء قدير ، قضى بالذلة والهوان على من عصاه ، وهو العزيز الحكيم ، أشهد أن لا إله إلا الله الحكيم العليم، يهدي من يشاء ويُضِلُّ من يشاء ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، والداعي إلى الصراط المستقيم. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه القويم، بإحسان إلى يوم الدين .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى ﴿ ... ، **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ، ... ﴾[1] .

أيها المسلمون في زمن اللهو واللعب والعصيان. أخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، أنه لا يغير ولا يبدل ما حلّ بقوم ونزل فيهم، حتى يقع منهم تغييرٌ، إما منهم أو من واليهم وحاكمهم أو ممن هو منهم، بسبب. كما غيرّ الله بالمنهزمين يوم أحد، بسبب تغيير الرماة أهدافهم بأنفسهم، الى غير ذلك من أمثلة الشريعة. فليس معنى الآية أنه لم ينزل بأحدٍ عقوبة الا بسبب ذنب منه، بل قد تنزل المصيبة بذنوب الغير، كما نزلت بنا في الأموال والأولاد بذنوب غيرنا. كما قال ﷺ حينما سئل (أنهلك وفينا الصالحون .؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم . إذا كثر الخبث أو الخبث نعم)[2] ﴿ ... ، **وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له، وما لهم من دونه والٍ** ﴾[3] أجل إذا أراد الله بقوم سوءاً أعمى أبصارهم، حتى يختاروا ما فيه البلاء ويعملوه، فيمشون إلى هلاكهم بأنفسهم، بسبب تهاونهم في دينهم، وتفريطهم في أحكام دينهم .

لقد كانت الأمة الاسلامية، فيما مضى، عاملة بكتاب ربها، مطبقة أحكامه، عاملة بسنة نبيها، صحيحة في عقيدتها، صالحة في أعمالها ، راقية في مداركها وآدابها وأخلاقها وعلومها، ولذا ومن أجل هذا كانت عزيزة الجانب، قوية الشوكة، جليلة، مهيبة، صاحبة السلطان والصولة والدولة، على من عاداها. ولكنها اليوم — ويا للأسف — تغير أمرها وتبدل حالها، واختلت عقائدها، وفسدت أعمالها، وساءت معاملاتها وعاداتها، في زيها وملابسها وهيئتها، وتقاليدها، جهلت أمر دينها ودنياها، تأخرت في علومها ومعارفها وصناعتها، ونجحت في تقليد الأجانب، فيما قضى على أخلاق امتنا . ويا ليتها قلدت الأجانب في علومها وتقدمها ورقيّها من أجل هذا صارت

١ — سورة الرعد (١١) .
٢ — رواه الترمذي عن عائشة .
٣ — سورة الرعد (١١) .

ذليلة الجانب، مهيضة الجناح، ساقطة الكرامة، فاقدة الهيبة، مغلوبةً على أمرها، متأخرة في مرافق حياتها، تتخبط في ظلمات الجهل والجهالة والطغيان، تنقاد للخرافات والشعوذة والتضليل والبطلان. من هنا سلط الله على هذه الأمة من أعدائها من لا يخاف الله ولا يرحمها. وكانت كما قال سبحانه ﴿... **فما كان الله ليظلمهم ولكنْ كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[1] وما ذلك إلا لأنها ضلّت سبيل الهداية والرشاد، وسارت وراء هواها، وفتنت بزخارف الحضارة المزيفة، والمدنيّة الخادعة الكاذبة. ظنت هذه الأمة المسكينة الاباحية حرية، والخلاعة رقيا، فتعدت حدود العقل والمنطق والاسلام، حتى اغضبت خالق الأرض والسماء، فساءت حالها، وسلط الله عليها عدوها، وكما حذر وأنذر سبحانه ﴿...، **فليحذَر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم**﴾[2].

أيها المسلمون .

لقد ذاقت هذه الأمة وبال أمرها، وتجرّعت مرارة الذلة والهوان، من جرّاء تصدع الصفوف، والانحلال. كل ذلك نتيجة حتمية لازمة، لعدم استقامتها وانحرافها عن الصراط السوي ﴿...، **ألا إلى الله تصير الأمور**﴾[3]. كل ذلك يا مسلمون واقع بنا، ونحن في غفلة ساهون، لا ننزجر بالمحن والبلايا، ولا نتعظ بما أصابنا وأصاب غيرنا، ولا نعتبر بحوادث الأيام.

تالله، لو كان للناس نفوس حية، وقلوب واعية، لو كان لنا شعور حيٌّ وإحساس قوي، لأيقظتنا المؤلمات المفجعات. الدين يا أخي عقيدة صحيحة، فلا يجوز أن تؤمن بجزئية منه، وتكفر بالأخرى. فهو كل لا يُجزأ ولا يتجزأ، ولا يساوم عليه. قل لي فهل أنت سليم العقيدة قويم الأخلاق.؟ قل لي بربك، هل ما نحن عليه اليوم من سوء المعاملة، وتهتك النساء، وفساد الأخلاق، يعتبر من تعاليم الدين المحمدي، الذي ارتضاه ربنا لنا دينا.؟

---

١ ــ سورة التوبة (٧٠) .

٢ ــ سورة النور (٦٣) .

٣ ــ سورة الشورى (٥٣) .

هل من الدين أن يكون المرء كاذبا محتالا أو مرائياً مختالا.؟ هل من الدين أن يكون العالم العامل، السائر على نهج الشريعة المحمدية، جباناً هيَّاباً لا يقول كلمة الحق.؟ هل من الدين أن يرى المنكر بعينه، ويسمع به، وهو صامت ساكت لا يتعدى القصص، والمواعظ الفاشلة.؟ هل من الدين أن يكون الرجل مهملاً لأسرته وعائلته، هاجرا لرحمه وأقاربه، عاقاً لوالديه.؟ مغتاباً أو نماماً أو لعاناً.؟ هل من الدين أن يكون جاحد القلب، لا يُكرم يتيما، ولا يرحم يتيماً، عاقاً لوالديه.؟ والله تعالى يقول ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحسانا ...**﴾[1].

ما هذا الفساد في أمة شعارها الاسلام، ودستورها الاسلام، ودينها الرسمي الاسلام.؟ وأساس دينها القرآن.؟ ما هذا التدهور الخلقي في أمة رسولها سيد الأنام.؟ أتحكمت الشهوات في النفوس فأفسدتها.؟ أم تسلطت الأهواء على العقول فأعمتها وأصمتها.؟ فنبذت الفضيلة، واعتنقت الرذيلة ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[2].

أيها المسلمون. يقول رسول الله ﷺ (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، أنه كان الرجل يلقى الرجل، فيقول يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد (أي ثاني يوم) وهو على حاله، فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)[3] ثم قال رسول الله بعد حديثه ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ...**﴾[4] إلى أن قال ﴿**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، ...**﴾[5].

---

١ ـــ سورة النساء (٣٦).

٢ ـــ سورة محمد (٢٤).

٣ ـــ رواه ابو داود عن عبدالله بن مسعود وبقيته: كلا والله لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو تقصرنه على الحق قصراً. ورواه اصحاب السنن الأخرى، بألفاظ متقاربة.

٤ ـــ سورة المائدة (٧٨).

٥ ـــ سورة المائدة (٧٩).

والآخرة معكم يا مسلمون، ويا حاكمون، ويا آمرون، ويا ناهون . لقد تحدثنا كثيراً، وكثيراً، ولكن دون جدوى.

اسمعوا بالله عليكم، حتى أضرب إليكم مثلا، لو يُصور إليكم حالنا .

لو أن أية حكومة، أو أية دولة، أمرت شعبها ورعيتها، وقالت له إفعل كذا وكذا. ولكنّ هذه الرعية لم تسمع، ولم تفعل شيئاً، ولم تنفذ أمرها. وأنا الان من على هذا المنبر، لا أعين حكومة من الحكومات ولا أقصدها، فلو أن الرعية لم تمتثل أمر حاكمها. فماذا يكون جزاؤها أمام أي حكومة.؟ جزاؤها أن تعاقب أشد العقوبة. وإذا كانت الدول العربية والاسلامية مخالفة أمر ربها، وقد فرطوا في دينهم ومقدساتهم، فماذا يكون جزاؤهم عند الله.؟ الجواب يكفي أن الله سلط على هذه الدول بشعوبها، من لا يخاف الله ولا يرحمها . تفشت المنكرات في كل مكان، وحكوماتنا ساهية لاهية . لقد ترك الحبل على غاربه. وقد سكت العلماء عن القيام بواجبهم. حتى أصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مُعضلاً لا فائدة منه. فجميع طبقات الأمة بلا استثناء، أصبحت بمعزل عن السمع والدين. فالدين في واد والأمة في واد. ولذلك ليعلم الجميع من الان، ولتعلم الدول العربية بأسرها، أننا من الآن فصاعداً سوف نقتصر بعد اليوم على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقط، إذ لا نستطيع أن نغير شيئاً من هذه الفواحش، حتى تغير حكوماتنا نفسها هذا الواقع السيء، فإننا والله لا نجد مصر أم الجامع الأزهر، ولا سوريا صاحبة الجامع الأموي، ولا بغداد قلعة الصمود، لا نجد واحدة منها تحتكم الى كتاب الله وسنة رسوله. وصدق الله العظيم ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يُضلّ، وما لهم من ناصرين** ﴾[1] وقال ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء ، ...** ﴾[2] قال عليه الصلاة والسلام لتركبن سنن من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو أن

---

١ ـــ سورة النحل (٣٧) .

٢ ـــ سورة القصص (٥٦) .

أحدهم دخل جحر ضبٍّ لدخلتم، أو لدخلتموه. وحتى لو أن أحدهم أتى امرأته في الطريق، لفعلتموه[1]. أو كما قال. استغفر الله لي ولكم، ادعو الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

★ ★ ★ ★

الحمد لله، أعان على تبيان الحق، وأعز القائل به، وحذر من إتيان الشر، ونهى عنه. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله عن الأمة المحمدية خيراً، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله. لقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزُّبى، فالكل ينظر الى المعاصي، كأنه مطمئن إليها وراض عنها، وكان ولاة الأمر في كل مكان لا يسمعون، ولا يعنيهم الأمر، وكان قول الله ورسوله يخرج جزافا، دون وزن أو تقدير.

اتقوا الله أيها الناس. لتسألن عما كنتم تعملون. صلوا على رسول الله تعظيماً له وتكريماً. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه. اللهم عاملنا بما أنت له أهل، ولا تعاملنا بما نحن له أهل. اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ولا تسألنا عن قصورنا في أمرك ونهيك، وأعزنا بدينك، كما أعززت شأن المسلمين الأولين، ووفقنا لما تحبه وترضاه من القول والعمل.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[2].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ رواه الحاكم عن ابن عباس، وقال صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري ومسلم بدون قوله حتى لو أن أحدهم جامع امرأته ....

ولفظ الحديث عند الحاكم، ولو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه.

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة العشرون بعد المائـة :

١٤ شعبان ١٣٩٢هـ
١٩٧٢/٩/٢٢

(عظة الهَدْي الآلهي والهَدْي النبوي)

الحمد لله، أمرنا بالخير والجهر بالحق، وحثنا عليه ونهانا عن الشر، وحذرنا من اقترابه. أشهد أن لا إله إلا الله، المطلع على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فجزاه الله عن الأمة المحمدية خيراً. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد. أيها المسلمون. فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين، في سورة نوح ﴿ **إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أَنذر قومَكَ من قبلِ أن يأتيهم عذاب أليم** ﴾[١] الآيات إلى قوله ﴿ ... ، **لو كنتم تعلمون** ﴾[٢] ثم قال ﴿ **قال ربِّ إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً. فلم يَزِدهمْ دُعائي إلا فِرارا. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوْا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارا. ثم إني دعوتهم جهاراً. ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا** ﴾[٣] .

وقال نبينا ورسولنا، سيدنا محمد ﷺ (يوم من إمام عادل، أفضل من عبادة ستين سنة. وحَدٌّ يقام في الأرض بحقه، أزكى من مطر أربعين صباحاً)[٤] .

---

١ ــ سورة نوح (١) .
٢ ــ سورة نوح (٤) .
٣ ــ سورة نوح (من الآية ٥ إلى الآية ٩) .
٤ ــ رواه الطبراني في الكبير باسناد حسن .

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: (كنا عند رسول الله ﷺ فقال: كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس.؟ وأعوذ بالله أن تكون فيكم، أو تدركوهن، وما ظهرت الفاحشة في قوم يعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم. وما منع قوم الزكاة، الا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان، والأخذ بالسنين معناه القحط وغلاء الاسعار، وهو واقع بنا باليوم. ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله، الا سلط عليهم عدوهم، فاستنفدوا بعض ما في أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه، الا جعل الله بأسهم بينهم)[1].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

* * * * *

الحمد لله، الذي لا يغير ما بقوم من البر والخيرات، حتى يغيروا ما بأنفسهم، من معالم التقوى ومآثر الطاعات، سبحانه وتعالى، لا ينزل الوبال إلا على أهل الفسوق والفساد. أشهد أن لا إله إلا الله وحده، له الحجة البالغة الدامغة، على من أعرض عن النصيحة والموعظة، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المؤيد بالآيات البيّنة الواضحة. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الأمجاد.

وبعد. فيا أيها المسلمون.

قال تعالى، على لسان نوح عليه السلام، وربنا سبحانه أصدق القائلين ﴿... ربّ إنهم عصوْني واتبعوا من لم يزده مالُهُ وولدُهُ إلّا خسارا. ومكرُوا مكراً كبّارا﴾[2] ثم قال تعالى بعد هذه الآيات في السورة نفسها ﴿وقال نوحٌ ربّ لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديّارا﴾[3]

١ — رواه البيهقي والحاكم بنحوه من حديث بريرة، وقال صحيح على شرط مسلم.
٢ — سورة نوح (٢١ — ٢٢).
٣ — سورة نوح (٢٦).

﴿ إنك إن تذرهم يُضلوا عبادَك ولا يَلدوا إلا فاجرا كفّارا ربِّ آغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزدِ الظالمين إلا تَبارا ﴾[1] .

اتقوا الله عباد الله، وراقبوه مراقبة المتقين . ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة نوح (٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .
٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والعشرون بعد المائة :

٢٨ شعبان ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/١٠/٦

- ١ -

(عظة الكتاب والسنة)

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، مصلياً ومسلماً على رسوله وحبيبه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه سيدنا محمد ﷺ ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي جعل شهر رمضان زمانَ إحسان وغفرانٍ ورحمةٍ ورضوان، وأشهد ان لا إله إلا الله، يضاعف عمل المسلم، الحسنةَ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فسبحانه وتعالى، وهو أكرم الأكرمين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسولهُ، حيث قال: (للصائم فرحتان، فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه، ولخُلُوفُ فيه «أي فمِهِ» أطيب عند الله من ريح المسك)[٢] صلى الله عليه إذ بشرنا بشهر رمضان، وقال (شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرةٌ، وآخره عتق من النار)[٣] وعلى آله وأصحابه البررةِ الأطهار .

---

١ ــــ سورة طه (٢٥ ــــ ٢٦ ــــ ٢٧ ــــ ٢٨) .

٢ ــــ رواه مسلم ، ونَصُّه : كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي ، وأنا اجزي به ، يدع شهوته وطعامه من اجلي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه . ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

٣ ــــ فقرة من حديث سلمان الطويل في فضل الصوم ، وأوله : يا أيها الناس قد اظلكم شهر عظيم مبارك ... الحديث . وقد مرّ بكماله سابقاً ، رواه ابن خزيمة في صحيحه .

أما بعد، فيا عباد الله. قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين.

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكم الصِّيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أيّاماً معدوداتٍ، فمن كان منكم مريضاً أو على سَفَر فعِدّةٌ من أيام أُخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمنْ تَطوَّع خيراً فهو خيرٌ له، وأنْ تصوموا خيرٌ لكم، إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، فمنْ شهد منكم الشهر فليصمه، ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخرَ، يريدُ الله بكم اليُسرَ ولا يُريد بكم العُسرَ ولتكملوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يَرْشُدُون. أُحِلَّ لكم ليلة الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نسائكم، هُنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنَّ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم، فالآن باشروهنَّ وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفَجْرِ، ثم أتموا الصيام الى الليل، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد، تلك حدود الله فلا تقربوها، كذلك يُبيِّنُ الله آياتِهِ للناس لعلَّهُمْ يتَّقون ﴾[1].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ، كفرّ ما قبله)[2] وقال ﷺ من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقضه صوم الدهر كلّه)[3].

وقال ﷺ وسلم (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[4].

١ ـ سورة البقرة (من الآية ١٨٣ ـ إلى الآية ١٨٧).
٢ ـ رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي، عن ابي سعيد الخدري.
٣ ـ رواه الأربعة والامام احمد في مسنده، عن أبي هريرة.
٤ ـ رواه البخاري والترمذي وابو داود وابن ماجه وأحمد، عن أبي هريرة.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، وللمسلمين أجمعين ، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

الحمد لله، يعلم ما نُخفي وما نعلن، وهو العليم بذات الصدور. أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الله، وحذَّر وأنذر وجاهد وكافح، وصبر وصابر ورابط حتى كتب الله له النصر المبين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآل كلٍّ، وصحب كلٍّ، أجمعين .

وبعد. فيا أيها المسلمون. لا تستغربوا مما أقوله لكم في خطبنا الحاضرة، فلكل مقام مقال، ولكل زمان دولة ورجال. إسمعوا قول ربكم في كتابه، واسمعوا تاريخ حياة الرسل مع عباده. قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **يس. والقرآنِ الحكيم. إنَّكَ لمن المُرسَلين. على صراطٍ مُستقيم. تَنزيلَ العزيزِ الرَّحيم. لِتُنْذِرَ قوْماً ما أُنذِرَ آباؤُهُم فهُم غافِلون** ﴾[١] .

ومعنى هذه الآيات بصورة موجزة (وحق القرآن الفائض بالحكمة العالية، والحجج الدامغة، إنك يا محمد لمن عبادنا المرسلين، الذين نرسلهم للأمم لهدايتهم. إنك والله على صراط مستقيم واضح، من التوحيد ومكارم الأخلاق، منزلٍ من عند الله العزيز الرحيم، لتنذر يا محمد قوماً ما أُنذر آباؤهم مثل إنذارهم، فهم غافلون عن مثل هذه الأمور، غارقون في لجج الجهالة، وفي معمعان الموبقات والعصيان، يحسبون أن الحياة لا تعدو ما هم عليه؛ من مظاهر الحياة الشهوانية، والملذات الحيوانية، ولذلك قال سبحانه بعد هذه الآيات ﴿ **لقد حَقَّ القولُ على أكثرهم فهم لايؤمنون. إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهيَ إلى الأذقانِ فهم مُقمحون. وجعلنا من**

---

١ ــ سورة يس (من الآية ١ ــ الى الآية ٦) .

بين أيديهم سَدّاً ومن خلفهم سَدّاً فأغشيناهم فهم لا يُبصرون. وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾[1] بعد ذلك قال له لا تنذر إلا من يخافنا ويخشانا، ويحسب حسابنا، فقال ﴿ **إنما تُنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، فبشّرهُ بمغفرةٍ وأجرٍ كريم** ﴾[2] .

قال رسول الله ﷺ (جُعِلت الذِّلةُ والصَّغارُ على من خالف أمري)[3] وفي رواية جعلته الذلة والصغار على من خالف أمري وقال ابن شهاب بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا خطب .

أيها الناس . كلُّ ماهو آتٍ قريب، لا بُعدَ لما هو آتٍ[4] ، ولا يعجل الله لعجلة أحد، ولا يخفُّ لأمر الناس ، ما شاء الله، لا ما شاء الناس ، يريد الله شيئاً ، ويريد الناس شيئاً ، ما شاء الله كان، ولو كره الناس، ولا مُبعِدَ لما قرّب الله، ولا مُقرِّبَ لما بعَّد الله، ولا يكون شيء، إلا بإذن الله .

★ ★ ★ ★ ★

عباد الله. اتقوا ربكم الذي خلقكم، وإليه ترجعون. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[4] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

---

١ ـــ سورة يٰس (من الآية ٧ ـــ ١٠) .

٢ ـــ سورة يٰس (١١) .

٣ ـــ فقرة من حديث طويل ، وهو خطبة لرسول الله ﷺ ، أوله : أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ... الحديث وقد ذكر كاملاً .

أما الزيادة لا بعد لما هو آت فليست منه .

٤ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، والف بين قلوب المسلمين، وقادتهم وحكامهم أجمعين، يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا.

اللهم إنا نسألك، أن تلهم الحسين بن طلال، العمل بكتابك وسنة رسولك، واشمله بعنايتك يا أكرم الأكرمين. اللهم هيِّئ له بطانة خير، تحضه على الخير، وتنهاه عن الشر يا رب العالمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثانية والعشرون بعد المائة :

١٣ رمضان ١٣٩٢هـ

١٩٧٢/١٠/٢٠

- ٢ -

(عظة الكتاب والسنة)

أحمدك ربي، على نعمك وآلائك، مصلياً ومسلماً على أشرف رسلك وأنبيائك، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه بصدق ولائه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، العليم بما في الكون من حوادث وخطوب، البصير بما حلّ بالمسلمين من شدائد وكروب، الخبير بحالنا، نحن الأمة العربية الإسلامية من دعاة الحضارة والتجديد، كما يزعمون ، والله أعلم بما يدّعون، وما يضمرون . أشهد أن لا إله إلا هو، يقلّبُ الليل والنهار، ويغيّرُ العالم من حال الى حال ، فيضعُ أمماً، قد بغت وطغت وتجاوزت في حدودها ، ويرفع أمماً أخرى، جدّت وجاهدت ، يُذل من اغتر بجبروته وقُواه ، ونسي خالقه ورازقه ومولاه، يُعِزُّ من اعترف بذنبه، ولجأ إلى ربه. وقد أخذ هذا الإنسان يتبصر مواضع ضعفه ، سبحانه، لا إله إلا هو، العزيزُ الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، أدّبه وكمّله وجمّله، فكان عين الكمال. وأعطاه

---

[1] ـ سورة طه (٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨) .

سيف الحق ليصول به ويجول، ولا تأخذه لومةُ لائم فيما يقول ، أجل قضى ﷺ بسيف الحق هذا على الطغاة والبُغاة الأنذال، الذين يستحلّون حُرَم الإسلام ، ويعيثون في الأرض بالفساد والإذلال ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين دافعوا عن الحق حتى اعتز وظهر، وللطاغين والظالمين قهر ، أولئك هم أصحاب رسول الله وآل بيته، الذين أخذوا رضي الله عنهم، يعملون على هدم صروح الباطل، حتى ذل. فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . يقول الله سبحانه وتعالى، وهو أصدق قائل ﴿ **قُل مَن ربُّ السمواتِ والأرض قل اللهُ ، قل أفاتخذتم من دونه أولياءَ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضَرًا، قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلقُ عليهم، قل اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ وهو الواحد القهار. أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقَدرِها فاحتملَ السيلُ زَبَدَاً رابياً، ومما يوقدون عليه في النارِ ابتغاءَ حِليةٍ أو متاع زَبَدٌ مِثْلُهُ، كذلك يَضرِبُ الله الحقَّ والباطلَ، فأما الزَّبد فيذهب جُفاءً، وأمّاما ينفع الناس فيمكُثُ في الأرض، كذلك يضربُ اللهُ الأمثالَ** ﴾[1] .

أيها المسلمون .

في هذه الآيات البيِّنات الواضحات، أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمشركين، ويسألهم ﴿ **قُل مَن ربُّ السمواتِ والأرض ...** ﴾ ؟ ثم أمر الله نبيَّه، أن يقول : هو الله. إلزاماً للحجة، إن لم يسمعوا منه وجهلوا، مَنْ هو الله . قل أفا تخذتم من دونه أولياء .؟

١ ـــ سورة الرعد (١٦ ـــ ١٧) .

وهذا يدل على اعترافهم ظاهرياً، بأن الله هو الخالق، وإلا لم يكن للاحتجاج بقوله ﴿ ... **أفاتخذتُم من دونه أولياء ...** ﴾ معنى دليله : قوله في آية أخرى ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرضَ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ ليقولُنَّ الله ، ...** ﴾[1] أي فإذا اعترفتم بوحدانيته، فلم تعبدون غيره .؟! وذلك الغير، لا ينفع ولا يضر ، وهذا إلزام صحيح .

ثم ضرب سبحانه وتعالى، لهم مثلاً للمؤمن والكافر، فقال ﴿ ... ، **قل هل يستوي الأعمى والبصير ، ...** ﴾ .؟ سيقولون لا قل لهم فكذلك لا يستوي في الدرجة والمنزلة الكافرُ والمؤمنُ ، فالمؤمنُ هو الذي يُبصر الحق ، ويتبعه والمشركُ هو الذي لا يبصر الحق، وإن أبصره لا يتبعه ولا يهتم به ، ثم ضرب مثلاً آخر فقال ﴿ ... **أم هل تستوي الظلماتُ والنور ، ...** ﴾[3] أي ليس الشرك والإيمان في المنزلة سواء ، وهذا مَثَل الإيمان والكفر والزيغ والإلحاد .

ثم قال سبحانه ﴿ ... ، **أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلْق عليهم ...** ﴾[4] وهذا من تمام الاحتجاج، على الكفرة والجاحدين والملحدين. يعني أنهم ينسبون لآلهتهم أنهم يخلقون خلقاً كخلق الله، فاختلط الأمر عليهم، والتبس الحال عليهم، وتشابه الخلق عليهم، حتى أصبحوا لا يميزون بين ما خلقه الله، وبين ادعائهم خلق آلهتهم .

قل لهم يا محمد، يا من أئتمناك على تبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة، ونصيحة الأمة، قل لهؤلاء الظالمين الجاحدين، إذا علمتم ذلك أو وقعتم عليه، فلم تعبدون غيره، من حجارة وأصنام وأوثان .؟ وفي الآية رد فاضح على المشركين، وهي تجر بذيلها على القدرية والطبيعية والعقائدية والعلمانية، الذين يدعون أنهم خلقوا كما خلق الله. ويعتقدون أن الإنسان يخلق أفعال نفسه؛ الاختيارية والماركسية التي تنكر وجود الألوهية، وتقول إن الدين مخدِّر وهو

---

١ ــ سورة العنكبوت (٦١) .
٢ ــ سورة الأنعام (٥٠) .
٣ ــ سورة الرعد (١٦) .
٤ ــ سورة الرعد (١٦) .

أفيون الشعوب. سبحانه ﴿ ... وهو الواحد القهار ﴾[1] الغالب لكل شيء، الذي يغلب في مُراده كلَّ مريد. وانظروا أيها المسلمون. كيف التقى تفسير العلماء العاملين بالمنكرين الجاحدين. وندَّد بهم تنديداً فظيعاً، قال الإمام القشيري، في تفسيره (ولا يبعد أن تكون الآية، رداً على الذين ينكرون الصانع الحكيم) . أي سلهم يا محمد، عن خالق السموات والأرض، فإنه يسهل تقرير الحجة عليهم، ويقرُبُ الأمر من الضرورة. فإنَّ عجْز الجماد، وعجزَ كلِّ مخلوق عن خلق السموات والأرض لمعلوم واضح ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ... ﴾[2] .

أيها المسلمون . هذا ما يقوله اليوم الملاحدة، والطبيعيون أيضاً . وعليه، وحيث تقرر مما تقدم، بأن الصانع لهذا الكون هو الله. فكيف يجوز اعتداد الشريك له .؟ فمثلاً لو كان للعالم هذا صانعان أو أكثر ــ كما يزعم الغير ــ لاشتبه الخلق على الناس. ولم يتميز فعل هذا عن فعل ذلك ؟ وكيف يعلم أن الفعل من اثنين. ومع هذا، فالتعدد فيه العجز عن الصفه والاحتياجُ للآخر. وهذا باطل. والمحتاج لا يسمى إلها. ثم بين سبحانه أنه ﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرِها فاحتمل السيل زَبَداً رابياً ، ... ﴾[3] .

في هذه الآية ضرب الله مثلاً للحق والباطل، فشبه الكفر والباطل بالزبد، الذي يعلو الماء ويطفو عليه، فإنه يضمحل ويرسب ويتلاشى، في جنبات الأودية، فكذلك يذهب الباطل ويضمحل ﴿ ...فاحتمل السيل زبدا رابيا، ... ﴾ عالياً مرتفعاً فوق الماء، ثم قال سبحانه ﴿ ...،ومما يوقدون عليه في النار ... ﴾ وهذا هو المثل الثاني ﴿ ...ابتغاء حِلْيةٍ... ﴾ أي حِليةِ الذهب والفضة والحديد والمعادن الأخرى، التي ينتفع بها الناس، قال تعالى ﴿ ...،وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس... ﴾[4].

١ ــ سورة الرعد (١٦) .
٢ ــ سورة غافر (٥٧) .
٣ ــ سورة الرعد (١٧) .
٤ ــ سورة الحديد (٢٥) .

يعني كذلك ما يوقد عليه في النار من الجواهر والمعادن، مما ينبثُّ في الأرض، وقد خالطه التراب، وما ذلك إلا ليذوب ﴿...، **كذلك يضرب الله الحقَّ والباطل،...**﴾ فأما الزبد فيذهب جُفاءً، فيُرمى ويَقذَفُ به ﴿...، **وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض،...**﴾ وهو الماء الخالص الصافي. وهذان المثلان ضربهما الله للحق، في ثباته وبقائه، والباطل، في ذهابه واضمحلاله وزواله. فالباطل وإن علا في بعض الأحوال، فهو إلى زوال واضمحلال كزوال الزبد والخبث.

وقوله سبحانه ﴿...، **كذلك يضرب الله الأمثال**﴾ أي أنه سبحانه، كما بين لكم هذه الأمثال، فكذلك يضربها ببينات وآياتٍ دالةً على عظيم قدرته. إلى أن قال سبحانه، في آية أخرى، بعد الآيات الأخرى، وقال ﴿...، **إنما يتذكر أولو الألباب**﴾[1] أي لا يتذكر ذلك إلا أصحابُ العقول الكاملة، والنفوس الصافية الواعية.

تذكروا. تفكروا. تدبروا. فهل القرآن الذي أُنزل على محمد، الذي مُثِّل بالماء الصافي، والمعدن الخالص النافع، وهو الحق، الذي لا شك فيه. كمن هو أعمى بصيرةً وقلباً، لا يشاهد الشمس في رأد الضحى ..؟

ما ضرَّ شمسَ الضحى في الأفق طالعةً

ألا يرى ضوءَها من ليس ذا بصـــرِ

قال ﷺ (لن يبرَح الناس يتساءلون: هذا اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ. فمن خلق الله .؟)[2]، ويقول ﷺ (طاعة الإمام حقٌّ على المسلم، مالم يؤمَر بمعصية. فإذا أُمر بمعصية الله، فلا طاعة له)[3]. أو كما قال. أقول قولي هذا، وأستغفر الله، لي ولكم وللمسلمين. ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

---

١ ــ سورة الزمر (٩).
٢ ــ رواه البخاري عن أنس بن مالك.
٣ ــ رواه البيهقي في شعب الايمان، عن ابي هريرة.

الحمد لله، خصّ بعضَ الشهور بالتشريف والإكرام، ومنير بعض الأيام بمزيد الفضل والإنعام. أحمده، كما يجب لجلاله، وأشكره على جزيل نواله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً خيرُ رسول أرسله.

عباد الله. اتقوا الله في صلواتكم. في رمضانكم. في صيامكم. في حكمكم. في عباداتكم. في بيعكم. في شرائكم. اتقوا الله في جميع معاملاتكم، اتقوه عباد الله، وهو عليكم شهيد ورقيب. اتقوا ربكم. وصلوا على نبيه، تعظيماً له وتكريما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا. اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين قلوب قادتنا وحكامنا، وألهمهم العودة إلى كتابك وسنة رسولك. اللهم حقق آمالنا بانتصارنا على الكفر والإلحاد. اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم الأحزاب وزلزلهم، وانصرنا عليهم. إنك على كل شيء قدير.

اللهم وبحق السائلين عليك، وبحق الإسلام الذي أنزلته في كتابك، أن تكتب لنا النصر والعزة والكرامة، يا أكرم الأكرمين.

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦).

اللهم ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تول امورنا شرارنا، يا أرحم الراحمين. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اقتلاعه. اللهم الهمنا رشدنا، واعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وتقبل منا صيامنا وقيامنا ودعاءنا، يا قابل التائبين.

﴿ وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثالثة والعشرون بعد المائة :

٧ صفـــر ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٣/١

(المؤمنُ الصَّادقُ)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لي سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم إني استعينك، وأستغفرك، وأستهديك، وأتوب إليك، وأثني عليك الخير كلّه. أشكرك ولا أكفرك، وأخلع وأترك من يفجرك. اللهم إياك أعبد، ولك أصلي وأسجد، وإليك أسعى وأحفد. أرجو رحمتك وأخشى عذابك. إن عذابك الجد بالكفار ملحق، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم .

رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا تجعلني من الغافلين ، رب أعني على الجهر بالحق، وإزهاق الباطل بلا خوف ولا وجل، حتى لا أخشى في الحق لومة لائم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

الحمد لله، أكرمنا ووجهنا نحو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذ هدانا للإسلام ، ورفع قدرنا، حيث جعلنا من أمة سيدنا محمد، خير الأنام ، وميزنا على سائر الأمم، بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال جل شأنه، تنويهاً بفضل هذه الأمة، وتعظيماً لقدرها ﴿ **كنتم خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر وتؤمنون بالله** ، ... ﴾[2] .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

٢ ـــ سورة آل عمران (١١٠) .

سبحانه وتعالى، من إله حكيم، جعل عماد ديننا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعدّ لمن يقوم بالدعوة إلى الله، فينشرُ الفضائل الإسلامية والشمائل المحمدية والأخلاق المصطفوية، ويحث على التمسك بالأخلاق السنيّة، قولاً وعملاً، أعدّ سبحانه لمن يفعل ذلك، ابتغاءَ وجهه الكريم، جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، ورضواناً من الله. أكبر ثوابٍ من عند الله، والله عنده حُسن الثواب.

الحمد لله، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أشهد انك الواحد الأحد، المنفرد بالحكم والسلطان، مشيئتك هي النافذة، وإرادتُك هي الماضية. وأنت حسبنا ونعم الوكيل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُك ورسولُك، الذي ما حكم بالهوى، وما ضلّ عن الحق وما غوى، لقي ﷺ شدائد عِظاما، في سبيل الدعوة إلى الحق، ولكنه لم يهُنْ ولم يضعف، ولم يتراجعْ، ولم يستكِنْ. بل جاهد جهاد الأبطال، وصبر صبْرَ الكرام، ففاز بالنصر والتأييد، من الله العزيز الحكيم ﴿ ... ، **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، حماة الإسلام وهداةِ الأنام.

أما بعد. فقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس، رضي الله عنهما، « واعلم يا ابن عباس أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا »[2].

أيها المسلمون في زمانكم هذا.

إن من نظر إلى الإنسان، وفكرّ في أحواله، وجدَهُ كثير العجز في أفعاله، كثيرَ التردد في أقواله، قليلَ الصبر عند حلول الشدائد والبلاء، قليل الشكر عند حصول الرخاء والنعماء. فإذا ما أصابه نوعُ مكروه، كضيق

١ ــ سورة الروم (٤٧).

٢ ــ من حديث شريف أوله « يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك » رواه الترمذي بسند حسن صحيح، وفي رواية أخرى لغير الترمذي، زيادة، « تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، واعلم أن ما اخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم ان النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا ».

وعُسر، وفقد عزيز عليه، نكصَ على عقبيه، واستولى عليه اليأس، وحاقت به الشدة واللأواء من كل مكان، وتملكه الفزع والجزع، وظهر ذلك على وجهه وجوارحه بالتغير والاضطراب. فتراه إذا ما ثاب إلى رشده، وعاد إلى صوابه، أقبل على مولاه، وأكثر من التضرّع والتبتل والدعاء، في جميع أحواله؛ قائماً وقاعداً، ساكناً أو متحركاً، كما قال سبحانه، جلّت عظمته ﴿ **وإذا مسّ الإنسانَ الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضُرَّه مرّ كأنْ لم يدعُنا إلى ضرٍّ مسّه، كذلك زُيّن للمُسرفين ما كانوا يعملون** ﴾[1]. حتى إذا ما استجاب له ربُّه، وكشف عنه ما نزل به، عاد إلى سيرته الأولى، فأعرض عن شكر مولاه.

فالمؤمن العاقل الفطِن، يسعى جاهداً في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما لاقى في سبيل الدعوة. ولو لاقى في سبيلها الشدائد العظام، مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر.

قل لمن يجالس شارب الخمر، ضاع دينك يا مسكين، قل للذي يتعامل بالربا، أغضبت رب العالمين.

قل للذي يخصِّص أولاده الذكور ويُحرمُ الإناث، خَف الله الواحد القهار. قل للذي يترك فريضة الجمعة ويذهب إلى البحرة، ليشاهد اختلاط الجنسين، تذكر وقفتك بين يدي العزيز الجبار، قل للذي يرفع الأسعار، ولم يرحم عباد الله، ستكون غداً في الحشر مع الظالمين والفجار، قل لمن يُغشّ في الكيل والميزان، أو في أي عمل من الأعمال، فارتقب يوم ترى المجرمين سرابيلهم من قطران. وتغشى وجوههم النار، قل لشاهد الزور، وتارك الصلاة، ومانع الزكاة ﴿ **اقترب للناس حسابُهم وهم في غفلة مُعرضون** ﴾[2].

---

١ ـــ سورة يونس (١٢).

٢ ـــ سورة الأنبياء (١).

الجؤا إلى ربكم أيها المسلمون. واضرعوا إليه، واعملوا، وتمسكوا بحباله سبحانه وتعالى، يكشف عنكم ما حلّ بكم، ويُبدِّل لكم خوفكم أمناً، وعُسْرَكم يُسرا ﴿...، **ومن يتق الله يُكفر عنه سيئاته ويُعظِمْ له أجرا**﴾[1].

يقول عليه الصلاة والسلام (جعلتُ الذِّلةَ والصَّغارَ على من خالف أمري)[2] اتبعوا أوامر الله، عباد الله، واجتنبوا نواهيه .

أيها المسلمون .

استعرضوا التاريخ القديم والحديث. استعرضوا كتاب ربكم وتدبروه ملياً، وما قصَّه الله تعالى علينا فيه من أحوال الأمم الغابره، تجدوا أن الأمة إذا استقام أفرادُها، فأدَّى كل منهم واجبه نحو ربِّه، وأدى حق وطنه وأسرته وأمته، وحقَّ المجتمع الإنساني، الذي يعيش فيه ، ونأى عن اللهو واللغو بجانبه، عزَّ جانبُها وقوي سلطانها، وهابها عدوُّها، وتسنَّمت ذروة المجد والفلاح، وسَمَتْ إلى أعلى درجات النجاح، فسعُدت في دنياها وأخراها ، وفازت برضا مولاها، فبارك الله صناعتها وتجارتها وزراعتها، وأغدق الخير عليها. وعلى العكس من ذلك، فالأمة التي يتنكَّبُ طريق الاستقامة أفرادُها، فلا يأتمرون بمعروف ولا يتناهون عن منكر، فيلْهُون ويلعبون، وهم عن الحق غافلون. ويركبون رؤوسهم حتى يصبحوا عبيداً لشهواتهم، وعبيداً لغيهم وضلالهم، أولئك قوم ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله ﴿ **ولو أنَّ أهلَ القرى آمنوا واتقوْا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرضِ ولكنْ كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾[3] .

يا أتباع محمد . إرجعوا إلى تعاليم دينكم فاعملوا بها، وعودوا أولادكم ونساءكم عليها، تعيدوا للأمة الإسلامية مجدها وفخارها، وللوطن عزه وانتصاره .

---

١ ــ سورة الطلاق (٥) .

٢ ــ مرّ سابقا .

٣ ــ سورة الأعراف (٩٦) .

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أراد الله بعبده خيراً، فتح له قُفْلَ قلبه، وجَعَلَ فيه اليقين والصدقَ، وجعلَ قلبه واعياً لما سلك فيه، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقاً، وخليقته مستقيمة، وجعل أُذُنه سميعة، وعينه بصيرة)[1]. أو كما قال: أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله الملك القادر، المطلع على القلوب والضمائر، وأشهد أن لا إله إلا الله ﴿ رفيعُ الدرجات ذو العرشِ يُلقي الرُّوحَ من أَمْرِهِ على من يشاءُ من عباده لِيُنْذِرَ يوم التلاقِ. يومَ همْ بارزون، لا يخفى على الله منهم شيءٌ، لمنِ المُلكُ اليومَ، لله الواحدِ القهار. اليومَ تُجْزَى كلُّ نفْسٍ بما كسَبَتْ، لا ظُلْمَ اليوم، إنَّ اللهَ سريعُ الحساب﴾[2].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، أعلمُ الخلق بالله، وأشدهم خوفاً منه، جلّ علاه. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين أمروا بالمعروف ليوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، والأمر يومئذٍ لله.

أيها المسلمون. لا شك أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يُحييان الفضيلة، ويميتان الرذيلة، ويقيمان صرْح الصلاح والإصلاح، ويهدمان صروح الإفك والفساد، فتسعدُ الأمة، ويسود بينها الأمن، ويعمُّها الخير، وتحيا حياة العزة والكرامة في أحسن حال، وأهنأ بال.

لقد قل بيننا الوفاء، وذهبت الأمانة، بل ضُيِّعت الأمانة والصدق والحلم والكـــرم والإحسان، وذهب الحياء والرحمة من بني الإنسان، انتشر

---

١ ـــ رواه ابو الشيخ ابن حبان عن ابي ذر، بسند ضعيف.
٢ ـــ سورة غافر (١٥ ـــ ١٦ ـــ ١٧).

وفيما بيننا، ظلمُ الأخ لأخيه، ونقض العهود، هُجِرَ الكتاب، وضاعت السنة، وقلت فيما بيننا البركات، وكثرت فينا الموبقات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

عباد الله . اتقوا ربكم وراقبوه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه وحبيبه ومصطفاه، فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات . إنك سميع قريب مجيب الدعوات .

اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا لأنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كلّه، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة، واجمع بين كلمتها وبين أفرادها وجماعاتها وقادتها وحكامها، حتى يحرروا الأرض والمقدسات بعزة وكرامة وفخار، ونسألك ربنا، أن تشمل الحسين بن طلال بعنايتك ورعايتك، يا أرحم الراحمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله . ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[2] .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .
٢ ـــ سورة النحل (٩٠) .
٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة والعشرون بعد المائة :

٢١ صفر ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/٣/١٥

(العلوم والمعارف وسيلة لسعادة الدارين)

الحمد لله، رفع قدر العلماء العاملين، وجعلهم مشاعل يضيئون الطريق بعلمهم، لمن يبغي السعادة في الحياة، فضَّلهم على كثير من عباده، فجعلهم قادة، يرشدون الخلق الى بديع صنع الله في الأرض والسماء، الحمد لله، الذي أحيا قلوب عباده المؤمنين، بنور العلم والعرفان، أنقذهم من الجهالة وسوء الأفهام، الحمد لله ﴿ **الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لم يعلم** ﴾[١] أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أعدَّ لأولي العلم أسمى المنازل، ما داموا بكتاب الله وسنة رسوله مقتدين، سبحانه من إله حكيم، جمَّل الحياة بالعلم والعلماء، وزين الوجود بالأتقياء الأصفياء. جعل العلم طريق معرفته، وسبيل رضاه ومحبته، فقال ﴿... **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[٢] وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، إمام المهتدين وقدوة السالكين، زينّه الله بالعلم، وجمَّله بالحلم، وكساه تاج الهيبة والقبول، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين نشروا بعلمهم حضارة الاسلام، فكانت لهم القيادة والسيادة، على سائر الأنام.

* * * * *

أما بعدُ . فقد قال الله جل وعز ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسَّحوا في المجالس فافْسَحُوا يُفسحُ الله لكمْ، وإذا قيل انشُزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير** ﴾[٣].

---

١ ـــ سورة العلق (٤ ـــ ٥).
٢ ـــ سورة فاطر (٢٨).
٣ ـــ سورة المجادلة (١١).

وقال جلت عظمته ﴿ ... ، **وقل رب زدني علماً** ﴾[1] .

أيها المسلمون . لقد عُني القرآن الكريم بالعلم؛ وهو الدستور الاسلامي السماويّ الصحيح، واهتمت ببيان فضله السنة المطهرة، وما ذلك، الا ليرغب الناس في طلب العلم، على اختلاف فنونه وأنواعه، ليكون ذلك تشجيعاً للعلماء النابهين، من أبناء هذه الأمة، الذين تتوقف على علمهم ونبوغهم سعادة العباد والبلاد، ويعم الخير كل حاضر وباد .

فالعلم يا أخي، نور يضيء جوانب الحياة، ونور الله لا يهدي لعاص ، نور يبدد ظلام الجهالة فيها، وقد خاطب الله رسوله بقوله ﴿ ...، **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾[2].

يا أبناء أمة خير الأنام. العلم كالشمس المضيئة على الكرة الأرضية، يرشد الضالين والحيارى والتائهين، الى طريق الأمان ، ويهدي الى سبل السلام . العلم مفتاح لأبواب الحياة الحرة الكريمة . مفتاح لباب السعادة الدائمة الأبدية . يا شباب اليوم يا من أعرضتم عن تحصيل العلوم الشرعيّة. فالجهل لا يتفق مع الاسلام، ولا يصلح وضعاً لأبناء الاسلام، فدينهم دين العلم والمعرفة والعرفان ، وكتابهم كتاب تشريع وعلم وبيان، نزلت آياته وبيناته الأولى، تحث على طلب العلم، وتحض على تطبيقه، في حدوده وآفاقه ، وترشد الأمة إلى التعلم من طريقه الصحيح ، وتفتح لطلبي العلم آفاق النور والبحث والتحقيق، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. إقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم**﴾[3] عدا عن هذا أيها الناس. فإن العقيدة الاسلامية في حد ذاتها، نابعة من صميم العلم والمعرفة، فكلما ازداد المرء علما، ازداد إيمانا. والخوف من الله، على قدر

---

١ ـــ سورة طه (١١٤) .

٢ ـــ سورة الزمر (٩) .

٣ ـــ سورة العلق (من ١ ـــ ٥) .

المعرفة به، كما قال ﷺ (إني لأعرفكم بالله، وأخشاكم منه)[1]، فالمسلم الراسخ في عقيدته، يؤمن بربه على نور ويقين، ودليل قاطع، والعبادات التي تعبّدنا الله بها، مناهج للتربية الاسلامية الفاضلة الصحيحة، والتوجيه الكريم، تفتح القلوب على الحقائق، وتوجهها نحو مدارج الرفعة والسُمُوّ والكمال. عليك بالعلم، لا تطلب له بدلا، واعلم بانك فيه غير مغبون.

العلم يُجدي، ويبقى للفتى أبــداً
والمال يفنى، وإن أجدى إلى حين

أيها المسلمون.

إن الأخلاق والاداب الاسلامية، لا تقوم إلا على أساس العقيدة الحقة الصافية، من كل إحَنٍ ودَخَلٍ، ولقد فرض الاسلام على كل مسلم ومسلمة، أن يتعلم العلم ليعرف ربه ودينه وسلوكه في الحياة. قال عليه الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[2] (والنساء شقائق الرجال)[3] في الأحكام وقال ﷺ (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[4].

نعم. أيها المسلمون. إن العلوم التجريبية الكونية في عصرنا الحديث، وفنون الصناعة والزراعة، وأساليب العمارة، من صلته وغيرها، يجب على الأمة تعلمها، وذلك خير لهم من أن يتكلوا على غيرهم، أو يتواكلوا.

وإنمـــا رجل الدنيـــا وواحدها
من لا يعوّل في الدنيا على رجــل

---

١ — متفق عليه بغير هذا اللفظ، عن عائشة، والله إني لأعلمهم بالله واشدهم له خشية. وعند البخاري من حديث أنس: والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له.

٢ — رواه البيهقي وابن عدي عن ابن مسعود والخطيب وابن ماجه، قال الحافظ جلال الدين السيوطي: جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه، وقال البخاري له شاهد عند ابي شاهين بسند رجاله ثقاة عن انس، ورواه عنه نحو عشرين تابعياً.

٣ — رواه الامام أحمد والترمذي وابو داود عن عائشة والبزار عن أنس بسند صحيح، ولفظه: إنما النساء شقائق الرجال. وسببه: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد بللاً، ولم يذكر احتلاماً، فقال يغتسل. وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولا يجد بللاً قال: لا غسل عليه، فقالت أم سليم أعلى المرأة ترى ذلك غسل، قال نعم، إنما النساء شقائق الرجال.

٤ — رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن ابي سفيان.

ذلك كلّه لتكون الأمة بعيدة عن التأخر في ميدان الحياة، وحَلبة الكفاح، بعيدة عن التعثر والانحطاط. إذ أن الأمة بقدرتها وصناعتها وكفايتها.

إن العلم غير محصور في جماعة مخصوصة، أو أفراد مخصوصين، أو زي خاص، أو هيئة خاصة. فالمهندس مثلاً أو الطبيب الفاره، يمكنه أن يصل الى معرفة الله، قبل أن يصل عالم الشريعة، إذا طبق هندسته وتنظيمه وتخطيطه، على نظام الكون البديع، ليرى في نفسه الضعف، مهما اوتي من قوة وبيان أمام عظمة الله ذي الجلال والاكرام، فيذكر قول ربه ﴿ ... **وما اوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[1] نعم. يرى ضعف نفسه أمام عظمة الله وسلطانه، وهو الذي انشأ وصور ودبر، وخلق فقدّر، فينطق قائلا ﴿ ...، **فتبارك الله رب العالمين** ﴾[2] أما الطبيب الفاره الماهر، فإنه يرى في علم التشريح ما لا يخطر على بال. يرى في تركيب الجسم من خلايا وشرايين وأوردة وأجهزة معقدة، تؤدي وظيفتها في نظام دقيق عجيب، تحار فيه الافهام. يرى الجنين كيف يصل إليه غذاؤه، ويمهد له فراشه وغطاؤه، وهو في بطن أمه، فيزداد إيمانه، وتقوى عقيدته، وتمتلىء نفسه بعظمة الخالق، وسمو علمه، وجليل صنعته، وباهر قدرته، فيطلق قائلا .

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وينطلق من غير ما تردد، ﴿ ...، **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[3] .

أيها المسلم . إن العلوم كلها خير وبركة، إذا جعلت وسيلة لمعرفة الله ورضاه، وقصد بها وجه الله، ونفع الأمة والمجتمع بأسره . أما إذا كان هذا العلم وسيلة الى الالحاد، والخروج على كتاب الله وسنة رسوله، والزيغ من العقيدة، فذلك شر مستطير، وبلاء ونقمة وشقاء .

---

١ ــ سورة الاسراء (٨٥) .
٢ ــ سورة غافر (٦٤) .
٣ ــ سورة المؤمنون (١٤) .

أيها المسلمون في دنيا الالحاد. إن عدوكم قد تسلّح بعلوم الدنيا ومعارفها، فتقدم في صناعاته ووسائل حياته. أما أمتنا فقد جهلت دينها وشريعتها، فلا هي جادة نحو حياتها الدنيوية، ولا هي مهتمة بالشريعة الاسلامية. جهلنا ديننا، فساءت أحوالنا، ومن جهل شيئا عاداه.

العلم أيها المسلمون أقوى سلاح في حياة الأمم، وأعظم أساس تبنى عليه الدول، وقد ضرب الله مثلا للعالم والجاهل بالحي والميت، فقال سبحانه ﴿ **أوَمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نُوراً يمشي به في الناس كمن مَثَلُهُ في الظلمات ليس بخارج منها**،... ﴾[1] إن العلوم الكونية العصرية، لا تخالف طبيعة الانسان في حياته، ولا تصادم مصلحة اجتماعية، أو جماعية أو فردية، لكنّ العناية كل العناية والجهود كلّ الجهود، يجب أن توجه نحو الفقه في دين الله، والعلوم النافعة الشرعية، لما فيها من تصحيح العبادة. فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال (إن من أشراط الساعة (أي علاماتها) أن يقل العلم، ويفشو الجهل، ويظهر الزنا)[2] وقال عليه الصلاة والسلام (سيأتي زمان على امتي، يفرّون فيه من العلماء والفقهاء، فيبتليهم الله تعالى بثلاث بليات: أولاها رفع البركة من كسبهم، ثانيها يسلط الله عليهم من يظلمهم، ويبغي عليهم، ثالثها يخرجون من الدنيا بغير إيمان)[3].

واسمع يا أخي المسلم وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلّم (أي تتعلم) بابا من العلم، خير لك من أن تصلي مائة ركعة)[4].

---

١ ـــ سورة الأنعام (١٢٢).

٢ ـــ رواه البخاري. مرّ في خطبة سابقة.

٣ ـــ لم أره بهذا اللفظ.

٤ ـــ رواه ابن ماجه باسناد حسن، عن أبي ذر، وتمامه: يا أبا ذر: لئن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم، عمل به أو لم يعمل به، خير لك من أن تصلي ألف ركعة.

لقد قلّ طلاب العلم الشرعي في هذا الزمان، وأقبلوا على طلب العلوم الدنيوية، حتى لو سألت المتخرج منهم عن حكم شرعي، لسخر منك ولاذ بالفرار. وقليل ما هم الذين يحبون العلم ويطلبونه لله، ولوجه الله. وانظر يا أخي، كيف رغب رسول الله ﷺ في مجالس العلماء العاملين المنشغلين بالله، البعيدين عن النفاق، المتجافين عن حب الدنيا وزينتها. نسأله تعالى أن يرزقنا العمل بما علمنا. اللهم رحمتك نرجو يا ربنا. فلا تكلنا لأنفسنا. ولا لعلمنا طرفة عين، يا رب العالمين. يقول ﷺ في هذا المقام (جلوس ساعة عند العلماء، أحب إلى الله من عبادة ستين سنة. وفي رواية أكثر من ذلك)[1] حبذا لو جمع الطلاب بين العلوم الشرعية والكونية بصدق واخلاص نية. قال جلت حكمته ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[2].

إن العالم الساعي في الخير، بلذة دونها لذة صاحب المال والمادة والجاه، ويكفيه شرفاً، أن يبلغ ما ورثه عن رسول الله ﷺ للعباد. الا وان للعلم أثراً في تهذيب النفوس وتقويمها واصلاحها. الا وان طلب العلم برغبة لا يكون الا عند المتقين. يقول عليه الصلاة والسلام (الناس شركاء الخير عالم ومتعلم، ولا خير فيما عدا ذلك)[3] وفي رواية ولا خير في الناس. ولكنّ العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر، وقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علما)[4]، (أعوذ بك من عل لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء

١ ــ مرّ في الخطبة.

٢ ــ سورة الروم (٧).

٣ ــ رواه الطبراني عن ابن مسعود بلفظ: « الناس رجلان عالم ومتعلم، ولا خير فيما سواهما » وسنده ضعيف.

٤ ــ رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة والحاكم، ولفظه وتمامه: « اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً. الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار ».

لا يرفع)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (فقيه واحد، أشد على الشيطان من ألف عابد)[2] وقال ابو مُسلم الخولانيُّ (مثل العلماء في الأرض، مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا) وعن أبي الدرداء، رضي الله عنه (ما نحن ومَنْ نحن لولا كلمات الفقهاء .؟ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (لأن أعْلم باباً من العلم في أمرٍ أو نهى، أحبُّ إلي من سبعين غزوة في سبيل الله) . أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي امتنّ علينا بنعمه وآلائه. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي، لولا أن هدانا الله. أشهد أن لا إله إلا الله العليم الحكيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه .

عباد الله : اتقوا ربكم، الذي خلقكم من نفس واحدة. اتقوا الله، الذي علّمكم، وهداكم للإسلام .

أيها المسلمون .

تعلموا العلم واعملوا به، يزدكم إيمانا إلى إيمانكم، ويغفر لكم ذنوبكم. علموا أولادكم ـــ ذكوراً وإناثا ـــ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ما فيه صلاح ظاهرهم وباطنهم، وما يرفع من كرامتهم. علموهم يا قوم، تُسعدوا أنفسكم وتُسعدوا أمتكم وأوطانكم، فبالعلم ترقى البلاد، وتحلو الحياة للجماعات والأفراد .

---

١ ـــ رواه مسلم والنسائي والامام أحمد ، عن زيد بن أرقم وعن عبد بن حميد وتمامه :
« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .

٢ ـــ رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس ، بسند ضعيف .

واعلموا عباد الله، أن العلم وحده غير كاف، فثمرة العلم العمل، فمن عَلِمَ وعَمِلَ بما علم. بلَغ غاية الأمل .

واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما، ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضي به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم. وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس، بعدد كل معلوم لك .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ورزقاً واسعاً، ونوراً ساطعاً، وشفاء من كل داء .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع قريبٌ مجيب الدّعوات . اللهم الف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، والف بين قلوب الأمة، أفرادها وجماعاتها، قادتها وحكامها. ونسألك ان تشمل الحسين بن طلال برعايتك وتوفيقك يا رب العالمين . واجعل اللهم هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والعشرون بعد المائة :

١٢ ربيع الاول ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٤/٥

(ميلاد رسولنا ﷺ درس وعظة وعبرة)

أحمدك ربي، يا مستحق الحمد بجميع صيغه وأنواعه، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، وحبيبك المجتبى، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أولي الصدق والرأفة والوفا . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، رب اغفر لي ذنوبي، وإسرافي في أمري. اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقة وجله، عمده وخطأه، سره وعلانيته. رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، فاغفر لي مغفرة من عندك، إنك أنت الغفور الرحيم. ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

الحمد لله، أنار الوجود بطلعة خير البرية ، ونشر السعد والأمان برسالته المحمدية ، أشهد أن لا إله إلا الله، أنزل على نبينا الكتاب والحكمة، وعلّمه مالم يكن يعلم، وأرسله لجميع الأنام، (أحمده سبحانه) أن هدانا للإسلام، وأشكره سبحانه ﴿ **خلق الإنسان. علّمه البيان** ﴾[2] وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، صفوة الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، المثل الكامل لجميع الفضائل، وعلى آله وصحبه، الذين اتبعوا شريعته، وتأدبوا بآدابه. أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة الرحمن (٣ ــ ٤) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[1].

وقال جلت حكمته ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا. وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرا** ﴾[2].

أيها المسلمون. في شهركم هذا شهر الميلاد النبوي الشريف، في مثل هذا الشهر، ولد خير الأنام، ولد النبي الأمي الأمين، ولد سيد الأولين والآخرين، ولد مُنقذ الأمة من الضلال إلى الهدى، ومخرجها من الظلمات إلى النور، من الحيرة وعبادة الأوثان، إلى اليقين بعبادة الرحمن، طهرّنا الله به من الشرك وذميم الأخلاق، لكنه ﷺ كما قال (ما بعثتُ فحاشاً ولا طعّاناً، ولا لعاناً ولا صخاباً في الأسواق، وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[3].

أعزّ الله أمة الإسلام به، فتخلّصت من الظلم والجور والاستبداد، وزالت ببعثته الأحقاد، شعرت الأمة بالعزة والكرامة والحرية. وضع ﷺ مبادىء العدل والمساواة والإخاء، حتى أصبح الناس بفضل رسالته وعدالته سواء، إخواناً متحابين، يوقر صغيرهم كبيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم، يعطف غنيُّهم على فقيرهم، حتى صاروا بفضل الله متقاربين متحابين.

وضع صلوات الله وسلامه عليه مبادىء الرحمة للحاكمين، ليكونوا عوناً للمعوزين، الذين أذلهم الفقر، وأعمتهم الحاجة والفاقة من ظلم المستغلين.

---

١ ــ سورة التوبة (٣٣).

٢ ــ سورة الأحزاب (٤٥ ــ ٤٦ ــ ٤٧).

٣ ــ مرّ سابقاً، وقد جاءت صفة رسول الله ﷺ في الكتب السماوية؛ كالتوراة والانجيل، فعن عبدالله بن عمر قال: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب القديمة، أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.

ولد ﷺ فكانت ولادة العالم من جديد، وأشرقت شمس الهداية على الوجود، حتى كان ميلاده وبعثته للعالم أمناً وأماناً، وبرداً وسلاماً، ورحمة ووئاماً، ونوراً وانسجاماً، إنه صنعة ربه ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1].

أيها المسلمون في زمن الغفلة عن مقام هذا الرسول. حقيقٌ بنا، وخليق بنا، وجدير بالمسلمين قاطبة، أن يحتفلوا بمولد رسول الإسلام، رسول الإنسانية، رسول المروءة والعفة والكرامة، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه.

إنه بلغنا كتاباً من ربه ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد** ﴾[2] ... ، ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[3].

رام البلغاء والفصحاء معارضته، فرجع الكل خاسئاً وهو حسير. جدير بالمسلمين جميعاً أن يحتفلوا بميلاده، فقد أتى لنا بكتاب من ربه، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم. إنه لقول فصل. وما هو بالهزل. ولكنكم وأيمُ الحق، أعرضتم عن كتاب ربكم وهدي نبيكم، إذاً فهو الشاهد عليكم، والمبشر والمنذر، والداعي إلى الله، والسراجُ المنير.

ألم تسمعوا أيها المسلمون الآية التي مرت بكم قريباً ﴿ **يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا** ﴾[4].

ففي هذا الخطاب الإلهي، صفاتٌ عَليّةٌ سامية للنبي ﷺ فيها توجيهٌ عام للنفوس الخيِّرة، ودعوةٌ عامة لاتباعه، والسير على نهجه، ومن اتبعه. فقد فاز ﴿ ... ، **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما** ﴾[5].

---

١ ــ سورة الأنبياء (١٠٧).

٢ ــ سورة فصلت (٤٢).

٣ ــ سورة هود (١).

٤ ــ سورة الأحزاب (٤٥ ــ ٤٦).

٥ ــ سورة الأحزاب (٧١).

ولكننا نحن مسلمي اليوم، يصدق علينا قول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حُبَّه ... هذا لعمري في القياس فظيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم** ﴾[1].

فهو ﷺ بكتاب الله، الذي بلّغه هُدىً ونورٌ، وبسُنته الهادية الواقية، شاهدٌ علينا بتوحيد الله، شاهد على من سلك منا سبيل الرُشد والحق، شاهد على من سلك سبيل الغيّ والباطل، ولم يتخذ مع الرسول سبيلا، ولا هادياً ولا وليّاً، شاهد على من هو للثناء ورضاء الله مستحِق، شاهدٌ على من يستحق العقاب في العاجل والآجل.

فمن الذي يؤدي هذه الشهادات يا تُرى .؟ إنه صاحب الميلاد، الذي تحتفلون به، سيؤديها شهادة كاملة، ولشدة خوفه ﷺ من يوم الشهادة على أمته في يوم الحساب، أسرع إليه الشيب، والذي زاد في الأمر هَوْلاً ووَجَلاً، خطابُه سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ **فاستقم كما أُمرت** ﴾[2].

ولذا، قال عليه الصلاة والسلام (شيَّبني هودٌ وأخواتها)[3] أي من سُورَ القرآن التي فيها أمثالُ هذه الآية ولقد فرق ﷺ من ربه فَرَقاً كبيرا (أي خاف منه خوفاً شديدا) حينما نزلت عليه آية الشهادة على الأمم.

---

١ ـ سورة آل عمران (٣١).

٢ ـ سورة هود (١١٢).

٣ ـ رواه الطبراني عن عقبة بن عامر بسند صحيح، وابن مردويه بلفظ: « شيَّبتني هود وأخواتها قبل المشيب »، وابن عساكر: « شيَّبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي »، وأبو الشيخ ابن حيان: « شيَّبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم ». وابن مردويه عن أنس: « شيَّبتني هود وأخواتها الواقعة والقارعة والحاقة وإذا الشمس كورت وسأل سائل ».
وللطبراني عن سهل بن سعد: « شيَّبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت ».
وابن مردويه: « شيَّبتني هود وأخواتها من المفصل ».

﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**﴾(١). فبكى ﷺ عند نزولها وقال (كيف بك يا محمد، إذا وقفت بين يدي ربك .؟)(٢).

أيها المسلمون .

إذا كنا نحن المسلمين، في هذا الزمان العجيب بتقلباته وتصرفاته، أقول: إذا كنا نحب محمداً ومولده وسيرته، إذا كنا نحب محمداً ورسالته، ولا ندعي ذلك ادعاء. إذا كنا نعتقد بأنه ﷺ جاء بالجهاد والإعداد، وكان بالمؤمن رحيما. إذا كنا ننتسب إليه حقاً وصدقا ــ ونحن من أمته ــ فلنحب محمداً وصحبه وأتباعه، فلنحبَّ يا أخي حباً أكيداً، فلنحب محمداً قبل كل أحد، ولنقتدِ بأقواله وأفعاله، ولنسرْ على نهجه وصبره واحتماله، ولنرحم عباد الله، الذين هدَّ كيانهم الفقرُ والجوع، ولنسير على إحياء شريعته وسنته، يقول الله تعالى ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمنُ وُدّاً**﴾(٣).

اسمع يا أخي المسلم، كيف تحب رسولك.؟ هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزير رسول الله ﷺ الثاني، وخليفته من بعد صاحبه أبي بكر، رضي الله عنهما.

(يقول عمر لرسول الله: «والله يا رسول الله، إنك لأحبُّ إليَّ من كل شيء، إلاّ نفسي التي بين جنبيّ» فأجابه رسول الله ﷺ قائلا: «يا عمر لن يكمُلَ إيمان أحدكم، حتى أكونَ أحب إليه من نفسه، التي بين

١ــ سورة النساء(٤١)

٢ــ روى الشيخان عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ اقرأ علي، فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل .؟ قال نعم . فاني أحب أن اسمعه من غيري ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية فكيف اذا جئنا ... الآية) فقال حسبك الآن فاذا عيناه تذرفان ، ورواه احمد: وفيه: فبكى رسول الله حتى ضرب بلحيته وجنبه ، فقال: يارب هذا شهدت على من أنا بين اظهرهم ، فكيف بمن لم اره .؟! ورواه الطبري ، فقال رسول الله ﷺ ، شهيد عليهم مادمت فيهم ، فاذا توفيتني كنت انت الرقيب عليهم .

٣ــ سورة مريم (٩٦)

جنبيه». فيقول عمر، رضي الله عنه، «والذي أنزل الكتاب، إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيَّ». فيجيبه رسول الله قائلاً: الآن يا عمر)[1].

يا سيد العالمين يا بحر جــود　　قطرة من سخائه الأسخياءُ
لم يزاحم مَدْحَكَ البعضُ بعضا　　أنت بحـر والمادحــون دلاءُ

ومما جاء في مدحه ﷺ:

جاء والكون مريض فشفـــا　　بهــداه كلّ عبـــد مؤمـــنِ
ولقـــد أسمــــع لمـــا هتفـــا　　من مضى أو من أتى في الزمنِ
دم على المـــدح له معتقـــداً　　واتخـــذه لك أقـــوى جوشَنِ
وتقلَّـــدْه حسامـــاً باتـــرا　　قاطعـــاً أعناق كل المِحَنِ

أيها المحبون لرسول الله في هذا الزمن.

بهذا الحب الصادق، الذي كان حقيقة واقعة بين النبيِّ وأصحابه، تكوَّن المجتمعُ الإسلاميُّ المتحابُّ المتكافل، وساد جوُّ التفاهم صفوف الأمة، والف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، بهذا الحب تمت الفتوحات. وتوالت الانتصارات، فالسعيد ــ أيها المسلمون ــ من اتقى، ربَّه وخاف يومه وحسابه، وتابع الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وسيرته.

ليس ــ اتباعكم أيها الناس ــ قاصراً على الصلاة والصوم، في صيامه وقيامه وبعضِ شمائله، ولكنَّ ملاك الاتباع الحقيقي كونُه قدوتنا وأسوتنا في جهادنا، في حربنا مع عدونا، في أقوالنا وأفعالنا، في سائر تصرفاتنا وأحكامنا.

فكم من عهد وهُدنة ومحالفةٍ قد نُقضت، وكم من معاهدة قد أبرمت، فماذا كان موقف بني النضير وموقف يهود خيبر ويهود بني قريظة

---

١ ــ مرَّ تخريجه. رواه الامام أحمد عن زهرة بن معبد عن جده.

وغيرهم .؟ وماذا كانت النتائج .؟ ولكن التاريخ أصدق شاهد على ذلك ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرَ وذكَرَ الله كثيرا** ﴾[1] .

كان محمد ﷺ وأصحابه صفاً واحداً ، وقلباً واحداً ، وهدفاً واحداً ، وأملاً واحداً ، بصبرهم وثباتهم فتحوا الدنيا بأسرها ودوّخوا عالم الكفر والإلحاد بالجهاد والإعداد ، كما قيل :

كـــم قائـــد سلك القفار وبجنـــده قطـــع البحـــار
ومدوّخـــي أعدائنـــــا كنـــا الجهابـــذة الكبـــار
إنـــا ملكنـــا المشرقيْـــن إنـــا ملكنـــا المغربيْـــن
إنـــا قرأنـــا الحكمتيـــن العلـــم والإيمـــان
كنـــا وكنـــا ، ولكـــنْ .

إن الفتـــى من يقـــول هأنذا
ليس الفتى من يقول كـــان أبـــي

مولاي الرسول الكريم :

هذه أمتك التحقت بالرفيق الأعلى ، وتركتها مؤتلفة مجتمعة موحدة ، فتفرقت وتمزقت ، تركتها موحدة على دين واحد ، فصارت شيعاً وأحزابا . تركتها على شريعتك وسنتك ، فاتخذت من بعدك مذاهب شتى . ولقد قال لنا ربك وخالقك في محكم تنزيله ﴿ ....، **ولا تتبعوا السُبُلَ فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلِكُمْ وصّاكم به لعلكم تتقون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٢١) .
٢ ــ سورة الأنعام (١٥٣) .

سيدي رسول الله . لقد تركت أمتك عزيزة الجانب ، فذلّت ، لقد وهبك الله من مواهب الفيض والنصر ، ما يعينُك على فتح مغاليق هذه القلوب القاسية المتحجرة . أنت الذي قال فيك ربك ﴿ **وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم** ﴾[1] ولقد أيدك الله بنصره وبالمؤمنين . إننا وأيمُ الحق لفي أمسّ الحاجة إلى نفحة من نفحاتك ، ونظرةٍ من نظراتك ، تكشف حجاب الوهم عن اليقين ، نستعيدُ بها مجداً مشيدا قد مضى ، ومضى وعزاً أكيداً قد تحطم وتقوض ، وكرامة قد سلبت إلى أبعد حد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . يقول عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ، وماله ، وولده ، والناس أجمعين[2] أو كما قال : أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، أنعم على عباده برسالة نبيه الكريم ، وأفاض على هذه الأمة بفضله العظيم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، مالكُ الملك ، ذو الجلال والإكرام ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . فأني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله وطاعته ، وأحذركم من عصيان أمره ، ومخالفته ، تمسكوا بكتاب ربكم . تمسكوا بدينكم في زمانكم هذا ، فالقابض على شيء من دينه كالقابض على الجمر . تمسكوا بهدْي نبيكم . خذوا من سيرته وميلاده وبعثته ورسالته وجهاده ، وصبره واحتماله ، دروساً وعظاتٍ وعبرا ، تأدبوا بآداب الله ورسوله . تبصروا ، فالدنيا دارٌ لمن لا دار له ، إنها دار مفرٍّ لا دار مقر . تبصّروا مليّاً في مستقبلكم وحياتكم ، وكونوا كما قال ربكم ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النار** ﴾[3] أعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة ، فإنه

---

١ ـــ سورة القلم (٤) .
٢ ـــ رواه البخاري وقد تقدم ذكره .
٣ ـــ سورة هود (١١٣) .

ليس بغافل عنكم واعلموا أنه تعالى صلى نبيه تعظيماً له وتكريماً، فقال ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1].

اللهم صلِّ صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً، على سيدنا محمد، الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه، في كل لمحة ونفس، بعدد كل معلوم لك.

وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم إنا نسألك حبك وحُبَّ من يحبك، والعمل الذي يبلغنا حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا في حرّ الصيف. ومن الماء البارد اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة، واكشف عنها كل غمة، واجمع بين كلمتها وقادتها وحُكّامها، ومن سعى وجاهد من أجل نُصرة هذا الدين، يا رب العالمين.

اللهم ارزقنا اتباع هدي الرسول وقدوته، والعمل بشريعته، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال، اللهم ألهمه رشده، للسير إلى طريق السعادة، يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[2].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦).

٢ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السادسة والعشرون بعد المائة :

١١ ربيع الآخر ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٥/٣

(المحبة والمودة وأثرهما في الأمة)

﴿ **... رب أعوذ بك من هَمَزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يرفع، ومن دعوة لا يستجاب لها ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، رب اني ظلمت نفسي ظلما كثيراً، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، ﴿ **... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله، يحب المتحابين فيه، ويُغدق الخيرَ لكل من يُخلص الوُدّ والمحبة لأخيه. (أحمده) على جليل نعمائه، وأشكره على مزيد آلائه. أشهد أن لا إله إلا الله، جعل المحبة بين الناس عُنوان الايمان، وآية صفاء القلوب، وأمارة السلام والأمان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، نشر بين الناس عظيم محبته، ليعيشوا إخوة متحابين متقاربين، شعارهم: الحبُ في الله والبغض في الله، لا لشيء سواه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين بلغوا

١ ــ سورة المؤمنون (٩٧ ــ ٩٨) .
٢ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

في صفاء نفوسهم ، الولاية والوقاية ، وحققوا بأعمالهم وآمالهم ، كل مطلوب وغاية .

أما بعد ، فقد قال الله عزَّ وجلّ في محكم كتابه ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويَغفرْ لكمْ ذنوبَكم ، والله غفور رحيم**﴾[1] .

أيها المسلمون . يا مَن أنتم الى الله راجعون . حينما ادعى رجال من أصحاب محمد ﷺ محبة الله ، قال الله لنبيه ، قل لهؤلاء إن كنتم صادقين في محبتي ، فالمحب قريب من حبيبه ، مطيع له في أوامره ، فأحبوني ، وأطيعوني ، واتبعوني فيما جئتكم به ، من كتاب وسنة ، يحببكم ربكم ، وينزلكم رفيع الدرجات ، ويغفر لكم خطاياكم وآثامكم ، فإنه سبحانه غفور لمن اتبعني ، رحيم بمن عصى ، ما دام يستغفر ربَّه ويتوب إليه . ولكن لا يغرب عن بالكم ، ان طاعة رسول الله هي عين طاعة الله ، لما فيها من الاتباع والاستماع .

أجل . إن للمحبة بين الناس وسائل وأسباباً ، بيَّنها الشرع الحنيف ، فأحبُّوا الله ، وأحبوا رسول الله ، أحبوا في الله ، وليكن حبكم خالصاً لله ، ومن الله والى الله ، أفشوا السلام فيما بينكم ، فإنَّ أعراضكم ودماءكم وأموالكم عليكم حرام . يقول ﷺ (من أحبَّ في الله ، وفي رواية من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان)[2] وعن أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه عن ، النبي ﷺ قال : (أفضل الأعمال : الحبُّ في الله ، والبغض في الله)[3] ذلك لأن الانسان بهذا الاتصاف ، وبهذا الاعتبار ، الذي اتصف ، قد تخلى عن نفسه ، وأغراضه وأمراضه ، فصار عبدا ربانيا مُلهماً ، بعيداً عن الحب للمادة ، ووسائلها وأسبابها .

---

١ — سورة آل عمران (٣١) .
٢ — رواه ابو داود والترمذي والامام أحمد عن امامة وعن معاذ بن انس ، بسند ضعيف .
٣ — رواه ابو داود عن أبي ذرّ .

نعم صار ربانياً في كل ما يصدر عنه . وهذه نهاية القرب من الله تعالى ﴿ إن الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات سيجعلُ لهم الرحمنُ وُدّاً﴾[1] .

أيها المسلمون .

إذا أردتم أن تعرفوا أسباب الفوز في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، فاعلموا أنها المحبة في الله ، والتخلي عن حب الذات ، إنها ترك الاعتزاز بالنفس وبالغير ، ففي الحديث (من اعتزَّ بغير الله ذل) أنها ترك الاعتداد بالأعمال ، بغية التباهي والتفاخر ، والتظاهر والتكاثر من مباهج الدنيا وحطامها ﴿ ألهاكُم التكاثُر . حتى زُرتُم المقابرَ ﴾[2] .

أيها المسلم . يا من غرتك الأماني ، واستهوتك الآمال والمطامع والأغراض ، ارجع الى ربك ، وتدارك ما فات منك ، من التفريط والافراط ، قلبك عن المحبوب غائب ، وبالرأفة ينادي هل من تائب هل من آيب ؟ أي راجع وأنت مشغول بالهوى ، مفتون بالمنى ، وواقف مع شهواتك وملذاتك ، وأنت موقن بأن عقباه الفنا ، وبعد ذلك تطلب من الله المواهب ...! هذا أمر من العجائب ، وأملك فيها خائب ، فانهض بهمتك عن هذا الانحطاط ، وتدارك ما وقع منك من التفريط والافراط .

أيها المسلم .

شغلت والله لسانك بالهمز واللمز ، والاحتقار للآخرين ، شغلت قلبك بالأحقاد والضغائن . إن الناس يا أخي إذا أحبوا عبدا من عباده ، فذلك من الله ، وإذا أبغضوه فهو من الله ، فطوبى لعبد أحبه ربه ، تسرُّه حسنة فيحمدوا الله عليها ، وتسوءه سيئة فيستغفر الله منها . فعن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : (قيل لرسول الله ﷺ (أرأيت الرجل يعمل

---

١ ـــ سورة مريم (٩٦) .

٢ ـــ سورة التكاثر (١ ـــ ٢) .

العمل من الخير ، فيحمده الناس عليه ؟ قال ﷺ : (تلك عاجل بشرى المؤمن)[1] رواه الامام مسلم . هؤلاء أيها الناس قوم تحابوا في الله ، آمنوا بالله إيماناً صادقاً ، فوقفوا عند حدوده ، أحبوا في الله ، وابغضوا في الله ،لا لشيء سواه .

جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : كيف تقول في رجل أحبَّ قوما ولم يلحق بهم ؟ وفي رواية ولم يُلحق بهم يعني لم يعمل أعمالا صالحة مثل أعمالهم. فقال عليه الصلاة والسلام (المرء مع من أحب)[2].

يا إخوتنا في الله . في هذا الحديث دليل واضح ، وبرهان ساطع ، على أن حُبَّ الله ورسوله أرفع الطاعات ، وأعلى درجات الاصفياء ، وهذه هي أعمال القلوب . ولذا ، قال أحد العارفين بالله ، وهو أبو الحسن الشاذلي (ذرة من أعمال القلوب ، خير من مثاقيل الجبال من أعمال الأبدان : وقال آخر منبها أذهان المحبين (المحبة عروس مهرها الأرواح والنفوس ، إذا لزمتها يا محروس ، انقادت لك القلوب ،وطأطأت لك الهامات والرؤوس ، وأما من غرَّته أمانيه ، فاشتهى أن يمدح بما ليس فيه ، كان أمره معكوساً ، وفعله بهذا الشأن معكوساً ، فلا تكن أيها المسلم كمن التبس عليه الحال ، فعمل بالمعاصي في صورة محبة وامتثال ، فأتعب نفسه بما لا فائدة فيه ، إذ الاناء ناضح بما فيه .

ألا فليعلم مسلمو اليوم ، وعرب اليوم ، وقادة اليوم ، أن محبة الله لعباده ؛ معناها رضاه عنهم وعن أعمالهم ، وبغضه لهم ، سخطه عليهم ، وحرمانهم من مغفرته ، ونصره وعزته .

ألا وان ارتباط قلوبكم برباط المحبة ، سبيل إلى عزتكم وسلطانكم ، ونصركم على عدوكم ، فكلما تقارب الناس لبعضهم بالمحبة والمودة ، كلما كان

---

١ ـــ رواه مسلم .

٢ ـــ متفق عليه ، وقد تقدم ذكره .

إنتاجهم وثمرتهم في الحياة أقوى وأفضل. وما أجمل تلاقي القلوب وتصافيها. فقد قال ﷺ (ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب، إلا كان أحبهما إلى الله، أشدهما حبا لصاحبه)[1].

أيها الناس.

أما مجتمعنا اليوم حقيقة، فهو مجتمع البغضاء والأحقاد والكراهية، كما قيل: فلا محبة ولا مودة، ولا تواصل فيما بين الناس، تقاطع وتدابر، وسعايات ووشايات وعنعنات، كلها لعقاب الله موجبات ومقربات، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. كيف كان حبكم لرسول الله.؟ فقال: (والله إن رسول الله ﷺ كان أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ، ولذلك كان ﷺ يدعو بهذا الدعاء، وهو دعاء داود عليه السلام (اللهم إني أسألك حبّك وحبَّ من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبّك، اللهم اجعل حبّك أحبَّ إليّ من أهلي ونفسي، ومن الماء البارد)[2]. وفعلا انتشر هذا الحب بين صفوف المؤمنين، وأصبح كل واحد أميناً على نفسه من الآخر، وصار هذا الحب صفة لازمة بارزة، لكل أحد منهم، حتى شهد بذلك عدوُّ الاسلام الأكبر، أبو سفيان بن حرب.

شهد الأنـام بحبه حتى العدا
والفضل ما شـهدت به الأعـداء

ولقد قال أبو سفيان هذا كلمته المأثورة التاريخية (والله ما رأيت أحداً يحب أحداً، كحب أصحاب محمد لمحمد)[3] نعم. قال هذه الكلمة، بعد

---

١ ــ أخرجه ابن حيان والحاكم من حديث انس بسند صحيح، وهو بلفظ: « ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهم الى الله اشدهما حبا لصاحبه ».

٢ ــ رواه الترمذي عن ابي الدرداء، وقال حديث حسن غريب.

٣ ــ الصحيح هذه المقالة قالها عروة بن مسعود في صلح الحديبية، عندما رجع من المفاوضة مع رسول الله ﷺ، وقد شاهد ما شاهد من فعل صحابة رسول الله معه، فصار يرمق بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا امره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر له تعظيما له، ﷺ، فرجع عروة الى أصحابه، فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي والله ان رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً. انظر تفسير ابن كثير (١٩٨/٤).

أن سمعها بنفسه، حينما جيء بزيد بن الدثنة أسيراً، ليقتل بين يدي الكفر. فقال له أبو سفيان (اناشدك الله يا زيد. أتحب أن تعود معافى لأهلك وولدك، وأن يؤتى بمحمد هنا مكانك ليقتل، فغضب زيد أشدّ الغضب، وقال (والله ما أحب أن أرجع سالماً لأهلي، وأن يشاك محمد شوكة في اصبعه. واسمعوا أيها الناس، ماذا قيل عن زيد هذا .

أسَرَت قريشٌ مسلماً في غزوة
فمضى بلا وجل إلى السياف
سألوه هل يُرضيك أنكَ آمنٌ
ولك النبي فِدى من الاجحاف
فأجاب كلاً لا سلمت من الأذى
ويصاب أنف محمد برعاف

أيها المسلمون .

إن المحبة في الله، والأخوة في دينه ، والاجماع على طاعته، أقوى أثراً وأبقى ذكراً، من كل تليد وطارف ، أبقى أثراً من كل اخوة ومودة ، ليس لها صلة بالله ولا برسوله، وصدق الله العظيم ﴿ **الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ الا المتقين . يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون** ﴾[1] .

من أجل هذا كله، كان أصحاب رسول الله عليه وسلم يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر ، ويتعاونون على الخير، جاعلين المحبة والألفة سياجاً يحفظ ما بينهم من اخوة، ويقربهم من عفو الله ورضوانه. وورد عن رسول الله ﷺ بسند صحيح، أنه قال (ما زار رجل رجلا في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه، إلا ناداهُ ملك من خلفه، طبت وطاب ممشاك، وطابت لك الجنة)[2] .

١ ـــ سورة الزخرف (٦٧ ـــ ٦٨) .
٢ ـــ أخرجه ابن عدي من حديث أنس ، دون قوله : شوقاً اليه ورغبة في لقائه .

أيها المسلمون :

إن من دواعي المحبة وأسبابها، إفشاء السلام والتراحُم فيما بينكم. يقول عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُوا. ألا أدلكم على شيءٍ، إذا فعلتموه تحاببتم.؟ أفشوا السلام بينكم)[1].

واعلموا أيها الناس .

أن الإخاءَ قوةٌ من عند الله، والفُرقةَ عذاب من الشيطان وأعوانه، وقال عليه الصلاة والسلام (من وَلِيَ من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضّعْف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة)[2] أو كما قال : ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، وَرّث الجنة للمتقين ، وأعدها للمحبين المخلصين، الذين بذلوا ثمنها تضحياتٍ كبرياتٍ بالنفس والروح والمال، بذلوا ثمن الجنة جهاداً في سبيله، ومحبة صادقة لعباده، وتقرباً إلى جنانه، وتمسكاً بكتابه ، أشهد أنه الإله الحقُ، المنعم المتفضل، مهيئاً للمحبين لذاته جنات النعيم، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، رغّبنا في الخير وشوّقنا إليه .

وبعد، فيا أيها المسلمون .

كونوا عدة المستقبل، ولا تفرقوا، يقول عليه الصلاة والسلام (كونوا مؤلفين، ولا تكونوا منفرين)[3] وقال : (إن أحبكم إلى الله عز وجل، الذين يألفون ويُؤلَفون ، وإن أبغضكم الى الله عز وجلّ المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان)[4] .

---

١ ـــ متفق عليه ، وقد تقدم ذكره .

٢ ـــ رواه احمد باسناد جيد .

وقال ﷺ (استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة)[1] وفي الحديث القدسي، عن الله عز وجل: (ابن آدم لك ما نويتَ، وعليك ما اكتسبت، وأنت مع من أحببت)[2] وانظروا أيها المسلمون إلى العناية التي أولاها الإسلام للمتحابين في الله، المتآخين فيه، يقول ﷺ (من آخى في الله، رفعه الله درجةً في الجنة، لا ينالُها بشيءٍ من عمله)[3] وقال أيضاً: (ما أحدث عبدٌ أخاً في الله، إلا أحدث الله له درجة في الجنة)[4] وما أجمل قول علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، حين قال: (عليكم بالإخوة في الله، فإنهم عُدة (أي سلاح) في الدنيا وفي الآخرة) ولقد أيدَّ هذا كلّه وقواه، قوله ﷺ (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدُكم من يخالل)[5] ثم قال: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامَك إلا تقي)[6].

عباد الله. اتقوا ربكم في انقسامكم وتفرقكم. اتقوا ربكم في خلافاتكم. راقبوا ربكم مراقبة من يعلم أن يسمعه ويراه. فالإحسان ــ يا مسلم والعبادة يا مسلم والدين يا مسلم والتقوى يا مسلم والمحبة يا مسلم ــ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. اتقوا الله وصلوا وسلموا على نبيكم، كما صلى عليه ربُكم وملائكته، تعظيماً له وتكريما، فقال **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**[7] (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق، والخاتم لمن سبق، والناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، حقّ قدره ومقداره العظيم.

---

١ ــ رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس بسند ضعيف.
٢ ــ لم اره حديثاً قدسيا، وانما المعروف أنت مع من احببت، حديث مرَّ سابقاً.
٣ ــ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأخوان من حديث انس.
٤ ــ أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أنس وسناده ضعيف.
٥ ــ رواه ابو داود والترمذي عن ابي هريرة بسند صحيح.
٦ ــ رواه الامام أحمد وابو داود والترمذي والحاكم بسند صحيح عن ابي سعيد.
٧ ــ سورة الأحزاب (٥٦).

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين. اللهم اجعلنا من الراشدين المحبين المتقين، اللهم ارزقنا محبة حبيبك، ومحبتك، وأنت خير الرازقين، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة، أفرادها وجماعاتها، وحكامها وقادتها، وجيوشها. وقوّ رابطة الإيمان في قلوبهم. اللهم زدنا ولا تنقصنا. ونسألك اللهم أن تشمل الحسين بن طلال برعايتك وتوفيقك، يا أكرم الأكرمين. اللهم وجهه وجهة الخير والسّداد، إنك على كل شيء قدير، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

* * * * *

* * *

*

١ — سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السابعة والعشرون بعد المائـة :

٢٥ ربيع الآخر ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٥/١٧

« خير الهدي هدي محمد ﷺ »

﴿ ... **رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رَبِّ أن يحضرون** ﴾[١] اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن، ومن الهرم ومن غلبة الدين، وقهر الرجال ، اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان، وهمزه ولمزه ونفثه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اغفر لي ذنبي، وإسرافي في أمري ، اللهم إني أسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، فإنك تعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم أطلق لساني بالحق، وقوِّ حجتي وبياني ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[٢] .

* * * * *

الحمد لله، الذي أنزل القرآن هُدىً للمؤمنين ورحمةً، وأتمَّ به على أمة سيدنا محمد ﷺ أفضل نعمة، سبحانه أنزل قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوج، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، أشهد أن لا إله إلا الله العليمُ الحكيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، خيرُ من تأدب بآداب القرآن الكريم ودعا به. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سلك سبيله المستقيم، إلى يوم الدين.

---

١ ــ سورة المؤمنون (٩٧ ــ ٩٨) .
٢ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

أما بعد. فقد قال عزَّ شأنه ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجلَتْ قلوبُهم وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[1] .

أيها المسلمون .

إسمعوا إلى هَدي نبيكم، ووعظِه وإرشاداته ، اسمعوا إلى كلامه ﷺ نفسه، الذي كان يلقيه على منابرِ المسلمين ، إسمعوا بعضاً من عظاته وهباته، قال ﷺ في خطبة له :

أما بعد. فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى ، وأوثقَ العُرى كلمةَ التقوى، وخيرَ الملل ملةُ إبراهيم، وخيرَ السُّننِ سنةُ محمد، وأشرفَ الحديث ذكر الله ، وأحسنَ القصص هذا القرآنُ (الذي بين أيديكم ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها ، وأحسنَ الهدي هديُ الأنبياء ، وخيرَ الأعمال ما نفع، وشرَّ العمى عمى القلب ، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وما قلَّ وكفى، خيرٌ مما كثر وألهى ، وشرُّ المعذرة حين يحضُرك الموت)[2] ﴿ ... ، **يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّك لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبَتْ في إيمانها خيراً، قُل انتظروا إنَّا منتظرون** ﴾[3] .

ثم قال ﷺ في خطبته : وشرُّ الندامة يومُ القيامة، ثم قال مُندِّداً بتاركي الصلاة (ومن الناس مَن لا يأتي الصلاة إلا دُبريّاً (أي في آخر وقتها) ومنهم لا يذكر ربَّه إلا هُجراً) (يعني يذكر الكلام القبيح، بدلاً من ذكر الله) ومن أعظم الخطايا اللسانُ الكذوب ، وخيرُ الغنى غنى النفس ، وخيرُ الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله، عز وجل ، وخيرُ ما وقر في القلوب اليقين[4] .

---

١ ــ سورة الأنفال (٢) .

٢ ــ رواه البيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه عن عقبة بن عامر الجهني وسببه : قال خرجنا في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله إذ كان منها على ليلة ، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح ، فقال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر ، فقال يا رسول الله ذهب بي الذي ذهب بك ، فانتقل غير بعيد ، ثم صلى ، ثم حمد الله ، ثم اثنى عليه ، ثم قال أما بعد إلى آخره .

٣ ــ سورة الأنعام (١٥٨) .

٤ ــ بقية الحديث .

والنياحة عمل الجاهلية ، وكنز المال كيٌّ من النار ﴿ ... ، **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يُحمى عليها في نار جهنمَ فتكوى بها جباهُهُم وجُنُوبُهم وظُهُورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾[1] .

ثم قال ﷺ والخمر جماعُ الإثم، والنساءُ حبائل الشيطان ، والشبابُ شعبة من الجنون ، وشرُّ المكاسب كسبُ الربا ، وشر المآكل مالُ اليتيم ، والسعيدُ من وُعظ بغيره ، والشقيُّ مَن شَقيَ في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم : (أي أن نهاية كلِّ حيٍّ) إلى موضع أربعةِ أذرعٍ (في الأرض) ومِلاكُ العمل خواتمُه، وكلّ ما هو آتٍ قريب ، وسبابُ المسلم فسوق، وقتاله كُفر، واغتيابه (أي غيبتُه) من معصية الله، وحُرمةُ ماله كحُرمة دَمِه ، من يكظِمِ الغيظ يأجرْه الله ، ومن يعفُ يعفُ الله عنه ، ومن يصبر على الرزية والبلَية يعوضْه الله، ومن يعصِ الله يعذبه الله[2] ثم قال ﷺ في خُطبته ، واعلموا أنَّ الدنيا حُلوةٌ خَضِرة، وأن الله تعالى مستخْلِفكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون بها .؟

فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، ثم قال : ألا إنَّ خير التُجارِ من كان حَسَنَ القضاء، حَسَنَ الطلب (أي المطالبة بحقه من المشترى) ، ألا إنَّ لكل غادرٍ لواءً يومَ القيامة بقَدْرِ غَدْرته. ألا لا يمنعنَّ رجلاً مهابة الناس، أن يتكلم بالحق إذا علمه ، ألا إن أفضل الجهاد كلمةَ حق عند سلطان جائر[3] ثم قال مُذكراً للناس وموجهاً لهم، كأن الموت على غيرنا كُتب ، وكأنَّ الحق على غيرنا وجب ، وكأنَّ الذي نشيعُ من الأموات، سَفْرٌ عما قليل، ثُم إلينا راجعون .

---

١ ـــ سورة التوبة (٣٤ ـــ ٣٥) .

٢ ـــ بقية الحديث نفسه .

٣ ـــ حديث آخر رواه الامام أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم عن ابي سعيد الخدري ، والحديث هكذا مختصراً من حديث طويل .

كأنَّا مخلَّدون ، نسينا والله كل موعظةٍ، وأمِنَّا كلّ جائحة ، (طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس ، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرتُه، وحَسُنت علانيتُه ، واستقامت طريقته ، طوبى لمن تواضع لله في غير منقصةٍ (ولا مذلة). طوبى لمن خالط أهل العلم والفهم في دين الله ، طوبى لمن جالس أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل (الكلام الزائد) من قوله)[1] ، طوبى لمن وسعته السُّنَّةُ، ولم يعدل عنها إلى البدعة .

أيها المسلمون :

اسمعوا وعوا، تيقظوا، تنبهوا، ولعلكم لما جاء في خطب رسول الله ﷺ من الواعين، لعلها تمكنت من قلوبكم، وامتزجت بلحمكم ودمكم، لعلكم عرفتم ما يجر اللسان على صاحبه من بلاء وفساد، والبلاء موكل بالمنطق .

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتةً
وأنت على سُوءٍ من الفعل عاكفُ
وإياك أن تُحصِي من الدهر ساعةً
ولا لحظةً إلا وقلبُك خائـــفُ
وبادر بأعمال يَسُرُّك أن تـــرى
إذا نُشِرت يومَ الحساب الصحائـفُ

ولقد صدق ربكم في قوله ﴿ **ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ** ﴾[2] وقال عليه الصلاة والسلام (إن أعظم الناس خطايا يومَ القيامة، أكثرُهم خوضاً في الباطل)[3] ألا فليعلم المسلمون . أن الإنسان لا يصير مالكاً لزمام أمره، ولا يمكن أن يكون سيدَ نفسه، إلا إذا ملك لسانه .

---

١ ــ مرّ تخريجه مراراً .
٢ ــ سورة ق (١٨) .
٣ ــ رواه ابن ابي الدنيا في الصمت عن قتادة بن دعامة مرسلاً .

لقد خلق الله للإنسان لساناً واحداً وأذنينْ اثنتين، ليكون ما يسمعه أكثر مما يقول، وفي الحديث (من حسن إسلام المرء، تركه مالا يعنيه)[1] وقال عليه الصلاة والسلام (أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة، أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه)[2].

أيها المسلم: لو تأملنا ملياً فيما فرضه الله علينا، لوجدنا العمل فيه أكثر من الكلام.

يا مسلم. أشغل لسانك في تلاوة كلام رب العالمين، في الإصلاح بين المتخاصمين. في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

جاهد بلسانك الظالمين والملحدين والمنحرفين. إجعل لسانك سَوْط عذاب على المفسدين. إشهد بلسانك الحقّ، تكنْ من الناجين الفائزين. حذّر بلسانك الغشاشين، والمحتكرين والانتهازيين والمرتشين.

يا هؤلاء وهؤلاء، إن أعضاء جسمك إيها الإنسان، تقول لك صبيحة كل يوم. يا هذا اتق الله فينا، فإنك إن أحسنت أحسنّا، وإن أسأت أسأنا. وقد سأل رجل رسول الله ﷺ: فقال ما النجاة يا رسول الله.؟ فقال عليه الصلاة والسلام (أمسِك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وأبك على خطيئتك)[3]. وأستغفر الله لي ولكم. ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله اللطيف بعباده عند حلول الشدائد، القريب بجليل إحسانه، لمن تقرَّب إليه بجميل المحامد. سبحانه، لا انقضاء له ولا زوال. (أحْمَدُه حقَّ حمده) أنقذنا من ظلمات الجهالة، وأشكره سبحانه، أبعدنا عن مهاوي الشرك والضلالة، وأسأله الهداية والتوفيق لصالح الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله العليُّ الكبير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا

---

١ — رواه الترمذي عن ابي هريرة بسند حسن.
٢ — رواه الامام أحمد عن سلمان موقوفاً، وابن لال وابن النجار عن ابي هريرة بسند حسن.
٣ — رواه الترمذي عن عقبة بن عامر بسند حسن، ولكنه بلفظ أملك بدل أمسك، ومعنى أملك: أي احفظه وصنه.

محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ما دامت الأيام والليال .

وبعد. فيا أيها المسلمون : لقد غلب على عقولكم الهوى، ودعيتم للطاعة فأبيتم، ونسيتم الموت وما بعده . ولعبت بكم شياطين الأنس والجنّ، ونوديتم للفسوق والعصيان فلبيتمُ .

وأسفاه، لقد اشتغلتم بالفاني الزائل عن الباقي اشتغالا، وساء منكم الفعل والقول، واستفحل الداء استفحالا، تالله لقد قلّ الحياء في حياتكم الدينية هذه. وكثر الرياء وعزّ الدواء، وقد انحلّت عُقد العقائد أشدّ انحلال، وها أنتم أولاءِ كالشجر، الذي لا ورق له ولا ثمار. فكيف حالكم أيها المصِرُّون على السيئات، إذا أعطيتم كُتُبكم باليسار، فوالله ما أنتم لدينكم مخلصون، ولا أنتم لوطنكم منقذون، وقد تألب العدو عليكم من كل حَدَبٍ وصوب ، وتجمعت كتائبه ومُعداتُه في كل ناحيةٍ من بلاد الإسلام ، وفي كل صوب .

لقد تفرَّق القوم أيادي سَبَأ ، بعد أن كانت يد الإسلام هي العليا على الكفر والإلحاد والاستعمار، أصبحت يدنا هي السُّفلى، نطلب من الصهيوني المحتل الغاشم، أن يتنازل عما سلبه منا، عنوة وقسرا وظلماً وتجبُّراً وقهرا.

إنا لله، وإنا إليه راجعون ، كيف بكم أيها الساسة في كل مكان، إذا وقفتم الموقف الهائل بين يدي من ليس لكم من دونه من وال، وليس عنكم بغافل ، يا له من موقف تشيب فيه الولدان، وتتضح فيه الأعمال ويكثر الخذلان، ويتجلى فيه الملك الديان، فترتعد لهيبته الفرائص، وتتقطع الأوصال ، تداركوا الأعمار، التي ولّت مُسرعةً . ولا يفتننكم زُخرف هذه الحياة، والآجال الواسعة، وتزودوا من الخيرات ﴿ ... **مِنْ قَبلِ أنْ يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ** ﴾[1] وتوبوا إلى الله، ولا تغتروا بسعة الرزق عليكم وبسطه ، ولا تغتروا بسعة رحمته، فإن بطشه قويٌّ شديد .

---

١ ـــ سورة ابراهيم (٣١) .

اتقوا الله عباد الله. اغتنموا فرصة العمل الصالح بالإخلاص، تنالوا النعيم وحسن المآل. وراقبوا مولاكم، فإنه عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، تعظيماً له وتكريما فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1].

اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم، ذي الخُلُق العظيم، وعلى آله وصحبه، في كل لحظة، عدد كل حادث وقديم.

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم اهدنا للعمل بكتابك، والسير على شريعتك، ونهج نبيك ورسولك، اللهم اهدنا لأرشد الأمور والأعمال، ومُنَّ علينا بحميد الخصال، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيء الأخلاق، فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. اللهم إنا نتوسل إليك بما توسَّل به عبادُك الصالحون، وأولياؤك المقربون، أن تجعل لنا من الفهم عنك وعن رسولك ما نَبْلُغ به منازلَ الصديقين، ونُحشَرُ به في زمرة العلماء العاملين، ولا تجعل يا ربنا هيمنةً ولا سيطرة علينا للشياطين وأعوان الشياطين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك، الحسين بن طلال، بصَّره الله بالشريعة الإسلامية، وارزقه العمل بأحكامها، وأعانه على عدوه.

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦).

وألف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها وأفرادِها وجماعاتها، إنه على ما يشاء قدير. واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكرُ الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والعشرون بعد المائة :

١٧ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٦/٧

« صدق الوعد والوفاء بالعهد »

أحمدك ربي على عظيم آلائك، وأشكرك على مزيد إنعامك، وأصلي وأسلم على صفوة وأوفى رسلك وأنبيائك، وعلى آله وصحبه العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لي سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، فاغفر لي مغفرة من عندك، إنك أنت الغفور الرحيم . اللهم إني أسألك خير ما عندك ، وأفض عليَّ من فضلك، وانشر عليَّ من رحمتك، وأنزل علي من بركاتك ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي اخرج الناس من الظلمات الى النور ، من ظلمات الشرك والضلال، إلى فضاء نور التوحيد، والهداية والإيمان ، وأنقذ الأمة العربية آنذاك من عبادة الأوثان، وأرشدهم إلى عبادة الواحد القهار ، وحد كلمتهم، ولمَّ شعثهم، وأحيا آمالهم، وأنجز مواعيدهم ، وجعلهم بفضل الله صفاً واحداً ويداً واحدة، على من

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

عاداهم، ألّف بين قلوبهم ﴿ ...، **لو أنفقتَ مافي الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم** ﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، لا شريك له، جعل الدين أساس كل عبادة ، ومصدر كلّ جلال وجمال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، سيد الأوفياء والأصفياء، نبيُّ الرحمة ورسول الإنسانية، ناشر لواء العدالة والحرية ، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وأيدوه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل الله عليه ، أولئك قوم نصروا الله فنصرهم، وثبت أقدامهم، وكانوا أوفياء معه، فأعزّهم، وصدقوا الله في قولهم وفعلهم ومواعيدهم، فما غيّروا وما بدلوا تبديلا، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد قال ربكم، أصدق القائلين ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً. وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربّه مرضيا** ﴾[2] .

أيها المسلمون .

لقد كانت الأمة العربية قبل الإسلام، في جاهلية جهلاء ، لا دين يجمعها ، ولا شريعة تُهذبها، ولا نظام يوحّد غاياتها وأهدافها ، ولا دستور يحفظ حقوقها، ويُبيّن مالها وما عليها، وكلّ ما هنالك عادات اعتادتها ، وأهواءٌ تعارفت عليها ، تحفظ الحقوق مرة ، وتمنعها من أصحابها مراتٍ ومرات ، كانت الأمة العربية آنذاك، متفرقةً متخاذلة، متنافرة متعادية، وأقبح ما كان من عاداتها الكذبُ في الأقوال والأفعال، والخلفُ في المواعيد، وعدم الوفاء بالوعد والعهد، إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا، وما زال هذا شأنها حتى ظهر نور سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله واصحابه الكرام ، فصاح في وجه البُطلان صيحة الحق ، وقد دوّت تلك الصيحة في الجزيرة العربية، فانتشرت رويداً رويداً في

---

١ ـــ سورة الأنفال (٦٣) .
٢ ـــ سورة مريم (٥٤ ـــ ٥٥) .

جميع ارجاء المسكونه ، تلكم الصيحة العظيمة من لدن حكيم عليم، دعت الناس إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأوثان ، وأعلنت حرّية الإنسان، وأطلقت عباده ، وأبطلت العادات السيئة، وقضت على الوعود الخلابة الكاذبة ، قضت على التعاظم والتجبر في الأرض، والتفاخر والتكاثر بالأموال والأولاد، والتباهي بالأحساب والأنساب والألقاب، قال تعالى ﴿ **يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير** ﴾[1].

أيها المسلمون .

أعود بكم إلى قوله تعالى ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا. وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾[2] .

الصدق في الوعد، والوفاء بالعهد، كان من صفات الأنبياء والمرسلين. وهاتان صفتان جليلتان من أبرز صفات المؤمنين، وإذا خلا منهما المسلم كان منافقاً خالصاً، والله تعالى يقول ﴿ **إن المنافقين في الدَّرْك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[3] .

لقد كان العرب في الجاهلية الجهلاء، يتفاخرون بقوتهم، وكثرة عددهم، بأموالهم، ومجد قبائلهم وآبائهم، بنفوذ سلطانهم، وجاههم .

أما الإيمان بالله وتوحيده ، أما الخوف من الله واتقاؤه، فلم يعيروه اهتماماً، فأبطل الله هذه الدعاوى كلها، بقوله الحكيم ﴿ ...، **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ، ... ﴾ بين سبحانه فيها أن الكرامة عنده، وأن البطولة لا يستحقها الا المتقون العاملون .

---

١ ــ سورة الحجرات (١٣) .

٢ ــ سورة مريم (٥٤ ــ ٥٥) .

٣ ــ سورة النساء (١٤٥) .

جاورت قلـب امريءٍ إلا وصل ... واتـق الله فتقـوى الله مـــا

إنمـــا من يتقــي الله البطــلْ ... ليس مــن يقطـــع طرقـا بطلا

وفي الحديث (من أراد أن يكون أقوى الناس، فليتق الله، ومن أراد أن يكون أعزَّ الناس، فليتق الله، ومن أراد أن يكون أغنى الناس، فليتق الله)[1].

أيها المسلمون . يا من تسمعون ولا تعون .

لقد خصَّ الله إسماعيل بصدق الوعد، وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء والمرسلين، تشريفاً له وتكريماً، كما لقّب الله والده إبراهيم الخليل بقوله ﴿ **إن ابراهيم لحليمٌ أوَّاهٌ منيب** ﴾[2] وكما لقب إدريس عليهم الصلاة والسلام، بقوله ﴿ **واذكر في الكتاب ادريس، إنه كان صِدّيقا نبيا. ورفعناه مكاناً عليا** ﴾[3] .

أيها المسلمون .

صدق الوعد محمود في الشرائع كلّها، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وأما خُلف الوعد، فمذموم، وهو من أخلاق الفاسقين والمنافقين، وصف الله إسماعيل بصدق الوعد، لأنه صفة بارزة لازمة له. فقد وعد من نفسه، بالصبر على ذبحه بين يدي أبيه إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام. لقد صبر حتى افتداه ربُّه، كما قال تعالى ﴿**وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين**﴾[4].

ورد أن اسماعيل هذا وعد رجلاً أن يلقاه في موضع كذا، فجاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان في آخر يوم، جاءه فقال له، ما زلت ها هنا أنتظرك منذ أمس، وقيل انتظره ثلاثة أيام، وفاءً بالوعد.

---

١ ــ مرّ في خطب سابقة .
٢ ــ سورة هود (٧٥) .
٣ ــ سورة مريم (٥٧) .
٤ ــ سورة الصافات (١٠٧ ــ ١٠٨ ــ ١٠٩ ــ ١١٠) .

وقد وقع مثل هذا مع رسول الله ﷺ قبل بعثته، وقد انتظره ثلاثة أيام، كما في حديث خرَّجه الترمذي وغيره. ولما جاءه قال له ﷺ : (يا فتى لقد شققت عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك) وقد ورد أن الأنبياء والمرسلين، كانوا ينتظرون أكثر من ذلك، ليعلموا الناس الصدق والوفاء، وورد ان إسماعيل عليه الصلاة والسلام، لم يعد شيئاً إلا وفى به، وجاء في الأثر (وأي المؤمن واجبٌ) يعني أن وعده لأخيه يجب الوفاء به في أخلاق المؤمنين، ويقول ﷺ (العدة دينٌ)[1] وإن دل الوعد على شيء، فإنما يدل على مُروءة صاحبه، فمتى تم الاتفاق بينك وبين أخيك، فلا يجوز ان تبطل ما وعدت بلا .

لا تقولَنَّ إذا مالم ترد أن تتمَّ الوعد في شيء نعم
حَسَنٌ قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشةٌ فبلا فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت نعم فاصبر لها فتمام القول أن الخُلف ذم

نعم أيها المسلمون. إن وعد الحر دين عليه، وفي الأمثال أنجز حُرٌّ ما وعد.

ولا ريب أن صاحب الوفاء بالوعد، يستحق الثناء والحمد، ويستحق على الخُلف الذمَّ. هذا وقد أثنى الله تبارك وتعالى على من صدَق وعده ووفى بنذره، وكفى بهذا مدحاً وثناءً، وبما خالفه ذماً وهجاء .

ولقد كان من صفات إسماعيل عليه الصلاة والسلام، أنه يأمر أهله بالصلاة والزكاة، لأن الإنسان إذا رأى المنكر وسكت عنه، كان شريكاً لفاعله في الإثم، كان اسماعيل يبدأ بأهله في الأمر بالصلاة والعبادة،

---

١ ــ رواه الطبراني في الأوسط عن علي وابن مسعود وابو داود بسند حسن ، ورواه ابن عساكر عن علي العدة دين ، ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم أخلف ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود العدة عطية .

ليجعلهم قدوةً لمن خلفهم، ولأنهم أولى من سائر الناس. قال تعالى لنبيه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾[1].

أيها المسلمون:

الوفاء بالوعد كالوفاء بالعهد، خُلقان كريمان من الإيمان بمكان. ذلكم من أخلاق النبلاء والفضلاء، سِمَةٌ من سمات الأصفياء والأتقياء. بالوفاء بالوعد تتأصَّل المحبة في القلوب، وتُوجد الثقة بين الناس، وتقوى الألفةُ فيما بينهم، وينتشر بينهم الحب والأمان، والوئام والسلام، ولقد جُبل الناس على حب الأوفياء، لاتصافهم بالصدق. وإذا شاع الوفاء بالوعود والعهود في أي مجتمع كان، أضفى عليه الله نعمة الأمن والاستقرار والطمأنينة. ولذا يقول الله جل وعلا ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**،... ﴾[2]. ويقول ﴿ ... **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدَقوا، وأولئك هم المتقون** ﴾[3].

أيها المسلمون:

الوفيُّ بوعده وعهده، تُعطِّرُ المجالسُ بصدقه وذكره، والثناء عليه، فهو محبوب عند الله، محبوب عند عباده، إنه موضع سرهم، ومحل ثقتهم.

المؤمن بينه وبين ربه عهود ومواثيق، يجب الوفاء بها، وبينه وبين الناس عهود ومواثيقُ، فلا بد من الوفاء بها، ليكون من الآمنين. فالصانع مع صنعته أن يتقنها، والله يحب من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه، وعليه أن يهيئها في الموعد الذي حدَّده بينه وبين صاحب العمل. والمزارع والموظف والعالم وعدهم مع الآخرين بالوفاء بالوعد، والإخلاص في القول والعمل، والحاكم

---

١ ـــ سورة الشعراء (٢١٤ ـــ ٢١٥).
٢ ـــ سورة المائدة (١).
٣ ـــ سورة البقرة (١٧٧).

وعدُه مع شعبه وأمته، حُسْنُ رعايته وحمايته من الانحراف، ومنعُ المحتكرين والمستغلين من التلاعب بمقادير بلده وأمته، ومن حقه الرحمة بكبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، والمحافظةُ على الأموال والأعراض. إذ أن الوفاء بالوعود والعهود، سِمَةُ المجتمعات الفاضلة، وصفة عظيمة من صفات الأمم الحية. يقول عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[1] أقول قولي هذا وأدعوكم ونفسي للاستغفار، استغفروا ربكم. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله الذي أخرجنا من العدم إلى الوجود، وهو سبحانه وحده صاحب الكرم والجود، تفضل علينا بوافر الفضل والجود، وهو سبحانه الذي يجيب السائلين، وإن قصُرت منهم الهمم. (أحمده) تعالى وأشكره، وأتوب إليه، وأستغفره، وأسأله اللطف فيما جرى به القلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، المُنزهُ في ذاته وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المبعوثُ بأشرف آياته، صلوات الله وسلامه على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أولي الصدق، وطهارة الذمم.

أما بعد. فـ ﴿يا أيُّها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم. **الذي خلقك فسوَّاك فعدلك. في أي صورة ما شاءَ ركَّبك**﴾[2].

كم بلطائف النصح وعظناك، وكم إلى مواطن الأنس والهدى أرشدناك، ولا زلت عن ذلك كله في صمم، ما بالُك تركت سبيل السلامة، وسلكت طريق الغيِّ والسآمة والندامة، وأتيت ما يُخزيك يوم القيامة بين الأمم.؟! ما للطاعات ليس بينك وبينها وئام، وما للمعاصي بينك وبينها أعظم اتفاق والتئام..! وما للإسلام شاده وبناه آباؤك، ثم لما جئت انهدم.

---

١ ـــ رواه ابن حبان ورسته وابو يعلي عن انس بن مالك، وعند ابن حبان ورسته زيادة وحج واعتمر وقال إني مسلم.

٢ ـــ سورة الانفطار (٦ ـــ ٧ ـــ ٨).

يقول عليه الصلاة والسلام ، مصوراً الصدق ، معبراً عن مناهجه ، (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبرُ يهدي إلى الجنة)[1]، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صدِّيقاً ، ثم يصور الكذب بأبشع صوره ، ويقول (وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا)[2] ويقول (تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه ، فإن فيه النجاة)[3].

أيها الناس . إن ما نشاهده اليوم ، وما نعانيه الآن ، ونقاسيه ، من نُذر الحروب والخراب ، هو ثمرة من ثمرات الكذب ، والخُلِف بالوعود ونقض المواثيق بين الأمم ، وما نعانيه في مجتمعاتنا ، هو نتيجة حتمية لإخلاف الوعود .

أجل . إن الوفاء بالوعد ، فيه صلاح الأمم والأفراد والجماعات ، فلا ثقة بأمة تنقض مواثيقها ، وتُخلف وعودها ، ولا ثقة بفرد لا يفي بوعده ، ولا يحافظ على عهده ، فمن وعد أخاه وعداً وفاه ، وإلا كان مُخلف وعده ، وإذا كان معذوراً بعذر شرعي مقبول عافاه .

يا من تريدون توحيد الكلمة ، وجمع القلوب ، وتطهير البلاد من الغاصبين الآثمين ، وفوا بعهد الله ، وارجعوا إلى العمل بكتاب الله ، يرفع الله رايتكم على العالمين . اتقوا الله أيها الناس . اتقوا الله حق تقواه . وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه

---

١ ـــ رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وصححه ، واللفظ له عن ابن مسعود .

٢ ـــ رواه ابن أبي الدنيا ورواته ثقاة عن منصور بن المعتمر .

٣ ـــ

قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ،الاحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها . اللهم الهم هذه الأمة رشدها ، وارزقها الصدق بوعدها ، وجمع شملها بنصر وعزة وكرامة ، ونسألك اللهم ان تشمل الحسين ابن طلال برعايتك وحسن توفيقك ، وان تلهمه العمل بكتابك وسنة نبيك .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .
٢ ــ العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة والعشرون بعد المائة :

١٥ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/٧/٥

« جريمة القتل والأخذ بالثأر من أقارب القاتل »

لك الحمد يا خالق الأرض والسماء. لك الحمد والشكر يا راحم الخلق اجمعين. لك الحمد يا من وسعت كل شيء رحمة وعلما، وأنت على كل شيء قدير. يا من نهيتنا عن اقتراف الجرائم والآثام؛ مصلياً ومسلماً على سيد الأنام، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام، ذوي الرحمة والرأفة والإقدام. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين ، اللهم اغفر لي ذنبي وإسرافي في أمري، اللهم ارني الحق حقاً فأتبعه، وأرني الباطل باطلاً فأجتنبه .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، جعل الإسلام للمسلمين نظاما ، وأنزل القرآن الكريم دستوراً للناس ، وجعله حِكَماً وحُكماً وأحكاما ، سعادتهم في الاعتصام بحبله، والعمل بأوامره ، وترك نواهيه ، وشقاؤهم في إهمال العمل به، وما يحويه . أشهد أنه المنتقم الجبار .

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، القائل (لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضُكم رقابَ بعض)[١] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، ورضى الله عن صحابته وآله الذين تمسكوا بأوامر الدين، ففازوا وسُعِدوا، في روضات النعيم .

أما بعد. فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿**ومن يقتُل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها وغضِب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيما**﴾[٢].

أيها المسلمون .

لا يحلّ لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمنَ، إلا إذا وقع منه ذلك خطأً، ومن وقع منه هذا، فليعتِقْ رقبة مؤمنةً، إن كان عنده، وليدفع إلى أهله ديةً مسلمةً عن قتله، إلاّ أنْ يتجاوزوا عن قبول هذه الدية برضاهم واختيارهم، لا حياءً ولا تخجيلا، ولا قهراً ولا قسرا[٣].

أيها المسلمون .

إن كان المقتول خطأً من قوم مُعادين لكم، وهو مؤمن، فكفارته عتقُ رقيقٍ مؤمنٍ ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فأضيفوا لعتق الرقبة دِية تسلمونها إلى أهله وذويه، فمن لم يجد ذلك فصيام شهرين متواليين، شرع الله لكم ذلك توبةً من الله. أما من قتل مؤمناً عامداً متعمداً فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه، وأعدَّ له في الآخرة عذاباً عظيما.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، إن من العادات الممقوتة القبيحة المنتشرة في طول البلاد وعرضها، التي تُروِّعُ الآمنين، وتزعج نفوس

١ ــ متفق عليه ورواه أصحاب السنن عن جرير وعن ابن عمر وعن ابي بكرة وعن ابن عباس .

٢ ــ سورة النساء (٩٣) .

٣ ــ يقول الله تعالى في ذلك : ﴿ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأً ، ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصدّقوا ، فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وأن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليماً حكيماً ﴾ صدق الله العظيم . النساء (٩٢) .

الوادعين المطمئنين، عادة الأخذ بالثأر، وهي عادة سيئة، لا يرضاها الله ولا رسوله، عادة تمجُّها النفوس المليئة بالإيمان، وتعافها الطباع الحميدة، ويأباها العقل السليم، وتذمها الفطرُ النقية والأخلاق المرضيه، وتُحرِّمها جميع الشرائع السماوية.

أيها المسلم. عادة الأخذ بالثأر، لا يرتكبها إلا من سلب الإيمان، وفقد الشعور والعطف والإحساس، وبارز ربه بالعصيان، وغضب عليه الديَّان، واستولى عليه الشيطان، فهو له قرين.

إن يقتل البريء ظلماً وعُدوانا، فتهتزُّ لهذا العمل السموات والأرضُ من هذه الفعلة الشنعاء، ويلعن القاتل جميعُ الخلائق، حتى الحوتُ والحشرات في الماء، والطيرُ في الهواء. فالقاتل هذا هدم ما بناه الله، وحارب مولاه، ولا يغلب الله غالب، وهو إن أمهله زمنا، فسيأخذه أخذ عزيز مقتدر، إن القاتل هذا يرمِّل زوجه، ويُيتِّم أطفاله، ويخرِّب دياره، ولكنَّ الجزاء لا بد وأن يكون من جنس العمل، وكما تدين تدان، ﴿ **وما ربك بظلامٍ للعبيد** ﴾[1].

أما المقتول فوليُّه ربُّه، يعذب قاتله في دنياه؛ بالقلق والاضطراب، والفزع. في نومه ويقظته، ويُحْرِمُه الطمأنينة والأمن والاستقرار، في غدوِّه ورواحه.

روى مسلم والترمذيُّ والنسائي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال (لزوال الدنيا، أهون على الله، من قتل رجل مسلم)[2]، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال (لزوال الدنيا، أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق)[3].

---

١ ــ ولذلك يقال: بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر، ويقال: بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

٢ ــ سورة فصلت (٤٦).

٣ ــ رواه الترمذي والنسائي ورواه مسلم عن ابن عمرو. رواه بن ماجه.

نعم. إن القاتل يبقى في حياته معذباً، فاقدَ الضمير والإحساس، يطارده شبح القتيل في حِلّه وتَرْحاله، ويلاحقه ظلّه مؤذناً بزواله، ينغِّصُ عليه عيشه في سائر أحواله ، فإن ثبتْ عليه جريمة القتل سيق ذليلاً مهينا إلى ساحة الإعدام، وإن لم تثبت عليه، فأين يذهب وإلى أين يفرِ من عقاب الملك العلام .؟ الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

أيها الناس في زمنكم هذا . لم يترك الله العباد فوضى، يعتدي بعضُهم على بعض. بل شرع القصاصَ وجعل أمره للحاكم، فيقتصُّ من الجاني للمجنّي عليه ، وينتصِفَ من الظالم للمظلوم .

ولو تُرِكَ أمْر القصاص للناس، لانتشر في الأرض الفساد ، وعمَّ الخراب جميع البلاد .

فأين أنتم يامن تأخذون بثأر المقتول من دم الإسلام .؟ أين أنتم من دين سيدنا محمدٍ خير الأنام .؟ فما ذنب شقيق القاتل حتى تقتلوه .؟! وما ذنب عمِّه حتى تهرقوا دمه.؟! وما جريمة والده أو ولده أو قريبه، حتى تزهقوا أرواحهم البريئة، بغير ذنب ارتكبوه.؟!

إنها والله أعمال لا تربويةٌ ولا إنسانية، لا تمت بأدنى صلة إلى الشريعة الإسلامية، إنها قضيةُ مخالَفةُ صريحَ القرآن، إنها قضيةَ خروجٍ عن طاعة الله، بل هي فسوقٌ وعِصيان ، إنها خروج على الإسلام، وسلطانِ الواحد الديَّان .

أيها المسلمون . إن عادة الأخذ بالثأر الجارية اليوم في بلادنا ، لعادة ذميمة بشعة ، لا ينصف بها إلا الأشرار ، ولا يرتكبها إلا الأغرار ، الذين تجردوا من حقيقة الإيمان ، وخلت نفوسهم من عاطفة الإنسان . نعم . لا يُقدمُ عليها الا الذين سُلب منهم الإيمان ، وفرغت قلوبهم من نوره ، وحلّ محلّه الجهل والظلام والعدوان .

إذاً بماذا يجيب القاتل والآخذ بالثأر، يوم يأخذ المقتول بتلابيبه.؟ يوم الفصل والفزع الأكبر بين يدي رب العالمين. سيقول المقتول لربه عن القاتل (ربِّ سل هذا لَمَ قتلني)[1] ويتّمَ أطفالي، وهدم سعادتي، وأدخل الحزن على أهلي وأولادي.؟ يا لهُ من موقف ترتعِد له فرائص المعتدين والباغين،وتهتز من هوله قلوب القتلة الآثمين، وترتجف من فظاعته نفوس الوادعين الآمنين، في ذلك اليوم، يوم الحسرة والندامة، يوم القصاص ويوم القيامة، هناك لا أعوان على الباطل ولا أهل ولا ولد ولا خِلاَّن. بل سيكون القاتل وحيداً فريداً أمام الواحد القهار، يستجير فلا يجار، ويطلب الغوث والرحمة من سوء عمله وشنيع فعْلتِه، ولكنْ هيهات هيهات، فمصيره جهنمُ وبئس القرار.

يقول عليه الصلاة والسلام (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يُصيب دماً حراماً)[2] أقول هذا، واستغفر الله لي ولكم، ادعوا ربكم تضرعاً وخفية. ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي تفرَّد بالامانة والاحياء، وهو الذي أضحك وأبكى، وحكم على عباده بالزوال والفناء، وهو العليُّ العظيم، وهو الواحد القهار (أحمده) على فضله العام، وأشكره على جزيل الانعام، واستجير به من عذاب النار يوم الزحام، وأشهد أن لا إله إلا الله، المنفرد والجبار، وأشهد أن سيدنا أن سيدنا محمداً سيد الأخيار والأطهار، وعلى آله وصحبه السادة الأبرار.

---

١ — رواه البزار عن ابي هريرة وتمامه: يكون أول ما يقضي بينهم في الدماء، ويأتي كل قتيل قتل في سبيل الله فيأمر الله كل من قتل فيحمل راسه وتشخب أوداجه دماً فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله له: وهو أعلم فيم قتله، فيقول رب قتلته لتكون العزة لي، فيقول الله تعالى تعست. ثم لا تبقىٰ قتلة ألا قتل بها، ولا مظلمة ظلمها ألا أخذ بها، وكان في مشيئة الله تعالى أن شاء عذبه وان شاء رحمه.

٢ — رواه الطبراني عن قتادة والحاكم عن ابن عمر وصححه، ولكن اللفظ مختلف وهو: « لن يزال العبد في فسحة من دينه مالم يشرب الخمر، فاذا شربها خرق الله عنه ستره، وكان الشيطان وليه وسمعه وبصره ورجله، يسوقه الى كل شر ويصرفه عن كل خير ».

أما بعد فيا أيها الناس . ليس من الحزم سرور الجاني بمرور الليالي ، لأن فوات الزمن يقرب الموت ، ويدني الآجال ، إنما يُسَر بمرور الأيام والليالي ، من لم يضيعها في الجنايات والآثام ، فيا أيها المغرور بملابس النعم ، المغمورُ في بحار الغفلة عن حلول النقم ، كم سلب الدهر من نعمة ، وكم فصل الزمانُ وحال بين ما يرجوه المرء ويبغيه .

اتق الله ، أيها المفرط في دينك ، اتق الله أيها الغافل عن ربك وإيمانك ويقينك . يا آخذ الثأر بقتل النفس البريئة ، لو صمت الدهرَ كلَّه وقمت الليل كلَّه ، وحججت ألفَ حَجَّةٍ ، وتعلقت بأستار الكعبة تطلب الرحمة والغفران ، ما نلت غير البوار والخسران والحرمان ، مالم تتب توبة نصوحا وتندم وتبكي ، وتتحسَّرَ على ما فرط منك في جانب بني الإنسان[1] .

واعلموا عباد الله : أن المحرِّضَ والداعيَ والباعث على الأخذ بالثأر ، كلٌ منهم شريك القاتل، فهم في الذنب والإثم سواء. وفي نار جهنم قرناء فاتقوا الله أيها الناس، وتجنبوا هذه العادة الدنية، وكِلُوا أمركم لرب البرية، وهو عزيز ذو انتقام ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه، قديما قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك على

---

١ ـــ لا شك أن القاتل اذا ندم واستغفر وتاب توبة نصوحا تقبل توبته ، استناداً لما جاء في الصحيحين ، عن أبي سعيد الخدري : كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم اهل الأرض فدل على راهب فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل من توبة فقال لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل من توبة ، فقال نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى قوم كذا وكذا فان بها اناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى ارضك ، فانها ارض سوء ، فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق ، أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله . وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـــ أي حكماً ـــ فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان ادنى . فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

سيدنا محمد ، النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، عدد مافي علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله ، وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات . إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ قادتها وحكامها وجماعاتها وأفرادها ، واجعلهم يداً على من عاداهم . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ، واجعلنا من العاملين بكتاب الله ، وسنة سيد المرسلين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك ، الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون)[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سوة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثلاثون بعد المائة :

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٧/١٩

(لا عزة لأمة من الأمم إلا بالصمود والثبات)

لك الحمد ربنا على ما أنعمت به وأوليت ، ولك الشكر على آلائك وإنعامك ما دامت السموات والأرض ، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه ، ذوي الكرامة والعزة والصبر في جميع الحالات . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، واصلح لي شأني كله .

لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، إنك على ما تشاء قدير ﴿... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، ذي العزة والجلال ، الحمد ، لله ينصر العاملين ، ويُعز الصامدين الصابرين . بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أعزَّ المطيعين الثابتين ، وقهر وأذل العصاة والمنافقين والمجرمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، ما خضع ولا استكان إلا لله ، وما اعتز ولا اعتصم إلا بالله ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، وعلى آله وصحبه ، أعزاء النفوس والهمم ، وكبراء القلوب والشيم .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين صمدوا وصبروا واعتزوا بربهم ، فلم تزل بهم قدم .

أما بعد . فقد قال الله العزيز الحكيم ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، إليه يصعد الكَلِمُ الطيبُ والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور** ﴾[1] .

أيها المسلمون . العزة خلق فاضل كريم من اخلاق المسلم ، يحدد بها اتجاهاته في حياته ، ويعرف بها سلوكه بين أهل زمانه وأوانه ، يختبر فيها إيمان المؤمن وصلابة بأسه في الحق ورباطة جأشه ، يعرف مدى قوته مع ربه . فالمسلم لا يكون ذليلا ولا مستضعفا ولا مهينا ، لأن دينه الحقّ يأبى عليه ذلك كلّه ، لا يرضى له عيشة الذلة والهوان .

إنه سبحانه جعل العزة والقوة والغلبة له وحده ــ وبمعنى الكرامة والمكانة ــ جعلها لرسوله وللمؤمنين ، جعلها سبحانه ، حقاً من حقوقهم ، وصفة لازمة من صفاتهم ، فالمؤمن بغير عزة وكرامة ، كشجرة لا ورق عليها ولا ثمرة لها ﴿ **...، ومن أصدق من الله قيلا** ﴾[2] .؟ ﴿ **...، ولله العزةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون** ﴾[3] .

يا شباب الإسلام ومحبيه .

إن العزة هي النتيجة الحتمية لعقيدة المسلم ، التي تجعله موقناً بأن الكون كلّه بيد الله . إن الناس يتفاضلون بما يمتاز به أحدهم عن الآخر ؛ كالإيمان ، والإخلاص ، والتضحية . يتمايزون بصمودهم وصبرهم ،

---

١ ــ سورة فاطر (١٠) .

٢ ــ سورة النساء (١٢٢) .

٣ ــ سورة المنافقون (٨) .

ودفاعاً عن العقيدة والحمى المستباح ، وقوله تعالى ﴿ ...، **والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور** ﴾[1] .

يرشدنا الحق سبحانه وتعالى ، في هذه الآية ، إلى أن الذين يراءوون الناس بأعمالهم وعباداتهم وجهادهم ، متظاهرين بالأعمال الصالحة ، وهم عنها معبدون . يوهمون الناس أنهم في طاعة ربهم ، وهم في الحقيقة والواقع بُغضاء الى الله عز وجل ، يراءوون الناس بأعمالهم ، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . ولا يذكرون الله إلا قليلا . فرياؤهم وتضليلهم فيه البوار والخسران والوبال ، يظهر زيفهم لأولي العقول والبصائر ، لأنه ما أسرَّ أحد سريرة سيئة إلا كساه الله تعالى رداءها ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فالماكر أيها الناس في الدنيا ، لا يروج أمره ولا يدخل مكره ، إلا على جاهل غبيٍّ مثله ، أما المؤمنون المتفرسون حقاً ، فلا يروج ذلك عليهم ولا يُخدعون ، وعالم الغيب سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

لقد حذر الله هؤلاء الماكرين ، وبين لهم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ، ولقد أعلم الله نبيه ورسوله ، أن ينذرهم ويخوفهم من بطش الله وعذابه ، ولكنهم كانوا في الحياة الدنيا موقنين وظانين ، بأنه لا موت لهم ولا زوال ، كما جاء في الذكر الحكيم ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتك ونتَّبِع الرُسُلَ ، أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال** ﴾[2] .

أجل أيها المسلمون . لقد مكر هؤلاء الظالمون ، وهؤلاء اليهود ، ولكن الله سبحانه كسر شوكهم ، وخيَّبهم وخذلهم ، ودبر لهم ما يبطل كبرياءهم ومكرهم ، ويوافق الحكمة الإلهية . لقد سجل الله عليهم أعمالهم ، وخيَّبهم فيما أرادوا ، ليجازيهم عليه.

---

١ ــــ سورة فاطر (١٠) .

٢ ــــ سورة ابراهيم (٤٤) .

أيها المسلمون . إن كلّ ما يحرص عليه الإنسان المؤمن في هذه الحياة الدنيا ، لهو الحق الصرّاح ، ولكن ويا للأسف ، ليس في مقدور أي انسان أن يعرف الحق ويجهر به ، لأنه مُرٌّ المذاق . بل فيه غَصَّةٌ لبعض النفوس المهيضة المريضة .

إن قولة الحق تُثلجُ الفؤاد ، وتهدي إلى سبيل الرشاد ، وما أجمل الحق ، وكلمة الحق لو قيلت في محلها ، ولكنّ القادرين عليها يتحفظون في كلامهم ، حرصاً على عرض مائل زائل ، وقليل ماهم .

المؤمن الصادق ، يا أخي المسلم ذو العزة والكرامة ، لا يخضع لسيطرة عدوٍّ دينه وعقيدته ، ولا يبالي به ، بل لا بد أن تكون إرادته من إرادة الله ، وفي سبيل الله ، ومن أجلها يجاهد ويكافح حتى ينتصر . يقول سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا** ﴾[1] .

لقد كشفت هذه الآية الكريمة ، عن سنة من سنن الله ، التي لا تتغير ولا تتبدل . تلكم هي أن النجاح للحق ، وان قلّ حماته وأنصاره ، وأن الفشل للباطل دائما ، وإن تضافر اتباعه وأعوانه .

نعم . قد يكون للباطل صولته في غفلة الحق وأهله ، ولكنه لا يلبث إلا قليلا ، حتى يقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق (أي باطل) هاهو ذا نبي الإسلام ﷺ دعا الناس بأمر ربه ، وكانت جنود الباطل وقوى الشر والعدوان محشودة لمصارعة الحق وأهله ، ولبث الصرّاع مدة رسالته ، حتى انتهى بفتح مكة . حض الأصنام وصناديد قريش ، وبفتحها قضى على الأعداء ، واحترقت الوثنية ذات العنجهيات ، حتى جلس صناديدهم وكبراؤهم ، أمام رسول الله ،

---

١ ـــ سورة الاسراء (٨١) .

يطلبون منه العفو ، فكان منه ما كان ، وهو على غاية من القوة والمقدرة ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وبذلك تم النصر للحق وأهله ومناصريه ، بالصبر والصمود والعمل الدائب . فالصبر الصبر ، الصمود الصمود يا إخوتنا في الضفة الغربية ، وفي كل مكان . أما المعتدون من الصهيونيين الباغين ، فإنهم سوف يندمون على تماديهم في الطغيان والتحدي علينا ، ونحن في أرضنا ووطننا ومقدساتنا ، وعما قليل ، ليصبحُنَّ نادمين .

أيها المسلمون في كل مكان .

إياكم واليأس ، إياكم والوهن ، فإن اليأس يقطع الآمال ، ويقضي على الأجيال .

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته
ما لامرىءٍ حيلةٌ فيما قضى الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تيأسنَّ فإن الصانع الله

يذكّرنا تاريخ أمجادنا ، أن أمتنا قد توالت عليها المحن ، ودهمتها بشتى أنواع البلاء ، ومنيت بألوان كثيرة من الاستعمار والمستعمرين ، والصليبيين ، تألّبت عليها قوى الشر والغطرسة والطغيان ؛ مثل فارس والرومان، لكن دولة الاسلام أيام عمر بن الخطاب وأمثاله لم تفن بالأمس.

إن امتنا اصيبت في صميمها بأفيون المستعمر الغادر، المخدِّر في حكمه واحتلاله وانتدابه لأكثر بلاد الاسلام، تمهيدا لاحتضان دولة اسرائيل، في قلب العالم كله . أجل اصيبت امتنا بذلك كلّه، ولكنها صمدت وصبرت وصابرت، وعملت، فما وهنت وما ضعفت وما استكانت، وذلك حين اعتصمت بربها، فجعلت من الضعف قوة، ومن الذلة عزة وكرامة، وذلك بفضل شعارها (لا إله الله ، محمد رسول الله) كما

كان هذا رمز امتنا وشعارها في حطين، يوم تراجعت فلول الأعداء على أعقابها، مذمومة مدحورة .

وإنما رجل الدنيا وواحدهـــا من لا يعــول في الدنيا على رجل

يقول الله سبحانه ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكُم النار﴾[1] ويقول ﴿...، ومن يتولّهم منكم فإنه منهم،...﴾[2] اصبروا أيها الناس، فان النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا. يقول ﷺ (ثلاث يدرك بهنَّ العبد رغائب الدنيا والآخرة؛ الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والدعاء في الرخاء)[3] ويقول عليه الصلاة والسلام (لولا الأمل، ما غرس زارع غرساً، ولا أرضعت أم ولدها)[4] وجاء في بعض الحكم والاثار (لله على الناس نعمتان؛ لا يُطلب العيش الا بهما، ولا ينقضي العمر الا عليهما، الأمل والنسيان).

* * * * *

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم .

الحمد لله، يكافىء من اعتمد عليه بالخير، ولم ييأس من رحمته، أشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هدى الناس للتمسك بشريعته، وعلى آله وصحبه، والتابعين من أمته.

أما بعد. فإن النصر والعزة والسيادة لا تنال بالنوم والتواكل والكسل، ولا باتباع الشهوات والضلالات، ولا باقتراف الموبقات والمنكرات، فاتقوا الله واعملوا صالحاً. فقد أصبح الأمر لكم واضحا. اتقوا الله. وكونوا مع الصادقين. كونوا مع الصابرين. كونوا مع الصامدين. واعلموا أنه تعالى

---

١ ــ سورة هود (١١٣) .

٢ ــ سورة المائدة (٥١) .

٣ ــ رواه ابو الشيخ عن عمران بن حصين والديلمي عن ابي هلال التيمي مرفوعاً .

٤ ــ مرّ سابقاً .

صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلا عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .

وارض اللهم عن سادتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر اصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، وردهم الى دينهم ردا جميلا اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ جماعاتها وأفرادها قادتها وحكامها يا رب العالمين . اللهم أعزنا بالاسلام . اللهم ارزقنا الثبات على الحق ، ولا تجعلنا من القانطين ، يا أكرم الأكرمين ، ونسألك اللهم أن تشمل برعايتك وتوفيقك ، مليك البلاد الحسين بن طلال ، اللهم وفقه للعمل بكتابك ، والسير على شريعتك يا رب العالمين .

واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً ، وسائر بلاد المسلمين .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون)[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والثلاثون بعد المائة :

١٤ رجب ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٨/٢

(هكذا يتحول حال الأمة بفساد أخلاقها وسوء أعمالها)

أحمدك ربي، على مزيد انعامك وإحسانك، وأشكرك، على كثير نعمك وآلائك، وأصلي وأسلم على خيرة خلقك سيدنا محمد، نبيك ورسولك، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه القويم، وسلك السبيل المستقيم، رب اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي. اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. يا من بيده مقادير الخيرات كلها. يا من إليه يرجع الأمر كله، يا فتاح يا عليم. افتح لنا فتحا قريباً. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله . ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[١].

* * * * *

الحمد لله، الذي جعل النصر والفوز للسالكين سبل الهداية ، وقضى بالذلة والهوان، على من حاد عن طريق الحق الى الغواية ، لا إله إلا هو، سبحانه، لا يصلح عمل المفسدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق، أنعم علينا بالكتاب المبين ، والرسول الصادق الأمين ﴿**لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين**﴾[٢].

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .
٢ ـــ سورة آل عمران (١٦٤) .

هذّب الله بالكتاب أخلاقنا، وأصلح به أعمالنا، وهدانا إلى كل ما فيه رقينا وسعادتنا، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين، دعانا الى الصراط المستقيم، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وآله وصحبه، الذين تأدبوا بآداب ديننا القويم، ووقفوا عند حدوده، فكانوا هم السادة المنصورين الفائزين.

أما بعد. فقد قال العليم الحكيم ﴿...، **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**،...﴾[1].

أيها المسلمون. لقد كانت الأمة الاسلامية ـ فيما مضى ـ متمسكة بكتاب ربها ، عاملة بسنة نبيها ، صحيحة في عقيدتها ، صالحة في أعمالها ومعاملاتها وعاداتها ، بصيرة في دينها ودنياها ، راقية في اخلاقها وآدابها وعلومها. فكانت أمة مهيب عزيزة الجانب، صاحبة الدولة والسلطان والصولة على من عدا عليها وعاداها. أما اليوم، فقد تغير حالها في شيبها وشبابها وشاباتها. لقد تغيّر أمرها، وتبدل حالها، وفسدت عقائدها وأعمالها، لقد ساءت والله معاملاتها وعاداتها، تدهورت أخلاقها. جهلت أمر دينها ودنياها. تأخرت في علومها وصنائعها، فصارت ذليلة الجانب، ضعيفة الشوكة، ساقطة الكرامة ، فاقدة الهيبة، متأخرة في مرافق حياتها، محتاجة إلى عون مادي ومعنوي، من كل مكان. إن امتنا اليوم تتخبط في ظلمات الجهالة، وتنقاد للخرافات والأوهام. ﴿...، **وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[2] وما ذلك والله، إلا لأنها خالفت أمر ربها. تركت كتابها وراءها ظهريا. انحرفت عن طريق المرشد الأعظم، رسولها ونبيها ﷺ.

أيها المسلم . القرآن كتاب الوجود ودستور الحياة. أيها المسؤولون أمام الله، في شتى اقطارها وامصارها. إن كتاب الله تعالى، هو أمانة الله، التي

---

١ ـ سورة الرعد (١١) .

٢ ـ سورة العنكبوت (٤٠) .

نزل بها الأمين جبريل، واستودعها قلب سيد المرسلين، وهو كتاب الوجود، وحبل الله الموصِّل الى حظيرة قدسه، وهو كتاب الوجود وكتاب الحياة، وسر البقاء وسر السعادة، وهو الحكم فيما شجر بيننا، واستعصى حلّه من مشاكل الدنيا والآخرة. حكم عدل، تشريع كلُّه عدل ورحمة. نظام وسلام، وامن ووئام، وبر وإحسان، رفع امة وحشية همجية مستعصية على الزمن، فجعل منها أمة رحيمة راقية، ذات شأن ومجد وفخار، جعل منها أئمة وهداة، وقادة ومصلحين. فأصبحت صحراء أو الجزيرة العربية، التي ألفت وأد البنات، وسفك الدماء، والاستهانة بالأعراض، أصبحت بالقرآن جنة الدنيا، ومنار الهدى، وجامعة الفلاسفة والمصلحين، وكبار الفاتحين، فدان قيصر لهيبتها، وتمزق ملك كسرى على صخرة عظمتها، وأرسلت أشعتها على الشرق والغرب، فدوّى صوت الحق مردداً(الله أكبر الله أكبر) هذا الكتاب، هو الذي قال فيه نبيكم سيدنا محمد ﷺ (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله)[1].

أيها المسلمون. أيها القادة في كل زمان ومكان. لقد عرف السابقون الأولون، من سلفنا الصالح عظمته، فجعلوه قانونهم، وعته قلوبهم، وتعشّقهُ أطفالهم فحفظوه، وتغنّى به نساؤهم ورجالهم فاتبعوه، وحكموه فيما بينهم، وخضع له ملوكهم وأمراؤهم، وصدع به قضاتهم وحكامهم، ورضي بحكمه عامتهم وخاصتهم، وبذلك (يا مسلمون) أعزهم الله ونصرهم، فكانت الدولة والعزة والغلبة لهم. ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا أحكامه، وأعرضوا عن آدائه، واستبدلوا به أساطير الوضّاعينَ، وتشريع أعداء الاسلام والمسلمين، وأطفأوا سراج عزهم من مدارسهم وجامعاتهم، وبغضوا فيه أطفالهم ونساءهم، وأعرضت الخاصة عنه، وجهلت العامة ما يهدف إليه القرآن، وفرح وصفق المستعمرون والمبشرون، حيث وصلوا للغاية التي إليها

١ ـــ رواه الحاكم عن ابي هريرة وتمامه : « كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » .

يهدفون منذ قرون، كما قال تعالى ﴿ **فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيّاً** ﴾[1].

فيا أمة محمد. يا شباب الإسلام. يا أمة القرآن. لقد أضعتم ــ والله ــ الأمانة بتفريطكم في كتاب ربكم، الذي أنزله هُدى للناس.

أين الدعاة والمصلحون، الذين يدعون الناس إلى التحلل من مذاهب المسلمين.؟! والتحلل من الوسيلة بالأنبياء والمرسلين، أين أغنياء المسلمين.؟ أين أهل الغيرة والحمية الإسلامية.؟ أين هم ورثة النبيين والمرسلين.؟ حتى يحافظوا على سيرة الأولين. نحن لا نريد أن نقرأ كتاب الله كما تُقرأ الصحف والمجلات، نمر عنها بلا تدبر ولا تفكر يا معشر المسلمين. تداركوا كتاب الله قبل ضياعه، عضُّوا عليه بالنواجذ، قبل أن تُحرموا هداه ونوره، أقيموا له مدارس التحفيظ، والتدبر لآياته وعظاته، نظّموا له الجمعيات، قبل أن يغلبَ الاستعمار على أمركم، وتطغى المادة عليكم، وقد طغت عليكم فعلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد اقفرت البيوت والله من تلاوة كتاب الله. ولفت المدنية المزعومة الجارفة أبناءكم ونساءكم بأغاني الخلاعة والمجون والاستهتار، واليوم يوم الفصل، فإما عداءٌ وقطيعة فيما بينكم، وبين ربكم ونبيكم وانتظروا يوماً يقول فيه رسول الله ﷺ ﴿ ... **يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** ﴾[2] نسوا الله فأنساهم أنفسهم. أولئك هم الفاسقون، وإما مودة بينكم وبين ربكم ونبيكم، ولا يكون ذلك، إلا باتباع وحي السماء ﴿ ...، **وما آتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا**، ... ﴾[3].

---

١ ــ سورة مريم (٥٩).
٢ ــ سورة الفرقان (٣٠).
٣ ــ سورة الحشر (٧).

روى البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه)[1] وعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين)[2] رواه مسلم .

أيها المسلمون .

لقد عوقبت هذه الأمة بشرِّ أعمالها، وتجرَّعت مرارة الصبر، مرارة الذلة والهوان، والتفرق والانحلال. كل ذلك نتيجة حتمية لازمة، لعدم استقامتنا وانحرافنا، عن الكتاب المبين، والصراط المستقيم ﴿ **صراطِ الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض، ألا إلى الله تصيرُ الأمور** ﴾[3] .

كل ذلك يا مسلمون نازل بنا وواقع علينا، ونحن لا نُفيق من سكرتنا، ولا ننتبه من غفلتنا، ولا ننزجر بالمحن والبلايا، ولا نعتبر بحوادث الأيام .

آهِ من غفلتنا، وآأسفي .! آهِ من رقدتنا، وآأسفي .! آه من سكرتنا، واحَزَني .! بالله عليكم، اتظنون أنكم انتصرتم على عدوكم انتصاراً ساحقاً، كما تسمعون ؟ مع أنه انتصار مَزْعَم . إن عدوكم ــوالله ــ ماكر ساهر. أخذ من الضعف قوة، ومن الغفلة يقظة. وها هو ذاهَبَيْنِ في الأذى، ويتبجح ويندد .

إنما يرجـــو الحيـــاة فتـــىً ... عـــاش في أمـــن من المحـــن

قولوا بالله عليكم، لو كنا أمة القرآن، وكان لنا شعور وإحساس، لَنبَّهتنا البلايا، واللجوءُ إلى مختلِف البلاد والامصار، والنزوح من أخصب مكان وأعز بقعة في الحياة. نعم. تالله لو كان لنا شعور حيٌّ، لأيقظتنا الفواجع والمؤلمات، والموجعات والمزعجات .

---

١ ــ رواه البخاري عن علي رضي الله عنه وابو داود والترمذي وابن ماجة عن عثمان .
٢ ــ رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ، وروواه عنه ايضاً ابن ماجة .
٣ ــ سورة الشورى (٥٣) .

أيها المسلم في أرض فقدت فيها الفضيلة، وطغت فيها الرذيلة، وطعنت فيها المروءة . الدين عقيدة صحيحة ، وصلة بالله وثيقة، وأخلاق كريمة. فهل أنت صحيح العقيدة.؟ وهل يبقى لك عقيدة صحيحة، ما دمت ترى نشرات الأحضان الدافئة على الجدران والحوانيت.؟ فأين يذهب عقلك ولبّك أيها الشاب، عندما ترى ذلك وتسمع به .؟

﴿ يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم واللهُ مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافرون . هو الذي أرسل رسولَهُ بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ﴾[1] .

أيها المسلم .

وأخيراً، نناشدكِ الله ـــ يا حكومتنا الرشيدة ـــ أن تضعي حداً لهذه الفوضى الأخلاقية، وهذا التعرّي الفاضح. هل تسير اليومَ على مقتضى كتابك وشريعتك.؟ أم أنت تسير منحرفاً عن الطريق المستقيم. أما رضيت لابنتك وزوجتك وقريبتك، أن تخرج عارية من الدين والأخلاق، بغير ما أمر الكتاب المبين .؟

إذنْ كيف ترجو من الله نصراً مؤزراً.؟ أما رضيت لولدك، أن يتشبه بالنساء الخالعات، المغريات في لباسهن، وبروز صدورهن، ووضع المساحيق على وجهه مثلهُنّ .؟ إذنْ كيف تطلب من ربك، نصراً ومقدسات، وارضاً مغتصبة.؟ أبهذا أمر كتاب رب العالمين .؟!

قل لي بربك، والساكت عن الحق شيطان أخرس، هل ما نحن عليه اليوم، من سوء المعاملة، وتهتك النساء وخلاعتهن المكشوفة، وفساد الشباب والأخلاق، هل هذا كله من تعاليم الكتاب المبين ..؟

---

١ ـــ سورة الصف (٨ ـــ ٩) .

هل من الدين، أن يكون المرء دجالاً كاذباً محتالاً، أو مرائياً مختالاً، أو مداهناً منافقا .؟ هل من الدين، أن يكون المرء نماماً أو مغتابا .؟ أو طعّانا أو لعّانا أو سبابا أو غاشاً أو خائنا .؟ هل من الدين أن يكون المرء ناقضاً للعهد.؟ مخلفاً للوعد، متكبراً جباراً عنيدا، مماطلاً في حقوق الناس .؟ هل من الدين أن يهمل الرجل زوجته وبناته.؟ وشبابه يتخذون لهم أخدانا وأصحابا، كما يشاءوون ويريدون .؟

أيها الناس . ما هذا الفساد في أمة شعارها الإسلام، وأساس دينها القرآن.؟ (والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[1] ما هذا التدهور الخلقي في أمة رسولها قال له ربه ﴿ **وإنك لعلى خُلق عظيم** ﴾[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله، عليه الصلاة والسلام، قال (إن الله تعالى يغار، وغيْرة الله أن يأتي المرْء ما حرّم الله عليه)[3] ومعناه، أنه ينتقم ممن خالفه وعصاه. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كلّ أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى . قيل ومن يأبى يا رسول الله .؟ قال : من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[4] .

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، يغفر لكم . أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، أكرمنا إذ هدانا للإسلام ، ورفع قدرنا، حيث جعلنا من أمة محمدٍ خير الأنام. أشهد أنه الواحد اللطيف الخبير، شقّ لنا في هذه الحياة الدنيا طريقين؛ طريقاً للفوز والفلاح، مصباحها المنير، سيدنا محمد رسول الله، ينادينا بصوته الحنون: هذه طريق السعادة فاسلكوها، تنالوا الحسنى وزيادة. فهل من مجيب.؟ وطريق أخرى للهلاك مرسومة، لا

١ ـــ رواه مسلم عن جابر .
٢ ـــ سورة القلم (٤) .
٣ ـــ رواه البخاري عن أبي هريرة ، ولم يخرجه مسلم .

يسلكها إلا من عميت بصيرته ﴿ **ومن كان في هذه أعمى** (يعني من كان أعمى في الحياة الدنيا) **فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾[1] .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، من أنارت الدنيا بنورهم ﴿ **أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده ،...** ﴾[2] .

وبعد . فيا عباد الله . إننا نرى في هذا الزمان السيِّء الذي عمت فيه الفوضى، وانحطت فيه الأخلاق، وقل فيه الورع، وكثر فيه النفاق. ترى الناس تخشى الناس وتخافهم، ولا تخاف رباً جبارا قهارا، بطشه شديد وعذابه اليم .

فاتقوا الله. عباد الله. حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه مسؤول . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى، ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الرؤوف الرحيم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه، في كل لحظة، عدد كل حادث وقديم .

وارض اللهم عن سادتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم إنا نسألك أن تردنا إلى كتابك والعمل به، رداً جميلا . اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها .

---

١ ــ سورة الاسراء (٧٢) .

٢ ــ سورة الانعام (٩٠) .

٣ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأصلح حكام المسلمين وقادتهم، وردهم إلى العمل بشريعة سيد المرسلين. اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها شيبها وشبانها قادتها وحكامها يا رب العالمين. اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً، فوفقه وانصره وأعنه، ومن أراد بهم سوءاً فخذه وأهلكه.

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك، الحسين بن طلال، اللهم بصرّه بالعمل بكتابك وسنة نبيك، يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ إن الله يأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[1].

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[2].

* * * * *

* * *

*

١ ـــ سورة النحل (٩٠).

٢ ـــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثانية والثلاثون بعد المائة :

٢١ رجب ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٨/٩

(عظتنا من مُعجزتيِّ الاسراء والمعراج)

أحمدك ربي، وأشكرك على جميع آلائك، وأصلي وأسلم على صفوة رسلك وأنبيائك، سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، حملة شريعتك وأوليائك .

اللهم اجعلني أخشاك، حتى كأني أراك ، واسعدني بتقواك، ولا تجعلني بمعصيتك مطرودا ، وارضني بقضائك، وبارك لي في قدرك ، وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه ثأري، وأقر بذلك عيني ، اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. يا من أسريت بحبيبك من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وأمرت بعروجه الى السموات العلا، يا عظيم اغفر لي الذنب العظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم الا العظيم ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر له أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، أكرم نبينا بالمعجزات الباهرات ، وأيده بالبراهين الساطعات، وأسري به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ثم عرج به الى السموات العلا، لِيُريَهُ بعض آياته الكبرى. أشهد أن لا إله الا الله، رفع السموات بغير عمد ترونها، وهو على كل شيء قدير. سبحانه وتعالى

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

عَرج بنبيه الى السموات العلا، إلى سدرة المنتهى، الى قابِ قوسين أو أدنى، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله، الصادق فيما بلّغ وأخبر، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن سار بحق وصدق على نهجهم القويم، الى يوم الدين .

أما. بعد أيها المسلمون . فقد قال الله تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين ﴿ **سُبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لِنريَهُ من آياتنا، إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

أيها المسلمون . إن لله لطائفَ ومِنناً، يخصُّ بها من يشاء من عباده الأخيار، يميزهم بها عن سائر خلقه، وهو الاله الفاعل المختار، أمره بين الكاف والنون، إذا أراد شيئاً قال له كن، فيكون ، وقد اصطفى محمداً، ليكون للناس بشيراً ونذيرا ، واختاره للعباد هادياً، وجعله سراجاً وقمراً منيرا. ربّاه على الشدائد، ليكون القدوة للمؤمنين في الثبات على الحق ، مهما عظم الخطب، ومهما كثر أهل الباطل، واتخذ بعضهم بعضا ظهيراً ونصيرا . وقد كان من لطف الله به، ورعايته له، أن يظهر له بين الحين والحين، ما يثبت به فؤاده ، ويشد به قلبه، ويكشف له منزلته، ليزداد إيماناً على إيمانه، ويقيناً على يقينه ، استخف به سفهاء قريش، بعد موت زوجه الحنون الوفية خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، وبعد موت عمه أبي طالب ، وقد كان له سنداً وعوناً، وقد اشتد عليه وعلى من معه، من أصحابه إيذاء قريش، فلجأ الى الطائف، يلتمس أن يجد عند أهلها حماية لدعوته، ليقوم بتبليغ رسالة ربه. ولكنهم ــ وأسفا ــ قابلوه بغلظة وجفاء، وأغروا به سفهاءهم وأطفالهم، فرجموه بالحجارة، حتى دميت قدمه الشريفة، وهو يردد ما قاله أصحابه .

---

١ ــ سورة الاسراء (١) .

ما أنتِ إلا إصبعٌ دميتِ
وفي سبيل الله ما لقيتِ

أيها المسلمون .

بالرغم مما حصل لرسول الله ﷺ في سبيل دعوته، لم تهُن عزيمته، ولم تلن قناته ، ولا ضعف إيمانه، بل نادى مولاه بقوله (إن لم يكن بك عليّ غضب، فلا أبالي، لك العتبى، حتى ترضى)[١] . لقد رجع الى مكة مهموماً حزيناً كئيباً، حيث لم يجد من يعينه على تأدية رسالة ربه .

أيها المسلم المنكر للسُّرى والعروج. أراد الله بعد ذلك كلّه، ان يُسرّي عن حبيبه ورسوله، وإن يُطلِعَهُ على بعض آياته الكبرى ، ويريه بعض آثار قدرته العظمى، ليطمئن، حيث عين الله ترعاه، وهو معه وتحت حماه ، فأسرى به ليلا من المسجد الحرام، الى المسجد الأقصى ، ثم عرج به الى السموات العلا، حتى بلغ سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى من النور والجلال، وخاطبه ربه الكبير المتعال، دون وساطة ولا وسيط. عاد من رحلته الميمونة في ليلته ، وفي صبيحة ذلك اليوم، حدث الناس بما رأى، فكذبوه، إلا من ربط الله على قلوبهم بالايمان، فأنزل الله في شأن المكذبين قوله. سبحانه ﴿ **والنجم إذا هوى. ما ضلّ صاحبُكم وما غوى . وما ينطِقُ عن الهوى . إن هو إلا وحيٌ يوحى . علّمه شديد القوى** ﴾[٢] .

أيها المسلمون في زمن الاقمار والذرة. إن مُنكر الاسراء كافر بالله. لأن القرآن أثبت الاسراء نصا وروحاً. وان منكر المعراج، فاسق منافق ضال.

---

١ — وتمام الدعاء : « اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا ارحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا ابالي . ولكن عافيتك أوسع لي . اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدين والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .. انظر البداية والنهاية (١٣٤/٣) .

٢ — سورة النجم (من ١ — ٥) .

حيث ثبت بصريح السنة. ونقول لمن يشكّ في الاسراء بالروح والجسد، فلينظر إلى قوله تعالى لعبده . إن الله على كل شيء قدير ، إنه سبحانه خلق الكون وقوانينه، وميّز عناصره وطبيعته ، فطبيعة النار الاحراق، لكنها كانت برداً وسلاماً على ابراهيم ، وطبيعة الماء الاغراق، ولكن معجزة لموسى عليه السلام، جعل الله في البحر الأحمر طريقا يبساً، على جانبيه جبلان عظيمان من الماء. ومعجزة ليونس، جعل الله له بطن الحوت سكنا وغذاء وكساء وتسبيحا ومسجدا، يدعو ربه صباحٍ مساء ﴿ ... **لا إله إلا أنت سُبحانكَ إني كنت من الظالمين** ﴾[1] .

أيها الناس . إن ما ينشر ويسمع الآن، ويذاع عن سفن الفضاء، والاقمار الصناعية، والصواريخ البعيدة المدى. كل ذلك يزيدنا إيمانا وتصديقاً بمعجزة الاسراء والمعراج. فهل يعجز خالق الكون عن الاسراء والعروج بحبيبه ونبيه، إلى ما فوق سبع سمواته، وهو القادر الحكيم .؟!

سريـت من حـرم ليلاً الى حرم
كما سـرى البدر في داجٍ من الظلم
وبـت ترقى إلى أن نلت منزلـة
من قاب قوسـين لم تدرك ولم تُرم
وأنـت تخترق السبع الطباق بهـا
في موكب كنت فيه صاحب العلم

أيها المؤمنون . إن أركان الاسلام ودعائمه، التي افترضها الله على عباده من وحي السماء، بلّغها الأمين جبريل كاملة، الى رسول الله ﷺ بلغها له في الأرض . أما الصلاة، التي هي معراج المؤمن، فقد فرضت على هذه الأمة ليلة الاسراء والمعراج. هي هدية الله لعباده، من فوق سبع سموات سمع فرضيتها ﷺ بإذنه إظهاراً لفضلها، وعظم شأنها، وعلو مكانتها ومنزلتها، فهل أنتم عليها حريصون .؟ وعليها محافظون .؟

---

١ ـ سورة الأنبياء (٨٧) .

يا معشر المسلمين في ديار غربة الإسلام .

إن الله جلت عظمته، أيد نبيكم بمعجزات خارقات عاليات باهرات، فشق له القمر فلقتين، وفجرّ الماء من بين أصابعه الشريفة، حتى روى الجيش الإسلامي عن آخره، في الأرض القاحلة الماحلة ، وألان له الحجَر فطافت فيه قدماه الشريفتان، وكلمه الشجر ، وحنّ إليه جذع النخلة، الذي كان يخطب عليه قبل المنبر، حنين الثكلى إلى أعزّ مخلوق لديها، حتى أكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج، التي نحتفى بها كلّ عام. فشكراً لربنا وخالقنا، على جليل آلائه، بأن هدانا للإسلام، وجعلنا من أمة سيدنا محمد خير الأنام، صلوا عليه وسلموا تسليما .

أيها المسلمون . كيف كان الإسراء والمعراج .؟ في تلكم الليلة العظيمة المباركة، أطلعه الله سبحانه، على كثير من آياته ونفحاته وعظاته، في طريقه إلى بيت المقدس ، أوقفه بين يديه، على بساط أنسه وهباته، بعد أن هيأ له السموات والأرض، في خدمة تُطوى له طيّاً ، وجمّل له الملك والملكوت ، وبعث له الأنبياء المرسلين ، وأخدمه الملائكة المقربين، وسخرّ له البراق السريع العجيب، من صنع الله، لامن صنع البشر ، ومهّد له العرش والكرسي، وأدناه منه ﴿ **فكانَ قابَ قوسينِ أو أدنى** ﴾[1] .

يا أمة الإسلام بعد محمد .

إن ذكرى الإسراء والمعراج، تشرق كلّ عام في مثل هذا الشهر الحرام. ولكننا عن عبرتها ومغزاها لغافلون ، جاءت هذه العبرة، لتحرك منا القلوب ، وتهزّ منا الجُنوب، ولتكون مصدرَ الحرارة الدائمة، ومنبع القوة الدائبة، ووسيلة الأخوة والتآخي الصادقة .

---

١ ـــ سورة النجم (٩) .

لقد أقسم الله بحياة صاحب الإسراء[1]، وامتدحه في كتابه بالخُلق العظيم، وصلّى وملائكته على ذاته، وأنطق له الجمادَ والحيوان، طاعته عينُ طاعة الله، وهو بعد ذلك كله أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. آتاه الله الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، يتوسل به المتوسلون، وبه يستشفعون، يوم الفزع الأكبر، اختاره الله رسولاً لخيْرِ أمة أخرجت للناس، فاستجاب لأمر ربه، وتلقى رسالته بالجدِّ، والصبر والثبات، ووطّن نفسه على الموت في سبيل الله. واجه المشركين والمنافقين والظانين بالله ظن السوء، بدعوته الحازمة، وجاهرهم برسالته، يغشى قريشاً في مجامعهم وأنديتهم، مُنَدِّداً بهم، رافعاً صوته مُدوياً عاليا (يا معشر قريش إني لكم نذير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا صنم ولا وثن يُعبد بعد اليوم)[2].

ارتجفت قريش، وارتجت مواطئُ أقدامها، من زحف الدعوة إلى أحياء العرب، فوقفوا في وجهه، وجِلين مبهوتين، تفننوا في صفوف الفتك والأذى به وبأصحابه، فثبت الله روعه وقلبه، وأنزل عليه ﴿ **فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ، ... ﴾[3].

فصبر ﷺ وصابر، وتحمل كل أذىً ومكروهٍ، فلم تضعف عزيمته، ولم يجبُن، ولم يَهُنّ، ولم يتأوه، ولسان حاله يقول :

تعودت مَسَّ الضُّر حتى ألفتُه، هنا بكيت وبكى الناس، وأسلمني طول العزاء إلى الصبر. لكن الذي ضرّ في نفسه أن رأى أصحابه يعذبون بين يديه، فتوجه قسم كبير منهم مهاجرين في أرض الله الواسعة. فقال: مردداً دعاءه المعروف (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إن

---

١ ــ وذلك عندما قال له الله سبحانه وتعالى ﴿ **لعمرُك إنهم لفي سكرَتهِمْ يعمَهُون** ﴾ سورة الحجر (٧٢) .

٢ ــ روى ابن اسحق في باب عرض رسول الله نفسه على أحياء من العرب (يا بني فلان . إني رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه ، من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، وتمنعوني حتى أبيّن عن الله ما بعثني به .

٣ ــ سورة الأحقاف (٣٥) .

لم يكن لك غضب عليّ ، فلا أبالي)[1] . اللهم إنك تعلم أن الأرض كلّها عاجزة عن جزاء هذا الرسول عن أمته . فلتمنحه السماء ما يثبّتُ به فؤاده . فسرْعان ما أنجز الله وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده . وعاد إلى مكة يوم الفتح ، ظافراً منتصراً .

أيها المسؤولون أمام الله والتاريخ . في هذه الذكرى الغالية ، إرشاد صحيح واضح ، إلى حكام المسلمين وقادتهم ، في كل مكان . أن تجعلوا بيت المقدس ومسرى الرسول ومعراجه مكان الروح من الجسد . لأن هذه الديار هي مهابط الأنبياء والمرسلين ، وكثيرٍ من قادة جيوش أصحاب رسول الله الفاتحين .

إن فلسطين هي قلب العالم الإسلامي ، الممتد في دنيا الأمة العربية الإسلامية . بل هي جزء لا يتجزأ من الوطن الإسلامي العربي الكبير إذنْ فالتفريط في شبرٍ منها ، أو في شيء من مقدساتها ، جنوح عن الحق ، وخيانة كبرى للأمانة العظمى ، التي ائتمنهم الله عليها . وإساءة للضمير الإنساني العالمي .

هذه فلسطين الجريح الثكلى ، يهتز لها عرش الله الأدنى . يهتز لها مسرى الرسول العظيم ﷺ . إنها تناديكم يا أبطال محمد . يا قادة الغزوات الإسلامية المظفرة الخالدة . أيام خالد وأمثاله . يا خالد بن الوليد . يا عامر بن الجراح . فلسطين تدعوكم إلى وحدة القلوب ، وجمع الكلمة ، إلى ربط قلوبنا بمقدساتها وقدسيتها ، وإنقاذها من احتلال الصهيونية ، وسيطرتها عليها ، خلصُّوها من براثنها المؤذية . يقول ﷺ (لما كذّبتني قريشٍ ، قمتُ إلى الحجر (أي حجر اسماعيل عند البيت الحرام) واشتد كربي ، فجلّى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه)[2] أو كما قال : أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

---

١ ـــ راجع الصفحة الثالثة من هذه الخطبة .

٢ ـــ رواه مسلم عن جابر بن عبدالله والنسائي والترمذي ، عن ابي هريرة .

الحمد لله، على نعمه وآلائه، وأصلي وأسلم على أشرف رسله واصفيائه. أشهد أن لا إله إلا الله، الذي خلق فسوّى، والذي قدر فهدى، وأشهد أن محمداً رسول الله، الذي ما ينطق عن الهوى، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله. اتقوا الله في أنفسكم. اتقوا الله في أوطانكم. اتقوا الله في مقدساتكم. اتقوا الله في ذراريكم. خذوا من عبرة الإسراء والمعراج ما ينفعكم. تذكروا اليوم الذي فيه حسابكم. اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

يقول رسول الله ﷺ (رأيت ابراهيم ليلة أسري بي. فقال: يا محمد. أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التُربة، عَذبة الماء، وأنها قيعان غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

اتقوا الله حق تقواه. وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى، ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2]. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق.

وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، وأصحاب رسول الله أجمعين، والأئمة الأربعة المجتهدين، وتابعيهم ومتبعيهم ومقلديهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين.

---

١ ـ رواه الترمذي والطبراني وقال الترمذي حسن غريب، من هذا الوجه عن عبدالله بن مسعود.

٢ ـ سورة الأحزاب (٥٦).

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، واجمع بين قلوب القادة والحاكمين، على كتاب الله، وسنة سيد المرسلين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت اقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم خالف بين كلمة الكافرين والمستعمرين والمشركين، واجعل الدائرة والطامة الكبرى عليهم يا أحكم الحاكمين، ورد إلينا مقدساتنا بالجهاد والنصر المؤزر، يا أرحم الراحمين.

ونسألك ان تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال، ألهمه الله العمل بكتابك وسنة نبيك، يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثالثة والثلاثون بعد المائة :

٢٨ رجب ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/٨/١٦

(منزلة المتواضعين والمستكبرين، وقيمة كل منهما في الإسلام)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك، وعلى آله وصحبه. اللهم أغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي ، اللهم من أرادني بسوء فردّه عليه، ومن كادني فكده، واجعلني من أحسن عبادك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك ، وأخصهم زلفى لديك، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك. اللهم اجعلني من المتواضعين إليك، ولا تجعلني من المستكبرين ﴿... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾[1].

* * * * *

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والكبرياء والجلال ، وأشهد أن لا إله إلا الله، له الأمر كله ﴿ وله الكبرياءُ في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم ﴾[2].

وأشهد أن سيدنا ومولانا، وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله، خيرُ من تواضع لله فرفعه الله، وخيرُ من تواضع لعباد الله في غير مذلة ولا هوان، وعزّ ﷺ في غير استعلاء ولا كبرياء. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه ومُحبيه، الذين تواضعوا لله فرفع شأنهم، وأعلى أقدارهم .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة الجاثية (٣٧) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى، في حق المنافقين ﴿ **وإذا رأيتهم تعجِبُكَ أجسامُهم، كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدة، يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم، هم العدوُّ فاحذرهم، قاتلهم الله، أنى يؤفكون. وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسولُ اللهِ لَوَّوْا رؤوسَهم ورأيتَهُم يَصُدُّون وهم مُستكبرون** ﴾[١] .

أيها المسلمون .

إن عدوكم لا يزال يتطاول على أرضنا، ويعتدي على أهلينا وذوينا ومقدساتنا. كلما رآنا هادئين وادعين، كلما ازداد فينا طمعاً، وازداد تألهاً وكبرياء، ليغطي فشله في حربه معنا، وهزيمته أمام الجيوش الكرارة الفرارة. لكنَّ حربنا مع عدونا، لم تكن انتصاراً حقيقياً يرد الأرض المغتصبة، ويعيد المقدسات ، بل كان شبه انتصار، فعدونا لا يزال يرغد ويزبد ويهدد ويتوعد، كما كان يهدد فرعون موسى ومتبعيه، حتى كانت نتيجة فرعون وجنوده، الغرق والدمار والهلاك . إنهم والله ليسوا بذوي قوة ولا شوكة، لولا مساندة القوى الأخرى لهم، ولكن الله معنا، ولن يُضيعنا إن شاء الله تعالى، نعم. إذا نظرت إليهم أعجبتك ضخامة أجسامهم، وإذا تكلموا أصغيت يا محمد لقولهم، لفصاحة ألسنتهم، ولكنهم في خلوهم من النظر البعيد والمعرفة ، وفي غفلتهم عن تبعيات الحياة، كأنهم خُشُبٌ مُسندة إلى حائط، لا يفقهون عن الله قيلاً. وهم مع ذلك ــ الآن وفي كل زمان ومكان ــ لكثرة خوفهم، يتخيلون كلَّ صوت وكلَّ صيحة يسمعونها، أنها واقعة عليهم، وأنهم هم المقصودون بها، لأنهم معتدون، ومغتصبون ومحتلون .

يا محمد. هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون، فاحذرهم ولا تأمنهم ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبعَ دينكمْ ...** ﴾[٢] .

---

١ ــ سورة المنافقون (٤ ــ ٥) .

٢ ــ سورة آل عمران (٧٣) .

قاتلهم الله . كيف يُصْرَفون عن الحق ، وإذا قلت لهم يا محمد ، تعالوا يستغفر لكم رسولُ الله ، هزّوا رؤوسهم استخفافاً وإعراضاً واستكباراً ، ورأيتهم يُعرضون عنك وعن أتباعك ، وهم مستكبرون .

أيها المسلمون . استمعوا واتعظوا بما يُلقى عليكم . إن ربكم سبحانه وتعالى ، يقول ﴿ **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُوَفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا** ﴾[1] .

أيها المسلمون . إن التكبر والتجبر والتعالي في الأرض على خلق الله ، مصيرُه الهلاك والدمار والفشل . يقول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿ ... **وآخفض جناحَكَ للمؤمنين . وقل إني أنا النذيرُ المبينُ** ﴾[2] . وقال تعالى ﴿ **وآخفض جناحك لِمَنِ آتّبعكَ من المؤمنين** ﴾[3] .

وقال رسول الله ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كبر) فقال رجل (يا رسول الله) : إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسنا ونعلُه حسنةً ، قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، وإن الله نظيف فتنظفوا ، إنه يحب النظافة)[4] ومعنى حب الله للجمال ، ليس كما يفسره المغرضون ، أنه سبحانه يحب أن يرى أثرَ نعمته على عبده ، ثم بين الرسول ﷺ معنى الكبر ، فقال : (الكبر بَطَرُ الحق ، وغمطُ الناس)[5] ومعنى بطر الحق : ردّه على قائله بالباطل ، ومعنى غمط الناس : احتقارُهم . فمن ردَّ الحق على قائله ولم يقبله منه ، فهو متكبر جبار عنيد ، ومن احتقر الناس فلم يبال بهم في مجلسه أو معاملته ، فهو متكبر متجبر ، أذله الله على أعين عباد الله أجمعين .

---

١ — سورة النساء (١٧٣) .

٢ — سورة الحجر (٨٨ — ٨٩) .

٣ — سورة الشعراء (٢١٥) .

٤ — رواه مسلم والترمذي ، عن عبدالله بن مسعود .

إن المستكبرين نازعوا ربَّ العزة في إزار العزِّ ورداءِ الكبرياء، وهو سبحانه ربُّ الأرباب. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه، في الحديث القدسي (العِزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد منهما، عذبته)[1] وفي رواية قصمته ولا أبالي. (...، **ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى**﴾[2].

فما أجمل التواضع لله ، فالتواضع لله عِزٌ وسيادة ، كما قيل :

وإذا تذلّلـت الرقـاب تواضعاً
منّـا إليك فعزُّهـا في ذلّهـا

وكما قيل :

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعةً
فـإن رفيع القوم من يتواضـع

أيها الناس .

فلتتكبر إسرائيل ، ولتشمخ علينا ... كما قيل .. بأنفها أنفٌ في الماء ، وأست في السماء ، فلتفعل ما تشاء . فالمتكبر في حد ذاته وضيع ، مهما شمخ بأنفه ، وتعالى على غيره ، محاكياً الدخان في ارتفاعه ، وهو كذلك متعبٌ نفسه بكبريائه ، فالكبر وصف في الأنام مذموم ، وصاحبُه من الخيرات والهبات ممقوتٌ ، ومحروم .

تواضع تكنْ كالنجم لاح لناظـرٍ
علـى صفحات الماء وهو رفيـعُ
ولا تك كالدُّخـان يعلو بنفسه
على طبقـات الجو وهو وضيـعُ

---

١ ـ رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن مسعود وابي هريرة ، ولأبي هريرة : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما ، قذفته في النار .

٢ ـ سورة طه (١٢٧) .

كرري اعتداءاتك يا إسرائيل، على أرضنا ووطننا ومقدساتنا. لقد تكبر إبليس، فلم يمتثل أمر الله، بالسجود لآدم ﴿... **أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾[1] ﴿...، **قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين**﴾[2].

قال تعالى ﴿ **إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتّحُ لهم أبوابُ السماءِ ولا يدخلون الجنة حتى يلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِياط، وكذلك نَجزي المُجرمين**﴾[3].

لقد ظنّ إبليس يا قوم، أن الطين لا يسمو سموَّ النار، مع أن السموّ والتقدير إنما يكونان من الله العلي القدير، الذي يُعزُّ من يشاءُ، ويُذل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، بيده التقريب والإبعاد، والإشقاء والإسعاد، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكن أتدرون ماذا كانت عاقبة كِبر إبليس.؟ كانت تلك العاقبةَ طَرْده من رحمة الله، وقد جعل الله جهنّم مأواه ﴿...، **فلبئسَ مَثوى المتكبِّرين**﴾[4].

تكبر فرعون، حتى قال لقومه مرتين ﴿... **أنا ربكُمُ الأعلى**﴾[5] وفي الثانية ﴿... **ما علِمْتُ لكُمْ مِنْ إلهٍ غيْري**﴾[6] فأخذه الله نكالَ الآخرة والأولى. أي أخبره جزاء الكلمة الأولى والثانية، فأغرقه الله لأنه امتنع عن دعوة الحق، وقد أرسل الله له موسى وأخاه هارون عليهما السلام، ومعهما معونةَ الله وقوته، قال تعالى ﴿... **لا تخافا، إنني معَكما أسمعُ وأرى**﴾[7].

ولنا من قصص الماضين أكبرُ عبرة، قال تعالى، بعد انطباق البحر على فرعون وجنوده ﴿ **وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الآخرين. إن في ذلك لآيةً، وما كان أكثرُهم مؤمنين**﴾[8].

---

١ ــ سورة البقرة (٣٤).
٢ ــ سورة الأعراف (١٢).
٣ ــ سورة الأعراف (٤٠).
٤ ــ سورة النحل (٢٩).
٥ ــ سورة النازعات (٢٤).
٦ ــ سورة القصص (٣٨).
٧ ــ سورة طه (٤٦).
٨ ــ سورة الشعراء (٦٥ ــ ٦٦ ــ ٦٧).

أيها المسلمون. أيها المستكبرون المتجبرون. ما أسوأ الكبرَ، وما أشنعَ عقباه، فما أظلمك أيها المستكبر. ما أظلمك لنفسك قبل غيرك. قل لي بربك. هل تستطيع إذا سُلبتَ الماءَ والهواءَ والغذاءَ، أو تقدِرُ أن تخلقَ ما به حياتُك وقوامُ ذاتِك.؟ فعلامَ تتكبر.؟ وعلام تتجبر.؟ استحيي أيها الإنسان، وتواضع لمن خلقك وأحياك، ثم يُميتك، ثم يبعثُك حياً ولا ينساك، ثم يحاسبك على ما كان منك. وقد أعد سبحانه للمستكبرين سوءَ العذاب، وللمتواضعين حُسن الثواب.

أيها العاقل الرشيد. اكتسب بالتواضع المجد والحمد ﴿**ولا تُصعِّر خدَّك للناسِ** (أي لا تُميل وجهك عن الناس تكبراً ولا تجبراً) **ولا تمشِ في الأرض مَرحاً**، (أي مُعجَباً بنفسك) **إن الله لا يحب كلَّ مختالٍ فخور**﴾[1] وقال تعالى ﴿ **ولا تمشِ في الأرضِ مَرحاً، إنك لن تخرِقَ الأرضَ ولن تبلغَ الجبالَ طولاً**﴾[2]. روى الطبراني، عن عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، رضي الله عنه، قال على المنبر: أيها الناس: (تواضعوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تواضع لله رفعه)[3]. أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

الحمد لله المطلع على الضمائر، علاّم الغيوب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبرّأ من العيوب، المطهر من الذنوب، وعلى آله وصحبه، (أحمده) سبحانه وتعالى، وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، العليمُ بالسرائر والنيات، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، أمر بإخلاص الطاعات، صلى الله عليه، وآله، وأصحابه المتقين العاملين.

١ ـــ سورة لقمان (١٨).

٢ ـــ سورة الإسراء (٣٧).

٣ ـــ رواه احمد والبزار والطبراني واللفظ له عن عمر بن الخطاب: من تواضع لله رفعه الله. وقال انتعش نعشك الله، فهو في أعين الناس عظيم، وفي نفسه كبير، وأخرجه الشيخان بلفظ: «ما تواضع احد لله الا رفعه الله»، عن ابي هريرة.

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين، اللهم ارزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وباعد بيننا وبين الفتن الظاهرية والباطنية، ودبّر مصالحنا الدنيوية والأخروية. اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها وأفرادها وجماعاتها، واجعلها عاملة بكتابك وشريعة نبيك، يا أرحم الراحمين. ونسألك اللهم أن تشمل الحسين بن طلال بعنايتك ورعايتك، يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء، رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله اكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الرابعة والثلاثون بعد المائة :

١٩ شعبان ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/٩/٦

(تزويج المسلم صاحب الدين أولى من غيره)

أحمدك يا رب، وأستعين بك، وأستغفرك، وأستهديك، وأتوب إليك، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، وعلى آله وصحبه، أولى الصفا والوفا. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله الحكيم العليم، خلق الذكر والأنثى، وجعلهما قوام الأسرة، منهما يخلق الله البنين والبنات، ومنهما وبهما عِمارة الوجود، وتمامُ النعمة، وكمال المقصود، أشهد أن لا إله إلا الله، جعل كلاً من الزوجين سكناً لصاحبه، جعل المودة والمحبة شعارهما، والوفاءُ والإخلاص قِوام حياتهما، سبحانه من إله حكيم، هدى بالإسلام إلى اصلاح الأسرة، وبناء المجتمع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، دعا الى خير نظام، صلى الله عليه، ضرب أروع الأمثال في العِشرة الطيبة ، والسماحة المحبَّبة، وتكوين الأسرة الفاضلة، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين تكونت بهم ومنهم الأسرُ الصالحة، والمجتمعات السعيدة الناجحة.

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨).

أما بعد . فقد قال الله جلّ وعلا ﴿ **يا أيها الناسُ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفْسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيبا** ﴾[1] .

أيها المسلمون .

يناشدكم ربكم بكتابه، ويقول: خافوا الله الذي خلقكم من نفس واحدة، هي آدم عليه السلام، وخلق وجعل من تلك النفس زوجها، ونشر منهما على الأرض خلقاً كثيرا، ذكوراً وإناثا . إنه سبحانه يناشدكم بالذي يناشد به بعضكم بعضا، ويحذركم من سوء عقابه، وقطيعة الأرحام ، إنه سبحانه يحصي لكم أعمالكم، ولا يزال على أعمالكم رقيباً حفيظا .

أيها المسلمون .

خذوا العِظة والعبرة من هذه الآية الكريمة. إنه خلقكم بقدرته الباهرة، من نفس واحدة، لماذا .؟ لتتحدَ مشاعرُكم وتأتلفَ قلوبكم، وتمتزجَ أرواحكم . إنه سبحانه خلق من هذه النفس الواحدة زوجها، فكلاهما جزء متمم لصاحبه، لا غِنى لأحدهما عن الآخر، ولا هناء ولا صفاء إلا بوجوده. أجل بث منهما رجالاً كثيرا ونساءً كثيرات، ليُعرَفَ فيُعبدَ لا ليُعصى ويُجحد. وعزَّ من قال ﴿ **وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدونِ** ﴾[2] .

حثَّ عباده على مراقبته وتقواه، وعنايةِ كل زوج منهما بالآخر، فلا ينغصُ حياته، ولا ينكدُ عيشه. بل يجب أن يكون الحال بين الزوجين مودة ومحبةً ورحمة، والله رقيب على جميع الأعمال .

---

١ ـــ سورة النساء (١) .

٢ ـــ سورة الذاريات (٥٦) .

أيها المسلم .

خذوا مني هذا الإرشاد السليم، واسمعوه وعوه. لتعلموا قيمة العلم. إنما قدمت لكم هذه المقدمة القرآنية، لتكونوا بُصَراء بأنفسكم وأهليكم، مفكرين في خالقكم، لأن من عرف نفسه عرف ربه، ومن جهل نفسه، فهو أجهل بربه. والخوف على قدر المعرفة. نعم. لتكونوا رقباء على أبنائكم وزوجاتكم وبناتكم، (فالرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والإمام والحاكم راع ومسؤول عن رعيته)[١].

فالأسرة ـــ يا مسلمون ـــ أساسُ المجتمع. فإذا صلَحت قوي المجتمعُ وسَعِدَ، وإذا فسدت أسرع إليه الفساد، وآل أمره إلى ذل وهوان وزوال . من أجل هذا كلّه، حث الإسلام الرجل على أن يختار زوجةً ذات خُلُق ودين، لتراقبَ ربها، في جمالها وحَسَبها ومالها ومال زوجها وكتمانِ سره، ولتصونَ عرضها، وتربي أولادها في شرف وأمان، وتجعل من بيت زوجها منزلاً صالحاً وجنّة رابية، تجعله منبتَ الفضائل ومدرسة السعادة والهناء. تخرج من بينهما البُذور النقيّة الصالحة . تجعل من بيت زوجها خير مكان لراحته، من عناء الأعمال ومتاعب الحياة . وأنى يكون هذا الحال في هذا الزمان .؟

وما أجمل قولة رسول الله ﷺ (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل، خيراً له من زوجة صالحة، إن نظر إليها سرّته ، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله)[٢] وما قاله أيضاً، عليه الصلاة والسلام (تُنكح المرأةُ لأربع خصال) (أي شرفها) ولدينها، فركز الرسول ﷺ على ناحية الدين، وقال (فاظفر بذات الدين، تربت يداك)[٣] فرسول الله ﷺ يركز على الناحية الدينية .

---

١ ـــ حديث صحيح رواه البخاري ومسلم .

٢ ـــ رواه ابن ماجة عن أبي أمامة ، بسند ضعيف .

٣ ـــ متفق عليه ، وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة وتمامه : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

أجل. حثَّ الإسلام ايضاً أولياء أمور النساء، أن يختاروا لبناتهم وأخواتهم ومن هُنَّ تحت رعايتهم الرجل الصالح. ويعنى بالصالح، صاحبَ الدين كريم الخلق حميد الخصال، يخشى ربه ويخاف عذابه، إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لا يظلمها، فلا يزوجْها إباحيا يفرِّط في عرضه وشرفه. وفي هذا يقول ﷺ (إذا جاءكم وفي رواية إذا أتاكم، من ترْضوْن دينَه وخُلقَه، فزوجوه، فإلاَّ تفعلوا وإلاَّ تزوجوه، تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير)[١].

ما أحوجنا نحن المسلمين إلى اليقظة والحذر. ما أحوجنا إلى النظر والتأمل في عواقب الأمور، بقلوب داعية إلى هذا الإرشاد المحمديِّ الكريم. أجل. إن تزويج البنات من غير الأكفاء في الدين فتنةٌ وفساد. وأيُّ فساد ودمارٌ على مستقبل هؤلاء الفتيات، اللاتي ترمونهن، وتقذفون بهن في أحضان الشباب الداعر، المجرد من الدين والفضيلة ومكارم الأخلاق، طمعاً في المال والمادة. فرفضكم لأصحاب الدين في زماننا هذا إنما هو رفض للدين نفسه، وعدمُ احترامه وتقديره .

يقول ﷺ (أتدرون من الديُّوث.؟ قالوا لا. قال: هو الذي يرضى بأهله الخنا)[٢] ولا يبالي بمن يدخل عليها، أو يخرج من عندها. يعني إباحياً لا يبالي بمن نظر إليها، وحدَّق بصره فيها. ألم يُقسم ربنا الخلاق بالأخلاق، التي عظمها العزيزُ بنفسه، فقال مُثنياً على نبيه ورسوله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٣].

أيها المسلمون .

ما دام صاحب الخلق قادراً على الإنفاق على بيته، قادراً على إسكان زوجته، ولو لم يكن عنده سيارات ولا تجارات ولا بيارات، فالله سبحانه وهو

---

١ ـــ رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والبيهقي ، عن ابي حاتم المزني ، وفي رواية البيهقي وفساد عريض ، وقال الحاكم صحيح .

٢ ـــ روى احمد عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث، وروى الطبراني عن عمار ابن ياسر: ثلاثة لا يدخلون الجنة ابداً؛ الديوث، والرجلة من النساء، والمدمن الخمر. قالوا يا رسول الله أما المدمن فقد عرفناه، فما الديوث قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قلنا فما الرَّجُلة من النساء.؟ قال: التي تشبَّهُ بالرجال.

٣ ـــ سورة القلم (٤) .

الغني الكريم، وعد بالتفضل والإكرام على أهل ذلك البيت، فقال ﴿...، **إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله، والله واسع عليم**﴾[1]. ماذا أنتم اليوم.؟ وما هو حال السابقين الأولين.؟ فقد كانوا يزوجون أهل الدين على تحفيظ آيات من كتاب الله، وتكون الزوجة من أجمل نساء زمانها، وأعلمهن بكتاب الله وسنة رسوله.

نحن اليوم في زماننا النَّحس هذا، لا نريد خاطباً من ذوي الدين. أعلمني الكثيرُ من شباب المسلمين المؤمنين بحق وصدق، أن بعض العائلات هنا حتى نفسُ المخطوبات، يشترطون عليه أن تلبس لباساً غير محتشم، وأنها تريد السهرات ودور الملاهي، وتغدو وتروح دون رقيب، وتشترط عليه أن تجاري المدنيَّة الحُرة في غُرف المسؤولين وغيرهم، ومن شروطهم ألاَّ يتزوج في بيت أبويه، إلى غير ذلك من الشروط المنفرة. فأين تقع هذه المسؤولية أيها الناس.؟ وعلى من تقع.؟ إن الناس اليوم، يعرضون بناتهم وأخواتهم، ويقولون هذا من المدنية.

على المقامرين والسكيرين ذوي الأموال، يضع الواحد منهم ذراعه على ذراعها، على مرأى ومشهد من الناس، أو يتركونهن إلى البوار، يبقين سادراتٍ هائمات على وجوههن، في الشوارع والأسواق.

أيتها الأمهات. أيها الآباء الحاضرون.

كم في البوار من أضرار، وكم تحوّل البوار إلى دماركم.؟ فيه من كبْت جنسي، إلى همٍّ يحرق الدم، وحسراتٍ تجعل الضياء ظلاما، والراحة ذلا وعذابا، والصَّفاء كدرا وغضباً. كم روى التاريخ يا عباد الله، من قصص يشهد بأن المرأة في حاجة إلى زوج يُحصنُها. وحَسْبُنا شاهداً على ذلك، ما كان من البنات الثلاث، بنات هَمّام بن مُرّة، اجتمعن يوماً فأخذن في الحديث في موضوع منعهن وحرمانهن من الزواج، بسبب رفض أبيهن لكل

---

١ – سورة النور (٣٢).

خاطب، وانتهى حديثهن إلى مصارحة والدهن مهما كانت النتائج. وقد تم لهنّ ما طلبن، فتزوجن من ذوي الدين، وتمت لهن السعادة بيقين .

قل لي بربك . فهل يرضى عاقل حكيم عطوف شريف، أن تكون بناته أو أخواته، أو أية امرأة له عليها ولاية، سائراتٍ في طريق الغواية، تائهاتٍ في مجاهل الصحراء .؟ فما هذا بمنطقٍ، ولا عقل، ولا برهان .

نعم. نعم . لقد رغبَّ الإسلام في الرابطة الزوجية، الرغبة الصادقة والحب الطاهر البريء، الذي لا ينبيء عن رغبته في شهوة أو نزوةٍ طائشة، لا ترتكز على ولاءٍ ، ولا إخلاص ولا ضمير .

كم من زواج كان على مجرد ميل للشهوة الخفية، فلم يلبث أن يتبدد، ولم يدم، بل تفرّق الزوجان لأتفه الأسباب. لأنه حب غير شريف. وكم من فتاةٍ طار عفافها وذهب شرفها بلا ثمن. وتسمعون ضحية شهوةٍ جانحة فاشلة، من أجل قضية حب ــ كما يقولون ــ فلم تمكث عند زوجها إلا أياما. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون** ﴾[1] .

أيها المسلمون. أيها الشباب. أيها المجتمع في كل مكان : بهذه التعاليم الإسلامية السامية، وضع الإسلام الأمور في نصابها، لتكوين الأسرة الصالحة قال تعالى ﴿ ... ، **ولهُنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف، وللرجال عليهن درجةٌ، والله عزيز حكيم** ﴾[2] .

فمن على منبر القول الحق، يُعلنُ القرآن الكريم، ذلك القول الحكيم، أن للنساء حقاً على الرجال، مثل الحق الذي عليهنّ لهم، وأن للرجال على النساء درجة الرياسة والمسؤولية أمام الله . ويعقب على هذا بقوله ، والله عزيز

---

١ ــ سورة الروم (٢١) .
٢ ــ سورة البقرة (٢٢٨) .

قادر على الانتقام ممن خالف الأحكام، حكيم يشرِّع الأحكام لمصالح عباده، ولحكم يعلمها هو، لا غير .

ان مجتمعاً مفككة أوصاله، منهارةً أسْره، من هذا الطراز المُزري، لجدير بالانهيار، وخَلِقٌ بالزوال، ولربما أتت عليه الرذيلة الطافحة من القواعد .

أيها المسلمون .

لو رجعنا إلى ماضينا المجيد، بقليل من العبرة، ودرسنا كيف تكونت الأسر في ظل الإسلام.؟ وما قامت به من تكوين مجتمعات، شُيد بنيانها، وخفقت على العالمين أعلامُها، لهالنا الفرق الشاسع بيننا وبينهم. هؤلاء كانوا قدوة حسنة في سلوكهم؟ في بيوتهم، في معاملاتهم. نشّأوا ابناءهم على حب الدين والفضيلة، فشبوا رجالاً وابطالاً. فأين نحن يا مسلمون من هؤلاء الأمجاد.؟ الذين أسسوا أمة أضاءت حضارتها قلوب العالمين، وأقاموا دولة عزّ جانبها وانتصر في ميادين الكفاح، لأن مجتمعهم تكوّن من أسُس ثابتة، جعلت الدين سلاحها، والإيمان عمادها، وتقوى الله حصنها، والتعاون على البر والتقوى قصدها، والفقه في دين الله غايتها وغرضها، فبدل الله خوفهم أمنا، وذلهم عزا، وضعفهم قوة، وقلتهم كثرة، ونصرهم على عدوهم نصراً أكيداً، تحقيقاً لوعده الكريم للمؤمنين ﴿... ، **وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين**﴾[1] ائتيني بالمؤمنين الصادقين، حتى ينصرهم الله .

قال ﷺ (دَعُوا لي أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أُحُدٍ ذهبا، ما بلغتم أعمالهم)[2] أو كما قال: ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

١ ـ سورة الروم (٤٧) .
٢ ـ رواه الامام أحمد عن أنس ، قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

الحمد لله الحليم الكريم، ذي الفضل العظيم، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعانا لاتباع المصلحين العاملين، وحذرنا من صحبة المنافقين، وعلى آله وصحبه المتقين .

وبعد. فيا أتباع محمد ﷺ ويا أنصاره ومؤيديه ومحبيه. يامن لا تنكرون التوسل به، وبتابعيه، عُودو إلى دينكم. وارجعوا إلى تعاليم إسلامكم، واعملوا بها ، عوِّدوا أولادكم ونساءكم عليها، تعيدوا للمجتمع الإسلامي هيبته وصولته ومجده وفخاره، وللوطن الغالي، عزّه وانتصاره، والله مع المخلصين .

اتقوا الله. عباد الله . واعلموا أنه صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً حكيماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم ارحمنا، فإنك بنا راحم، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم رد إلينا غربتنا، وإكشف لنا كربتنا، ورد بعزة ونصر وفخار الينا مقدساتنا. اللهم أصلح حال قادتنا وحكامنا، والف بين قلوبهم، على طاعتك وطاعة رسولك . اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها. اللهم أصلح حال الأسرة الإسلامية، والأمة القرآنية، وأعزنا بديننا وقرآننا يا رب العالمين .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم ان تشمل الحسين بن طلال وولي عهد الحسين، بعنايتك ورعايتك وهدايتك. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

1 ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الخامسة والثلاثون بعد المائـة :

١٨ رمضان ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/١٠/٤

(نفحات من أحداث شهر رمضان، ومن غزوة بدر الكبرى)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على نبيك ورسولك وحبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين . رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً. وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت أرحم الراحمين . قال ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★

الحمد لله واسع الفضل، تفضّل علينا برسول الهداية، فهدانا لشريعته العادلة ، أنعم علينا بنعمة الصيام والقيام، ونزولِ القرآن. الحمد لله يَهبُ النصرَ لمن يشاء متى شاء، سبحانه من إله حكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، امتنّ علينا بالنصر والفتوحات في شهر الخيرات، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، حثّنا على مزيدٍ من العبادة في شهر الرضوان والغفران، وقـد آتاه الله النصر والتوفيق في جهاده وفتوحـاته،

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .

﴿ ... ، وكانَ حقاً علينا نصرُ المؤمنين ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله القويم، واتبعوا طريقه المستقيم، إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد قال أصدق القائلين ﴿ ولقد نصرَكمُ اللهُ ببدرٍ وأنتمْ أذِلةٌ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون، إذْ تقولُ للمؤمنينَ ألَنْ يكفيَكمْ أنْ يُمِدَّكمْ ربُكم بثلاثة آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين ﴾[2] .

أيها المسلمون .

إذا كانت الأعوام والأشهر، تتفاضل وتمتاز على غيرها، بما يقع فيها من أحداث دينيه تاريخية، فلشهر رمضان هذا فضائل كبرى، ومزايا عظمى، لا توجد في غيره من الشهور . فمن أبرز أحداثه وأسعدها على البرية، نزول الوحي المقدس السماوي، على قلب سيد البشر، وإرساله رحمةً للعالمين ، أرسله ربُه للناس كافةً، شاهداً عليهم، ومبشراً للمؤمنين منهم، ونذيراً للعاصين ، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيرا ، ومن الأحداث التاريخية إشراق بَعثةِ الرسول ﷺ في أرضِ الحرم، في مكة المكرمة، حيث قام بدعوته معتمداً على خالقه، في تأدية رسالته. وبعد جهاد وكفاح طويل، شاقٍ مرير، وعقبات كؤود، وصعوبات جمَّةٍ، هاجر إلى المدينة المنورة، دار الهجرة، مُجاوراً أولئك الأنصار، المؤمنين الصادقين ﴿ والذين تبوَّءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ، ومن يوقَ شُحَّ نَفسِهِ فأولئك هُمُ المفلحون ﴾[3] .

---

١ ــ سورة الروم (٤٧) .

٢ ــ سورة آل عمران (١٢٣ ــ ١٢٤) .

٣ ــ سورة الحشر (٩) .

لقد وجد الرسول واصحابه في طيبته المنورة، أرضاً طيّبةً، ومكاناً ينبتُ بالعزة والكرامة والتأييد، كما قيل :

فكل امرىءٍ يولي الجميلَ مُحَبَّبٌ
وكلّ مكانٍ يُنبتُ العـزَّ طيـب

أيها المسلمون .

لما طبق المسلمون الأولون تعاليم الإسلام؛ جزيئاتِه وكلياتِه، وأشرق نور الإسلام في الأرض، أصبح لديهم آنذاك طاقاتٌ إيمانية واسعة المدى، ومواهبُ رحمانيه، أهّلتهم للجهاد والجهر بالدعوة، والصمود أمام هزّات الأعداء، وجموع المشركين العنيفة ، حاولوا عرقلة سير حركة الدعوة الإسلامية ، وظنوا أن شهر الصيام، فرصة كافية للانتقام من صاحب الدعوة ومؤيديه ، وظنوا أن قوى المؤمنين، لا تصمُد أمام جحافل الشرك وعُبادِ الأوثان من أثر الصيام، فتحرّشوا بالمسلمين، ليثيروها حرباً قاسية على المسلمين، فكانت غزوة بدرٍ الكبرى حدثاً تاريخياً هاماً. فيصلاً بين الشرك والإيمان، وفاصلاً بين الحق والباطل. ولقد تغيّر بها وجه التاريخ فعلاً، وتطوّرت الدعوة الإسلامية، من ضعف إلى قوة، ومن ذِلة إلى عِزة ، ومن عجز إلى قدرة ، وكانت نتائج النصر المُظفر ساطعةً في أفق الوجود الإسلامي. تعُجُّ بالفتوحات الإسلامية الباهرة .

أيها المسلمون في زماننا هذا .

لقد ذُكر عدد المقاتلين من الطرفين عدة مرات، فلا حاجة لذكره، إذ لا يعنينا من غزوة بدر الكمُّ فيها، أي العدد والعدد يوم التقى الجمعان، وإنما يعنينا من غزوة بدر الكيفية، ألا وهي دستورية القائد الأعلى المجـرب،

وهو سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ وحكمتُه وسياستُه، واستشارة أصحابه في كل موطن واجهوه . فمن أسباب الفوز فيها إخلاص الجند المقاتلين، وثقتُهم بأنفسهم، وثقتُهم بقائدهم، وبالنصر المؤكد ، ومن أسبابه أيضاً اعتماد القائد الحكيم على ربه، الا وهو رسول الله، عليه الصلاة والسلام. فالثقة بالله أقوى أمل، والتوكل على الله أزكى عمل .

أيها المسلم .

اسمع واتعظ. لما تراءى الفريقان، أي لما تقابل الجيشان المتحاربان في صعيد واحد، ورأى رسول الله ﷺ قلة عدد المسلمين، التجأ إلى ربه في هذه الساعة العصيبة والمعركة الفاصلة، فوقف في عريشه ضارعاً إلى خالقه، هاتفاً بربه، مستغيثاً قائلاً (اللهم هذه قريشٌ قد أتت وأقبلت بخُيَلائها وكبريائها، تحاول أن تُكذِّب رسولك. اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم إن تَهلِكْ هذه العصابةُ اليومَ، فلا تُعبد)[1] فلما فرغ من دعائه. قال له ابو بكر الصديق صاحبُه في الغار، والله لينصرُكَ الله، وتمثّل أمام رسول الله ﴿ ... كَم من فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فئةً كثيرةً باذن الله، والله مَعَ الصّابرينَ ﴾[2] .

فسرعان ما تبدّل خوفه أمناً، ونزل المعركة، وخاضها بأصحابه. ودارت رحى الحرب، وحمي وطيسُها، وكان أسطول محمد البريُّ؛ يومذاك مجهّزاً بما أمكن من السلاح، تؤيده وتعززه طاقاتُ الإيمان الصحيح ، وتراقبُه عناية الله ، نعم. كان هذا الأسطول، الأسطول الذي لا يُغلب، والجيش الذي لا يقهر بحق، لا كأساطيل الكفر والضلال، والبغي والطغيان، التي تقف في طريق كل تحرُّكٍ إسلامي . أفلا تعلمون أن الحركة الاستعمارية العارمة على اختلاف أشكالها وألوانها، لا يعنيها من الأمر، إلا الحفاظ على ركيزتها إسرائيل الباغية، الصهيونية العالمية .

---

١ ـــ رواه البخاري .

٢ ـــ سورة البقرة (٢٤٩) .

استرشد الغرب بالماضي فأرشده

ونحـــن كان لنا ماض نسينـــاه

إنّا مشيْنا وراء الغرب نقبسُ من

ضيـــائه فأصابتنـــا شظايـــاه

أجل. أيها المسلمون .

لقد أيقنَ الجيشُ الإسلاميُّ المحمديُّ بنصر الله، ولا ريب أن قوة الواثق بربه لا تهونَ، ولا تضعُف ولا تلين ، وروح الواثق بربه لا تقاوَم ، والذي زاد في حماس المحاربين وبسالتهم، وهو من الأسباب البارزة في المعركة، وقوف القائد الملهم الأعلى، سيدُنا رسول الله ﷺ على رَأسِ المعركة .

أيها المسلم في زمن الأسلحة الفتاكة .

إن أبرز شيء تجلى في غزوة بدر يومذاك، هو المدد الإلهي الملائكي، بشر الله به عباده المؤمنين الصادقين ﴿ **بلى، إنْ تصْبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمْددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين. وما جعله الله إلا بُشرى لكم ولتطمئنَ قلوبُكم به، وما النصرُ إلاَّ من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[1] .

وما أجمل القائد حين يقاتل على رأس جيشه. وفي صحيح مسلم عن بُريدة قال : (غزا رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، قاتل في ثمانٍ منهن)[2] .

ولقد كان الرسول في المعركة يقول: إني لأرى رؤوساً تتطاير، وأجساماً تتهاوى. ورأى أصحابه كذلك. وسمع صحابي كان يلاحق مشركـــاً صوت السوط، وكان يسمع قـــول جبريـــل عليه السلام،

١ ــ سورة آل عمران (١٢٥ ــ ١٢٦) .

٢ ــ رواه مسلم عن بريدة .

(أَقْدِمْ حَيزوم) يعني أنه يحث فرسه على خوض المعركة، فقال الصحابي لرسول الله ما رآه وسمعه، فقال له صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة)[1] .

أيها المسلمون . ومن أحداثه الباهرة نزول القرآن الكريم، هداية للعالمين. من أحداث شهر رمضان المبارك فتح الأندلس وجزيرة رودس. وفي شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة، قاتل صلاح الدين الأيوبي الملك العادل الصالح جيوش الصليبيين المستعمرين في سوريا، وهزمهم شر هزيمة. حتى عادت إلى الشام صبغة الإسلام. وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ردّ صلاح الدين الأيوبي نفسه فلول الصليبيين عن مدينة صور، في لبنان .

يا صلاح الدين قم وانظــر الى   حالة في القدس تستبكي العيـون
بُذُل الحـالُ الـذي تعرفــه   ذِلَّـةٌ واستأسد المستعمـــرون

وأسفاه واضيعتاه واحسرتاه .

والله لا يأتي الزمـان بمثلــه
إن الزمـــان بمثلـــه لبخيـل

أيها المسلمون. أيتها الشقيقات الغاليات .

في العام الماضي، وفي العاشر من شهر رمضان، اعتصمت الأمة الإسلامية العربية بحبل الله، واتحدت حكمتها، فقاتلت إسرائيل الباغية المغتصبة الطاغية، فلم تعد جيشاً لا يقهر . وبتلكم المفاجأة الساحرة، استردت هذه الأمة كرامتها بين الأمم. ولولا تدخلُ صويحباتها في حربنا، مع العدو ، لكانت مقبرة يهوذا في سيناء والجولان. كما وقع في حطين، ولكنّ الله على كل شيء قدير .

---

١ — رواه مسلم عن ابن عباس ، قال بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس اقدم حيزوم ، إذ نظر الى المشرك أمامه ، قد خرَّ مستلقياً ، فنظر اليه فاذا هو خطم ، أي ضُرب أنفهُ وشُق وجههُ بضربة السوط . وحضر ذلك أجمع ، فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ ، فقال صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة .

أيها المسلمون .

هاهو ذا رمضانكم قد أشرف على الرحيل، فصححوا صيامكم في أيامه الباقية ، فما صام من كذب وأخلف وعده . وما صام من سرق أخاه، وما صام من أغتاب أو سعى في غيبة . فالرسول ﷺ يقول (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن)[1] .

أيها المسلم . ما صام من سعى في الفتنة، أو عاث في الأرض فساداً، أو تكبر أو تجبر على خلق الله . انتظروا أيها المسلمون قدوم ليلة القدر ، فإنها سريعة عجيبة كلمح بالبصر . بل هي أسرع .

يا مسلم. إياك والنظرة إلى المحرمات. إياكم وفضولَ الكلام، وأنتم عاكفون في المساجد، لأن الكلام فيها يأكل الحسناتِ، كما تأكل النار الحطب ، وإذا كنتم لا تتقون الله في المساجد، فليكن إحياءُ ليلة القدر في المنازل، فهو أفضل وأقبل. يقول ﷺ (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السموات)[2] أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله المعزّ لمن أطاعه واتبع ورضوانه، المذلّ لمن خالفه وارتكب عصيانه، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله، يهدي لنُصرة دينه من يشاء، وهو الحكيم العليم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قام بعبادة ربه حتى تورمت قدماه الشريفتان، وعلى آله وصحبه والتابعين.

---

١ ــ متفق عليه عن أبي هريرة .

٢ ــ أخرجه احمد من حديث ابي هريرة .

عباد الله .

نحن الآن في أواخر العشر الأواسط من رمضان، وبعدها العشرُ الأواخر، فاتقوا الله. واعتبروا. فمن لم يتعظ بأعمال الناس وعظ الله به الناس. تأهبوا لاستقبال ما بقي في هذا الشهر من أيام، واعملوا فيها من الصالحات لليوم الآخر .

يا عباد الله . استحيوا من الله. وراقبوا ربكم، فقد رأيت بأم رأسي كثيراً من الشباب من سائقي السيارات وغيرهم، يشربون الدخان بلا خجلٍ ولا حياء. أين أنتم يا خنافس اليوم من شهر رمضان.؟ ورسول الله الذي تزعمون أنكم من أمته، يقول (من أفطر يوماً من رمضان، لم يقضه صوم الدهر كله)[1] ويقول (لو علمت أمتي مافي رمضان من الخير تمنت أن تكون السنة كلها رمضان) ويقول (كل أمتي معافىً إلا المُجاهرين بالفسق) يامن يتسللون إلى المقاهي والمطاعم، اتقوا ربكم. يقول رسولنا ﷺ (إذا لم تستح، فاصنع ما شئت)[2] ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله** ... ﴾[3] فأين هم الذين يستحيون، ويستحون من الله يا ترى ؟ أين هم أصحاب المروءة يا ترى .؟

مررت على المُروءة وهي تبكـــي
فقلت عـــلام تنتحـــب الفتاةُ
فقالت كيف لا أبكي وأهلـــي
جميعاً دون خلق الله ماتـــوا

---

١ ـــ رواه الترمذي وبقية أصحاب السنن وتمامه : من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر كله ، وإن صامه . عن أبي هريرة .

٢ ـــ رواه أبو يعلى من حديث مسعود وهو بلفظ لو يعلم العباد مافي رمضان لتمنت أمتي ان تكون السنة كلها رمضان .

٣ ـــ سورة النساء (١٠٨) .

يقول ﷺ (من اشتاق إلى الجنة، سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار (أي خاف منها) تلهىّ وتباعد عن الشهوات والملذات ، ومن راقب الموت، ترك المعاصي والموبقات ، ومن زهد في الدنيا، هانت عليه المصائب)[1] .

رمضان قد مضى وانقضى، فأين هم اللائذون الراغبون في الجنات .؟ أين هم الواقفون على أبواب الملك العلام.؟ لينالوا منه النفحات والكرامات. أين هم الهجّدُ والركع، السجود في الليالي الحالكات .؟ هذا عشرٌ يتم فيه الإسعاد والتكريم، ويعافي الله فيه مريضَ القلب المذنب السقيم .

واتقوا الله يا أمة خير الأنام. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، فقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

اللهم إنا يا ربنا ندعوك، دعاء من يرجوك ويخشاك ، ونبتهل إليك ابتهالَ من لم يخطر بباله عند سؤالك أحدٌ سواك، رحمتك يا ربنا تسعُ من أطاعك منا وعصاك ، اللهم فتداركنا هنالك يوم العرض عليك، يوم الحسرة والندامة، برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل لنا من جهاد قائدنا ورائدنا وشفيعنا يوم القيامة، في غزوة بدر عبرة وعظة، حتى يسترد حكامنا وقادتنا

---

١ ـــ رواه البيهقي عن علي ، كرم الله وجهه .
٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

وطنا مغتصباً مسلوباً، ومجداً عاليا منهوباً، وقدساً مقدساً مهيباً، ولا تردناخائبين محرومين يا رب العالمين ، اللهم اجمع كلمتنا وكلمة حكامنا وقادتنا، على الحق العادل، والنصر الشامل، وادفع عنهم عزة التشاحن وذلة التخاذل، وأصلح ذات بيننا يا أرحم الراحمين. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك، الحسين بن طلال. اللهم سيّره على كتابك ونهج رسولك يا أكرم الأكرمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والثلاثون بعد المائة :

٣ شوال ١٣٩٤هـ
١٩٧٤/١٠/١٨

« كيف حالك بعد شهر رمضان أيها الصائم بالأمس .؟»

أحمدك يا أعدل من حكم ، ويا ولي النعم . ويا ولي من ظلم . يا حسيب من ظلم . يا جابر القلوب المنكسرة . ويا رافع معالم الدين للمتقين . فكانت الأيام والساعات بطاعتك لهم ، أعياداً وإسعاداً وإرشاداً ، مصلياً ومسلماً على رسولك ، الهادي إلى صراطك المستقيم . وعلى آله وصحبه وتابعين أولي العزة والتكريم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا . إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله ، يحب الذين هم على صلواتهم وعباداتهم دائمون ، ولربهم مراقبون ، ولأماناتهم وعهودهم راعون . سبحانه وتعالى حرّم الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، في شهر رمضان وبعد رمضان ، نهانا جلّت حكمته عن المعاصي رحمة بنا ، وحذرنا عاقبة الموبقات ، والوقوع في المكاره والآثام ، أشهد أن لا إله إلا الله غفور رحيم ، شديد العقاب . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، حذرنا وخوفنا من إليم العذاب ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

أما بعد . فيا أيها المسلمون .

يقول عليه الصلاة والسلام (أحبُّ الأعمال إلى الله أحمَزُها، (أي أدومها) وإن قلّ)[1] .

أيها المسلم .

لا تقل ذهب رمضان وجاء شوالْ، ففيه الإفطار والحرية. فذلك انتهاك لحُرُمات الله، الواحدِ القهّار ، فإنه هو وحده المعبود، لا شوال ولا شهر الصيام. إنه سبحانه المطلع على جميع أقوالكم وأفعالكم، ولا يعزُب عنه مثقال ذرةٍ من أحوالكم، وهو المحيط بما يجرى عليكم، في اليقظة والمنام . أيها الطاعن في السن. لِمَ لَمْ تعتبر بمرور الأيام والليالي.؟ لِمَ لَمْ تنزجر بمرور الساعات .؟

إن الليالـــي للأنـــام مناهـــلْ
تطـــوى وتنشر بينهـــا الأعمار
فقصارهُـــنَّ مع الهموم طويلـــة
وطِوالُهـــنَّ مع السرورِ قِصـــارُ

أما آن لك أن ترجع لمولاك يا مسكين.؟ قبل أن تنالك من المنايا سهام . فلا تتكل على سَعَة رحمته. فذلك من ضعف في الدين واليقين. ويحك، بادر بالتوبة، وأسرع إلى مولاك بالأوبة، واركب بحر الندامة، واقلع بريح الملامة، وتأهّب لحب من يدعوك للقرب إليه، فإقبالك عليه علامةٌ على الوصول إليه. قلبُك يا هذا عن المحبوب غافل وغائب، وبالرأفة ينادي هل من تائب .؟ هل من آيب.؟ أي راجع إلى الله، وأنت والله مشغول بالهوى، مفتون بالمنى، وواقف مع ما توقن أن عقباه الغنائم. بعد ذلك تطلب من الله

1 ـــ متفق عليه بدون أحمزها .

المواهب، وحفظك من الوقوع في المصائب..! هذا أمر من العجائب. وأملك فيه خائب، فانهض بهمتك عن هذا الانحطاط ، وتدارك ما وقع منك من التفريط والإفراط .

أيها المسلمون .

هاهو ذا قد أقبل عليكم الحج، فاستعدوا له وتهيئوا، وقد من الله عليكم فريضة بعد فريضة. انتهيتم من الصوم، الحج، إلى العام الهجري، الذي تخرج فيه الزكاة .

أيها المسلمون .

ألم يأن لذي الكبرياء والرياء، أن يُقلع عن الأوزار .؟ ألم يأن لآكل الربا أن يكفّ عن محاربة الجبار .؟ ألم يأن لمرتكب الزنا أن يستحيي من العزيز القهار .؟ ألم يأن للسارق أن يخشى ربه، فيتباعد عن سرقة الأمور البالية التافهة وغيرها .؟ ألم يأن للمرتشي الظالم أن يندم على ما فرط منه، ويرجع إلى الله بنفس نادمة صافية .؟

فرحم الله عبداً عَرَف ربه، فأقبل على الحياة الباقية . وأعرض كلّ الإعراض، عن الحياة الفانية . فاتقوا الله. عباد الله. وتباعدوا عن معاصيه ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، وتجرّدوا عن الشهوات، ولا تنزلنّ بكم الدناءَة إلى التشبه بالخنافس، وذوي الغرور والأوهام ، اهتمُّوا بمداواة قلوبكم، ومداواة جراحاتكم، فوق ما تهتمون بمداواة أجسامكم، وتزينوا للقدوم على ربكم بلباس التقوى، ولباسُ التقوى، ذلك خير أكثر مما تتزينون، للإقدام على كبرائكم ، واستقيموا إليه، كما أمرتم، فالخير كلّ الخير لمن كان مع الله

مستقيماً. تذكروا قوله تعالى ﴿**فلا تحسبنَّ اللهَ مُخلِفَ وعْدِهِ رُسُلَهُ، إن اللهَ عزيزٌ ذو انتقام**﴾[1]. يقول عليه الصلاة والسلام (إعملوا، فكلٌ ميسر لما خلق له)[2].

أيها المسلمون :

لقد سنَّ النبي ﷺ لأمته، صيام ستة أيامٍ من شوالٍ بعد رمضان. فيجوز للصائم أن يصومها ثانيَ يوم العيد مباشرةً، سرداً. يعني متواليةً، ويجوز صيامُها مفرقةً، يوماً بعد يوم. ويجوز صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، ويجوز صيام الأيام البيضِ؛ وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقد أخذ هذا التفسيرُ من مفهوم الحديث في قوله ﷺ (من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر)[3].

إذنْ فلنندمج مع الله بطاعته، بذكره وشكره، وتمجيده وعبادته، في شهر رمضان، وفي غيره .

خرجنا من شهر رمضان، فهل رجعت المتبرجات الفاجرات عن تبرجهن.؟ وهل رجع الشباب عن مجونهم، والمجاهرة بعصيانهم.؟ يقول ﷺ (ما تركت بعدي فتنة أضرُ على الرجال من النساء)[4] ويقول ﷺ (إن الله ليزغ بالسلطان، مالا يزغ بالقرآن)[5] وفي رواية، أكثر مما يزع بالقرآن.

رباه أين نحن من قرآنك .؟ أين نحن من هديك وتشريعك.؟ أين نحن من خوف عذابك .؟

يا شباب اليوم وشابات اليوم. يا شباب الموضة. يامن تشبهتم بالمسلمين تشبهاً صورياً لا حقيقياً. أتظنون أن السعادة والطمأنينة في الحياة للمشلطين.؟! وما الحياة إلا شهواتٌ وملذات، وقصور شامخات عاليات..!

---

١ ــ سورة ابراهيم (٤٧) .

٢ ــ رواه الطبراني عن ابن عباس وعن عمران بن حصين وسنده صحيح .

٣ ــ رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني ، عن أبي أيوب .

٤ ــ متفق عليه والترمذي والنسائي وابن ماجة ، عن اسامة بن زيد .

٥ ــ رواه اصحاب السنن .

﴿ ... **سبحانك هذا بُهتان عظيم** ﴾[1]، أليس لك أيها الشاب شعور حيٌّ تشعر به.؟ أليس بك إحساس تُحِسُّ به .؟ أليست لك غيرة، تغار بها على زوجك وعرضك وبيتك وشرفك .؟ الم تسمع قول رسولك ﷺ (ليس منا من تشبه بغيرنا)[2] ؟

فالذي يرضى باختلاء زوجته مع أجنبي، فهو (ديوث). والديوث هو فاقدُ الغيرة والإحساس . قال رجل لرسول الله ﷺ : (قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً غيرك : قال قل آمنت بالله، ثم استقم)[3] . أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم . ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه .

عباد الله . اتقوا ربكم. وارجعوا إلى مولاكم، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم أعمالكم . حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم، تنصروا وتجبروا، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما، ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[4] اللهم صل وسلم وبارك عليه .

---

١ ــ سورة النور (١٦) .

٢ ــ رواه الترمذي عن ابن عمر بسند ضعيف، وبقيته : لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الاشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الاشارة بالأكف .

٣ ــ رواه مسلم والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجة عن سفيان ابن عبدالله الثقفي .

٤ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم إنا نسألك توبة نصوحاً، وقلباً عن الزلات صفوحاً، وبارك لنا فيما رزقتنا، وارزقنا، وأنت خير الرازقين. اللهم أعِزَّنا بالإسلام، وألف بين قلوبنا، ووحد صفوفنا، واجمع شملنا بأهلينا وأحبتنا ومقدساتنا، واجعلنا ممن يقول ويعمل، ويؤيد الأقوال بالأعمال، لا للاستهلاك والسمعة والرياء والخيال، واجعل باطننا خيراً من ظاهرنا، واجعل ظاهرنا صالحاً، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات ياسميع يامجيب الدعوات.

اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها، قادتها وحكامها، يا رب العالمين. اللهم اجعلهم من العاملين بكتابك وسنة رسولك. ونسألك اللهم أن تشمل عبدك، وابن عبدك الحسين بن طلال بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، وهيء له العمل بدستور رب العالمين، يا أكرم الأكرمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السابعة والثلاثون بعد المائة :

١ من ذي القعدة ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/١١/١٥

(الاتحاد قوة، وجمع الكلمة نعمة)

أحمدك يا رب على مزيد آلائك وإنعامك، وأشكرك على خفيّ لطفك وإمدادك، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، صفوة وخيرة رسلك وانبيائك، وعلى آله وأصحابه. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله أعز المؤمنين الصابرين بالتوحيد، وربط بين قلوبهم، وقوّى شوكتهم، ما عملوا بالقرآن المجيد ـــ سبحان الله ـــ الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. تعالى شأنه، وعظم سلطانه، انفرد بالألوهية، فلا إله ولا رب ولا معبودَ سواه، واتصف بالوحدانية، فلا معقب لما أراده وقضاه ﴿**إنما أمرهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون**﴾[٢]، أشهد أن لا إله إلا هو الواحد الفعال لما يريد، لا شريك له في ملكه، وهو الكبير المتعال، تميدُ الجبال من خشيته، وتعنو الوجوه لعظمته، وتضطرب القلوب من جلاله وهيبته، لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم، وأشهد أن سيدنا محمداً

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

٢ ـــ سورة يس (٨٢) .

عبدالله ورسوله، دعا الناس إلى توحيد الله وعبادته، إلى الصبر والثبات في خليقته ، فاستجاب له السعداء ، وتخلف عن قبول دعوته الأشقياء ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، كلما دعا داعٍ إلى توحيد الله ، ورضي الله عن آله وأصحابه، الذين عطروا ألسنتهم بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن لا معبودَ بحقٍ سواه، فعاشوا أعزّةً أحرارا ، وسيلقون ربهم يوم القيامة أطهاراً ابراراً .

أما بعد. فيا أيها المؤمنون . إن لدينكم الحنيف قواعد يقوم عليها، ويتحققُ وجودُه بها ، ولا يمكن أن يكون للمرء إيمانٌ ولا دين، إلا إذا أقرَّ بها وأحلّها من قلبه محلّ اليقين، فأولى هذه القواعد (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. ويا لها من شهادة تُعطرُ بها الأفواه، وتنشرح بها الصدور ، وتبتهج بها الأفئدة والقلوب والأرواح ، وتهتزّ لعظمتها الأرضُ والسماء، ويَعِزُّ ناطقها، ويصبح من السعداء. ولقد قال السيد المعصوم ﷺ (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا الله)[1] .

أيها المسلمون . يا شباب الإسلام. يا شباب محمد عليه الصلاة والسلام . إننا نعيش في زمان، لا يعرف إلا القوة طريقاً للحياة الحرة الكريمة ، ولا يؤمن أهله بحق، إلا إذا ظاهرته وعاونته شجاعة الرجال ، وحمته سواعد الأبطال ، فالأمم القوية مرهوبةَ الجانب ، جارُها عزيز، وعدوُّها ذليل، عَلَمُها مرفوعٌ، وكلامُها مسموع، دينها في أمان، وحياتها في اطمئنان، يذلّ لهيبها الضعفاء ، ويخشى بأسها الأعداء. من أجل ذلك كلّه، وصف الله في كتابه الكريم، محمداً وأصحابه بالقوة والشجاعة والبسالة، فقال جل شأنه ﴿ **محمدٌ رسولُ الله، والذينَ مَعَه أشداءُ على الكفار رُحماءُ بينهم، تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ، ... ﴾[2] .

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ سورة الفتح (٢٩) .

ومن أجل ذلك، تحدث التاريخ الإسلامي في سيرة محمد وأصحابه، وروت لنا السيرُ والغزوات، عن النبي ﷺ وأصحابه، رضوان الله عليهم، أنهم كانوا رهُباناً (أي عُبّاداً بالليل، وفُرساناً) (أي أسوداً) بالنهار فحموا بشجاعتهم الأوطان وعزوا في ديارهم ولكن بتقوى الله وخشيته ومراقبته فاعتز بعزهم الدين والإيمان . إننا لا نريد فروسية مجردة من الإسلام وشعاره وإنما نريد فروسية وشجاعة منبثقة عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام نعم لا نريد شجاعة وبسالة مجردة وخالية من تقوى الله وخشيته ومراقبته . واسمع ما قاله البوصيري رضي الله عنه في حق هؤلاء الأبطال :

كأنهم في ظهور الخيل نبتُ رُباً
من شِدة الحَزم لا من شدة الحُزُمِ
هُمُ الجبالُ فَسَلْ عنهم مُصَادِمَهم
ماذا رأى منهم في كل مُصْطَدَمِ

أيها المسلمون في زمن الحيرة والارتباك . إن الأمم التي تريد الحياة السعيدة الدائمة، لا تنال حريتها واستقلالها وكرامتها بالتمني والأمل الخائب، والكلام الخالي من الجوهر والصفاء، ولكن تنالها بالقوة والجهاد، والتعاون على الخير في كل ميدان من ميادين الحياة. ورحم الله من قال :

وما نيلُ المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا

قل لي بربك ايها المسلم في كل مكان . ماهي القوة المطلوبة لسعادة الأمم .؟

إن القوة المطلوبة لسعادتنا، هي الإيمان بحقنا في وطننا المغتصب ، والاستماتة في الحصول عليه بقوة سواعد رجالها وابطالها. فضعيف الايمان بحقه، ليس له بين الأقوياء مكان .

أيها المسلمون .

إذا اجتمع لأمة، قوة الإيمان، وسلامة الأخلاق، وحُسْنُ الاستعداد لكل حالة، فشعبها قويٌ في جمع كلمته، في اتحاده، في تعاونه، قويٌ في استعداده . أجل. إن الأمة التي يكتمل لها هذا، جديرة بالفوز والفلاح، وحقيقة بأن يكتب لها النصر والتأييد، من الله القويّ الحميد .

أيها المسلم .

ها هي ذي إسرائيل ماضية في احتلالها. أعطيت لها من الدول الإسلامية والعربية، صفة الاستمرار في احتلال أرضنا ومساجدنا وفردوسنا ومقدساتنا. إنها والله تسرح وتمرح، وتزرع الأرض طولا وعرضا، وليس عليها رقيب ولا محاسب .

يا قوم . إن الاحتلال الصهيوني والله قائم حقيقة، فمتى تزيلونه .؟ وان صبغة القدس الإسلامية قد تغيرت وتبدلت، فمتى يرجع إليها مجدها وعزتها.؟ ومتى يعود إليها صلاح دينها .؟

وإن المسجد الأقصى يتهاوى ويتأرجح من تنقيباته وحفرياته، فمتى تقف هذه التعديات السافرة والتحديات الباطلة .؟

دعونا بالله عليكم من التبجحات والادعاءات الفارغة. فكل دولة من دولنا العربية تدعي وتفاخر . وما هي والله عن احتلالها ببعيد. إننا والله لا نزال في احتلال من العدو . وهذا شيء واضح .

يا قوم . إن إخوانكم في الضفة الغربية مستبعدون. وتحت الذلة وكابوس الاحتلال، راضخون يتألمون ، إن إخوانكم الذين يذهبون من الضفة الشرقية إلى الغربية مستعبدون للحكم الصهيوني الغاشم. وعلى

الجسر يبكون ويصرخون، ومن أعمال العنف والضغط والتفتيش المخزي يبكون ويتألمون، وهم لسرقة اللصوص اليهودية واجمون، ولأمر الله مستسلمون، وتحت أوامر الشرذمة اليهودية يسيرون، وعلى أرض الذلة والهوان يجلسون. فهل أنتم بذهابكم وإيابكم معتبرون .؟ وهل أنتم عنهم مُغنُون.؟ وهل لسرقة وسلب جنود الصهاينة من أرض ووطن ومتاع مُحررون ومنقذون .؟ فهل أنتم من ورطتنا منقذون .؟

وإنمـــا رجــل الدنيا وواحدها   من لا يُعوِّل في الدنيـــا رجــل

قال رسول الله ﷺ (لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)[1] وقال عليه الصلاة والسلام (من وليّ من أمر الناس شيئاً، فاحتجب عن أولي الضّعف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة)[2] أو كما قال . ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله بيده ملكوت السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير، أشهد ان لا إله إلا الله العليُّ القدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعانا إلى التقدير والتفكير، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيل ربهم برأي وتدبير .

عباد الله . اتقوا ربكم، واعتبروا بما جرى ويجرى، وعلى ربكم فاعتمدوا، وعليه توكلوا، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم. أولئك هم الفاسقون .

---

١ ــ رواه مسلم عن أبي هريرة مختصراً من حديث طويل .

٢ ــ رواه الإمام أحمد باسناد جيد .

يا مسلمي هذا الزمان العجيب .

تالله لو تأملتم ماضي أسلافكم الأطهار، لعلمتم حقاً، أنهم سادوا الأمم بقوة إيمانهم وثبات عزيمتهم، وعزةِ أنفسهم. فوالله ما انتصروا على عدوهم إلا بتقواهم، وتمسكهم بكتاب ربهم الكريم، وامتثالهم لأوامر رب العالمين، الذي تكفل بنصر من ينصره ﴿ ... **إن تنصروا الله ينصرْكم ويثبتْ أقدامَكمْ** ﴾[1] .

فاتقوا الله. عباد الله. قوُّوا صفوفكم بالاتحاد وجمع الكلمة فيما بينكم، فكلنا إخوة نعبد رباً واحداً، ونتوجه إلى قبلة واحدة، قوُّوا نفوسكم بالبعد عن الفساد وأسبابه، والحقد وأربابه ودعاته وروّاده، قوُّوا أخلاقكم بطاعة ربكم، الذي هو ربكم ورب جميع العباد ، وحصنوا بلادكم بحسن الاستعداد، فإن عدوكم ليس بغافل، كونوا مع الله، يكن معكم ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[2] ﴿ **يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[3] .

واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما وقال ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلمّوا تسليماً** ﴾[4] . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم أعـــزنا بالإسلام. اللهم ألف بيــن قلوب هذه الأمة، أفرادها وجماعاتها

---

١ ــ سورة محمد (٧) .

٢ ــ سورة النحل (١٢٨) .

٣ ــ سورة التوبة (١١٩) .

٤ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

حكامها وقادتها، واجمع قلوبها على خير ما يرضيك يا رب العالمين، ونسألك اللهم أن تعمر قلوبنا بالإيمان، ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم . اللهم باعد بيننا وبين الفتن الظاهرية والباطنية .

ونسألك اللهم ان تشمل برعايتك وتوفيقك وعنايتك، الحسين بن طلال، اللهم باعد بينه وبين الضالين، والمحرضين والمنافقين يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والثلاثون بعد المائة :

١٥ ذي القعدة ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/١١/٢٩

(مراقبة الله في جميع الأحوال)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأعوذ بك من شرور نفسي وسيئات أعمالي، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي. ﴿ ... **رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ . اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن، واعوذ بل من العجز والكسل، واعوذ بك من الجبن والبخل، واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي يعلم السر وأخفى، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي وسع كل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وأشهد ان سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، خيرُ من راقب مولاه واتقاه ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين راقبوا ربهم في السر والعلانية، فأسعدهم في دنياهم وأخراهم .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

أما بعد، فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[1].

إن تقوى الله، هي ميزان الحياة، وهي الحصن الحصين، لمن شاء منكم أن يستقيم. التقوى هي معيار العلوم النافعة وخلاصتها، فمن لا تقوى عنده، لا علم عنده. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال (من أراد أن يكون أغنى الناس، فليتق الله، ومن أراد أن يكون أعزَّ الناس، فليتق الله، ومن أراد أن يكون أقوى الناس، فليتق الله)[2].

أتدرون أيها الناس، ما تقوى الله ؟

هي امتثالُ أوامرِ الله واجتنابُ نواهيه، فالتقوى هي ألاّ يراك ربُّك حيث نهاك. إن من كان تقيا، كان من الله خاشياً خائفا. ومن كان كذلك، كان لربه مُراقِبا، فمن راقب مولاه سراً وعلانية، مؤمناً بأنه تعالى يراه حيثما كان، أورثه ذلك خشيته سبحانه، فاتقاه فلم يفقده جل شأنه، حيث أمره، ولم يره حيث نهاه.

كيف يجرُؤ العبد على معصية ربه.؟ أو كيف يُقصِّرُ في طاعته.؟ وهو يعلم أن الله القويَّ الرقيب عليه، يجازيه على ما قدمت يداه، فمن راقب ربه، فكان من الذنوب نقياً، وكان من المكر والخِداع والغل والحقد خلياً، وبالصالحات قائما عاملا، محسناً تقياً نقياً كان الله معه ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[3].

ومن كان الله معه، كانت معه القوة القاهرة، والقدرةُ الظاهرة الباهرة، والجيشُ الذي لا يُكسر ولا يُغلب، والأسطولُ الظافر القاهر، الذي لا يُقهر ﴿**... ، ولينصُرَنّ الله من ينصُرُه، إن الله لقوي عزيز**﴾[4].

---

١ ـ سورة النساء (١).
٢ ـ مرّ سابقاً.
٣ ـ سورة النحل (١٢٨).
٤ ـ سورة الحج (٤٠).

أيها المتقي لربك. أيها المراقب لربك .

أيها الخائفون من ربكم. أيها المراقبون لربكم . استبشروا بالنصر على من عاداكم ، استبشروا بالعزة التي لا ذُل معها . فمن يغلبك أيها المسلم المراقبُ، ومعك الغالبُ القاهر ، ومن يستطيعُ أن يُذلَّكَ ومَعَك المتينُ القادر، فليطمئن كلّ مراقبٍ لربه، على قضاء حوائجه، لأن الله الغنيَّ ذا الجود الباهر، معه على كل حال . مَن الذي يُشقيك .؟

أيها المراقب لربك، ومعكَ من لا سعادة ولا فضل إلا من كرمه العظيم. إذاً فلا عجب أن يكون مراقبُ ربه شجاعاً في الحق، ينصره ويدعو إليه، وينطق بكلمته، فمعه ناصر الحق العليُّ العظيمُ ﴿ **الذي خلق الموتَ والحياةَ ليَبلوَكمْ أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفور** ﴾[١] ذلكم ربُّكم، الذي يَغْلِبُ ولا يُغلب ﴿ ... ، **واللهُ غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٢] .

أيها المتيقظَ من غفلته. أيها المُتنبهُ لأمر ربه ﴿ **ألم ترَ أن الله يعلمُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ، ما يكونَ مِن نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم ولا خمسةٍ إلا هو سادِسُهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هُوَ مَعَهُمْ أينما كانوا ، ثم يُنبِّئُهُمْ بما عَمِلوا يومِ القيامة، إن الله بكل شيء عليم** ﴾[٣].

أيها المستيقظ من سُباته وغفلتِه .

كن كالسلف الصالح، آمِن به تعالى وصدق، واعمل الصالحات وتصدق ، راقب ربك في جميع الحالات، كما راقبه الأولون، لِتسلم من غضبه، وتفوزَ بإحسانه، وعونه وعِزّه ونصره ، وإسعاده وجوده وبره، فقد راقبه يوسفُ عليه الصلاة والسلام، فسَلِمَ من فتنة امرأةِ العزيز، حيث قال

---

١ ــ سورة الملك (٢) .

٢ ــ سورة يوسف (٢١) .

٣ ــ سورة المجادلة (٧) .

حين قرّبها منه (الله حاضري، الله ناظري، الله شاهدي ، الله مطلع علي) فنجاه الله من فتنة النساء، وأوتيَ المُلكَ، وأعزّه الله . وراقبته مريمُ ابنةُ عمران، فكانت عفيفةً شريفةً، فلما تمثّل لها جبريلُ بَشَراً سويّاً ﴿ **قالت إني أعوذُ بالرحمنِ منكَ إن كنتَ تقيا** ﴾[1] .

وقد وصفها الله في القرآن بما يدلّ على حُسْن جزائها، فقال عزّ من قائل ﴿ **ومريمَ ابنة عمرانَ التي أَحْصَنَتْ فرجها فنفخنا فيه من رُوحنا ، وصدَّقت بكلمات ربِّها وكُتُبِهِ وكانت من القانتين** ﴾[2] . أي فكانت من المواظبين على طاعة ربها، والله تعالى، يقول في حق من أطاعه. ﴿ ... ، **ومن يُطِعِ اللهَ ورسوله يُدْخِلْهُ جناتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ، وذلك الفوزُ العظيم** ﴾[3] .

أيها المسلم في هذا الزمان .

إن رسولك الأمينَ ﷺ قد راقب ربه على جميع الأحوال، سراً وعلانية، وهو الذي قال في الإحسان، عندما سئل عنه (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)[4] وهو الذي قال (إني لأعرفكم بالله، وأخشاكم منه)[5] وهو الذي كان يُسمَع لصدره في الصلاة والمناجاة أزيزٌ وغليانٌ، كأزيز المرجل، أي القدر على النار، من شدة خوف الحساب .

ولقد عرف ربه فعبده، فقام من الليل يصلي، حتى تورّمت قدماه، شكراً لله، على ما تفضّل به عليه وأعطاه . ولقد قال له ربه ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾[6] ولقد راقب أصحابُ رسول الله ﷺ ربَّهم، فكانوا أئمةً وأعلاماً شجعانا . كانوا صادقين أمناء، مخلصين أتقياء أوفياء على

---

١ ـــ سورة مريم (١٨) .

٢ ـــ سورة التحريم (١٢) .

٣ ـــ سورة النساء (١٣) .

٤ ـــ قطعة من حديث متفق عليه ، عن عمر بن الخطاب عندما دخل جبريل ، وعندما سأل رسول الله : أخبرني عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » .

٥ ـــ متفق عليه باختلاف اللفظ . مرّ في خطب سابقة .

٦ ـــ سورة الضحى (٤) .

سنن مرشدهم، رسول الله ﷺ ، كانوا والله صلحاء رحماء، حتى قال الله في حقهم ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدينَ فيها أبداً، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشيَ ربَّه** ﴾[1] .

أيها المسلمون . أيها الحاكمون .

وأنتم كذلك راقبوا ربكم، وسيروا على هدي نبيِّكم، واستمسكوا بكتاب ربكم، فعلى كل حاكم، وعلى كل ذي سلطانٍ، وأميرٍ، ووزيرٍ في عمله الجديد، أن يتقي الله، ويراقبَ ربَّه في هذه الأمة الضعيفة، التي لا تعرفُ إلى أين المصيرُ، ولا تعرف كيف تكون النهاية، ولا كيف تسير .

اتقوا ربكم — بالله عليكم — في ولايتكم وحُكمِكم، فإن الله على أعمالكم عظيم رقيب ، نحن لا نريد أن تلتئم صفوفنا من جانب واحد فحسب ، بل نريد أن نكون متحدين مؤتلفين من كل جانب ، نحن لا نريد أن نكون وحدة في مكان واحد، بل نريد أن نكون صفاً واحداً، وقلباً واحداً في كل مكان، وفي كل زاوية من زوايا العروبة والإسلام. إذ لا يهزُّ الظالمين والأعداء صوتٌ أشدُّ من صوت جماعة متحدة، لأن عدونا وعدوكم الآن يجمع جموعه واحتياطياته من كل حدب وصوْب، ليؤلبها على الإسلام والمسلمين، بتحريض من حاضنات إسرائيل، وتمويل وإمداد وتشجيع .

إن الله كان على أعمالهم رقيبا . إنه تعالى حسبُنا . فهو كافينا شرَّهم ومكرهم ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهُم لِتزول منه الجبالُ . فلا تحسبنَّ الله مُخلِفَ وعدِه رُسُلَه، إن الله عزيز ذو انتقام** ﴾[2].

نرجو أن تكون وزارتنا الجديدة، وزارة استعداد وإعداد وجهاد، لاستخلاص واسترجاع المقدسات والبلاد، يتنادى لذلك جميع دولنا الإسلامية العربية، وما ذلك على الله بعزيز .

---

١ — سورة البينة (٧ — ٨) .

٢ — سورة إبراهيم (٤٦ — ٤٧) .

يا قوم . ستعرف دول الشرق والغرب عما قريب . أن سبب فساد الأرض، والقلاقل الدائرة هنا وهناك، هي الأصابع الصهيونية، ومن شد أزرها وحماها ﴿ **فذكّر إن نفعت الذكرى** ﴾[1] فذكر بالقرآن من يخاف وعيد . قال ﷺ (إن أفضل الإيمان أن تعلم، أن الله معك حيثما كنت)[2] وقال عليه الصلاة والسلام (إتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[3] أو كما قال : ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واستغفروه يغفر لكم، وينصركم، ويشف صدور قوم مؤمنين .

* * * *

الحمد لله الحليم الكريم ، وأشهد أن لا إله إلا الله، ذو الفضل العظيم، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، صاحبُ الخلق العظيم. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغُرّ الميامين .

عباد الله .

إن من راقب ربه، لا يخشى أحداً من عباده، ولا ييأسُ من رحمته، فالمؤمن الصادق والداعية القويُّ في إخلاصه، لا يخاف على نفسه فوات رزقه، فإنه يراقب الله خير الرازقين، وهو الغنيُّ عن العالمين. فلنقل كلمة الحق، ويجب أن نقولها، فهي أفضل الجهاد .

ويجب على دعاة الحق، إن كانوا موجودين، ولا يخلو الزمان منهم، أن يقولوها معتزّين بربهم . فعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، وهو أول قاضٍ في فلسطين، قال رضي الله عنه (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر واليُسر ، والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا (أي بأن نؤثر رسول الله، ونقدمه على أرواحنا وأهلينا)، وبايعنا رسول الله ألا ننازع الأمر اهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان)[4] ثم قال

---

١ ــ سورة الأعلى (٩) .
٢ ــ رواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبادة بن الصامت .
٣ ــ رواه الترمذي عن أبي ذر بسند حسن صحيح .
٤ ــ متفق عليه ، عن عبادة .

(وبايعناه) على أن نقول الحقّ أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم) رواه البخاري ومسلم .

يا وزراءنا الشباب. يا شباب الإسلام .

يا أبناءنا الكرام. امنعوا ـــ بالله عليكم ـــ هذا التعري الفاضح، والزّيّ الكاشح، في الشباب والشابات، وظهور العورات في الشوارع والأسواق والطرقات. راقبوا ربكم ـــ بالله عليكم ـــ واجعلوها باكورة أعمالكم، فإن الله على نصركم على عدوكم لقدير. إننا يا إخوتنا مقبلون على أحداث من مكايد اعدائنا، لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله. والله مع الصادقين .

يا مسلم . ألم تعلم بأن الله يرى . راقبوا ربكم يا سادة. ليحقق الله النصر لكم على عدوكم، الذي يتوسع في دياركم، ويحتل على حسابنا وحسابكم .

عباد الله . اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ولم يزل قائلاً عليماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبيِّ ، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] . وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. وعن سائر أصحاب رسول الله اجمعين . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الاحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، والف بين قلوب القادة والحاكمين، واجعل الوحدة الإسلامية العربية شاملة عامة لقادة هذه الأمة ورجالها اجمعين، اللهم الف بين قلوبنا؛ أفرادنا وجماعاتنا وقادتنا وحكامنا، واجعلنا بفضلك وكرمك يداً واحدة على من عادانا، يا أرحم الراحمين .

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم يا ربنا، أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال، واحفظه ربنا من الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن. اللهم وفقه للعمل بكتابك وسنة رسولك يا أكرم الأكرمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

1 ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة التاسعة والثلاثون بعد المائة :

٣٠ ذي القعدة ١٣٩٤هـ

١٩٧٤/١٢/١٣

(ماذا أعددنا لعدونا المغامر.؟)

أحمدك ربي، على مزيد آلائك وإنعامك ، مصلياً ومسلماً على خيرة وصفوة رسلك وأنبيائك، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعياد . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم إني أسألك من كل خير، سألك منه سيدنا محمد، نبيك ورسولك ﷺ وأعوذ بك من كل شر، استعاذك منه سيدنا محمد، نبيك ورسولك ﷺ .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت. أعوذ بك ربي، من شر نفسي وسيئات أعمالي. اللهم اغفر لي ذنوبي، وأسرافي في أمري ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1] .

* * * *

الحمد لله، جعل سعادة الأمم وعزتها في قوة إيمانها، وصلابة أبطالها، وشدة بأس رجالها، وكمال خلق أفرادها، وحُسن استعدادها . أشهد أنه القويّ العزيز، لا يغلبه غالب، ولا يلحقه طالبٌ، يُجير ولا يُجار عليه، وهو الواحد القهار .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أرسله مولاه قوياً عزيزاً، بأسُه على أعداء الحق شديد ، وشجاعته ﷺ أذلّت كل جبار عنيد ، فصلوات الله وسلامه على فتى الصحراء، الذي أحب المساكين والضعفاء، وأنقذهم من الشدة واللأواء، ورضي الله عن آله وأصحابه، الذين قوّاهم الله بالإيمان ، وأعزهم بالقرآن فقوّضُوا بشجاعتهم دول الظلم والطغيان، فكانوا ناراً على الطغاة والمستبدين، ونوراً وضياء للمؤمنين .

أما بعدُ. فإن للحق نوراً وجمالاً جذّابا، تشعُر به النفوس السليمةَ بأصل فطرتها، غير أن نفوساً قد انحرفت عن الجادة المستقيمة، وبعدت عن الصواب ، فصارت لا ترى نور الحق ، ولا يروقها جمالُه ، يظهر الحق أمامها واضحاً، فتظنّه باطلاً، ويشعُّ نورُه بين يديها، فتحسبُه ظلاما. وهؤلاء هم أصحاب النفوس المريضة ﴿ ... ، **وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون** ﴾[1] .

ومن هنا نشأ الصراع بين الحق والباطل، وكان سنة من سُنن الاجتماع البشريّ، وكان دوران الحرب بين فريق الحق وفريق الباطل، مُظهِراً صيراعها في جميع الحالات ، فأهل الحق يريدون حياة حرة كريمة، يريدون العدل والمساواة في جميع الحقوق والواجبات، ويُبغضون الضيم والذلة، وحياة الظلم والاستبداد .

ولا يُقيم على ضيـــمٍ يراد بهـــا
إلا الأذلان عيـــرُ الحي والوتـــدُ

يترجمون بألسنتهم ما استقر في صدورهم، يرددون قول الصحابي القائد المشهور لأحد عُمّاله (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .

---

١ ـ سورة آل عمران (١١٧) .

وأما أهل الباطل، فإنهم يقاومون الحق في جميع مُثُله العليا ، ويريدون حياة الفوضى والقوة الغاشمة، فشريعتُهم البطش والغدْرُ، فلا دين يردعهم ولا ضمير يزجرهم ﴿ ... **نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون** ﴾[1] . ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلا** ﴾[2] .

أيها المسلمون .

شتان بين الموقفين. وفرقٌ شاسع بين الفريقين، فكيف ومتى يتحقق النصر لفريق الحق والقوة.؟ وماهي عُدته ؟ إن كل أمة تريد العزة والكرامة والحرية والسيادة إنما يتحقق لها النصر بدعامتين .

الأولى : التعبئة الروحية، أعني بها قوة الإرادة والعزيمة ، طهارة النفس من شوائب الخنوع والدنس، وحملها على طاعة الله فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه، والثقةُ بالله، والتوكلُ عليه، والتعاونُ بين الأفراد والجماعات ، والاتحادُ والإخاء، في إطار العدل الحقيقي، الذي قال الله فيه: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[3] وبعدها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصرْكم ويُثبت أقدامكم** ﴾[4] .

الدعامة الثانية التي يتحقق بها النصر . التعبئةُ المادية : وأعني بها الجهاد والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، تحقيقاً لأمر الله تعالى، بذلك في قوله ﴿ **وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم** ... ﴾[5] .

---

١ ــ سورة الحشر (١٩) .
٢ ــ سورة الاسراء (٧٢) .
٣ ــ سورة النحل (٩٠) .
٤ ــ سورة محمد (٧) .
٥ ــ سورة الأنفال (٦٠) .

أيها المسلمون .

هذا الأمر الصريح، بالاستعداد الكامل الدائم، للدفاع عن الدين والعقيدة والوطن، في قوله تعالى ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...** ﴾ يشير للهدف الأسمى من هذا الاستعداد، في قوله تعالى ﴿ **ترهبون به عدوّ الله وعدوكم ...** ﴾ وهذا الحثّ الجميل على الإنفاق والبذل، في سبيل تحقيق النصر، في قوله جلّ وعلا ﴿ ... ، **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم ...** ﴾[1] كلّ ذلك يُبين التعبئة الروحية وبهما تكمُل عدة النصر للمسلمين وتتحقق لهم الغلبة والصولة إن شاء الله تعالى ﴿ ... ، **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[2] .

ولقد نزل هذا الأمر الإلهيُّ في وقت يئس الناس فيه من النصر. يئس الناس جميعاً من النصر، يوم أن أحدق الشرُّ بالمسلمين من كل جانب، فالمشركون بخيلهم ورجالهم، طاردوا المسلمين حتى اضطروهم إلى الهجرة ، ثم اضطروهم إلى النزوح، ولاحقوهم في مهجرهم، حتى حملوهم على القتال والحرب. وقد نقض اليهود عهودهم ــ آنذاك ــ كما هو شأنهم وعادتهم، في كل زمان ومكان. نعم. نقضوا مواثيقهم مع النبي ﷺ ومع أصحابه، رضوان الله عليهم ﴿ ... ، **يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم** ، ... ﴾[3] .

فكان طبيعياً أن يأمر الله المسلمين بإعداد العُدة لهؤلاء الأعداء، وأن يدربوا جنودهم وقادتهم على حمل السلاح، وأن يُحصّنوا الثغور بالقلاع والحراسة .

أيها الناس . يا جنود الإسلام، ويا قادة النصر في بلادنا العربية. ما أشبه اليوم بالأمس، ما أحوجنا إلى هاتين الدعامتين الهامتين، ليتحقق

---

١ ــ سورة الأنفال (٦٠) .
٢ ــ سورة آل عمران (١٢٦) .
٣ ــ سورة الفتح (١١) .

لنا النصر، وما أحوجنا إلى الجهاد بقسميه؛ جهاد النفس، وهو التعبئة الروحية، وقد سماه المصطفى ﷺ الجهاد الأكبر، فقد قال بعد عودته من إحدى غزواته: يا أصحابي يا أحبابي. رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله.؟ قال هو جهاد النفس[1]، ومخالفتُها فيما تهوى، وجهاد الأعداء هو التعبئة المادية بأتمِّ صورها وأجلى معانيها، فالواجب الديني يفرضُ علينا نحن المسلمين والواجب الديني، يحتم علينا نحن المسلمين في هذا العصر التسليح والتصنيع والتنمية لموارد بلادنا، من عرق جبيننا وكدِّنا صناعياً وزراعياً وعسكرياً وبشرياً. كل ذلك في سبيل فداء وطننا وديننا وعِزتنا وكرامتنا. وعلى المسؤولين أن يدربوا هذا الجيل الصاعد، الذي يقضي اوقاته وسهراته في الملاهي، والفسوق والمجون والعصيان.

عليهم أن يدربوهم على حمل السلاح، بالتطوع بالنفس والروح والمال، وبذلك نصبح أمةً قوية الجانب، مرهوبة مطاعة وبذلك نفوز بالنصر المبين، ﴿ ... ، **ولينصرنَّ الله من ينصره، إن الله لقويٌّ عزيز** ﴾[2]. ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنا، وإن الله لمعَ المحسنين** ﴾[3].

أيها المسلمون.

هذه دولة إسرائيل، التي صنعها الاستعمار، وخلقتها بريطانيا، قبل غيرها من الدول، لا تريد أن تتحول عن طبعها، وهي جادة في بقائها واحتلالها واعتداءاتها، وهي تهدد الآن أعداءَها.

---

١ ــ أخرجه البيهقي من حديث جابر بسند ضعيف.

٢ ــ سورة الحج (٤٠).

٣ ــ سورة العنكبوت (٦٩).

هذه إسرائيل تغزوكم في أرضكم وبلدكم ووطنكم، تغزوكم في أرضكم المحتلة فكرياً وخُلقياً وثقافياً وعلمانيا، تغزو قرآنكم وكتابكم، تحدد آياته وسُوَرَه ، هاهي ذي تطبع مصاحفنا في أرضها، بقصد الحذف والتقديم والتأخير في السور والآيات بطبع مصاحفنا وقرآننا. هاهي ذي قائمة وجادة في المستوطنات والحفريات دون مبالاة ولا رجوع إلى ضمير، ما دامت ربتها وخالقتُها وسيدتها، التي تدافع عنها، تعلن ولاءها وإخلاصها لإسرائيل في مجلس الكونغرس واللوردات. وقد وعدوها بمدها بالمال والسلاح والرجال، مادياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، فماذا أنتم صانعون.؟ وماذا أنتم فاعلون .؟ فارتقب، إنهم مرتقبون .

قال ﷺ (الجهاد ماض في أمتي إلى يوم القيامة، لا يُبطله جور جائر، ولا عدل عادل)[1] وقال (ما ترك قومٌ الجهاد، إلا ذلُّوا)[2] أو كما قال: استغفروا ربكم يغفر لكم، وينصركم على عدوكم .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله على آلائه، وأصلي وأسلم على صفوة رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين .

أما بعد. فيا أيها المسلمون .

إعلموا أن الحق والقوة قرينان متلازمان، فحقٌ بدون قوة ضعف، وقوة بدون حق تهوُّر وطيشٌ. كان الإمام علي كرم الله وجهه، ابن عم رسول الله ﷺ ومن آل بيته، يقول: أشكو إلى الله ضعف الأمين، وقوة الخائن .

ولقد كان من صفات الأنبياء والمرسلين القوة والصلابة في الحق، دون هوادة، كما قالت الفتاة لأبيها، عن موسى بن عمران، عليه السلام

---

١ ــ رواه ابو داود عن جابر راجع الخطبة الأولى .

٢ ــ رواه الطبراني باسناد حسن، عن ابي بكر، ولكنه بلفظ: «ما ترك قوم الجهاد، إلا عمّهم الله بالعذاب».

﴿ ... يا ابتِ استأجره، إن خير من استأجرت القويُّ الأمين ﴾[1] وقال الله لأحد أنبيائه وهو يحيى عليه السلام ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾[2] إن صاحب الحق الضعيف، لن تصل إلى حقه، مهما كان في يده من وثائق ومستندات. ولهذا قال ﷺ (المؤمن القوي خيرٌ، وأحب إلى الله، من المؤمن الضعيف)[3] فلا بد لحقنا من قوة تؤيده، بقدر ما نستطيع .

سهرت أعينٌ ونامت عيـــونُ   في أمـــورٍ تكـون أوْ لا تكونُ
إن رباً كفـــاك بالأمس ما كـــان   سيكفيـــك في غـدٍ ما يكونُ

أيها الناس .

أما تعلمون.؟ أما تسمعون ، إن اسرائيل تنشر الإباحية علناً بين الشباب والشابات، لأنها تعلم أن أساس هدم الوطن، بهدم أخلاق أصحابه وبنيه .

إذاً فلا بد لحقنا من قوة تؤيده بقدر ما نستطيع، فلا ندخر وسْعاً، ولا ندّخر جُهداً، وهذا هو قانون الطبيعة وسنة الكون . فالرّطَبُ على النخل له شوك يحميه ، والشّهْدُ أي العَسَل في الخليّة، له حِمَمٌ تدافع عنه، والوردُ على غصنه له شوك، يردُّ عنه أيدي العابثين ، وللمصحف سيف يؤدب المعاندين ، وليس لضعيف مكانٌ بين الأفراد ، وليس للأمة الضعيفة مكانةٌ بين الأمم .

أيها المسلمون. أيها العرب في كل مكان .

هذا زمان لا يرحم فيه القويُّ الضعيف ، إن أعداءكم أقوياء، وهم في كل إذاعة، وفي كل ساعة، يصرخ قادتهم بكل تبجح ووقاحة، أنهم أقوياء، قال المتنبي :

---

١ ـــ سورة القصص (٢٦) .
٢ ـــ سورة مريم (١٢) .
٣ ـــ رواه البيهقي ، مرّ تخريجه .

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه
إذا اتسعت في الحِلم طُرْق المظالِمِ

وقال غيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني
إلى الجهل في بعض الأحايين أحوجُ
ولي فرسٌ للحلم بالحلم مُلْجَمٌ
ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ

قد يتعلل بعضُ الناس لضعفهم، فيسمونه حِلْماً . كيف لا .. والحلم لا يكون إلا عن مقدرة. والعفو لا يكون إلا بعد التمكن من الجزاء ، وفي بعض المواطن قد يكون الجهل أفضل من الحلم . فإلى متى يبقى القوم سكوتاً نياما .

اتقوا الله. عباد الله. وراقبوا ربكم واعبدوه، وتأكدوا بأن أعداءنا أقوياء. ولكنهم على باطل، فلا حقٌ يُسندهم، ولا رب ينصرهم، لأنهم لم يعبدوه. والله مولانا وناصرنا، والكافرون والظالمون لا ناصر لهم، ولا مولى لهم. ﴿ **ولقد سبقت كلمتُنا لعبادنا المرسلين. إنهم لَهُمُ المنصورون. وإن جُندنا لهم الغالبون** ﴾[1] .

صلوا على نبيكم، كما صلى عليه ربكم وملائكته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، ذوي القدر الجلي؛ ابو بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

---

١ ـ سورة الصافات (١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

اللهم إنا نسألك خير ما عِنْدَك، وأفِض علينا من فضلك، وانشر علينا من رحمتك، وأنزل علينا من بركاتك، اللهم لك الحمد كلّه، ولك الملكُ كله، بيدك الخير كلُّه، واليك يُرجع الأمرُ كله، علانيتُه وسِرُّه، إنك على كل شيء قدير.

اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها، شعوبها وهيئاتها. يا رب العالمين. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك، الحسين بن طلال. اللهم وفقه وأعنه، وباعد بينه وبين المغرضين والملحدين، يا أكرم الأكرمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الاربعون بعد المائة :

١٧ صفر ١٣٩٥هـ
١٩٧٥/٢/٢٨

(إيماننا بقضاء الله وقدره واجب)

احمدك ربي على كل حال. أحمدك يا من لا يحمد على المكروه سواك، وأشكرك، على آلائك ونعمك التي لا تحصى ولا تستقصى، مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك، وعلى آله وصحبه، الذين رضوا بما قدره الله وقضاه، ولم يشكوا ولم يتبرموا، بل كانوا من الراضين ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، ربِّ إني ظلمت نفسي ظلماً كبيرا، فاغفر لي، فإنك انت الغفور الرحيم ، اللهم اني أسألك من كل خير سألك منه سيدنا محمد، نبيك ورسولك ﷺ وأعوذ بك من كل شر استعاذك منه سيدنا محمد، نبيك ورسولك ﷺ وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**﴾[1] .

★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي ارتضى لنا الإسلام دينا، وأعزّ من تمسّك بآدابه ، ووقف عند حدوده، ورضي بقضائه وقدره، على كل حال ، وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، وصفيه وحبيبُه وخليلُه، الذي صبر وتحمل في سبيل الله أذىً كثيرا، وآلاماً جساماً .

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين امتثلوا أوامر ربهم، ولم يفزعوا ولم يضعفوا مما أصابهم في دنياهم، واجتنبوا ما نهاهم عنه، فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها، فكانوا في دنياهم من الزاهدين ﴿ ... وما عند الله خيرٌ وأبقىٰ للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[1].

أما بعد . فقد قال جلت حكمته، وعلت عظمته ﴿ ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسْلامِ دِيناً فلن يُقبَلَ مِنهُ وهو في الآخرةِ من الخاسرينَ ﴾[2].

أيها المؤمن بربك. إن كنت به مؤمنا .

﴿ ... ، إنهُ مَنْ يتقِ ويَصْبِرْ فإنَّ الله لا يُضيعُ أجرَ المحسنين ﴾[3].

لقد وهب الله للناس عقولاً، وأكرمهم بتكاليف شرعية، وقانون مُحكم سماوي، وألزمهم به ، ينقادون لأحكامه، فلا تختلف بهم الآراء ، ويخضعون لأوامره، فلا تلعب بهم الأهواء ﴿ ... ، ولو كان من عِنْدِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ﴾[4].

إن العقول البشرية وحدها لا تهتدي إلى كل ما فيه صلاحها في العاجل، فضلاً عن الآجل. فالمجتمع الإنساني لا بد له من الدين الصحيح ، وإلا كان الناس فوضى لا دليل لهم، ولا مرجع إليهم، ولا وازع يزعُهم عن هواهم .

لا يصلح النـاس فوضى لا سراة لهم

ولا سراةَ إذا جُهَّالُهـمْ سادوا

---

١ ــ سورة الشورى (٣٦) .

٢ ــ سورة آل عمران (٨٥) .

٣ ــ سورة يوسف (٩٠) .

٤ ــ سورة النساء (٨٢) .

أيها المسلمون .

لقد كان المسلمون الأولون سادةً، ولكن أقوياء. أعزةٌ أصفياء، أجلّةٌ علماء . متى هذا يا مسلمون .؟ يوم كانوا متمسكين بدينهم ، مهتدين بهديه، سائرين على نهجه ، واقفين عند حده ، يوم كانوا في إسلامهم صادقين، لا دجالين ولا متزمتين، ولا حاقدين ولا كذابين ولا مراوغين، ولا على دنياهم محتالين، وقد تبدلت قوتهم ضعفاً، وانقلب عزهم ذلاً، يومَ تركوا العمل بدينهم، وأعرضوا عن شريعة ربهم. يوم أعرضوا عن وعظ كتاب ربهم، ونصائحه وإرشاداته .

يا قوم . تالله إن فلاح الأمة وسعادتها في العاجل والآجل موقوف على شيء واحد، ألا وهو التمسك بالدين، الذي أمرتَ أن تدين به، وتقفَ عند حدوده ، وتتمثل أوامره، وتجتنب نواهيه[1] .

فإن الدين ما شرع إلا لتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق، وتعويد النفوس على الصبر وتحمل الآلام، في الكوارث والشدائد والمصاعب ، ما شرع الدين إلا لمنع النفوس من الشهوات الرديئة ، وحفظ النظام من الفوضى والإضطراب، ولأجل الاستقرار والاطمئنان في الحياة ، فلا صلاح — والله — للناس إلا بالدين ، ولا سلامة لهم من مخاطر الشقاء، والتخبط في ديجور الليلة الظلماء، إلا به .

من أين نتعلم دروس الحياة .؟ من أين نعرف طريق الجهاد وحمل السلاح .؟ من أين نعرف كيف نسير في الحياة بالخير والإصلاح .؟ من أين نعلم كيف نصبر عند الرزايا والشدائد .؟ لنحظى بالعزة والصلاح، إلا عن طريق الدين[2] .

---

١ — عن ابن شريح الخزاعي ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، قال : « أليس تشهدون أن لا اله الا الله واني رسول الله ، قالوا بلى ، قال إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً » . رواه الطبراني باسناد جيد .

٢ — ولذلك يقول ﷺ لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

الله أكبر. والله إن الدين لأكبر زاجرٍ للضمائر ، وأعظم مصلح للسرائر ، رقيبٌ في الخلوات ، نصوحٌ في المُلمات ــ باعتراف أعداء الإسلام ــ بأن الدين الإسلامي أحكمُ قانون لإصلاح الحياة، واستقامتها وسياستها ، وأنفعُ وسيلةٍ لانتظامها وسلامتها، بما أُرشد إليه من سعادة الدنيا والآخرة، وما دعا إليه من تحذير الأمة من فُرقتها واختلافها، فلما التأمت صفوفها، وجمع الله بين شملها، عادت إليها شكيمتها وقوتها ، وعاد إليها ريحها بعد ضعفها، حتى هابها عدوها، وحظيت بمكانتها المرموقة بين الأمم ، فكم نادينا من فوق أعواد المنابر، إلى جمع الشمل، ورأب الصَّدع، وحذَّرنا من التنازع والفشل والخِذلان ﴿ ... **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم، واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾[1] .

فما أحرانا، وما أجدرنا بالتمسك بهذا الدين، يوم فسد أفراد الأمة وجماعاتها والرسول ﷺ يقول (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي، فله أجر مائة شهيد)[2] فحقٌّ على العاقل، أن يكون به متمسكاً ، وعليه محافظاً، لأن الدين الحنيف أساس العُمران ، والسبيلُ الوحيد إلى السعادة الأبدية، والحياة السرمدية .

أيها المسلمون .

إعلموا، ولكنكم لم تعلموا، ولن تعلموا، أن الأمة الإسلامية، ما بلغت ولا وصلت إلى ما وصلت إليه، إبَّان نشأتها من الدرجات العلا، وما نالت ولا نالت من العزة والقوة والمكانة الرفيعة، الا بصبرها وحزمها وتمسكها بدينها، ووقوفها عند حدود هذا الدين، أجَلْ كانت عاملةً بوصاياه، محافظة على نصائحه، ناشرةٌ للفضيلة، محاربةٌ للوقاحة والرذيلة، حاكمة بالعدل، في الصديق والعدو ، صادقة في الأقوال والأفعال، مخلصةٌ في جميع الأحوال.

---

١ ــ سورة الأنفال (٤٦) .

٢ ــ رواه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس ، ومن طريق آخر أخرجه الطبراني في الأوسط ، من حديث ابي هريرة ، بلفظ المتمسك بسنتي عند فساد امتي ، فله أجر شهيد .

أمتنا الإسلامية فتحت في أقلّ من ثمانين سنة، أكثر مما فتحه أكبر دولةٍ في عدة قرون. فكم كان عَددُنا آنذاك. وما هو سلاحُنا آنذاك يا تُرى .؟ إنه الحق والصدق والصبر والإخلاص، أما في زماننا هذا، فقد ذهبت عدة أراضٍ، وضاعت عدة بلادٍ ومقدساتٌ، من بين أربع عشرة دولةً ومنظمات، ولا نزال على حد قول القائل (حَضٌ بلا لبن) أو (رَضٌ ميّة في هون) كما تقول عامة الناس .

فيا أيها المسلمون .

اتقوا الله ربكم. اتقوا الله واليوم الآخر. حافظوا على ما بقي من آثار دينكم ، خافوا عواقب ما أنتم عليه من التهاون في أمور دينكم، وأبنائكم وبناتكم، فإنه لا حياة لكم إلا بدينكم ، ولا سعادة لكم في الآخرة والأولى، إلا بكتاب ربكم .

يا قوم. راقبوا ربكم ، وتمسكوا بدينكم، وحافظو على سنة نبيكم، تفلحوا وتنصروا ﴿ ... **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[1] .

وجاء في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال « لقد تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به، لن تضِلّوا من بعدي : كتاب الله وسنة رسوله »[2] . أو كما قال، استغفروا الله لي ولكم. استغفروا ربكم، وتوبوا إليه يغفر لكم، أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، الذي جعل الدنيا دار كَسْب وعمل، وجعل الآخرة دار ثواب وعقاب وأمل، سبحانه من إلهٍ حكيم ﴿ ... **خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور** ﴾[3] .

---

١ ــ سورة محمد (٧) .

٢ ــ رواه الحاكم عن ابي هريرة ، والذي في البخاري إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين . ورواه البيهقي عن ابن عباس ، ايها الناس اني قد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله ، وسنة نبيه .

٣ ــ سورة الملك (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله، الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، الداعي إلى الله بإذنه ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وآله وصحبه .

وبعد. فيا أيها المسلمون .

اتقوا الله، واعلموا أن الرضا عن الله في كل ما يفعله بالعبد، ليس معناه ترك العبد للأخذ بالأسباب إلى ما يريده، فالأخذ بالأسباب، والسعيُ في الحياة، من جملة الرضا عن الله، لأنه سبحانه أمر بالعمل ومزاولة الأسباب، مع الجدِّ والنشاط، وأخذِ الحيطة والحذر ، فإذا وصل العبد إلى مطلوبه، فذلك من توفيق الله وإعانته، وإلا فقد بذل غاية جُهده. فليسلّم العبد أمره لله، وليعلم العبد أن الخير فيما اختاره الله له وهو أعلم بمصلحته ﴿... ، **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[1] .

لا تقل أيها المسلم لو أني فعلت كذا لنجوت، ولكان كذا، بل قل ما قدر الله كان، وما شاء فعل[2] .

أجل أيها المسلم. إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه، يزيدك علماً، أن الشكوى للمخلوق من الخالق سبحانه، وإظهار السُّخط على الله، وعدم الرضا عن فعله بالعبد، يخرجه من حظيرة المؤمنين الصادقين، إنك لترى ذلك واضحاً جليا، في الحديث القدسي عن الحق سبحانه (إني أنا الله، لا إله إلا أنا، فمن لم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يرضَ بقضائي، فليطلب رباً سواي)[3] .

---

١ ـــ سورة البقرة (٢١٦) .

٢ ـــ مأخوذ من قوله ﷺ ، وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ، وما شاء فعل ، فان اللو تفتح عمل الشيطان . رواه البيهقي عن ابي هريرة .

٣ ـــ أخرجه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث ابي هند الداري بلفظ : أنا الله لا اله الا انا ، فمن لم يصبر على بلائي ، ولم يشكر نعمائي ، ولم يرض بقضائي ، فليتخذ رباً سواي . وفي رواية فليلتمس رباً سواي .

إن كثيراً من الناس يشكون ربهم، لأنه نصر عليهم عدوهم، ولا يلومون أنفسهم، على تركهم دينهم، ودعوة بناتهم وفتياتهم إلى الموضة والتجديد والحضارة . فما علينا إلا أن نصبر، والعاقبة للصابرين والمتقين .

فالرضا بالقضاء، هو ثمرة الإيمان ونتيجته. إذ من استقر في قلبه، أن له رباً كريما، يحمي دينه وبيته ومقدساته، عليماً بما ينفعه ويضُرُّهُ، وأنه أرحم من الوالدة بولدها. أيقن أن الفرج إليه أقرب، وأن مع العسر يسرا، ورد في بعض الروايات، أن الله سبحانه وتعالى، أوحى إلى نبيه يعقوب، عليه السلام: (أتدري يا يعقوب، لِمَ رددت عليك ولدك يوسف.؟ قال: لا يا رب. قال له سبحانه، لأنك قلت: عسى الله أن يأتيني بهم جميعا)[1].

أيها المسلمون .

إنكم تعلمون أن باكستان هي بلد إسلامي، يقف بجانبنا الآن وقفة صامدة صابرة، وأن الهند بما عاونها وساندها من استعمار، بطشت بطشتها الأولى في باكستان، وفصلت باكستان الشرقية عنها، وأصبحت تدعى باسم آخر هو (بنكلادش)، ولا تزال اصابع الفتنة تلعب لتقضي على كشمير، التي فيها أعداد كثيرة من المسلمين .

إن موقف الهند المخزي والعدواني، لا يزيد باكستان إلا إصرارا وتصميما على تحرير كشمير، ولن يزيد هذا شعب كشمير إلا صموداً وثباتا في سبيل الجهاد. إن شعب كشمير، كما يدعو الأمم المتحدة ودول العالم العربي والإسلامي، والدول المحبة للسلام، أن تقول كلمتها، صريحة مرتفعة للهند، والله مع الصابرين .

* * * * *

---

١ ــ فائدة :
قال سعيد بن جبير : لم يعط أحدٌ الاسترجاع غير هذه الأمة ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ ... يا أسفى على يوسف وابيضَّتْ عيناهُ من الحزن فهو كظيم ﴾ .

اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] . اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، ذوي القدر الجلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات إنك يا رب سميعٌ مجيب الدعوات .

اللهم هيِّئ لهذا الدين من ينقذه من أيدي أعدائه . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال، اللهم باعد بينه وبين بطانة السوء، وهيِّئ له بطانة خير، تدعوه إلى المعروف وتحذره من الشر، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاءً رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والاربعون بعد المائة :

١٧ ذي الحجة ١٣٩٥هـ

١٩٧٥/١٢/١٩

(اختلاط الجنسين يؤدي إلى فوضى اخلاقية عارمة)

أحمدك ربي، على آلائك ونعمك وفضلك وجودك وكرمك ، مصلياً ومسلماً على رسولك المجتبى، المبشر بالخير والصلاح والإصلاح، وعلى آله وصحبه ذوي الحكمة والسماح والفلاح، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه ، يا كثير الخيرات. يا دائم المعروف. اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، عمده وخطأه، سره وعلانيته، ﴿ **... رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

أحمد من له الخلق والأمر ، وعَنا وخضع لجلاله وعظمته، كلُّ مَنْ في السموات والأرض ، سبحانك ما أجل شأنك، وما أعزّ سلطانك ، لك الحمدُ في الأولى والآخرة ، تباركتَ من ربٍ قدير ، وحكيم خبير ، دان لك العقل والضمير ، سبحانه، جعل السعادة والعزة لمن أطاعه ، والذلة والخِذلان على من عصاه ، وهو العزيز الحكيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله، أرشدنا بهذا الدين، إلى طرق الأدب والكمال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، الذي أرسله الله بالهُدى ودين الحق ، ليخرج الناس من ظلمات البدع والضلالات ، وينقذهم من سَيِّء الأخلاق وقبائح الذنوب ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سلك سبيله، واهتدى بهديه .

---

١ ـــ سورة طه (٢٥ ـــ ٢٦ ـــ ٢٧ ـــ ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله عز وجل ﴿ **وقَرْنَ في بيوتكن ولا تبرجْنَ تبرجَ الجاهلية الأولى ، وأقِمْنَ الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسولَه ، إنما يريدُ الله ليُذهِبَ عنكم الرجْسَ أهْلَ البيتِ ويطهركُم تطهيراً** ﴾[1] .

ايها المسلمون .

أمر الله نساء النبي، صلوات الله وسلامه عليه ، بالاستقرار في البيوت ، ونهاهُنَّ عن التبهرج والتبرج ، وإظهار الزينة للرجال الأجانب ، كتبرجِ النساء في الجاهلية الأولى، قبل الإسلام ، أمرهنَّ بما فيه كرامتهُنَّ ، وصيانة شرفِهن ، ليزيل عنهنَّ ما يدنس العِرضَ ، ويطهرَهُنَّ من أدران الخزي والعار ، محافظةً على السمعة والعفاف والكرامة .

أيها المسلم .

إذا كان ذلك في حق أمهات المؤمنين، رضي الله عنهن، وهُنَّ على ما نعلمُ من العفاف والنزاهة، والاباء والكرامة، والصيانة والتقوى والاستقامة، فنساء المسلمين اليوم أحق بهذا، وأولى .

أيها المسلمون في دنيا الاسلام. إن الحجاب الذي أمر به الشرع الحكيم ، لا يقصد منه ستر الوجه واليدين فحسب ، وإنما يقصد ويراد منه عدم الاختلاط الجنسي ، وليس في ذلك ـــ يا سادة ـــ هضم لحقوقها، أو تقييد لحريتها ونهضتها، أو منعها من تلقي العلوم والمعارف، كما يدعي أنصار المدنيَّة وهتك الحجاب .

صدقوني، أو لا تصدقوني، ما كان الحجاب الا محارباً للفتنة، التي عمت الأمة بأسرها، وتفشت في جسم الأمة، ولات حين مناص. ما كان الحجاب يا اخوتنا الا مقاومة للرذيلة. لكيلا تأتي على الفضيلة من

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٣٣) .

القواعد ، وبسببها تنهار صروح المجتمع الشامخة، وتتحول الى يباب وخراب ، نعم. وحتى لا تكون مثاراً للفتنة والريبة بين الازواج ، فيتزلزل منهم اليقين ، وتزول من بينهم الثقة مدى الحياة. يا هؤلاء وهؤلاء .

تيقظوا، إفتحوا عيونكم على الواقع المؤلم المؤسف ، وأعطوه حقه من وعيكم ، فما شأن المرأة بكم، حتى تشترك مع الرجال الأجانب، في كل مجال.؟ فتخرج حاسرة ذراعيها ، كاشفة عن ساقيها ، خالعة ثياب الحشمة والوقار، إذا كان هذا حقا للازواج ، اليس ذلك قلباً للأوضاع .؟ وشللاً في الأعمال، وتيسير سبل الفساد .؟

يا مسلمون .

ارجعوا إلى ماضي آبائكم وأجدادكم الصيِّدْ، الذين تفاخرون بهم، وتقولون نحن مسلمون. هل كانوا يفعلون مثل ما تفعلون .؟ أم أنهم كانوا جامدين رجعيين حميديين كما تدعون. إن الاسلام قد حظر (أي حرَّم ومنع) سفر المرأة وحدها بغير محرم، ولو الى الحج. فلماذا يا ترى حظر عليها إظهار زينتها للأجنبي.؟ بل قصرها على زوجها، خاصة ان هذا الاختلاط المروع، يجعل المرأة هدفاً للأنظار الساخرة ، وأقاويل السوء الجامحة. إن تفنن المرأة في طرق الغواية والاغراء، وارتيادها مواطن الرجال ، واختلاطها في المجتمعات ومواطن الأفراح وغيرها، التي لا يفعلها في هذا البلد الا قلة مسكينة، وقعت تحت ضغوط دعاة الاختلاط والسفور . لقد رأينا الكثير من الناس في هذا البلد ، يقيمون حفلات أفراحهم على غاية من الأداب والنزاهة، والكرامة والفضيلة . فيجعلون للرجال مكاناً وزماناً معيناً، وللنساء والسيدات كذلك ، حتى لا يجتمع نساء برجال ، وما أجمل هذا الاختيار وما أحلاه .

يا مسلمي زماننا هذا . تداركوا المجتمع. أيها الحريصون على دينكم وسمعتكم. تداركوه من قلة لا تعرف للشريعة لوناً ولا طعماً .

يا مسلمون . تتوالى النذر أمام أنظار المسلمين، معلنة سوء عواقب اختلاط النساء والرجال لغير المحارم ، ولعمر الحق، ان الاسلام كان على صواب، في تحريم ذلك على المسلمين ، وان دعاة الاختلاط اساءوا، في تسميتهم الاسلام رجعياً لا متمدناً في آرائه عندهم، بسبب منعه النساء المسلمات من مجالسة غير محارمهن من الرجال، للمسامرة والمباسطة ، ولغير ضرورة شرعية؛ كالطب والمعالجة، وفقد المعيل، لها ولأولادها . فإذا كانت هناك ضرورة موجبة، جاز لها ذلك .

في كل يوم، يحدث حادث خلقي جديد ، تنهدم به بيوت ، وتتقوض دعائم أسر ، بسبب المضي في تحقيق دعوة السفور ، والاختلاط ، والتهتك، وخذلان الاسلام. والله في تشريعه، الذي يقيد الاختلاط بين ذوي المحارم لا غير .

أيها المسلمون . إذا نزل العقاب من السماء، أصاب الصالحين والطالحين ، وعمّ البرىء والمسيىء ، كما مر بكم قريباً ، قال الله جلت عظمته ﴿ **واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّةً، وٱعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ (١) .

يا اخوتنا المؤمنين .

انني لواثق جداً، أنه سيأتي على الناس يوم، لا يستطيع العالم أن يقول فيه كلمة الحق، ولا يستطيع أن يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، لأن المنكرات ستكون عند الناس عادات. والله حسبنا، ونعم الوكيل، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيرا .

---

١ ــ سورة الأنفال (٢٥) .

يقول الشاعر :

ما وهـب الله لامرىء هبـة أفضـل من عقلـه ومن أدبـه
هـا حياة الفتى فإن فُقِـدا فـإن فقـد الحيـاة أجمل به

يقول عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه ، وفي رواية، فيدعو خياركم، فلا يستجاب لكم)[١] أو كما قال: أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم ، ادعو الله، وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي، لولا أن هدانا الله، أحمده سبحانه، أكرمنا وشرفنا بالاسلام، وأعزّنا بملة خير الأنام، أشهد أن لا إله إلا الله العليم الخبير ، يعلم الخفايا والنوايا ، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، حذّر من الفساد، وأمر بنشر محاسن الدين ، أدّب أصحابه بشريعة الله ، فكانوا ضياء للعيون ونوراً للقلوب ، حليتهم الوقار، وامتثال أمر الله الواحد القهار .

أما بعد ، فيقول سبحانه وتعالى، وبقوله يهتدي المهتدون الصادقون ، ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عن ذِكرِ الرَّحمٰنِ نُقيِّضْ له شيطاناً فهوَ لَهُ قرينٌ ﴾ [٢].

راقبوا ربكم أيها الناس ، خافوا عقابه، وارجو ثوابه ، وتأدبوا بآدابه ، حافظوا على نسائكم وبناتكم ، واتقوا الله، الذي إليه تحشرون .

إن المرأة المسلمة اليوم، المسلمة بشهادة ميلادها قلدت الأجنبية، وكذلك شبان اليوم، حتى أصبحنا لا نميز بين الرجل والمرأة .

وما أدري ولست اخال أدري أقوم آل حصن أم نِساءُ

---

١ ـــ رواه الطبراني في الأوسط ، عن أبي هريرة وكذا البزار والخطيب ، بسند ضعيف .
٢ ـــ سورة الزخرف (٣٦) .

إن الدستور الاسلامي اليوم، قد أُهْمِلَ نهائياً، فلا تنفيذ لأحكامه، ولا لارشاداته الا قليلا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يقول سبحانه ﴿ كانوا لا يتناهوْنَ عن منكر فعلوه، لَبِئسَ ما كانوا يفعلون﴾[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة، لا يدخلْن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[2] من الأعوام .

اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، قال تعالى ولم يزل قائلا عليما ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، اللهم أعز الاسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، ونسألك اللهم أن تؤلف بين قلوب هذه الأمة؛ حكامها وقادتها ورؤسائها، أفرادها وجماعاتها، اللهم وحّدْ على الحق صفوفهم وغاياتهم، وانصرهم على عدوهم نصراً مؤزراً يا أكرم الأكرمين. ونسألك اللهم، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال، وان تأخذ بيده، للعمل بكتابك وسنة رسولك، يا أرحم الراحمين.

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[4] .

---

١ ـــ سورة المائدة (٧٩) .

٢ ـــ رواه مسلم عن أبي هريرة .

٣ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٤ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية والاربعون بعد المائة :

٢٨ محرم ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/١/٣٠

(فساد ذات البين تحلق الدين)

أحمدك ربي وأشكرك ، واتوب إليك واستغفرك ، وأصلي وأسلم على من أرسلته رحمة للعالمين، ومصلحاً للناس أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه الهادين . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. رب اغفر لي وارحمني، ولا تؤاخذني إن نسيت أو أخطأت، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، أمرنا بالاصلاح بين الناس، لحسم النزاع والخلاف فيما بينهم، ذلك هدى الله، يهدي من يشاء، أحمده سبحانه جل وعلا، حَمْدَ مَنْ نَفَذ أمره ونهيه، واشكره شكر من قام بمقتضى هديه وإرشاداته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أجزل الأجر والثواب للمصلحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله، سيد المصلحين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، الذين تفهّموا تعاليم دينه الحنيف.

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون ، يقول الله تعالى في محكم كتابه ﴿ **لا خيرَ في كثير من نجواهم إلّا مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بينَ الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** ﴾[1] .

أيها المسلم .

الاصلاح بين الناس، هو فرع ناشيء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذين فرضهما الله على المسلمين ، وفي حق العلماء أكبر وأقوى، وهو أفضل عند الله من الصلاة والزكاة ، والصيام النافلة طبعاً ، لأن خيره يعم الدِّينَ والدنيا ، ويعود على الفرد والمجموع ، ولأنه مبعث الأمن والاستقرار ، ومنبع الألفة والمحبة، ومصدر الطمأنينة والهدوء ، وآية الاتحاد والارتباط ، ودليل الأخوة الصادقة ، والايمان . قال سبحانه وتعالى ﴿ **إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بين أخوَيْكُم، واتقوا الله لعلكم تُرحمونَ** ﴾[2].

لو أننا تأملنا في تصرفات الانسان، لوجدناه اجتماعياً بطبعه، يحب الرقي والتقدم ، ويعشق المدنية والحضارة ، ويرغب في الأنس، والاختلاط بالآخرين ، فالانسان إذاً مدني بالطبع ، ولذلك أودع الله فيه من الغرائز والميول ، وحبب إليه من النظم والتقاليد ، والفضائل والاداب، ما يجعله عضواً صالحاً، في جسم أمة ناهضة متطورة ، ولبنة قوية، في بناء مجتمع سعيد ، فأمره بالحلم والتسامح ، والعفو والصفح ، والشجاعة والصبر ، والصدق والوفاء ، والتضحية والايثار ، وجعل له لغة ودينا، وزوجة واولاداً ، ووطناً وجيراناً، الى غير ذلك من الأمور، التي أوجبتها طبائع الاجتماع ، الا أننا لو نظرنا في الانسان من ناحية أخرى ، لوجدناه أسداً كاسراً، قبل أن يكون حيواناً متمدناً، ووحشاً ضاريا مفترساً ، قبل أن يكون انساناً رحيماً،

---

١ ــ سورة النساء (١١٤) .

٢ ــ سورة الحجرات (١٠) .

فهو ظالم بطبعه، غادر بفطرته، أناني، يحب نفسه، وحريض يقدس شخصه، يقدم مصلحته على مصلحة غيره ، ويسعى في نفعه، ولو كان في ذلك إضرار لسواه ، هذه الطباع الوحشية، كامنة في كل إنسان منا نسبياً، كُمُوْنِ النار في الحجارة والحديد ، يسترها الضعف، ويخفيها العجز، ويفلسفها العقل ، ويلطفها الدين ، ويخفيها القانون، ولولا ذلك، لما كان الانسان انساناً، فلولا أن العقل قيَّده ، والمجتمع أخجله، والدين هذبه ، والقانون أرهبه ، لولا هذه القوى مجتمعة ومتفرقة، لعاش القوي من بني الانسان على لحوم الضعفاء ودمائهم، كما يعيش الأسود والذئاب . وما أحسن ما قيل .

والظلم من شيم النفوس، فإن تجد، فلعلة لا يظلم ذا عفةٍ، فلعله لا يظلم .

أيها المسلمون في زماننا هذا ، بما أن الانسان مجموعة من المتناقضات، فقد بعث الله إليه أنبياءه ورسله، وأنزل عليه كتبه وصحفه، وأكثر في الأرض من المصطفين الأخيار ، ونبههم الى القيام بهذا العمل الجميل ، وأمرهم بنشر السلام والوئام ، وبث الاصلاح والتوفيق بين الطبقات ، حتى لا تتعارض المصالح، ولا تتضارب الأهواء . وحتى يعيش الفقير بجوار الغني ، والضعيف بجوار القوي ، وحتى يبقى المجتمع الانساني قوي الأركان ، ثابت البنيان، متماسك الأعضاء، لا يصدع وحدته خلاف، ولا شقاق كما أراد له خالقه وبارئه ﴿ **وإن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكُم فاتقون** ﴾[1] .

أيها المسلم . الاصلاح بين الناس، مهمة خطيرة ، ومروءة كبيرة ، وواجب ديني مقدس، أمينه جبريل في الأرض، إذ انه عليه السلام، تمنى أن يكون مصلحاً بين الناس في الأرض ، الاصلاح بين الناس، وظيفة

---

١ ـــ سورة المؤمنون (٥٢) .

المرسلين والعلماء العاملين. أجل . لا يقوم بهذه الوظيفة الجُلّى، إلاّ أولئك الذين شرُفت نفوسهم، وصفت أرواحهم ، وتضاعف إيمانهم، وكمُل يقينهم ، وعلت أذواقهم ، أذواقهم سليمة ، وطباعهم مستقيمة وضمائرهم حيَّة ، وشعورهم نبيل ، يكرهون الشرّ، حتى عند غيرهم من الناس، ويمقتون الخلاف، حتى عند غيرهم من الطوائف، ويسعون في إبطال عمل الشيطان ، ويجدُّون في إحباط كيد الخائنين ، ويعملون على إطفاء الفتن، وإزالة الشرور والمفاسد من الآخرين ، همُّهم حقنُ الدماء، وصيانةُ الأنفس ، وحفظ الأموال، وتأليف القلوب .

أيها المسلمون .

لو أننا راجعنا الوقائع، وتصفحنا الحوادث اليومية، والصحف اليومية، والمجلات الاسبوعية، لوجدنا أن ما بالمحاكم من قضايا جزائية ، وما في المراكز من خصومات عائلية ، وما في المستشفيات من مرضى، وامراض نفسية وجسمانية، لوجدنا ذلك كلّه يرجع إلى إهمال الإصلاح من الناس. بل لا أكون متجنياً على الحق، ولا أكون مغالياً، إذا قلت إن جميع مشاكلنا الاجتماعية، ترجع في جملتها إلى إهمال ذلك المبدأ القويم ، فما استقرت الفتنُ، ولا اشتعلت الحروب ، ولا اهريقت الدماء، ولا أُزهقت النفوس ، ولا بددت الأموال ، ولا قطعت الأرحام ، ولا خربت البيوت ، ولا قُوِّضت الأُسر، ولا شردت الأطفال ، ولا مُزقت الجماعات. إلا لأن الناس قد أهملوا الإصلاح، والتوفيق فيما بينهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

من هذه العواقب الوخيمة ، التي تبيص وتفرّخ ، وتأتي على الأخضر واليابس ، نظر الدين إليها نظرة دقيقة ، وأمرنا بالإصلاح بين الناس ، وقال

﴿ ... ، فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بَيْنِكُمْ، وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ إن كنتم مؤمنين ﴾[1] .

ولكنَّ الناس ــ ويا للأسف ــ قد فسدت ضمائرهم في هذه الأيام، وخَبُثَتْ نياتهم ، فتراهم يحبون الشر، ويعملون به، بل يعلمون على نشره واستفحاله بين الناس .

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ (ألا أُخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟) قالوا : بلى، قال : (إصلاح ذات البيْن، فإن فساد ذات البين هي الحالقة) رواه ابو داود والترمذي، وقال حديث صحيح. قال : (ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: هي الحالقة، لا أقول تحلِق الشعر، ولكن تحلق الدين)[2] يعني تُزيله وتستأصله . أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله على نعمه وآلائه، وأصلي وأسلم على أشرف رسله وأنبيائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله، الخبيرُ بما تعملون ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بذل في الإصلاح غاية جُهده ومجهوده، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، الذين ساروا على نهجه القويم، فأصلحوا بين عباده .

أما بعد . فإن أشرف الأعمال وأعظمها قبولاً عند الله، ما كان خالصاً لوجهه، فاعملوا عباد الله على نشر دينه وتعاليمه، وأصلحوا بين عباده، فإنكم مسؤولون أمام الله، عما كنتم تعملون. واعلموا أن التنازع والخلافات ما تمكنا من أمة، إلا كان الخلاف نذير انحلالها وشماتة عدوها، وسبب ضعفها وعذابها، ومهبط بلائها، لأنه يفرق كلمتها، ويفكك صفوفها، ويمزق وحدتها، ويشتت شملها، ويجعلها لُقمة سائغةً للصهيونية،

١ ــ سورة الأنفال (١) .
٢ ــ والزيادة للترمذي : « لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » . ومعنى تحلق الدين ، أي تذهبه .

التي تتربص بكم الدوائر، والمستعمرين. يقول رسول الله ﷺ (المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينُه، اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه) رواه الإمام مسلم .

عباد الله. اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى، صلى على نبيه قديما، قال تعالى، ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، تسليماً كثيرا . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم الف بين قلوب المسلمين، وأصلح ذات بينهم، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا، من لا يخافك ولا يرحمنا .

اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ بين أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها، وأزِل ما بيننا من خلافات وخصومات. أللهم أصلح فساد قلوبنا ، وأصلح نفوسنا، وأصلح حكامنا، وأصلح علماءنا، وبصِّرهم بطريق الحق يا رب العالمين.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك يا رب العالمين .

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال. اللهم باعد بينه وبين الفتن الظاهرة والباطنة، وارزقه بطانة مخلصة صالحة، يا أكرم الأكرمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثالثة والاربعون بعد المائة :

١٢ ربيع الآخر ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/٣/١٢

« بميلاد محمد ﷺ تنفّسَ العالَمُ من جديد »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأصلي وأسلم على رسول الهداية، خير البرايا، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه. رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، فأغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليُها ومولاها ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك انت العليم الحكيم. اللهم يا من بيده مقادير الخيرات كلها، يامن إليه يرجع الأمر كله، يا فتاح يا عليم، افتح لنا فتحاً قريبا ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله، أكرمنا بميلاد خير الأنام، وأرسله للعالم بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كُلّه، بعثه للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبد مُقرٍّ بربوبيته، شاهدٍ بوحدانيته، لا يُبغى سواه رباً، ولا يتخذ من دونه ولياً

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

ولا نصيرا ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، خِيرتُه من خلقه وخليله، رفع له ذكره، وأعلى قدره ، وشرح له صدره ، وجعل الذلة والمهانة على من خالف أمره ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين سلكوا طريقه ، واتبعوا نهجه وهديه ﴿ **أولئك على هدىً من ربهم، وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] . ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهُداهُم اقتده** ﴾[2] .

أما بعد . فقد قال تعالى ﴿ **يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا. وداعياً إلى الله بإذنه وسِراجاً منيرا** ﴾[3] .

أيها المسلمون :

في هذه الآية، توجيه النفوس المؤمنة الواعية، وإرشادُها إلى مزيد الاهتمام والاتباع له ﷺ ومن اتبعه فقد فاز بمحبة الله، وغفرانِ ذنوبه وآثامه ﴿ **قُلْ إن كنتم تحبونَ الله فاتبعوني يحْبِبْكمُ الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم** ﴾[4] .

أجل . إنه ﷺ شاهدٌ بتوحيد الله ، شاهد بحُسن السَّيرِ والسلوك، على من سلك سبيلَه، وهذه الشهادةَ سيؤديها رسول الله ﷺ في الموقف العظيم، يوم الحسرة والندامة، شهادة حقٍ وصدق، وتأييداً لذلك، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **فكيفَ إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بِكَ على هؤلاء شهيدا** ﴾[5] .

أيها المسلمون . في مثل هذا الشهر، وُلد صاحب الرسالة العظمى، سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام ، الموصوفُ بتلكم النعوت والمزايا الباهرات، ذلكم هو سيد الوجود، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي بعثه

---

١ ــ سورة البقرة (٥) .
٢ ــ سورة الأنعام (٩٠) .
٣ ــ سورة الأحزاب (٤٥ ــ ٤٦) .
٤ ــ سورة آل عمران (٣١) .
٥ ــ سورة النساء (٤١) .

الله للإيمان منادياً ، وإلى الشريعة الغراء هادياً وداعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، وفي مرضاة ربه ساعياً ، أيقظ الله به الضمائر ، ونوّر البصائر ، وهزّ المشاعر، وطهر السرائر. أزال من النفوس أمراضها، كالحقد والحسد والبغضاء ، وعَمرَ القلوبَ بالمحبة والصفاء ، ونشر في الناس مبادىء العدالة الاجتماعية، والحرية والمساواة والإخاء، حتى صار الناس بعد ذلك بنعمة الله إخواناً .

معشر المسلمين .

بميلاد هذا النبيِّ الكريم، وُلد فجر جديدٌ ، وظهر دينُ الإسلام، الذي لا يَقبل الله من العباد ديناً سواه، كما قال جلت عظمته ﴿ **ومن يَبْتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] .

فإذا احتفل المسلمون بميلاد نبيهم، فإنما يحتفلون بميلاد عَلَمِ السعادة، يرفرف على العالمين .

واعلموا أيها الناس .

إن الإحتفال الحقِّ إنما هو في إحياء سنتهِ ، والسيرِ على شريعته ، والمحافظة على كتاب ربه، الذي جاء به، وتنفيذ أوامره. إن الاحتفال الحقّ، أن نبني مجد أمتنا بالعمل والجهاد والكفاح، لاستخلاص المسجد الأقصى، والأرض، والمقدسات، وهو الحق المغتصب، وبالإنتاج الذي يملأ ربوعنا سعادة وهناء، وبالتصنع، فنعمل على رفع شأن أمتنا وبلادنا، ورفع مستواها اللائق بها بين الأمم .

---

١ ــ سورة آل عمران (٨٥) .

إن الاحتفال الصحيح، أن يعرف الحاكمُ حق رعيته، فيسعى لخيرها وإسعادها، والعامل حقَ بلاده عليه، فيكونُ دائماً مخلصاً في عمله، وأن يعرف التاجر واجبَه، فلا يحتكر قوت العباد، ولا يكون مِعْوَل هدم وفساد، لقوله عليه الصلاة والسلام (من احتكر طعام المسلمين أربعين يوماً، ضربه الله بالجذام والإفلاس)[1] . الاحتفال الحق، أن يرحم الكبير الصغير، لقوله ﷺ يقول الله عز وجل في الحديث القدسي (إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي)[2] ويقول عليه الصلاة والسلام (إرحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء)[3] (ومن لا يرحم لا يرحم)[4] . الاحتفال الحق يا مسلمون. أن يعرف الأغنياء حق الفقراء والمساكين، وان يتعاون الناس على الخير العام والصالح العام .

وها هي ذي بعض أعماله ومعاملاته ﷺ لعلكم تستخلصون منها القدوة والعظة والعبرة .

سئلتْ أم المؤمنين عائشةُ، رضي الله عنها، عن أخلاق رسول الله، بعد وفاته، فقالت كلمةً موجزةً مختصرة (كان خلقه القرآن)[5] يعني يتأدب بآدابه، ويأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه . كان ذا شجاعة ونجدة وبسالة، يرحم العمال والعاملين. كان ذا شهامة وحماسة وصولة وإقدام، يشتت شمل الطغاة والبغاة، والجبارين من الرجال ، ويبطل حيلة الأبطال .

تصدّى لجهاد أعدائه، وقد أحاطوا به من جميع جهاته، وبذلك جَمع بين التصدي للدعوة الإسلامية، حتى أظهر الله دينه على يديه، وبين مكافحة عدوه، حتــى قهره ، ما سمع التاريخ بشُجاع مقدامٍ إلا أُحْصِيَتْ له فَرَّةٌ وإحجــام . أما سيد الأبطـــال؛ رسولنا محمد ﷺ فقد ثبت في جميع المواقف الحالكة. ولذلك قـــال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه:

---

١ ــ رواه الامام أحمد وابن ماجة عن عمر بن الخطاب ، بسند ضعيف .

٢ ــ ويؤيده الحديث الاخر الذي رواه البخاري في الأدب المفرد : ارحموا ترحموا .

٣ ــ مرّ تخريجه ، ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ : « ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذي .

٤ ــ متفق عليه .

٥ ــ متفق عليه من حديث عائشة .

(كنا إذا حمي وطيس الحرب، اتقينا واحتمينا برسول الله، عليه الصلاة والسلام. أما رغبته وإعراضه عن الدنيا، فقد كان زاهداً فيها، متقللاً منها، معرضاً عن زهرتها، غير ناظر إلى نَضَارتها، متحلياً بطاعة ربه، مستشعراً العفافَ والكفافَ، يَبِيتُ طاوياً ليشبعَ غيرُه، ما ترك بعدِه ديناراً ولا درهماً إلا سلاحه وبغلته، وأرضاً جعلها صدقة للناس، يقضي نهاره في نشر دين الله، غير طامح إلى ما تطمح إليه النفوس؛ من رتبه أو دولة أو سلطان، ولا راغبٍ في ذكر، أو صيتٍ أو شهرة، أو سمعة. من أجل ذلك تعي من هؤلاء العرب توقيراً واحتراماً وإكباراً، حتى لقبوه بالأمين، وكما قيل:

وإذا كانـت النفـوس كبـارا

تعبـت في مُرادِهـا الأجسامُ

وهذا وقَعَ، رُغم ما كان عليه العرب حينذاك، من الشدة والغلظة والجفاء. أما احترامه ﷺ فقد كان بريئاً من التصنع والزَّيف والرياء، كان مُستقلَّ الرأي، لا يَدَّعي ما ليس فيه، يستشير أصحابه عند الحاجة، عاملاً بمبدأ الشُورى في الإسلام، من أجل هذا كله، صارَحَهُ ربُّه في كتابه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1].

روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه ﷺ كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس[2] وورد عن الجامع الصغير، أنه ﷺ قال: (خَرَجْتُ من نكاحٍ، ولم أُخرج من سفاحٍ، من لدُنْ آدم إلى أنْ ولدني أبي وأمي، لم يُصبني من سفاح الجاهلية شيء)[3] أو كما قال: أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم. أدعو الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★ ★ ★

---

١ ـــ سورة القلم (٤).

٢ ـــ متفق عليه والترمذي وابن ماجة، عن انس.

٣ ـــ رواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي عن علي بن ابي طالب والحاكم في مستدركه، ورجاله ثقاة.

الحمد لله، أكرمنا بميلاد خير البرية ، أرسله ربُّه رحمةً وقدوة صالحة، يقتدى به المؤمنون ، ويأبى قدوته الجاحدون الضالون . وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبد لا يتخذ من دونه ولياً ولا نصيرا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، القائلُ (أنا خيارٌ من خيار من خيار)[1] وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد. فيا أيها المسلمون . فقد قال جل وعلا ﴿ **لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفُسِهم يتلوا عليهم آياتِهِ ويُزكّيهم ويُعَلِمُهُمُ الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قَبْلُ لفي ضَلالٍ مُبين** ﴾[2] .

جدير بنا نحن المسلمين، أن نحتفل بذكرى ميلاد، من بلَّغنا عن ربه كتابه المبين. فيه نبأ من قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضلَّـــه الله، من قال به صدَق وصُدِّق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم.

أيها المسلمون .

اتقوا الله، عباد الله ، اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

---

١ ـــ وأوله : إن الله خلق السموات سبعاً فاختار العلياء منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم العرب ، واختار من العرب مُضَر ، واختار من مُضَر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فبحبي احبهم ، ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم . رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر ، وهو حديث غريب .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٦٤) .

٣ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين، والمصلحين يا رب العالمين. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، الحسين بن طلال ووليّ عهده الحسن. اللهم اجعل القرآن الكريم رائداً لهما، في كل إجراء، وفي كل عمل. اللهم اجعل القرآن الكريم دستوراً لهما، وسنة جدهما المصطفى ﷺ عماداً لهما يا أكرم الأكرمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[١].

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الرابعة والأربعون بعد المائة :

٢٦ ربيع الآخر ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٣/٢٦

(السماحة في البيع والشراء واقتضاء الدين)

أحمدك ربي، وأشكرك، واتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه وهداه، واتصف بالسماحة والسهولة مع عباد الله، ومع مولاه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت العزيز الأكرم ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1].

* * * *

الحمد لله الحليم الكريم، أمرنا بالرأفة والرحمة، وحثنا على المعاملة الحسنة، وأشهد أن لا إله إلا الله الرؤوف الرحيم، ذو الفضل العظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه السادة الكاملين، والغرّ الميامين.

أما بعد. فقد قال رسول الله رحِمَ الله رجلاً سمحاً، إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى. وفي رواية (وإذا قضى)[2] رواه البخاري والترمذي وابن ماجة.

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨).

٢ ـ مرّ تخريجه باختلاف ألفاظه.

أيها المسلمون .

الدين عبادات ومعاملات. واعلموا أن السماحة في المعاملة من أخلاق الأصفياء النبلاء. ويمكننا أن نحكم على خلق الإنسان من معاملته للناس. بل يمكنك أن تعرف مقدار تدينه من معاملته (والدين المعاملة)[1] فالمعاملة اختبار لشخصية المرء، تظهره على حقيقته .

أيها المسلمون .

إنك لترى الرجل يتسمُ بالصلاح والتقوى، يُتمتم بلسانه ، ويبدي الخشوع، ويحافظ على الصلاة ، ويحج البيت ، ويصوم رمضان. فإذا ما اختبرته في المعاملة، وجدت صلاحه مصطنعاً، وتقواه رياء ، فإن كان بائعاً غشّ ودلّس ، وإن كان مشترياً، ناكف السلعة وذمّها، وجادل وبخس ثمن ما يشتري، وإن كان له على آخر دين، شدّد في المطالبة، وفضح أمر المدين ، وإن كان عليه دين ماطل وسوّف، مع قدرته على الأداء .

أيها المسلمون .

الدين عبادات ومعاملات. إن السماحة التي أشار إليها الحديث الشريف، دليل الرحمة والتراحم بين العباد، آية الإيمان ، وعنوان الصلاح ، وعلامة الرحمة (والراحمون يرحمهم الرحمن)[2] (ومن لا يرحم، لا يُرحم)[3] ، وسماحة البائع، تتجلى في كونه هاشاً باشاً للمشتري، حَسَنَ اللقاء ، راضياً قانعاً ، لا يبالغ في طلب الربح، ولا يكثر من المساومة ، والزيادة على أمثاله الآخرين ، ولا يُدلس ، ولا يخدع ، ولا يحتكر ، ولا يطفف، ولا يحلف كاذباً .

---

١ ــ ليس هذا حديثاً كما هو متداول بين الناس ، وانما الحديث المتفق على صحته « الدين النصيحة » .
٢ ــ رواه الامام احمد وابو داود والترمذي والحاكم وصححه كلهم ، عن ابن عمرو وبقيته : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . وزاد الحاكم : والرحم شجنة من الرحمن ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله » .
٣ ــ متفق عليه .

قال تعالى ﴿ **ويلٌ للمطففين. الّذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرونَ. ألا يظنُّ أُولئكَ أنهم مبعوثون. ليومٍ عظيمٍ. يومَ يقومُ الناسُ لِربِّ العالمين** ﴾[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام (اليمين الفاجرة، تذر الديار بلاقع)[2] ويقول عليه الصلاة والسلام (من اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة ، قالوا : يا رسول الله ، وإن كان شيئاً يسيرا .؟ فقال وإن كان قضيباً من أراك)[3] رواه مسلم .

إن الإسلام، الذي حرَّم الغِش، جرَّد الغاش من صفة الإيمان، ونفى عنه الإسلام. ففي الحديث (من غشَّ فليس منا)[4] وفي رواية (ليس منا من غشَّ)[5] فكل من غشَّ في عمله الذي وكل إليه، فهو غاش لأمته، سواء أكان في حكم أو علم، أو زراعة أو صناعة، أو إدارة أو أي عمل من الأعمال.

وقد مرَّ ابو هريرة، رضي الله عنه، برجل يحمل على رأسه لبنا يبيعه ، فنظر إليه، فإذا هو قد خلطه بالماء ، فقال له ابو هريرة، رضي الله عنه : كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة، خلِّص الماء من اللبن .؟

والبائع الذي يحبس السلعة ويحتكر البضاعة التي تشتد حاجة الناس إليها إغلاءً لثمنها مجرم في حق نفسه وأمته ودينه ملعون ومطرود من رحمة ربه وفي ذلك يقول رسولنا عليه الصلاة والسلام (من دخل في شيءٍ من أسعار المسلمين ليغليَهُ عليهم كان حقاً على الله أن يُقعدَه بعُظْمٍ من النار يوم القيامة)[6] . أي بمكان عظيمٍ مُشتعلٍ مضطرمٍ من النار .

١ ـــ سورة المطففون (من ١ ـــ ٦) .

٢ ـــ رواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ : « اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » ، أي خراباً . ورواه الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة : وتمامه : إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم ، انهم ليكونون فجاراً فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم ، وأن أعجل المعصية عقوبة البغي والجناية واليمين الغموس ، تذهب المال وتثقل في الرحم وتذر الديار بلاقع .

٣ ـــ رواه مسلم عن ابي أمامة .

٤ ـــ رواه الترمذي عن ابي هريرة بسند صحيح .

٥ ـــ رواه مسلم وأحمد وابو داود وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة .

٦ ـــ رواه الطبراني عن معقل بن يسار .

أيها المسلمون .

لقد توعَّدَ الله بأشد العقوبات وأقساها، مَنْ يطفف الكيل، وتطفيف المكيال نقصانه عن حقه، كما أشار إليه الكتاب العزيز، في سورة المطففين، التي نزلت في حق جماعة، كانوا ينقصون المكيال، ويبخسون الميزان .

أما البائع، الذي يروِّج سلعته بالحلف الكاذب ، ليزيد في ثمنها ، أو يستر عيبتها، فسيعامله الله بنقيض ما يريد، فتحِلُّ به الخسارة، ويحِلُّ عليه عذاب مقيم، مهما عظم ربحه، وكثرت تجارته ومرابحه. يقول عليه الصلاة والسلام: الحلف مَنْفَقةٌ للسلعة ، مُمحقةٌ للكسب ، أي ماحيةٌ للبركة .

ومن الصفات المذمومة في البائع، أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، وهذا يجلب العداوة والبغضاء والأحقاد، بين التجار والبائعين والمشترين. يقول ابن عمر، رضي الله عنهما، نهى رسول الله ﷺ أن يبيع الرجل على بيع أخيه .

أيها المسلم في هذا الزمن العصيب .

إن سماحة المشتري، تظهر في ترك الأخذ والرد بين المتبايعيْن ، وتضييق الخناق على البائع، وإرهاقه بكثرة مساومة السعر، وبخس السلعة ، وكثرة التقليب فيها. ومن الناس من يحاور البائع المسكين ، ليقتطع قليلاً من ثمن السلعة ، وقد يكون البائع فقيراً رقيق الحال ، ضيقَ المعيشة ، يكِدُّ ويكدح لكسب قوت عياله، الذين يرهقونه ويحملونه فوق طاقته، بزيادة مطالبهم .

فمن سماحة المشتري ، وسهولة معاملته مع مثل هذا البائع، عدمُ المماكسة، وعليه أن يجعل ما زاد في ثمن سلعة هذا الفقير، صدقة سِرٍّ خفية يقول ﷺ (والصدقة تطفىء الخطيئة، كما يطفىء الماءُ النار)[1] فالذين يدققون مع بائعي الأشياء البسيطة، وما شابهها، نزعت الرحمة من قلوبهم، لا سيما إذا كانوا أغنياء، وهي لا تنزع إلا من قلوب الأشقياء .

---

١ — من حديث معاذ بن جبل الطويل قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار... الحديث رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

أما السماحة في اقتضاء الدَّيْن؛ فهو أن يطالب الرجل بدينه في رفق ولين ، فلا يقسو على المدين ، ولا يعمل على مسِّ كرامته، بمطالبته أمام الناس ، وإنما يسلك بالمطالبة طريق الحكمة واليسر والسهولة ، ويتجنبُ الألفاظ النابية، والأسلوب القاسي .

أيها المسلم .

إن من أفضل القُربات عند الله، أن يكون لإنسان دينٌ على آخر، فيرحمُه في المطالبة، فإن كان معسراً أخرّ مطالبته إلى ميسرة، وإن كان المدين في ضيق من العيش، لا يستطيع سداد ما عليه، تصدق به عليه، وكلُّ إنسان بحسبه وبحسب حاله وميزانيته . إنَّ من يفعل ذلك، يفتح الله له أبواب رحمته، يقول الله جل وعلا ﴿ **وإنْ كان ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ، وأن تصدَّقوا خير لكم، إن كنتم تعلمون** ﴾[1] .

يقول النبي ﷺ : كان رجل يداين الناس (بالبيع الحلال، لا بالربا) فكان يقول لفتاه إذا أتيت مُعسراً، فتجاوز عنه)[2] . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله الكريم الفتاح أشهد أن لا إله إلا الله واهب الخير والفلاح ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله معدن الجود والسماح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المخلصين الصادقين .

---

١ ــ سورة البقرة (٢٨٠) .

٢ ــ رواه مسلم عن ابي مسعود والانصاري قال : قال رسول الله ﷺ : حوسب رجل ممن كان قبلكم ، فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسراً ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزا عن المعسر ، قال قال الله : نحن أحق بذلك منك تجاوزا عنه ، ورواه مسلم عن أبي هريرة أنه كان يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله يتجاوز عنا ، فلقي الله تعالى فتجاوز عنه .

ورواه البخاري مختصراً : مات رجل فقيل له : ماكنت تقول ، قال كنت أبايع الناس ، فأتجوز عن الموسر ، وأخفف عن المعسر ، فغفر له .

وبعد . فيا أيها المسلمون .

إعلموا أن المماطلة من الأغنياء في أداء الديون، التي في ذمتهم، تجر إلى المنازعات والخصومات، والوقوف أمام القضاء. وفي سبيل ذلك تفسُد الذمم، وتنحط القيم، وتنعدم الثقة، وتنحلُّ روابط الألُفة والإخاء. يقول عليه الصلاة والسلام (مَطْل الغنيِّ ظلمٌ)[١] وورد أنه كان لرجل دين على رسول الله ﷺ نفسه فأتاه يطلب منه دينه ويتقاضاه، فأغلظ له (في القول) فهمَّ به أصحابه (يريدون الاعتداء عليه) فقال رسول الله ﷺ دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال : (اشتروا له سنّاً فأعطوه إياه، فقالوا لا نجد إلا أمثل وأحسنَ من جمله، فقال : اشتروه فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنُكم قضاءً)[٢] .

عباد الله . اتقوا الله حق تقواه، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما وقال ولم يزل قائلاً عليماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[٣] . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات رب العالمين .

---

١ ــ متفق عليه من حديث ابي هريرة وبقيته : واذا اتبع احدكم على مليء فليتبع .

٢ ــ متفق عليه عن ابي هريرة ولفظ البخاري : ان رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه بعيراً ، قال قال رسول الله اعطوه فقالوا : لا نجدُ الا سناً أفضل من سنه ، فقال الرجل أوفيتني أوفاك الله ، فقال رسول الله ﷺ ، اعطوه فان خيار الناس احسنهم قضاء ، وفي رواية أخرى له إن خياركم أحسنكم قضاءً ورواه ابن ماجة ، وهو أن اعرابياً كان له على النبي ﷺ دين ، فتقاضاه إياه واشتد ، وقال أحرج عليك إلا قضيتني . فانتهره أصحابه ، فقالوا ويحك ، تدري من تكلم ، قال : اني اطلب حقي ، فقال النبي ﷺ هلا مع صاحب الحق كنتم ، ثم أرسل الى خولة ، فقال لها : إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك ، فقالت نعم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله فأقرضته ، فقضى للأعرابي وأطعمه فقال : أوفيت أوفى الله لك ، فقال : أولئك خيار الناس ، إنه لا قدست أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه غير متعتع .

اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين ، وردّهم إلى دينك ردّاً جميلاً ، يارب العالمين ، اللهم أحسن معاملتهم فيما بينهم ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال ، اللهم اجعله من العاملين بشريعتك ، المتمسكين بأمرك ونهيك ، الواقفين عند حدودك يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ماتصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

١ - سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والاربعون بعد المائة :

٢٢ جمادى الاولى ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/٥/٢١

(احترام مساجد الله)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى، الذي زين الله بيوت الله بجمال نوره، وعلى آله وصحبه، زينة الدنيا والدين. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، رب اغفر لي ذنبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، جعل مساجد الله نعمة للمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي جعل للمساجد حرمة وآداباً، يتأدب بها المؤمنون الصادقون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، دعانا الى احترام المساجد وتقديرها، والتأدب فيها، إعظاماً وإكباراً وتكريماً لهذا الدين، وعلى آله وأصحابه، الذين عظموا شعائر الله، فأعزهم وحماهم، ونصرهم وأمدهم بفضل منه ورحمة، الى يوم الدين.

أما بعد. فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾[2].

١ — سورة طه (من الآية ٢٥ — الآية ٢٨).
٢ — سورة التوبة (١٨).

أيها المسلمون .

في هذه الآية، الكريمة دليل ساطع وبرهان قاطع، على أن الشهادة لعمارِّ المساجد بالايمان، صحيحة، لأن الله سبحانه وتعالى، ربط الايمان بعمارتها، وأخبر عنه بملازمتها، لما ورد (إذا رأيتم الرجل يعْمرُ المسجد فحسّنوا به الظن) وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدريِّ، رضي الله عنه، (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالايمان)[1] وفي رواية، إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد، أي يزوره ويتفقده **﴿إنما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله ... ،﴾**[2] يعني لم يخف في باب الدين أحدا إلا الله، لأن من لازم المساجد بصدق وإخلاص، وحُسن نية، وأدب، رزقه الله الخشية والخوف منه، سبحانه وتعالى.

يعني أن من صفات القائمين بعمارة المساجد، والملازمين لها، خشية الله تعالى، وإقامة الصلوات في وقتها، وإيتاء الزكاة في حينها، فينشأ عن ذلك خوف الله وخشيتُهُ، والمرجو من الله، أن يكون أمثال هؤلاء، من الذين هداهم الى طريق الحق، وإلى صراط مستقيم .

أيها المسلمون .

ليست عمارة المساجد قاصرة على البناء والتزيين بالفرش، وإسرافها بالضوء، بل يراد من العمارة أيضا عمارتها بمجالس العلم والعبادة، وترك حديث الدنيا، وترك أحاديث الغيبة ومصالح الدنيا، لأن المساجد إنما بنيت لله، كما قال تعالى في سورة الجن **﴿وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تدعوا مع الله أحدا﴾**[3] أي أن المساجد مختصة بعبادة الله ومراقبته، لا لقص الرؤى والمنامات، لأن تعبير الرؤيا له شروط وآداب، ولا يجوز الكذب في الرؤيا، لقوله ﷺ (من تحلّم (بحلم) كاذباً ، (في رؤياه) كلف يوم القيامة أن

---

١ ـــ رواه الترمذي وقال حسن غريب ، ورواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

٢ ـــ الآية مذكورة بالحديث السابق فالحديث كاملاً : اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد ، فشهدوا له بالإيمان ، قال الله عز وجل ﴿ آنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر ... ﴾ .

٣ ـــ سورة الجن (١٨) .

يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل أي وليس بعامد. ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون، صُبَّ في أذنيه الانك يوم القيامة (وهو الرصاص المذاب ومن صوَّر صورة، عُذب أو كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ)[1] رواه الامام البخاري، عن ابن عباس رضي عنهما، وروى عن الامام أبي يوسف رضي الله عنه، وهو أحد الصاحبين للامام أبي حنيفة رضي الله عنهما، أنه سئل عن مسألة الرؤيا، فقال أبو يوسف: حتى نفرغ من أمر اليقظة (يعني نُعلم الناس الفقه في دين الله، ثم نشتغل بأمر النوم. وروى عن محمد بن سيرين صاحب كتاب تعطير الأنام، أنه كانت تقص عليه الرؤيا، فيقول لصاحب الرؤيا، اتق الله في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم.

نعم. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، في صحة الرؤيا وصدقها، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان ﷺ يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[2]، وورد أن الرؤيا أحيانا تكون رحمانية، على حسب صفاء النفس، وتارة تكون شيطانية، على حسب خبث النفس، فإن رأى رؤيا رحمانية فيها خير، فليحمد الله، وإن كانت رؤيا شيطانية، فليتفل عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فإنها لا تضره[3].

أيها المسلمون في زمن العجائب .

لقد ابتلي الاسلام، باشخاص يتخذون من الافتراء على الاسلام طرقا وأساليب للتنفير منه، والتشويش عليه، أو يتخذون حبائل ووسائل لاصطياد عرَض من أعراض الدنيا. ومن هذا القبيل نشرات توزع على الناس بين حين وآخر، تشتمل على قصة رؤيا منسوبة لشخص يسمى نفسه (الشيخ أحمد

---

١ ــ رواه البخاري عن ابن عباس وروى البخاري عن ابن عمر : من أفرى الفرى أن يُري عينه مالم تر ، رواه عن ابي هريرة قوله من صور صورة ومن تحلم ومن استمع وذكره .

٢ ــ متفق عليه عن عائشة .

٣ ــ متفق عليه والحديث عن البخاري : إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله ، فليحمد الله عليها ، وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد ، فإنها لا تضره .

وروى البخاري عن ابي قتادة يقول : وانا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي ﷺ يقول الرؤيا الحسنة من الله ، فاذا رأى أحدكم ما يحب ، فلا يحدث به الا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ، وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً ، فإنها لا تضره .

خادم الحجرة النبوية، إنها رؤيا مفضوحة، وقد اخترعت على الاسلام هذه الأكذوبة منذ سبعين سنة، ولا يزال مخترعها من أعداء الاسلام، يتعهد بها الناس شرقاً وغرباً، من سنة إلى أخرى، وصار لهذا المخترع دجالون ومروجون، يقولون بقوله، ولعلها أيها الناس تهمة أجنبية، يلصقونها بالاسلام، وهو منها براء. إنها فرية على الاسلام، وعلى رسول الله ﷺ يقصد منها اللعب بخواطر الناس، وعقائدهم، وعواطفهم.

انتبهوا أيها المسلمون.

لقد كتبت مجلة نور الاسلام، في الأزهر الشريف، سنة ألف وثلاثمائة واحدى وخمسين هجرية، ضد هذه الرؤيا الأحمدية وزيفها وكذبتها، وأبانت نواحي ضلالاتها، وقد طلبت من الخطباء في مصر، في كل مكان، أن ينبهوا الناس لفريتها واختراعها آنئذ، وبينت سخافة عقل من يصدقها من المسلمين. ولا نزال بين أونة وأخرى، نرى نشرات هذه الرؤيا، ونسمع من مروجيها، ويسوءنا جداً أن يتهافت الناس على طبعها ونشرها، حتى من عقلاء الناس، وهي حديث خرافة، واسطورة مكذوبة مكشوفة، نأسف لقراءتها، وتعليقها على الجدران، رغبة في الوعد الذي وقع فيها، لقول كاتبها من قرأها ونقلها كان رفيق النبي ﷺ في الجنة، والنبي ﷺ نفسه يقول (من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)[1] حديث متفق عليه نقلها الناس وعلقوها، خوفا من قوله (من قرأها ولم ينقلها، كان خصم النبي ﷺ يوم القيامة، وهو زور محسن. وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة والف هجرية، نشرت مجلة نور الاسلام أيضاً، في الجزء السادس من المجلد الثالث من مجلة الحقائق، رداً على خادم الحجرة النبوية الكاذب، وعلى فريته، وحذرت الناس من الوثوق بها وبمخترعها، قال صاحب الرؤيا نفسه في سنة ١٣٧٠هـ ستغيب الشمس ثلاثة أيام، وبعد سنة الف واربعمائة يظهر المسيح الدجال، وكان رد المجلة عليه هكذا (صحَّ في الحديث الشريف، أن خروج المسيح الدجال وخروج المسيح نفسه من أشراط الساعة، لكن لم

١ ـــ متفق عليه، وقد مرَّ تخريجه سابقاً.

يصحّ ولم يثبت في كتب السنة تعيين يوم مخصوص لخروجه. فمن أين لهذا الكذاب، العلم بتعيين الوقت.؟ وتحديده إن هذا إلا دجل وافتراء على الاسلام. لأن الله تعالى، يقول على لسان نبيه ورسوله، ومعصومه ﷺ ﴿...، **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء**﴾[1] فإذا كان النبي صلوات الله وسلامه عليه، ينفي عن نفسه الكريمة علم الغيب ، وهذا الكذاب يدعيه، فلا حول ولا قوة إلا بالله، يقول عليه الصلاة والسلام (من كذب في حلمه متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار)[2] وقد أفتى استاذنا في قسم التخصص بالازهر الشريف، في مجلة نور الاسلام آنئذ، الشيخ محمد الخضر حسين المغربي (أنَّ ما يراه النائم يُعرض على الشريعة، فان كان مطابقاً لتعاليمها عمل به، وإذا كان كذبا غير مطابق للشريعة ردته من حيث أتى، حتى لو تلقى النائم صيغة من صيغ التسبيح أو الذكر في منامه، وهي غير مطابقة للصِّيَغ التي تلقيناها وتعلمناها، عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، لا تقبل ولا يعمل بها . إلى آخر ما قاله في فتواه، إلى أن قال رحمه الله ، أما رؤيا الجاهل الذي لا يعرف شيئاً من صفات رسول الله، ولا من أحاديثه، ولا من الشمائل المحمدية، فإن رؤياه تكون من قبيل تخيل الشيطان، وإن كان الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ على أن الرؤيا من الجاهل — ولو كانت حقاً — لا يصح الاستناد إليها في حكم شرعي، لاحتمال الخطأ والغلط في ضبط الصورة الصحيحة في النوم)، من الرائي نفسه ، وقال الزركشي في البحر المحيط، (والصحيح أن المنام لا يثبت حكماً شرعياً ولا ينفيه، وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقا. والشيطان لا يتمثل به. لأن النائم ليس من أهل التحمل والرواية، لعدم ضبه وتحفظه وحفظه .

---

١ — سورة الأعراف (١٨٨) .

٢ — رواه الامام أحمد عن علي بن ابي طالب ، بسند حسن .

نعم أيها المسلمون . لقد قال رسول الله ﷺ (الرؤيا الصادقة أو الصالحة، جزء من ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة[1] ، ولكنها أيها الناس لا تثبت لكل أحد . أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم ، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله العليم الخبير، العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله القوي المتين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ، فيا أيها المسلمون . اتقوا ربكم في حرمة مساجد الله. فلا ترفعوا أصواتكم فيها، ولا تشوشوا على قارىء ولا على مُصل، وصدق رسول الله ﷺ (إذا رأيت هوى متبعاً، وشحا مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، وليسعك بيتك[2] وقال الصادق المصدوق، عليه صلاة الله وسلامه (إذا رأيت الناس قد مَرجت عهودهم، (يعني ضاعت وفقدت) واختلط الأمر ، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا، وشبّك النبي ﷺ بين اصابعه وقال (فالزم بيتك، وامْلِك لسانك ، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر ، وعليك بخاصة أمر نفسك ، ودع عنك أمر العامة[3] لأنهم يتبعون كل ناعق. تبصر جيداً أيها المسلم في أداب بيوت الله، وليست بيوتا للناس. عن السائب بن يزيد، رضي الله عنه، قال (كنت قائما في المسجد،

---

١ ــ متفق عليه ، عن أنس بن مالك ولفظه عند البخاري : الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ولمسلم : جزءٌ من خمسة واربعين ، وأخرجه الطبراني جزءٌ من سبعين جزءاً ، وله أيضاً عن ابن مسعود وموقوفاً ، جزء من ستة وسبعين جزءاً .

قال الحافظ ابن حجر :

فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه، أقلها جزءٌ من ستة وعشرين، وأكثرها من ستة وسبعين، وبين ذلك اربعين، وأربعة وأربعين وخمسة وأربعين، وستة وأربعين وسبعة وأربعين وتسعة واربعين وخمسين وسبعين، أصحها مطلقاً الأول، ويلية السبعين. انظر فتح الباري (٣٦٣/١٢).

٢ ــ أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة عن ابي ثعلبة، ولكن بدون (بخاصة، وليفك بيتك).

٣ ــ رواه الحاكم عن ابن عمرو وقال صحيح وأقره الذهبي .

فحصبني رجل (أي رماني بحصوة صغيرة كحبة العدسة ، فنظرت ، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : اذهب فأتني بهذين الرجلين ، فجئته بهما ، فقال عمر من أين أنتما .؟ قالا من أهل الطائف : قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في المسجد[1] . ففي هذا الحديث — كما لا يخفى — تهديد للرجلين بالضرب الشديد ، على رفع الصوت في المسجد ، لولا جهليهما ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

اتقوا الله ، حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى ، صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلا عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] ، اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها حكامها وقادتها ورؤسائها يا رب العالمين . اللهم اعز الاسلام والمسلمين ، وارفع راية الحق والدين ، ونسألك اللهم أن تشمل برعايتك وتوفيقك ، الحسين بن طلال ، اللهم هيىء له بطانة صالحة ، تحضه على الخير ، وتباعده من الشر يا أكرم الأكرمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

* * * * *

* * *

*

---

١ — رواه البخاري عن السائب بن يزيد .

٢ — سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ — سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والاربعون بعد المائة :

٥ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٦/٤

(الحياء خلق كريم)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى المجتبى، وعلى آله وصحبه، أولى النهى، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ، اللهم ارزقني الخوف والخشية والحياء منك، يا رباه، ويا سيده، ويا خالقاه ، رب اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي ، ﴿ **... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

أحمد الله، واستهديه سُبل الرشاد ، وأعوذ به من مفاتن الحياة، ونزعات الشرور والافساد، سبحانه جلّ وتعاظم، يعلم المفسد من المصلح، والمحق من المبطل ، أشهد أن لا إله إلا الله، تكفل لأهل الحياء عيشة راضية في الدنيا، ونعيماً دونه كل نعيم في الآخرة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، الذي شرفه الله بفضيلة الخُلق والحياء، وآتاه العلم والحكمة، وفضّله على كثير من خلقه، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

وأصحابه ، الذين تخلّقوا بأخلاقِ نبيهم ، حتى كان الحياء نبراس عقولهم، فنالوا به ثواب الدنيا، وحُسن ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين .

أما بعد. فيا أيها المسلمون : يقول الله سبحانه وتعالى، مخاطباً نبيه ورسوله وحبيبه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] .

أجل : الأخلاق دعامة النجاة، وسياجُ الوجود ، وإكسير البقاء. أي سببهُ وسِرُّه، بل الروحُ الساريةُ في الأمة الآخذة ــ بعد الفرد والجماعة ــ بالصعود ، الحافظة لهم من العثار ، المانعة لهم من السقوط. واعلموا عباد الله. أن الأمة التي لا خُلق لأبنائها، هي الأمة الموؤدةُ، الحيَّة الميتةُ، الضاربةُ إلى الفناء، والذاهبة إلى العدم، كما قيل :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيـــت

فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبــوا

أيها المسلمون .

قضية الحياء والأخلاق، أشغلت بال الكثيرين، من ذوي النظر والبحث والفكر. تلكم القضية هي قضية الخُلق في مكانةِ التسليم ، وقد احتلت الأخلاق في القرآن الكريم مكانة مرموقة، وحبُها مكانةٌ، أن يَمدَح الله نبيَّه ورسوله بها ومعنى الآية وإنك يا محمد لمتمكنٌ من الأخلاق العظيمة أشدَّ تمكين كما وردت الأخلاق في سُور من القرآن، تارةً مجملةً، وتارة مفصلةً، وحسبُنا أن نذكر منها قول الله عز وجل من سورة الفرقان ﴿ **وعبادُ الرحمن الذين يمشونَ على الأرض هَوْنا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يَبيتونَ لربِّهم سُجّداً وقياما** ﴾[2] وقال تعالى في سورة لقمان ﴿ **يا بُني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك،**

---

١ ــ سورة القلم (٤) .

٢ ــ سورة الفرقان (٦٣ ــ ٦٤) .

إنَّ ذلك من عزم الأمور . ولا تُصعِّر خدَّك للناس ولا تمشِ في الأرض مَرحاً ، إن الله لا يحب كُلَّ مُختالٍ فخور ﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مكارم الأخلاق ، ومعالي الأمور ، لقوله ﷺ (إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سَفَاسِفَها[2] أما ما بقي في القرآن ، من آي الذكر الحكيم ، فنورٌ لألاءٌ ، وضوءٌ ساطع ، وشهاب ثاقب ، وتوجيهٌ كريم ، فما أظلمك ، وما أشدَّ تعاميك عن نهج ربك الكريم ، يدعوك ربك لتكون مثالاً صالحاً ، وإنساناً حراً شريفاً أبيّاً ، فتخالفُ أمره ، وتتبَّعُ هواك ﴿ ... ، **ولا تُطعْ مَنْ أغفلنا قلبه عن ذِكرنا واتَّبعَ هَواهُ وكان أمرُهُ فُرُطا ﴾**[3] .

أيها المسلم . إن التواضع خُلق فاضل كريم ، وهو حِليةٌ يتزين به الشريف ، فيزداد شرفا ، ولباسُ كالٍ يرتديه العظيم ، فيزيدُه عظما ، وهو مجلبة محبة الناس وتقديرهم . وفي حديثٍ رواه مسلم في صحيحه ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الله أوحى إليَّ ، أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد[4] .

أيها المسلمون . إن الناس اليوم قد خرجوا عن حدود الشريعة ، وضاع الحياء فيما بينهم ، وفقدت المروءة والشهامة ، حتى صاروا حيوانات اباحيةً ، لا يبالون بما يقولون ، ولا يستحيون مما يصدر من أفواههم . عجباً لقوم لا يعقلون .

إن الدين يصنع الفضيلة ، وتنجم عنه مكارم الأخلاق ، والدين نفسه وَضَعَ للفضيلة مبدأ جامعاً شاملا ، يتناول الغني والفقير والعظيم والحقير ، والحياءُ يكيِّف ذلك على حسب الظروف ، ومقتضيات الأحوال ، وهل الحياء ــ يا أخي ــ إلا من الدين .؟ وإن شئت قلت ، هو الدين كُلُّه .

---

١ ــ سورة لقمان (١٧ ــ ١٨) .

٢ ــ رواه الطبراني عن الحسن بن علي بسند حسن . وله زيادة : يحب معالي الأمور وأشرافها .

٣ ــ سورة الكهف (٢٨) .

٤ ــ رواه مسلم وابو داود وابن ماجة عن عياض بن حمار ، ورواه البخاري بدون زيادة ، « حتى لا يفخر احد على احد » .

وسئل رسول الله ﷺ (هل الحياءُ من الدين.؟ فقال له الرسول ﷺ بل هو الدين كلّه)[1] وصدق والله رسول الله ﷺ فيما قال (فإن الدين لا يوجد إلا حيث وُجد الحياء، ولا يُفقد إلا حيث فقد الدين)[2] يا أخي. إذا نظرت إليه وجدته ملازماً للحياء، ووجدت الحياء ملازماً له، ملازمة الضوء للشمس، أو ملازمة الظل للإنسان، أو ملازمة الصفة للموصوف، فلا يوجد الإيمان، إلا إذا وجدت الخشية، ولا يوجد الدين إلا إذا وجد الحياء. وقد ورد (أن أول ما يرفع من الأرض، الحياء من النساء والرجال)[3].

إذا لم تخش عاقبــــة الليالـــي
ولـم تستحـي فاصنع ما تشاءُ
أما والله مافي العيـــش خيـرٌ
ولا الدنيــا إذا ذهـب الحيـاءُ

ولكن من الناس من مرضت نفوسُهم، وسقِمت أذواقهم، وكلحَتْ وجوههم، فراحوا يُصرِّحون بأشياء للشبان والشابات، يندى لها جبين الإنسانية خجلا. إن جهله وذاكرته أعمتاه عن النطق بالحق، وجردتاه من الفضيلة والإنسانية، فلا يقول إلا باطلا، ولا يجهر إلا بسوء، ولو علم هذا الظالم، أن مُجتمعه يسبه ويلعنه، ويُحقِّر أخلاقه وسلوكه، لما صدرت منه تلك الأسئلة الشيطانية البهلوانية، التي يقوم بها من تخنُّث وتأنث، خلاعةً وميوعةً. وتأكد يا أخي أن العلم، شيء غيرُ الضميرِ والشعورِ، والآداب شيء غير الذوق والحياء، كما قيل.

نعم. تعلمتُ، قد طالعت في الكتب
لكنما الذوق، شيء ليس في الكتب

---

١ ــ رواه الطبراني وابن حبان عن قرة بن إياس بدون هل : وإنما قال : يا رسول الله الحياء من الدين .؟ فقال بل هو الدين كله .

٢ ــ يقصد به قوله ﷺ : الحياء والايمان في قرن فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر . رواه الطبراني عن ابن عباس ، وله ايضاً عن ابي موسى : الحياء والايمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعاً .

٣ ــ الحديث بلفظه : أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والامانة . رواه ابن حبان وابو يعلى والقضاعي عن ابي هريرة ، ورواه في الفردوس بزيادة . فسلوهما الله عزوجل ، الحياء خير كله فبزواله يحل الشر كله ، وبزوال الأمانة تحل الخيانة .

أيها الناس .

نحن اليوم ــ ويا للأسف ــ في مجتمع مريض، بالصفاقة والوقاحة، والسماجة والبرودة، والتنطع وقلة الحياء. أجل. والله أصيب الناس في أخلاقهم ، أصيب الناس في سلوكهم، كما قيل :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلا

يا قوم . إن الأخلاق تنبت كالنبات، إذا سقيت بالماء الصافي. إن الأزهار الناضرة تنبت بالماء الصافي الزلال نباتاً حسناً. كما قيل :

هي الأخلاق تنبت كالنبات
إذا سُقيتْ بماءِ المكرُماتِ
تقوم إذا تعهّدها المُربّي
على ساقِ الفضيلةِ مُثمِراتِ

يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام (إن مما أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[1] . وقال عليه أزكى الصلاة والسلام (البر لا يبلى، والذنب لا ينسى. والديان لا يموت. افعل ما شئت، فكما تدين تدان)[2] أو كما قال. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم . ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، جعل الذوق السليم زاداً للمتقين، وانعم عليهم بنعمة الحياء والخلق والدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي أحبَّ الحياء، وأمر به الناسَ جميعاً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي سيكون لنا يوم القيامة شفيعا. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته والتابعين .

---

١ ــ رواه البخاري عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري .
٢ ــ رواه البيهقي في الزهد عن ابي قلابة وابو نعيم والديلمي عن ابن عمر .

وبعد. فيا أيها المسلمون. لو أننا راجعنا كتاب الله الكريم، وتفهمنا إشاراته وعباراته، لوجدناه مليئاً بقواعد الذوق، وأصول الفضائل، ومكارم الأخلاق. ويكفي دليلاً على احترام الذوق في الإسلام، أن الله هدّد بعض الصحابة، الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، بفتنة عمياء، أو بعذاب أليم، لا لشيء، إلا لأنهم كانوا ينادون الرسول، بيا محمد. دون أن يُشفعوا اسمه بشيء من التقدير والاحترام، وإذا كان الله، وهو مَلِك الملوكِ، ومنشيء الكائنات، لا ينادي رسوله إلا بأفخم عبارة، وأعظم نداء «يا أيها النبي، أو يا أيها الرسول».

أيها المسلم.

إن الذوق أجلُّ نِعْمَةٍ، وأكبر مَزِيَّةٍ في هذه الحياة، فإذا رزقك الله ذوقاً سليما وطبعاً مستقيما، وخلقاً محمودا، فقد اعطاك خير الدنيا والآخرة.

فإذا رزقت خليقة محمودةً
فقد اصطفاك مُقسِّمُ الأرزاقِ
فالناس هذا حظُّه مالٌ وذا
علمٌ وذاك مكارمُ الأخلاقِ

اتقوا الله حق تقواه. وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه. كن مع الله دائماً في مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، تكريماً وله وتعظيما، فقال: ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على صاحب الرسالة الكبرى، والشفاعة العظمى، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦).

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، وارزقنا الخوف والخشية والحياء منك يا رب العالمين. اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها ورؤسائها يا أكرم الأكرمين. اللهم إنا نسألك أن ترفع عنا البلاء، وتحقن الدماء، واحفظنا من الشدائد واللأواء. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، الحسين بن طلال يا مصلح الصالحين. اللهم هيّئ له بطانة صالحة، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة السابعة والاربعون بعد المائة :

٢٠ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٦/١٨

(كيف تشهد زوراً على أخيك .؟.!)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأستهديك وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، الذي أمرنا بالحق، والشَّهادةِ بِهِ، ونهانا عن الزور والبهتان، والابتعاد عنه، وعلى آله وصحبه الذين صان الله نفوسهم عن العبث، والاستهانة بالدين .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واصلح لي شأني كله، رب اغفر لي ذنبي، واستر لي عيبي، واكشف لي كربي ﴿...**رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * *

الحمد لله ، يحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، جعل شهادة الزور تعدل الشرك بالله ، وأخبر على لسان رسوله الأمين أنها من أكبر الكبائر ، الموجبة لمقته وغضبه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، الصادقُ الأمين ، أرسله مولاه بالحق ، فأحيا به القلوب ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بالحق، وجعلوه نصب أعينهم ، وجعلوا الباطل من ورائهم و كذلك يفعل المؤمنون .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **والذين لا يشهدون الزور وإذا مرُّوا باللَّغوِ مَرُّوا كراما** ﴾[1] .

أيها المسلمون .

لقد وصف الله المؤمنين المخلصين بوصفين عظيمين، أولهما : لا يشهدون الزور . ثانيهما : إذا مرُّوا وسمعوا كلاماً لا خير فيه، لم يعيروه اهتماماً، ولم يقيموا له وزنا .

أجل . بالحق قامت السموات والأرض ، بالحق أنار الله الوجود ، وأفاض الخير على كل موجود ، بالحق ينتشر الخير في البلاد ، ويَعُم الأَمْنُ وتسعد العباد، بالحق تصفو النفوس، وتسود المحبة، وتجمُل الحياة ، بالباطل والزُّور يكثر الفساد، ويحلُّ الشقاء ، ويزول الصفاء، وينزل البلاء ، بالباطل والزور تضيع الحقوق ، وتنعدم الثقة، وتنحلُّ الروابط ، وتنقطع الصِّلات ، وتنمو الأَحقاد ، وتزداد الشرور ، بالباطل والزُّور تكثر القضايا، وتفسُدُ الذمم ، وتتوالى النكبات والرزايا ، ويحلُّ الخراب والدمار .

أيها المسلمون في زمن المعاصي والمساوىء . شاهد الزور إنسان فقد كرامته ، وأضاع مروءته وشهامته ، وأمات ضميره ، وقَبَر إيمانه ، وأغضب ربَّه، وعصى رسوله ، فهو في الدنيا من الفاسقين، وفي الآخرة من المجرمين .

شاهد الزور أساء إلى نفسه بسوء الظنِّ به، فقد عرَّض نفسه للإهانة، والمذلة والهوان ، وحكم عليها بالخسران. شاهد الزور ينشر الفساد بين العباد، يعينُ الظالمين ، ويساعد المبطلين، ويضيِّع بل يقضي بشهادته على

---

١ ــ سورة الفرقان (٧٢) .

حقوق المستحقين. شاهد الزور أساء إلى من شهد عليه، فقد أضاع حقه، وكان يجب عليه أن يكون له من الناصرين، شاهد الزور أساء لمن شهد له أيضاً، فقد أعانه على الظلم والزور والبُطلان، وأَكْلِ أموال الناس بالتجني والبهتان.

أيها المسلمون في زماننا هذا.

شاهد الزور أساء إلى القاضي نفسه، فقد ضَلَّلَهُ عن طريق الحق والصواب، ولولا شهادتُه الباطلةُ، لكان من المهتدين.

شاهد الزور أساء إلى دينه، وإلى نبيه الكريم، فكيف يكون شاهد الزور — مع هذا — من المؤمنين.؟.

يا شاهد الزور. إن كنت تشهد شهادتك المزوَّرة لمال تعطاه، فالمال لا محالة زائل، وإن كنت تشهد مجاملةً، فقد خسرت دينك ودنياك، وأغضبت خالقك ومولاك، الذي خلقك فسواك، وأنت من الهالكين. فكثير منكم يرى الحادثة تكون أمامه، فإذا طلب للشهادة كتمها، وما علم هذا المسكين، أن كاتم الشهادة كشاهد الزور سواءً بسواء. فهما في الإثم سواء، وفي جهنمَ العاتية شركاء. واسمع أيها العاقل. ماذا يقول ربك، وما يقول رسوله في هذا المقام، يقول سبحانه وتعالى ﴿ **والذين لا يشهدون الزُّورَ وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراما** ﴾[1].

ويقول سبحانه معلناً سوء حالهم، ومعلناً سوء مصيرهم ﴿ **يوم تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون. يومئذٍ يوفِّيهمُ اللّهُ دينَهمُ الحقَّ ويعلمون أن الله هو الحقُّ المُبين** ﴾[2].

١ — سورة الفرقان (٧٢).

٢ — سورة النور (٢٤ — ٢٥).

ويحذّرُ ويندّدُ بشاهدي الزور، قائلاً ﴿ ...، **فاجتنبوا الرِّجسَ من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حُنَفاءَ غيرَ مُشركين بِهِ ، ومَنْ يُشرِكْ بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطَّفُهُ الطيرُ أو تهوي به الريحُ في مكانٍ سحيق** ﴾[1] .

ويقول في حق الذين يرون الحقَّ بأعينهم، ويرون الحادثة، وقد وقعت بحضورهم ﴿ ...، **ولا تكتموا الشهادة، ومَنْ يكتمْها فإنه آثمٌ قلبُهُ، واللهُ بِما تعملونَ عليم** ﴾[2] .

أما سيدُنا رسولُ الله ﷺ فيقول : (ألا أنبئُكم بأكبر الكبائر، ثلاثا (يعني كررها ثلاث مرات) ، الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادةُ الزُّور وقولُ الزور ، وكان ﷺ متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)[3] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه (لن تزولَ قدمُ شاهد الزُّور، حتى يوجبَ الله له النار)[4] ، أو كما قال، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، يحب الصادقين، ويكره الضالين المُضِلِّينَ ، أشهد أن لا إله إلا الله، أعز المخلصين المحقين، وخذل الذين يكتمون الحق وهم يعلمون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي حذرنا من بُطل هؤلاء المبطلين. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله. اتقوا ربكم. الذي خلقكم من نفس واحدة، خلقها فسوَّاها وأحسن خَلْقها .

---

١ ــ سورة الحج (٣٠ ــ ٣١) .

٢ ــ سورة البقرة (٢٨٣) .

٣ ــ متفق عليه ، عن أبي بكرة .

٤ ــ رواه ابن ماجة ، عن ابن عمر بسند صحيح .

اتقوا الله، وتجنبوا قول الزور، وإذا عاينتم حادثة فيها شهادةٌ لكم، فلا تكتموها، واسمعوا قول رسولكم المصطفى ﷺ ماذا يقول في حق هؤلاء (من كتم شهادة إذا دُعيَ إليها، كان كمن شهد بالزُّور)[1].

اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، فاعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واعلموا أنه تعالى صلّى على نبيه قديما، قال تعالى، ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها ورؤسائها، واجمع بينهم على كلمة الحق، وكتاب منير، وسنة عادلة، والف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها، وجيوشها يا رب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وهدايتك ورعايتك، الحسين بن طلال. اللهم هيِّئ له بطانة صالحة، تحضُّ على الخير، وتحذر من الشر يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاءً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـــ رواه الطبراني عن ابي موسى، بسند ضعيف.

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦).

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الثامنة والاربعون بعد المائة :

٥ رجب ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٧/٢

« فضيلة الشهر الحرام (رجب) والعمل فيه »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأصلي وأسلم على نبيك ورسولك، الذي حثنا على الطاعة، في الأيام والشهور الفاضلة الكريمة، وعلى آله وصحبه أولي النهى ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سُبحانَكَ لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك انت العليم الحكيم .

رب اغفر لي ذنوبي، وإسرافي في أمري ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴿ **قال رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله، الذي رفع لنا الإسلام منارا، وأعلى لمن تمسك بآدابه مقاماً ومقدارا، وجعل في اختلاف الليل والنهار عبرةً للغافلين، (أحمده) سبحانه، ضاعف للعاملين في الأشهر الحُرُم، وأشكره حبانا من فضله وبرّه وكرَمه، وأستغفره وأتوب إليه، إنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أفضلُ كل موجود، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطاهرين.

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد : فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **إنَّ عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عَشَرَ شهْراً في كتاب الله يومَ خَلَقَ السمواتِ والأَرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، ذلك الدينُ القيِّمُ، فلا تظلِموا فيهنَّ أنفسكم ،...** ﴾[1].

أيها المسلمون .

الأشهر الحرم، هي التي حرَّم الله فيها القتال، وهي أربعة أشهر واحدٌ فرد، وثلاثة سرد؛ رجبٌ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، هو ذلكم الدين القويم، الذي لا عِوج فيه ، وهو دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به، من وراثة هذين الرسولين الكريمين ، فكانوا يعظمون الأشهر الحُرُمَ، ويحرمون فيها القتال، حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه وأخيه، لم يقترب منه، ولم يتعرض له، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحرم أنفسكم، بهتك حرمتها، وارتكاب حرامها، والتلبُّس بالمعاصي فيها ، والجمهور على ذلكَ، على أن حرمةَ المقاتلة فيها منسوخة، لكن رسول الله ﷺ حاصر الطائف، وغزا هوزان بجيش في شوال وذي القعدة، وقال عليه الصلاة والسلام في مقام آخر، (أنيبوا إلى ربكم، واستغفروا من ذنوبكم، واجتنبوا المعاصي في الشهر الحرام)[2] وهو رجب، كما قال الله جل وعلا ﴿ **يسئلونك عن الشهر الحرام قِتالٍ فيه، قل قِتالٌ فيه كبير ،...** ﴾[3].

---

١ ـــ سورة التوبة (٣٦) .

٢ ـــ ويكفي في ذلك قوله تعالى : ﴿ ... ، **فلا تظلموا فيهن انفسكم** ، ... ﴾ وظلم النفس يكون بارتكاب الذنوب والمعاصي ، ونهى الله سبحانه وتعالى عن الظلم فيها تشريفاً لها ، وإن كان منهياً عنه في كل الزمان ، ولكنها في هذه الأربعة آكَدُ ، حتى ان الاوزاعي قال القتل في الشهر الحرام تغلظ فيه الدية فيما بلغنا وفي الحَرَم وقال الامام القرطبي عند قوله ﴿ ... ، **فلا تظلموا فيهن انفسكم** ، ... ﴾ بارتكاب الذنوب ، لأنه سبحانه وتعالى إذا عظم شيئاً من جهة واحدة ، صارت له حرمة واحدة ، واذا عظمه من جهتين أو جهات ، صارت حرمته متعددة ، فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح ، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ، ليس ثوابه ثواب من اطاعه في الشهر الحلال في البلد الحلال ، ومن اطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ، ليس ثوابه ثواب من اطاعه في شهر حلال في بلد حلال ، وقد أشار تعالى الى هذا بقوله ﴿ **يا نساء النبي من يأتِ منكن بفاحشةٍ مُبينةٍ يضاعَفْ لها العذاب ضعفين** ، ... ﴾ سورة الأحزاب (٣٠) .

٣ ـــ سورة البقرة (٢١٧) .

يعني يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام، هل يجوز أولا .؟ (قل قتال فيه كبير) والغدرُ فيه أقبح لحرمته، ومقامه عند الله، كما أن الطاعة في الأشهر الحُرُم مضاعفة، وسماها حراماً لتحريم القتال، وعلى كلٍ فالحرمةُ باقية، والذنوب مغفورة، والطاعة مقبولة، وثوابها مضاعف في الشهر الحرام، لأن الحسنة الواحدة في سائر الشهور بعشر أمثالها، ولكنها في رجب بسبعين، وفي شعبان بسبعمائةٍ، وفي شهر رمضان بألف. وليست مضاعفة الحسنة إلا للأمة المحمدية، كما قال تعالى ﴿ **مَثَلُ الذين يُنفقونَ أموالَهم في سبيلِ الله كمثلِ حبَّةٍ أنبتت سبْعَ سَنابِلَ في كل سُنْبُلَةٍ مائةُ حبَّةٍ، والله يُضاعِفُ لمن يَشاءُ، والله واسع عليم** ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ :

(إن أردتم الراحة عند الموت من العطش، وفي رواية وقت الموت والخروج مع الإيمان، أي (من هذه الدنيا)، والنجاة من الشيطان، فاحترموا هذه الشهور)[2].

إن الصوم في رجب، قد وردت فيه أحاديثُ كثيرة، من جملتها ما رواه البيهقي، في شُعب الإيمان، عن أنس رضي الله تعالى عنه، أنه عليه الصلاة والسلام قال : (في الجنة نهرٌ يقال له رجب، أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب، سقاه الله تعالى من ذلك النهر) ولا غرابة ولا استهجان في ذلك، ولا حَرَج على فضلِ الله تعالى. فقد ورد في حديث قوي، عن رسول الله ﷺ (من صام يوماً في سبيل الله، باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفا، أي عاماً)[3].

أيها المسلمون . في زمان الغفلة والقيل والقال. هذا هو معرض الأعمال . فأين تجارُ الأعمال .؟ هذا مظهر الآمال. فأين أرباب الابتهال .؟ هذا ربيع الأبرار، فاين من سلك طريق المتقين الأخيار .؟ هذا موسم التوبة، فأين من تاب وثاب، ورجع إلى الله .؟ هذا باب الإسعاد، فأين من دخل هذه الأعتاب .؟ هذا مركبُ العُبّاد، فأينَ طالبُ درجات المتقين .؟

---

١ ـــ سورة البقرة (٢٦١) .

٢ ـــ لم أجده .

٣ ـــ متفق عليه ، عن ابي سعيد الخدري ورواه الامام أحمد والترمذي والنسائي .

هذا شهر الله، رجب الأصبُ أو الأصمُّ[1]، الذي يتجلى الله فيه بإحسانه على من أحب، ويُقْبِلُ فيه الله على عباده العاملين الصادقين، هذا هو شهر الإسراء والمعراج، وفريضة الصلاة، هذا شهر التحذير من التفريط في أرض فلسطين والمقدسات، شهرٌ عُظمٌ إسلاماً وجاهليةً، فكان له بذلك شرفٌ ومزيةٌ، فتعَرَّضوا فيه لنفحات رب العالمين، لعله يكشف هذه الغمة، والكربات المتواليات عن هذه الأمة، التي طُعنت وبغت، ولم ترقُب قولا.

يا قومنا. أجيبوا داعي الله، وأصلحوا بين إخوانكم، إن الله يحب المصلحين، وتطهَّروا من المعاصي بدموع الندم، واسألوا الله اللطف فيما جرت به المقادير، يومَ تزل القدم ﴿ **ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾[2].

أيها المسلمون. ما للكثير منا، إذا طُلبوا إلى عمل صالح ينفِرون، وإذا دُعوا إلى معاصي ربهم يسرعون، ويتهافتون، ويقترفون ..؟! وإذا تعرض لهم ناصح، يريد وجه الله والدار الآخرة، يولون عنه مدبرين، هتكوا الحُرُمات، وانتهكوا المحرمات، وتراهم رجالاً ونساء وشباباً، يسارعون إلى الموبقات والمُغريات، تركوا جواً مع الصلوات، وعكفوا على مجامع دور الملاهي والراقصات، أما لهذا الليل من اخر.؟

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله

عليّ بأنواع الهمــوم ليبتلــي

ما بالُ هؤلاء وهؤلاء، يقطعون النهار بالنوم، ويملؤون الليل بالإثم.؟ إنهم إذاً لمن الظالمين، ينفقون أموالهم على المقامرات والخمر، ويتركون أُسَرَهم تتلظّى على الجمر، تشكو الجوع والعُريَ، وهم من الغافلين، يَسعَوْن في أسباب الخراب، ثم يعجبون من مباديه.

١ ـــ سمي رجب الأصب أو الأصم، لأنه يحرم القتال فيه، فينقطع صوت السيوف. ويسمى منصّل الأسنة، أي مخرجها من أماكنها. لأنهم كانوا إذا دخل رجب، نزعوا اسنة الرماح ونصال السهام، إبطالاً للقتال فيه، وقطعاً لأسباب الفتن لحرمته.

٢ ـــ سورة البقرة (١٩٥).

فرحم الله إمرءاً كفَّ عن المخازي، واشتغل بما يعنيه ، ونظر في صلاح دنياه وأخراه، فأصبح من الفائزين، فلا تستصعبوا قولي هذا القاسي عليكم، الحار على نفوسكم، قل نار جهنم أشدُّ حرا، هداكم الله سبيل من رضي الله عنهم ورضُوا عنه، فإنكم إن بقيتم على هذه الحال، غدوتم من الهالكين .

يا قوم . الهذا خُلقتم.؟ أم بهذا أُمرتم.؟ يا قوم . راقبوا الله في أمركم . ﴿ **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾[1] .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا تجدوا أنفسكم تحت الحساب مسؤولين وتؤخذوا بأسركم ﴿ ... ، **وإن تتولَّوْا يستبدلْ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾[2] .

قال عليه الصلاة والسلام (من صام ثلاثة أيام من شهر حرام؛ الخميسَ والجمعة والسبت، كُتب له عبادة سنتين)[3] عن الجامع الصغير وقال ﷺ : (اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هَرْمك ، وصحتك قبل سَقمِك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك أو شُغلك ، وحياتك قبل موتك)[4] كما في الترغيب والترهيب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم . أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، الذي عمّ الأنامَ بوافر إحسانه، وفضّل من شاء بما شاء، بمحضِ امتنانه، لا مُعقب لحكمه، ولا رادَّ لما يريد، أحمده، فهو وليُّ الثناء والحمد، وأشكره على نعمه التي لا تُحصى ولا تُعد، وأتوب إليه وأسأله من فيض فضله المزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله، مُفيضُ الخير والجود، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المُرْسَلُ رحمةً لكل موجود، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وذوي الرأي السديد .

---

١ ــ سورة المؤمنون (١٥) .

٢ ــ سورة محمد (٣٨) .

٣ ــ رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك بسند ضعيف . ورواه عن أنس ايضاً من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ، كتب له عبادة ستين سنة .

٤ ــ رواه الحاكم والبيهقي والامام أحمد وابو نعيم في الحلية ، عن عمرو بن ميمون مرسلاً ، بتقديم بعض على بعض ، بسند ضعيف .

وبعد. فيا عباد الله . كم لله عليكم من نعم وافية ، وأنتم تجترئون على معاصيه ، وما تخفى عليه خافية ، وكم تستترون بعمل المعاصي، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد ، كيف بك أيها المسكين، إذا وضعتَ في بيت لا صاحبَ فيه ولا وَدود ، ووَجدتَ ما قدمت يداك ، وقد تناثر من أعضائك الدود ، وبقيت رهينَ قبرك، إلى أن يُنفخ في الصور، ذلك يوم الوعيد ، كيف بك إذا قام كل امرىءٍ مصحوباً بأعماله وضاق الفضاء وانكشف الحال على العاصي لخيبة آماله ، وجلّ الخطب وحُشر الخلق فمنهم شقيٌ وسعيد.؟ يوم تدنو الشمس من الرؤوس ، ويُلجم العرق المجرمين والجبارين، يوم يقول الجبار جل وعلا لكل أحد من الظالمين ﴿ **لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءَك فبصرُك اليوم حديد** ﴾[1] أغركم الإمهال.؟ فتركتم السنة والفرض .؟ أضمنتم الحياة ونسيتم الحساب ويوم العرض.؟ كلا إنها تذكرة . ﴿ **يوم نقولُ لجهنمَ هل امتلأتِ وتقولُ هل من مزيد** ﴾[2] .

فاتقوا الله عباد الله. اتقوا الله حق تقواه. وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع بين كلمتهم على الحق والدين ، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .

---

١ ــ سورة ق (٢٢) .

٢ ــ سورة ق (٣٠) .

٣ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال، اللهم هيء له بطانة صالحة، تحض على الخير، وتحذر من الشر يا رب العالمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا.

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة التاسعة والاربعون بعد المائة :

١٩ رجب ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٧/١٦

(معجزة الاسراء والمعراج)

أحمدك اللهم حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمدا يوافي نعمك ويكافىء مزيدك، مصلياً ومسلماً على نورك الأسنى، ومقر رحمتك العظمى، صاحب الاسراء والمعراج، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وآزروه وصدقوه، واتبعوا النور، الذي انزل عليه، رضي الله عنهم ورضوا عنه .

اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، فاغفر لي، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ﴿ **قال رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله، أكرم نبينا وحبيبنا محمدا ﷺ بالمعجزات، وأيده بالبراهين الساطعات، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ثم عُرج به الى السموات العلا، ليريه بعض آياته الكبرى، أشهد أن لا إله الا الله، شرف نبينا تشريفا عظيماً ليلة الاسراء والمعراج، فأقام سبحانه وتعالى لنبيه حفـــل استقبال في المسجد الأقصى، حضره النبيون والمرسلون، وأقام

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

له حفل تكريم وتفخيم في السموات العلا، شهده الملائكة المقربون وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، وصفيه وخليله، شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وأعلى مقامه وقدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصَّغارَ على من خالف أمره، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الذين لاذوا بجنابه، وصدقوه ونصروه، فكتبهم في الخالدين، وأعلى منزلتهم في الدنيا والدين.

أما بعد. فيقول الله سبحانه جل وعلا، ﴿ **سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حَوْلَهُ لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير** ﴾[1].

أيها المسلمون. إن لله لطائف ومنناً، يخص بها من يشاء من عباده الأخيار، ويميزهم بها عن سائر خلقه، وهو الفاعل المختار، ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾[2] اصطفى لرسالته سيدنا محمدا. صلوات الله وسلامه عليه، ليكون للناس بشيراً ونذيرا، وسراجا وقمرا منيرا، ربّاه ربه على الشدائد، ليكون القدوة الحسنة للمؤمنين في الثبات على الحق، مهما عظم الخطب، ومهما كثر أهل الباطل، واتخذ بعضهم بعضا ظهيراً ونصيراً.

لقد كان من لطف الله ورعايته، أن يظهر لنبيه وحبيبه بين الحين والحين، ما يثبت به فؤاده، ويشدُّ به قلبه، ويكشف له منزلته عنده، ليزداد إيمانا الى ايمانه، ولكن استخف به سفهاء قريش، بعد موت زوجه خديجة، وعمه أبي طالب، وقد كانا له سندا وعونا، فاشتد عليه وعلى من معه إيذاء قريش، فلجأ الى الطائف، عسى أن يجد عند أهلها حماية لدعوته، ولكنهم ـــ ويا للأسف ـــ قابلوه بجفاء وغلظة، وأغروا به سفهاءهم وأطفالهم،

---

١ ـــ سورة الاسراء (١).
٢ ـــ سورة يس (٨٢).

فرجموه بالحجارة، حتى دميت قدمه الشريفة، وتفننوا في أساليب الأذى، ورموه بفاحش الكلام ولاذع القول، فلم تهن عزيمته ، ولم تلن قناته ، ولا ضعف إيمانه، بل أصرّ على مراقبة خالقه، وقال دعاء الطائف المشهور (مولاي الحسيب على كل شيء، القائم على كل نفس بما كسبت، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي)[1] .

فليت الذي بيني وبينـــك عامـــر
وبيني وبيـــن العالمين خـــراب
إذا صحّ منك الود فالكل هيّـــن
وكل الـــذي فوق التراب تـــراب

إي وربي. نفس أبية لم يزدها الأذى إلا ثباتاً على الحق، وتمسكاً بدعوته ، وقوة في عزيمته ، فكلما ازدادوا عنادا وامعاناً في الأذى، لجأ إلى ربه قال : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)[2] .

أجل أيها المسلمون . نفس راضية صابرة محتسبة، طبعت على خصال الخير والتسامح ، روح طاهرة قد مازجتها الرأفة، وحبُ الخير للناس أجمعين، كما قال له ربه ﴿**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**﴾[3] .

بعد هذا وذاك أيها المسلمون. رجع المصطفى ﷺ الى مكة مهموماً، كئيباً حزينا، حيث لم يجد له أحداً يصدقه ، ولا مَن يوآزره ويعينه على تأدية رسالة ربه ، لكنه ﷺ كان مطمئناً للنهاية، غير عابيء ولا ساخط على قدر الله، الذي اصطنعه لنفسه، في هذه اللحظات العصيبة .

أيها المسلمون . أراد الله سبحانه وتعالى، أن يسرّي عنه، وان يطلعه على ملكوت السموات العلا، ليرى بعض آياته الكبرى ، وليريه بعض آثـــار قدرته العظمى، وحكمته القصوى ، ليطمئن ويرتاح من تلك القسوة

---

١ ـــ مرّ بتمامه .
٢ ـــ وقد كان المستضعفون من الصحابة قد شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يلقون من تعذيب المشركين ، بحر الرمضاء ، وانهم يسحبونهم في الرمضاء على وجوههم ، وسألوا منه أن يدعوا الله عليهم ، أو يستنصر عليهم ، فلم يدع عليهم .
٣ ـــ سورة الأنبياء (١٠٧) .

والجفوة، حيث عين الله ترعاه، فهناك العزة والكرامة، فأين مقام موسى من مقام الرسول عليهما صلوات الله وسلامه، كما قيل :

وإن قابلت لَفظَةَ لن تراني
بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خرَّ مَغشياً عليه
وأحمد لم يكن ليزيغ ذِهْنا

وصدق الله العظيم ﴿**ما ضلَّ صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**﴾[1] إلى أن قال سبحانه بعد آيات اخرى ﴿**ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾[2] .

ومن غريب المصادفة ، أن صلاح الدين الملك الناصر ، طهر المسجد الأقصى من الصليبيين ، في الليلة السابعة والعشرين من رجب .

انه جل وعلا . أسرى به ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم عرج به الى سدرة المنتهى ، وخاطبه ربه بدون حجاب ، كل ذلك ــ يا مسلمون ــ ليحرص حكام المسلمين وقادتهم على بيت المقدس ، ولتكون مكان الروح من الجسد . تفديها بالأنفس والمهج . فأين هي مقدساتنا واراضينا اليوم.؟ واين هم أهلونا اليوم.؟ لقد عاد صلوات الله وسلامه عليه من رحلته الميمونة في ليلته ، وصباحاً حدث القوم في مكة بما رأى ، فكذبوه ووصموه بالسحر والشعوذة ، إلا من ربط على قلوبهم بالايمان الصحيح الصادق ، قالوا لأبي بكر ، ما هذا الرجل يا أبا بكر.؟ فقال والله إنه لصادق ، إني لأصدقه على أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء أيها الشاكّون ، من شباب اليوم وشبانه ، في الاسراء والمعراج .

---

١ ــ سورة النجم (٢ ــ ٣ ــ ٤) .
٢ ــ سورة النجم (٨ ــ ٩ ــ ١٠ ــ ١١) .

إنه معجزة المعجزات ، معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم ، شرفه الله بها ، وأظهر بها فضله على الأنبياء والمرسلين .

كيف ترقى رقيك الأنبياءُ
ياسماءً ما طاولتها سماءُ
لم يساووك في علا
ك وقد حال سناً منك دونهم وسناءُ
إنما مثّلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء

إنه إمام المرسلين وقائد ركبهم ، وقائد الغرّ المحجلين ، قال جبريل عند الرفرف الأعلى هذا مكاني ، وأما مكانك فليس إليه سبيل ، وما منا إلا له مقام معلوم .

وقيل كل نبي عند رتبه
ويا محمد هذا العرش فاستلم

في المسلمين اليوم من ينكر معجزة الاسراء والمعراج ، كما أنكرها كفار قريش . إن شبابنا اليوم لا ينكرون صعود الأقمار الصناعية ، ولا السفن الفضائية ، التي تدور حول القمر كما يزعمون ، وليعلموا أن منكر الاسراء كافر بربه ، لأنه وارد بالنص ، ومنكر المعراج فاسق ، حيث ثبت بالسنة الغراء والاجماع .

إنه سبحانه ، خلق الكون وقوانينه ، ميّز عناصره وطبيعته ، فطبيعة النار الاحراق بأمر الله تعالى ، ولكنه سبحانه وتعالى ، جعلها برداً وسلاماً على ابراهيم ، وجعل بطن الحوت ليونس عليه السلام سكنا ومقرا

وغذاء، وكساء وألهمه، أن يقول ﴿... **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾[1] فنجاه الله من الظلمة والغمّ. ﴿**فسبحان الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليه ترجعون**﴾[2].

يا شباب اليوم. ويا فلاسفة اليوم، وقادة الفكر اليوم. تأكدوا تماما أن ما يذاع وينشر اليوم. عن سفن الفضاء والأقمار الصناعية، والصواريخ التي تهدد العالم بأسره، من العلوم التكنولوجية، والتي تقطع الملايين من الأميال في الفضاء، إنما تزيدنا إيماناً وتصديقاً بمعجزة الاسراء والمعراج، التي هي من صنع الله، ﴿...**وإذا تُليتْ عليهم آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربِّهم يتوكلون**﴾[3]. فاتقوا الله عباد الله. واعملوا لغدكم المنتظر، يقول ﷺ (رأيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء امتك مني السلام، وأخبرهم إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، فإنها قيعان، وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة الا بالله)[4] أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، أنعم على حبيبه ومصطفاه في مسراه، فشاهد في طريقه أهل الطاعة، وبعض العصاة، ليكون ذلك عبرة للمعتبرين، وعظة للمستكبرين، أشهد أن لا إله إلا الله، القادر على كل شيء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خصّه ربُّه بالشفاعة العظمى يوم الدين. فصل اللهم وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد. فيا أيها المسلمون في زمن ترك الصلاة. إن فرائض الله التي فرضها على عباده نزل بها جبريل. وبلغها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على وجه الأرض، إلا الصلاة فقد فرضت ليلة الاسراء، من فوق سبع سموات، أتدرون لماذا.؟ إظهاراً لفضلها وعظيم شأنها، وجليل قدرها، وعلو

---

١ ــ سورة الأنبياء (٨٧).
٢ ــ سورة يس (٨٣).
٣ ــ سورة الأنفال (٢).
٤ ــ رواه الترمذي والطبراني من حديث ابن مسعود، وقال الترمذي حسن غريب.

منزلته. ولذا جعلها فارقاً بين الايمان والكفر. قال تعالى ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾[1].

وقال ﷺ (أول ما يحاسب العبد يوم القيامة على صلاته، فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)[2]، علموها لأبنائكم وبناتكم، تكونوا من الفائزين.

أيها المسلمون. اسمعوا وعوا. لقد ثبت بالحديث الصحيح، الذي اتفق عليه البخاري ومسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في رحلته ليلة الأسراء قوما وجماعة تضرب رؤوسهم بالحجارة فتفتت، ثم تعود كما كانت، وتضرب مرة أخرى، فقال رسول الله ﷺ ما هذا يا جبريل.؟ قال: (هؤلاء قوم تكاسلوا عن الصلاة المكتوبة)[3]. الى غير ذلك من الأمور التي شاهدها تلك الليلة، ليس هذا محل ذكرها، ويكفي أنه صلى الله عليه وسلم شاهد وعاين بعينه، رجلا ممسكا بساق العرش، وهو نور ومنغمس في النور فقال ﷺ ما هذا يا جبريل.؟ قال هذا رجل كان لسانه رطباً بذكر الله. اتقوا الله عباد الله، اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[4]. اللهم صل

---

١ ـــ سورة البقرة (٢٣٨).

٢ ـــ رواه الطبراني في الأوسط والضياء المقدسي عن أنس بن مالك بسند حسن. وقد رواه بعض أصحاب السند باختلاف ببعض الألفاظ.

٣ ـــ مقطع من حديث طويل، رواه ابن جرير عن أبي هريرة في الاسراء والمعراج.

٤ ـــ سورة الأحزاب (٥٦).

وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها يا أكرم الأكرمين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم هيء له بطانة صالحة **﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾**[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الخمسون بعد المائة :

١٧ شعبان ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/٨/١٣

(مواسم الطاعات والقربات)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسوله المصطفى، وآله ذوي الوفا، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت. اللهم وفقنا لطاعتك ورضاك، في جميع الأوقات والشهور، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اغفر لي ذنبي كله، واسرافي في أمري ﴿...رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، أمرنا بالاتباع، ونهانا عن الابتداع، وجعل السعاده في اتباع هداه، والسير في الطريق الذي رسمه وارتضاه، الحمد لله جعل للطاعات مواسم يربح فيها الموفقون، وينشط فيها للعبادة — من المؤمنين — المجدون الذين يخشون عذاب ربهم، ويفعلون ما يؤمرون، أشهد أن لا إله إلا الله، يُقبل برحمته على من يُقبل عليه، ويُمدُّ بالقبول والرضا والرضوان، من أناب إليه. (أحمده) سبحانه، جعل شهر شعبان مرسماً لطاعته، وفرصة عظيمة لمن يتقرب إليه بكثرة عبادته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، أقرب الخلق إلى الله، أكثرهم عبادةً وطاعة لله، ليلُه قيام لمن لا يغفل ولا ينام، ونهاره عمل لخير أمته، وسعادة الأنام،

---

١ — سورة طه (من الآية ٢٥ — الآية ٢٨) .

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين اهتدوا بهداه ، واتبعوا النور الذي جاء به، فكتب الله لهم الفوز والنجاة .

أما بعد. فقد اظلكم شهر كريم، هو شهر شعبان المعظم. إنه موسم من مواسم الطاعات، يستقبله الموفقون فرحين مستبشرين بمقدمه. ففي هذا الشهر المبارك، أكرم الله نبيه بمعجزة باهرة، إذ قال له كفار قريش: إن كنت رسولا يا محمد، من عند ربك حقا، فإننا نطلب منك أن ينشق القمر فرقتين، فرقة تبقى في السماء، والأخرى في الأرض. فأشار النبي ﷺ بيده الى السماء، فانشق القمر نصفين، نصف في السماء، والنصف الآخر نزل على جبل أبي قُبَيْس، والناس ينظرون، فكبر المسلمون وخسر المبطلون. وقال كفار قريش إن محمداً سحر أعيننا، فأنزل الله تعالى قوله ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يَرَوْا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ. وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمرٍ مُستَقِرٌ**﴾[1].

أيها المسلمون :

في هذا الشهر الكريم، حقق الله أمنية حبيبه محمد ﷺ فقد كان النبي ﷺ، يستقبلون في صلاتهم بيت المقدس، وكان النبي ﷺ يرجو أن تكون قبلته وقبلة أمته الكعبة المشرفة، ويشير القرآن الكريم إلى تشوق النبي الى تحقيق ذلك، في قوله جل وعلا ﴿**قد نرى تقلُّبَ وَجْهِكَ في السماء، فلنولينك قبلةً ترضاها، فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام، وحيثُ ما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره**﴾[2].

أيها المسلمون . في استقبال بيت المقدس أولاً عبرة كبرى، وعظة للرؤساء والحاكمين، أن يجعلوا بيت المقدس قبلتهم، وشغلهم الشاغل، فلا يفرطون فيها، إذ لا تجوز صلاة بغير قبلة. لا معنى ولا وجود لأي بلد بغير المسجد الأقصى، وبيت المقدس .

---

١ ـــ سورة القمر (من ١ ـــ ٣) .
٢ـ سورة البقرة (١٤٤) .

أيها المسلمون. إن موائد الرحمة تمدُّ في هذا الشهر. فأين من يتعرضون فيه لرحمات الله.؟ وأين المخلصون له في العبادة بالجوارح والقلوب.؟ ويؤدون واجباتهم راجين غفران الذنوب.؟ تقرباً إلى باريءِ الأرض والسموات، فيومهم عمل وليلهم أمل، يخافون ربهم من فوقهم، ويفعلون ما يؤمرون، إن نبينا محمدا ﷺ كان يكثر من الصيام في شهر شعبان، فقد قالت السيدة عائشة، رضي الله عنها (لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كلّه)[1] وفي رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا، وهذا خاص به، صلوات وسلامه عليه، وأما الأمة المحمدية، فقد نهاها عن الصيام في شعبان بعد انتصاف الشهر. قال ﷺ (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا)[2] وفي رواية (لا تقدموا شهر رمضان بيوم أو يومين من شعبان)[3] الا من كانت له عادة في صيامه.

أيها المسلمون في هذا الزمان. إن الرياء في الأعمال والعبادات،والكذب في المعاملات والطاعات، قد فشا بين الناس، وتمكن فيهم حتى تعودوه والفوه، فالصداقة اليوم رياء وكذب، والزواج تجارة ودهان، والعبادة والطاعة ليست خالصة للمعبود، بل أصبحت لجر مغانم، ودفع مغارم، يقصد بها الدنيا وزخارفها، يصيد بها الأموال والمناصب، ويقصد منها التقرب للرؤساء والوجهاء، وخداع العامة البسطاء. لذلك فإن الأمانة قد ضاعت فيما بيننا، وفقدت الثقة من بيننا، وأصبح الأخ يُشك في أخيه، والصديق لا يأمن صديقه، والجار يغدر جاره، فتبلبلت الأفكار، واضطربت القلوب، وعمَّ الذعر، وانتشر الرعب، وأصبحت الحياة مليئة بالأكدار، والأذهان غير صافية، لتتجه لعبادة الملك القهار. قال عليه الصلاة والسلام (إن أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر.قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله.؟:

---

١ ــ رواه الأربعة عن عائشة ولفظه: «ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر الا رمضان، وما رأيته اكثر صياماً منه في شعبان. كان يصومه الاقليلاً، بل كان يصومه كله».

٢ ــ رواه الامام أحمد والأربعة عن ابي هريرة.

٣ ــ رواه الخمسة عن ابي هريرة ولفظه كاملاً: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين، الا رجل كان يصوم فليصمه».

قال الرياء. يقول الله عز وجل يوم القيامة، إذا جازى العبادَ بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا، فاطلبوا عندهم الجزاء)[1].

يا مسلمي هذا الزمان .

متى يعلم المسلمون، أن الكذب والرياء في الأعمال والطاعات شركٌ مذموم، وسيئات محرمه، وويلات محيقة بهم.؟ متى يعلم المسلمون أن التصنُع والتظاهر في العبادة، نوع من الخيانة، وصورة من النفاق؟ ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا.مُذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يُضلل الله فلن تجد له سبيلا**﴾[2].

قل لي بربك، كيف يستقيم الدين في جوٍّ مشحون بالرياء؟ وهل أضرُّ على الدين من عابد يرائي في طاعته وتاجرٍ يتجرُ بصلاحه، وينافق في طاعته..؟! فإن من أشد الخطر على الدين وأهله، عالماً يداهن الناس في مظهره، فاسد اليقين في باطنه، فالمخلص ليس له باطن يخفيه، وظاهر يبديه، هو هو، ظاهره كباطنه، وسرُّه كإعلانه، فكم من أناس تَزَيَّوْا بزيِّ الصالحين، ولبسوا لباس الزاهدين، ليجتذبوا العباد، ويتسلطوا على عقولهم بالتضليل، وعلى أموالهم بالتدمير والتخريب. بواطنهم خالية من خوف الله، وقلوبهم فارغة من نور الإيمان ﴿...**أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾[3].

أيها الناس:

إنه والله لمجتمعٌ يشيع فيه الخداع، ويفشو فيه الكذب والرياء، ويختلط فيه الصادق بالمخادع، والمخلص بالمُهرِّج والمشعوذ. مجتمع لا خلاق له، ولا دين، وهذا هو منبع شقاء الأمة، ومصدر تعاستها، وسرُّ دائها، وهي

---

١ ـــ رواه الامام أحمد وقد مرّ تخريجه .

٢ ـــ سورة النساء (١٤٢ ـــ ١٤٣) .

٣ ـــ سورة المجادلة (١٩) .

لا تشفى منه، إلا إذا اهتمت بطهارة الباطن، ولا يقف من ويلاته إلا إذا رجعت إلى نقاء السرائر، وجعلت تقديرها للأنفس الصادقة في جهادها، المتفانية في خير أبناء جنسها.

فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه في السر والعلن، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واعلموا أنه تعالى يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور. يقول عليه الصلاة والسلام (من تزين بعمل أهل الآخرة، وهو لا يريدها ولا يطلبها، لُعِن في السموات والأرض)[1] ويقول ﷺ: (إن المرائيَ ينادىَ عليه يومَ القيامة: يا فاجر يا غادر يا مُرائي، ضلَّ عملك، وحبط أجرك، إذهب فخذ أجرك ممن كنت تعملُ له)[2].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم. أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله، أعز المؤمنين بالإيمان، وجعل راحة النفس وبهجتها في تنفيذ أوامر الديان، ووصف المؤمنين بعلامات، وميزهم عن غيرهم بأمارات، فهم المطمئنون والناس في اضطراب، والآمنون وغيرهم في خوف وعذاب، أشهد أن لا إله الا الله، بالقرآن ربّانا، وبسيدنا محمد ﷺ هدانا، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وفضلنا بالإيمان على سائر الأجناس، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، حلاه الله وزيَّنَهُ بأجل صفات الإيمان، وشرح صدره بالقرآن، وجعل ذكره على كل لسان. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين أسسوا بإيمانهم دولة التوحيد، ونشر في العالم تعاليم الإسلام المجيد، فحقق الله لهم النصر، ومكنّ لهم في الأرض، وأورثهم ديار الظالمين.

---

١ — رواه الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة بسند ضعيف.

٢ — أخرجه ابن ابي الدنيا بسند ضعيف، عن صحابي لم يُسَمّ.

أيها المسلمون .

إن من علامة إيمانكم وكمال إسلامكم حبٌ وطنكم. فحب الوطن من الإيمان. ولكن لا وطن لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا وطن له، ليست علامةُ حب الوطن الهتاف والتصفيق، ولكنه العمل الجاد المثمر، لرفعة شأن الوطن، وعلو مكانته، وتطهير بلاد الإسلام من المستعمرين والصهيونيين، أعداء دينكم وبلادكم .

أيها الناس .

إن بلاد المسلمين، ومناطق المسلمين، والقارات التي يقيمون بها هي وطن المسلمين، فالاعتداء على أي بلد إسلامي، هو اعتداء على جميع بلاد المسلمين، وهذه دولة إسرائيل المزعومة، لا تزال توالي اعتداءتها على أبنائنا وشبابنا، في وطنهم الأصلي الذاتي، وليس هناك من تهزه النخوة والحمية من اجلهم، فاتقوا الله حق تقواه، وراقبوه في السر والعلن، وما ظهر منها وما بطن، وحافظوا على اداء الفرائض والسنن، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**،...﴾(1) اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع بين كلمتهم ووحد صفوف جيوشهم، لهدف الخلاص من أعداء الإسلام والمسلمين. اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها ورؤسائها جماعاتها وأفرادها يا أكرم الأكرمين. اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين.

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، وهيء له بطانة صالحة تحثه على الخير يا رب العالمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والخمسون بعد المائة :

٢ رمضان ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/٨/٢٧

(الاستعداد لشهر الصيام والقيام)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك المصطفى، وعلى آله وصحبه، أولي الصفاء والوفاء. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، وعلى صيام رمضان وقيامه، يا رب العالمين ﴿...**رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * *

الحمد لله، الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، وخصَّه بجميل المزايا، وضاعف فيه الأجور، وتوَّجه بتاج القبول، وأنزل فيه القرآن، (أحمد الله) على ما أولى، وأشكره على ما أعطى، وأسأله العفو والغفران، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي أحاط بكل شيء علما، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، المتقدمُ على الناس جميعاً؛ فضلاً وكرماً وحلما، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، على مرّ الدهور والأزمان.

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله، الحكيم العليم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدوداتٍ، فمن كان منكم مريضاً أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أيام أُخَرَ، وعلى الذين يطيقونه فِديةٌ طعامُ مسكين، فمن تطوَّع خيراً فهو خير له، وأنْ تصوموا خير لكم، إن كنتم تعلمون. شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ﴾(١).

أيها المسلمون .

ورد عن سلمان الفارسيّ، رضي الله عنه . قال خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال : (أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، فيه ليلةُ القدرِ، خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة ، وقيامَ ليلِه تطوعاً. من تقرّب فيه بخصلة من خصال الخير، كان كمن أدى الفريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضةً فيما سواه ، وهو شهر الصبر، والصبرُ ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عِتق من النار. ثم قال ﷺ في خطبته: ومن فطّر فيه صائماً، كان مغفرةً لذنوبه، وعَتق رقبته من النار ، وكان له مثلُ أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء ، قلنا يا رسول الله : ليس كُلُّنا يجد ما يفطر به الصائم ، فقال يُعطِي الله هذا الثوابَ، لمن فطّر فيه صائماً على مذقة لبن ، أو تمرةٍ، أو شربة ماء)(٢).

---

١ ـــ سورة البقرة (من الآية ١٨٣ ـــ الآية ١٨٥) .

٢ ـــ رواه ابن خزيمة في صحيحه عن سلمان الفارسي . وقد مر سابقاً بتمامه .

أيها المسلمون . أيها الصائمون .

لكم من الله البشرى، ولقد مدحكم الله، وخصكم بهذا الشهر العظيم، الذي يشتمل على الرحمة، والعتق، والكَفَّارة، وقد أجزل الله لكم فيه الأجر والثواب بما تعملونه؛ من صيامه وقيامه، قال عليه الصلاة والسلام (لكل شيء باب وباب العبادة الصوم)[١]، ذلك لأن الصوم يُصفيّ الذهن، ويكون سبباً لإشراق النور على القلب، فينشرح الصدر للعبادة، وتحصل الرغبة فيه، وقال ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[٢].

واعلموا أيها المسلمون. أن في هذا الحديث بشارةً من النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين من أمته، الصادقة المخلصة الصحيحة، بأن صيام رمضان على وجه اليقين، والتصديق، والإخلاص لله وحده، سبب لمغفرة ما تقدم من ذنوب الصائمين، وما تأخر .

يقول عليه الصلاة والسلام (من صام رمضان، وعَرفَ حدوده، وتحفّظ ما ينبغي له أن يتحفظ، كفّر ما قبله)[٣]، وقال (فإذا صام أول يوم من رمضان، غُفر له ما تقدم من ذنبه، إلى مثل ذلك اليوم من شهر رمضان، واستغفر له كل يوم سبعون ألفَ مَلَكٍ، من صلاةِ الغَداة إلى أن توارت بالحجاب. وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان، بليلٍ أو نهار، شجرةٌ يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام)[٤].

وقال عليه الصلاة والسلام (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أيْ ربِّ منعته من الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فشفعان)[٥].

---

١ ــ رواه هناد عن ضمرة بن حبيب ، ورواه ابن حبان وابن المبارك .

٢ ــ متفق عليه بدون زيادة (وما تأخر) ، أما الزيادة هذه فذكرها الامام أحمد باسناد حسن ، وقتيبة بن سعيد عن سفيان ، وهو ثقة ثبت .

٣ ــ رواه ابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن ابي سعيد الخدري .

٤ ــ رواه البيهقي من حديث ابي سعيد مرفوعاً .

٥ ــ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي اسناده حسن .

أيها المسلمون . يا شباب اليوم .

صوموا شهركم بإخلاص، وأدوا فريضة ربكم بيقين وإيمان، يغفر لكم من ذنوبكم، وإذا تعديتم على حدود الله، وتركتم الصيام فعليكم غضب ولعنة من ربكم، ويقول ﷺ: (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصةٍ، ولا مرض، لم يقضه صومُ الدهر كلّه)[1] أو كما قال.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله، الذي جعل الصيام جُنَّةً (أي وقايةً) من الأهوال والنيران، وفضلّه برحمته الواسعة على كثير من الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله، المتفضلُ بالقبول، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، مِفتاحُ الوصول، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد. فيا عباد الله. ليس الأسف على دنيا آخرُها الزوال والفوات، إنما الأسف على قلوب ضَربت عليها الغفلةُ خيامَها، وعلى نفوس أبت إلا شرابها وطعامها يوم صيامها. أجل إن الأسف ـــ والله ـــ على عقول ذَهَلت عن الميعاد، وأهواله الصعاب، نسيتْ وقوفَها حائرةً ذليلةً يوم المآب. فمالكم أيها الناس. أصبحتم وكلٌّ منكم أصابه من القسوة ما أصابه.؟ وجعلتم تُسوِّفون العمل، وكلٌّ منكم ينتظر المشيب، وقد أضاع شبابه، تعمُرون الدنيا، وقد علمتم أنها آيلةٌ إلى الخراب والدمار. مالكم يا قوم أمَرَكم ربكم بالإخلاص في الطاعات، ونهاكم عن ارتكاب المحرمات، وما منكم والله إلا مُراءٍ أو كذاب، أو مداهنٌ أو دجالٌ، أو نمام أو مغتاب، تالله لقد

١ ـــ رواه الترمذي عن أبي هريرة بزيادة (وإن صامه) وبقية اصحاب السنن .

عَمت فيما بينكم البلوى ، وعظم المَصابُ في السر والنجوى ، فلا شيخ ولا شاب ولا شابه، براجع عن ضلاله وهواه ، وإنّ التجاهر بالمعاصي من هنا وهناك، لَمَقْتِ الله وغضبه من أعظم الأسباب، فاحذروا الدنيا وتقلباتها بأهلها، وفي قوله تعالى ﴿ ...**وكان تحتَهُ كنْزٌ لهما** ... ﴾[١] .

كلماتٌ كلُّها عبرٌ وعظات، وهي خير من الذهب والفضة، وهذه العظات عجبت لمن أيقن بالقضاء والقدر، كيف يسخط على الله ويغضب .؟! عجبت لمن أيقن بالموت، كيف يفرح وكيف يضحك .؟.! وعجبت لمن أيقن بالنار، كيف لا يهرب منها بعمل صالح .؟.! وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلباتها بأهلها، كيف يطمئن إليها .؟.!

أيها المسلمون .

بادروا بالمتاب وصالح الأعمال، وإياكم والتسويف، فإن الأيام تمرُّ بكم مرَّ السحاب ، ماذا تصنعون غداً في موقف تشخص فيه الأبصار، وتخضع فيه الرقاب، وتظهر فيه الحسرات والويلات والآهات، وتشهد البقاع والجوارح ، فاتقوا الله، واعملوا صالحاً، تداركوا الآمال، واتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه في كتابه تعظيماً له وتكريما إن ﴿ ...**الله وملائكته يصلون على النبي**،... ﴾[٢]

اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. اللهم أعنا على صيام شهر رمضان وقيامه، وباعد بيننا وبين

---

١ ـــ سورة الكهف (٨٢) .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

الذنوب فيه وآثامه ، واجعلنا من الصائمين ، القائمين فيه بيقين وإخلاص مكين . اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ، واجمع شمل المسلمين على الحق ؛ كتابك ، وسنة رسولك ، يا رب العالمين ، وألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامِها ورؤسائها ، وبصِّرهم بعواقب ماهم فيه مختلفون ، وانزع من قلوبهم الأحقاد والأضغان يا رب العالمين .

ونسألك اللهم أن تؤلف بين قلوب قادتنا ، وملوكنا وحكامنا . وردهم الى كتابك رداً جميلا .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكرُ الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة العنكبوت .

الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة :

١٦ رمضان ١٣٩٦هـ
١٠/٩/١٩٧٦

(الوقائع التاريخية الهامة في شهر رمضان المبارك)

احمدك ربي حمداً يوافي نعمك، ويكافىء مزيدك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي ثناءً عليك، وأصلي وأسلم على رسولك ومجتباك ومصطفاك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. أسألك اللهم أن تعينني على الجهر بالحق أينما كنت، وأن تستعملني بطاعتك. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله واسع الجود والكرم، تفضَّل علينا بسيدنا محمد ﷺ رسولِ الهداية. هدانا لشريعة مُحكمة عادلة. أنعم علينا سبحانه بنعمة الصيام والقيام، ونزول القرآن، وكثيرٍ من الخيرات والهبات والفتوحات في شهر رمضان، أشهد أن لا إله إلا الله، أمرنا بالجهاد في سبيل الله، وفيه العزةُ والكرامةُ والغلبةُ للمحقين، وفي تركه والتهاون فيه، الخذلان للمبطلين المتقاعسين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، الذي أيده بنصره في الفتوحات والغزوات، وأنزل عليه القرآن، وعلى آله وصحبه، الذين سلكوا سبيله، وتباعدوا عن كل خلاف وجفاء .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد. فقد قال الله جل وعلا ﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلةٌ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقولُ للمؤمنينَ ألنْ يكفيكُمْ أن يُمِدَّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكة مُنزَلِينَ. بلى، إنْ تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددْكم ربكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسوِّمينَ. وما جعله الله إلا بُشرى لكم ولتطمئنَّ قلوبُكم به، وما النَّصرُ إلاّ من عِندِ اللهِ العزيزِ الحكيم﴾[1].

أيها المسلمون.

إن الله جلت قدرته، يَمُنُّ على عباده المؤمنين بتأييده ونصره لهم، في الغزوة العظمى، وهي كبرى الغزوات، التي تغيَّر بها وجه التاريخ، واتجه نحو الرفعة والكمال، من نصرٍ إلى نَصْرٍ ومن فوز إلى فوز.

لقد سَمّىَ الله يومَ بدرٍ بيوم الفُرقان، الذي أعزَّ الله فيه الإسلام وأهلَه ومتبعيه، وأذلَّ فيه الشرك وأهله ومشايعيه، مع قلة عدد المسلمين، وقلة سلاحهم آنذاك، وكثرةِ عدد المشركين، وما كانوا عليه من سوابغ الحديد، والنار، والخيولِ المُسَوَّمة المعلَّمة المدرَّبة.

ولذلك فقد ذكر الله مِنَّتَهُ وفضلَه على عباده المؤمنين الصادقين يوم ذاك، من أصحاب رسول الله ﷺ.

أيها المسلمون. اسمعوا وعوا، وانتبهوا، إذا كانت الأشهر والأعوام تتفاضل بما يقع فيها من أحداث تاريخية هامة، فلشهر رمضان فضائل كبرى، ومزايا عظمى، لا توجد في غيره من الشهور. فمن أبرز أحداث هذا الشهر التاريخية وأجلها على الأنام، رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إلى الناس كافة، شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه، وسراجاً منيرا، وكانت رسالته يوم فَجأه وحي السماء في غار حراء، في شهر

---

١ ـــ سورة آل عمران (من ١٢٣ ـــ ١٢٦).

رمضان المبارك، ومن أحداثه التاريخية الهامة؛ غزوة بدر الكبرى، التي وقعت صبيحة اليوم السابع عشر من رمضان، وهو اليوم الذي ابتدأ فيه نزول القرآن، على قلب رسوم الله ﷺ وهذا هو أهم الأحداث التاريخية، قال تعالى مُدللاً على ذلك ﴿ **شهر رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ هُدىً للناس وبِّيناتٍ من الهُدى والفُرقان،...** ﴾[1] ومن أحداث هذا الشهر المبارك، وفي السنة الثانية للهجرة، أوجب الله على المؤمنين صيام شهر رمضان، ولما كان الانسان مجبولا بفطرته وطبيعته على حب ماله ونفسه، غافلا عن حاجة غيره من الفقراء المستحقين والمعوزين، أوجب الشارع الحكيم صدقة الفطر على المسلمين جميعاً، ليكون صوم رمضان سليماً مقبولاً، لقوله ﷺ (صوم رمضان معلق بين السماء والأرض، لا يرفع الا بزكاة الفطر)[2]، وفي السنة الثانية للهجرة نفسها فرض على المسلمين زكاة أموالهم، لأنها قنطرة الاسلام، وليجمع المسلم بين عبادتي المال والبدن. ومن هذا النظام الاسلامي الاجتماعي تنبع الرحمة من قلوب المزكين والمحسنين، وينتشر التعاطف والتراحم بين الناس أجمعين.

أيها المسلمون في زماننا هذا. لما طبَّق المسلمون الأولون أحكام الاسلام وتعاليمه، وأشرق نوره في الأرض، أصبح لديهم آنذاك طاقات إيمانية واسعة، تؤهلهم للكفاح، والجهر بالدعوة، والصمود أمام هزَّات الكفر والالحاد، ووقف الرسول ﷺ وأصحابه في وجهها، منذ أربعة عشر قرناً، وما قصدوا من ذلك الا ليعرقلوا سير الدعوة الاسلامية. وظنوا أن شهر الصيام، فرصة كافية للانتقام من محمد، وأصحابه ومؤيدي رسالته، وظنوا أن قوى المؤمنين، لا تصمد أمام جحافل الكفر، بسبب صيامهم، فتحرَّشوا بالمسلمين. وكانت غزوة بدر الكبرى، في السابع عشر من شهر رمضان.

---

١ ـ سورة البقرة (١٨٥).

٢ ـ رواه ابو جعفر بن شاهين وقال جيد الاسناد. عن جرير بن عبدالله البجلي.

فبهذه الغزوة تطورت الدعوة الاسلامية، وكانت نتائج النصر المظفر ساطعة في أفق الوجود الاسلامي، تعج بالفتوحات والبشائر والتأييد. فمن أسباب فوز المسلمين في هذه الغزوة، اعتماد القائد الأعلى. سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه على ربه أولا . فلما تراءى الجمعان (أي الفريقان) ووقفوا وجهاً لوجه، نظر رسول الله ﷺ إلى قلة عدد المسلمين، فالتجأ الى ربه وخالقه، في هذه اللحظة الحرجة الحاسمة الهائلة، والمعركة الفاصلة، فوقف في عريشه ضارعاً الى الله، هاتفاً، قائلا: (اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وكبريائها، تحاول أن تكذّب رسولك، اللهم فنصرَك الذي وعدتني، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم، فلا تعبد)[1] ونزل بأصحابه ميدان المعركة، ودارت رحى الحرب، وكان اسطول رسول الله ﷺ البري آنذاك، مجهزاً بسلاح عادي،غير فتاك، كسلاح أليم، تؤيده وتعززه طاقات الايمان الصحيح. وقد كان اسطولا لا يغلب. لا كأساطيل الكفر اليوم، التي تحمي الصهيونية العالمية عامة، وتحمي إسرائيل بصورة خاصة.

أيها المسلمون . لقد أيقن جيش محمد ﷺ الاسلامي بنصر الله، وقوة الواثق بربه لا تهون، ولا تلين، ولا تقاوم. إن أبرز شيء تجلّى في غزوة بدر آنذاك، هو المدد الروحي الملائكي النوراني، بشر الله به المؤمنين **﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾**[2].

يا مسلمي زماننا اليوم. إن قوة الملائكة الهائلة، المستمدة من الله وحده، لا تحيط بها العقول البشرية. يقول عليه الصلاة والسلام (نُصرت بالرعب، مسيرة شهر)[3] كل ذلك يا مسلمون، كان بسبب اتحاد كلمتهم، ووحدة قلوبهم، وفيض إيمانهم ، وصفاء نفوسهم،نقاء سريرتهم.

---

١ ــ رواه البخاري - مرّ تخريجه .
٢ ــ سورة آل عمران (١٢٣) .
٣ ــ رواه البخاري - مرّ تخريجه .

ولعل حكامنا وقادتنا ورؤساءنا في هذا الزمان، يأخذون العظة والعبرة، ويتلقون دروساً ناجعة من جهاد محمد وأصحابه. ولعلهم يحذرون، فيُجْمِعونَ أمرَهم على استرجاع الوطن المسلوب المغلوب. ولكن أنى لهم الذكرى.؟ ولعل شعبنا هنا وهناك لا يصحو من غفلته وكبوته، فلا يفرط في أرضه المحتل، ولا لدخيل ولا لمغتصب.

أيها المسلمون.

ومن أحداث هذا الشهر المبارك التاريخية، التي وقعت عبر التاريخ، فتح مكة المكرمة، سُرّة الدنيا بأسرها، وواقعة القادسية، وفتح جزيرة رودس،وفتح الاندلس، وفي شهر رمضان نفسه سنة اربع وثمانين وخمسمائة هجرية، هاجم البطل صلاح الدين الأيوبي، الصالح العادل الظافر، جيوش الصليبيين الغاشمين المستعمرين في سوريا. وهزمهم، وعادت الى الشام آنذاك صبغة الاسلام. وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة، رد صلاح الدين نفسه جموع الصليبية المستعمرة عن مدينة صور، في لبنان.

أيها المسلمون.

هذا غيْضٌ من فيض، عن أحداث شهر رمضان، هذا هو رمضانكم أيها المسلمون، فصححوا صيامكم، وثابروا على قيامكم، فما صام من كذب، أو اغتاب، أو سعى بالنميمة بين الناس، فقد جاء عن رسول الله ﷺ (كم من صائم، ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم، ليس له من قيامه الا السهر والتعب)[1] أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، يغفر لكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة.

* * * * *

---

١ — رواه البزار والبيهقي بدون لفظ العطش والتعب. ورواه ابن ماجه والحاكم، واحمد بسند صحيح. بلفظ: «رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

الحمد لله الكريم المفضال، ذي الفضل والنوال، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وعلى آله وصبحه ،ومن عمل ليوم المآل.

عباد الله .

اتقوا الله حق تقواه ، اتقوا الله واعملوا صالحاً، هذه هي العشر الأواسط قد انتهت، فاستقبلوا العشر الأواخر، بقلوب ملؤها الايمان، أين العابدون.؟ أين اللائذون بالجنات العظام.؟ أين الواقفون على أبواب الملك العلاّم، لينالوا مزيدا من الخيرات.؟ اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً له وتكريماً، فقال ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى صحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، اللهم إنا ندعوك دعاء من يرجوك ويخشاك، ونبتهل إليك ابتهال من لا يعبد سواك، ورحمتك يا مولانا لمن اطاعك ومن عصاك، اللهم فتداركنا هُنالكَ برحمتك الواسعة ياربَّ العالمين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، اللهم إنا نسألك يا ذا الفضل العظيم والمنّة، أن تؤلف بين القلوب المتناحرة المتباغضة، يا أكرم الأكرمين. نسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال يا أرحم الراحمين. اللهم هيِّءْ له بطانة صالحة، تحثه على الحق، وتحذره من الباطل يا رب العالمين.

﴿**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ ولذِكرُ الله أكبر، والله يعلم ماتصنعون**﴾[2].

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثالثة والخمسون بعد المائة :

١٦ رمضان ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/٩/١٠

(ماذا فعلتم بعد شهر رمضان)

أحمدك ربي على نعمك وآلائك المتواليه، وأشكرك، ولا يستحق الحمد والشكر سواك، وأصلي وأسلم على حبيبك المصطفى، وعلى آله وصحبه أولى الصفا والوفاء. اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. اللهم يا من بيده مقادير الخيرات كلها، يا من إليه يرجع الأمر له، يا فتاح يا عليم، افتح لي لنا فتحا قريباً ﴿...**ربنا اغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين**﴾[1] ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[2].

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله الدائم الباقي فلا يزول ولا يتغير. الحكيم الذي جعل في انقضاء الشهور والأيام، وتقلب الليل والنهار، عبرة لمن تفكر، لا إله إلا هو، جعل الفلاح والفوز لمن عمل بأحكام الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، فتح أبواب رحمته لمن داوم على طاعته، وهو الاله الحق، والملك الحق المبين. نهانا ــ رحمة بنا ــ عن التلبس بالذنوب والآثام، وحذرنا عاقبة المعاصي والوقوع في الحرام، في شهر رمضان، وغير رمضان .

---

١ ــ سورة آل عمران (١٤٧) .
٢ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، الصادق الأمين، صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله وأصحابه، الذين أسهروا عيونهم، وأذابوا جفونهم، وخشعت قلوبهم لله، وتمسكوا بفضائل الاسلام، فرضي عنهم الحكيم العلام.

أيها المسلمون.

إن كان رمضان قد مضى، كأنه طيف خيال، وعزمتم على الرجوع الى التفريط والتقصير في شوال، وما بعده من الشهور، فإن الله حيٌّ أبدي سرمدي، لا يدركه زوال، ولا يفنيه تداول الأوقات، وتعاقب الاهلة، هلالا بعد هلال.

إن ربكم أيها الناس يكره المخادعة، فتارة طاعة، وتارة عصيان، عبادة وتبتل في رمضان، وفجور وفسوق في شوال وذي القعدة وغيرهما من الشهور. كأنّ ربَّ رمضان ليس هو ربَّ شوال، ورب كل زمان، إنه سبحانه سيحاسب على السرِّ والاعلان، وما جزاء السوء، إلا ندامة وخسران.

إن رسولنا وحبيبنا وسيدنا وشفيعنا، رغم أنف من ينكر الشفاعة، أمرنا بمواصلة الطاعة والعبادة، فقد رغبنا في أن نتبع صيام رمضان بصيام ستة أيام من شوال، فقال عليه الصلاة والسلام (من صام رمضان، واتبعه «وفي رواية ثم اتبعه» ستاً من شوال، كان كصيام الدهر)[1] فقال بعض شارحي الحديث، يصومها سرداً أو متفرقة. أما صوم يوم العيد فعصيان وحرام، لقوله ﷺ: (من صام يوم العيد فقد، عصى أبا القاسم)[2] فترغيب النبي ﷺ للناس في صيام الأيام المذكورة، وصوم يومي الإثنين والخميس من كل اسبوع، وصيام الأيام الثلاثة البيض، من كل شهر، وبعض شهر الله المحرم، ويوم عاشوراء، ويوم عرفة[3]، كل ذلك ليرغبنا

---

١ — رواه مسلم، ولم يخرجه البخاري والامام أحمد والأربعة عن أبي ايوب.

٢ — لفظ الحديث: «من صام اليوم الذي يشك فيه الناس، فقد عصى ابا القاسم». رواه اصحاب السنن والبخاري، تعليقاً عن صلة.

٣ — مرّ ذكر أحاديث في فضل صيام هذه الايام كلها، في خطب سابقة.

ويحثنا، على مداومة العبادة والطاعة، ولنكون دائماً مع الله، وعلى صلة بالله، نذكره ونمجده ونشكره، فيزيدنا توفيقا، وينير لنا طريق الهدى والسداد، ويحسن جزاءنا يوم المعاد.

أيها المسلم. رأيناك يوم دورسنا وتدريسنا لك في رمضان محافظاً على اداء الصلوات في الأوقات. عهدناكَ حريصا على شهود الجمعة والجماعات، مقبلا على مجالس العلم والعلماء، مستعداً لقبول النصائح والعظات، عرفناك في رمضان مهذبا تقيا نقيا، متواضعا أريحيا، ترى فعلى أي شيء عزمت بعد انقضاء شهر الصيام.؟ أتُراكَ بعدما ذقت حلاوة الطاعة، والصلاة مع الجماعة، تعود إلى مرارة العصيان.؟ أتراك بعد ما كنت من أولياء الرحمن، تنقلب على عقبيك، فتنضم الى حزب الشيطان.؟ ــواخيبتاه وأسفاهــ أتراك بعد ما كتبت في عداد المصلين، تترك الصلاة، وهي عماد الدين، وشعار الدين والمسلمين.؟ ويحك بادر بالتوبة، واسرع إلى مولاك بالأوبه، فباب العفو والقبول واسع، والأنوار فيه سواطع.

قل لي بربك. أيليق بك، وأنت تدعي أنك مسلم، بعدما كنت في رمضان من أنصار الرحمن، تعود الى أعوان الشيطان، أيليق بك، بعد أن كُنْتَ باراً نقيا، أن تصير في الأقطار جباراً شقياً.؟ أيليق بك، بعد ما كنت في رمضان ملكا كريما، أن تصير بعده شيطاناً رجيماً.؟ كلاَّ ما هكذا يكون العقلاء المتبصرون، ولا السعداء الموفقون.

أيها المسلمون في زمان الدواهي والكوارث. الصلاة نور للقلب، وشكر للنعمة، وصلة بين العبد وربه، فما الذي يستفيده ذلك الشقي من ترك الصلاة، سوى ظلمة قلبه وكفران النعمة، وقطع الصلاة بينه وبين مولاه.؟ بل ما الذي يجنيه شارب الخمر، وموقظ شعلة الغلاء في الأمة، من وراء معصية، غير اتلاف ماله، والاضرار بعقله وصحته، وضياع شرفه ومروءته.؟ يا مَن تجاهر بإفطارك في نهار رمضان، ولم تطع أحدا سوى شيطانك العنيد، ويحك. خفف عن غلوائك، وخلِّ بعض خيلائك وكبريائك، وانتظر يوم الوعد والوعيد لحسابك، إن عاجلاً أو آجلاً.

أيها الناس .

إنَّ المعاصي لشهوة قصيرة عاجلة، تعقبها حسرة طويلة دائمة، وشقوة ملازمة، ونار حامية، وذل شديد واقع، ما له من دافع، وعذاب أليم في الدنيا والآخرة .

فيا أيها المسلم. تأكد ـــ هداك الله ـــ ان الدنيا مزرعة للآخرة، وإن الدنيا دار عمل ولا حساب، والأخرة حساب ولا عمل، فاتق الله، وخذ من دنياك لآخرتك، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لمرضك، ومن غناك لفقرك، وتزود لسفر طويل، واستعد لحساب عسير، وهولٍ عظيم ﴿ **يومَ ينظُرُ المرءُ ما قدَّمتْ يداه ...** ﴾[1] ﴿ **ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يديه ...** ﴾[2] ﴿ **يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّمٰواتُ ، وبرزوا لله الواحد القهار . وترى المجرمين يومئذٍ مقرَّنين في الأصفاد . سرابيلهم من قَطِرانٍ وتغشى وجوهَهمُ النارُ . ليجزيَ اللهُ كلَّ نفسٍ ما كسبت ، إن الله سريع الحساب . هذا بلاغ للناس ولينذروا بِهِ وليعلموا أنما هو إلهٌ واحدٌ وليذَّكرَ أولوا الألباب** ﴾[3] .

في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال (أحب الأعمال الى الله،أدومها، وإن قل)[4] وقال عليه الصلاة والسلام: (البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، افعل ما شئت، فكما تدين تدان)[5] أو كما قال: اقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، يغفر لكم، ادعوا الله، وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

١ ـــ سورة النبأ (٤٠) .
٢ ـــ سورة الفرقان (٢٧) .
٣ ـــ سورة ابراهيم (من ٤٨ ـــ ٥٢) .
٤ ـــ متفق عليه .
٥ ـــ انظر الخطبة (١٤٧) .

الحمد لله، مصرِّف الأمور على وفق الإرادة، موفِّق من أحبَه إلى طريق السعادة، السميع البصير، العليم بجميع الشؤون والأحوال. (أحمده) سبحانه، على مزيد إنعامه وإفضاله، وأشكره على ستره السابل، وعلى جوده المديد الوافر الكامل، وأستغفره، وأتوب إليه، وأسأله غُفرانَ ما كان مِنّاً، أو يكون، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة تستنيرُ بها القلوب، وأشهد أن سيدنا محمداً، رسول الله صاحب الشفاعة، المدعوُّ في القيامة لكشف الكروب. كما ورد فيما اتفق عليه البخاريُّ ومسلم، قال رسول الله ﷺ (أنا سيِّد الناس يومَ القيامة)[1] اللهم صلِّ وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، الذين توسلوا نبيهم، وتشفعوا به، فرضي الله عنهم أجمعين.

أما بعد. فيا أيها الناس. شمِّروا لجهاد النفس، فهي أكبر عدوٍّ لكم، وتعاونوا على البر والتقوى، لعل الله يجمع شملكم ﴿**يا أيها الناسُ آتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئا، إن وعد الله حقٌّ، فلا تغرَّنكم الحياةُ الدُّنيا ولا يغرنكم بالله الغَرور**﴾[2].

لا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، تخلَّقوا بكل خُلُق كامل، واجتنبوا الفواحش، تنالوا يومَ القيامة ما تحبون ﴿**يوم تأْتي كلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نفسها...**﴾[3].

يوم يجمع الله العظام البالية من رمْسها، تغافلوا عن هفوات إخوانكم، لعلكم تفلحون.

اتقوا الله. عباد الله ﴿**واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، ثُمَّ توفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يُظلَمونَ**﴾[4] غداً يندم المسيء على ما جناه، يوم

---

١ ــ لفظ الحديث: «انا سيد ولد آدم يوم القيامة». رواه مسلم وابو دواود عن ابي هريرة، وزاد الأمام أحمد والترميذي وابن ماجه (ولا فخر) وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه، الا تحت لوائي، وانا اول شافع، وأول مشفع، ولا فخر.

٢ ــ سورة لقمان (٣٣).

٣ ــ سورة النحل (١١١).

٤ ــ سورة البقرة (٢٨١).

تُنشر الصحائف، وتشتد المخاوف، فأين تذهبون.؟ كيف يضحك بملء فيه، من تمادى على الفواحش والرذائل.؟ أم كيف يعتذر، إذا شهدت عليه بالعصيان المفاصل.؟ اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه، اتقوا الله لذلك اليوم. ﴿ هَذا يَومٌ لا ينطِقونَ . ولا يُؤذَنُ لهم فيعتذرون ﴾[1] وتوبوا إلى الله، تنالوا رضوانه الأكبر، أخلصوا لربكم العمل - يشملكم بجميل عطفه وإحسانه. ﴿ فمن ابتغى وراءَ ذَلك فأولئكَ هُمُ العادونَ ﴾[2].

اتقوا ربكم حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه سبحانه، صلى على نبيه تعظيماً له وتكريما، فقال ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، تسليماً كثيرا، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللهم اجمع قلوبنا على طاعتك، ومحبة رسولك المصطفى، صلى الله عليه وسلم. اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ قادتها وحكامها ورؤسائها وأفرادها وجماعاتها. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واعل كلمة الحق والدين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم الهمه الخير والسداد، في كل مكان وزمان، وهيّء له بطانة صالحة.

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[4].

---

١ — سورة المرسلات (٣٥ — ٣٦).
٢ — سورة المعارج (٣١).
٣ — سورة الأحزاب (٥٦).
٤ — سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الرابعة والخمسون بعد المائة :

٢٠ ذي القعدة ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/١١/١٢

« الحج إلى بيت الله الحرام رياضة روحية »

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على رسولك خير من وفد إلى حج بيت الله الحرام ، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام ، وعلى من سار على نهجهم القويم بإحسان ، رب اغفر لي ذنبي ، واذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن .

اللهم رحمتك ارجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، رب اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

الحمد لله ، يسّر طريق السعادةِ للسالكين ، وأنار سبيل الهدى للعالمين ، ودعا أحبابه الأبرار ، لزيارة بيته العظيم ، ليُحسِن ضيافتهم ، ويمحو عنهم الذنوب والأوزار ، فلبُّوا دعوته فرحين مسرعين ، وفارقوا ـ لأجل رضاه ـ الأهل والبنين ، ولبسوا من أجله أثواباً بيضاً ليوم المعاد ، وأجابوا دعوته ؛ لبيك اللهم لبيك ، مستجيرين به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، سبحانك ربي ، لسنا ندرك حقيقة عظمتك ، غير أننا نعلم أنك حيٌّ قيوم ، له ملك السموات والأرض ، لا تأخذك

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

سنة ولا نوم ، ولم ينته إليك نظرٌ ، ولم يُدْر لَكَ بَصَر ، أدركت الأبصار ، وأحصيت الأعمار ، وأنت الله الواحد القهار ، تعالى الله في علاه ، أمرنا بتعظيم شعائره وحُرُماته ﴿ **ذلك ومَنْ يُعظِّمْ شعائرَ اللهِ فإنَّها مِنْ تقوى القلوبِ** ﴾ (١) .

لا إله إلا هو ، حَبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، سبحانه وتعالى ، جعل للمسلمين في كل عام مؤتمراً دينياً عاماً جامعاً ، وعيَّن له أشرف مكان ، ليتمَّ بين المؤمنين التآلف والتوادُّ ، فتقوى بينهم المحبةُ ، وشعوُرهم بالعزة والكرامة يزداد . أشهد أن لا إله إلا هو الواحد الأحد ، شرع لنا من الأحكام ما ينفعُنا في ديننا ودنيانا ، ويجعلُ المسلمين قوةً ، متكاتفين متحابين في الله إخوانا ، مُتحدين متعاونين ، لا يرهبون إنسانا ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، أفضلُ من قلد الهدي ، وأشرفُ من طاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمارَ ، وجدَّد المناسك ، وجمع شمل دين الله الواحد القهار ، فصلوات الله وسلامه ، عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعدَّ لهم مولاهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار .

أما بعد فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **إن أوّلَ بيْتٍ وُضِعَ للناس للّذي ببكةَ مُباركاً وهُدىً للعالمين . فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقامُ إبراهيمَ ، ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفَرَ فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾(٢) .

أيها المسلمون في ديار غربة الإسلام: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله .

---

١ ــ سورة الحج (٣٢) .
٢ ــ سورة آل عمران (٩٦ ــ ٩٧) .

عباد الله . لما كثر القيل والقال ، وقال المشركون لنبينا محمد ﷺ قبلتنا يا محمد قل قبلتكم ، نزلت هذه الآية على قلب رسول الله ﷺ على أن أول بيت وضع للناس في الأرض للذي ببكة ، وهي لغة في مكة . سميت بذلك لأنها تُبكُ أعناق الجبابرة والظالمين ، أي تدقها دقاً متى حالوا الاعتداء عليها . وجاء في اللغة بكَّ عنقه، أي دقَّها. ولقد بَنَاهُ الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام ، ووضع بعده المسجد الأقصى الأسير الآن ، وكان بينهما أربعون سنة ، كما في حديث الصحيحين [1].

إن هذا البيت ـــ أيها المسلمون ـــ مبارك . أي ذو بركة ، وذو زيادة في الخير ، وهدىً للعالمين ، فإنه قبلتهم (**فيه آيات بينات ...**) من هذه الآيات الدالة على قدرة الله تعالى (...**مَقامُ ابراهيم ....**) وهو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ، فأثرت قدماه فيه ، وقد بقي إلى يومنا هذا مع تطاول الزمن وتداوُل الأيام والأيدي عليه ، وفيه تتضاعف الحسنات ولو بصلاة ركعتين ، ومن المعجز العجيب أن الطير لا يعلوه . (ومن دخله كان آمناً ، لا يتعرض إليه بقتل ،أو ظلم ، أو غير ذلك .

ولقد شرعت الآية في بيان حكم المستحق للحج . فقال تعالى ﴿ ...، **ولله على الناس حِجُّ البيت** (مفروض وواجبٌ على) ﴾ ... **من استطاع إليه سبيلا** ،...﴾ أي من قَدرَ على الحج ، وفُسِّرَ السبيل ، في قوله من استطاع إليه سبيلا ، بالزاد والراحلة (...، **ومن كفر** ...) بالله ، أو بما ثبت من الدين بالضرورة ،كأنْ أنكر الحج ، أو فرضاً من فرائض الإسلام ﴿ ...**فإن الله غني عن العالمين** ﴾ إنه سبحانه وتعالى غني ، وغيرُ محتاج إلى عبادة الإنس والجن ، كما ورد في الحديث

---

١ ـ متفق عليه ، ولفظ البخاري عن أبي : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول قال المسجد الحرام ، قال قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت كم كان بينهما ؟ قال اربعون سنة . ثم أينما ادركتك الصلاة بعد فصله ، فان الفضل فيه .

القدسي ، عن لسان الحــق ، جل جلاله (يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في مُلكي شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد ، ما نقص ذلك من مُلكي شيئا)[1] .

أيها المسلمون في زمن العجائب هذا .

الحج ركن من أركان الإسلام ، وقاعدة ثابتة من قواعد الدين ، وضرورة من ضروريات الحياة ، التي لا بد منها ، لكل أمة تريد السيادة والنهوض ، والعزة والسلطان ، شرعه الله لآداب سياسة عالية ، وحكم اجتماعية راقية سامية ، ومعانٍ روحية دقيقة ، لا يدركها من الناس إلا أَرْبابُ العقول السليمة ، والأفكار السامية ، والنظر البعيد ، لأن الإنسان لو تأمل في هذه الحياة ، على جمالها ورونقها ، وسِحْرِها وفتنتها ، لوجدها كسوق قائم ، وكلّ ما يجمعه الإنسان فيها من مالٍ ، وما يستفيده من ربح وتجارة ، إنما هو لورثته من بعده . وليس له شيء ، منه إلا ما قدمت يداه ، كما قال جلت عظمته ﴿ **فمن يعملْ مِثقالَ ذرةٍ خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[2] .

وكما قيل :

أبقيت مالَكَ ميراثاً لوارثــــه

فليت شعري ما أبقى لك المال

القومُ بعدَكَ في حال تَسُرُّهُمُوا

فليت شعريَ ما آلت بك الحال

---

١ — رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري ، وهو حديث طويل أوله : يا عبادي : اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا .

٢ — سورة الزلزلة (٧ — ٨) .

فلِمَ تبخلُ أيها الإنسان بأداء فريضة ربك ، وأنت قادرٌ صحيح .؟ أتريدُ أن تحجَ وأنت عاجز شحيح .؟

إن ذلك اليوم يومٌ عصيبٌ . وإن يوم القيامة ليومٌ رهيبٌ مقلقٌ . فلو أنهم والله حجوا ، أو زاروا أو اعتمروا أو ضحَّوْا ﴿ **فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولَقَّاهُم نضْرَةً وسُرورا** ﴾[1] . ولكن ﴿ **قُتِل الإنسانُ ما أكفرَهَ** ﴾[2] فما أعجبه ، فكم يضر نفسه وينفع غيره .؟!

يفني البخيل بجمع المال مُدَّتَه
وللحـــوادث والأيـــامِ ما يَدَعُ
كدودةِ القزِّ ما تبنيه يَهدمُهـــا
وغيرُها بالذي تبنيـــهِ ينتفِـــعُ

على أن في الحج من المُتعة الروحية ، واللذةِ الشخصية ، ما يُنسيكَ حلاوةَ مالك ، وضخامة غناك . إن الحاجَّ يستجيب لنداء ربه حيث تُشفى القلوب ، وتهنأ الأرواح ، ويُستجاب الدعاء ، وكيف لا تُشفى قلوب طافت بالبيت العتيق ، وقبَّلت ذلك الحجر الأسود الأسعد ؟! وكيف لا تشفى قلوب شربت من ماء زمزم المصفى ..؟! وكيف لا تهنأ أرواحٌ سعدت بمشاهدة البيت الأعظم ..؟! وكيف لا يُستجاب دُعاءُ قوم امتزجت انفاسهُم بأنفاس الملائكة المقربين .؟ اللهم إن هذا موقف له خطره ، وشأنه عند الله ، وكيف لا .. وقد توافد عليه عبادُه المخلصون من كل فج عميق ﴿ **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ...** ﴾[3] .

---

١ ـــ سورة الانسان (١١) .
٢ ـــ سورة عَبَسَ (١٧) .
٣ ـــ سورة الحج (٢٨) .

متى كانوا مخلصين لله رب العالمين ، لا كبرياء ولا سمعة ، إنهم يرجون رحمته ، ويخافون عذابه . قال عليه الصلاة والسلام : (من حجّ هذا البيت ولم يرفُث ، ولم يَفسُق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[1] وقال ﷺ (الحج المبرور ، (أي المقبولُ عند الله) ليس له جزاء إلا الجنة)[2] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ادعوا الله واستغفروه ، يغفر لكم ، أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله ، المتفضل على عباده بمزيد آلائه وإنعامه ، وأشهد أن لا إله الا الله ، فرض الحج ، وأمرنا بأدائه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ سيدُ أنبيائه وأصفيائه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه .

أيها الحاجُّ المسلم .

إذا قلت : لبيك اللهم لبيك ، وسعدَيك ، والخيرُ كلُّه في يديك . هناك تشعرُ بلذة كبرى . ما ترى لها من مثيل ، حين ترى الناس ، قد أفاضوا إلى بيت قد كُسيَ بالبهاء والمهابة والإجلال . فكبروا عند رؤيتهم فضل الكبير المتعال ، طافوا بالبيت العتيق ، واستداروا ، وضجّت منهم الأصوات بالدعوات ، هنالك في الأماكن الطاهرة ، هنالك في البقاع المقدسة ، هنالك عند بيت الله الحرام .

أيها الحاجُّ . قف خاشعاً خاضعاً مخلصاً ، لا رياء ولا سمعة ، من مال حلال ، وقل قولة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴿ ... **ربَّنا تقبل**

---

١ ــ متفق عليه ، مرّ سابقاً .

٢ ــ متفق عليه ، مرّ سابقاً .

منا ، **إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ ﴾**[1] . هناك تشعـر بعظمة الإسلام ، وبعـزة الإيمان ، وبالتساوي بين المسلمين ، وترى التعاطف والتراحم والتعاون والتعارف ، لا فضل لعربي على عجمي ، إلا بالتقوى .

قف أيها الحاج أمام المواجهة الشريفه ، رغم أنف كل معارض وحسود ، أمام سيدك ، وحبيبك ورسولك ﷺ صفّي الله ، وتقدم إلى جانبه ، إلى وزيريه حبيبيه أبي بكر وعمر ، وكيف بك إذا نهضت لزيارة أهل البقيع ، من أصحاب رسول الله ، رضي الله عنهم أجمعين ، فاتقوا ربكم وراقبوه ، ولا تتوانوا فيما فرضه الله عليكم ، اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا عباد الله . أن الله تعالى ، صلّى على نبيه قديما ، فقال سبحانه وتعالى **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما ﴾**[2] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، انك سميع مجيب الدعوات ، رب العالمين . اللهـم أعِزّ الإسلام والمسلمين ، وأعْلِ بفضلك وتأييدك كلمة الحق والدين ، ألّلهم من كان مناصراً ومؤيداً لدينك فانصره وأيده ، ومن شر الزمان فصنُنه ، ومن كان خاذلاً لدينك ، فخذه وأهلكه ، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها ، واجعل رائدهم جميعاً ، إعلاء كلمة الحق والدين .

---

١ ــ سورة البقرة (١٢٧) .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

اللهم خالف بين أعدائك ، وأعداء دينك ، واطمس على بصائرهم وأبصارهم ، ومزّقهم كل مُمَزّق مزقته لأعدائك ـــ رب العالمين ـــ اللهم إنك تعلم أعداء الإسلام والمسلمين ، فعاملهم بما يستحقون ، اللهم أحصِهم عدداً ، ومزقهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحدا يا أكرم الأكرمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، اللهم هيّئ له بطانة صالحة ، ترشده إلى الخير ، وتحذره من الشر ، يا أرحم الراحمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ،ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والخمسون بعد المائة :

١٢ ذي الحجة ١٣٩٦هـ
١٩٧٦/١٢/٣

(ماذا بعد عيد الأضحى) .؟

أحمدك ربي، وأشكرك ، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً على رسولك وحبيبك، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه، السادة الكرام، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه ، رب اغفر لي ذنبي، واستر لي عيبي، وفرج كربي ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[١] .

* * * *

الحمد لله، حذَّر من المعاصي والذنوب، ونهانا رحمةً بنا عن الفواحش؛ ما ظهر منها وما بطن، فهي التي تميت القلوب ، وتُحدث فيها الظلام والاضطراب والكروب، وأشهد أن لا إله إلا الله، العليم الخبير، يعلم سبحانه، ما نخفي وما نعلن ﴿ ... ، **وما يخفى على الله من شيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ**﴾[٢] .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أرسله الله بشيراً للطائعين، ونذيراً للعاصين، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين جعلوا طاعة الله وطاعة رسوله

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .
٢ ــ سورة ابراهيم (٣٨) .

من أبرزِ وأجلِّ صفاتهم، وأَوْلى أهدافهم، فكتبهم الله في الناجين، والأولياء المتقين، رضي الله عنهم، ورضوا عنه أجمعين .

أما بعد فقد قال سبحانه وتعالى .

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور ﴾[1] .

أيها المسلمون .

هكذا تدول الأيام وتنقضي، ويبقى حديث الخير والفضل والحسنات، كما قيل :

تدول أحاديث الرجال وتنقضـي

ويبقى حديث الفضل والحسنات

إن الله جلت عظمته، يأتينا بالدلائل والبراهين، على قدرته وعظمته ، ويحذرنا من الغفلة والتهاون، وكأنه بنا إذ يقول (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا إلى مخلوقاته وموجوداته، ودلائل قدرته، الدالة على وجوده وتصرفاته في الكون كله، إذاً كيف تكفرون بربكم، بعد ما عاينتم وشاهدتم جليل مصنوعاته.؟ هل لهم عقول يفكرون بها.؟ هل لهم آذان يسمعون بها.؟ فإذا كان للإنسان عقل وسمع وبصر، يفعل بها ويسمع ويبصر، فلم لا يعتبر بمرور الأيام والأعياد والشهور، كيف تطويها حركة السير الإلهية طيا .؟

قل لي بربك، يا أخي المسلم. أرأيت كيف انتهت أيام عيد الأضحى كلمح بالبصر ، فماذا رأيتم.؟ هل رأيتم فضيلة تُنشر أو رذيلة تظهر.؟ هل رأيتم حقاً ارتفع، أو باطلاً اتضع.؟ هل رأيتم الفتيان والفتيات، كيف

---

١ ـــ سورة الحج (٤٦) .

تصول، وكيف هنا وهناك تجول . هل رأيتم كيف كانوا غارقين في ارتكاب المنكرات ، ومحاربة جبار الأرض والسموات .؟

نعم. ضحّى المسلمون بذبائحهم في الصباح، وذبحوا دينهم وعقيدتهم في المساء. نعم. تقربوا إلى الله بالصلاة والدعاء، وأغضبوه بالمعاصي، والتلبس بالفحشاء. وما هكذا يكون حالُ أمة إمامُها القرآن، ونبيُّها محمد عليه الصلاة والسلام .

يميناً لا حنث فيه، لولا رحمة ربنا، وكرامةُ نبينا على الله، لنزل بنا عذاب لا قبل لنا به ، ولئن استمر الحال على ما نرى، من تهتك وفساد، ليوشِكَنَّ الله أن ينزل علينا صواعق عقابه وعذابه، لا سمح الله ﴿ **أزفتِ الآزفة. ليسَ لها من دُون الله كاشفة . أفمِنْ هذا الحديثِ تعجبونَ. وتضحكون ولا تبكون** ﴾[1] .

يا مدعي الإيمان والإسلام . هل رأيت المسلمة بنت المسلم، وهي متهتكةٌ في يوم العيد.؟ مستهترة بلباسها الجديد ، لا دين يردعها، ولا حياء يعصمها ، ولا قانون ولا دستور يمنعها، بل منحتها الحرية الكاملة ، ولا غيرةَ من أهلها توقفها عند حدها. هل رأيتها عارية، أو شبه عارية، تُرضي الشيطان، وتغضب الديان.؟ وصورهن في الصحافة، والمجلات والجرائد، أغرب وأكبر ، تُضحك لكل فاسق ماجن ، وتعرض عفافها في سوق الفجور، أمام شباب ضلّوا في زماننا هذا، وغرّهم بالله الغرور .

أيها المؤمنون .

هل رأيتم في العيد الخلاعة في الطرقات والشوارع والأسواق والمتنزّهات.؟ هل رأيتم شباب الإسلام، وقد غصّت بهم حانات الخمور وكم أنفقوا فيها من أموال، يجمعها من لا يؤمن بديننا، ولا يعترف بوجودنا ، وبائعو الخمور، يذهبون بهذه الأموال إلى بلاد الرأسمالية والشيوعية، فيصنعون بهذه الأموال ما يُهلك أمم الشرق والإسلام، فهل هذا حالُ قومٍ آمنوا بالله،

---

١ ـــ سورة النجم (من ٥٧ ـــ ٦٠) .

وصدّقوا برسوله .؟! ورسول الله ﷺ يقول : (لا يزني الزاني ، حين يزني ، وهو مؤمن ، ولا يشربُ الخمرة حين يشربها ، وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق ، حين يسرق ، وهو مؤمن) لأن مثل هذه الأعمال تتنافى مع أبسط مبادىء الإيمان . كما قال تعالى : ﴿ **قل لا يستوي الخبيثُ والطيبُ ولو أعجَبَك كثرةُ الخبيثِ ، فاتقوا الله يا أُولي الألباب لعلكم تفلحون** ﴾[1] .

يا قومنا . أجيبوا داعي الله . مضى العيد بخيره وشره ، بعزه وبُجْره فهل لنا أن نعود إلى طاعة الله ورسوله .؟ ونقلع عن الذنوب والآثام ، فنكفِّرَ عن فُسوقنا وعصياننا ، ونُرضيَ ربَّنا . هل لنا أن نتمثل أوامر الله تعالى في تربية أبنائنا وبناتنا .؟ هل لنا أن نتقي الله تعالى في نسائنا وبناتنا وزوجاتنا .؟ فلا نسمح لهنَّ بهذا الخروج الشائن ، متهتكات يجلبن العار والدمار .؟ أما آن لنا ، أن يترك شبابُنا هذا التخنث المُزريَ الفاضحَ (وقد لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال ، أي المتشبهين بالنساء من الرجال ، والمترجلات من النساء ، المتشبهات من النساء بالرجال)[2] أما آن لنا أن نتمسك بسيرة سيد الأولين والآخرين .؟

إن شباب اليوم ، إذا قلت لهم لم هذا التخنثُ[3] يا شبابنا .؟ أجابوك بكلِ وقاحة وصراحة . هكذا كان الرسول ﷺ يفعل . يجعلونه في نظرهم مخنثاً مثلهم ، وهم تاركون فرائضَ الله ، بعيدون عن كتاب الله وسنة رسوله ، وهو ﷺ ما كان مخنثاً . وحاشا لله أن ينهى عن شيء ويفعله . وهو الذي قال عن هؤلاء المخنثين ، أخرجوهم من بيوتكم . نعم . كان له شعر مرجّل تستره العمامة على قدر رأسه ، نظيفاً مرجّلا .

---

١ — سورة المائدة (١٠٠) .

٢ — روى الشيخان والامام احمد والترمذي وابو داود وابن ماجة عن ابن عباس : لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء . والبخاري ومسلم والترمذي عنه : لعن الله المتخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء .

٣ — المخنث : هو من يتخلق خلق النساء حركة أو هيئة زياً أو كلاماً ، فيلين ويتكسر في كلامه وحركاته .

قل لي بربك. هل قلدوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في جهاده وكفاحه، ودفاعه عن دينه وعقيدته، ووطنه وأمته .؟ هل قلدوه في تطبيق شريعته وسنته .؟ هل قلدوه في تقواه وشفقته على الأمة ورحمته .؟ هل قلّدوه في طاعته وعباداته .؟ هل قلدوه في عدله واتصافه في رعيته .؟

ولكن يؤسفنا أن نقول : لقد حفظ شبابُ اليوم شيئاً، وغابت عنهم أشياء . هل قلدوه في صيانة مقدساته وبلاده.؟ فوا أسفاه وواخيبتاه، ندعي ونقول بكل وقاحة، أهكذا الرسول كان يفعل ما لذ له وطاب..؟! وهو الذي قال ﷺ (ثلاث مهلكات شحٌّ مطاع ، وهوىً متبع ، واعجاب المرء بنفسه ، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه)[1] ما الذي جرى لنا يا قوم.؟ فقدنا الوطن والمقدسات، وحرمنا المقدسات والمال والأهل والولد. كل هذا ولا عظة ولا اعتبار ..؟!

أم ضاع مِنَّا الحياء والكرامة والشرف. فبالله عليكم لا تَّدعوا الإسلام. لا تدعوا الاتباع برسول العرب والعجم؛ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . أين الإسلام منا يا مسلمون .؟ أهو في القلوب موجود، أم غاب عنا فهو غير مشهود .؟

الإسلام نفسُه يُذبح بأيدي المسلمين كلَّ يوم، وكل صباح ومساء. الإسلام حائر مكتوف الأيدي، لا يأتي بجواب، واللطمات والضربات تتوالى عليه من كل مكان ، الفواحشُ ترتكب جهاراً نهاراً ــ كما سمعنا وتحرينا ــ في المتنزهات والطرقات، فإن واجب خطيبِ الجمعة ان يفهم حالة البلاد وواقعها، وما في مجتمعها من فساد، ليحذِّر الناس من قُربه وإتيانه . والذي زاد في الأمر عجباً ــ وأسفا ــ ما نراه ونشاهده ونسمعه، من هنا وهناك .

---

١ ــ رواه الطبراني في الأوسط عن أنس ، بسند ضعيف .

أيها الناس . اعملوا ما شئتم ، فالموت داعٍ حثيثٌ وراءكم ، والقبر أمامكم . وعلى الصراط مسيركم ، والقيامة موعدكم ، والرسول يقول (البِرُّ لا يبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديان لا يموت ، افعل ما شئت ، فكما تدين تدان)[١] فاتقوا الله ، وتوبوا إليه ، واسألوه الهداية والتوفيق لصالح الأعمال ، وأن يرحمنا ، ويبلغنا بفضله غاية الآمال .

يقول رسول الله ﷺ (أيُّ امرأةٍ استعطرت ، فمرَّت على قومٍ ليجدوا ريحها ، فهي زانية . وكل عين تنظرها زانية)[٢] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم ، أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله ، كتب السعادة لمن اتبع هداه ، وامتثل أمر مولاه ، وأخلص له العمل ، وتجنّب الرياء ، وترك التظاهر والتفاخر ، لتكون عبادته لله خالصة ، فيحفّها القبول ، وتفتح لها أبواب ، السماء وأشهد أن لا إله إلا الله ، الحليمُ على من عصاه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خيرُ من أطاع مولاه ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . إن الطاعة مع الإخلاص ، نورٌ وضياء وسعادة وهناء ، وهي بدون الإخلاص ظلام وعناء ، وتعاسةٌ وشقاءٌ ، العبادة مع الإخلاص في العمل تشرح الصدور ، وتُنير القلوبَ ، وتُرضي علام الغيوب ، فاتقوا الله في أعمالكم ، وفيما بقي من أيام عيدكم ، واعتبروا بمرور الساعات والأيام والأعوام . ﴿ ... وتلك الأيام نداولها بين الناس ... ﴾[٣].

---

١ ـــ مرّ سابقاً رواه البيهقي عن أبي قلابة وابو نعيم والديلمي عن ابن عمر .

٢ ـــ رواه الامام احمد والنسائي والحاكم وصححه عن ابي موسى . ورواه الترمذي عن أبي موسى كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية .

٣ ـــ سورة آل عمران (١٤٠) .

اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى ، صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾**[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم، حتى ترضى ويرضى، وارضَ اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا لقائك. ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير . اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين. اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ شعوبها وحكامها وقادتها يا رب العالمين. اللهم ألهمْهم العمل بكتابك، وسنةِ رسولك، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال، اللهم هيّءْ له بطانة صالحة، بطانة عملٍ وخير، تحضه على الخير، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين . اللهم اجعل من أعيادنا الإسلامية عظة وعبرة للمسلمين، ليسيروا على قدم أسلافهم الماضين .

اللهم اسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين، وألف بين قلوبنا، واشرح صدورنا يا أرحم الراحمين. ولا تؤآخذنا بما فعل السفهاء منا يا رب العالمين ، اللهم عاملنا بما أنت له أهل، ولا تعاملنا بما نحن له أهل. إنك اهل التقوى وأهل المغفرة .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[2] .

؟ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .
٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والخمسون بعد المائة :

٢٦ ذي الحجة ١٣٩٦هـ

١٩٧٦/١٢/١٧

« وداع عام مضى، واستقبال عام جديد مبارك »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد، عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه وتابعيه، مستمداً من الله العون والمعونة والتوفيق. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا لأحد من الناس، وأصلح لي شأني كله . رب اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي، يامن عليه اعتمادي، وأسلمت إليه نفسي وفؤادي، لا تخزني في مواقفي، ولا في يوم معادي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكَرَ أو أراد شكوراً** ﴾[٢] سبحانه، جعل تعاقبَ الليل والنهار ، وانقضاء الشهور والأعوام، موضعَ عبرةٍ للمعتبرين ، وذكرى للمؤمنين ، الذين يخشون عقابه، ويرجون مغفرته وثوابه ، وأشهد أن لا إله إلا الله، الدائم

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

٢ ــ سورة الفرقان (٦٢) .

الباقي، بعد فناء خلقه ﴿ ...، **كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وَجْهَهُ، له الحُكْمُ وإليهِ تُرْجَعونَ** ﴾[1] .

سبحانه من إله، تعالى في عظمته وألوهيته، له الأمر، وإليه المصير، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً رسول الله، البشيرُ النذير، إمامُ المتقين، وقدوة العابدين، ومرشدُ السالكين إلى طريق الفلاح والعزة والفوزِ الكبير، طريقِ الله المستقيم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين اتخذوا من مرور الأيام والليالي، مطايا ونجائب يستعينون بها على عمل صالح، إلى دار النعيم المقيم، فتتلقاهم الملائكة بالبشرى ﴿ ... **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[2] .

أما بعد . فقد قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ ...، **إن وعد الله حقٌّ، فلا تغرَّنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنَّكم بالله الغرورُ** ﴾[3] .

أيها المسلمون . انتهى عام من أعمارنا، سجَّل الملائكة الكرام فيه كلَّ أعمالنا؛ من خير، أو شر، أو صلاح، أو فساد .

إذَن فواجبُنا جميعاً، أن نقوم بعملية جرد، كما يفعل تجار الحياة الدنيا في نهاية كل عام، ليعرفوا ما ربحوه وما خسروه، خلال العام الذي مضى عليهم . أجل. فالمؤمن الذي يوقن بيوم الحساب، واجبُه أن يعرف في نهاية عامه، ما قدمه من خيرات وحسنات، وما اقترفه وجناه من السيئات. واجب هذا المؤمن؛ أن يوازن بين اليوم والأمس، لتبينَ له سيئاته وحسناته، فإن كانت حسناتنا أكثر من المعاصي، حمدنا تعالى على ذلك، وطلبنا منه المزيد من الهداية والتوفيق، وإن كانت سيئاتنا أكثر، لجأنا إلى الله بالتوبة والاستغفار، وتبنا إلى الله توبةً نصوحا، خالصة لله، لنفوزَ برضاء الله الكريم، ونتغلَّبَ على شهواتنا وأهوائنا، ونتفقه في الدين. إن المؤمن الصادق، الذي

---

١ ــ سورة القصص (٨٨) .

٢ ــ سورة الزمر (٧٣) .

٣ ــ سورة لقمان (٣٣) .

يجب أن يلقى ربه سليماً ، ينظرُ في حسناته . هل أدّى فرائض الله على وجهها الأكمل ؛ من صلاة وصيام وحج وزكاة .؟ هل مدَّ ظِلَّ جاهه ، فأعان غيره .؟ هل واسى مصاباً ، وأعطى فقيراً أو مسكيناً .؟ هل أعان من لا جاه له ، ولا واسطة عند المسؤولين ، هل قام بحق بنُصرة وطنه ومقدساته ، وسعى لاستردادها .؟ هل بذل من وقته وماله ، ما يسعد أمته ووطنه .؟

هل ساهم في مشروع خيري حيوي وطني ، ليرفع من شأن أمته ، ويُعْلي من مكانته بين العالمين .؟ هل بنى داراً للعلم والفقه لتعليم دين الله وإعلاء كلمة الله .؟ هل نزه هذا المسلم الذي يدعي الإسلام نفسه عن ظلم عباد الله . وأَكلِ أموالِهم بالباطل .؟ هل قام عالم اليوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهر بكلمة الحق في المكره والمنشط . لإعلاء كلمة رب العالمين .؟ هل بثّ بين أهله وعشيرته ، وزوجته وأبنائه وجيرانه تعاليم الشرع المبين .؟ الجواب يعرفه كل واحد منكم .

أيها المسلمون في زمن الغفلة عن يوم الحساب .

إن العاقل يبدأ بحساب نفسه ، إذ يقول عليه الصلاة والسلام ، (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزِنوا أعمالكم ، قبل أن توزن عليكم أعمالكم)[1] .

نعم . فلنحاسب أنفسنا ، ليرى ويعلم كلٌّ منا أعماله ﴿ **فمنْ يعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ خيْراً يَرَهُ . ومن يعمل مِثقال ذرَّةٍ شرّاً يَرَهُ** ﴾[2] .

أجل أيها الناس . لا تسأموا ولا تملُّوا أبداً .

إن عملية حساب النفس ، ضربةُ لازبٍ على كل أحد ؛ من ذكر أو أنثى ، عالمٍ أو جاهل ، حاكمٍ أو محكوم ، سائل أو مسؤول ، لا فرق في

---

١ ـــ المعروف أنَّ هذا قول لسيدنا عمر بن الخطاب .

٢ ـــ سورة الزلزلة (٧ ـ ٨) .

ذلك أبدا . لأنهم كلُّهم عبيدٌ أمام الله ، يوم الحسرة والندامة ، إذ لا بد لنفسك من حساب ، قبل أن يحاسبك المنتقمُ الجبار ﴿ **يومَ تجد كلُّ نفسٍ ما عملتْ من خيرٍ مُحْضرا وما عملت من سُوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمَداً بعيداً ، ويحذرُكم الله نفسه ،** (أي عقوبته) **والله رؤوف بالعباد** ﴾[1] .

فيا فضيحة من ارتكب المعاصي والذنوب ، سِراً وجهراً . وهو سبحانه يعلم السرّ وأخفى . ويا خيبة من فعل السوء في عامه الماضي ، واكتسى بالآثام والعيوب ، ويا سعادة ويا فوز من وفقه مولاه في عامه المنصرم ، لعمل الصالحات ، والإكثار من الحسنات والطاعات .

أيها المسلمون . ودِّعوا عامكم ، الذي انقضى بالتوبة والاستغفار . وتوبوا إلى الله من جميع الذنوب والأوزار . وتهيئوا للعام الهجري الجديد ، بعمل صالح دائب ، بإخلاص وصدق وتعيين . استقبلوا عامكم الهجري ، وتذكروا دائماً ؛ عند كل كتاب ، ورساله ذكر ، تاريخكم الهجري ، الذي أمر به خليفة الإسلام والمسلمين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه . وإنك لترى الكثير من الناس قد أهملوا التاريخ الهجري ، وتمسكوا بغيره . فما هذا هو حال الإسلام والمسلمين . تذكروا يا قوم . هجرة نبيكم وحبيبكم ، صلوات الله وسلامه عليه ، من وطنه الأول . وفي هذا يَذْكُرُ المسلمون هجرة رسولهم ، فيتمثلُ أمام أعينهم ، ذلكم التاريخُ المجيد الخالد ، الذي سجل للرسول وصحبه الأمجاد أجلَّ صفحات الخلود . يذكرون يومَ كلفه ربه أن يصدع بما يؤمر ، ويدعو إلى التوحيد ، ويرسم للناس طريق الخلاص . من الفساد والظلم والاستبداد والبغي ، ويُخْرِجَ المجتمع الضال ، الذي كان يعيش في الجهالة الجهلاء ،

---

١ ـــ سورة آل عمران (٣٠) .

من ظلمات متراكمة إلى نور الهداية ، الذي شرح الله به الصدور ، وأنار البصائر ، فقد دعا الناس إلى الهُدى ودين الحق . نعم . توجّهَ الناس إلى الهُدى ودين الحق . نعم انفضّ الناس من حوله في بدء دعوته ، لهم وقد أخذوا يناوؤنه ، ويعلنون عداوته إذ انهم رأوْا هذا النور الإلّهيّ بدأ يَشُق طريقه إلى بعض ذوي القلوب المُشرقة ، والعقول النيرّه ممن لم تفتنهم زهرةُ الحياة الدنيا ، ولم تُبطرهم النعمةُ ، ولم يُلههم حُب الجاه والغطرسةِ ، والتسلط والسيادةِ ، فامتدت أيدي الطُغاةِ المتجبرين بإيذاء رسول الله ، ﷺ وتعذيبِ أصحابه ، وقد حاولوا جُهدهم ليطفئوا نور الله ، مع هذا الرسول ، تارةً باللين ، وتارةً بالشدة . وكانت شدة اليهود والمشركين عليه أكثر وأكثر .

عرضوا عليه سيادةَ المُلك والسلطان ، فأباها . كما عرضوا عليه الرياسةَ والزعامة ، والجاه والمال والنساء ، لترك دعوته التي ستحطم بنيان الظلم ، وتدكُّ صروح البغي ، وتسوّي بين الناس ، وهو ﷺ هو لا يزال متمسكا بربه ، قائلاً (اللهم أزل عن قلبي حُب الرياسة ، وجميع الشهوات والرعونات) وهناك وقع له ما أراد له ربه ، فلا سيد ولا مسود . بل الكل امام الله في الحق سواء ، وفي نعمه وأياديه شركاء ، حاول اليهود والمشركون والكافرون ، طمس هذه الدعوة بكلّ ما أوتوا من قوة ودهاء وخبث . ولكن الله العلي القدير ، دفع عن رسوله كل وباء وبلاء ، فردَّ كيدهم في نحورهم ، وكان كما قال سبحانه ﴿ **يُريدون ليطفئوا نورَ الله بأفواههم والله مُتمُّ نورِه ولو كَرِهَ الكافرون** ﴾[1] .

أيها المسلمون . يا من غرتهم الحياة الدنيا . إن رسول الهداية ، ما غرّته هذه الدنيا الواسعة الشاسعة العريضة ، التي عرضوها عليه ، وما اهتم لِلبَلاء الذي نزل به وبأصحابه ، وهو لم يبال بالتهديد والوعيد .

---

١ ــ سورة الصف (٨) .

الذي توُّعدوه به . بل وقف كالطود الشامخ ، يدعو الى الله على بصيرة ، لا يبالي بأحد ما دام ذلك في سبيل مرضاة الله . فقد كان ﷺ في هذه الفترة العصية ، يُربي أصحابه واتباعه ومعاونيه ، على الثبات والصمود والصبر ، وقوة الاحتمال ، لأنه كان يُعدهم ويهيئهم لمواقف فاصلة حاسمة ، يرفعون فيها لواء الدين الحنيف ، وينشرون كلمة الله .

الحمد لله ، فقد انتشر الاسلام بعد دعوة دامت ثلاثاً وعشرين سنة ، وعلا صيته في الآفاق ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانكشفت الغشاوة عن أهل مكة ، فاستجابوا لله والرسول ، وقد عفا عنهم ، وهو على مقدرة من معاقبتهم ، كان يناديهم لكلمة التوحيد فينفضُّون من حوله ، أتى عليه يوم في حجة الوداع ، يخطب الناس ، وبين يديه آنذاك مائة وخمسون ألف مسلم كلهم يرددون لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

أيها الاخوة الصامدون في قلب فلسطين ، حول مقدساتكم في القدس والخليل ونابلس وغيرها من البلاد . خذوا من دروس الهجرة عبرةً ، وأي عبرةٍ ، خذوا منها دروس الصبر والثبات ، واحتمال الأذى في سبيل الحق ، والتمسك به ، واعلموا أن النصر لأهل الحق دائماً ، مهما طال الزمن ، ومهما تآمر المستعمرون والظالمون والباغون .

إذا الحادثـــات بلغن النهـى
فعنــد التناهي يكون الفَـــرَجْ

إن الذي يطالب بحقه المشروع ، لا بد وأن يتحمل في سبيل دعوته ، ما تفرضه عليه الظروف ، من محن ومتاعب ومشاق ، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ وصحبه الأبرار ، ولقد قال ﷺ لابن عباس ،

رضي اللّٰه عنه ، في مواطن الشدة ، وتأزمها : (واعلم يا ابن عباس ، أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا)[1] .

ليس للعــرُب من حيــاةٍ إذا لــم
يُجمــع العُــربُ أمرهــم للجهــاد
للمغيريــنَ عُــدةٌ عَتَــادٌ
أيّ شــأن لفاقــد استعــداد
فأعــدوا لهــم ما استطعتــم دفاعاً
وقــوى لا تليــن للأضــداد
لا يفــلُّ الحديــد غيــر حديــد
قــوة العــرُب عِــزةُ الأمجــاد

اذكروا اللّٰه يذكركم واسألوه يعطكم واستغفروه يغفر لكم . وادعوا اللّٰه وانتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، جعل المؤمنين أعزة لا يقبلون ضيماً ، واحراراً لا يرتضون هوانا ، سبحانه من إله حكيم ، يعز المؤمنين الذين اعتصموا بكتابه ، ونشروا دينه وأشهد أن لا إلٰه إلا اللّٰه يجعل من الضيق فرجا ، ومن العسر يسرا ، ومن الشدة رخاء ، ويمن على المستضعفين بالقوة والعزة ،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أفضل من هاجر طلباً للحرية والاستقرار . اللهم صلّ وسلم وبارك ، على سيدنا محمد وارض عن أصحابه من المهاجرين والأنصار ، واسلك بنا طريقهم ، واهدنا بما هديتهم به ، واحشرنا في زمرتهم ، ونور بالايمان قلوبنا ، واشرح بالقرآن صدورنا ، وشفع فينا نبينا . إنك خبير وبصير. نعم المولى ، ونعم النصير .

---

١ - رواه البيهقي .

أيها المسلمون . لا تظنوا أن النصر مع الكثرة . فقد كان انصار سيدنا محمد وأعوانه حفنة ، لكنهم كانوا رجالا من صنعة الله ، ارسلوا كلمة التوحيد من أفواههم ، خالصة بها نفوسهم ، فدوت في جميع أنحاء هذه المسكونة ،في المشارق والمغارب ، فاهتزت منهم أعوان الظلم والجور والاستبداد ، وقد اصبحوا سادة الأمم ، وقادة الشعوب ، وانشدوا من كتاب الله المجيد ﴿ ...، **نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ ، وبَشّرِ المؤمنين** ﴾[1] . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالآيات والذكر الحكيم . إنه تعالى جواد كريم مَلِك برٌّ رؤوف رحيم . فاتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، تعظيما له وتكريماً ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى صحبه وسلم ، حتى يرضى ، وارض اللهم عن ساداتنا ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، اللهم انصرنا ، فإنك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك ، لاعلاء كلمة الحق والدين . اللهم أعز الاسلام والمسلمين . اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت . اللهم الف بين قلوب المؤمنين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، وَهيِّءْ له بطانة صالحة مؤمنة ، تحثه على الخير ، وجنبه مواطن الزلل .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الصف (١٣) .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السابعة والخمسون بعد المائة :

١١ محرم ١٣٩٧هـ

١٩٧٦/١٢/٣١

(تعاوننا المثمر يرفع من شأن امتنا)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، واستغفرك ، وأصلي وأسلم على صفوة خلقك الداعي الى جمع كلمة المسلمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، رب اغفر لي ذنبي ، واستر لي عيبي ، وفرج لي كربي ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، الذي دعا المسلمين الى الجماعة والاتحاد ، ليكونوا أمة خير واصلاح وفلاح ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الآمر بجمع القلوب وتصفيتها من الأحقاد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، حذرنا من الشقاق والتفرق والاختلاف والعناد . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يُبيّنُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾[1] .

أيها المسلمون . في الزمن النفاق والخداع . هذه آية محكمة صادقة من كتاب الله ، تُرشدنا وتهدينا الى كل ما فيه نجاح وفلاح ، وعز وسؤدد ، ورقي وفوز وفخار ، الا هو العمل على رفع شأن الأمة ، بالتمسك بكتاب الله ، والأخذ بأسباب جمع الكلمة والاتحاد والاعتصام بحبل الله ، في ظل راية الدين الحنيف .

أيها المسلم في كل مكان وزمان . الاتحاد هو السلاح البتّار ، القاطع القاهر لعدو الاسلام والمسلمين ، وهو مبدأ شريف ، من أجل مبادىء الاسلام ، وأفضلها وأعظمها عند الله ، دعا إليه القرآن الكريم ، حتى إنه جعل تركه من الكفر والاشراك . قال تعالى تأييداً لذلك ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله ولم يُفرّقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيما** ﴾[2] .

وذلك ليكون المسلمون إخوانا في الله ، أنداداً في الانسانية ، أكفاءً في الدين ، متماسكين متوادين متحابين . من أجل هذا ، فقد ألغى الاسلام جميع الفوارق والفُروق والمميزات ، وأزال العصبية القبليه بقوله : ﴿ ... ، **إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾[3] . فما كان أصل الناس إلاّ واحداً كما قال عليه الصلاة والسلام (كلكم لآدم

---

١ ــ سورة آل عمران (١٠٣) .

٢ ــ سورة النساء (١٥٢) .

٣ ــ سورة الحجرات (١٣) .

وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عَجَميٍّ إلا بالتقوى)[1] أي ما كان أصلهم واحد ، إلاَّ ليكونوا جميعا سواسيةً ، ولا كان ربُّ الناس واحداً ، إلا ليكونوا جميعاً عبيداً لله ، وما كان رسول هذه الأمة واحداً ، إلا ليكونوا جميعاً أتباعاً في قوله وعمله ، وما كان دينُهم واحداً ، إلا ليكونوا جميعاً مسلمين ، لو أننا درسنا رُوحَ الدين ونصوصَهُ ، لوجدناه يرمي — بجميع تعاليمه — إلى الوحدة والاتحاد ، وإنك لترى الله العليَّ الكبير ينادي الناس جميعاً بنداء واحد ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ ولم يكن ذلك في نصوص الدين الكلامية فقط ، ولا في نظرياته العلمية فحسب ، بل إن ذلك موجود في فرائضه العملية ، والشهرية والسنوية ، يعني أن جميع أركان الإسلام ، بهيئتها وصورتها ومعناها ومغزاها ، تدعو المسلمين جميعاً ، إلى الجماعة والاتحاد .

أيها المسلمون في زمان التفرقة والإنحلال .

لقد كانت أمة الإسلام من قبلُ قوةً جبارةً ، وصولةً باطشةً وسلطاناً قاهراً ، وقوةً غالبةً عادلة ، وحصناً منيعاً . وذلك أمرٌ طبعيٌّ في أمة تجمعت أفرادها ، واتحدت جماعاتها ، وتوحدت قياداتها ، وتشاكلت وتشابهت مذاهبُها ومبادؤها ، وتلاقت أهدافها وميولها ، ولا عجب إذاً إذا ، حدَّثنا التاريخُ الإسلامي بعد ذلك ، إن المسلمين يوم كانوا قوةً

---

٤ — رواه البيهقي ، وقال في اسناده بعض من يجهل عن جابر : وتمامه : خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : أيها الناس إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على احمر الا بالتقوى . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، الا هل بلغت ، قالوا بلى يا رسول الله . قال فليبلغ الشاهد الغائب .

وروى البزار في مسنده عن حذيفة بن اليمان كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان .

وروى الطبراني : المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى . وروى ابن جرير عن ابن لهيعة : الناس لآدم وحواء ، طف الصاع لم يملؤه ، إن الله لايسألكم عن احسابكم ولا عن انسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وروى ابن سعد في طبقاته : الناس ولد آدم ، وآدم من تراب . عن أبي هريرة ، وسنده حسن.

موحدة ، طوَّحوا بسلطانها الجبابرة والفراعنه ، وذلك كلُّه يوم كان الإسلام ديناً ودولة ، على يدي الفاروق ، خليفة المسلمين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولا غرو ولا عجب ، أن يروي لنا التاريخ أن وحدة الإسلام والمسلمين قضت على أعظم دولتين في الأرض ، هما ، فارسُ والروم . إذَنْ ما فائدة المسلمين من أداء شعيرة من شعائر الإسلام كالحج ، فإنك ترى المسلمين جميعاً ، في كثرة كاثرة ، يحجون إلى بقعة واحدة ، هي مكة المكرمة ، ويطوُفون حول بيت واحد ، وهو بيت الله الحرام ، وذلك ليربط الناس والمسلمين جميعاً برباط وثيقٍ واحدٍ . ليتدبروا أمر قصورهم وتقصيرهم هناك ، كي يكونوا أمة تخشى صولتها الأمم ، وقوةٌ تحسبُ حسابها الشعوبُ ، تغضب لها إذا غضبت ، وتضحك الدنيا لها إذا رضيت ، ترهبُ الأعداءُ بأسهم ، ويخطب الأصدقاء وُدهم ، وهكذا كانت أمة الإسلامٌ من قبل .

أيها المسلمون في كل مكان . إن أعداءكم ما فازوا عليكم وما تفعلوا ، إلا باتحاد كلمتهم وعلومهم المستحدثة ، التي بها دمار العالم وفناؤه . أنا بلونا المستعمرين ، وعجمنا عودهم ، فألفيناهم لا يطئطئون الرؤوس الا لعظمة الأساطيل ، ولا يزعج سمعهم إلا دوي الطائرات ، ولا يعمي أبصارهم إلا بريق السيوف ، ولا يصافحون إلا يداً حديدية ، ولا يضعون أرجلهم الا على أفواه الملايين من الناس ، ليسدوها عن النطق بالحق ، وعدم المطالبة .

إن الوطن العربي ، وطنٌ واحد ، في أرضه ولغته وعقائده وتاريخه وعاداته وتقاليده ، ويجب أن يكون كذلك ، في واقعه السياسي . وقد استطاع المستعمرون ، في غفلة من الحق وأصحاب الحق من المسلمين ، أن يُقسِّموا الوطن الإسلامي إلى دويلات ، ويضعوا لكل دولة حدوداً

مصطنعة ، وذلك كلّه تمزيق وحدة المسلمين ، والأمة العربية الإسلامية مطالبةٌ في أيّ جزء من أجزاء الوطن ، أن يعمل رجالها وقادتُها متعاونين ، لإعادة توحيد وطنهم المجزأ ، وإلا فقد استحقوا كلمة العذاب بفقد حريتهم ، وضياع كرامتهم .

أيها المسلمون . إن توحيد الأمة العربية والاسلامية ضرورة ، يحتمها ويوجبها كفاحُهم للاستعمار ، في جميع صوره وأشكاله .

يقول رسول الإسلام ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (يد الله مع الجماعة) وفي رواية : (يدُ الله على الجماعة)[١] . ويقول عليه الصلاة والسلام (لا تختلفوا ، فتختلف قلوبكم)[٢] . أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، أعزّ المسلمين بتوحيد قلوبهم ، وربط بين أفئدتهم ، وقوّى شوكتهم ، ما داموا متمسكين بكتاب ربهم المجيد ، تعالى شأنه ، وعظم سلطانه ، انفرد بالألوهية ، فلا إله سواه ، واتصف بالوحدانية ، فلا معقب لما أراده وقضاه ، وأشهد أن لا إله إلا هو الواحد الفعال ، لا شريك له في مُلكه ، وهو الكبير المتعال ، تميد الجبال من خشيته ، وتعنو الوجوه لعظمته ، وتضطرب القلوب من جلاله وهيبته .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسوله الكريم ، دعا الناس إلى الوحدة ليكونوا جميعاً على قلب رجل واحد ، لا تفرقهم الأهواء والأعداء ، فاستجاب له السعداء ، وتخلّف عن قبول دعوته الأشقياء ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، كلما دعا داعٍ إلى تنزيه الله وتوحيده .

---

١ — رواه الترمذي عن ابن عباس .

وبعد : فيا أيها المسلمون . يقول الله لعباده المؤمنين الموقنين ، في محكم تنزيله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين** ﴾[1] .

نعم . إنكم تنطقون بالشهادتين ، فطهِّروا قلوبكم من الأحقاد والبغضاء والأرجاس ، واعلموا أنه مهما تجمعَّت سُحُبُ اليأس ، على بعض الناظرين في حال المسلمين اليوم ، فإنه لا يزال المخلصون ، العاملون لإعلاء كلمة الله ، وحفظ كرامة الوطن العربي ، وجمع كلمة الأمة العربية الإسلامية .

انهم يعملون في دأب ، ويعتقدون اعتقاداً لا يخالطه شك ، أن النصر لا بد وان يكون بجانب هذه الأمة ، بإذن الله والله مع الصابرين . دليلنا على ذلك ما وعدنا الله الكريم في كتابه ﴿ ... **وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين** ﴾[2] .

وهذا وعدٌ من الله ، ومن سنن الله الجارية ، أن وعدَ الكريم لا يتخلف ، وأن كلمة الله ستعلو ، والحق يعلو ، ولا يُعلى عليه ، اتقوا الله حقَّ تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، تعظيماً له وتكريما ، فقال : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، حتى يرضى ، وعلى آله وصحبه وسلم ، تسليماً كثيرا .

---

١ ــ سورة الانفال (٤٥ ــ ٤٦) .
٢ ــ سورة الروم (٤٧) .
٣ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات . انك سميع مجيب الدعوات ، رب العالمين . اللهم يا مثبت القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها يا رب العالمين . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك وتوفيقك كلمة الحق والدين.

اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت ، اللهم لا نيأس من رحمتك ، وندعوك دائماً وأبدا ، فإنك تحب الملحين في الدعاء يا رب العالمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك ، الحسين بن طلال . اللهم هيّء له بطانة صالحة مؤمنة ، تحضه على الخير ، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والخمسون بعد المائة :

٢٤ محرم ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/١/١٤

« تباعدوا عن أذى المسلمين »

أحمدك ياذا الفضل والجود والكرم، وأستغفرك، وأتوب إليك يا وليّ النعم، وأصلي وأسلم على نبيك وحبيبك ورسولك المفرد العلم، وعلى آله وصحبه ذوي المكارم والهمم .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★

الحمد لله، العليم بما كان وما يكون ، المدبر الحكيم، فلا يسأل عما يفعل، وهم يُسألون ، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، صفوة الخلق ، وعين الكمال ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيل الهُدى إلى يوم الدين. يوم يُخزي الله الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **ولقد كَرَّمْنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيِّباتِ ، وفضَّلناهُمْ على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا** ﴾[1] .

أيها الناس .

لقد اقتضت حكمة الله، العليم الحكيم، أن يخلق هذا العالم على أكمل نظام، وأبدع إحكام ، واختار من بينه هذا النوع الإنساني، للخلافة في الأرض ، والقيام بالعدل ، لِيُكمِّل العُمران، ويتِمَّ النظام . خلق الإنسان فسوَّاه وعدَّله ، وأبدع خلقه، وأحسنَ صورته، ونفخ فيه من روحه، فتبارك الله أحسنُ الخالقين .

أُودع فيه العقل، لِيُميِّز بين النافع والضار، ويُفرِّق بين الحق والباطل، والقبيح والحسن ، وركّبَ فيه من القوى والحواس، ما يستعين به على أمور دينه ودنياه ، وأقام له من دلائل وحدانيته، وآيات علمه وقدرته ما يجعله معترفاً بعظيم سلطانه، وجلال ربوبيته، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ليقوم بشكر نعمته ، ويمتلىء قلبُه بمحبته، وسخر العوالم كلَّها لمنافع هذا الإنسان وخدمته، كما قال: ﴿ **الله الذي خلق السمواتِ والأرضَ وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخَّرَ لكم الفُلكَ لتجريَ في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهارَ. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموهُ، وإن تعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلومٌ كفار** ﴾[2] .

فمن أنعم الله عليه بهذا التكريم العظيم، ومنحه هذا السلطان العظيم، يجدُر به أن يكون مصدرَ الخير ، ومثالَ الكمال ، وعُنوانَ الرحمة .

---

١ ــ سورة الأسراء (٧٠) .

٢ ــ سورة ابراهيم (٣٢ ــ ٣٣ ــ ٣٤) .

يا مسلم .

من خصّه الله بهذا الفضل الكبير . يجب عليه أن يكون كالملائكة؛ في طهارة القلوب وصفاءِ النفوس ، والوقوف عند حدود الله ، والبعد عما يوجب غضب الله وسُخطه .

يجب على هذا الإنسان ، الذي غمرته النعمة ، أن يتحلى بمحاسن الصفات ، ومكارم الأخلاق . يجب على هذا الإنسان ، أن يتباعد عن مظاهر الجبروت والغطرسة والعظمة والكبرياء . يا ابن آدم . أوّلُكَ مادة قذرة ، استقرت في الرحم ، وآخرك جيفة قذرة[1] فما هذه العنعنة .؟ إن من انعم الله عليه بنعم لا تحصى ، ومكارم لا تُستقصى ، يجب عليه أن يتحلى بمحاسن الصفات ، ورفيع الأخلاق ، يجب عليه أن يتباعد عن مظاهر الجبروت والكبرياء ، والانتقام والاعتداء ، والشر ، والفساد والإضرار بالناس .

أيها المسلمون .

في زمن الغرور والخداع والنفاق . اللائق بمن عامله الله بعدله ورحمته ، ووسِعَهُ بكرمه وحلمه ، أن يكون من الذين يمشونَ على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، يجب عليه أن يكون في معاملة خلق الله رؤوفاً رَحيماً ، فلا يكن جبَّاراً عصيّاً ، أن يكون حكيماً حليماً ، متسامحاً كريما ، فبعدله يكبح جماح نفسه ، ويكبح جماح الظالمين المعتدين ، وبه تطمئن قلوب المستضعفين ، من ذوي الحقوق المهضومة المكلومة .

وبرحمته وشفقته وعطفه ، تقل ويلات الأرامل والثّكالى واليتامى ، وتخف آلام البؤساء ، والمساكين ، وبحكمته وحزمه ، يدبر أمر نفسه وبني قومه وأمته ، ليعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، وبحكمه وتسامحه يملك القلوب ، وتخضع له النفوس ، وبه وبأمثاله يعيش الناس آمنين مطمئنين .

---

١ ـــ هذا قول لسيدنا علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه .

أيها الناس .

يا من غرتكم الشهواتُ والملذات. إن من تخلّق بهذه الأخلاق الكريمة ، وتجمّل بهذه الشمائل السامية الحميدة ، وسلك سبيل الهدى والاستقامة ، وسلمت الناس من يده ولسانه ، كان عند الله وجيهاً ، وصار مَلَكاً كريماً، في صورة إنسان رحيم . أما من خُبثت نفسه، وتجرد من الإنسانية، ومن الأخلاق الفاضلة ، وعاثَ في الأرض فساداً، وكان مصدراً للأذى والشر ، وداعيةً للتفرق والتنازع، فهو لا شك شيطان رجيم، وبلاء على الناس عظيم، فما أتعسه في الدنيا، وما أشقاه في الآخرة، قال تعالى ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وَإثماً مبينا** ﴾[1] .

فاتق الله أيها المسلم. واجعل حظك من الدنيا نيل مرضاة الله ، قدِّم لنفسك خيراً، تجده عند الله ، يامن اغترّ بالدنيا، وزينتها وشهواتها وملاذّها. هلاّ أثرت فيك المواعظ، فرجعت إلى ربك.؟ إرجع إلى الله، فإنك إن رجعت إلى الله وتبت إليه، عشت عزيزاً كريماً. وإن فارقت جيفة هذه الحياة الدنيا، لم يمت ذكرك، وكنت عند الله والناس محموداً، ولقيت من ربك خير الجزاء. واسمع قولة ربك، بما قدمت من صالح الأعمال ﴿ **إنه من يأتِ ربَّهُ مُجرماً فإن له جهنَّمَ لا يموت فيها ولا يحيا. ومن يأْتِهِ مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلى. جنّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها، وذلك جزاءُ من تزكّى** ﴾[2] . أي من تطهر من أرجاس الكفر والمعاصي .

أيها الإنسان الغافل. أيها المسلم في زمن الإلحاد والضلال . لقد بينّا لك سبيل الهداية. فوالله إن سبيل الهدى لواضح، فاسلكه ، وطريق الفلاح

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٨) .

٢ ــ سورة طه (٧٤ ــ ٧٥ ــ ٧٦) .

بيِّن، فلا تعدل عنه، فإنك إن سلكت سبيل الهدى، فأنت الرابح السعيد، وإن عدلت عن طريق الفلاح، كنت من الأشقياء الخاسرين. فما أسعد الموفقين الفائزين، وما أشقى المخذولين المحرومين ﴿**مَثَلُ الفريقين كالأعمى والأصمِّ والبصيرِ والسميعِ، هل يستويان مثلاً، أفلا تَذَكَّرونَ**﴾[1].

قال عليه الصلاة والسلام (إتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنةَ تمحُها، وخالق الناس بخلق حَسن)[2] روى الإمام المقدسيُّ عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال : (أوصاني خليلي (أي رسول الله) بأربع كلمات هُنَّ إليَّ أحبُّ من الدنيا ــ هذا كان زمن المسلمين ــ وما فيها . قال لي : يا أبا ذرٍّ أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد، والله تعالى يقول ﴿ ... ، **وتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى** ، ... ﴾[3] قال له استكثر الزاد، فإن السفر طويل ، وخفف ظهرك، (أي لا تُحملّ نفسك من الذنوب والمعاصي فوق طاقتها) خفف ظهرك، فإن العقبة كؤود، (أي صعبة، وأخلص العمل، فإنّ الناقد بصير)[4] أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، يغفر لكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله، أمرنا بالتحلي بالفضائل ، ونهانا عن الوقوع في مهاوي الضلال والنقائص والرذائل ، لا إله إلا هو الحكيم العليم، ونعوذ بالله، ونلجأ إليه سبحانه، مما نزل من البلايا والفتن ، ونعوذ بالله من التقليد في سيء الأخلاق، وقبائح البدع والضلالات .

الحمد لله، جعل الدنيا دار كسب وعمل ، والآخرة دار ثواب وعقاب ولا عمل، الذي خلق الموت والحياة، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً،

---

١ ــ سورة هود (٢٤) .
٢ ــ رواه الترمذي بسند حسن صحيح ، عن ابي ذر الغفاري .
٣ ــ سورة البقرة (١٩٧) .
٤ ــ رواه المقدسي عن أبي ذر .

وهو العزيز الغفور . وأشهد أن لا إله إلا الله الدائمُ الباقي، بعد فناء خلقه ، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، الداعي إلى الله بإذنه. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أيها المسلمون .

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي (العِزُّ ازاري، والكبرياء ردائِي، فمن ينازعني فِي واحدٍ منهما فقد عذبته)[1] وفي رواية قصمته .

أيها المخدوعون في دنياكم. أيها الغافل عن مصيرك ومآلك تحت أطباق الثرى. عجباً لك فما أنت بنافع الحكم اهتديت. ولا بمراسم العبودية اقتديت..! وفي جهلك وظلمك تماديت ، فما أفلح الظالمون، وخاب كل جبار عنيد، قال تعالى ﴿ **تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون عُلوّاً في الأرضِ ولا فسادا، والعاقبة للمتقين** ﴾[2] .

عباد الله . اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما، ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، حتى يرضى، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

---

١ — رواه الطبراني ولمسلم وابو داود وابن ماجة واللفظ له : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منها ، القيته في جهنم » .

٢ — سورة القصص (٨٣) .

٣ — سورة الأحزاب (٥٦) .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا وآثامنا، من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهم ألّف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها وساستها. اللهم الهمهم السير على نهج شريعتك.

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم هيّئ له بطانة صالحة، تحثه على الخير، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا، سخاءاً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة التاسعة والخمسون بعد المائة :

٨ صفر ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/١/٢٨

(من حياة الخلفاء العاملين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأستمد منك الحول والقوة والعون على طاعتك، وأصلي وأسلم على حبيبك وصفيك المصطفى، الذي كان خير خليفة يحتذى، وعلى آله وصحبه، الذين ساروا على نهجه بالصدق والإخلاص والوفاء، رب اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك انت العليم الحكيم، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله، الذي جعل طاعته آية الإسلام، وسبيلَ الرُّشدِ والنجاه، سبحانه جعل الدنيا لمن صبر وصابر، وتمسك بالشريعة واتقى، وكافح وجاهد، واعتصم بحبل الله المتين، وجعل الدار الآخرة للذين آمنوا واستمسكوا بشرعه، يخافون ربهم من فوقهم، ويتقون كما قال جلّ وعلا ﴿ ... ، **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ، ولدارُ الآخرة خيرٌ، ولَنِعم دارُ المتقين** ﴾[٢] .

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

٢ ـ سورة النحل (٣٠) .

أشهد أن لا إله الا الله، الذي أنار للإنسانية طريق السيادة والسعادة ، وأبان للخلفاء والحكماء طريق النصر والجهاد والقيادة، من اتبعها فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عنها، فإن له معيشة ضنكا. وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، خليفةُ الله في أرضه ، وأمينُه على سر وحيه ، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة ، ولم يلتحق بالرفيق الأعلى، حتى بلَّغ البلاغ المبين، فسلام الله عليه، وعلى من استجابَ لدعوته من آله وأصحابه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلامُ الله على من كانوا لله في طاعتهم وأعمالِهم وحُكمِهم، وما أحوجنا إلى سيرة الخلفاء الراشدين، ومن سار على نهجهم القويم، إلى يوم الدين .

إذ أننا في حاجة إلى سيرة هؤلاء وأمثالهم، في وقت تلاشت فيه الفضائل الإنسانية والمثالية ، وعزَّت فيه الأخلاق المرضية ، وغلبت فيه المادةُ الجارفةُ، حتى طغت على القلوب الواعية الحية .

أما بعد. فيا أيها المسلمون .

إن أسمى هديةٍ أهدتها السماء إلى بني الإنسان، هي شريعة الإسلام ، فقد أفرغ الله فيها فضائل الأديان ، وطوى فيها كلَّ ما يطلبه الناس من ضروب المتاع، وزينة الحياة الدنيا ، ومن حكمته سبحانه وتعالى، أن جعل فيها تسابقاً وتسارعاً إلى عمل الخيرات، وكلُّ إنسان يسعى لأن يكون إنساناً مثالياً، ورجلاً أخلاقياً، فكان من فضل الله تعالى، أن أرسل رسله مبشرين ومنذرين لهداية البشر، وإنقاذهم من الضلالة إلى الهداية، وبعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء والمرسلين، وخلفائه قام من بعده، أصحابه الخلفاء الراشدون. وهكذا استمرت الخلافة والقيادة في وُلاة الأمور والحكام إلى يومنا هذا، وكل واحد من هؤلاء وهؤلاء له صفحة تاريخية مُشرقة في ميدان حياته وكفاحه، وعدله وصبره وإيمانه ويقينه .

كـــلٌ له غرض يسعى ليدركـــه

والحرُّ يجعل إدراك العلا غرضـــا

فمن الشخصيات الإسلامية التي حكمت في الماضي، سيدنا عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص .

أيها المسلمون :

إذا كان العلم بالتعلم[1] كما يقال، والخُلُقُ بالتخلق. كان حقاً على كل مسلم، وكل أحد أن يقرأ ويسمع سيرة هذا الخليفة الصالح، لما فيها من مكارم الأخلاق ، ومعالم الخيرات، ويأخذ بنفسه بما تحويه من نفائس الحِكم ، ومحاسن العظات . أجمع العلماء على أن أم عمر بن عبدالعزيز هي أم عاصم، حفصةُ بنتُ عاصم بن عمر بن الخطاب، واسمها ليلى، وقد سكنت دمشق . وَلِيَ الخلافة بعد ابن عمه سُليمان بن عبدالملك ، وبويع عمر بن عبدالعزيز بالخلافة، حين مات سليمانُ بن عبدالملك، ومات سليمان في اليوم العاشر من صفر، سنة تسع وتسعين من الهجرة النبوية، وكانت خلافة عمر، رضي الله عنه، سنتين وخمسة أشهر، مثل خلافة أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما. ومن مناقبه ومحاسنه أثناء خلافته، أنه أمات الطرائق السيئة، والبدع الضارة في الدين ، وملأ الأرض قسطاً وعدلا. ومن زيادة ورعه وحرصه على دينه، أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ خلفه قبل خلافته، فقال أنس: (ما رأيت أحداً أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من عمر بن عبدالعزيز، أو من هذا الفتى. إذ أنه يطيل الركوع والسجود .

---

١ ـــ هذا حديث وليس مقال رواه الطبراني في الكبير ، ولفظه : « يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء » .

قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة، أبو بكر، وعمر وعثمان بن عفان، وعليٌّ بن أبي طالب، وعمر بن عبدالعزيز، وهو الخليفة الأموي الخامس، وقال مالك بن دينار. لما وَلِيَ عمر بن عبدالعزيز الخلافة قالت رعاء الشاء، الذين يرعون أغنامهم، في رؤوس الجبال (من هذا الخليفة الصالح الذي صار على الناس والياً .؟ فقيل لهم وما علمُكم بذلك .؟ فقالوا سمعنا بأنه إذا أُقيم خليفة صالح كفَّت الذئابُ والأُسد عن شاءِنا (أي أغنامنا) وامتنعت من القرب منا)[1].

أما ورعه رضي الله عنه، وزهُده في الحياة الدنيا، فقد قال رجاء بن حيوة: (كان عمر بن عبدالعزيز قبل خلافته من أعطر الناس (أي متعطراً وأحسنهم رائحةً) وأحسنهم لباساً) فلما استُخلف، قوَّموا ثيابه باثنى عشر درهماً، وقال أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، يُروى في الحديث: (إن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة، من يجدد أو يصحح لهذه الأمة أمر دينها[2] وانتظرنا في المائة الأُولى، فإذا هو عمر بن عبدالعزيز[3].

أيها المسلمون.

عمر بن عبدالعزيز، كان أعدل بني مروان، بصلاحه وتقواه، وفصاحته وعدله، واستفاضت به الأخبار، وقد اطلعت على خطبة له في كتاب البيان والتبيين، فيها الهدى والنور، جمال في اللفظ، وسموٌ في المعنى، وتوجيه للخير، ففيها تحريكُ القلوب، وهزُّ المشاعر، وتطهيرُ النفوس، مما يُصيبها من غِشاوة المعاصي والآثام.

---

١ ــ رواه مالك بن دينار.

٢ ــ رواه ابو داود والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة بسند صحيح ولفظه: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ».

٣ ــ قال الحافظ جلال الدين السيوطي في ذلك.

لقد أتى في خبر مشتهر ... رواه كل عالم معتبر
بأنه في راس كل مائة ... يبعث ربنا لهذي الأمة
منا عليها عالماً يجدد ... دين الهدى لأنه مجتهد
فكان عند المائة الأولى عمر ... خليفة العدل باجماع وقر

توفي رضي الله عنه في قرية من قرى حمص، وقبره مشهور يزار ويتبرك به، وهو الآن في وسط حمص، والحمد لله وقد منّ الله علينا، بزيارته عدة مرات، نفحنا الله من عدله وبركاته واستقامته، وقد كان نازلاً في حمص فمرض ومات فيها. وُلد عمر بن عبدالعزيز في مصر، سنة إحدى وستين للهجرة، وتوفي يوم الجمعة، لخمس بقين من رجب، سنة إحدى ومائة، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر .

اسمعوا أيها الناس إلى خطبة مختصرة، من خطب عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أيها الناس :

إنكم لن تُخلقُوا عَبَثاً، ولم تتركوا سُدى، وإن لكم مقاماً (وهو يوم القيامة) يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، التي وسعت كل شيء ، وحُرِم جنّةً عرضُها السموات والأرض. واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف اليوم، وباع قليلا بكثير ، وفانياً بباق. الا ترون أنكم في اسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون .؟ حتى تردوا الى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً رائحاً الى الله، قد قضى نحبه ، وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع الأرض ، ثم تدعونه (أي تتركونه) غير موسَّدٍ ولا ممهَّد، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنياً عما ترك، فقيراً الى ما قدم. ثم قال رضي الله عنه : وأيم الله، إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا، إلا سدَدناها ، ولا أحدٌ منكم، إلا وددت أنَّ يده مع يدي، ولحمتي الذين يلونني (من بعدي) حتى يستوي عيشنا وعيشكم. ثم أقسم يميناً آخر وقال : وأيم الله، إني لو اردت غير هذا، من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولاً، عالماً بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسُنة عادلة، دل فيها على طاعته ، ونهى عن معصيته ، ثم بكى عمر. فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه، ثم نزل، فلم يُرَ على تلك الأعواد، حتى قبضه الله)[1] .

١ ــ انظر حلية الأولياء (٧/٢٩٥) .

رواه ابن اسحق . ومن أراد الاطلاع على سيرته الشريفة مفصلة ، فعليه بحلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني . فإنه أطنب وتوسع في مآثره وفضائله ، رضي الله عنه وارضاه .

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، يغفر لكم، ادعو الله، وانتم موقنون بالاجابة.

* * * * *

الحمد لله النافع الضارّ، الخالق لكل شيء، الذي لا يقع في ملكه الا ما أرادَ وقدّر سبحانه، تعاظم في حكمه واقتدر، (أحمده) جل وعلا، حمدا يقربنا إليه، وأشكره، وأتوكل في جميع الأمور عليه، وأسأله اللطف في القضاء والقدر، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المعتمدُ على ربه العليم العلام. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن بأوامره ائتمر.

وبعد، فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[1].

عباد الله. هذا هو شهر صفر، فلا شؤم ولا تشاؤم، في شيء من الأيام والشهور، وإنما أمر ربّنا قدر مقدور، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا فرق بين رجب وصفر.

أيها المسلمون.

إن التشاؤم من الأيام بدعة من بدع الجاهلية، وخصلة من خصال ضعفاء العقول، وهي صفة غير مرضية، تضيع على المتشائمين فرص الخير، وتوقعهم في الضرر، وخير أيام العبد، يوم عبد فيه مولاه، ونصح إخوانه مخلصاً، وشكر الله مولاه. كثير من الناس اليوم، وهم من مرضى العقول، لا يتزوجون ولا يفرحون، ولا يبرمون شيئاً من امورهم الدنيوية، خوفا من أيام صفر، وهذا والله كذب، وزور وافتراء، واعلموا أن الأيام ظروف الأعمال، وان العاقل من ملأ الأيام بنفائس أعماله، وطرح خرافات التشاؤم، ونظر في إصلاح أحواله، ونهى النفس عن الهوى، وعن معاصي الله

---

١ ــ سورة التوبة (٥١).

ازدجر. فتوبوا الى الله، من جميع الأوزار، ولا تتشاءموا من الأيام والليالي والشهور، وإنما التشاؤم يجب أن يكون من أعمالنا الخبيثة، التي لا تتفق والشريعة. يقول رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر ولا غول)[1] وعنه ﷺ (الشؤم والتشاؤم سوء الخلق)[2] اتقوا الله حق تقواه واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، تعظيماً له وتكريماً ، فقال ﴿ **ان الله وملائكته يصلون على النبي ؛ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾[3] .

اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم؛ تسليماً كثيراً .

وارضى اللهم عن سادتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات .

اللهم اعز الاسلام والمسلمين، واعل بفضلك كلمة الحق والإيمان والدين؛ ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال، وهيء له بطانة صالحة، تحضه على الخير، وتحذره من الشر، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[4] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ رواه مسلم والامام أحمد عن جابر بن عبدالله .

٢ ـــ رواه الامام حمد والطبراني وابو نعيم في الحلية والبيهقي عن جابر وعن عائشة ، ولكن بدون لفظ التشاؤم ، الشؤم سوء الخلق .

٣ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٤ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الستون بعد المائة :

٢٢ صفر ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/٢/١١

(اقتباس من عدالة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، واصلي وأسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك. خير مَنٍّ بالعدالة والاصلاح. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه. اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم. رب اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي، وأطلق لساني، وقو حجتي وبياني . اللهم رحمتك ارجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله، الذي اصطفى من عباده رجالا يُحبهم ويحبونه ، يحقون الحق ، ويبطلون الباطل ، ولو كره الظالمون والمجرمون ﴿ ... **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[2] .

أشهد أن لا إله إلا الله ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد ، العادل في حكمه وقضائه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، خليفة الله في أرضه ، وأمينه على سر وحيه. اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى من استجابوا لدعوته ، وأخلصوا في طاعته .

---

١ ـــ سورة طه من (الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

٢ ـــ سورة الحشر (٩) .

أما بعد . فيقول الله سبحانه وتعالى .

﴿ ...، قد جاءكم من اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبينٌ . يهدي به الله من اتَّبعَ رضوانَهُ سُبُلَ السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويَهْديهم إلى صِراطٍ مُستقيم ﴾[1] .

أيها المسلمون . إن قرآننا إذا رجعنا إليه ، زادنا الله به هدى ، وتبصرة ، وذكرى لقوم عابدين ، وإذا نظرنا الى سيرة رسول الله ﷺ ومراحل حياته ، ودعوته ، وجهاده ونضاله ، زادنا الله هدى لقوم يوقنون ، وإذا رجعنا الى سيرة الخلفاء الراشدين ، وأصحاب الرسول ، وتابعيهم ، أيقظتنا العبرة والذكرى لقوم يؤمنون .

أيها المسلمون . لقد مرّت بكم بالأمس القريب ، ذكرى الخليفة الخامس (عمرَ بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ذلكم الخليفة العالم الفقيه ، الصابر العادل ، واليوم نستعرض سيرة رجل من رجال الاسلام ، من رجال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، في جاهليته وإسلامه وذلك لتقارنوا بين العمرين ، ولتعلموا أنهما يدوران في فلك واحد ، وفي حلقةٍ واحدة قِوامها العدالة والبطولة ، والزهد والورع والإقدام .

أيها المسلمون في زمن الغفلة والالحاد، نحن اليوم في حاجة ملحة الى من يذكرنا بمجد أسلافنا، آبائنا الأولين، وسياسة قادتنا الفاتحين، الذين أعلوْا كلمة الحق، وساسوا أمتهم بحكمةٍ وحزم وروية، وعطف ورحمة، وشاركوا أمتهم، أفراحهم وأتراحهم، في البؤس والنعيم، والشدة والرخاء، إي وربي ما أحوجنا الى أخلاقهم العلية المرضية، وشمائلهم الطيبة الزكية، وجهادهم الصادق، المعلن بحسن النية، لا سيما في هذا الوقت العجيب

---

١ ــ سورة المائدة (١٥ ــ ١٦) .

العصيب ، الذي تردّت فيه الهمم ، من القمّة الى الحضيض ، الى القاعدة . نعم . في زمن أخفرت فيه الذمم ، وغاض فيه ماء المروءة والوفاء ، وطمست فيه معالم الحق ، فلم يتميز فيه الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، والاخلاص من غيره ، حتى اصبح الكل منا ، لا همَّ له سوى نوال حَظِّهِ من متع الحياة الدنيا ، ولو كان في ذلك ضياع الدين ، وإفساد الأمة ، وخراب البصيرة ، وزوال الأوطان .

الا وإن من هؤلاء الأبطال ، الذين ذاعت محامدهم ، وانتشرت في الورى مواهبهم ، حتى عمّت المعمورة ، هبة الله للانسانية ، ذلك هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي أعز الله به الدين[1] ، ومحاربة ظلمات الكفر ، وأيد به الاسلام والمسلمين[2] .

أجل . ليس التحدث عن شخصية عمر (الفاروق) الذي انصف بين العدو والصديق ، بالأمر الهيِّن . (فعمرُ) كما قلنا كان هبة الله للانسانية كلِّها ، على اختلاف مذاهبها ومشاربها ، كان عمر موهوباً فيوضات الهية . أطلَّ بوجهه المشرق على المجتمع ، كما يُطلُّ الربيع على الدنيا ، فملأها نُضْرة وجمالاً ، وبهاء ورونقاً ونعيما . ولقد زاد عمر بن الخطاب هذا على ربيع الأرض ، فملأها أمناً وعدلاً وسلاماً .

---

١ ــ روى البخاري عن عبدالله بن مسعود ، أنه قال : مازلنا أعزةً منذ أسلم عمر .

٢ ــ وعنه رضي الله عنه ، قال : كان اسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت امارته رحمة ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت ، حتى أسلم عمر ، فلما اسلم ، قاتلهم حتى تركونا ، فصلينا .

وقال صهيب : لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا ، وانتصفنا ممن غَلُظَ علينا .

إي وربي . لقد كان عمر أمةً واحدة في أمة ، اجتمعت له مناقب وصفات ومزايا ، لست تراها الا موزعة مبعثرة في أمة بأسرها . إذ كان رضي الله عنه ميمون النقيبة . أي مبارك النفس ، ميمون الأمر ، ينجح فيما يحاول ويظفر ، ميمون المشورة ، فما أشار على رسول الله ﷺ بشيء ، إلا كان صواباً . كانت مشورته وأفكاره وأراؤه ، مقبولة أيما قبول عند الصحابة رضوان الله عليهم ، فلا يجدون عنها بُدّاً ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال عمر رضي الله عنه : (وافقت ربي في ثلاث ، في مقام ابراهيم ، وفي نزول آية الحجاب ، وفي أسارى بدر)[1] .

إن عمر الفاروق، رضي الله عنه، هو الصورة التي سوّاها الله وعدّلها، لتكون مثالاً أعلى للتربية الدينية الفاضلة، وللسياسة النزيهة الرشيدة ، ولكن أعلى الله مقام النبوة عن الأشباه والنظائر، فليس فيما يلي فضائل النبوات غير الفضائل العمرية، والشمائل الفاروقية، كما قال ﷺ : (لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب)[2] إلا إنه لا نبوة ولا رسالة بعد رسول الله، عليه الصلاة والسلام، لكنّ وارثيه، من الدعاة والعلماء العاملين بحق، هم وارثوه ومبلغو دعوته الى العالمين ، ولقد

---

١ — رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي والامام أحمد عن عمر . ففي مقام ابراهيم : فإنه قال للنبي ﷺ ، وهم عند الكعبة ، لو اتخذت من مقام ابراهيم مُصلىً فنزلت : ﴿ **واتخذوا من مقام ابراهيم مُصلّى** ﴾ . وفي الحجاب ، فإنه يراهن البَرُّ والفاجر ، فنزلت آية الحجاب وفي أسارى بدر ، فإنه أشار على النبي ﷺ بقتلهم ، وأشار ابو بكر بالفداء وتركهم ، فأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر ، فنزلت : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** ﴾ .

أما قوله وافقت ربي في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث ، فإنه لا تعارض في أنه وافق في أكثر منها ، فقد وافق ربه في عدم الصلاة على المنافقين . فنزلت : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ...** ﴾ .

وعندما اجتمع نساؤه عليه ، عليه الصلاة والسلام في الغيرة ، فقال عمر لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ... الآية فنزلت كذلك .

ولذلك ندبنا رسول الله ﷺ ، بالاقتداء به وبأبي بكر فقال : اقتدوا باللذين من بعدي ؛ ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما .

٢ — رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر والطبراني عن عصمة بن مالك بسند ضعيف .

استيقن سيدنا رسول الله ﷺ تلك المعاني السامية في عمر، فقال: إنه كان فيمن مضى قبلكم من الأمم محدثون وملهمون ومتكلمون، وإن كان في امتي منهم أحد فإنه (عمر بن الخطاب) وكان عمر رضي الله عنه، حقاً مُلهماً[1]. يتحدث الرواة في تاريخ الفاروق، عن ناحيته الخلقية، فيقولون عن الشدة والصلابة، إنها كانت في الحق، انها الصلابة الخيِّرة المؤمنة المستقيمة. فما كانت شدة عمر، بالشدة العابثة العاتية المضيعة للحق، ولا كانت بالعاصفة المدمرة، وإنما كانت شدة الفكر الأصيل، وصرامة العقل الرجيح[2]. ولقد ورد في ترجمة حياته، رضي الله عنه، أنه لما رجع من الشام إلى المدينة، انفرد عن الناس (أي تباعد عنهم) ليعرف شيئا عن أحوال رعيته، فمر بعجوز في خباها، أي بيتها الخشبي، فقالت: يا هذا ما فعل عمر .؟ قال هوذا قد أقبل من الشام. قالت لا جزاه عني خيرا، فقال ويْحكِ .! ولمَ .؟ قالت: لأنه والله ما نالني من عطائه، منذ وَلَيَ الخلافة إلى يومنا هذا، دينار ولا درهم. فقال عمر (وهي لا تعرفه) ويحكِ وما يُدري عمرُ حالَك، وأنت في هذا الموضع الخشبي البعيد عن العيون .؟ فقالت سبحان الله، ما ظننت أن أحداً يلي على الناس (بحكم) ولا يدري، ما بين مشرقها ومغربها.؟.! فأقبل عمر وهو يبكي، ويقول: (واعمراه واخصوماه أكلُّ واحد أفقه منك يا عمر.؟ ثم قال لها بكم تبيعيني ظلامتك منه .؟ فإني أرحمه من النار، قالت لا تهزأ بنا يرحمك الله. قال لها عمر ليس المقامُ مقام هزء وسخرية. فلم يزل بها

---

١ ـــ يقول في ذلك عليه الصلاة والسلام: لقد كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر. رواه الشيخان والترمذي.

٢ ـــ ولقد شجعه عليها رسول الله ﷺ، عندما كانت نساء رسول الله يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته. فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب، فأذن له فدخل، ورسول الله ﷺ يضحك. فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ، عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر، فأنت أحق ان يهبن يا رسول الله. ثم قال لهن عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ..؟! فقلن: نعم. أنت أفظ واغلظ. فقال رسول الله ايهايا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك. رواه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص.

حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً ، فبيّنا هو كذلك. إذ أقبل عليه عليٌّ بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فوضعت المرأة يدها على رأسها، وقالت: واسوأتاه واخجلاه !! شتمت أمير المؤمنين في وجهه، فقال لها عمر لا عليك. يعني لا خوف عليك يرحمك الله. ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيها، فلم يجد، فقطع قطعة من فروة كان يلبسها، وكتب هكذا (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر بن الخطاب، من فلانه ظلامتها، منذ وليَ الخلافة إلى يومنا هذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدّعى عند وقوفي في المحشر بين يدي الله عز وجل، فعمُر بريءٌ منه) شهد على ذلك عليٌّ بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود. ثم رفع الكتاب إلى عليٍّ وقال: إذا أنا تقدمتك (يعني إذا مِتُّ قبلك) فاجعلها يا عليُّ في كفن عمر[1].

انظروا يا مسلمون. أين هذا مما عليه حكام المسلمين اليوم، في كل مكان . وورد أن عمر كان يخرج ظاهر المدينة، متفقداً أحوال اليتامى والأرامل والثكالى. فصلى الظهر تحت شجرة بعيدة، نائية عن المدينة. ثم وضع رأسه ليستريح تحتها ساعة. فمرَّ به رجل كافر، ووقف على رأسه، وقال: أحسنت يا عمر، عدلت فأمِنت فنمت[2]. فلما استيقظ قبّل رجليه وأسلم، فبكى عمر وقال: يا رب هلك عمر إن لم ترحمْه.

على رسلك أيها المسلم. لا تتعجل الحكم بالشدة والغلظة على عمر، نعم. كان عمر شديداً صُلبا، ولكن في الحق. كما ذكرنا، أجل. كانت تخشى سطوته الإنس والجن، ولكنَّ ذلك كلّه لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل.

---

١ ـــ وسيرته مع النساء الأرامل والمحتاجات والمنقطعات في ذلك .

٢ ـــ وذلك أن قيصر ارسل رسولاً الى عمر بن الخطاب ، لينظر أحواله ، ويشاهد افعاله ، فلما دخل المدينة سأل أهلها أين ملككم .؟ فقالوا مالنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة . فخرج في طلبه ، فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار ، وقد وضع وسادته ، والعرق يسقط من جبينه ، قد بلّ الأرض . فلما رآه على هذه الحالة ، وقع الخشوع في قلبه ، فقال مقالته هذه .

أما كان ﷺ إذا انتُهكت حُرمات الله احمرَّت عيناه، وانتفخت أوداجه، وعلا صوته كأنه منذر جيشٍ[1] .؟ ولقد ورد أيضاً، أن الناس هابوا عمر وخافوه كثيراً لشدته، وهو في خلافته، حتى ترك الناس مجالسهم خارج البيوت، وتحدثوا وقالوا ننتظر ما رأيُ عمر.؟ وقالوا بلغ من أبي بكر رضي الله عنه، أن الصبيان كانوا إذ رأوه يسعون إلى أبي بكر، يقولون له يا أبتِ، فيمسح رؤوسهم رفقاً وحناناً ولِينا، وتحدَّثوا وقالوا لقد بلغ من هيبته عمر، أن الرجال تفرقوا من المجالس هيبةً، حتى ينتظروا ما يكون من أمره .

ولما علم عمر أن الناس اهابوه. أمر بالنداء إلى الصلاة (الصلاة جامعة الصلاة جامعة. يعني الزموا الصلاة) فحضروا، ثم جلس من المنبر حيث كان ابو بكر يضع قدميه. انظروا إلى تواضع عمر. كيف جلس موضع قدمي أبي بكر، ولم يجلس مكانه على المنبر. فلما اجتمعوا، قام فحَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : بلغني أن الناس قد هابوا شدتي، وخافوا غلظتي ، وقالوا يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فكيف اذا صارت الأمور له .؟

أيها الناس . من قال ذلك فقد صدق. ثم قال كلاما طويلاً، إلى أن قال: ثم إني قد وَليتُ أموركم أيها الناس، واعلموا أن هذه الشدة قد أُضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم، والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والفضل، فإني ألينُ لهم من بعضهم لبعض. ولست أدع أحداً يظلم أحدا ويتعدى عليه. إلى أن قال: لكم عليّ أن أردَّ لكم أرزاقكم، ولكم عليّ ألا أقذفَ بكم في المهالك، وإذا رغبتم في البعوث والعمل خارج بلدكم، فأنا ابو العيال حتى ترجعوا إليهم. ثم استغفر عمر له وللمسلمين .

---

١ ـ متفق عليه .

قال أصحاب رسول الله، لقد رأيناه يتفقد المُغيبات، اللاتي غاب عنهن أزواجهن، فيشتري لهنَّ بنفسه كل ما لزم لهنّ. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[1] أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفرْ لي ولكم. أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله العظيم، الذي لا عظيمَ سواه، الكبير الذي لا كبير سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملكُ الحق المبين، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار في خلافته على نهجه، إلى يوم الدين.

عباد الله. لا تسأموا من سيرة عمر. فإن ما هو مذكور عنه في السيرة المنيرة لا تحيط به المجلدات الكبرى. اسمعوا بالله عليكم قصة الأحنف بن قيس، ذلك الرجل المشهور بحلمه وسعة صدره، يقول (كنت مع عمر، فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين. انصرني على فلان فقد ظلمني، فضربه عمر بالدِّرة وقال له: أتأتيني وأنا مشغول بأمر المسلمين. لكنَّ عمر عاد فتذكر أنه لم ينصف الرجل، فطلبه ليأتي عنده، وأعطاه الدِّرة وقال اضربني بها كما ضربتك، فأبى الرجل قائلاً: تركت حقي لله ولك يا أمير المؤمنين. فكرر عمر على الرجل، فقال: تركت حقي لله. فانصرف عمر إلى منزله ونحن معه. هذا ما قاله الأحنف، وصلى عمر ركعتين، ثم جلس يقول: يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله، وضالاً فهداك الله، وضعيفاً فأعزك الله، وجعلك خليفة. يا ابن الخطاب. أتاك رجل يستعين بك على رفع مَظْلَمةٍ فما تقول لربك غداً إذا أتيته.؟ مكث يحاسب نفسه، حتى قلنا أنه خير أهل الأرض جميعا[2].

---

١ — رواه الإمام عن ابي هريرة وابن عمر وسنن ابي داود وابن ماجة.

٢ — ابن الجوزي (٩٨).

أيها المسلمون .

كان رضي الله عنه، في سياسته في وضع القوانين، وتدوين الدواوين، إذا ما سن قانوناً يترقب قول الناس فيه. يترقب ثمرته. فإذا ما وجد فيه حرجاً، أو ضيقاً، أو احتيالاً عليه، أو رأى فيه إضاعة حق الأخرين، بادر إلى تعديله وتمحيصه . إن أمثال هؤلاء يا مسلمون. رَزُنُوا وعملوا، يوم كانت الأحلام طائشة، وسهروا والعيون نائمة، وتنبهوا والهمم فاترة غافلة. فما ضعفوا وما هانوا لما أصابهم .

أولئك أبائي فجئنـــي بمثلهـــم

إذا جمعتنـــا يا جرير المجامـــع

عباد الله اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ولم يزل قائلاً عليماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات. انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأعل كلمة الحق والدين . اللهم الف بين قلوب هذه الأمة . ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال. اللهم هَيِّئ له بطانة صالحة تحضه على الخير وترشده إليه .

﴿ **... وأقم الصلاة، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله اكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والستون بعد المائة :

٢٩ صفـر ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٢/١٨

(كن مهتماً بأمرك، ولا تسأل عما لا يعنيك)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه وهداه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من الناس، وأصلح لي شأني كله. اللهم اغفر لي ذنوبي، وعمدي وخطأي، وسلمني من شر نفسي . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله، جعل لكل امرئٍ شأناً يعنيه، وأودع في كل قلب من المشاغل ما يكفيه. (أحمده) سبحانه، جعل من كمال إسلام المرء، والخضوع لأحكامه، تركه ما لا يعنيه، قولاً كان أو فعلاً. أشهد أن لا إله إلا الله، أنزل على رسوله كتابه المبين ، ورسم فيه للمؤمنين طرق السلامة ، وهداهم به إلى الأمان والاستقامة ، فمن اهتدى بهداه، شغله همُّه وحالُه عن السؤال عن أحوال الناس، التي لا تخصُّه ولا تعنيه ، وعلم أن من يسأل عما لا يعنيه، يسمع ما لا يرضيه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، حذرنا من الدخول فيما لا يعنينا، وأن نشغل انفسنا بما به ضرورة

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

حياتنا في معاشنا، وما يتعلق بسلامة ديننا، للنجاة في يوم الميعاد. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وارض عن أصحابه الطيبين الطاهرين، الذين شُغِلوا في حياتهم، بما يصلح نفوسهم، ويزكي أرواحهم، ولم يتدخلوا في شأن من شؤون غيرهم، إلا أن يكون آمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر، أو إصلاحاً بين الناس، فكتب الله لهم سعادة الدنيا والدين، وأسكنهم فسيح جنات النعيم.

أما بعد. فيقول نبي الإسلام، سيدُنا محمد عليه الصلاة والسلام، (من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه).

عباد الله.

إن نبينا ورسولنا ﷺ لم ير خيراً، إلا أمرنا بفعله، ولم ير شراً، إلا حذرنا ونهانا عن اقترافه، فهو ﷺ دائماً، يرشدنا إلى ما فيه صلاحُنا وفلاحُنا، في ديننا ودنيانا، ويحذرنا من فعلٍ ما فيه ضياع أوقاتنا، وما فيه ضرر لنا، وخسارةٌ في أولنا وآخرنا. فمن أسمى توجيهاته ﷺ للمؤمنين، وعظيم إرشاداته للمسلمين قوله: (من حسن إسلام المرء، تركُه ما لا يعنيه)[٢].

إنها كلمة صغيرة في لفظها، كبيرة في معناها ومبناها، لأنه ﷺ أُوتي جوامع الكلم، ونطق بالحكمة والصواب.

إن الذي يعني الإنسان في حياته؛ دينُه ووطنُه. ومما يعنيه أيضاً، أمر معاشه، فهو مكلف بالسعي والعمل الدائب الشريف، لتحصيل ما يُجَمِّلُ به حياته، وحياةَ من يعول.

---

١ ـــ رواه الترمذي وابو داود وغيرهما عن ابي هريرة، وسنده حسن.

٢ ـــ قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى.؟ فقال صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنيني. وروي عن الحسن قوله: من علامة اعراض الله تعالى عن العبد، ان يجعل شغله فيما لا يعنيه.

ويدخل في هذا، تعاونه مع مواطنيه، في كل ما يعود بالخير على المجتمع كله، كما يعنيه شأنُ إخوانه المسلمين، في كل مكان. يحب لهم من الخير كما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فيحب العزة والكرامة، ويكره لهم المذلة والمهانة.

يقول الله تعالى في محكم كتابه ﴿ **إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم تُرحمون** ﴾[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام (من لا يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم) وفي رواية (من لم يهتمّ بأمر المسلمين، فليس منهم)[2] لأنهم جميعاً (كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[3].

والأمر الثاني، الذي يعنيه هو دينُه، الذي ارتضاه الله له، وأكرمه به، فهو به ضنين، وعليه محافظ، يُنفذُ أوامره، ويهتدي بهداه، ويعمل بإرشاداته ووصاياه، يفتديه بالنفس والمال والولد، ويذيع تعاليمه الصحيحة، غيرَ المزيَّفةِ بين الناس، ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

أيها المسلمون.

يدخل في هذا الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر، فهما أساس الدين، ومن أجلهما أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل الكتاب لهداية الضالين، والمُرجفين والمفسدين.

أيها المسلم في زمن النفاق والكذب والتدليس. إن الذي لا يعنيك أمورٌ كثيرة: فاشتغالك بها عبث وضياع للوقت، في غير مفيد، لأن الوقت كالسيف، إن لم تقطعه بالأعمال النافعة قطعك.

---

١ — سورة الحجرات (١٥).

٢ — رواه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث ابي ذر، وكلاهما ضعيف.

٣ — متفق عليه، من حديث النعمان بن بشير، وأوله مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكىٰ منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وستسأل بين يدي مولاك عما قريب، عن كل ثانية من حياتك، فيم قضيتها؛ في جمع المادة من حلال أو حرام، والجلوس في المقاهي، وأماكن اللهو والفسوق، كاللعب على الطاولة، وما شابهها مما لا يعنيك، مثل دخولك في البحث عن أعراض الناس ومساويهم، حول موتهم وحياتهم، وغناهم وفقرهم، اشتغال بمالا طائل تحته واشتغالك به من قسوة القلوب، وغفلة النفوس، تحاسب عليها يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أما والله لو علـــم الأنـــام لما خُلقوا لما غفلوا ونامـــوا

ممـــاتٌ ثم حشر ثـــم نشـــر وتوبيـــخ وأهـــوال عظـــام

والله لو عقل الناس، لاهتموا بأنفسهم وما ينفعهم عند بارئهم. لو عقلوا، لبذلوا جهدهم فيما يسعدهم في قبورهم، يوم يلقون ربهم .

أيها الناس . إن ميادين العمل الصالح كثيرة، فقراءة القرآن عمل صالح، وذكر الله عمل صالح، والفقه في الدين عمل صالح، وقضاء مصالح الناس عمل صالح ، ومراقبة الأبناءِ للقيام بواجباتهم ودروسهم عمل صالح .

كفى حَزَنَ آلأمهـــاتِ لعيشنـــا

ولا عمـــلٌ نرضى به الله صالـــحُ

قال بعض السَّلف . من علم أن كلامه من عمله، قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه. ومن سئل عما لا يعنيه، سمع مالا يرضيه. قال الحسن البصري، رضي الله عنه : أدركنا قوماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم، كما لا يحب أحدكم أن يخرج ديناراً أو درهماً إلا فيما يعود عليه نفعه، كذلك هؤلاء لا يحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم، إلا فيما يعود عليهم نفعه .

أيها المسلم .

إسمع عظة نبيك ورسولك ﷺ . واعلم أن من أشق وأخوف ما قيل في اشتغال الانسان فيما لا يعنيه، قول أنس رضي الله عنه، قال: استشهد غلام منا يوم أحد، فوجد على بطنه حجر من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك .؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، وينحل بما يعنيه[1] .

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروا ربكم، يغفر لي ولكم. ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة.

* * * * *

الحمد لله، القادر على كل شيء، وهو حسبنا، ونعم الوكيل، وأشهد أن لا إله إلا الله، يحب من حافظ على عرضه، وتحلّى بالعفاف، وأمسك لسانه عن كل ما يخاف ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، خير من تحلى بمكارم الأخلاق، وتباعد عن ذميم الصفات، ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد. فيا أيها المسلمون . إن الله تعالى يقول ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدلكم تسؤكم** ... ﴾ [2] .

فالعاقل الأمين، لا يسأل الا عما يعود نفعه على نفسه وأمته. ولقد ورد أن سيدنا عمر بن الخطاب، وعظ رجلا، فقال لهُ، لا تتكلم فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوك، واحذر صديقك الامين، ولا أمين الا من يتقي الله ويخشاه، وان من يتقي الله يخشاه ، ولا تمش مع الفاجر، فيعلمك من

---

١ ــ أخرجه الترمذي من حديث انس مختصراً ، وأخرجه ابن ابي الدين من حديث كعب بن عجرة وبلفظ آخر أن النبي ﷺ فقد كعباً فسأل عنه فقالوا مريض ، فخرج يمشي حتى أتاه ، فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب ، فقالت أمه هنيئاً لك الجنة يا كعب ، فقال ﷺ من هذه المتألية على الله ، قال هي أمي يا رسول الله ، قال وما يدريك .؟ لعله يا ام كعب قال مالا يعنيه ، ومنع ما يغنيه .

٢ ــ سورة المائدة (١٠١) .

فجوره ، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور في أمورك الا الذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال : اول من يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل عبدالله بن سلام، رضي الله عنه، فقام إليه ناس فأخبروه، وقالوا له أخبرنا بأوثق أعمالك في نفسك. قال: إن عملي لضعيف، وأوثق ما أرجو به سلامة الصدر، وترك ما لا يعنيني[1] فاتقوا الله عباد الله . اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه . وأعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، تعظيماً له وتكريماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] ، اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع مجيب الدعوات. صلوا عليه وسلموا تسليما . اللهم آهدِ هذه الأمة، الى خير ما هديت به عبادك الصالحين . اللهم الف بين قلوب هذه الأمة؛ ملوكها وقادتها ورؤسائها افرادها وجماعاتها يا ارحم الراحمين . ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم هَيِّئ له بطانة صالحة، تحضه على الخير وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكرُ الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ أخرجه ابن ابي الدنيا عن محمد بن كعب مرسلاً .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية والستون بعد المائة :

١٤ ربيع الأول ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٣/٤

(ميلاد سيدنا محمد ﷺ وأدوار حياته)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك، وحبيبنا سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام البررة، وأشكرك ربي أيضاً على نعمة ميلاد هذا الرسول، في مثل هذا الشهر الأنور الأزهر، اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، اللهم اغفر لي ذنوبي والآثام، بحق نبيك سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام. ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1].

﴿ **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا** ﴾[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله، أنزل على نبينا الكتاب والحكمة، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وأرسله لجميع الأنام ﴿ **وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[3] وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، صفوة الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صلّ وسلم وبارك، على سيدنا محمد الكامل في جميع الفضائل، وعلى آله وصحبه، الذين اتبعوا طريقته، وساروا على سنته، وتأدبوا بآدابه. أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨).
٢ ــ سورة الفتح (٢٨).
٣ ــ سورة سبأ (٢٨).

أما بعد. فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين** ﴾[1] وكان من رحمته تعالى بنا، أن أنزل الأمطار الغزيرة، وتفضل علينا بنعمه .

أيها المسلمون .

في مثل هذه الأيام السعيدة للعام، برز للوجود سيدُ الأنام، ومصباحُ الظلام، فأحيا الله بميلاده، وبعثت أمة من العدم ، وبوأها مكانا عليّاً كريما بين الأمم ، جانبُها عزيزٌ ، وحِصنها منيع ، رجالها شجعان، وفتيانها أبطال رهبان، وعُبّاد بالليل، أسودٌ بالنهار .

كأنهم في ظهور الخيل نبتُ رُبـاً
من شدة الحزم لا من شدة الحُـزُمْ

لا يرتضُون الذلة والهوان. وهكذا كانت الأمة الاسلامية العربية .

عافوا المذلة في الدنيا فعندهُـــمُ
عز الحياة وعز المــوت سيّـانِ
لا يصبرون على ضيم يحاولـه
باغ من الأنس أو طاغ من الجانِ
ولا يبالون إن كانت قبورهُـــمُ
ذُرى الشوامخ أو آثار حيتـانِ

كانت الأمة الاسلامية لا تقبل ضيماً ولا مذلة من أحد، بل تكون كالطود الشامخ، أمام الكوارث والحوادث .

وقديما قيل :

ولا يقيــمُ على ضَيْــمٍ يُراد بـه
إلا الأذلانِ عيرُ الحي والوَتـدُ

---

١ ـ سورة الأنبياء (١٠٧) .

كانت حلية هذه الأمة العفاف، سمتها العدل والانصاف ، لا يرهبون الموت، ولا يبالون بمطارف الحياة، ينهضون لأمتهم ووطنهم، نهضة إباء وشمم، كما قيل :

نهوضاً نهوضاً أيها القوم للعُلا
لتبنوا لكم بُنيان مجـــدٍ موطَّـدِ
تقدَّمنــا قومٌ فأبعد شوطُهـــــم
وقد كان عنا شوطهم غيرَ مُبعـدِ
أخي كل يوم يزحف الذل نحونا
بجُنــدٍ من الخطب الجليل المجنَّدِ
فيا ربِّ نفسي في كروبٍ عظيمةٍ
ويا رب خفف من عذابٍ مشدَّدِ

كان من دأبهم وطبيعتهم، أنهم لا يرهبون الموت في سبيل الحق المسترد، وفي سبيل عزة الإيمان ، والدفاع عن الأوطان، ولا يرهبون ولا يخافون إلا الواحدَ الديَّان ، لقد قويَ إيمانهم، فقويت نفوسهم ، لا يعرفون نفاقاً ولا شقاقاً، ولا مصانعةً في الحق، ولا دَجَلَ، ولا مواربة ، قلوبهم نقية ، وسرائرهم مرضيةٌ ، يسارعون في الخيرات ، ويتجنبون السيئات والموبقات ، الحرامُ عندهم مرذول ، والحلال في شريعتهم حسن ومقبول .

فيا أيها المسلون. اتقوا الله في ميلاد نبيكم. صلوات الله وسلامه عليه . اتقوا الله في ابنائكم وبناتكم وأهليكم . بميلاد هذا النبي الكريم، فقد ولد فجر جديد، وسطع نور عظيم، وظهر دين الإسلام، الذي لا يقبل الله من

العباد ديناً سواه. كما قال جلت عظمته ﴿ **ومن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] .

فإذا ما احتفل المسلمون بميلاده السعيد، فإنما يحتفلون بميلاد الهناء والصفاء، والسعادة ترفرف على العالمين، وبالعدل والمساواة، والإخاء والرحمة، يظل الناس آمنين فيه مطمئنين .

أيها المسلمون .

الاحتفال الحقُّ في إحياء سنته، والعمل بشريعته، والمحافظة على كتاب الله، الذي جاء به، نحفظُه ونُحَفظه لأبنائنا، ونتمسك بأوامره، ونبتعِدُ عما نهانا عنه، ونقتدي به ، ونتحلى بهديه .

أيها المسلمون .

لقد ولد العالم من جديد، بميلاد سيد الأولين والآخرين. ولذا فقد كان ميلاده ﷺ ميلاد دين ونظام. وبولادته أشرقت شمس السعادة على الوجود كلّه، وميلاده وبعثته كانت على العالم برداً وسلاما، ورحمة ووئاما، ونوراً وابتساما . ﴿ **وما أرسلناك إلا مُبشراً ونذيراً** ﴾[2] . وقال سبحانه ﴿ **ومن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾[3] .

أيها المسلمون في زمن الإلحاد والفساد وإنكار الرسالة . حُقّ علينا أن نحتفي ونحتفل بذكرى ميلاد، من بلّغنا عن ربه كتابه المبين، فيه نبأُ مَن كان قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم، هو الفصل، وما هو بالهزل، ما تركه من جبار إلاّ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضلّه الله .

---

١ ــ سورة آل عمران (٨٥) .

٢ ــ سورة الفرقان (٥٦) .

٣ ــ سورة النساء (٨٠) .

حُقَّ علينا معشر المسلمين، أن نحتفل بمن كان يتحلى ويتميز بهذه الصفات، عن الصفات البشرية. فقد ولد ﷺ يوم الاثنين، والتحق بالرفيق الأعلى، يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين، جاء في الحديث الصحيح في سنن أبي داود وغيره (ان النبي ﷺ قال : إنما أنا لكم مثلُ الوالد)[1] قيل من حيث الشفقةُ والرحمةُ بهم. كما وصفه خالقه ومولاه ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[2] ومثل الوالد، في ألا يستحيوا من سوآله عما يحتاجون إليه، فمن صفات هذا الرسول قبل بعثته، أنه لم يشهد مشهداً من مشاهد كُفر قومه وكانوا يطلبونه، وهذا كان قبل بعثته ورسالته، فيمتنع، ويعصمه الله .

عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال : (ما عبدتُ صنماً قطُّ، وما شربت خمراً قطُّ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كُفر)[3] ولقد طهرّه الله من دنس الجاهلية، فلم يعظم صنماً لهم في عمره قط. يعني أبداً، حتى أرسله الله بعد الأربعين[4] رسولاً إلى الناس كافةً ومن أخلاقه أيها المسلمون . أنه ﷺ كان أَجْوَدَ الناس، وكان أجودُ ما يكون في شهر

---

١ ــ رواه الامام احمد والنسائي وأبو داود وابن ماجة ، كلهم في الطهارة بألفاظ متقاربة عن ابي هريرة ، وبقيته : أعلمكم ، فاذا أتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ولا يستطب بيمينه ــ أي لا يستنجي بيمينه .

٢ ــ سورة التوبة (١٢٨) .

٣ ــ وروى أحمد عن عروة بن الزبير قال حدثني جار لخديجة بن خويلد ، قال سمعت النبي يقول لخديجة : أي خديجة والله لا أعبد اللات أبدا . والله لا أعبد العزى أبداً .

٤ ــ رواه الشيخان والبيهقي في الشمائل ، بعثه الله على رأس الأربعين ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ــ عن أنس .

رمضان[1]، كان أحسنَ الناس خلقاً وخُلُقاً[2]، وأليَنهم كفا وأطيبهم ريحا[3]، وأكملهم حِجاً، وأحسنَهم عِشرةً، وأعلمهم بالله، وأشدَّهم خشيةً لله[4]، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انتُهكت حُرُمات الله، عز وجل[5] اذا رأى الناس وأهله قد تركوا الصلاة أو الزكاة أو فرضاً من فرائض الله، فحينئذٍ يغضب وتنتفخ أوداجه، وعلا صوته، واحمرّت عيناه، كأنه منذر جيش[6].

أيها المسلمون. كان ﷺ إذا غضب، لا يقوم لغضبه شيء (أي لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه) حتى ينتصر للحق[7]. فأين هم أهل الحق اليوم يا تُرى.؟ ليتنا نعلم أين هو الحقُّ اليوم.؟ حتى نتوخاه ونقصده، كان إذا غضب، وأعرض وأشاح بوجهه[8]، كان خُلُقُه القرآن[9] كان أكثر

---

١ ـــ رواه الشيخان والبيهقي عن ابن عباس وتمامه: كان رسول الله أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ، فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فاذا لقيه جبريل كان رسول الله اجود بالخير من الريح المرسلة.

٢ ـــ رواه البخاري ومسلم بلفظ كان أحسن الناس خُلقاً، عن أنس بن مالك. ورواه ايضاً عن أنس. كان من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب، فخرجت حتى أمر على صبيان يلعبون في السوق فإذا برسول الله ﷺ، قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال أليس ذهبت حيث أمرتك، قلت نعم. أنا ذاهب.

٣ ـــ روى مسلم عن أنس: ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست شيئاً قط ديباجاً ولا حريراً ألين مساً من رسول الله، ﷺ، ورواه البخاري عن ابي جحيفة: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فاذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك.

٤ ـــ روى مسلم عن عائشة: فوالله لأنا أعلمهم بالله، واشدهم له خشية.

٥ ـــ وروى مسلم عن عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا ان يجاهد في سبيل الله، وما ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عزوجل.

٦ ـــ روى ابن ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر: كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم.

٧ ـــ روى الحاكم وابو نعيم في الحلية عن ام سلمة كان إذا غضب لم يجترىء عليه أحدٌ إلا علي، وروى الطبراني عن ام سلمة وابن مسعود كان إذا غضب احمرت وجنتاه.

٨ ـــ روى ابن ابي الدنيا عن أبي هريرة: كان إذا غضب وهو قائم جلس، وإذا غضب وهو جالس اضطجع، فيذهب غضبه.

٩ ـــ متفق عليه. عن عائشة.

الناس تواضعاً[١] يقضي حاجة أهله[٢] ويخفض جناحه للضعفاء[٣] كما قال له ربه وخالقُه ﴿ ... **واخفض جناحك للمؤمنين . وقل إني أنا النذيرُ المبين** ﴾[٤] .

كان يصفح عن المسيء ، فلا يجازي إلا إذا استوجب حدّاً من حدود الله ، كما قال له ربه ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وإن الساعة لآتيةٌ ، فاصفح الصفحَ الجميل** ﴾[٥] .

ما سئل شيئاً قطّ ، فقال لا[٦] ، كان أحلمَ الناس[٧] ، كان أشدَّ الناس حياءً من العذراء في خِدرها[٨] ، يعني من البنت البكر في بيتها . فأين هو الحياء اليومَ يا قوم .؟ فلا حياء في شبابنا ولا نسائنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . القريبُ والبعيدُ ، والقوي والضعيف عنده في الحق سواء ، ما عاب طعاماً قطُّ . إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه[٩] .

---

١ — روى الطبراني عن ابن عباس ، كان يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض ، ويعتقل الشاه ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير .

٢ — روى الامام أحمد : سئلت عائشة ما كان رسول الله يصنع في أهله ، قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة ، وروى أيضاً سئلت ما كان رسول الله صنيع في بيته ، قالت : كان يرقع الثوب ويخصف النعل ، ونحو هذا ، وفي رواية ويخيط ثوبه ، كما يعمل أحدكم في بيته . وفي رواية قالت كان رسول الله بشراً من البشر ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه .

٣ — كان يأتي ضعفاء المسلمين ، ويزورهم ، ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم . رواه الطبراني والحاكم عن سهل من حنيف .

٤ — سورة الحجر (٨٨ — ٨٩) .

٥ — سورة الحجر (٨٥) .

٦ — روى ابن سعيد عن محمد بن الحنفية مرسلا ، كان لا يكاد يقول للشيء لا ، فإذا سئل فأراد ان يفعل قال نعم ، وإذا لم يرد ان يفعل سكت .

٧ — روى الترمذي حديث هند بن أبي هالة الطويل في شمائله ﷺ ، وفيه : وجمع له الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه .
ومن حلمه ﷺ ما روى الشيخان أن اعرابياً جبذه جبذاً شديداً حتى أثرت الجبذة في صفحة عاتقه عليه الصلاة والسلام ، وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء .

٨ — متفق عليه عن أبي سعيد الخدري . ٩ — متفق عليه .

قال ابو هريرة ، رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . يعني للعُدم والفقر ، عصب على بطنه الحجر والحجرين من الجوع[1] كان يبيت هو وأهلُه الليالِيَ طاويْين ، كان متقلّلاً من متاع الدنيا كلّها ، وقد عرض عليه جبريل مفاتيح خزائن الأرض كلّها ، فأبى أن يأخذها ، واختار الآخرة على الدنيا[2] ، وقال له مَلَكُ الخزائن الأرض الأرضَ ، أي الزم الأرض ، ولا تمدّن عينيك إلى غيرها . وفي الحديث كان يمر عليه وعلى آل بيته الشهر والشهران ، ولا يوضع لهم قدر على نار[3] .

قل لي بربك أيها المسلم . بل قل لي أين هذا من حكامنا اليوم وقادتنا ورؤسائنا . أين هذا منا نحن المحتفلين بميلاده كل عام ، فالأصل في محبة هذا الرسول ، هو القدوة والحسنة به ، والعمل بما جاء به من عند الله .

وراودته الجبال الشمُّ من ذهب
عن نفسه فأراها أيّما شمم

صدق الله العظيم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدُنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾[4] .

يبين الله لنا في هذه الآية ، أننا متى تثاقلنا وتقاعسنا عن الجهاد ، فقد رضينا بالذل ، في الحياة الدنيا ، ورضينا بعيش الحياة الدنيا ، وأي نسبة

---

١ ــ روى الترمذي عن ابي طلحة ، فرفع رسول الله عن بطنه عن حجرين .

٢ ــ روى الامام احمد عن أبي هريرة : نصرت بالرعب ، واوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا قائم اتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فتُلّت في يدي . تفرد به أحمد على شرط مسلم .

٣ ــ متفق عليه عن عائشة قالت : ان كنا آل محمد لمر بنا الهلال ما نوقد ناراً ، انما هو الأسودان التمر والماء .

٤ ــ سورة التوبة (٣٨) .

بين متاع الدنيا والآخرة (ما نام ﷺ على فراش لَيِّنٍ قط . ولم يرض بذلك أبدا)(١) تقول إليه بيته هذا فمي ، فيجيب قائلاً : سأعود نفسي تراب الأرض، الذي سأعود،إليه ويقول بقول ربه ﴿...، **ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب**﴾(٢).

ويقول ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾(٣) ومن جليل صفاته ، ومحاسن أخلاقه ﷺ أنه كان يأمر أهله وغيرهم بالرفق ، ويقول : (يا عائشة إياكِ والعنف والشدةَ ، وعليكِ بالرفق ، فإن الرفق ما وضع في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه)(٤) ، (كان لا يجزي السيئة بالسيئة)(٥) ، وثبت في الصحيح ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : (ما مسستُ دِيباجاً ولا حريرا ، ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قطُّ أطيبَ من رائحة رسول الله ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي قط أفٍّ ، ولا قال لشيء فعلتُه لِمَ فعلتَه، ولا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا(٦).

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . ادعوا الله .

* * * * *

١ — روى الشيخان : سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله ﷺ . قالت : من أدم حشوه ليف وروى الترمذي سئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ، قالت مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ له ، فثنيناه له بأربع ثنيات ، فلما اصبح قال ، ما فرشتم لي الليلة ، قالت قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات ، قلنا هو أوطأ لك ، قال ردوه لحالته الأولى ، فانه منعتني وطأته صلاتي الليلة .

٢ — سورة آل عمران (١٤) .

٣ — سورة طه (٥٥) .

٤ — رواه مسلم عن عائشة بدون زيادة إياك والعنف والشدة وفي الصحيحين عنها ايضا يا عائشة ، ان الله يحب الرفق في الأمر كله، وعن احمد يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق ، فقد اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة .

٥ — روى ابو داود والطيالسي سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : لم يكن فاحشا ولا متفحشاً ، ولا صخَّاباً في الاسواق . ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

٦ — متفق عليه من حديث أنس .

الحمد لله أنار الوجود بطلعة خير البرية ، ونشر السعد والأمان برسالته المحمدية ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أنزل على رسوله الكتاب والحكمة ، وعلّمه مالم يكن يعلم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، صفوة الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا** ﴾[1] .

أيها المسلمون . في هذا الخطاب الإلهي ، أوصاف سَنّةٌ للنبيِّ ﷺ في بيانها توجيهُ النفوس العاقلة إلى الاهتمام باتباعه . ومن اتبعه فقد فاز . ومن اتبعه أحبه ، ومن أحبه الله غفر له ذنبه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبْبكُم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** ﴾[2] .

عباد الله اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، فقال : (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)[3] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، حتى يرضى ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، انك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها حكامها وقادتها يا رب العالمين .

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٤٥ ـــ ٤٦) .

٢ ـــ سورة آل عمران (٣١) .

٣ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك ، الحسين بن طلال ، اللهم هيّئ له بطانة صالحة مؤمنة صادقة ، تحثه على الخير ، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾(١) .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثالثة والستون بعد المائة :

٢٨ ربيع الآخرة ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٣/١٨

« علامات المنافقين ومضارهم في المجتمع »

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى ، الصادق الأوفى ، وعلى آله وصحبه ، المستكملين الشرفاء ، العاملين بما جاء عن سيدنا المصطفى . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله . اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله يحب المخلصين الصادقين ، ويكره المنافقين المرائين ، الذين يقولون مالا يفعلون ، ويظهرون خلاف ما يبطنون . أشهد أن لا إله إلا الله ، جعل العمل للقول قرينا ، وعدَّ النفاق ذنباً كبيرا ، وإثماً عظيما ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، حذَّرنا من النفاق ، والسمعة والرياء والشقاق ، فصلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وعلى آله واصحابه ، الذين قرنوا القول بالعمل ، فبلغوا من رضاء الله غايةَ الأمل .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال سبحانه وتعالى، في مُحكم تنزيله ﴿ **ومن الناس من يُعْجِبُكَ قولُهُ في الحياة الدنيا ويُشهِدُ الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام. وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسِدَ فيها ويُهلكَ الحرثَ والنسلَ، والله لا يحب الفساد** ﴾[1].

أيها المسلمون. إن الإسلام دينُ الكمال والجلال، لا ينظر إلى المظاهر الخداعة والألفاظِ البراقه ، بل ينظر إلى الإخلاص والوفاء ، وطهارة القلوب وصفائها ونقائها، من كل حقد وغيظ وحسد وبغضاء . يقول ﷺ : (إن الله لا ينظر إلى صوركم واجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2].

إن شر المسلمين، من يلقاك بوجه باسم ضاحك، وقلبه أسودُ من الليل الحالك ، وقد طوى قلبه على الحقد وحب الانتقام، يحمل لك بين جنبيه البغضاء والشحناء، ويتربص بك الدوائر، إن علم عنك حسنة أخفاها، وإن اطلع على سيئة فرضها بنفسه عليك، نشرها وملأ بها الأسماع إذَنْ فهو من المنافقين، الذين أعدُّوا لكل حق باطلا، ولكل حق صحيح قائم مائلا ، ولكلِّ حيٍّ قائلا ، ولكل باب من الشر مفتاحا، ولكل ليلٍ نبراساً ومصباحا ﴿ ...**أولئك حزب الشيطان، ألا إن حِزْبَ الشيطانِ هُمُ الخاسرون** ﴾[3].

وقد كان عليه الصلاة والسلام، من دعائه (اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر، عيناه تَرياني وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها)[4].

---

١ ــ سورة البقرة (٢٠٤ ــ ٢٠٥) .

٢ ــ رواه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة .

٣ ــ سورة المجادلة (١٩) .

٤ ــ رواه ابن النجار عن سعيد المقبري مرسلاً ، عن ابي هريرة وعائشة ، وقال احمد لاباس به .

أيها المسلم. إن كنت صادقاً في إسلامك، فاعلم بأن النفاق داء مهلك، ما فشا في أمة من الأمم إلا كان نذير دمارها وخرابها، وسبيل شقائها وعذابها، وما حلَّ النفاقَ في نفس، إلا كان دليلاً على خسارتها، وخِسةِ صاحبها، وضياعِ شرفه، وفقد شهامته. فالنفاق سُمٌّ زُعافٌ (أي سريع القتل) وعارٌ وشنار، ونار وشرار. ولذلك فقد جعل مكان هؤلاء المنافقين، كما قال الله في حقهم ﴿**إن المنافقين في الدرْك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً**﴾[1].

أيها المسلمون في زمن النفاق والشقاق. المنافق شخص حارب الله ورسوله، وأغضب رسول الله الأمين، وأرضى الشيطان الرجيم، فحُرِم رحمةَ أرحم الراحمين، وصدق الله العظيم ﴿ **يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ، وبرزوا لله الواحد القهار. وترى المجرمين يومئذٍ مُقرَّنينَ في الأصفاد. سَرابيلُهم من قَطِرانٍ وتغشى وجوهَهُمُ النَّارُ. ليجزيَ اللهُ كلَّ نفسٍ ما كَسَبَتْ، إن الله سَريعُ الحسابِ** ﴾[2].

إن الكذاب المنافق، يُعرف يوم القيامة بسواد وجهه، كما وصفه الله جل جلاله ﴿ **ويومَ القيامةِ ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُم مُسْودَّةٌ،أليس في جهنَّم مثوىً للمتكبرين. وينجِّي اللهُ الذين اتقوْا بمفازَتِهمْ لا يَمُسُّهمُ السُّوءُ ولا هم يحزنون** ﴾[3].

أيها المسلم.

إنك إذا تصفحت سورة البقرة وحدها، وجدت فيها أكثر من ثلاثة عشر وصفاً للمنافقين. وقد جعل الله للمنافقين سورة كاملة في القرآن، فمن

---

١ ـــ سورة النساء (١٤٥).

٢ ـــ سورة ابراهيم (٤٨ ـــ ٤٩ ـــ ٥٠ ـــ ٥١).

٣ ـــ سورة الزمر (٦٠ ـــ ٦١).

الأوصاف التي ذكرت في سورة البقرة قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا، ولهم عذاب أليم بما كانوا يَكذِبون**﴾[1] .

أجل. المنافق هو من كَذَب في معاملته، مع الله والناس أجمعين. فمن كذب في بيعه وشرائه، فهو منافق، ومن شهد زوراً، فهو منافق، ومن كتم الحق وهو يعلمه، فهو منافق. وقيل لرسول الله ﷺ: (أيكون المؤمن كذاباً.؟ قال لا. اقرءوا قوله تعالى: ﴿**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هُمُ الكاذِبون**﴾[2].

أيها المسلم في زمن الكذب والزور والنفاق. النفاق هو إظهار الإنسان للناس، خلافَ ما يبطن في قلبه. إنها والله لصفة ذميمة، من أقبح صفات البشر، التي تُقوِّضُ بناء المجتمع، وتفسد نظام الأمة، وتكدر صفو الحياة.

المنافق ــ يا مسلمون ــ سوسةٌ في جسم الإنسانية، وداءٌ عضال بين الجماعة، ومكروبٌ فتاك بحياة الشعوب، أثرُه كبير، وضرره خطير، ونتائجه سيئة وخيمة مخيفة، لأن صاحبه إنسان مُلْغزٌ مُبْهَمٌ، وشخصية معقدة غامضة، لا يعرف الإنسان نفعه فيقترب منه، ولا يعرف ضرره فيبعد عنه. وذلك كله مما يساعد على الخيانة والفجور. ولقد أنزل الله آيةً في حق هؤلاء المنافقين بقوله ﴿**يَحْذَرُ المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سُورةٌ تنبئُهم بما في قلوبِهم، قُلِ استهزِءوُا إن الله مُخرِجٌ ما تحذرون**﴾[3] .

إن النفاق في هذه الأيام، أشد ضرراً وفتكاً بالانسانية، أشد ضرراً بحياة الاسلام والمسلمين، وأسوا أثراً على حياة الشعوب، وعلى حياة الناس

---

١ ــ سورة البقرة (٨ ــ ٩ ــ ١٠) .
٢ ــ سورة النحل (١٠٥) .
٣ ــ سورة التوبة (٦٤) .

أجمعين، لأن النفاق على كثرته، ليس معلوماً لنا ولا محدوداً لدينا، والانسان أعجز من أن يعرف ما في قلب هذا المسلم، وإن زعم أنه صام وصلى واقصر مِنْ أن يدرك سرَّه ونواياه .

يقول عليه الصلاة السلام (اربع إذا كنَّ فيك، فلا عليك مما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث، وحُسن خليقه، وعفة في طعمةٍ)[1] أي في الكسب الحلال. وعن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفوُّ أيديكم)[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (آية المنافق ثلاث إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر)[3] وفي رواية وإذا خاصم فجر) أو كما قال. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم،فاستغفروه يغفر لي ولكم. ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة.

* * * * *

الحمد لله اللطيف الخبير، العليم بما يجيش ويتردد في الصدور، سبحانه من إله حكيم عليم، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الصادقين الثابتين على الحق المبين، في كل وقت وحين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعليهم أجمعين .

عباد الله . ورد أنه صلى الله عليه وسلم، سئل عن المؤمن والمنافق، فقال: (إن المؤمن همّه في الصلاة والصيام، والمنافق همه في الطعام

---

١ ـــ رواه الامام أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمرو ابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس بسند حسن والحديث كاملاً : اربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ؛ صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، وحسن الخلق ، وعفة مطعم .

٢ ـــ رواه الأمام أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي بسند جيد ، عن عبادة بن الصامت .

٣ ـــ متفق عليه ، من حديث ابي هريرة .

والشراب كالبهيمة، المؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة، والمنافق مشغول بالحرص وطول الأمل، المؤمن يائس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راح يرجو كلَّ أحد إلا الله تعالى فلا يرجوه، ولا يسأله، ولا يفزع إليه عند الشدائد، المؤمن آمن من كل أحد إلا من مكر الله تعالى، لقوله تعالى **﴿أفأمنوا مكر الله، فلا يأمَنُ مكرَ اللهِ إلاَّ القومِ الخاسِرونَ﴾**[1].

والمنافق خائف من كل أحد. إلا من الله المؤمن يحسنُ ويبكي. هل تقبل الله منه إحسانه ام لا.؟ والمنافق يسيىء للناس ويضحك ولا تبالي، المؤمن يزرع، ولكنه يخشى الفساد، والمنافق يسيء للناس، ويقلع زرعه بيده، المؤمن يأمر وينهى، ويبغي من وراء ذلك مصلحة أخرويّة والمنافق يبغي مصلحة دنيوية بل يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف فاتقوا الله عباد الله. اتقوا الله حق تقواه. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، تعظيماً وتكريماً، فقال سبحانه **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**[2]. اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. إنك يا مولانا سميع مجيب الدعوات. اللهم أعز الاسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين. اللهم من عادى المسلمين فعاده، ومن آذاهم فآذه، اللهم عليك باعدائنا وأعدائك، فإنهم لا يعجزونك. اللهم احصهم عددا واقتلهم بدداً، ولاتغادر منهم أحداً. اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة، افرادها وجماعاتها قادتها وحكامها ورؤسائها ومنظماتها. يا رب العالمين اللهم اجمع بين كلمتهم، واجمع شملهم على الاسلام، وعلى كتابك وسنة رسولك، ونسألك

---

١ ــ سورة الأعراف (٩٩).

٢ ــ سورة اللأحزاب (٥٦).

اللهم أن تلهم القائمين على الدفاع عن فلسطين، أن ينشدوا في مواطن الاسراء والمعراج، دولة اسلامية عربية موحدة مع اشقائها في كل مكان يا رب العالمين ، لا علمانية، ولا شيوعية، ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم وفقه واعنه على الخير وفعله. اللهم أَرِهِ الحق حقاً وارزقه اتباعه، وأرِهِ الباطل باطلا وارزقه اجتنابه. اللهم هَيِّئْ له بطانة مؤمنة صالحة، تحثه على الخير، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة والستون بعد المائة:

١١ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٤/٢٩

(الزكاة قنطرة الاسلام)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، واستغفرك، مصلياً ومسلماً على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والوفا، اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اغفر لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي. اللهم اجعل لي من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا، ومن كل عافية سِتراً، ﴿**...رب اشرح لي صدري. ويسر لي امري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * * *

الحمد لله، الذي جعل في الدين دواء لعلل الأفراد والجماعات، لا إله إلا هو، ربكم ورب آبائكم الأولين، أحمده سبحانه وتعالى، على ما أولانا من نعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء علما، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله، ارسله الله لصلاح الدنيا والآخرة. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد، فيا أيها المسلمون. فقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه، حاكياً عما جاء في التوراة ﴿**وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسْنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...**﴾[2].

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨).
٢ ـــ سورة البقرة (٨٣).

وقال تعالى على لسان عيسى، عليه الصلاة والسلام، في الإنجيل ﴿**قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمْتُ حيّاً**﴾[١].

أيها المسلمون. لقد اهتمت الشريعة الاسلامية بفرضية الزكاة أكثر من غيرها، حيث لا يقبل إيمان أحدٍ الا بالزكاة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿**...فإن تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم**﴾[٢] وقال جل وعلا ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين،...**﴾[٣].

أجل أيها المسلمون. إن الشريعة الاسلامية قررت أن نجاح المجتمع بالزكاة، وخسرانه بتركها قال تعالى، استدلالاً على ذلك ﴿**قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو مُعرضون. والذين هم للزكاة فاعلون**﴾[٤] ويقول سبحانه، مرُغباً في دفع الزكاة، لمستحقيها فيقول مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿**خذ من أموالهم صدقةً تطهرُهُم وتزكيهم بها...**﴾[٥].

إن من عرف مقام الخلفاء الراشدين عند ربهم، وعرف مكانة خليفة الاسلام والمسلمين الأول؛ أبي بكر الصديق رضوان الله عليهم أجمعين. ومن علم ماذا قال ابو بكر، للذين عارضوه في قتال مانعي الزكاة، قال رضي الله عنه (والله لو منعوني عقالا ـــ أي حبلاً يحمل به الحمل ـــ وقد كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه)[٦] فمن علم حقيقة هذا الموقف

---

١ ـــ سورة مريم (٣٠ ـــ ٣١).

٢ ـــ سورةالتوبة (٥).

٣ ـــ سورة التوبة (١١).

٤ ـــ سورة المؤمنين (من ١ ـــ ٤).

٥ ـــ سورة التوبة (١٠٣).

٦ ـــ رواه الخمسة عن ابي هريرة وأوله: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. قال عمر: فوالله ماهو إلا ان شرح الله صدر ابي بكر للقتال، فعرفت انه الحق.

الجرىء. أيقن وصدق أن للزكاة مكانتها ومنزلتها في الاسلام. وخرج بنتيجة ايجابية، أن ولاة الأمور وحكام اليوم، عليهم تبعة ومسؤولية دفع الزكاة ومنعها. انظروا أيها الناس الى رأفة رسول الله ﷺ وعطفه وشفقته إذ يقول: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين، فترك دينا، فعلي قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته)[1] وفي هذا اشارة واضحة إلى أن وليّ الأمر يتحمل ديون موتى فقراء المسلمين. وهذا ما كان في عهد الخلافة الاسلامية، في زمن عزة الاسلام وصولته ودولته، لا في زمن ذلة ومسكنة. وجاء في حديث آخر أن النبي عليه الصلاة والسلام، قال (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) يعني أنا ارحم بالعبد المؤمن من نفسه) ثم قال: (فمن ترك مالا فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضَيَاعاً (أي عيالاً) وأطفالاً ومالا، فإليّ وعليّ) ويفهم من قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها...﴾ إرشاد واضح من أن الزكاة تطهير للنفوس من دنس البخل والشح، ومن خطرات السوء أيضاً، وفي الزكاة ينمو المال ويزداد، وتنمو ملكة الكرم والسخاء.

أيها المسلمون. لقد زعم أحد المسؤولين في الجمارك، في الندوة التلفزيونية أن ضريبة الدخل التي تدفع للحكومة، تغني عن زكاة الأموال وعروض التجارة. تالله. إنها فتوى جريئة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا دليل عليها ، ولا برهان ، وتهجم على الدين ، بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير ، يقول ﷺ (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)[2] وقال عليه الصلاة والسلام (من أفتى بغير علم ، فليتبوأ مقعده من النار)[3] أيها المسلمون في زمن الفوضى الاخلاقية . نرى كثيراً من الناس يتهجمون على الدين والعلم ، ويفتون الناس في ندواتهم وإذاعاتهم ، وفي الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى ، ظانين أنهم أعلم الناس ، وادرى الناس بما يفتون ويقررون ، وان المستمعين والناظرين في الصحف والمجلات ممن لا خبرة لهم

---

١ ــــ متفق عليه والامام احمد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه عن ابن عمر من مات وعليه دينار أو درهم ، قضي من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم ومن ترك ديناراً أو ضياعاً ، فعلى الله ورسوله .

٢ ــــ رواه الدارمي عن عبدالله بن ابي جعفر مرسلاً .

في العلم، يظنون أن جميع ما يصدر من الاذاعات والتلفزيون صحيح. فيعملون بهذه الفتاوي، فالناس اليوم يريدون أن يتمسكوا، فيمن يُفتيهم بأحبال الهواء، وبعضهم يريد التحلل من هذا الدين بغير قيد ولا شرط، حتى إذا وجدوا لهم مخرجاً في جريدة أو مجلة، أو مذياع تمسكوا به، وقالوا: وعليه الفتوى.

يا قوم. إسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا. لقد كانت الفتوى في زمن العلماء السابقين الأولين تمر على أربعين عالماً، وكلُّ عالم منهم يقول (لا أدري، اذهب إلى غيري، فتمر بأربعين عالماً وترجع للأول)[1] لأنه ﷺ يقول (من قال لا أدري، فقد افتى)[2] وقيل (لا أدري نصف العلم)[3] وسئل الإمام مالك رضي الله عنه، وهو بحر زاخر في العلم، وله كتاب الموطأ وكفى، سئل عن أربعين مسألةً في العلم، فأجاب عن أربع مسائل، وقال في الست والثلاثين مسألةً، لا أدري. وقال: والله أعلم.

أيها المسلمون. الزكاة قنطرة الإسلام، فأين تُصرف الزكاة اليوم.؟ وأين هم المحافظون عليها.؟ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الخليفةُ الثاني العادل (والله لو أن سخلة فقدت وضاعت من أموال المسلمين، لكان عمر مسؤولاً عنها أمام الله).

خبروني بالله عليكم. لماذا لا يفتي علماء المسلمين، حين يُسألون في الطب والهندسة والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء).؟ نعم لا يفتون إذا سئلوا عنه، لأنه ليس من اختصاصهم، ولا يجيبون عنه، إلا إذا كانوا عالمين به. إذَنْ لماذا يهتم الكثير من الناس في مختلِف، المجالات فيفتون الناس بغير ما أنزل الله.؟ فمن سئل عن حكم تارك الصلاة مثلاً، فأجاب من بناتِ أفكاره، وما يصوِّره الشيطان له، كان جريئاً على النار، وقد تبوأ مقعده منها.

---

١ ــ وقد كان ابن عمر اذا سئل قال: اذهب الى هذا الأمير، الذي تقلد أمر الناس، فضعها في عنقه، وقال: يريدون أن يجعلونا جسراً يمرون علينا على جهنم. وقال ابن مسعود: الذي يفتي عن كل ما يستفتى عنه مجنون.

٢ــ٣ انظر تخريجها فيما سبق.

أيها المسلمون. يا أصحاب الثروة ويا أيها الأثرياء. إن من يتقلب في نعم الله تعالى، ولم يدخل في حسابه، شيء من آلام الفقراء وحاجات المساكين، وضيعة اليتامى، وبؤسِ الأرامل، وبكاءِ المنكوبين، ولم يجعل له صدقةً جارية في سبيلِ الله إلى يوم القيامة، قد خرج عن حدود الإنسانية ومعانيها التي هي أخصُّ صفاته، فالإنسان لبنةٌ في المجتمع، وقد يكون حَجَر الزاوية أحياناً، يعيش لنفسه ولغيره، ولكنَّ الحيوان يعيش لنفسه فقط.

يقول ابن مسعود، رضي الله عنه (كلُّ أحدٍ في هذه الدنيا ضيفٌ وماله عاريةٌ، والضيف مرتحل، والعاريَةُ مردودة.

وما المال والأهلون إلا ودائـــعٌ
ولا بد يومــاً أن تُردَّ الودائـــعُ

وقال حكيم:

لعمرك إن المال غـــادٍ ورائـــحٌ
ويبقى من المال الأحاديثُ والذِّكْرُ

والحق يا مسلمون. إن منع الزكاة كفر بنعم الله، وغصبٌ لحقوق الضعفاء، وعَمىً في القلب، وخُسران مبين. قال تعالى: ﴿...،**قل إن الخاسرِين الذين خسروا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامة، ألا ذلك هو الخُسرانُ المبين**﴾[1].

وقال جلت عظمته في حق مانعي الزكاة، الذين يضعونها في غير محلها،ولا يُخرجون منها حقاً لأصحابها ﴿...،**والذين يَكنِزونَ الذهبَ والفضَّةَ ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنَّمَ فتكوى بها جِباهُهم وجُنوبُهم وظهورُهُم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[2].

١ ــ سورة الزمر (١٥).
٢ ــ سورة التوبة (٣٤ ــ ٣٥).

ويقول عليه الصلاة والسلام (ما من صاحبِ كنز، لا يؤدِّي زكاته، إلا أُحْمِيَ عليه، فيُكوى جنباهُ وجبينُه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ، ثم يرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما الى النار)[1].

وقال ابن عباس، رضي الله عنهما (ما من صاحب مال لم يؤد زكاته، ولم يحجَّ، إلاَّ سأل الله الرجعة عند موته). أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لي ولكم. ادعو الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله، الذي جعل المال زينةً لدينه ودنياه، لتتيسر به الأمورُ وتُقضى به المصالح، وتتم به الأعمال والواجبات. (أحمده) سبحانه وتعالى، وأسأله الغنى من فضله، والعزة بطاعته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل المال أداةً تنفع وتضر، وعرضاً يذهب ويجيء، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، الذي استعمل المال في طاعة ربه ومولاه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، الذين زهِدوا في الدنيا وهم يملكونها، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون.

أما بعد. فقد قال سبحانه وتعالى **﴿المالُ والبنونَ زينةُ الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثواباً وخيرٌ أملاً﴾**[2].

---

١ ـــ مختصر هكذا من حديث طويل رواه الخمسة إلا الترمذي، عن أبي هريرة، وتمامه: مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا اذ كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكون بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضىٰ بين العباد، فيُرى سبيله: إما الى الجنة وإما الى النار، قيل يارسول الله، فالإبل، قال ولاصاحب ابل لايؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها ـــ أي شربها للماء ـــ الا اذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر ـــ أي بارض مستوية ـــ أوفر ما كانت، لايفقد منها فصيلا واحداً، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه اخراه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيُرى سبيله إما الجنة واما الى النار.

قيل يارسول الله فالبقر والغنم، قال ولاصاحب بقر ولاغنم لا يؤدي منها حقها، الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاء (اي ملتوية القرن) ولا جلحاء (أي التي لاقرن لها) ولا عضباء (أي المكسورة القرن) تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مرَّ عليه اولاها رُدَّ عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد فيُرى سبيله: اما الى الجنة، واما الى النار.

٢ ـــ سورة الكهف (٤٦).

أيها المسلمون. هذه آيةٌ صادقة من كتاب ربكم، تُبين لكم قيمةَ المال ورسالته، فهو عصب الحياة، وإنسانُ عينها، ومحورُ ارتكازها.

لا تؤدّى رسالةٌ إلا بفضله، ولا تنجح دعوةٌ إلا بمعونته، ولا يتمُ مشروع إلا بمساعدته، فهو عِماد كلّ دولة، وساعد كلّ أمة. به توزن الرجال، وبه تتم الأعمال، المال قوة الضعيف، وقدرة العاجز، ولسان الأبكم، وحجة المغلوب، وجمال القبيح، إشارتهُ قانون، وعبارته مرسوم، وامره نافذ مطاع.

حقاً إن المال هو إلهُ الأرض عند الطامعين.! ومفتاح السماء.! يُدخِلُ الجنة والنار.! وينصر الحق والباطل.! يَفتن اللبيب والبليد.! يُضلُّ العالم والجاهل.! يذلل كل صعب.! ويسهِّل كل وَعْرٍ.! ويقرب كلَّ بعيد.! فلا تجمعوه من حرام وحلال، ولا تنفقوه في مشروعٍ ممنوع.[1] استعملوا الحكمة في إنفاقه، فلا يقبل عند الله، إلا ما كان خالصاً لوجهه.

أيها المسلمون. إن مزية الإسلام على كل دين. أنه جمع بين الحياتين، وربط بين الدارين، فجعل الدنيا مزرعةً للأخرى، وسبيلاً إلى نيل السعادة فيها. ولا قيمة في نظر الإسلام لدينٍ بلا دنيا، كما لا قيمة في نظره لدنيا بلا دين. فنعم المال الصالح للرجل الصالح، كما قال عليه الصلاة والسلام، وقال أيضاً (لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة، حتى يسأل عن ثلاثٍ: عن شبابه فيم أفناه.؟ وعن عمره فيم أبلاه.؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.؟)[2].

---

١ — رحم الله صلاح الدين الصفدي، إذ يقول:

من جاد ساد وأحيا العالمون له ... بديع حمد القول متصلُ

من رام نيل العلا بالمال يجمعه ... من غير حلٍ، بلى من جهل وبلي

٢ — خرجه الترميذي عن ابي برزة الأسلمي، وقال حسن صحيح، والمعروف ان الحديث هكذا: «لاتزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه.؟ وعن جسده فيما أبلاه.؟ وعن عمله ما عمل فيه.؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.؟».

أيها المسلمون. إن مصارف الزكاة مذكورة في كتاب الله تعالى، للأصناف الثمانية: ﴿**إنما الصَّدقاتُ للفقراءِ والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقاب والغارمينَ وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضةً من الله، والله عليم حكيم**﴾ (١).

أما الضرائب والخراج والجزية والإتاوة، لا تُصرف إلا لتنظيم شؤون الدولة. فاتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾ (٢) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي، ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الاحياء منهم والأموات، انك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة. اللهم قو شوكتها بالإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم هَيِّءْ له بطانة صالحة، تحثه على الخير والحق، وتحذره من الشر والباطل، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، سائر بلاد المسلمين.

﴿**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون**﴾ (٣).

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ــ سورة التوبة (٦٠).
٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦).
٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الخامسة والستون بعد المائة :

٢٥ جمادى الاولى ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٥/١٣

« من علامات الساعة »

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على حبيبك وصفيك ونبيك ورسولك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ذوي الفضائل والمكارم. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة، عين واصلح لي شأني كله، اللهم اغفر لي ذنبي وجهلي، وعمدي وخطأي، وإسرافي في أمري، يا ناصر الحق المبين. انصرنا على الظالمين وأعوانهم يا رب العالمين. اللهم أعذني من شر نفسي وسيئات أعمالي، ومن شر الدجّالين المراوغين، ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾(١).

* * * *

الحمد لله، الذي خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا، أحمده سبحانه، جعل لكل بداية نهاية، وجعل لكل شيء قدرا، أشهدُ أن لا إله إلا الله، الملك الحقُ المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، الصادق الوعد الأمين. ﷺ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وزينة الدنيا والدين، عرفوا الدنيا وهوانها على الله، فتزودوا منها للأخرى، لاعقادهم بقرب الساعة وقيامها.

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨).

أما بعد. فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿**وآتقوا فتنةً لاتصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أنَّ الله شديدُ العقاب**﴾[1].

أيها المسلمون. الفتنة هي المحنة والشدةُ والعذاب، وكل أمرٍ مكروهٍ ـــ والعياذ بالله تعالى ـــ فإن كانت من الله؛ كالأمراض وفقد الأحباب، فهي لحكمة يعلمها الله، وهي ممدوحة شرعاً، وإن كانت الفتنة من الإنسان نفسه، بتعديه وتجنيِّه على العز، فهي مذمومة وإثمها عليه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: (إذا أنزل الله بقومٍ عذاباً، أصاب العذابُ من كان فيهم، ثم بُعثوا على أعمالهم)[2] يعني أنه إذا نزل بقومٍ عذاب عمَّ الصالح والطالح، ولكنهم يبعثون في الآخرة، كلٌّ على حسب عمله، وللصالح أجر ما أصابه في دنياه.

أيها المسلمون. نحن الآن في زمن يصبح فيه المؤمن مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض زائل من الدنيا.

إن علامات الساعة، هي الأمارات التي تسبق يوم القيامة، وهي الدالة على قُربها، عن أمِّ سلمة زوجِ النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها، قالت: (استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: سبحان الله. ماذا أنزل الله من الخزائن.؟ وماذا أُنزل من الفتن.؟ من يوقظُ صواحب الحُجُراتِ.؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا، عاريةٌ في الآخرة)[3].

أيها المسلمون. لما استيقظ النبي ﷺ من نومه، وهو في بيت زوجته أمّ سلمة، كان خائفاً فزعاً، فسبحَّ ربه ونزهَّه عن كل نقص، وقال: ياترى ماالذي أنزل الله من الفتن، التي ستنتشر بين المسلمين. وكان تنبؤه ﷺ صحيحاً، فقد ابتدأت الفتنة بعده عليه الصلاة والسلام، بقتل عثمان ابن

---

١ ـــ سورة الأنفال (٢٥).

٢ ـــ رواه البخاري، عن ابن عمر.

٣ ـــ رواه البخاري عن ام سلمة، ولكنه بدل (سبحان الله) لا إله الا الله.

عفان ، رضي الله عنه ، ثم نادى الرسول ، وقال : من الذي سيوقظ أمهاتِ المؤمنين من نومهنَّ ، ليقمْنَ بعبادة الله ، ومن السنة أن الإنسان إذا استيقظ في الليل للعبادةِ ، أن يوقظ أهله ، هكذا كان مسلمو السلف الصالح ، رضي الله عنهم أجمعين ، ثم نادى ﷺ وقال : (رُبَّ كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة ، يعني أن الكثير من النساء من يلبسْنَ لباساً لا يواري سوآتِهنَّ ، فهؤلاء وأمثالهن ستبعث كلُّ واحدةٍ منهن عُريانه ذليلةً ، كما كانت عاريةً بين الناس ، لأنها هتكت السِتر ، ما بينها وبين الله تعالى)[1].

وبيَّن في حكمته ﷺ هذه ، أن كثيراً من ذوي اليسار ، المتجملين بأنواع الثياب ، متفاخرين بها في الدنيا ، سيُبعثون يوم القيامة أذلاء ، حُفاةً عُراة ، لعدم تجملهم بلباس التقوى . والله تعالى يقول : ﴿ ... ولباسُ التقوى ذَلِكَ خَيْرٌ ... ﴾[2] . نسأله تعالى السلامة والعافية ، ونسأله أن يجملنا بالتقوى .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : (يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويكثر الهرجُ . قالوا يا رسول الله : أيُّما هو الهرج) يعني ما هو : قال القتلُ القتلُ)[3] .

---

١ ــ وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ ما من امراة تضع ثيابها ــ في غير بيت زوجها ــ الا هتكت الستر بينها وبين ربها ، وفي رواية : خرق الله عنها ستره . رواه الامام أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي امامة .

٢ ــ سورة الأعراف (٢٦) .

٣ ــ رواه الطبراني عن أبي موسى وفي الصحيح طرف منه ، وتمامه : لا تقوم الساعة حتى يكون القرآن عاراً ، ويتقارب الزمان ، تنتقض عراه ، وتنتقص السنوات والثمرات ويؤتمن التهماء ، ويتهم الابناء ، ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويكثر الهرج ، قالوا ما الهرج يا رسول الله ، قال القتل ، ويظهر البغي والحسد والشح ، وتختلف الامور بين الناس ، ويتبع الهوى ، ويقضي بالظن ، ويقبض العلم ، ويظهر الجهل ، ويكون الولد غيظاً ، والشتاء قيظاً ، ويجهر بالفحشاء ، وتروى الأرض دماً .

أيها المسلم . تقاربُ الزمان معناه أن البركة تقل من الوقت ، حتى تكون السنة كالشهر ، والشهر كالأسبوع ، والأسبوعُ كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السَّعفةِ ، أي كاحتراق الأعشاب الناشفة . فها أنتم أُولاءِ ترون وتشاهدون بأنفسكم ، وتشعرون به ، فينقص العمل بالعلم ، ويقل العلماء العاملون ، فلا ترى من الناس إلا أدعياء العلم ، المرجفين الهمّازين ، واللمازين والعيّابين المفرقين بين الأحبة ، في سبيل مصلحتهم ، ومصالحهم الشخصية ، لا سيما في هذا الزمان العصيب المُرّ ، الذي تُعلِّم فيه العلم لغير وجه الله . هذا إن كان لديهم ذرةٌ من علم ، يقول ﷺ : إن الله تعالى قال في الحديث القدسي : (خلقتُ خلقاً ألسنتُهم أحلى من العسل ، وقلوبُهم أمرُّ من الصبر ، فبي حلفت لأتيحنهم فتنةً تدع الحليم منهم حيران : فبي يغترون .؟ أم عليّ يجترئون)[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي ، كلُّ منافقٍ عليم اللسان)[2] .

أيها المسلمون في زمن الفرقة والخلافات والأحزاب . لقد تم للمستعمر ما أراد ، فقد انقسمت الجماعات الإسلامية ، وتفرقت كلمتها . وهذا ما يريده أعداء الإسلام ، لقد صاروا شيعاً واحزابا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، لقد صار المروجون للفتن ، يعيثون في الأرض فساداً ، ليشكلوا خطراً على الإسلام . إنهم يقبضون أجراً على التفرقة من هنا وهناك ، من غير طريق مشروع ، مُدعين الإسلام ، زاعمين أنهم يدافعون عن الدين ، ويطعنون في الأنبياء والمرسلين ، وعلى رأسهم سيدنا رسولُ الله ﷺ ، مدعين أنه ﷺ قدم لنا طبقاً من عسل ، ثم مات ، وذهب

---

١ ــ رواه الترمذي عن ابن عمر وقال حسن غريب . ورواه أيضا عن ابي هريرة ، باختلاف في بعض الالفاظ .

٢ ــ رواه الامام أحمد عن عمر بن الخطاب ورواه البزار وابو يعلى قال المنذري في رجاله محتج بهم في الصحيح .

وهو الآن جثة هامدة ، كسائر الأموات . فهل بينكم وبين رسول الله ، والصالحين والأولياء ، عداءٌ أو بغضاء .؟ إنهم قوم زادت وقاحتهم ، فطعنوا في السلف الصالح ، وفي أئمة الحديث ، وفي أحاديثهم الصحيحة المعتبرة ، والذي هو أشد وأنكى من ذلك ؛ أنهم يدعون الاجتهاد ، ولا يتقيدون بمذهب من المذاهب ، مع أنهم أغبياء ، لا يعرفون شرطاً واحداً من شروط الاجتهاد ، إنهم لا يريدون الأئمة الأربعة . يريدون أن يشككوا الناس ويضللوهم ، من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

يا عصبة الفتن . يا مروجي الإشاعات الضالة . إذا كانت الحياة البرزخية قد ثبتت للشهداء ، في قوله تعالى ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **ولا تقولوا لمن يُقتَلُ في سبيل الله اموات ، بل أحياءٌ ولكنْ لا تشعُرون** ﴾[2].

أليست حياة الأنبياء من باب أولى ، وهم أقرب إلى الله من غيرهم ، ألم يقل رسول الله ﷺ (حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم ، تعرض عليَّ أعمالكم ، فإن وجدت خيراً حمدت الله وان وجدت غير ذلك آستغفرت لكم)[3] أما قال له رجل ، حين قال ذلك ، كيف تُعرض أعمالنا عليك وقد أرِمْتَ أي بليت وفنيت في التراب ، أما قال له ﷺ آنذاك (إن الله حرّم على الأرض ، أن تأكل أجساد الأنبياء)[4] أتريدون ـــ بعدما أنكرتم

---

١ ـــ سورة آل عمران (١٦٩) .

٢ ـــ سورة البقرة (١٥٤) .

٣ ـــ رواه ابن سعد في طبقاته عن بكر بن عبدالله المزني ، مرسلا ، ورواه البزار عن ابن مسعود ، وقال الهيثمي رجاله ، رجال الصحيح .

٤ ـــ الحقيقة هذا حديث آخر غير الذي قبله ، وبغير مناسبة مطلقاً . رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء قال ، قال رسول الله ﷺ : أكثروا علي من الصلاة كل يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة ، وان احداً لن يصلي علي الاعرضت علي صلاته ، حتى يفرغ منها ، قال قلت وبعد الموت ، قال إن الله حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء ، واسناده جيد .

ورواه الأمام أحمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن أوس بن أوس : من أفضل ايامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمْت ، يعني بليت ، فقال إن الله عز وجل ، حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

الأحاديث الصحيحة ، المتفق عليها ، بل التي أصبحت في حكم المتواتر ، وتناقلها العلماء ، الذين هم علماء بمعنى الكلمة ، كابراً عن كابر ، في زيارته ﷺ أن تنكروا صراحة القرآن الكريم ، وعمومه وخصوصه ، ونصّه وظاهره . صدقت يا رسول الله . والله حينما قلت (يأتي زمان على أمتي ، القابض فيه على شيء من دينه ، كالقابض على الجمر)[1] ، لأنه يكون شاكاً ، متردداً بين الكفر والإيمان . فهذه الكتب الخارجة عن إجماع أهل السنة والجماعة ، التي تستبدلون بها ، وتستندون إليها ، نحن نعرفها واحداً واحدا .

يا قوم إلزموا الجماعة . إلزموا أهل السنة والجماعة ، الزموا السلف الصالح .

فكــل خير في اتبــاع من سَلَفْ
وكــل شر في ابتداع من خَلَفْ

خطب أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه بالجابية ، فقال : أيها الناس . إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا ، فقال : (أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب ، حتى يحلفَ الرجل ولا يُستحلف ، ويشهدَ الشاهدُ ولا يُستشهد ــ ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطانُ . عليكم بالجماعة ، وإياكم والفُرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد . من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . من سرّته حسنتُه وساءته سيئته ، فذلكم المؤمن)[2] . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم .

* * * * *

١ ــ رواه الامام أحمد عن أبي هريرة وابو داود باختلاف في بعض الألفاظ ، ورواه البزار والطبراني باختلاف في بعض الألفاظ ، عن ابن مسعود ، وتمامه : أن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن كقبض على الجمر ، للعامل فيها أجر خمسين . قالوا يا رسول الله أجر خمسين منهم أو خمسين منا ؟. قال خمسين منكم .

٢ ــ رواه الامام احمد والترمذي والحاكم عن عمر رضي الله عنه ، وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الحاكم على شرطهما .

الحمد لله العادل ، الذي أمرنا بالصدق والإخلاص ، ونهانا عن الكذب والاعتساف ، أشهد أن لا إله إلا الله ، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال ، الذي قال : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾[1] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي بين لنا علامات الساعة وأماراتها ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون . عن عبدالله بن أبي رافع ، رضي الله عنه ، أن الحرورية لما خرجت على عليٍّ رضي الله عنه ، قالوا له (لا حكم الا لله . قال عليٌّ كلمة حق ، أريدَ بها باطل) وفي هذا الزمن ، إذا كنت مجهولاً بين الناس ، فخالفهم في دينهم ، في معتقداتهم ، تعرف بينهم من المخالفين ، وتظهر لتكون من الدعاة والداعين .

لقد ظهر اليوم معظم علامات الساعة . قال تعالى ﴿ **فهل ينظرونَ إلاَّ الساعة أن تأتيهم بغتةً ، فقد جاء أشراطها ، فأنَّى لهم إذا جاءتهم ذِكراهُمْ** ﴾[2] . وقال جل وعلا ﴿ **اقتربتِ السَّاعةُ وانشق القمرُ** ﴾[3]. وقال جل جلاله ﴿**أتى أمرُ الله فلا تستعجلوهُ**،... ﴾[4].

ولقد بين الله لنا في محكم كتابه ، أنها لا تأتي إلا شاهد على ذلك بغتةً . إن الزلازل المتوالية في كل بلد ؛ في الشرق والغرب اصدق . أما الأحاديث الواردة في قيام الساعة ، وقرب قيامها فكثيرةٌ ، فظهور الدجال ، ونزول المهدي ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام)[5] وردت فيها الأحاديث المتواترة ، ومن أراد التحقق من ذلك ، فليرجع إلى زاد المسلم ، والتاج الجامع ، ففيها خير بيان .

---

١ ـــ سورة لقمان . (٣٤) .
٢ ـــ سورة محمد (١٨) .
٣ ـــ سورة القمر (١) .
٤ ـــ سورة النحل (١) .
٥ ـــ روى مسلم ع حذيفة بن اسيد قال اطلع علينا رسول الله ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ، قالوا نذكر الساعة . قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات . فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ياجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من قعر عدن فتطرد الناس الى محشرهم .

وعن عمران بن حصين ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف) فقال رجل من المسلمين ، متى ذلك .؟ قال : (إذا ظهرت القنيات والمعازف ، يعني المغنيات وآلات الطرب واللهو ، وشُرب الخمور)[1] وهذا واقع في حاضرنا وبلدنا وزماننا ، والحرب تتحفز للوثوب علينا) . اتقوا الله حق تقواه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، تعظيماً له وتكريما فقال **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلميا ﴾**[2] اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم أيد الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين، واجعلنا ممن يقولون كلمة الحق، ويجهرون بها. اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة؛ أفرادها وجماعاتها، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، الحسين بن طلال، اللهم هَيِّء له بطانة حق وصدق، تحثه على الخير، وتحذره من الشر يا رب العالمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين، وارفع عنا القحط والمقت والبلاء، يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون ﴾[3].

* * * * *

* * *

*

---

١ ـــ رواه الترمذي وقال حسن غريب ولفظه « في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف : اذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور » .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والستون بعد المائة :

٢٣ جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/٦/١٠

(كتاب الله دستور الحياة)

أحمدك ربي، وأشكرك واتوب إليك، وأستعين بك، وأستغفرك، مصلياً ومسلماً على عبدك ورسولك، الذي جاءنا بكتاب من عندك، وعلى آله واصحابه، الذين اتبعوه واتبعوا النور الذي أنزل عليه. اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم اغفر لي ذنوبي كلها، واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * *

الحمد لله، الذي جعل القرآن مصدر هداية ورشاد، أحمده سبحانه وتعالى، وأسأله تعالى أن يرزقنا الفهم في كتابه، والتدبر في آياته ، والتأدب بآدابه، وأشهد أن لا إله إلا الله، يخلق ما يشاء ويختارُ، ما كان لهُمُ الخيرةُ من أمرهم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله، الذي أوصى أمته بالتمسك بكتاب ربه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آزروه وعزّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد. فيا أيها المسلمون. يقول الله تعالى ﴿ **وأنِ احكُمْ بينَهُم بما أنْزَلَ اللهُ ولا تتبعْ أهواءَهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن تولَّوا فاعلم أنَّما يُريد الله ان يُصيبَهم ببعض ذنوبهم، وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحُكمَ الجاهلية يبغون، ومن أحْسَنُ من الله حُكماً لقوم يوقنون** ﴾[1].

يا أمة الإسلام بالقول واللسان لا بالقلب والجنان. آيةٌ صادقة من كتاب الله، تبين لكم منزلة القرآن في الأرض، وتشرح لكم وظيفة القرآن في الدنيا، فما جاء القرآن، إلا ليكون قانوناً يحكم، ودستوراً يُتبَّع، وقائداً حكيما يرشد، ومصباحاً يضيء، لا تسعد البشرية إلا به، ولا تصلُح إلا معه، فهو دواء ناجع للنفوس من كل داء، فكل حكم أو تشريع، أو قانون يصدر عن غير القرآن، وكل قانون يُستمد من غيره، إنما هو تضليل خاطىء من القوانين الوضعية، التي وضعها البشر، من تصور مصدره العصبية والأنانيَّة والجهل، ويَنبوعه الطمعُ والهوى والشيطان ﴿ ...، **ومن يتخذِ الشيطانَ ولياً من دون الله فقد خسِر خُسراناً مُبينا. يَعِدُهم ويُمنّيهِمْ، وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غُروراً** ﴾[2].

أيها المسلمون. يا أمة خير الأنام. إن كنتم من أهل القرآن. الإنسان في ذلك آلة كسائر الآلات، إلا أن مصنعه من قوة رب السموات والأرض، مُوجِدُه هو الله، ومرشده رسول الله ﷺ، ومادته التي يدور عليها، ويَصلح بها إنما هي كتاب الله وحدَه، ومتى كان مركز قيادته في السماء، فلا يمكن أن يحكم بقوانين الأرض، النابعة من صُنع البشر، وإلا اضطربت الموجة بين جهازي الإرسال والاستقبال، حينئذ يختل نظام العالم بأسره،

---

١ ـ سورة المائدة (٤٩ ـ ٥٠).

٢ ـ سورة النساء (١١٩ ـ ١٢٠).

ويسوده الفوضى والاضطراب ﴿**إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراكَ الله، ولا تكن للخائنين خصيماً**﴾[1]. حقاً يا أمة صاحب الشفاعة والوسيلة، والمقام المحمود.

ليس هنالك حكم أحسنُ وأنفعُ وأجدى، من كتاب الله تعالى، به يتداوى مريضُ النفس، ضعيف الإيمان.

أجل. فالقرآن دواء الإنسانية من أمراضها وأسقامها وعِللها وآفاتها.وكيف لا يكون كذلك، وقد أنزله الله بقدرته الجبارة. وأنزله شافياً كافياً على قلب حبيبه ومصطفاه، سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، أنزله سبحانه من مُلكه وملكوته، المكانة اللائقة به من الإعظام والإجلال، فلقد نسخه في لوحه المحفوظ، وأودعه بيت العزة، وأنزله في ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، في شهر رمضان، الذي هو أفضل الشهور، بأيدي سَفَرةٍ، كرامٍ بررة، على خاتم الأنبياء والمرسلين[2]، إلى خير أمة أُخرجت للناس، من أقدس أرض وأطهرِها، مزوَّداً بجميع أنواع العبادات، والمعاملات مليئاً بالقواعد الشاملة النافعة لكل أبناء البشر، لو عملوا به وطبقوه، إذ لا يحلّ مشاكل العالم اليوم إلا تعاليمُ القرآن، إذ أنه نزل مليئاً بالقوانين الشرعية المرعية، والنظم الحكيمة، ذاكراً حقّ الفرد على المجتمع، مراعياً واجب الحاكم والمحكوم، فارضاً حقوق الرعية على كل حاكم، مُبيناً حقوق الفقراء على الأغنياء، واضعاً لنظام الشورى والمساواة، مفصّلاً سياسة الدولة في الداخل والخارج، والحرب والسّلم، فارضاً على الحكام الرحمة والرأفة بالرعية، فلا

---

١ ــ سورة النساء (١٠٥).

٢ ــ قال تعالى ﴿ انا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ وقال: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ وعن واثلة بن الأسقع، ان رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان، وانزلت التوارة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان. رواه الأمام احمد، ورواه ابن مردوية باختلاف في بعضهم، وروي عن ابن عباس، انه قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، جملة واحدة، إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه، كما قال تعالى: ﴿ إنا انزلناه في ليلة القدر ﴾ وقال ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾، ثم نزل بعده مفرقا، بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

غُلوّ ولا غلاء ولا شطط ولا تعسُّف، ولا ظلم ولا جور وفي هذا يقول سبحانه ﴿ ...**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدىً ورحمةً وبُشرى للمسلمين**﴾[1] ولقد أيد ذلك الواقع والمحسوس. فكلكم تعلمون أن القرآن نزل في بيئة كانت منغمسة في جاهليتها الجهلاء ، في الجزيرة العربية ، في قوم تمكن منهم الفساد ، وتغلغل فيهم الشر، وتأصل فيه حب الذات، وحب الثأر، والانتقام لأتفه الأسباب ، فكانت الجزيرة العربية عن بكرة أبيها، معقلا للشياطين ، وموئلا للعصبيات والعشائرية، ومهدا للفتن والقلاقل . تلكم البيئة التي نزل فيها القرآن، قبل اربعة عشر قرنا. نزل فيها القرآن يومئذ، استولى فيها الجهل على عقولهم، فأظلمت أرواحهم، حتى جردهم من كل خصائص الانسانية، ومعانيها الحيوية ، قل لي بربك، ماذا كنت ترجو من أمة، كانت تعبد الأحجار وتؤلّه الأشجار ، وتأكل الميته ، وتشرب الخمور .؟ تنصر الباطل على الحق . تعين القوي على الضعيف . إن إمة مثل تلك الأمة، لا تصلحها نظريات (سنبسر باكون)، ولا تهذبها تعاليم (ديكارت)، ولا قوانين (نيوتن)، ولا (نابليون). لأن هؤلاء جهلوا مكان الداء من أنفسهم ، فكيف يعالجونه في غيرهم، وهم كما قيل :

طبيب يداوي الناس وهو عليل. وكان من حكمته سبحانه وتعالى، أن ينزل القرآن فيهم، وهم على تلك الصفات. فكان فيه دواء وشفاء وإصلاح، كما قال : ﴿ **ونُنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** ﴾[2].

إن القرآن لا يشفي القلوب الجاحدة المنكرة لعلوّ منزلته ومكانته عند الله، كما قال جل ذكره ﴿ ...**ويشف صدور قوم مؤمنين. ويُذهبْ غَيْظَ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاءُ والله عليم حكيم**﴾[3].

---

١ ـــ سورة النحل (٨٩) .

٢ ـــ سورة الأسراء (٨٢) .

٣ ـــ سورة التوبة (١٤ ـــ ١٥) .

أيها المسلمون. إن هؤلاء العرب، الذين نزل فيه القرآن على حين فترة من الرسل، عندما سمعوا جاذبيته القوية، وبلاغته الأخاذة، وأسلوبه الممتع، وسحره الحلال، تملكهم الخشوع والخضوع، فخرُّوا الى الأذقان سُجداً، وفاضت عيونهم بالبكاء، وانطلقت السنتهم بذكر الله وشكره، والثناء عليه، فأخرج من قلوبهم رجس الشيطان، وألهب مشاعرهم، حتى أضاء الله قلوبهم بنوره، ﴿ ...،**أولئك كَتَب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويُدخلهمْ جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه،...** ﴾[1].

أيها المسلم في زمن نكران القرآن. ونكران الدين. إن المسلمين الأولين، ما زالوا متمسكين بهذا القرآن، حتى اتجهوا على نوره يفتحون الأرض، ويغزون أعداء الدين، فزلزلوا بتعاليمه كِسرْوية فارس، كما ضعضعوا بأحكامه قيصرية الرومان، وظلت سيوف المسلمين خلف قرآنهم، تشرِّق وتغرِّب داخل الأرض، حتى تغلغلت في أحشاء اوروبا وآسيا وأفريقيا. وبذلك تحقق وعد الله للمسلمين ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكر أن الأرضَ يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين** ﴾[2].

ويحَ العُروبةُ كان الكون مسرحها
فأصبحت تتوارى في زوايـاه
كم صرَّفتنا يدٌ كنا نقارعهـا
وبات يملكنا شعب ملكناه

---

١ ــ سورة المجادلة (٢٢).

٢ ــ سورة الأنبياء (١٠٥ ــ ١٠٦).

أيها الناس . هذا هو قرآنكم، الذي عَمر الأرض، ملّك المسلمين أزمّة العالم حيناً من الدهر . تزعمون أنكم مسلمون، لأنكم تصلون وتصومون ، لا يقبل الله منكم اسلامكم حتى تعيدوا للقرآن مجده، وللدين سلطانه كما كان، واسمعوا ماذا قال الرسول بعد دعوته، وجهاده في قومه ﴿ **وقال الرسول يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا** ﴾[1].

خبروني بالله عليكم . هل كان من قوانين القرآن ونظمه، موالاة أعداء ديننا، واتخاذهم أصدقاء.؟ والقرآن يقول ﴿ ...**ومن يتولهّم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾[2].

هل كان من قوانين القرآن ترك الحبل للنساء على الغارب.؟ فيخرجن متبرجات، كاسيات عاريات، والقرآن يقول ﴿ ...**ولا تبرجْنَ تبرج الجاهلية الأولى، وأقِمْنَ الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**،... ﴾[3].

يا مسلمون بشهادة الميلاد. والتقليد الأعمى. هل في قوانين القرآن أن الغلاء الفاحش، يجتاح الطبقات الفقيرة، والمسؤولون بغير أنفسهم لا يهتمون،وبحالة الناس لا يرحمون.؟ والقرآن يقول : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم** ﴾[4] وهذا هو الحديث القدسي (إن كنتم تريدون رحمتي، فارحموا خلقي) أيها المسلمون قرآنكم هذا خرّج ابطالا وعباقرة، وأساتذة وابطالاً في الجهاد، من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال رسول الله ﷺ .

---

١ ــ سورة الفرقان (٣٠) .
٢ ــ سورة التوبة (٢٣) .
٣ ــ سورة الأحزاب (٣٣) .
٤ ــ سورة التوبة (٧١) .

(تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا ، حتى يردا عليّ الحوض)[1] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا** ﴾[2] سبحانه وتعالى ، أنزل القرآن هدى للناس ، وبنيات من الهدى والفرقان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي جاء بالصدق وصدّق به ، وعلى آله وأصحابه ، الذين استجابوا لربهم ،وأقاموا الصلاة ، وجاهدوا في الله حق جهاده .

وبعد . فيا أيها المسلمون . لقد عرف المسلمون الأولون السابقون الى الاسلام عظمة هذا القرآن ، فجعلوه قانونهم ودستورهم وقائدهم ، وحكموه فيما بينهم ، فخضعت امراؤهم وملوكهم ، وصدع به قضاتهم وحكامهم ، ورضيت بحكمه عامتهم وخاصتهم ، وبعد ذلك ﴿ **فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ ، فسوف يَلقَوْنَ غياً** ﴾[3] .

نعم . خلف من بعدهم خلف أضاعوا أحكامه ، وأعرضوا عن تعاليمه ، واستبدلوا به اساطير الوضاعين ، وتشريع أعداء الاسلام والمسلمين .

يا معشر المسلمين . تداركوا كتاب ربكم ، قبل ضياعه ، قبل رفعه الى السماء ، عضوا عليه بالنواجذ ، عمموه في مدارسكم ، ابتدائية كانت أو إعدادية ، أو ثانوية ، والله بصير بما تعملون .

---

١ ــ رواه الحاكم عن ابي هريرة قال خطب النبي ﷺ في حجة الوداع ، فذكره .
٢ ــ سورة الكهف (١) . ٣ ـ سورة مريم (٥٩) .

عباد الله اتقوا الله حق تقواه واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلا عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ،واسمعوا قول نبيكم في القرآن وفضله (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[2] وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، انك يا ربنا سميع مجيب الدعوات . اللهم الف بين قلوب هذه الأمة ، واعز الاسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين ، اللهم من أراد بالقرآن والاسلام خيرا ، فوفقه وأعنه ، ومن أراد به سوءاً ، فخذه وأهلكه ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال يا رب العالمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وابو داود عن عثمان بن عفان .

٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السابعة والستون بعد المائة :

٨ رجب ١٣٩٧هـ
١٩٧٧/٦/٢٤

(في الرد على منكري الشفاعة والوسيلة لرسول الله ﷺ)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأستعين بك على الدوام ، مصلياً ومسلماً على رسولك ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وعلى آله وأصحابه وأوليائه الأئمة الأعلام ، وعلى من لهم كرامات وشأن عند الله ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت .

اللهم لا سهل ، إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . رب اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ﴿ ... **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصُرْنا على القوم الكافرين** ﴾[1] وانصرنا على أعداء دينك ، وأعداء نبيك يا أكرم الأكرمين ﴿ **قال رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[2] .

* * * *

الحمد لله رب العالمين ، الذي أكرم من شاء من عباده الصالحين ، بكرامات هي من جملة معجزة الأنبياء والمرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله أعز المؤمنين الصادقين ، ووصفهم بعلامات ، وميَّزهم بإمارات ، بها يستبشرون .

---

١ ـ سورة آل عمران (١٤٧) .
٢ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، شرح الله صدره بالقرآن ، وجعل ذكره على كل لسان . اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين أسسوا بإيمانهم دولة التوحيد ، ونشروا في العالم تعاليم الإسلام المجيد ، فحقق الله لهم النصر ، ومكنَّ لهم في الأرض ، وكانوا بذلك قد رفعوا راية الدين .

أما بعد . فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **ألا إنَّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون لَهُمُ البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[1] .

أيها المسلمون . أولياء الله هم الذين تقربوا إلى الله بالطاعات ، وأمدهم سبحانه بالمعونة والتوفيق ، وقد بين سبحانه وتعالى صفاتهم ، وما يستحقونه عند الله ، فقال في حقهم ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهُمُ البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم** ﴾[2] ويقول سبحانه في حق الأولياء والمتقين والعاملين ﴿ **واصبر نفسَكَ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه ، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تُطعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطا** ﴾[3] .

وجاء في الحديث القدسي ، في رواية البخاري ، قال قال : رسول الله ﷺ (إن الله تعالى قال ، من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب)[4] ومعنى ذلك أن معاداة أولياء الله تعالى ، جُرأة على حدود الله ومحارمه ، وليعلم أولئك المعادون لأولياء الله تعالى ، أن الله قد أعلن عليهم حربه وعداءه ، ولينظروا ذلك ، وليرتقبوا ، إنهم مرتقبون .

---

١ ــ سورة يونس (٦٢ ــ ٦٣ ــ ٦٤) .
٢ ــ سورة يونس (٦٣ ــ ٦٤) .
٣ ــ سورة الكهف (٢٨) .
٤ ــ رواه البخاري عن أبي هريرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال عن الله تبارك وتعالى ، (من أهان لي ولياً فقد بارزني المحاربة)[1] .

أيها المسلمون . لقد ظهرت في هذا البلد فرقة ، خرجت عن كتاب الله وسنة رسوله . تركت أهل السنة والجماعة ، وقد ادعوا الاجتهاد ، وهم لا يدركون استنباط حكم بسيط من أحكام الشريعة ، إن هذه الجماعة أفرادُها مسخرون لتنفيذ رغبات المنكرين ، لما عليه أهل السنة والجماعة ، ويرفضون تقليد واحد من الأئمة الأربعة ، وينفرون الناس من الأئمة ، ويذاع هذا وأمثاله من وراء المذياع ، ومنهم من يقوم بحلقات الدروس ، ويدعون أنه لا يوجد علماء في هذا البلد . انهم ينكرون كرامات الأولياء . بل ما هو أعظم من ذلك ، يقولون النبي شخص عادي ، فلا حاجة إلى تكريمه هذا التكريم ، ويدسُّون السُّم في الدسم ، وينكرون الأولياء أنفسهم .

إن هؤلاء يتصدرون للتدريس ، بإيعاز من بعض المسؤولين عنهم . ينهشون أعراض العلماء والمسلمين ، يحذرون الناس من النفاق ، وهم المنافقون . ينهوْن الناس عن الغيبة ، وهم المغتابون . ينهون الناس عن الكذب ، وهم الكاذبون . ينهون الناس عن النميمة ، وهم النمامون ، المفرقون بين الأحبة، ينهون الناس عن البدع والضلالات، وهم المبتدعون والضالون. فأنى للعصفور الحقير أن ينال منزلة الصقر الكبير..؟!

يا قوم. أين أنتم .؟ إنكم ساعون في إيقاظ الفتنة في هذا البلد. والله تعالى يقول ﴿واتقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾.[2].

---

١ ـــ والحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابي هريرة : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب لي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ؛ ولئن سالني لاعطينه ، وان استعاذني لاعيذنه .

٢ ـــ سورة الأنفال (٢٥) .

أيها المسؤولون أمام الله والتاريخ . أيها المنتسبون لآل بيت رسول الله ، ﷺ إن هذه الفرقه تطاولت على مقام جدكم ، واعتبرته شخصاً عادياً ، لا وزن له . إنهم يضللون الناس ، ويشككونهم في دينهم . إنهم مأجورون يتقاضوْن على ذلك رواتب باهظة ، ويتجنون على أمة التوحيد بالشرك . حاصرين الدين والشريعة في انفسهم فقط .

إن هذا الرجل يقول : « ألا هل بلغت » . ما الذي عنده حتى يبلغه ..؟! إنها سموم الأفاعي ، ينفثها في صدور البسطاء من الناس . إن من له أدنى صلة برسول الله ﷺ لا يقبل منهم هذا التهجم والتجني ، على مقام صاحب الرسالة العظمى ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . لقد أجمع العلماء على كرامات الأولياء سلفاً وخلفاً .

العجب كل العجب ، ممن ينكر الكرامات..؟! وقد جاءت في الآيات الكريمة ، والأحاديث الصحيحة . انكرها هؤلاء المغرورون بكلماتهم البراقة المعسولة ، المأخوذة عن الكتب المأجورة المطوية . إنهم لم يجلسوا بين أيدي العلماء العاملين ، ولم يأخذوا شيئاً عنهم . والرسول ﷺ يقول (العلم بالتعلم ، والعلم بالتلقي عن شيوخ العلم . فمن أنكر الكرامات انكر المعجزات ، ومن شك في ذلك فليرجع إلى كتاب جامع كرامات الأولياء ، لعلامة زمانه ، المرحوم الشيخ يوسف النبهاني) وصدق الله العظيم ﴿ **ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوهُ بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سِحرٌ مُبينٌ** ﴾[1] .

وقال في الجوهرة[2] :

واثبتـــن للأوليـــاء الكرامة

ومـــن نفاهـــا فانبـــذن كلامه

١ ــ سورة الانعام (٧) .

٢ ــ جوهرة التوحيد ، للعلامة الشيخ ابراهيم اللقاني احد الأئمة الاعلام المتوفى سنة ١٠٤١هـ وعليها شروح أهمها وأنفسُها ، شرح الامام الباجوري المتوفي سنة ١٢٧٧ .

يقول ﷺ في حق الأولياء، (إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء (أي يتمنون منزلتهم) قيل من هم يا رسول الله.؟ لعلنا نحبهم، قال: (هم قوم تحابُّوا بروْح الله (أي برحمته وتوفيقه) على غير أموال وأنساب، والله إن وجوههم لعلى نور، وهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزِن الناس)[2] ثم قرأ ﷺ ﴿ألا إنَّ أولياءَ الله لا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون﴾[2] فظهور الكرامات ثابت في الكتاب والسنة، وثابت عقلاً ونقلا. وقد وقعت الكرامات من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أمة سيد العالمين، إلى يومنا هذا. وقد صح عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: يا ساريةُ الجبل الجبل. أثناء خطبته يوم الجمعة فبلغ صوته الصحابي سارية رضي الله عنه، في ذلك الوقت، فتحرَّز سارية من العدو في مكان أمين من الجبل، في تلك الساعة. فكان لسيدنا عمر رضي الله عنه، في ذلك كرامتان: إحداهما الكشف له عن حال سارية وجيشه من المسلمين وحال العدو، والكرامة الثانية، وصول صوت عمر إلى سارية، في بلاد بعيدة المدى.

ومن كرامات الصحابة؛ ما جاء عن ابن عمر نفسه، وهو عبدالله رضي الله عنه، أنه قال للأسد في البرية الموحشة، تنح عنا أيها الأسد. وكان قد منع الناس، فحرك الأسد رأسه وذهب من مكانه. فمشى الناس، فقال ابن عمر، صدق رسول الله ﷺ (من خاف الله خوّف الله منه، (أي أخاف الله منه كل شيء)[3].

أما مسألتا الوسيلة والإستغاثة، فقد وردت عن الحجم الغفير من أهل السنة، والأئمة الأربعة، والصحابة، والتابعين. ورد أن عمر بن الخطاب،

---

١ — رواه الامام احمد والحاكم باختلاف في بعض الألفاظ، عن ابي مالك الأشعري، واخرجه النسائي من حديث ابي هريرة، أن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء. فقالوا يارسول الله صفهم لنا، فقال هم المتحابون في الله، والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله.

٢ — سورة يونس (٦٢).

٣ — رواه ابن حبان من حديث ابي امامة بسند ضعيف، ولفظه: من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه من كل شيء.

رضي الله عنه، خطب الناس، فقال ـ وهو خليفة المسلمين آنذاك ـ أيها الناس. إن رسول الله ﷺ كان يرى لعمه العباس، ما يرى الولدُ لوالده.

فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله. وقصة الاستسقاء بالعباس مشهورة. وقال عمر نفسه: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيُسْقَوْن)[1].

فهل أنتم أعلمُ من ابن الخطاب ومن الأئمة التابعين..؟! إنا لله وإنا إليه راجعون. والآية الكريمة اصدق شاهد على ذلك ﴿...**ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾[2].

وقال تعالى في القرآن ﴿...**وابتغوا إلَيْهِ الوسيلة**﴾[3] فهو ﷺ الوسيلة العظمى في قبول التوبة، ونزول الرحمة العامة الشاملة، إلى سائر الخلائق العلوية والسفلية، قال تعالى ﴿**وَمَا أرسلْناك إلاَّ رحمةً للعالمين**﴾[4].

أما زيارته ﷺ فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: ﷺ (من زار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي)[5] وقال (ومن حج فزار قبري في مماتي، كان كمن زارني في حياتي)[6] وقال ايضاً (من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي، كتبت له حجتان مبرورتان)[7].

ولا اظن أيها المتجني على رسول الله ﷺ ان ابن تيمية وابن عبدالوهاب وابن حزم وابن القيم وابن كثير يوافقونك على هذه الأقوال، التي لا تستند إلى دليل. ونحن لا نخشى هجماتكم. فإن امثالكم قد ظهروا في دعوتكم، وباءت بالفشل والخذلان.

---

١ ـ متفق عليه.
٢ ـ سورة النساء (٦٤).
٣ ـ سورة المائدة (٣٥).
٤ ـ سورة الأنبياء (١٠٧).
٥ ـ رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عمر.
٦ ـ رواه الطبراني في الكبير والأوسط.
٧ ـ اخرجه الديلمي عن ابن عباس.

وورد أن مروان أقبل، فرأى أبا أيوب الأنصاري، رضي الله عنه،وناهيك به صحابياً جليلاً بركت ناقة رسول الله ﷺ يوم الهجرة على بابه، فقال مروان لأبي أيوب: أتدري ماذا تصنع.؟ فأقبل عليه، فقال نعم.إني لم آتِ الحجر ولا اللَّبِنَ، إنما جئت رسول الله ﷺ ثم قال أبو أيوب الأنصاري: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غيرُ أهله)[١].

قل لي بربك أيها المتجني على رسول الله، هل نقصت درجات رسول الله بعد وفاته.؟ قطعاً إذا اعتقد أحد في ذلك فقد كفر كُفر الوثنية. بل هو ﷺ حي عند الله تعالى، بحياة تفضل الحياة الأولى، عند كل من عرف ذلك ووعاه. ومما يدل على التوسل به ﷺ حديث الشفاعة يوم القيامة، أنا سيد الناس يوم القيامة[٢].

تشفَّـــعْ يا رسولَ الله فينـــــا

فما نرجـــو الشفاعـة من سِواكْ

وأسرع في إغاثتنا، فإنا نرى المولى يسارع في رضاك، إن جسده ﷺ حيٌّ لا يبلى، وقال أئمة الحديث في شرح حديثه ﷺ (ما من أحد يُسلم عليّ، إلا ردَّ الله عليّ روحي، فأردَّ عليه السلام)[٣] ان أول واحد من أمته يسلم عليه بعد دفنه بقبره الشريف، يردّ الله عليه روحه، فتبقى الروحُ في جسده إلى يوم مشاهدة الأحوال الأخروية. ويكفينا من ذلك قوله ﷺ (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[٤]. وبقعة النبي أشرف من العرش والكرسي، والسموات والأرض.

وبقعتــــه التي ضمـــت عظاما

رياض مـــن جنـــان تستطيـــل

---

١ ـــ رواه الامام أحمد والحاكم عن أبي ايوب الأنصاري ، وضعفه النسائي .

٢ ـــ مرّ تخريجه وهو بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيامة . أخرجه مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة .

٣ ـــ رواه ابو دواد عن ابي هريرة ، قال في الأذكار والرياض الامام النووي اسناده صحيح ، وقال ابن حجر رواته ثقاة . ورواه الأمام أحمد لكن لفظه : الي يدل عليّ .

٤ ـــ مرّ تخريجه : ولفظه كاملاً ، رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان والامام احمد عن اوس بن اوس .

وأفضـــل مـــن سموات وأرض

وجنـــاتٍ بها خير جزيـــل

أما الرجال فلا مانع من زيارتهم القبور لقوله ﷺ (كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة) ولا تقولوا هجره وتلقين الميت ورد عن الاحتضار وعند الدفن . هكذا قال العلماء المعترف بعلمهم وفضلهم ، فقد زار النبي ﷺ أهل البقيع وشهداء بدر وعمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنهم أجمعين . وكان النبي ﷺ يزور شهداء بدر في كل عام ، فعليكم ايها المسلمون بزيارة النبي ﷺ وزيارة اهل بيته وصحابته والأولياء والصالحين أولى الدرجات العلية فإن كل من زارهم وسلم عليهم ، رأوه وردوا سلامه . فيا سعد من سلم عليهم بقلب سليم ويا بشره .

وأما زيارته ﷺ في روضته الشريفة. فبعضهم قال بوجوبها وبعضهم قال بسنتها. وقد ورد أنه ﷺ يردّ على من سلم عليه عند الروضة الشريفة فيا لها من مزية .

مهجتـــي قد نلتِ كلّ الأرب

هـــذه أنوار طه العربـــي

هـــذه أنـــواره قـــد ظهرت

وبدت من خلـــف تلك الحجب

أبشري يا نفس هـــذا المصطفى

خاتـمُ الرسل خيـــارُ العرب

يا رسول الله إنـــي مذنـــب

ومـــن الجود قبـــول المذنب

واعلموا أن المشيَ أو شدَّ الرحل، أو السفر، في السيارة، أو الطائرة، إلى زيارته ﷺ سنة. فعلية يثاب فاعلها ثواب السنة، لأنه ﷺ زار المقابر وأمر بزيارتها، فهي سنة قوليَّة فعلية، وقدوتنا العظمى هو رسول الله، فتأكدوا يا مسلمون أن رسول الله ﷺ أفضل من العرش والكرسي ومن الكعبة نفسها، ومن جميع المساجد، وأفضل من نعيم الجنة، فلا تكن شاكاً أيها المسلم.وضع ما قلته لك اليوم في عنقي، إن كنت أكره أحداً من أهل التوحيد. ولكننا نرد على كل شاذ عن طريق الحق، وليس بيننا وبين أحدٍ ادنى عداء إلا أن يكون عدوًا لله، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة.

يا صاحب الجاه عند الله خالقه
ما ردَّ جاهَكَ إلا كلُّ أفَّـــاك
أنت الوجيه على رغم العدا أبـدا
أنت الشفيع لِفُتَّـــاكٍ ونُسَّاكِ
يا فرقة الزيغ لا لاقيـــت صالحةً
ولا شفــى الله يوما قلت مَرْضاكِ
ولا حظيت بجاه المصطفى كرماً
ومن أعانك في الدنيـــا ووالاكِ

فهل بقي بعد هذا، ان تقولوا من هم الأئمة..؟! هم رجال ونحن رجال. فأين موضع الرجولة فيكم.؟ أما يكفينا ما نحن فيه من تفرق واختلاف.؟ أما يكفينا ما سلب منا من وطن ومقدسات.؟ أفلا يكون العدو المتحفز راضياً بهذه الأباطيل والترَّهات.؟ ويحكم، ويلكم، إرجعوا إلى ربكم ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله،...** ﴾[1].

---

١ ـ سورة البقرة (٢٨١).

لا تضيعوا دينكم بدراهم معدودة، وسيارات محدودة، ورشوة وفساد على الدين. يقول عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغي به وجهُه)[1] أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لي ولكم، أدعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * * *

الحمد لله العلي القدير، وهو على كل شيء قدير، أشهد أن لا إله إلا الله الحكم العدل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه .

عباد الله. اتقوا الله وتوبوا إليه، ولا تغتروا بمعسول الأقوال، واحذروا من كل خداع ودجال، اتقوا الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[2]. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. إنك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين .

ارفعوا اكف الضراعة إلى الله، لعله يتوب علينا معشر المسلمين. اللهم إننا متوجهون إلى الله، بقلوبنا واسماعنا وابصارنا، نرفع أيدينا متوسلين إلى الله بنبي الرحمة ﷺ حبيبه ومصطفاه؛ يا سيدنا يا رسول الله؛ يا محمد إنا توجهنا بك إلى الله تعالى، مَنْ بيده قضاء الحوائج الكلية والجزئية، في أن يجيب دعاءنا، وينصرنا على عدونا، ويحقق رجاءنا، ويعطينا ما سألناه. اللهم

---

١ ــ رواه ابو دواد والنسائي عن ابي أمامة .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

شفعه فينا شفاعة مقبولة مرضية ، فإنه لا شفاعة لأحد إلا بإذن الله .
ونسألك اللهم أن تؤلف بين قلوب هذه الأمة ، وان تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

* * * * *

* * *

*

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والستون بعد المائـة :

٣٠ ذي القعدة ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/١١/١١

« الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة »

أحمدك ربي، وأشكرك على كل حال، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، والصحب والآل .

اللهم اغفر لي، ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير ، رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرنا من مضلات الفتن ، يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث ، سبحان الله العظيم .

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله، يسّر طريق السعادة للسالكين سبُل الهداية ، وأنار سبيل الهُدى للعالمين، دعا أحبابه الأبرار لزيارة بيته العظيم، ليُحسِنَ ضيافتهم، ويمحو عنهم الذنوب والأوزار ، فلبّوْا دعوته فرحينَ مستبشرين، وفارقوا طلباً لرضاه الأهل والبنين، ولَبِسوا ثياباً بيضا، ليذكروا يوم المَعَاد. وأشهد أن لا إله إلا هو الواحد الأحد ، شرع لنا من الأحكام ما ينفعنا، في ديننا ودنيانا،

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أفضلُ من قلَّدَ الهديَ، وأشرفُ من طاف بالبيت وسعى، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبة البررة الأطهار، فما أحوجنا ونحن حول بيت الله الحرام، ان يجتمع الحجيج، يرشدهم إلى ذلك أقطاب المسلمين، لتجتمع كلمتهم وتوحَّدَ صفوفهم، وليذكروا في هذا المؤتمر العالمي الإسلامي، الخالص لوجه الله، مجدهم وعزهم الخالد، وليذكَرهم بعظمة الإسلام والمسلمين، يوم كانوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم عاملين .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنّ أولَ بيتٍ وُضعَ لِلنّاسِ لَلذّي بِبَكّةَ مُباركاً وهُدىً للعالمين. فيه آياتٌ بيّناتٌ مقامُ إبراهيم، ومن دخله كان آمنا،...** ﴾[1].

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها. الحج دعامةٌ من أقوى دعائم هذا الدين، وفريضةٌ مُحكمة، لا ريب فيها . في الحج تتجلى الوحدة الدينية بأكمل معانيها ، وبه يجتمع المسلمون لها من جميع بقاع الأرض. إنه مؤتمر إسلامي، يجتمع فيه الحجيج ليُحسُّوا أنهم هيئة واحدة وقلبٌ واحد، يهابُهم عدوُّهم ويخشى بأسهم، ولا يستطيع أن يستبيح حماهم. تالله ما أحوجنا إلى ذلكم المؤتمر الإسلامي في أرض الحرم، ومهد الرسالة المحمدية ، لا سيما في هذا الوقت العصيب، الذي ينفث فيه العدو سمومه ليفرقنا. وهذا ما كان يخشاه نبيُّنا ورسولنا، حيث قال (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم)[2] وقال جل وعلا ﴿ **...ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم، واصبروا، إن الله مع الصابرين** ﴾[3].

قل لي بربك. أيُّ شيء أبلغ في النفس، وأوقع في الحس، وأروعُ منظراً، وأدلّ على ثبات العقيدة من يوم العجّ والثج، والعجّ هو رفع

---

١ ــ سورة آل عمران (٩٦ ــ ٩٧) .

٢ ــ رواه البخاري .

٣ ــ سورة الأنفال (٤٦) .

الصوت بالتلبية وذكر الله، والثَّج هو سيلان دماء الهدي في أرض منى، وما حول الحرم. فمكة يا أخي كلُّها منحر، وعرفة كلُّها موقف. ما أجمل ذلك اليوم، الذي أتموا فيه فريضتهم. وقد اختلط غنيُّهم بفقيرهم، وضعيفهم بقويهم، ورئيسُهم بمرءوسهم، فتعارفوا وتآلفوا، وأصبحوا بنعمة الله إخوانا.

أيها المسلمون. أيها القادرون على حج بيت الله من مال حلال لا شبهة فيه. بادروا إلى الحج. فقد قال نبيُّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، (تعجلوا إلى الحج، يعني الفريضة، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له)[1].

أيها المسلمون. لقد مضى زمن غير بعيد، كان فيه طريق الحج والزيارة وعراً غيرَ سهلٍ، وخاصة ما بين مكة والمدينة. وكان الحاج يحمل كفنه معه لاختلال الأمن وعدم الاستقرار آنذاك. ومع هذا فقد كان آباؤكم الأولون ــ رحمهم الله ــ لا يبالون بما ينالهم من تلك المصاعب والشدائد، كانوا يتهافتون على الحج، وزيارة رسول الله ﷺ وزيارة روضة مسجده، إرضاءً لله، وقياماً بواجب مقدس.

ألا ومن فضل الله علينا، أن سَهل اليوم طريق الحج، ومهّد لنا سبيل زيارة رسول الله، عليه الصلاة والسلام. وكأنّ الذاهبَ إليه ذاهب إلى رحلة رياضية، يختار لنفسه ما يشاء من سهولة المواصلات. إذَنْ فمن كان قادراً

١ ــ رواه الأمام أحمد وابن لال عن ابن عباس بسند ضعيف. وعنه ايضاً في مسند الإمام أحمد من أراد الحج فليتعجل. وزاد الطحاوي والبيهقي فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتكون الحاجة، وتخرجه الدارقطني عن ابي هريرة: حجوا قبل ان لاتحجوا. قالوا وما شأن الحج.؟ قال يقعد اعرابها على أذناب أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد، وعن الحارث بن سويد. قال سمعت علياً يقول حجوا قبل ألا تحجوا، فكاني انظر الى حبشي أفدع بيده معول يهدمها حجراً حجراً، فقلت شيء برأيك تقوله: أو سمعته من رسول الله ﷺ، قال لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ولكن سمعته من نبيكم ﷺ ورواه الحاكم، ولا شك أنه يقصد الحديث المتفق عليه عن ابي هريرة، يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، فيسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها. كأني انظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته او بمعوله، انظر القرى لقاصد ام القرى للحافظ محب الدين الطبري.

على تأدية هذه الفريضة ولم يؤدها، فقد حُرِمَ الخيرَ كلَّه، وباء بغضب من الله، يقول عليه الصلاة والسلام: (من لم تحبسه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس، أو سلطان جائر، ولم يحجّ، فليمت إن شاء الله يهودياً، وإن شاء نصرانيا)[1].

أيها المسلمون. لقد كان من فضل الله على المسلمين، أن جعل لهم هذا البيت قبلتهم، يتوجهون إليه، لتجمعوا كلمتكم، وتوحدوا صفوفكم. ومن كرمه سبحانه، أن جعل لكم الحجر الأسود أو الأسعد رمزاً لمبايعتكم له على السمع والطاع فيما أمر. ففي الحديث الشريف (الحجر الأسود يمين الله في الأرض، يصافح بها عباده)[2] ولهذا فلقد كانت زيارة البيت كزيارته سبحانه وتعالى، فقبّلوا هذا الحجر بما تستطيعون، ولا تهاونوا به. الحجر الأسود يمين الله في أرضه، يصافح بها عباده.

أيها المسلمون في زمن الحلال والحرام. اتقوا الله تعالى في هذه الفريضة، فأدوها بمال حلال، من كسب يمينكم وعرق جبينكم. فإن النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعماية ضعف، والله طيب ولا يقبل إلا طيبا، أدوها بمال حلال، لا حقّ فيه للفقراء والمساكين، وأخلصوا عملكم لله وحده، فهو أسرع الحاسبين.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: ولا دين عليكم لأحد المسلمين، لأن رسول الله ﷺ يقول: (الحج يكفر كل شيء إلا الدّين)[3].

من يمّم (أي قصد) هذا البيت بالكسب الحرام، شخص في غير طاعة الله، فإذا أهَلّ، ووضع رجله في الركاب، يعني على الراحلة، أو في السيارة أو في الطائرة أو في الباخرة، فإذا أهل بالتلبية، وسارت راحلته به، وقال: (لبّيك اللهم لبّيك) ناداه منادٍ من السماء: لا لبّيك، ولا سعديك، كسبك حرام، وثيابُك حرام، وراحلتك حرام، وزادك حرام، إرجع مأزوراً

---

١ — خرجه سعيد بن منصور عن عبدالرحمن بن سابط ورواه البيهقي عنه، وخرجه ابو ذر عن عمر بن الخطاب أنه قال: ليموت يهودياً او نصرانياً، ليموت يهودياً او نصرانياً، يموت يهودياً او نصرانياً رجل مات ولم يحج، وجد لذلك سعة وخليت سبيله.

٢ — رواه الخطيب في التاريخ وابن عساكر عن جابر بن عبدالله بسند ضعيف.

٣ — قد مرّ الكلام عليه في خطب سابقة.

غير مأجور، وابشر بما يسوءك. وإذا خرج الرجل حاجّاً بمال حلال، ووضع رجله في الركاب، وبعث راحلته (أي سارت به سيارته أو دابته، وقال: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء لبيك وسعديك، أُجبتَ بما تحب، راحلتك حلال، وثيابُك حلال، وزادك حلال، إرجع مبروراً غيرَ مأزور)[1] (واستأنف العمل)[2]. والنبي ﷺ يقول (الحج المبرور، ليس له جزاء إلا الجنة)[3].

وقد ورد أن من المسلمين السابقين، من كان يحج ماشياً على قدميه، تواضعاً لله تعالى. فعن عبدالله بن إبراهيم قال: حدثني أبي قال: (سافر المغيرة ابن حكيم، إلى مكة أكثر من خمسين سفرا، حافياً مُحرماً صائما) وقال مُصعب الزبيري: حجَّ الحسن بن علي بن أبي طالب، خمساً وعشرين حجةً ماشياً. وكان ابن جُزع والثوري، يحجان ماشيين.

أما نحن اليوم. فجميع السبل أمامنا، والمواصلات تحت أيدينا، ومع هذا نتكاسل ونتوانى. فاتقوا الله أيها الناس. كونوا متواضعين خاشعين في حجكم أيها الحجاج. فعن أنس رضي الله عنه، قال: حَجَّ النبي ﷺ على رحلٍ رثٍّ، (أي بالٍ) عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، (وعند ركوبه) قال: (اللهم اجعل حجاً لا رياء فيه، ولا سمعه)[4].

---

١ ــ رواه الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة او الأصبهاني من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلاً، وتمامه: إذ خرج الحاج بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز فنادى، لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك، زادك حلال واحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، واذا خرج بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك، ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ولفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور.

٢ ــ جملة من حديث طويل، وليس بقية للحديث المذكور قبله، رواه الطبراني والبزار عن ابن عمر.

٣ ــ متفق عليه عن ابي هريرة وبقية اصحاب السنن.

٤ ــ رواه الترمذي وابن ماجه والأصبهاني من حديث أنس والطبراني من حديث ابن عباس ولفظه: حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة خلقة تساوي أربعة دراهم او لا تساوي، ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة.

تمتّع أيها الحاج بزيارة تلك الأماكن المقدسة تمتع بتلك المساجد، التي تشد إليها الرحال، ولا تكسل. تمتع بزيارة قبر نبيك المصطفى، صلوات الله وسلامه عليه. تمتع بصلاتك في روضته وفي مسجده، الذي لولا وجود رسول الله ﷺ فيه لما كان لهذا المسجد هذا الوزن والتقدير.

أما سمعت قوله ﷺ (ما بين بيتي ومنبري، روضة من رياض الجنة)[1] وفي رواية ما بين قبري ومنبري، روضة من رياض الجنة[2] فمن أين كانت لهذا المسجد الذي تشد إليه الرحال، هذه المكانة، إلا بوجود جسده الشريف فيه، وروضته المباركة، والمكان يشرف بشرف المكين فيه، أي بشرف الساكنين فيه، والمقصود من الاستحباب والندب عند السادة الشافعية، السنة المؤكدة، وعند غيرهم الواجبة، وقد اتفق الأئمة من بعد وفاته ﷺ إلى زماننا هذا، على أن ذلك من أفضل القربات، وقال شيخ الإسلام أبو الحسن السبكي: اعتمد جماعةٌ من الأئمة على هذا الحديث، (ما من أحد يسلم عليّ، إلا ردَّ الله عليّ روحي)[3] ومن الأدلة على ضرورة السفر إلى زيارة قبر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿...ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾[4].

ولو لم يكن لنا من زيارته إلا شفاعتُه لنا، لكفانا شرفاً وفخرا، يقول عليه الصلاة والسلام (من زار قبري، وجبت له شفاعتي)[5] وفي رواية حلّت له شفاعتي، وإذا كانت الحياة أيها المسلم ثابتةً للشهداء بنص القرآن، فهي لرسول الله من باب أولى. جاء في كتاب الأنوار المحمدية وشواهد الحق.

---

١ — متفق عليه، والنسائي وأحمد من حديث أبي هريرة.

٢ — قال الأمام المناوي في تفسير مابين بيتي (يعني قبري) لأن قبره في بيته. وقد رواه الامام أحمد في مسنده بهذا اللفظ.

٣ — رواه ابو داود عن أبي هريرة ورواه احمد عنه بلفظ إلي بدل علي.

٤ — سورة النساء (٦٤).

٥ — رواه ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر بسند ضعيف.

وأما إجماع المسلمين، فقد نقل جماعةٌ من الأئمة حملةِ الشرع، الذين عليهم المدار في نقل الخلاف بينهم، في أنها واجبةٌ، أو سنة، أو مستحبة. والسادة الشافعية لا يفرقون بين السنة والندب والاستحباب، فكلها عندهم سنة فيها التأكيد. فالإجماع على زيارة الرسول حاصِلٌ وواقع، قال السادة الأحنافُ إنها قريبة من الوجوب. وقال بعض أئمة المالكية، إنها واجبة. وقال غيرهم هي من السنن الواجبة. وقد قال في كتاب الأنوار لا يشك في الأحاديث الصحيحة الواردة بهذا الشأن، إلا من انطمس نور بصيرته، فرسول الله حي طريّ في قبره، كما ورد عنه (حياتي خير لكم،ومماتي خير لكم)[1] وقوله عليه الصلاة والسلام (إن الله حرم على الأرض، أن تأكل أجساد الأنبياء)[2]. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه، يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، تفضّل على عباده بمزيد إنعامه وآلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، فرض الحج وأمرنا بأدائه ، وأشهد أن سيدنا محمداً سيدُ أنبيائه وأصفيائه اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه .

وبعد . فيا أيها المسلمون . يا أيها الحجاج المؤمنون . أيها الحاجُّ إلى بيت الله الحرام . قف خاشعاً خاضعاً لله وحده عند البيت ، وقل قولة أبيك ابراهيم ﴿ ... **ربنا تقبَّلْ مِنّا ، إنك أنت السميعُ العليمُ** ﴾[3] أدِّ النسك على وجهها الأكمل . كن متمتعاً أو مُفرِداً أو قارناً . ولا تتهاون بالمبيت بمنى والمزدلفة، ولا تتهاون برمي الجمار، فإنها واجبة عند الجميع، وبتركها

---

١ ــ رواه ابن سعد في طبقاته مرسلاً عن بكر بن عبدالله ورواه البزار من حديث ابن مسعود قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح . وقد مرّ بتمامه من قبل .

٢ ــ رواه احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم بتمامه .

٣ ــ سورة البقرة (١٢٧) .

يجب الدم . قف أيها الحاج أمام المواجهة الشريفة بأدب وخشوع ، قف أمام سيدك وحبيبك ورسولك ؛ حبيب الله وصفيه ، وتقدم الى جانبه ، وإلى وزيريه وخليفتيه وصاحبيه ؛ أبي بكر وعمر ، وأنهض الى زيارة أهل البقيع ، وشهداء احد ، وفي عودتك من المدينة لا تنسى شهداء بدر . اتقوا الله وارقبوه ، وصلوا على نبيه ومصطفاه ، استجابة لقوله تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا وسلموا عليه تسليما** ﴾[1] وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين . اللهم أعز الاسلام والمسلمين وأعل كلمة الحق والدين . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايك وتوفيقك الحسين بن طلال يارب العالمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة والستون بعد المائة :

١٥ ذي الحجة ١٣٩٧هـ

١٩٧٧/١١/٢٥

(ما الذي رأيناه أيام عيد الأضحى)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، واستغفرك ، وأصلي وأسلم على حبيبك ورسولك ، الذي ارشدنا الى كل طاعة ، وحذرنا من كل معصية ، وعلى آله وصحبه البررة الأطهار .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، وأنت أرحم الراحمين . ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا . رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، فاغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾(١) .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، حذرنا من المعاصي والآثام ، ورغبنا في حصول الخير ، ووعدنا بالاكرام ، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم الخبير ، لا يخفى عليه شيء من أمرنا ، واشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، أرسله ربه بشيراً ونذيراً ، فبلغ الرسالة ، وادى الأمانة ، ونصح الأمة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، فقد كانوا من الفائزين .

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيا ، والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثواباً وَخيرٌ أملاً** ﴾[1] .

أيها المسلمون . إن الله سبحانه وتعالى ، يحذرنا من الغفلة والتهاون ، يحذرنا من المعاصي ومخالفة أمره ، إذ يقول : ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بِها أو آذانٌ يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصُّدور** ﴾[2] .

يبصرنا سبحانه بعظيم مخلوقاته ، ودلائل قدرته وآياته ، الدالة على وجوده وتصرفاته ، فكأنه يقول : كيف تكفرون بربكم بعدما عاينتم وشاهدتم جليل مصنوعاته ، وكبير عظمته .؟ فهل لهؤلاء عقول يفكرون بها .؟ هل لهم آذان يسمعون بها .؟ فإذا كان للانسان عقل وسمع وبصر ، يعقل بها ويسمع ويبصر ، فلم لا يعتبر بمرور الأيام والأعوام والأعياد والشهور .؟! كيف تطويها حركة القدرة الالهية .؟ قل لي بربك أرأيت كيف انتهت أيام عيد الأضحى كلمح بالبصر .؟ فهل رأيتم فضيلة تنشر أو رذيلة تظهر .؟ هل رأيتم الفتيات والفتيان كيف تصول وكيف هنا وهناك تجول .؟ يا مسلم يا آبْنَ المسلم ، هل رأيت في الأسواق والمنتزهات والشوارع والطرقات ، المسلمة بنت المسلم بشهادة الميلاد ، كيف تسير متهتكة مستهترة في يوم العيد ، بلباسها الجديد .؟ هل رأيتم شباب الاسلام وقد غصَّت بهم حانات الخمور .؟ يقول ﷺ (لا يزني الزاني ، حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمرة ، حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[3] يا قومنا أجيبوا داعي الله كأن الأعياد ما جعلها الله الا للفسوق والعصيان .! يقول سبحانه ﴿ **قل لا يستوي الخبيثُ والطيِّبُ ولو أعْجَبَكَ كَثْرَةُ**

---

١ ــ سورة الكهف (٤٦) .

٢ ــ سورة الحج (٤٦) .

٣ ــ متفق عليه عن أبي هريرة .

الخبيث ، فاتقوا الله يا أولي الألبابِ لعلكم تُفلحونَ ﴾[1] يا قوم . آما آن لنا أن نتقي الله في أبنائنا وبناتنا ونسائنا .؟ يقول عليه الصلاة والسلام ، (ثلاث مهلكات : شُحّ مطاعٌ وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) [2] .

أيها المسلمون . إن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملا ﴾** ويقول سبحانه ﴿ **اعلموا أنّما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد ، كَمَثَلِ غيْثٍ أعجب الكفار نباتهُ ثم يهيج فتراه مُصْفَرّاً ثم يكون حطاماً ، وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ ، وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغُرور ﴾**[3] .

أيها المسلمون . إنه سبحانه وتعالى يقول : المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، يعني أنهم زينة هذه الحياة الفانية والمال كذلك عرض زائل ، لا محالة .

لعمـرك إن المال غادٍ ورائـحٌ
ويبقى بَعْدَ المال الأحاديثُ والذّكْرُ

وأفضل من هذا وذاك ، عمل صالح يبقى أثره خالداً مخلداً ، وينفعك في قبرك . وهذا معنى قوله ﴿ ... **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ املا** ﴾ ويقول سبحانه في سورة أخرى ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ...** ﴾

يعني اعلمـوا أيها الناس انما هـذه الحيـاة التي تحرصون عليهـا ، وتحافظـون عليها في أكبـر شؤونها الجديـة ، هي في الواقـع ساحة

1 ـــ سورة المائدة (١٠٠) .
2 ـــ رواه ابو الشيخ الطبراني في الأوسط عن انس بسند ضعيف ، وقد تقدم بتمامه .
3 ـــ سورة الحديد (٢٠) .

واسعة المجال ، وما هي إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر بالأحساب والأنساب ، وتكاثر في الأموال والأولاد ، فمثل هذه الدنيا كمثل مطر نزل بأرض ، نزل من السماء فأحيا الله به الأرض ، فصار في جماله وحلاوته وزينته يعجب الكفار والمنافقين والظالمين نباتها (أي الأرض) وبعده تراه يابسا أصفر ، ثم يستحيل الى هشيم ، وتبن تذروه الرياح . وبعد ذلك . كل هذه المظاهر في الدار الآخرة تكون عذاباً شديداً لمن خالف أوامر الله ، ولمن كفر بالله ولمن تبرجت في الشوارع والطرقات ، ولمن عصى الله ورسوله ، هناك يا أخي تكون الأعمال الصالحة رضواناً من الله لمن آمن به ، واتبع النور الذي أنزله إليه ، ثم عاد فقال : وما هذه الحياة الدنيا التي ترونها وتشاهدونها وتتمتعون بها الا متاع الغرور . متاع مؤقت لا دوام له ولا استقرار . فلا يأنس بهذه الحياة ، الا رجل لعب بعقله الطاغوت والغرور ، وهو الشيطان .

اعملوا ما شئتم أيها الناس . توسعوا في دنياكم . بارزوا ربكم بالمعاصي ، والرسول ﷺ عليه وسلم يقول : (البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان (وهو الله) ، لا يموت ، افعل ما شئت ، فكما تدين تدان)[1] .

ويقول رسول الله ﷺ . (أي أو أيما امرأة استعطرت ، فمرّت على قوم ليجدوا ريحها ، (أي رائحة عطرها) فهي زانية . وكل عين زانية)[2] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لكم . ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالاجابة .

الحمد لله كتب السعادة لمن اتبع هداه ، وامتثل أمر سيده ومولاه ، وأخلص له العمل والنيّة ، وتجنب الرياء والمباهاة ، وترك التظاهر

---

١ — رواه البيهقي وابو نعيم والديلمي ، ووصله أحمد عند أبي قلابه . وقد تقدم ذكره .

٢ — رواه الامام احمد والحاكم والنسائي عن أبي موسى الأشعري ، وقال الحاكم صحيح .

والتفاخر والتكبر والتجبر على عباد الله ، لتكون عبادته لله خالصة ، فيحفها القبول ، وتفتح لها أبواب السماء ، وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم على من عصاه . فسبحان من لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير من أطاع وشكر . اللهم صل وسلم وبارك، على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين.

أيها المسلمون : إننا في زمان عصيب شديد . ولا ينفعنا فيه إلا العمل الصالح ، والجهاد في سبيل الله . ولا بد أن يكون مع ذلك كلّه إخلاص وصدق وإيمان . فالطاعة مع الأخلاص نور وضياء . وبدون الاخلاص ظلام وعناء . فاتقوا الله في أعمالكم وأقوالكم وافعالكم ، فالله عليكم رقيب . اعتبروا بمرور الأيام والساعات والأعوام والأوقات . اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات.يا سميع يا مجُيب الدعوات . اللهم أعز الاسلام والمسلمين،وأعْلِ بفضلك كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ، قادتها وحكامها افرادها وجماعاتها . اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً،سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السبعون بعد المائة :

١٣ محرم ١٣٩٨هـ
١٩٧٧/١٢/٢٣

(أين هم المصلحون بين الناس)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيك ورسولك ، سيد المصلحين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . دعاة الإصلاح ، والتعاون على فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت . اللهم بحق نبيك ورسولك ، اسألك أن تحفظني من زلة اللسان ، ومن العجب والرياء والخيلاء . رب اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، الذي رفع بالإصلاح صروح المسلمين ، وأعلى شأنهم وقدرهم ، إذْ مكنّ لهم في الأرض دينهم ، الذي ارتضى لهم ، سبحانه حيث قال ، وقوله الحق : ﴿ **لا خيرَ في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاءَ مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما** ﴾[2] .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .
٢ ـــ سورة النساء (١١٤) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الحكيمُ العليم . أمرنا أن نكون من المصلحين . وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسولُه ، الذي دعانا إلى الإصلاح بين المتخاصمين ، وحضَّ عليه وجعله خيراً من نوافل الطاعات والعبادات ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين سلكوا سبيله ، فتمَّت لهم سعادة الدنيا والدين .

أما بعد . فقد قال الله ، جل وعلا ﴿ **وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأَصلحوا بينهما ، فإن بَغَتْ إحداهُما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تَفيءَ إلى أمر الله ، فإن فاءَتْ فأَصلحوا بينهما بالعدل وَأَقسِطوا ، ان الله يُحبُّ المقسطينَ .إنما المؤمنون إِخْوَةٌ فأَصلحوا بين أخويكم ، وآتقوا الله لعلكم تُرحمون** ﴾[١] .

أيها المسلمون في زمن الغفلة والتخاصُم . لما كان الإسلام هو دين البشرية الخالد ، اهتمَّ بالإصلاح بين المتخاصمين ، وبين المؤمنين ؛ بعضهم بعضا ، ذلك بأن طبائع الناس متفاوتة ، ورغباتهم متباينةٌ مختلفة ، فكان طبيعياً أن يختلفوا ولا يتفقوا ، كما قال جلَّت حكمته ﴿ **...، ولا يزالون مختلفين . إلاَّ مَنْ رَحِمَ ربُّك ، ولذلك خلقهم ...،** ﴾[٢] .

وقد يقع الشقاق بين الأقارب أنفسهم ، على أتفه الأسباب ، وقد يقع الشقاق بين القريبين ، لمخالفة أحدهما أوامر الله ، فينهى أحدهما الآخر عن شيء مخالف للشريعة ، لا يتفق مع الكرامة والشرف . وهذا أمر ديني هام ، له قيمته وشأنه ، فلا يأبه الآخر بشرع ولا فرع ، فتتولد بين الفريقين الضغائن ، وتثورُ في نفوسهم حمية الجاهلية ، فيتنازعون أمرهم بينهم .

أجل . لو كان في القرابة جماعة صالحون مصلحون ، لمنعوا هؤلاء المتطرفين التاركين لدينهم ، المفارقين للجماعة ولردُّوهم إلى صوابهم ، لعلهم

---

١ ــ سورة الحجرات (٩ ــ ١٠) .

٢ ــ سورة هود (١١٨ ــ ١١٩) .

يرجعون ، ولقضوا على أسباب الفرقة والاختلاف ، وغرسوا بين الفريقين بذور المودة والمحبة والوئام ، لترجع لأوامر القرابة قوتها ، وللأخوة انسجامها ووفاقها ، ولكنهم لا يعقلون . بل لا يدرون أن الله من وراء أعمالهم محيط .

أيها المسلمون في زمن الفوضى والشقاق . من أجل ذلك كلّه ، أمر الله عباده بالإصلاح ، وحث عليه في كثير من الآيات ، ورغب فيه نبيُّ الإسلام ،صلوات الله وسلامه عليه .

أيها الناس . إن الإصلاح بين المتخاصمين دعامة كبرى من دعائم الإسلام والمسلمين ، بل الإصلاح بين الناس من لُباب الدين . روى الترمذي وغيره ، عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة) . قالوا بلى . قال : (إصلاح ذات البيْن ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين)[1] .

أيها المسلم في زمن القسوة والتجبر . إن الله جلّت حكمته ، لعظم شأن الإصلاح وجليل خطره ، حرّم الكذب في جميع الحالات ، ولكنْ أباحه للقائم بالإصلاح لوجه الله تعالى ،مُثاباً على نيّته ، لأنه قصد جمع القلوب المتباعدة ، ووَصَلَ ما أمر الله به أن يوصل ، ولكنَّ المصلح بين المتخاصمين يكذب للإصلاح ، ولكن لو استحلفه أحد الفريقين لا يحلف ، ولا يُقسم بالله .

إن الكذاب يريد أن يجلب لنفسه نفعاً ، ويرفع عن نفسه ضَرراً ، على حساب الآخرين ، أو ليدفع عن نفسه ضُرّاً ، ولو أضرَّ بغيره ، ولكنَّ المصلح بين الناس يريد التوفيق والخير ، وجمع الشمل بين المتنازعين ، يقول رسول الله ﷺ : (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً ، أو

---

١ ــ مرَّ تخريجه مراراً .

نما خيرا)[1] وقد اخبرنا ﷺ أن المسرف في الخصومات ، والمتجاوز للحدود ، أكثرُ الناس تعرُّضاً لسخط الله وغضبه ، روى الشيخان عن عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : (أبغضُ الرجال إلى الله الألدُّ الخصمُ)[2] أي الشديدُ ، الكثيرُ في خصومة الناس . فهذا وأمثاله من أعداء الله تعالى .

نعم . أباحت الشريعة لو وقعت الخصومة لأمر من أمور الدنيا ، ثلاثة أيام . اليوم الأول يسكن فيه غضبه ، واليوم الثاني يراجع فيه نفسه ، واليوم الثالث يصالح فيه خصمه ، وما زاد على ذلك ، فإنه يكون قطعاً لحقوق الأخوة ، التي ربط الله بها قلوب المؤمنين . ولذلك قيل في هذا المعنى :

يا هاجري فوق الثلاث بلا سبب
خالفت قول المصطفى أزكى العرب
هجر الفتى فوق الثلاث محـــرم
مالم يكن فيه لمولانـــا سبـــب

وأما الخصومة والهجر والمقاطعة ، لأجل ابتعاده عن الدين ، كأن نصحت قريبك أو صديقك أو جارك ونهيته عن عمل مخالف للشرع ، فلم يقبل ، ولم ينتصح ، ولم يرجع عن عمله . فهذا الهجر له من أحب الأعمال إلى الله تعالى ، ولا مانع من بقاء هجره بسبب مخالفته لدين الله ، إلى أن يعود عن ضلاله وخطئه ، وإلى أن تنقطع أسباب الخصومة ، ويرجع إلى صوابه . يقول ﷺ (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ يلتقيان ، فيُعرِضُ هذا ويُعرِض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[3] .

---

١ ـــ متفق عليه من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهو بكذاب بدل كاذب ، ولفظه : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين ، فقال خيراً ، او نمى خيراً » .

٢ ـــ متفق عليه عن عائشه .

٣ ـــ متفق عليه عن ابي ايوب الأنصاري .

أيها المسلمون في زمن التفكك والتصدع والانحلال .

يرشدنا الرسول الأعظم ﷺ إلى أن هجر المسلم لأخيه المسلم حرام ، لما فيه من قطع الصلة بين المؤمنين ، وتفكيك عُروة الإسلام الوثقى ، التي تؤدي إلى ضعف شوكتهم ، وخِذلانهم ، وتعطيل أحكام دينهم ، وتمكين العدو منهم ، حتى يصبحوا أذلاء بعد العزة ، فقراءَ بعد الغِنى ، عبيداً مستسلمين ، بعد أن كانوا سادةً وقادة للعالمين .

أجل . أيها الناس . فكم من بيوت خربت ، وكم من أُسر كانت ناعمة البال قريرة العين ، تمزقت أوصالها وتشتت شملها ، من الغلوّ والتوغل في المنازعات والخصومات .

وقديماً قيل : فإن الحرب أولها الكلام . وما ذلك يا قوم إلا للتمادي في الهجر ، والتساهل في الحقوق والواجبات ، والتوسع في القطعية والجفاء . لهذا كله فقد مدح الله سبحانه العفو عن المسيئين ، ليرجعوا عن غيِّهم وضلالهم . فقال سبحانه ﴿ ...، **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾[1] . وقال عزَّ من قائل ﴿ ...، **وإنْ تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم** ﴾[2] .

وقد جاء في الحكم الغالية : أفضل الناس وأقربهم إلى الله تعالى يومَ القيامة ، ثلاثةٌ حتى يفرُغَ من الحساب الأول : رجل لم تدعُهُ قدرته في حال غضبه ، أن يظلم من كان تحت يده ، حتى يتذكر من هو أقدر منه ، ورجل مشى بين اثنين بالإصلاح ، فلم يَملْ مع أحدهما على الآخر ، ورجلٌ قال كلمة الحق فيما له وما عليه .

---

١ ــ سورة آل عمران (١٣٤) .

٢ ــ سورة التغابن (١٤) .

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على تحقيق الوحدة الإسلامية ، حتى إذا وصله خبرٌ عن رجل مخالفٍ شاذٍّ ، دعاه وبحث معه عن أسباب مساعيه في الفُرقةِ والانقسام ، حتى يردَّه إلى صوابه ، ويرجع إلى صف المؤمنين الصادقين المخلصين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، جعل دينه القويم رباطاً متيناً بين قلوب المؤمنين ، وأمر بالاتحاد والائتلاف ، ونهى عن التفرق والتنازع ، وأشهد أن لا إله إلا الله القويُّ المتين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسولُ الله ذو القلب الرحيم والخُلقِ الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين طابت نفوسهم ، وصفت قلوبهم وسرائرهم ، فكانوا هم السادة الغالبين المنتصرين .

أما بعد . فقد قال الله ، تقدست اسماؤه ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ...** ﴾[1] .

أيها المسلمون . إسمعوا وعوا ، كي تغنموا . نحن اليوم في ظروف قاسية ، وأيام نَّحساتٍ ، عصيبة شديدة ، فقد أطعنا سادتنا وكبراءنا ، واتبعنا شهواتنا وهوانا ، وأطعنا الطواغيت والشياطين ، فأضلُّونا السبيلا .

إن دين الإسلام هو حبل الله المتين ، والنورُ الساطع ، والحق المبين . من وقف عند حدوده نجا وسلِم ، ومن تحلَّى بآدابه سَعِد ، ومن اعتصم به ، وتمسك بأهدابه ، فقد هُدِي إلى صراط مستقيم .

---

١ ــ سورة آل عمران (١٠٣) .

فيا مسلمي زمن الحقد والكراهية والبغضاء . إن الله عزت قدرته ، قد أوجب عليكم في الإسلام أمراً عظيماً ، فإن أنتم أطعتم الله ورسوله ، نلتم خيراً كثيرا ، وانتصرتم على عدوكم . ذلكم هو أن تتحد قلوبكم ، وتتآلف نفوسكم ، وتتعاونوا على البر والتقوى فيما بينكم ، فذلك هو سرُّ نجاحكم ، وعمادُ كلِّ تقدمٍ ورُقيٍّ وحضارة . وفي ذلك تنفيذُ كلِّ عمل نافع مفيد .

وعلى الأمة أن يشعر كل فرد منها بالمسؤولية ، فإنه عُضوٌ من جسم أمته ، يحيا بحياتها ، ويموت بموتها ، يشعر بأن عليه واجباً ، يؤديه في مجتمعه لخير المجموعة الإنسانية ، بأمانة وهمة وإخلاص . ولا ريب أن أقوى عاملٍ على رفع منار الأمم ، وأفضل مُعين على نهوضها ، ونيلها غايةَ المجد والشرف ، هو اجتماع القلوب والأيدي ، واتحادُ الكلمة ، فما تمسكت به أمة إلاَّ ظهر سلطانها وعِزُّها ، وقويت شوكتها ، ودامت دولتها ، وبلغت في رقيها أقصى الغايات وأرفع الدرجات ، وما تفرقت أمة واختلفت كلمتها ، وتنازعت في أمرها ، إلاَّ اضمحلَّ سلطانها ، وضَعُفت قوتها ، ودالت دولتها ، وتبدَّل عزها ذلاًّ ، ورفعتُها ضَعَةً وانحطاطاً ، وكان نصيبها الفشلُ والخسران المبين .

أيها الناس . إن العاقل من بغيره اتعظ . ألا وإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا . ألا وإن التاريخ لعبرةٌ وعظة . أُنظروا وتبصَّروا إلى ما كانت عليه الأمة العربية أيامَ الجاهلية قبل الإسلام . كانت على أسوأ حال ، وخلافات هائلة ، وحرب متواصلة ، وتفرقٌ دائم ، وعداء مستحكم ، وهمجيةٌ ممقوتة ، يعتدي بعضهم على بعض ، ويبطش القويُّ بالضعيف ، يهجون بعضهم بالكلام والأشعار ، فتثور معهم العصبيات . قال عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية)[1] .

---

١ — رواه ابو داود عن جبير بن مطعم .

يثورون آنذاك على أتفه الأسباب ، فلا دينَ يمنعْ ، ولا قانون يردعْ ، ولا إنسانية تحجُزُه ، ولا مُنصِفَ يوقفُهُ عند حده ، إلى أن سطع فجر الإسلام ، فأضاء بلاد العرب ، واستنارت به أرجاء نجدٍ تهامة ، وارتجَّتْ لأجله بلاد فارس والروم . ولكن أبى الله إلا أن يُتمَّ نُورَه على يدي هذا الرسول الكريم ، والسيد الصادق الأمين ، فانضم إليه العقلاء ، والتف حوله السعداء ، فنزع الله من قلوبهم داء العداوة والبغضاء ، وطهرّها بدواء الإخلاص والمحبة ، وألف بينهم فصاروا رُوحاً واحدة ، في جسم واحد ففازوا بربح جسيم ، وظفروا بخير عميم ، وكانوا من المنتصرين .

يقول ﷺ (المسلمون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر)[1] اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، الحبيب العالي القدر، العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، انك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاءً رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

---

١ ـــ متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥)

الخطبة الحادية والسبعون بعد المائة :

١٩ صفر ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/١/٢٧

(في الحياء الخير كله والسعادة الأبدية)

أحمدك ربي، وأشكرك، وأتوب إليك، وأستغفرك، وأصلي وأسلم على عبدك وحبيبك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه. اللهم ارزقني الحياء والخشية منك يا الله. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث.

اللهم اغفر لي خطأي . وعمدي وجدي وهزلي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ذنوبي . واستر لي عيوبي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١].

* * * *

الحمد لله ، خلقنا وسوَّانا ، وعلى موائد بره وكرمه ربَّانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه ، وأثنى عليه بقوله جل وعلا ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[٢] . وعلى آله وأصحابه الذين صلَحت قلوبُهم ، وصفت نفوسهم ، وتهذبت أخلاقهم ، بسبب خوفهم وحيائهم من الله تعالى ، فدانت لهم الدنيا ، وكانوا همُ الفائزين الغالبين .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . إن رسول الله ﷺ يقول (إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[٣] .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

٢ ــ سورة القلم (٤) .

٣ ــ رواه البخاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري .

أيها المسلمون في زمنٍ لا حياء فيه من الله ، ولا من عباده . الحياءُ خلق يبعث في النفس بُغضَ القبيح ، ويحول بين صاحبه وبين الفحش والبذاءَة . وهو من كلام النبوة الأولى، فقد كان الحياء مطلوباً من الأمم الماضية ، وكان الأنبياء والمرسلون يدعون الناس إلى الحياء ، فلم ينسخ الحياء ولا من شريعة من الشرائع السماوية الأولى. وهذا معنى قوله ﷺ إن مما أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح ، فاصنع ما شئت)[1].

إن هذا الأمر فيه الإباحة ، وفيه التهديد لمن لا يستحي ، ولا يخاف الله تعالى . لإن الفعل إذا لم يكن منهياً عنه شرعاً كان مباحاً . يعني أنظر أيها الإنسان في عملك ، الذي تزمعُ عمله . فإذا كان يرضي الله تعالى فافعله ، ولا تخش أحداً من الناس . وإن كان يغضب الله فلا تفعله . وأما التهديد في الحديث ، والوعيد الواردُ فيه ، فكأنه يقول إذا لم يكن لديك ، حياء ولم تخش الله ولا احد من الناس ، فاصنع ما تشاء . كقوله تعالى ﴿ ...، **اعملوا ما شئتم ،...** ﴾[2] .

وكقوله ﷺ (افعل ما شئت ، فكما تدين تدان)[3] .

أيها المسلم ..إذا كنت لا تستحي ، ونُزِع منك الحياء ــ لا سمح الله ــ نعم . أقول إذا كنت لا تستحي من الله ، ولا تخشاه ولا تراقبه ، فاصنع ما تهواه نفسك من المعاصي والفواحش ، فالله تعالى يجازيك عليه ، فكأن الرسول الأعظم ، قال في حديثه إذا لم تستح فعلت ما شئت ، حتى تقع في كل فُحش ومنكر ، لأن عدم الحياء يوجب التحلل ، والخروج من الفضائل ، ويوجب الاستهتار ، والانهماك في هتك الأستار .

---

١ ــ رواه البخاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري .

٢ ــ سورة فصلت (٤٠) .

٣ ــ رواه البيهقي عن ابي قلامة وابو نعيم والديلمي عن ابن عمر وقد تقدم بتمامه .

واسمع ما يرشد إليه هذا الحديث النبوي ، الحياء خلق الكرام ، وسِمةُ أهل المروءة والشرف ، وعنوان الفضل والنُبل . إذ هو ترك ما يشين ،خوفَ المذمة والفضيحة ، الحياء باعثه إحساس رقيق ، وشعور دقيق ، يبدو في العين مظهرُه ، وعلى الوجه أثره ، فالذي يستحي من الله والناس ، تعلو قسمات وجهه حُمرة الخجل والحياء . من حُرم الحياءَ حزم الخيرَ كلَّه ، ومن تحلّى به ظَفِر بالعزة والكرامة ، ونال الخير أجمع . فعن عمران ابن حصين ، رضي الله عنه . اللهم ارزقنا الحياء والخشية منك ، لأن الدعاء مستجاب عند ذكر وسيرة هؤلاء . فعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الحياء خير كله)[1] وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، ونفعنا الله بهما ، أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مرَّ على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، (يعني يعيبُه عليه) فقال ﷺ : دعه ، فإن الحياءَ من الإيمان[2] .

أيها المسلمون. والخطاب عام ، والنساء شقائق الرجال في الأحكام .

الحياء زينة النفوس ، يصدُّها عن فعل ما يشينها ، ويحملها على التحلّي بجميل الخصال . فهو أبداً لا يأتي إلا بخير ، عند الرجال والنساء ، عند العالم والجاهل ، عند الحاكم والمحكوم ، عند الرئيس والمرؤوس . فكلهم يُطلب منهم الحياءَ من الله .

كفى بالحياء عزاً وفخراً ، أن يكون على الخير دليلا ، وكفى بالبذاء والاستهتار شراً ، أن يكون إلى الشر سبيلا ، ومن الحِكم السائرة : من كساه الحياءُ ثوبه لم يرَ الناس عيبه . كما قيل :

وَرُبَّ قبيحةٍ ما حال بيني
وبين ركوبها إلاّ الحياءُ

---

١ — رواه مسلم وابو داود في الايمان عن عمران بن حصين .

٢ — رواه البخاري في باب الايمان .

الحياء يا أخي ، شعبة من شعب الإيمان[1] وفضيلة من فضائل الإسلام ، وخُلق من أخلاق نبي الإسلام ، عليه الصلاة والسلام . فعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه . قال : (كان رسول الله ﷺ : أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[2] يعني كان ﷺ أشدَّ حياءً من البنت البكر في بيتها ، فمن خلع برقع الحياء عن وجهه،فقد خلع ثوب الإيمان عن نفسه . هذا إذا كان عنده إيمان .

ولقد تبيَّنا من إرشاداه ﷺ في حديث آخر بقوله (الحياء والإيمان قُرناءُ جميعا ، فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر)[3] وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء يعني قلة الحياء ، والحديث عن الفاحشة ، لا سيما في المجالس والندوات ، فالبُذاء من الجفاء والجفاء ، في النار)[4] .

والحياء أيها المسلمون . أقسام ثلاثة : حياء المرء من الله ، حياؤه من نفسه ، حياء المرء من الناس . فالحياء من الله تعالى ، ألاَّ يراك سبحانه حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ولا يكون ذلك إلا لمن شعَّ نور الإيمان في قلبه . فيعتقد أن الله جل وعلا مطلع عليه سراً وعلانية ، لا يخفى عليه شيء من أمرك ، فإذا استشعر الإنسان وملك خوفُ الله عليه حواسَّه فعل ما أمره الله به ، وتجنَّبَ ما نهاه الله عنه . كما قيل :

إن مـــن يركب الفواحش سراً ... حيـن يخلو بسرِّه غير خـــال
كيف يخلـــو وعنـــده كاتبـــاه ... شاهـــداه وربُّه ذو المحـــال

١ ــ من حديث متفق عليه ، أوله الايمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الايمان .

٢ ــ متفق عليه ، تقدم ذكره .

٣ ــ رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي والحاكم على شرطهما عن ابن عمر .

٤ ــ رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة ، والبخاري في الأدب وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن ابي بكرة والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين .

وهو شديد المِحَال ، أي شديد العقاب . وأما الحياء من نفسك ، فدليل حيائك من الله ، أن توجه نفسك إلى الخير المُحصَّنْ ، ولا تفعل ما يغضب ربك ، إذا كنت تستحي من فعله أمام الناس .

وأما الحياء من الناس . فهو أن يترك الإنسانُ كلَّ ما يدنس جميعاً . يقول الله موبخاً من يستحي من الناس ، ولا يستحي من الله ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يُبيتونَ مالا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملونَ مُحيطاً** ﴾[1] .

يا رجال اليوم . ويا شباب اليوم . ويا شباب الغد والمستقبل القريب .

لقد غاض ماء الحياء من وجوه أكثر الشباب والرجال جميعا ، فلا همَّ لهم إلا معاكسةُ الشابات في الشوارع والطرقات والأسواق ، أفلا يخجلون من الله.؟ أليس لهم زوجات وأمهات وبنات وقريبات . فهل ترضى أيها الشاب . أيها الرجل . أن يأتي رجل آخر فيصطاد زوجتك أو أختك .؟

لقد أصبح التظاهر بفعل المنكرات مَوْضة من الموضات . وكذلك التباهي بما ارتكبوا من الموبقات وما علم هؤلاء وهؤلاء ان حياة المرء بحيائه ، كما أن حياة الفرس بمائه ولقد صدق من قال :

إذا قلَّ ماء الوجه قـــلَّ حياؤه

ولا خير في وجه إذا قلَّ مــاؤه

أسفي عليكم يا شباب اليوم . فمن سُلِبَ الحياءَ استوت عنده الفضيلة والرذيلة . لقد أصبحت الحياة مريرة جداً ، والعيش معها أصعب وأصعب ، كما قيل :

١ - سورة النساء (١٠٨) .

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ
أما والله مافي العيش خَيْرٌ
ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يقول ﷺ : (استحيوا من الله حقَّ الحياء : قالوا إنا نستحيي من الله يا رسول الله ، والحمد لله : قال ليس ذلك ، ولكنَّ الاستحياء من الله حق الحياء ؛ أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء)[1] وهذا النوع يا مسلمون أعلى درجات الحياء ، يدعو إليه كمال الدين ، وقوةُ اليقين ، أقول قولي هذا ،واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله الخبير البصير ، العليّ القدير ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الخبير بالنفوس وما هجست ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، العالمُ بما تكنه الصدور وتخفيه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، قدوة الخاشين والخائفين والمستحين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فيا أيها المسلم : فإن رسول الله ﷺ قال : (إن لكل دين خُلُقا ، وخُلق الإسلام الحياء)[2] واعلموا أيها الناس . أن الحياء من الله ، هو أثرٌ لمعرفة الله ، فصاحب الحياء ، لا يظلم ولا يقتل ولا يسرق ولا يزني ، ولا يأتي ببهتان ، لأنه يرى الله معه أينما كان ، ومتى كان ، وكيفما كان .

---

١ ــ رواه الامام احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود ، وقال الحافظ السيوطي صحيح . واقره الذهبي ، وقال المناوي الصحيح انه موقوف .

٢ ــ رواه ابن ماجه عن انس وابن عباس بسند ضعيف ، وقال ابن الجوزي حديث لا يصح .

إن صاحب الحياء ، يرى نعمة الله عليه ، وعظمته في خلقه ، فيمنعه حياء النعمة ، وحياء الجلال من ارتكاب ما يغضبه ، والتقصير فيما يرضيه ،فحيثما وجد الحياء وجد الإيمان .

وإذا كان الحياء من الإيمان ، والإيمان خيرٌ كلُّه ، فالحياء خيرٌ كلُّه ، فعدم الأمر بالمعروف ، وعدم النهي عن المنكر ، وعدم إعطاء الحق لصاحبه ، وعدم القيام إلى الصلاة ، وأنت في مجلس المتمدنين إرضاءً لهم ، ليس من الحق في شيء ، لأنه ليس من الإيمان في شيء ، وإنما هو مُهين في النفس ، وضعف في العقيدة ، والتماس لرضا المخلوق بغضب الخالق . فقد كان النبي ﷺ أشد الناس غضباً وصولةً ، عند انتهاك حرمات الله ، أو التقصير في واجبات الله ، وقد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : (نعم النساءُ نساءُ الأنصار ، كان لا يمنعهن الحياء ، أن يتفقهن في الدين)[1] وفي رواية رحم الله نساءَ الأنصار ، لم يمنعهن الحياء عن أن يسألنَ عن أمر دينهن ، وأن يتفقهن في الدين . وصح في الحديث أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فعرضت نفسها عليه ، تريد الزواج منه ، فقالت ابنتُه[2] : ما أقلَّ حياءَها (يعني أفلا تستحي من رسول الله ﷺ) فردّ النبي عليها قائلا : هي خيرٌ منك : عرضت نفسها على رسول الله (ولا حياء في الدين) والحياء خيرٌ كله[3] .

---

١ ـــ متفق عليه ، عن عائشة .

٢ ـــ القائلة ابنة انس بن مالك وليست بنت رسول الله ﷺ ، ولا النبي ﷺ ، هو الذي ردّ عليها : هي خير منك بل هو أنس بن مالك ، راوي الحديث ، فقد اخرجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد الغفار عن ثابت البناني عن أنس به وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتاً يقول : كنت مع انس جالساً ، وعنده ابنة له ، فقال أنس جاءت امراة إلى النبي ﷺ فقالت ، يا نبي الله هل لك حاجة ، فقالت ابنته (أي ابنة انس) ما كان أقل حياءها ، فقال هي خير منك . رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها .

٣ ـــ رواه مسلم وابو داود عن عمران بن حصين .

فاتقوا الله عباد الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[٤] صلوات الله وتسليماته على سيدنا محمد ، النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات . إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . اللهم أصلح ذات بينها ، ووحد بين قلوبها وصفوفها يا أكرم الأكرمين . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون)[٥] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـــ سورة الاحزاب (٥٦) .

٢ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية والسبعون بعد المائة :

١١ ربيع الأولى ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٢/١٧

« ميلاد رسول الله ﷺ ميلاد عهد جديد »

لك الحمد والشكر يا رب ، والثناء الجميل على نعمك وآلائك ، التي أسبغتها على العالمين ، ببعثة سيد المرسلين ، وأصلي وأسلم على من أبرزته من أنوارك القدسية ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه. اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ﴿... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، الذي أنعم علينا بميلاد رسوله ، وبعثة سيدنا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، وكتابه الحكيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كلّه ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، خيرتُه من خلقه ، وصفوتُه من عباده .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

رفع له ذكره ، وأعلى قدره ، وشرح له صدره ، وجعل الذِّلةَ والمهانة على من خالف أمره ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا طريقه في كل قول وعمل ، واتبعوا نهجه القويم وهديه المستقيم ﴿ **أولئك على هُدىً من ربهم ، وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

أما بعد . فإن الله سبحانه وتعالى ، قد منّ على المؤمنين والناس أجمعين ، برسول منهم ينقذهم من الضلالة إلى الهدى ، كما قال جل شأنه ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويُعلِمُهُم الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين** ﴾[2] .

أيها المسلمون :

في هذه الآية الكريمة توجيه النفوس المؤمنة الواعية ، وإرشادها إلى مزيد الاهتمام والاتباع له ﷺ في طريقته وشريعته ومزاياه ، ومن اتبعه فقد فاز بمحبة الله ورضوانه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحبِبكُمُ الله ويغفرْ لكم ذُنوبَكم ، والله غفور رحيم** ﴾[3] .

ولقد كان من أعظم مِننه تعالى وأكبرها ، أن جعل رسولنا من أنفسنا عربيا لا أعجميا ولا أجنبياً ، حتى نفهم عليه دعوته ورسالته ، فالذي يحب الله يحب رسوله ، ويتشفع به ، ويتوسل به ، ويسير على نهجه وطريقته .

أيها المسلمون . في مثل هذا الشهر ، شهر ربيع الأول الأنور ، في العشر الأوائل من هذا الشهر ، أو في الثاني عشر من هذا الشهر ، على

---

١ ــ سورة البقرة (٥) .
٢ ــ سورة آل عمران (١٦٤) .
٣ ــ سورة آل عمران (٣١) .

حسب الروايات الواردة ، ولد سيدنا محمد ﷺ وأشرق على العالم فجرٌ جديد ، بدّد الله فيه الظلمات الحالكة . ولد صاحب الفوت والمزايا الباهرات . ذلكم هو سيد الوجود ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي بعثه ربه للإيمان ، منادياً ، وإلى الشريعة الغراء هادياً وداعيا ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهيا ، وفي مرضاة ربه ساعيا ، جاء على حين فترة من الرسل . جاء بعد رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام ، بنحو خمسمائة عام . كان العالم فيها في سبات عميق ، وفي فترة جاهلية جهلاء ، أيقظ الله به الضمائر ، ونوّر البصائر ، وهزّ المشاعر ، وطهر السرائر . أزال من النفوس العداوة والبغضاء والخصام ، وعَمَر القلوب بالمحبة والصفاء ، نشر في الناس مبادىء العدالة الاجتماعية ، والحرية والمساواة والإخاء ، حتى صار الناس بعد ذلك ، بنعمة الله إخوانا .

أيها المسلمون . بميلاد هذا النبي الكريم ، طلع على العالم فجر جديد ، وظهر دين الإسلام ، الذي دعا إليه المرسلون السابقون . هذا الدين الذي لا يقبل الله من العباد ديناً سواه ، كما قال جلت عظمته وحكمته ﴿ **ومن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[1] .

أجل . جدير بالمسلمين أن يحتفلوا كل عام بميلاد نبيهم ورسولهم ، لأنهم إذا ما احتفلوا بميلاده ، فإنما يحتفلون بميلاد سيد البشر ، وعلم السعادة يرفرف على الخافقين ؛ مشرق الدنيا ومغربها ، ولكن ينبغي ان تعلموا سرّ الاحتفال ومغزاه ، فالاحتفال الحقُّ ، إنما هو في إحياء سنته ، والسير على شريعته بالعلم الصحيح ، والجهاد الصريح الحقيقي ، حتى نسترد الأرض والمقدسات ، لا بالأقوال والخطب المدوية والتصريحات ، الاحتفال الحقُّ ليس بالطبول ولا بالمزامير ، فإن هذا كلّه منهيٌّ عنه . وهو

---

١ — سورة آل عمران (٨٥) .

ﷺ لا يقبله ، الاحتفال الحقُّ هو المحافظة على كتاب ربه ، الذي جاء به ، وتنفيذ أوامره ، بلا تفريط ولا إفراط . الاحتفال الحق هو إشاعة المحبة والمودة ، وجمع الكلمة فيما بيننا . الاحتفال الحق الصحيح ، هو أن نبني مجد أمتنا المسلوب ، وعزتنا وكرامتنا التي عفا عليها الزمن . نبنيه بالعمل المنتج ، والجهاد الذي لا استجداء فيه ، ولا استسلام . الاحتفال الحق هو بالإنتاج والتصنيع ، الذي يملأ ربوعنا سعادة وهناءً ، وبذلك نرفع من شأن أمتنا ، ومستواها اللائق بها بين الأمم .

الاحتفال الصحيح ، هو أن يسير الحاكم المسلم على نهج نبيه ورسوله ، فيعرف حق رعيته ، ويسعى لخيرها وإسعادها . الاحتفال الحق هو أن يعرف كلٌّ منا واجبه ، فيقوم به على أحسن وجه ، فإن كان عاملاً أخلص في عمله ، فلا غِش ولا خداع . وإن كان تاجراً فلا غلاء ولا بلاء ، ولا يحتكر قوت العباد ، ولا يكن معول هدم وفساد ، لقوله عليه الصلاة والسلام (من احتكر طعام المسلمين أربعين يوماً ، ضربه الله بالجذام والإفلاس)[1] يعني من جمع الطعام ومؤنة الناس لبيعه في وقت الغلاء ، سيرى جزاءه العاجل من الله جل جلاله .

الاحتفال الحق بميلاد رسولنا وحبيبنا ومرشدنا إلى الله تعالى ، هو أن يرحم الكبير الصغير ، وأن يرحم الناس بعضُهم بعضاً . يقول الله في الحديث القدسي : (إن كنتم تريدون رحمتي ، فارحموا خلقي وعبادي) ويقول ﷺ (ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء)[2] الاحتفال الحق يا مسلمون . أن يعرف الأغنياء حق الفقراء والمساكين ، وان يتعاون الناس جميعاً على استرداد وطنهم المغتصب ، وأن يتعاونوا على الخير العام ، والصالح العام .

---

١ ـــ رواه الامام احمد وابن ماجه عن عمر وقال رجال ابن ماجه ثقاه . ولكن بدون ذكر اربعين يوماً .

٢ ـــ رواه البخاري في الادب بلفظ ارحم من في الارض يرحمك من في السماء عن ابن مسعود وقد تقدم باختلاف الفاظه ورواياته .

ها هي ذي بعض أعماله ، ومعاملات صاحب الميلاد السعيد ، لعلكم تستخلصون منها القدوة والعظة والعبرة .

سئلت أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، عن أخلاق رسول الله ﷺ بعد وفاته ، قالت : لقد أمتدحه ربه في قرآنه بقوله ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] . ثم قالت كلمة موجزة مختصرة ، عن أخلاقه فقالت (كان خلقه القرآن)[2] يعني يتأدب بآدابه ، ويأتمر بأوامره ، ويقف عند حدوده . كان ﷺ ذا شجاعة ونجدة وبساله . يرحم المؤمن كان ذا حماسة وشهامة وصولة وإقدام ، شتت شمل الطغاة والبغاة والجبارين من الجاحدين والمعاندين ، تصدّى لجهاد أعدائه ، وقد أحاطوا به عدة مرات ، لا سيما يوم هجرته . وبذلك جمع بين التصدي للدعوة الإسلامية ، والدفاع عن العقيدة والأوطان ، حتى أظهر الله دينه على يديه ، ما سمع التاريخ بشجاع مقدام إلا أُحصيت له فرّةٌ وإحجام .

أما بطل الابطال ؛ سيدنا محمد ﷺ فقد ثبت في جميع المواقف الحالكة ، ولذلك قال عليٌّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه (كنا إذا حَمي وطيس الحرب اتقينا واحتمينا برسول الله ، عليه الصلاة والسلام). إذنْ يحق للمسلمين ، ويجدر بهم أن يحتفلوا بيوم ميلاده . إذ ما من نبي إلا وبشر بيوم ميلاد هذا الرسول ، كما قال البوصيري رضي الله عنه .

ما مضت فتـــرة مــن الرسل إلا	بشرت قومهـــا بك الأنبيـــاءُ
تتباهـــى بك العصـــور وتسمو	بـــك علياءُ بعدهـــا علياءُ
نسب تحسب العـــلا بحُـلاه	قلدتهـــا نجومَهـــا الجـوزاءُ

---

١ ـــ سورة القلم (٤) .

٢ ـــ متفق عليه عن عائشة .

وأسفرت عنه ليلة غرّاء ومُحيا كالشمس منك مضيء
ولد المصطفى وحُقّ الهناء وتوالت بُشرى الهواتف أن قد
آيةٌ منك ما تداعى البِنَاءُ وتداعى إيوان كسرى ولولا
وبَالٌ عليهمُ ووباء مولد كان منه في طالع النَّوْءِ

كان ﷺ بعيداً عن التصنع والنفاق والزّيف والرياء . كان مستقل الرأي . لا يدعى ما ليس فيه . يستشير أصحابه عند الحاجة ، عاملاً بمبدأ الشورى في الإسلام . من أجل هذا كلّه صارحه سبحانه في محكم كتابه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] .

روى البخاري ومسلم وغيرهما ، أنه ﷺ كان أحسنَ الناس ، واجود الناس ، وأشجع الناس . وورد أنه ﷺ قال : (خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدمَ ، إلى أن ولدني أبي وأمي ، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء)[2] صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . ادعوا الله ،وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، أكرمنا بميلاد خير البرية وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، القائل أنا خيار ، من خيار ، من خيار .

---

١ ــ سورة القلم (٤) .
٢ ــ رواه الطبراني وابن عدي وأكثر رواته ثقاة ، عن علي بن أبي طالب .

وبعد فيا أيها المسلم . جدير بنا أن نحتفل بهذه الذكرى النيرة المشرقة ، بمن بلَّغنا كتاب ربه ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم ، هو الفصل وما هو بالهزل . من ابتغى الهدى في غيره ، أضلّه الله . من قال به صَدَق ، وصُدِّق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه ، هُدي إلى صراط مستقيم .

اتقوا الله عباد الله . اتقوا الله حق تقواه . ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)[1] صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين . ورضي الله عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم اجعل للقادة والحاكمين دستوراً من سيرة صاحب الميلاد ، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها يا رب العالمين .

ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال . اللهم هَيِّءْ له بطانة صالحة ، تأخذ من سيرة هذا النبي ، ما يجعلها عاملة بكتاب الله وسنة رسوله .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثالثة والسبعون بعد المائـة :

١٦ ربيع الآخر ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٢/٢٤

(اما آن للعالم أن يفهم الحقيقة) ؟

أحمدك ربي، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك وأستعينك ، وأستهديك . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت .

رب اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . ربنا أغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله يكافىء المجدين على جِدهم ، ويُعِزُّ المجاهدين في سبيله ، لإعلاء كلمته سبحانه وتعالى ، يكافيء الصابرين على ما أصابهم ، فينيلهم ما أمّلوا ، وينصرهم وقد استيأسوا .

الحمد لله ، يعلم المخلصين الصادقين ، فيثيبهم على ما يفعلون ، ويعلم المخادعين المنافقين ، فيجزي كلاً بعمله ﴿ **وما تُجزَوْنَ إلاَّ ما كنتم تعملونَ** ﴾[٢] .

---

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٦ ــ ٢٧ ــ ٢٨) .
٢ ــ سورة الصافات (٣٩) .

سبحانك ربي . ما أسمى حكمتك . أقمت دنيانا على الحق ، ونسجت لنا من شريعتك السمحة درعاً حفته تقينا عوادي الأيام ، وما أحوجنا إلى تلك الأيام ، التي كان لا يضيع فيها حق لمطالبه . ولقد بلغنا أياماً صار الأمر فيها للقوة لا للحق ، أيامٌ فقدت فيه الأمة فيها الإيمان ، الذي عليه استقرار الأمان ، ونشرُ السلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذي أبت حكمته أن يُسوِّي بين المحقين وبين المبطلين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين أعلوا كلمة الحق ، وساسوا أمتهم بحكمة وحزم ، ففازوا بنعيم الدنيا ، ورضوان الله في الآخرة . قال تعالى : ﴿ **وقل جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطلُ ، إن الباطلَ كان زَهوقا** ﴾[1] .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . ها هو ذا نبيُّ الإسلام ،قام يدعو الناس بأمر ربه ، ليدخلوا في دين الله أفواجاً ، وكانت جنود الباطل وقواه محشودةً لمصارعة الحق وأهله ، وبقي الصِّراع بدعوته الكريمة مدة رسالته ، حتى انتهى هذا الصِّراع بفتح مكة ، حِصن الأصنام ومعقل الوثنية ، وبفتحها احترقت الوثنية من جزيرة العرب كلّها ، حتى صار للإسلام الكلمةُ العليا .

أيها المسلمون في زمن التعدي والتحدي . إن كلَّ ما ينشُده البشر من سعادة ، أو عزةٍ أو كرامة ، فقد جاء بها الإسلام ، وإن كثيراً من الناس عن آيات الله لغافلون . ففي أحكام الإسلام الحلُّ الوحيد لكل مشكلة من مشكلات حياتنا ، ولكنَّ حكامنا ودولنا إليها لا يرجعون .

إنه في الإسلام حلُّ مشكلاتنا ، سواءٌ أكانت اجتماعية ، أم سياسية ، أم اقتصادية .

---

١ ــ سورة الأسراء (٨١) .

قل لي بربك ، أليس يعمل الإسلام على وجوب دعم الإخاء ، ونشر ألوية الحرية والمساواة ، وتأسيس قواعد الشورى ، حتى لا يستبد القويُّ بالضعيف ، ولا يبغي الرئيس على المرءوس أليس يدعو إلى المحافظة على العهود ، وينهى عن نقض المواثيق ؟ أليس يحفظ للأمم الضعيفة كرامتها واستقلالها ، ويمنع من التعدي على الآمنين من هذه الأمم ، من أطفالها ونسائها وشيوخها وأراملها ويتاماها ؟. كم مرةً أوصى رسول الله ﷺ قادة جيشه بعدم التعدي على هؤلاء وهؤلاء ، أما قال عدة مرات ، وتاريخُ الإسلام أصدق شاهد على ذلك ، لا تغدِروا (لأن الغدر من شأن الخائنين الضالين) ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، وستجدون رجالاً في الصوامع والبيع (يعني الكنائس) ، فلا تتعرضوا لهم ، وكذلك أوصى قوادُ رسول الله ﷺ جُندهم بمثل ذلك ، قبل الدخول في ساحة الوغى .

أما إسرائيل ؛ القاعدة الكبرى للمستعمرين ، فإنها لا تتورع عن قتل الأبرياء ، وهدم ونسف منازلهم على رءووس الأبرياء والآمنين . لا تبالي بالشيوخ والأطفال والنساء ، وتهدم مساجد الله على رءووس المصلين ، الوادعين العابدين الركع السجود ، وتهدم كنائس النصارى وغيرهم ، من ذوي الملة والدين .

يا عرب يا مسلمون . يا مسلمي هذا الزمان العجيب . يامن تُعَدُّون بالملايين . فيا خيبة هذا العدد الفارغ ، الذي لا يملأه إلا الهواء والأهواء ..!

قل لي بربك . أين هي الدول الإسلامية الكبرى ، التي نسمع بها من وسائل الإعلام ، ولا نراها إلا على خارطة جغرافية ؟ أين أنتم من

حديث رسول الله ﷺ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، (يعني الواحد) إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[1] . أين أنتم من قوله عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبُنيان (يعني المرصوص) يشدُّ بعضُه بعضا)[2] .

يا قوم . إن شعب لبنان ، وفيه إخوانكم وأهلوكم ، بأهله وأطفاله ورجاله ينصاعون جوعاً وألما ، ويشكون جروحاً وآلاماً ، نتيجة جريمة إسرائيل الهوجاء ، وتنفيذ شهواتها ورغبتها ، ومن يقف معها ويسلحها . حقاً أيتها الشعوب الغافلة . لو أن الدول العربية تكاتفت وتضافرت جهودُها على الدخول في حرب مع إسرائيل ، لقامت قيامة الدول المساندة والمؤيدة لها ، ولربما قامت بسلاحها الفتاك ، فأبادت نصف العالم في الشرق الأوسط ، كما فعلت دول الاستعمار في فيتنام والصومال وباكستان ؛ الدولة الإسلامية الكبرى . أما إسرائيل التي أبادت أمة بأسرها ، باحتلالها لبنان ، وذلك تحت سمع وبصر الدولتين العظميين . فهذا كلّه لا محاسبة عليه ، ولا عتاب ، لأنها ـــ اي إسرائيل الدولة الباسلة ، التي استبسلت على الأطفال والنساء ، وهدم المنازل وأماكن العبادات ، لكنهاـــ عادت من مجزرتها بخفى حنين . أي بلا طائل . والحمد لله ، إن إسرائيل كسيدتها وولية أمرها يُخيان باللائمة ، ويلومان دولة عظمى ، لانتهاكها حقوق الإنسان وحُرمته . إن إسرائيل وحاضنتها يصمان هذه الدولة بهضم حقوق الإنسان ، ويشعلانها حرباً كلامية نفسية في وسائل الإعلام . قل لي بربك أيها الإنسان المعذب ، في حمى هذه الدول العاتية ، قل لي بربك . أين هو الطفل الممزق ؟ أين حقوق الإنسان .؟ هل شعرت أيها الإنسان بشيء من العطف والرحمة والإنقاذ.؟

---

١ ـــ متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثل المؤمنين ...

٢ ـــ متفق عليه والترمذي والنسائي عن أبي موسى الاشعري .

قل لي بحقك أين هي حقوق الإنسان التي تزعمها هاتان الدولتان وتدعيانها .؟ أين هي الشفقة والمرحمة والرأفة .؟ أين هو السلام الذي تنشدُونه أنتم وصاحبُكم .؟ ولا يزال يُنادي به على رؤوس الأشهاد .

إن لسان حال كل طفل وطفلة ، ولسان كل عائلة هاربة إلى مكان الأمان ، مزقتهم قنابل النابالم وقذائف التدمير ، يقول (أنا طفل صغير بريء في حضن أمي وعلى يديها ، لا حول له ولا طول ولا قاتل ، فما هو ذنبي حتى أُمزَّق إربا .؟ إربا يقول ﷺ (من أعان ظالماً ليدحض (أي يبطل بباطله حقا ، فقد برئت منه ذمة الله ، وذمةُ رسوله)[1] . وقال ﷺ (الظلم ظلمات يوم القيامة)[2] وورد (أن من أعان ظالماً سلط عليه)[3] . وسيسلط الله إسرائيل ، على من كان سبباً في خلقها وإيجادها .

أيها المسلمون . الإسلام رحيم بأطفال الكافرين والمشركين . كما هو رحيم بأطفال المسلمين ، لما ورد أن أطفال المشركين في الجنة يوم القيامة . لقوله ﷺ رُفع القلم عن ثلاثة : عن الصبّي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وقال عليه الصلاة والسلام (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يمجسانه أو ينصرانه أو يهودانه)[4] .

إن إسرائيل يا قوم . شرَّدت شعباً بأسره بالقوة والقسر والإرهاب ، مستعينةً بسيداتها وحليفاتها من الدول العظمى والكبرى ، والله أكبر وأعظم من كل كبير وعظيم .

---

١ ــ رواه الحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الهيثي رجاله رجال الصحيح .

٢ ــ متفق عليه بزيادة إن .

٣ ــ رواه ابن عساكر في التاريخ عن ابن مسعود قال البخاري فيه العدوى متهم بالوضع .

٤ ــ متفق عليه ، وزاد البخاري لمثل البهيمة تنتج البهيمة . هل ترى فيها جدعاء وزاد مسلم . فإن كانا مسلمين فمسلم ، كل انسان تلده أمه ، يلكزه الشيطان في خصيتيه الا مريم وامه .

يا مسلمي هذا الزمان . يا ساسة اليوم وقادة اليوم . يا من اعتمدتم على المؤتمرات والاحتجاجات والمظاهرات . إن المؤتمرات المصغَّرة والمكبَّرة ، والاحتجاجات الموسعة والمبسطة . والمظاهرات الصاخبة ، لهذه كلُّها لم تعد تجدينا نفعاً . إن ذلكم هو شعور اليائس الضعيف .

فمنذ وقوع البلاء في فلسطين بوعد بلفور المشؤوم ، وأهل فلسطين يقاومون بسلاحهم تارةً ، وأخرى بالمؤتمرات والاحتجاجات والخطب الطنانة الرنانة ، وهي فارغة وخالية من الإخلاص ، لم تجدنا شيئاً . لم يقم أحد في العالم العربي والإسلامي ، مثل ما قامت به الهيئة العربية العليا في فلسطين ، فقد كانت تقيم المؤتمرات الضخمة في قلب فلسطين ، بساستها بعلمائها برجالها ، وكانت بريطانيا المنتدبة علينا تراقب هذه المؤتمرات عن كثب ، (عن قرب) وهي جادة في إنشاء وطن قومي لليهود . وأهلها ، ونحن غير مفكرين في العواقب . إن بريطانيا والله كانت سبباً في ضياع فلسطين ، كانت سبباً في البلاء وفي الغلاء ، وفي هذه الخلافات كلِّها في العالمين الشرقي والغربي ، لأن أسَّس الداء والبلاء ، هو تشريد أهالي فلسطين ، وتركيزُ غيرهم ، وإبعاد المحقين عن وطنهم المشروع وحقوقهم المشروعة ، ونتيجةً للمظاهرات والمؤتمرات والاحتجاجات واللعلعات سقطت فلسطين بأسرها ، لأننا كنا مشغولين بالحزبية السِّياسية ، والزعامة ، وحب الذات . فما هذه الوسائل إلا حبرٌ على ورق . وما مؤتمر علماء فلسطين الضخم الهائل في فلسطين ، عن أذهان السادة العلماء ببعيد .

أيها الناس . إن درهماً واحداً من عمل ووقاية ، خير من قناطير مقنطرة من المؤتمرات والمظاهرات والاحتجاجات . نحن نريد أعمالاً إيجابية ، مثمرة نافعة مفيدة ، لا سلبية تتبخر في الهواء .

أنسيتم أيها الناس يوم إحراق المسجد الأقصى ، الذي أحرقه العدو ، واهتز له العالم كلّه ، فماذا فعلنا .؟ وتأكدوا تماماً ، أن عدوكم ماكر على غاية من الدهاء والمكر . يعرف تماماً أن هذه المؤتمرات والاحتجاجات والمظاهرات ، ما هي إلا شعلة تلتهب ثم تنطفىء ، ثم تذوب .

يا قومنا أجيبوا داعي الله . إن عدوكم ماكر صلْب ، لا يتراجع ، يضرب بقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم عرض الحائط . أيها المعارضون في عودتنا إلى أرضنا ومقدساتنا . أيها الواقفون في طريقنا . أيها المتاجرون بنا والمتآمرون علينا . وتدخل بالذات في هذا الخطاب إسرائيل .

إعلموا تماماً ، وأنا لست ذا قوة ولا قدرة ، ولا حول لي ولا طول ، ولكنني أستند إلى قوب رب العالمين ، الذي يُحق الحق ، ويزهق الباطل ، الذي قال : ﴿ **وقل جاءَ الحقُّ وَزَهَقَ الباطِل ، إن الباطلَ كانَ زهوقا** ﴾[1] اعلموا جيداً أنكم إذا كنتم تظنون ، أن إبادة المجاهدين والقضاء عليهم ، يخلّص اليهود من الفلسطينيين ، فهذا والله خطأ فاحش ، وعدم تفكير . ذلك لأن إبادتهم تثير في كل فلسطيني النجدة والنخوة ، وسيصبح كل فلسطيني في مشارق الأرض ومغاربها ، مجنداً لاسترداد وطنه المغتصب ، بإذن الله . إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿ ...، **ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن الله لقويٌ عزيز** ﴾[2] .

نحن نعتقد بالله وبنصر الله ، مهما طال الزمن ، ومهما تضافرت قوى الشر علينا ــ بإذن الله ــ أعود فأقول أيها الناس إن درهماً من عمل خير من أقوال لا تجدينا ، ولا تنتج شيئاً .

---

١ ــ سورة الاسراء (٨١) .

٢ ــ سورة الحج (٤٠) .

السـيف أصدق أنباءً من الكتـب
في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائـف في
متونهن جـلاء الشَّك والريبِ

إننا سوف لا نتخلى عن حقوقنا ، عن أرضنا ، عن منازلنا ، عن مقدساتنا ، عن جناتنا ، والشعب هو الشعب .

إذا الشعب يوماً أراد الحيـاة ، فلا بد أنْ يستجيبَ القَـدرَ
ولا بد لليـل أن ينجـلي ، ولا بـد للقيـد أن ينكسـر

وهنا أنبه وأقول مذكراً ، محذراً الدول العربة .

يا بني الشام ومصر وبني العراق ، هل نسيتم ذكـر عهد طبق الآفاق .؟
كنتم فيما مضىً بهجـة الأزمـان ، فلماذا اليوم نرضى عيشة الهوان .؟

وعن معاوية ، رضي الله عنه ، قال :

يقول ﷺ « لا تقدس أمة ، لا يُقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقَّه من القوى ، غير مُتعتع »[1] . ومعنى غير متعتع ، أي من غير أن يصيبه أذىً يقلقه ويزعجه . فالأمة التي لا يُقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ فيها الضعيف حقه ، فهي أمة فاشلة ، لا وزن لها ، وعن معقل بن يسار ، رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من عبدٍ يسترعيه الله عز وجل رعيته ، يموت يوم يموت ، وهو غاشٌ رعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة)[2] .

---

١ ــ رواه الطبراني عن معاوية ، ورواته ثقاة ورواه البيهقي عن بريدة بلفظ : كيف يقدس الله امة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها ، وهو متعتع » .
٢ ــ متفق عليه ، عن معقل بن يسار .

وعن معقل أيضاً ، أن رسول الله ﷺ قال : (من وليَ أمة من أمتي قلّت أو كثرت ، فلم يعدل فيهم . كبّه الله على وجهه في النار)[1] . وهذا الخطاب عام ، لجميع الدول العربية . أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر الله لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله الناصر للمحقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله العليم القادر الحكيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً ، الذي كان لا يبالي بالجهر بالحق ، ولا يستكين ، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا وعملوا ، وتمسكوا بكتاب ربهم ، فنصرهم وأعزهم ، وأعلى قدرهم .

أيها المسلمون . لقد أراكُمُ الله تعالى من آياته وعظاته ، أن الحق دائماً منصور ، وان الباطل دائماً مهزوم ، مهما اختلفت الأيام والظروف . وسينصر الله عباده الذين ثبتوا على الحق والمبدأ ، وأظهروا البسالة والإقدام . أما الذين يطالبون بطردهم وإخراجهم من أرض العروبة ، والذين يريدون اجتثاثهم واقتلاعهم من الأرض ، من وطن العروبة ، فإننا والله لا ندري أهم أصحابنا وأحبابنا فيؤيدوننا ، أم هم أعداءٌ للقضية والاستقرار . وهل هم شركاؤنا في لبنان ، وفي الأرض والوطن والمقدسات أم لا .؟

كلكم تقولون في إذاعاتكم ، الوطن العربي واحد لا يتجزأ ، وإلا فما معنى إغداق هذه المعونات ، ووضع قوات الردع في ذلك المكان . وما أجمل ما قيل :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بدُّ
وأعجب من ذا صاحب لست عالما ... أحقاً هو الخِلُّ الوفي أم الضدُّ

---

١ ـ رواه الطبراني في الأوسط .

أيها المسلمون . إن الحق خير كله ، إينما حل ووجد ، وينفع الناس ويدوم ، نفعه كالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي . وقد بيّن الله لنا أن الباطل شرٌ كلُه ، مثلُه كالزبد الذي يقذفه الماء ، قال تعالى ﴿ ...، فأما الزبدُ فيذهب جُفاء ، وأما ما ينفع الناسَ فيمكثُ في الأرض ، كذلك يَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ ﴾[1] .

إن الجهاد في سبيل الله ، خيرُ علاج لقضيتنا . ألم تسمعوا قول رسول الله ﷺ (لغدوةٌ في سبيل الله ، أو روحةٌ ، خير من الدنيا وما فيها)[2].؟ ﴿ ولا تحسَبَنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقونَ . فَرحينَ بما آتاهم الله من فضله ويَستبشرونَ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحزَنونَ ﴾[3]

إن لهم عند الله الدرجات العُلا ، كما قال تعالى ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورِضْوانٍ ، وجناتٍ هم فيها نعيمٌ مُقيم . خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم ﴾[4] .

اتقوا اللّه حق تقواه وراقبوه من يعلم أنه يسمعه ويراه . وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك كلمة الحق والدين . اللهم من آذانا فآذه ، ومن عادنا فعاده ، يا اللّه . يا رباه .

---

١ ــ سورة الرعد (١٧) .

٢ ــ متفق عليه ، والامام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك وبقيته : ولقاب خوس احدكم أو موضع قيده من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحاً ولاضاءت ما بينهما ولنصيفها أي خمارها على راسها خير من الدنيا وما فيها .

٣ ــ سورة آل عمران (١٦٩ ــ ١٧٠) .

٤ ــ سورة التوبة (٢١ ــ ٢٢) .

يا خالقاه . يا غاية منتهاه . يا رجائي ورجاء كل مخلوق . نسألك أن تمن علينا باسترداد أرضنا وبلادنا ومقدساتنا . اللهم انصرنا ، فإنك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك المجاهدين ، واضرب بسلاحهم أعدائك أعداء الدين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، اللهم هَيِّئْ له بطانة صالحة ، تحثه على الخير ، وتحذره من الشر يا أكرم الأكرمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة والسبعون بعد المائة :

١٥ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٤/٢١

(مكانة الوفاء بالوعد ، ومبدأ الشورى في الإسلام)

أحمدك وأشكرك على آلائك ونعمك ، التي تترى ، وعنايتك بي الكبرى .يامن يستحق الحمد والثناء الجميل مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك ومصطفاك ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه وهداه . أولئك أهل الوفاء وصدق العزيمة ، والمشورة بصدق وإخلاص .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح شأنه كله ، لا إله إلا أنت .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم إني أسألك من الخير كلّه ، عاجله وآجله ، ما علمت منه ومالم أعلم ،وأعوذ بك من الشر كله ، ما علمت ومالم أعلم . إنك أنت علام الغيوب . رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيرا ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، إنك أنت الغفور الرحيم . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، الذي جعل الوفاء أصلاً في الدين ، وجعله زينةً للمؤمنين الصادقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل هذا الدين

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

مصدر كلّ جلال وجمال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، سيد الأوفياء والمخلصين ، وعلى آله وصحبه ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن سار على نهجهم القويم .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين ، وبقوله يهتدي المهتدون ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمانَ بعد توكيدها وقد جعلتمُ الله عليكم كفيلاً ، إنَّ الله يعلمُ ما تفعلون** ﴾[1] .

إن الله سبحانه يحثنا على الوفاء بالعهود والوعود ، ويحذرنا من نكثها وإخلافها ، إنه سبحانه وتعالى ، يقول لنا جميعاً بلا استثناء ، لا تبطلوا أيمانكم التي حلفتم بها ، أن تفعلوا كذا وكذا ، ولا تحنثوا فيها ، ولكنكم خالفتم أمر ربكم ، فلم تفوا بعهودكم ، ولا بوعودكم وقد جعلتم ربكم ضامناً لكم ، كفيلاً عليكم ، وهو الرقيب عليكم بما تفعلون .

أيها الناس . لقد كان من سماحة الإسلام وعدالته ، أن أوجب على المسلمين الوفاء بالعهد والوعد ، ولقد أمر الله رسوله ﷺ أن يفي بعهده ووعده ، ولو لأعدائه المشركين ، ولا يتخلف ، ولقد جعل الإسلام ، الوفاء بالعهد وتنفيذ الوعد ، دليلاً على تمكن الإيمان من القلوب ، وعلامة على إشراق نور العلم في الصدور ، وجعل الأوفياء من أُولي الألباب ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولقد امتدح الله نبيه إسماعيل لصدقه بوعده ، فقال سبحانه ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل ، إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة النحل (٩١) .

٢ ــ سورة مريم (٥٤) .

وقال تعالى في حق إبراهيم أبي إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، ﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾[1].

أيها المسلمون. في زمن نقض العهود، وخُلف الوعود، وخفرِ الذمم.
الوفاء خُلُقٌ كريم يحتاج إليه كل إنسان، وكلُ رجل وكلُ امرأة، وكلُ عالم، وكلُ طالب، وكلُ أمير، وكل حاكم، ويوجبه كل دين.
إذ بدون الوفاء لا يمكن لأمة من الأمم أن تنهض من كبوتها، ولا تُفيق من سكرتها، ولا لمجتمع أن يسعد، ولا لوطن أن يستقلّ، ولا لدين أن يسود، بدون الوفاء لا يستقر النظام، ويُستخف بالعهود والوعود، لأن عدم الوفاء نوع من الكذب على الله، والله لا يحب الكاذبين، ولعنهم في الكتاب المبين.

بغير الوفاء لا تتم مصالح العباد، ولا تتحقق ولا تُنفّسُ الكروب، ولا تزول الشدائد، فلا تكون للشعوب سعادة إلا إذا تم وفاؤها وحكامُها، ويجب أن يَعُمَّ الوفاء سائر الطبقات، فالرئيس يكذب على الناس، والمرؤوس كذلك يكذب على غيره ولا يوفي بوعده، والصانع والتاجر والعالم والمعلم والمتعلم والحاكم والمحكوم كلّ منهم لا يُوفي بوعده ولا موعده، ولا يفي بعهده، ولقد وعد رسول الله ﷺ رجلاً في مكان، فغاب الرجل عنه ثلاثة أيام، وهو ثابت في مكانه.

الوفاء صفة بارزة في الأنبياء والمرسلين، يعدون ولا يخلفون. أما أرباب الصناعة والحِرف فإن الخُلفَ بالوعد وعدمَ الوفاء بالعهد من عادتهم وشيمتهم، ولقد أصبح صفة لازمةً من لوازمهم، حتى ولو أخذ أجره مقدماً سلفاً، فإنه يذهب ولا يعود، ولذلك فقد وعد الله أهل الوفاء بالأجر والثواب والنعيم المقيم، قال تعالى ﴿ **جناتُ عَدْنٍ يدخلونها**

---

١ ــ سورة النجم (٣٧).
٢ ــ سورة الرعد (٢٣ ــ ٢٤).

ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعمَ عُقبى الدّار ﴾[2] .

إي وربي . لقد وفىّ السابقون الأولون بعهودهم ووعودهم ، ولو كان ثمنُ ذلك النفوس والمهج . تالله . لو كان الناس أوفياء بوعودهم ، وعهودهم لاستقر بنا الحال ، واطمأنت النفوس ، ولما قامت بينهم فتن ولا كوارث .

أجل . لو وفىّ كل إنسان بما هو منوطٌ ، به لما حصل ضيق ولا حرج ، ولا خصومات ولا نزاع . ولو وفي التلميذ حق استاذه ، لما كان هناك اعتراض ولا انتقاد ، ولو وفى الرجل بوعده وعهده مع زوجته ، لما كان هناك نزاع ولا شقاق . ولو وفت المرأة بما عليها لزوجها لما كان هناك طلاق ولا فراق ، ولو وفى الأخُ لأخيه ، وعرف نفسه ووقف عند حده ، لما كان هنالك قطيعة ولا إعراض ولا إدبار ولا جفاء ، ولو وفى الولد مع والده وقام بحقه ، وكان مخلصاً صادقاً أميناً باراً ، مطيعاً ، لما كان هنالك عقوق ولا شحناء ، ولو وفىّ الصديق لصديقه لما كان هنالك عداوة ولا مقاطعة ولا بغضاء ، ولو وفىّ الجار لجاره ، لما كان هنالك كراهيةُ ولا قطيعةٌ ولا شدة ولا لأواء ، ولو وفىّ الغنيّ للفقير ، وأدّاهُ حقّ الله زكاةً له من ماله ، لما كان هنالك حقد ولا حسد ولا خُصَماء ، ولو وفىّ المدينُ لدائنه ودفع له حقّه ، لما كانت هنالك خصومة ولا قضاء ، ولو وفى أرباب الصناعة والحرف والمهن والتجار ، ما كان مطلوباً منهم وواجباً عليهم ، وباشروا أعمالهم في الوقت المحدد لهم ، وصدقوا معه ، لما كان هناك تقاطعٌ ولا تدابر ولا تنافر . ولو وفىّ الجندي مع قائده ، وصمد في المعارك ، وثبت في ملاقاة الأعداء ، لما كانت هنالك هزيمةٌ ولا خذلان . ولو وفى كل زعيم لوطنه ، وحافظ عليه ، ودافع عنه دفاع المستميت ، لما كان هناك احتلال ولا استعمار .

أيها المسلمون . الناقضون للعهود والوعود .

هكـذا هكـذا يكون التعامــي

هكـذا هكـذا يكون الغـــرور

هكذا عَمِيت أمتنا ، فتاهت وتناهت ، تجدها مفككة الأوصال ممزقة الأوطان ، لتلاعبها بالعهود والوعود ، مع أن الدساتير الوضعية ، تلزم الحكام والأطباء والعاملين مع الدولة أن يقسموا اليمين الشرعية على الوفاء والولاء ، فيحلفون بالله ألاّ يخونوا ، ولا يغدِروا ولكن أغلبهم ينكثون ويخونون ، وينقضون الميثاق ولا يصدقون الله حديثا ، قال تعالى ﴿ **وإن نكثوا أيمانهم من بعدِ عَهدِهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أَيْمانَ لهم لعلهم ينتهون** ﴾[1] .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أحد العبادلة الأربعة ، رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : (أربعٌ من كُنَّ منه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق ، حتى يدعها : (إن أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)[2] .

أيها المسلمون . هكذا نجد أنفسنا محتاجين إلى الوفاء وحفظ العهود والوعود في جميع مرافق حياتنا وأعمالنا ، ولكن ـــ ويا للأسف ـــ لقد تمكن الغدر من نفوسنا ، فلم تصدقوا في عهودكم ولا وعودكم ، حتى تقطعت بينكم أسباب المحبة والمودة ، وانفصمت عرى الإخلاص وروابط الصداقة والإخاء . آهِ لو كنتم تعلمون ما في يوم الحساب من نِقاشٍ واكتئاب . أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

---

١ ـــ سورة التوبة (١٢) .

٢ ـــ متفق عليه والامام احمد وابو داود والنسائي عن ابن عمرو بن العاص .

الحمد لله ، شرع نظام الشُّورى تكريماً لبني الإنسان ، وتأليفاً للقلوب ، وتقديراً لحرية الرأي ، وإيضاحاً لما خفي من الأمور ، وحرصاً على الصواب ، وبعداً عن الخطأ والزلل . وأشهد أن لا إله إلا اللّـه ، هدى بالإسلام قلوباً غُلْفاً ، وآذاناً صماً ، وعيوناً عمياً . أرشدهم إلى ما فيه الخير والفلاح ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، حثنا على المشورة للإرشاد لخير العباد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حرصوا على المشورة ، في أمورهم ودستورهم وجهادهم مع عدوهم ، فكان الصواب حليفهم ، والنصرُ رائدهم ، وعاقبة تفكيرهم ، وإخلاصهم .

وبعد . فقد قال سبحانه وتعالى مادحاً جماعة المؤمنين المخلصين ، ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[1] فقال جل وعلا : ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاةَ وأمرُهُمْ شُورى بينهم ...** ﴾[2] .

أيها المسلمون في زماننا هذا . لقد قرن الحكيم العليم ، في الآية الكريمة ، العمل بالشورى ، بركن عظيم من أركان الإسلام ؛ وهو أداء الصلاة المفروضة ، لتعلو كلمة الله . ومكانة الشورى الحميدة ، إذ لا خير في الشورى ، إذا خلت من الدين والإخلاص .

أيها المسلمون في زمن الشدة والقسوة . لا ريب أن رأي الجماعة يكون مختاراً مُصطفًى ، به يسيرون على هدىً ورشاد من أمرهم ، بعد أن يكونوا مؤدين أهم ركن من أركان الإسلام ، فإن العقول كالمصابيح ، كلما اجتمعت زاد نورها وإشراقها ، ووضح السبيل منها ، فسار الحكام على صواب وسداد من رأيهم إلى غايتهم ، ولذلك جاء الإسلام بالشورى

---

١ ــ سورة البقرة (٣) .

٢ ــ سورة الشورى (٣٨) .

مبدءاً سليماً وطريقاً قويماً . وقد أمر الله سبحانه رسوله الكريم ، باستشارة أصحابه الصادقين الواعين المؤمنين المخلصين المصلين ، فقال تعالى ﴿ **فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لهم ، ولو كُنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك ، فاعْفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاورهمْ في الأمر ، فإذا عزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إن الله يُحبُّ المتوكّلينَ** ﴾[1] .

حتى كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : (أشيرواعليّ)[2] وقد استشار ﷺ أصحابه يوم الخروج لغزوة بدر ، وسار بالجيش لاستقرار الرأي على الخروج لذلك ، حتى نزل ﷺ أدنى ماءٍ من بدر . وقد أشار الحبّاب بن المنذر عليه بمنزل آخر ، فوافقه ﷺ فكان الخير في ذلك المنزل الآخر ، وكان النجاح حليف المسلمين ، والنصر في جانبهم بإذن الله ، وكذلك استشار أصحابه يوم الأحزاب ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حول الجهات المكشوفة من المدينة ، للتحصين[3] . وبعد وفاة رسول الله ﷺ اجتمع كبار الصحابة والعلماء للشورى في سقيفة بني ساعدة[4] ، فلم يكن بينهم واحدة من أمهات المؤمنين ، ذوات العلم والدين ، والفضل والآراء السديدة الواعية في دين الله ، ولا غيرهن من المؤمنات ، القائمات على صيانة حدود الله ، وشرائع الاسلام . ولذا كانت حياتهم عزيزة كريمة . وتبعهم أسلافنا الصالحون ، واقتدوا بهم ، فكانت أعمالهم كلُّها خالصة لوجه الله ، لا لجر مغنم أو دفع مغرم .

---

١ ــ سورة آل عمران (١٥٩) .

٢ ــ كان ذلك في غزوة بدر ، وهو في الصحيحين . وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة ، ورواه الامام احمد على شرط الصحيح .

٣ ــ غزوة الخندق كانت في شوال السنة الخامسة من الهجرة .

٤ ــ وكانت الشورى في شأن اختيار خليفة لرسول الله ﷺ ، وبعد وفاته .

أيها الناس في زمن الظلم والافلاس . ما أسعد الأمة يشاور ولاة الأمور في حكمهم العلماء ذوي الحكنة والكفاءة ، ذوي المخافة والمراقبة لله وحده ، لا يصدرون شيئاً عن هوى أو غاية ، وإنما هي مشورة خالصة لوجه الله .

وأكثر من الشورى فإنك أن تُصِبْ
تجد مْادحاً أو تخطىء الرأي تُعذر

يقول عليه الصلاة والسلام : (المستشار مؤتمن)[1] وقال لقمان لابنه وهو يعظه : (يا بنيّ شاور من جرّب الأمور بإخلاصه وعمله ودينه ، فإنه يعطيك من رأيه ما حصّله بالجهد والمال ، وأنت تأخذه بالمجان (يعني بلا تعب ولا جهد) ولا ثمن .

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فإنك بالشورى تنال وتســـلم

أيها المسلمون . استشيروا أهل الحكمة والدين ، الذين يخافون الله ويخشوْن عذابه ، فقد قال رسول الله (ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال أي ما افتقر من اقتصد)[2] إن رسول الله ﷺ المعصوم من الخطأ ، المنزه عن العيوب ، المحفوظ بعناية الله ، استشار أصحابه في المشكلات والمعضلات .

إي وربي . فما أكثر ضحايا الهوى والاستبداد . قال تعالى ﴿ ... **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديدُ العِقابِ** ﴾[3]

---

١ ـــ رواه الأربعة عن ابي هريرة والترمذي عن ام سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود والطبراني عن سمرة وزاد : إن شاء أشار وان شاء لم يشر ، وله عن علي : فإن استشير فليشر بما هو صانع لنفسه .

٢ ـــ رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن انس .

٣ ـــ سورة المائدة (٢) .

قل لي بربك . مَن الذي يستغني عن المشورة .؟ وهي المصباح المنير ، والمجهر الكبير ، الذي يتجلّى تحت عدسته أصغر الكائنات ، وادقّ المخلوقات : فالعقل البشري مهما كمل ذكاؤه وفطنته ، ومهما عظمت أبعاده وتكوينه ونهوضه ، لا يمكنه أن يتبين صواب الرأي وحده ، لا سيما إذا أظلمت العواقب وحارت العقول ، وادلهمّت الخطوب ، واختلطت الآراء والسبل . وقد شاءت حكمة الله ، ألاّ يحصر نعمه كلّها في كائن واحد . بل جعلها موزعة على سائر الكائنات ، فالعقل البشري مهما كان ناضجاً واعيا ، لا يمكن أن يستغني عمن سواه من العقول ، كالسيف وإن كان صارماً حاداً ، لكنه لا يستغني عن بطل صنديد يحمله . كما قيل :

والسيف نصل وكل الناس تحمله
وليس يعمل إلا في يدي بطل

وختاماً أيها المسلمون . فالمشورة أمانة في عنق المستشار . نعم . إنها أمانة الله في عنقك أيها المستشار ، فإن خنت في رأيك ، وخالفت الشريعة المطهرة ، فقد خنت الله ورسوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتِكُمْ وأنتم تعلمون** ﴾[1] .

فاتقوا الله عبادالله، اتقوا الله حق تقواه ،واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما،ولم يزل قائلاً حكيماً ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2].وارض اللهم عن

١ ـــ سورة الأنفال (٢٧) .
٢ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

ساداتنا الخلفا والسادة الحنفا ، ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم اعز الاسلام والمسلمين ،وأعْلِ كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها . اللهم ردنا الى ديننا رداً جميلا ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والسبعون بعد المائة :

٢٩ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٦/٥

(العمل المشروع ، وموقف الشريعة من العمال)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيد العالمين والعاملين ، عبدك ونبيك ورسولك ، وعلى آله وأصحابه العاملين المخلصين ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلا أنت ، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذ شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم إني أسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

أحمدك اللهم ، يا من رفعت قدر العاملين ، وأجزلت الثواب للمخلصين ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، خلق الكون للانسان ، وسخَّره ، وسهل له سُبل العمل ، ليمشي في الأرض ويعمُره ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، قدوة المجاهدين ، المشتغلين العاملين ، والداعي الى الصراط المستقيم ، وأصلي وأسلم عليه صلاة كاملة ، نتقرب بها الى

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

الله يوم الدين ، صلوات الله وسلامه عليه ، حذر أمته من العجز والكسل ، ونفخ فيهم روح الجد والعمل ، وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا قوله ، واتبعوا أوامره ، فكانت لهم السيادة والسلطان الى حين .

أما بعد . فيقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[1] .

أيها المسلمون في زمن الجهالة والبُعْدِ عن الصراط المستقيم . يرشدنا الله في هذه الآية الى العمل الصالح ، الذي به قِوام حياتنا ، وسعادتنا الدنيوية والأخروية ، فيقول الله سبحانه لرسوله المصطفى ﷺ والخطاب عام شامل ، لكل من يتأتى منه العلم . يقول في الآية التي قبلها ، ويظهر لنا حال المنافقين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، والذين استنكفوا عن قبول دعوة محمد ، ﷺ ولم يتوبوا الى الله ، ولم يرجعوا عن غيِّهم وضلالهم ، فيقول سبحانه جَلَّ وعلا ، قل لهم يا محمد : إعملوا ما شئتم ، فسيرى الله عملكم ، ويراه رسوله والمؤمنون يوم العرض على الله ، وسترجعون بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة ، أي أنه سبحانه يعلم ما خفي منكم ، وما ظهر ، وهو الله وحده الذي يخبركم بأعمالكم ، التي كنتم تعملونها خفية عن الناس . والله هو العليم الخبير .

أيها المسلم في زمن البطالة والكسل والتعطيل .

لم يعرف التاريخ ديناً اجتماعياً عملياً كدين الاسلام . وفقَّ بين مطالب الروح والجسد ، وجَمَعَ بين خيري الدنيا والآخرة ، وحث الناس على العمل والسعي في الأرض والاقدام ، وحرَّض المؤمنين على الجهاد والكفاح ، ليحقق الله خلافتهم في الأرض ، ويعمر بهم أرجاء الكون ، لقد فهم المسلمون الأولون دينهم الحق على وجهه الصحيح ، فاندفعوا الى الامام ، لم يتركوا باباً

---

١ ـــ سورة التوبة (١٠٥) .

من أبواب الخير الا طرقوه ، ولا سبيلا إلا سلكوه ، حتى اتسعت رقعة دولتهم في الشرق والغرب ، وارتفعت راية دينهم في زمن وخبير ، وكانت نقطة الاعجاز في تاريخ حياتهم ، ولكن خلف من بعدهم خَلْفٌ بَعُدَ عَهْدُهُمْ بمنابع الدين الصافية ، وانتشرت بينهم الدعايات المغرضة ، والآراء الفاسدة الباطلة ، فاحتقروا السعي والعمل ، ووصموا دين الاسلام بأنه أساطير الأولين ، وقالوا عنه إنه دين بطالة وجمود ، ودروشة ودردشة ، وماذلك والله إلا لجهلهم ، وسوء فهمهم وتقديرهم لهذا الدين الحنيف ، الذي لا يعرف الترهات والأباطيل ، ولا يقرُّ الخرافات التي لا أصل لها في الدين . ولقد ظهر من هذه الشلة وهذه النوعية ، اناس استمرءوا مرعى الكسل واستعذبوه ، مُدعين أن ذلك هو عنوان الزهد في الحياة . تركوا كنوز الأرض ، يستخرجها قوم فهموا حكمة اسرار هذا الدين ، وحكمة هذا الوجود ، ادركوا اسرار العظمة والخلود ، فسخروا قوى الموجودات ، واكتشفوا بعلمهم المجهولات ، فهموا طبقات الأرض ومعادنها وبترولها ، وطبقوا علم الجيولوجيا فاستخرجوا الكنوز والمعادن والمناجم . وبعملهم هذا ملكوا زمام الكون ، وبسطوا نفوذهم على المعمورة ، وسخروا قوى العالم تحت أيديهم ؛ من برية وبحرية وجوية . فاستأثروا بالثروات كلها ، وصارت لهم الدولة والسلطان في هذه الأيام .

أيها المسلم . ليس للعمال عيد وفرح ومرح ، الا إذا عملوا واتقوا ربهم في كل عمل يعملونه . الصدق والرحمة والوفاء ، فديننا يا أخي دين عمل وكفاح وجهاد ، لا دين كسل وخمول وجمود . فالدين الذي يقول لك ﴿ **وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها...** ﴾[1] . هو الدين نفسه الذي يقول لك ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور** ﴾[2] يعني أن الله تعالى ذلل لكم

---

١ ـــ سورة هود (٦) .
٢ ـــ سورة الملك (١٥) .

الأرض وسهلها ، فسيروا في جوانبها وأقطارها وإليه مرجعكم ، يحاسبكم على حلالها ، ويعاقبكم على حرامها . الدين الذي يقول لك ﴿ **وما خلقت الجنّ والانسَ إلا ليعبدون** ﴾[1] . يعني خلقتكم لتطيعوا أمري وتعبدوني ، فتصلوا الى السعادة في الدنيا وفي الآخرة . علماً بان طاعتكم لا تنفعني ، ومعصيتكم لا تضرني ، وفي الحديث القدسي (يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، ولن تبلغوا ضري فتضروني)[2] لأنني أنا الغني عن كل ما سواي ، وأنا الرزاق ذو القوة المتين . ومع هذا أيها المسلم ، العامل فإن الرزق يتطلب سعياً وعملا ، بشرط أن يكون سعيه لله ، ولكف عياله عن الحاجة ، لا يضر بآخرته . والحديث الشريف (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[3] قال تعالى : ﴿ **فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ...** ﴾[4] .

أيها المسلم . الدين الذي يقول لك (إذا سألت فاسأل الله)[5] هو الذي يقول لك (من سأل الناس عن غير فقر ولا حاجة جاء يوم القيامة وليس في وجهه مِزعة لحم)[6] ويقول : (من فتح على نفسه بابا من السؤال ، فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر)[7] .

---

١ ــ سورة الذاريات (٥٦) .

٢ ــ رواه مسلم من حديث ابي ذر الطويل ، وأوله : يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي .

٣ ــ رواه البيهقي والديلمي عن عبدالله بن عمر بن العاص بسند ضعيف . ولفظه : « اعمل عمل امرىء يظن ان لن يموت ابدا ، واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غداً » .

٤ ــ سورة الجمعة (١٠) .

٥ ــ رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عباس ، وأوله يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ... وقد مرّ سابقا وقال الترمذي حسن صحيح .

٦ ــ رواه الشيخان ولفظ البخاري عن عبدالله بن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعةُ لحم ، ورواه مسلم عن ابي هريرة من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمراً ، فليستقل منه او ليستكثر .

٧ ــ رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن كبشة الانماري وقال الترمذي حسن صحيح ، وهو جملة من حديث أوله : ثلاث قسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه : قال ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا

أيها المسلم . لقد كان رسول الله يكسب قوته بنفسه ، فسافر وتاجر وجاهد ، ومشى في الأسواق . هل أنت أزهد من عثمـان بن عفان ، الذي جهز من ماله الخاص جيش العسرة ، وفي عام القحـط والجـدب حوّل تجارته وماله صـدقة لأهل المدينـة .؟ قل لي بربك . هـل ترك ماله واهله في مكة يوم الهجرة .؟ أنت أزهد من سيدنا عبدالرحمن بن عوف .؟ الذي يوم هاجر الى المدينة ، لم يقبل أن يكون عالة على غيره من الصحابة ، حتى إنهم لمزيد حبهم تنازلوا عن نسائهم بعد طلاقهن وعدتهن ، وليتزوج منهن ممن شاء ، فشكرهم ، ولم يقبل ، وقال لهم دُلوني على السوق . وأخذ حبله ، حتى عُدَّ من أثرياء المسلمين .

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

أيها المسلم العامل . ليس لنا في الشريعة الا عيدان شرعيان وهما : الفطر ، والأضحى . أما فرحنا وعيدنا في يومي الهجرة والاسراء ، فلِمَ فيهما من أحداث تاريخية جليلة ، عامة عادت على المسلمين بالخير والسعادة . وإني أقولها لك على سبيل النصيحة . فإذا كانت أعمال العمال وغيرهم مقرونة بالأعمال الصالحة القيمـة ، كانت كـل فرحةٍ منها فيها عمل جليل نافـع للأمة ، غير ضـار بالأمة ، فذلك يعتبـر عيدا وسرورا وفرحـا ومرحا للعاملين . فطوبـى لهم وحُسـن مـآب كذلك ليس في العام الواحد إلا ليلة قدر واحدة ، فيها يصُبّ الله الخير على عباده صبًّا .

= ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً صبر عليها ، الا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ، أو كلمة نحوها ، واحدثكم حديثاً فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه علماً ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية ، يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم ، ولا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزرُهما سواء .

أقول إذا اقترنت أعمال الانسان في حياته بالخير والصلاح وعدم الغش في البيع والشراء والمعاملة ، كانت كل ليلة تمر به ليلة قدر . فالأيام أيها الناس صحائف الأعمال ، فخلدوها بأجمل الذكريات .

إذَن تقدم أيها العامل الى أُمتك بعمل يرفع شأنها ، ويعلي مكانتها ، ولو كان قليلا . فإن القليل الى القليل كثير . قم على خدمة وطنك بنمو علم ، أو جهاد إو اصلاح بين الناس . واعلم أن القطرات التي يعرق لها جبينك ، وأنت جاد مجاهد في عملك ، هي حبات لؤلؤ وخير ، تضاف الى خزانة أمتك ، وأن تنهيداتك وآهاتك . وأنت دائب سائر مستمرٌ في سعيك وعيشك على عيالك وأطفالك قوةٌ وحياةٌ لمجتمعك . وإلا قل لي بربك . ما قيمة شعب ضعيف .؟ وما قيمة يكتسحها مِدفعٌ واحد .؟ وما قيمة عاطل عن العمل يتحكم في مرافقه وخيراته مستعمر ظالم ونزيل غاصب .؟ ألا بؤساً لقوم يعيشون عالة على غيرهم ، مُنتظرين النصر والرحمة من عدوِّهم . ألا بُعداً لقوم يرضَوْن من الحياة بما ترضى به الأنعام .

ذَلَّ مـن يغبـط الذليـل بعيــــش
رُبَّ عيـشٍ أخفُّ منه الحمــــام

إن الأمم الْحية هي التي تصنع من الإبرة إلى المِدفع ، وإلى ما هو أعظم منه . لاتحتقر عملاً في نظرك ، فربما كانت عليه حياة أمتك ، فلولا الفلاّح المُزارع ما وجد الناس غذاءً ، ولولا إبرة الحائك ما وجد الناس كساءً ، ولولا مِطرقة الصانع ما أمكن استغلال الأرض والانتفاع من خيراتها . ولولا خبرة الميكانيكي العامل ، ما سارت قاطرة ، وما تحركت باخرة ، وما طارت في السماء طائرة . هذا في الدنيا . أما في الآخرة فانظروا أيها العمّال الى منزلتكم ومكانتكم عند ربكم . فالرسول ﷺ يقول : (الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله) وأحسبه

قال (وكالقائم الذي لا يفتر (عن قيام الليل) ، وكالصائم الذي لا يفطر)[1] فكلنا يا أخي عمال ساعون في هذه الحياة ، نضرب في الأرض طولا وعرضاً ، ونسير فيها شرقاً وغرباً ، فاتقوا الله في أعمالكم على اختلاف أنواعها ، فالحاكم في رعيته عامل يرعاها ، والرئيس عامل ، والعالم عامل ، والمعلم عامل ، والرجل في سعيه على عياله عامل ، والمرأة بصفتها ربة بيت ، عاملة في بيتها والقائد عامل يتقي الله في توجيه جيشه ، والجندي عامل ، والطبيب عامل ، والطالب عامل ، وكلنا عمال في هذه الحياة . والرسول ﷺ يقول :(اعملوا ، فكل مُيسَّر الى ما خلق له) .[2] .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالاجابة ..

* * * * *

الحمد لله الكريم المحسان ، وأشهد أن لا إله الا الله الرحمن الرحيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، دلنا على العمل ، وشرَّفنا به ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد فيا أيها المسلمون : انظروا كيف بين لكم درجة الاخلاص في العمل ، وأن الكسب يجب أن يتحراه كاسبه ، حتى يكون حلالا صرفا ، يقصد بسعيه على عياله وجه الله والدار الآخرة ، لا يقصد من ذلك تكاثراً في المال ولا تفاخراً في البنين . فكل ذلك زينة الحياة الدنيا واستمعوا أيها العمل الى جواب رسول الله ﷺ وعندما سأله أصحابه رضوان الله عليهم عن شاب خرج يبغي قوته وقوت عياله ما شأنه .؟

---

١ — متفق عليه عن ابي هريرة والترمذي والنسائي وابن ماجة ولفظة الساعي على الأرملة والمسكين كا المجاهد في سبيل الله ، والقائم الليل الصائم النهار .

٢ — متفق عليه من حديث علي والطبراني عن عمران بن حصين ولفظه وتمامه الصحيحين ؛ كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا المصطفى ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة فنكث وجعل ينكث بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا ، كل ميسر لما خلق له .

فقال عليه الصلاة والسلام : (إن كان خرج يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس ، فهو في سبيل الله ، وإن كان قد يسعى على ابوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم عن المسألة ، فهو في سبيل الله ، وإن خرج يسعى تفاخراً وتكاثراً . فهو في سبيل الشيطان)[١] .

أيها العامل في سبيل حياتك ، لا يلهينك عملك هذا عن اداء ما أوجبه الله عليك ، إذ منه المعونة والتوفيق ، فرزقك هو هو ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية . وفي الحديث القدسي (عبدي حرّك يدك ، أبسطْ لك في رزقك) ﴿ **وهزي إليك بِجِذْعِ النخلة تُساقِطْ عليك رُطَباً جَنيا** ﴾[٢] . فالمؤمنون الصادقون العاملون في الحياة ﴿ **رِجَالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بَيْعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة يخافون يوما تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصَارُ** ﴾[٣] . ويقول عليه الصلاة والسلام (ما أكل أحد طعاما قط ، خيراً من أن يأكل من عمل يديه . وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ، كان يأكل من عمل يده)[٤] .

فاحتفظ لنفسك أيها العامل بهذا الشرف الالهي ، الذي شرّفك الله به ، وأخلص لله في عملك ، ولا تنسَ واجباتك الدينية ، واحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، فالمؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف . واتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله أيها العمال . وافهموا دينكم على حقيقته ، واعملوا على استعادة عزكم ومجدكم ، وتقدموا بما يفيد مجتمعكم وأمتكم ، بمشاريع خيرة نيرة ، حاربوا البطالة

---

١ ــ اخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة وأوله كان ﷺ جالساً مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله فقال لا تقولوا هذا فذكر الحديث .

٢ ــ سورة مريم (٢٥) .

٣ ــ سورة النور (٣٧) .

٤ ــ رواه البخاري والامام احمد عن المقداد بن معدي كرب .

ما وسعكم جهدكم ، حاربوا الجبن والبخل والكسل . فقد استعاذ رسول الله ﷺ وكان يدعو بهذا الدعاء ، ويأمر أصحابه به (اللهم إني اعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين ، وقهر الرجال)[1] حاربوا البطالة ، وما تجر اليه من الصفات الذميمة ، فهي جناية على صحتكم وثروتكم وأخلاقكم ، وهي مباءة للمبادىء الهدامة ، والنزعات والحزبيات البغيضة المتطرفة فيما بينكم . والله معكم ولن يتركم أعمالكم ، اتقوا الله حق تقواه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى : ﴿ **إن الله وملائكتـــه يصـلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمـد ، النبي الأمي ، وعلى آلـه وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمـر وعثمان وعلى ، اللهـم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، إنك يا مولانا سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم اعز الاسلام والمسلمين ، وأعْلِ كلمة الحق والدين، اللهم الف بين قلوب هذه الأمة ، أفرادها وجماعاتها وقادتها وحكامها. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال . اللهم هيِّء له بطانة خير يـا رب العالمين . واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، وسائر بلاد العـرب والمسلمين . ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[3] .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[4] .

---

١ ــ اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ــ سورة النحل (٩٠) .

٤ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والسبعون بعد المائة :

٥ رجـــب ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٦/٩

« زواج المسلمين أيام العزة والكرامة والشرف »
(ومشاكل الزواج اليوم)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على عبدك ورسولك ، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الذين استنُّوا بسنة رسول الله ﷺ وساروا على نهجه ، واتبعوا شريعته .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلا أنت ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيرا ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، بجاه نبيك وحبيبك المصطفى ، وآله الطيبين الطاهرين ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★

الحمد لله ، جعل السعادة المنزلية في القيام بواجب الزوجية ، سبحانه من إلهٍ حكيم ، جعل صلاح الأمة في صلاح أُسَرِها ، فالأمة

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

المكونةُ من أبوين وأولاد وحفدة ، هي أمة راقية جديرة بالتقدير والإعجاب ، حقيقةٌ بالمكانة السامية والكلمة النافذة ، أشهد أن لا إله إلا الله جعل كُلاً من الزوجين سكناً لصاحبه ، يُفضي إليه بسرٍّ نفسه ، ويلقي إليه زمام أمره ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله أوصانا بالنساء خيراً ، فقال ﷺ قبل التحاقه بالرفيق الأعلى بساعات معدودات ، الصلاة الصلاة عباد الله ، استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عوانٍ عندكم ، ولقد قال ﷺ : (خيركم خيرُكم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)[1] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن سلك سبيله ، واقتفى أثره .

أما بعد . فإن خير البيوت ، ما كان عامراً بحُسْن العشرة والأُلفة ، والمحبة والمود ، وخير البيئات ما كانت متجانسة ، يعني متوافقة متراحمة ، وشرّ البيوت ، ما ساءت فيها العلاقات القائمة بين الزوجين ، وتقطَّعت بين أفرادها الصلات ، وما حُسنْ العشرة إلا بمراعاة كلٍّ من الزوجين حقّ صاحبه ، وإخلاصه في القيام بواجبه ، وهذا كلُّه موقوف على اختيار الزوجين الخاطبين ، حين الخطبة التي تترتب عليها السعادة أو الشقاوة ، فقد يكون الزوج بخيلاً شحيحاً ، مُقتّراً على زوجته وأسرته ، ولو كان غنياً . وقد يكون الزوج فقيراً سخياً ، باذلاً على زوجته وأسرته ، ولكن قد تكون الزوجة سيئة العشرة ، ناشزة على طاعته . قال تعالى ﴿ **لِيُنفق ذو سَعَةٍ من سَعَتِه ، ومن قُدِرَ عليه رزقُه فليُنفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها ، سيجعَلُ الله بعدَ عُسْرٍ يُسْراً** ﴾[2] .

---

[1] — رواه الطبراني عن معاوية والترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس ، وقال الترمذي صحيح .

[2] — سورة الطلاق (٧) .

يا معشر الأزواج . أنفقوا على زوجاتكم على قدر طاقتكم . فما أنفقته على أهلك فهو لك صدقة ، ويا معشر الأزواج . إعدلوا بين الزوجات ، إن كنَّ متعددات ، ولا تُفضّلوا بعضَهن على بعض ، في مبيتٍ أو نفقةٍ أو مسكنٍ ، لئلا تُشعِلوا بينهن نار العداوة ، فيُفسِدْن أمر بيوتكم ،ويُورِثْنَ الأحقادَ أولادكم ، فيكونوا أعداءً متباغضين ، لا إخوةً متحابين متعاضدين ، إياكم وهجرَ الزوجات بلا سبب موجب ، ولا عُذر مشروع ، فإن ذلك موحِشٌ لقلوبهن ، ومُنْبت للعداوةِ في نفوسهن . إنه تعالى يحذركم من ذلك ، ويقول لكم ﴿ ... **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله كان علياً كبيراً** ﴾[1] .

ويقول ﷺ : (من كانت له امرأتان ، فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشِقُّه ساقط)[2] وأما الزوجات فواجبٌ عليهن إطاعةُ أزواجهن في كل ما هو معروف . أي فيما كان طاعةً لله ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فلا يُعطلن لأزواجهنّ أمراً مشروعا ، ولا يُخالفن لهم نهياً مقبولاً ، فإن مخالفة أوامر الزوج موحشةٌ للقلوب ، موغرةٌ للصدور ، موحيةٌ للنفور ، وعليهن المحافظةُ على أموالهم وبيوتهم وأولادهم وفراشهم . قال الله جلَّ وعلا ، في هذا الشأن ، ﴿ ... **فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله** ... ﴾[3] .

ولتكن المرأةُ في بيتها حكيمة مدبرة ، غيرُ مقصِّرة ولا مُسرفة ، ولا مبذِّرة ، ولتكن أُسوتُها وقدوتها بأُمهات المؤمنين ، واقتداؤها بفضليات النساء ذوات الأزواج الموقنين ، وبمن حولها من النساء ، في حسن أخلاقهن ، وجميل أعمالهن ، والحذر الحذر من تكليف أزواجهن مالا

---

١ ـــ سورة النساء (٣٤) .
٢ ـــ رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة والترمذي مع اختلاف يسير في الألفاظ .
٣ ـــ سورة النساء (٣٤) .

يطيقونه ، أو إرهاقهم في مطعم أو كسوة أو بهرجة بزينة ، فإن ذلك مَتْلَفَةٌ للأموال ، مفسدة للأخلاق والحذر الحذر من أن تُدخل بيت زوجها من لا يحبه ، ولا أجنبياً عنها في غيبته ، أو تخرج من بيته دون إذنه واليوم المرأة هي التي تستقبل الرجال ، وتتحدث معهم .

أيها المسلمون . هذه مشاكل أزواج اليوم ، وزوجات اليوم ، ففيها الحسن المقبول ، وفيها الفاسد المرذول ، وأنتم تعلمون .

حقاً لقد صدق من قال : (لو أنصف الناس ، لاستراح القضاة والحكام) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم)[1] .

أيها المسلمون . أيها الناس في عصر التقليد الأجنبي . كان السلف الصالح ، يسيرون في أمر الزواج بالحكمة والروية ، فلا يقبلون على أمر الزواج إلا بعد التبصر بالعواقب ، لأن الزوجة قرينةُ حياة . لهذا فقد كان ميزان الشريعة بيدهم ، يضعونه نُصْبَ أعينهم . فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ: أنه قال: (تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[2].

أيها المسلمون . النكاح ركن عظيم من أركان الحياة الاجتماعية ، التي لأجلها خلق الله تعالى هذا النظام الكوني ، ووضعت له القوانين العادلة والشرائع السماوية ، على اختلاف أنواعها . فإنه السبب الأعظم ، في بقاء النوع الإنساني ، على أحسن وجه ، وأكمل نظام . والوسيلة الشريفة لتكوين الأُسر ، وسبيلٌ إلى التآلف والتعارف

---

١ ــ رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة .

٢ ــ متفق عليه صحيح . وابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة .

والتعاون ، بين أفراد الأمم وجماعاتها ، بل إن صلة الزواج هي أقوى صلة ، فإنه ينقل المودة بين أهل كلٍّ من الزوجين ، حتى يكون الكل رابطةً واحدة . كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾[1] .

هذه مشاكلنا التي نواجهها اليوم . وهنا أوجه انتباهكم إلى ما يأتي ، لتكونوا على بصيرة من أمركم . لقد جرت عادة الناس ، بأنهم يرغبون في زواج الفتاة ، لواحد من الأغراض الآتية : أولاً لما لها ، ولو كانت وضيعةً ذميمة فاجرةً ، فلا يفكر الخاطب فيما وراء ذلك . فقد تتعالى عليه بمالها ، فيصبح فقيراً ذليلاً في حمايتها وتصير بما لها هذا قوّامةً على الرجل ، عكس الآية القرآنية ، فإنه قال سبحانه وتعالى ﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾[2] .

وتنكح المرأة لحسبها . أي شرفها بآبائها وأجدادها وعشيرتها ، يقول عليه الصلاة والسلام (تخيّروا لنطفكم ، فإن العرق دساس)[3] وفي رواية (تخيّروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء)[4] يعني لا تزوجوا إلا ذوي الأخلاق الفاضلة ، والنفوس المؤمنة الصادقة ، القادرين على القيام بحق الزوجية خير قيام ، ثم قال ﷺ : لجمالها نعم فالجمال مطلوب مرغوب فيه ، لاسيما في المرأة التي ستكون صاحبة عشرة محمودة ، والجمال صفة

---

١ ــ سورة الحجرات (١٣) .

٢ ــ سورة النساء (٣٤) .

٣ ــ رواه ابن ماجه من حديث عائشة .

٤ ــ رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن عائشة ، وسنده ضعيف . قال المناوي وفي اسناده فقال . ويقول احد الاسنادين في الاخر وبقيته . وانكحوا اليهم .

لازمة ، لكن المال زائل ، روى الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : (خير النساء من تسرُّ إذا نُظِرت ، وتُطيع إذا أُمِرَت)[1] .

ثم قال ﷺ : وتُنكح المرأة لدينها . وهذا هو الأساس القويم . بل هذا هو الأصل السليم ، وبه تجب العناية ، فإنها إن كانت ضعيفة ، الدين كانت ضعيفة الأخلاق ، ومن هنا ينشأ الخلاف والنزاع . وحبذا لو جمع الخاطب في مخطوبته بين الدين والخلق والجمال ، فإن فاقدة الدين والأخلاق قد تكون وبالاً على زوجها ، مُنغِّصةً لعيشه وحياته ، لأنه إن سكت عن تصرفاتها وأعمالها كان ديوثاً ، والديوث هو الذي قال عنه رسول الله ﷺ عندما سئل عن الديوث فقال : هو الذي يرضى الخنا والفاحشة في أهله . ولهذا فقد بالغ رسول الله ﷺ في الحث على صاحبة الدين بقوله للخاطب (فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

ويقول ﷺ : (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة)[2] ويقول ﷺ (من نكح المرأة لمالها وجمالها حُرِم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها)[3] ووفقه الله ويقول : (من تزوج امرأة لعزها ، لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوج امرأة لمالها ، لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها وشرف عشيرتها ، لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغُضَّ بصره ، ويُحصِّن فرجه ، أو يصل بها رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه)[4] .

١ ـــ رواه الطبراني عن عبدالله بن سلام ، وخرجه ابن ماجه باختلاف لفظي مع اتحاد في المعنى ، أما لفظه عند الطبراني خير النساء من تسرك : اذا ابصرت ، وتطيعك اذا امرت ، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك .

ورواية ابن ماجه . خير النساء إذا نظرت اليها سرتك ، واذا امرتها اطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها .

ورواه الامام احمد والحاكم والنسائي عن ابي هريرة ، وقال الحاكم على شرط مسلم ، واقره الذهبي : خير النساء التي تسره اذا نظر ، وتطيعه اذا امر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره .

٢ ـــ رواه مسلم والامام احمد والنسائي عن ابن عمر بن العاص ، ولم يخرجه البخاري ولفظه : « الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

٣ ـــ رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس .

٤ ـــ ورواه ابن حبان في الضعفاء .

أيها المسلمون . لا تُغالوا في مهور بناتكم ، في هذه الأيام القاسية ، والظروف الصعبة ، فإن غلاء المهور قد يسبب النفور والفجور ، إن عاجلاً وإن آجلاً ، يقول عليه الصلاة والسلام (خيرُ الصداق أيسرُه)[1] رواه ابن ماجه والحاكم ، في مستدركه عن عقبة بن عامر : ويقول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه : (أعظم النساء بركة ، أيسرهن صداقا)[2] أي أقلُّهنَّ .

أيها المسلمون في زمن مشاكل الأزواج والزوجات . يجب على ولي المخطوبة أن يتحرى ، ويراعي خصال الخاطب ، قبل الإقدام على كل شيء . فيتحرى سلوكه ، ومعاملته مع أهله وجيرانه ، وأقرانه ، فإذا كان متحلياً بالأخلاق الفاضلة ، فلا يمنعه ولا يرده ، لقوله ﷺ (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه ، فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد كبير)[3] قال رجل للحسن البصري ، رضي الله عنه . قد خطب ابنتي جماعة كثيرون ، فمن أزوجها .؟ قال ممن يتقي الله . فإنه إن أحبها أكرمها وإن بغضها لم يظلمها) أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد ، لله الموفق من شاء لما شاء . الحمد لله ، المؤلف بين قلوب عباده المؤمنين ، أشهد أن لا إله إلا الله الكريم الحليم ، ذو الفضل العظيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . اللهم صل وسلم . وبعد ، فقد ذكرت لكم بعض الأمور التي تتعلق بالحياة الزوجية ، التي ترتكز عليها

---

١ ــ والحديث صحيح . قال الحاكم على شرطهما ، واقره الذهبي .

٢ ــ ورواه الامام أحمد والحاكم والبيهقي عن عائشة ، اعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة .
قال الحاكم صحيح ، على شرط مسلم ، واقره الذهبي .

٣ ــ رواه الترمذي عن ابي هريرة وهو بلفظ : اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه وامانته ، فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير .

راحة القلوب ، وهناء العيش ، واعلموا أن أكثر مشاكل الحياة الزوجية ، وهو الواقع تحت الحس والمشاهدة ، هو خطأ أولياء الأزواج ، وشحُّهم وطمعهم المادي ، وقد وصلني الكثير من الشكايات ، في الرسائل والهواتف ، من سوء معاملة الزوجين ، حتى لقد أصبح أكثرُ الناس يبيعون بناتهم بيعاً ، تحت المساومة ، في سوق المزاد العلني .

أيها المسلمون . إن الشريعة الإسلامية ، تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته وتراه هي أيضاً ، قبل العقد عليها . فعن المغيرة بن شعبة ، أنه خطب امرأة ، فقال النبي ﷺ (أنظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[1] يعني أن يوفق الله بينكما ، وقال عليه الصلاة والسلام (إذا خطب أحدكم المرأة ، فلا جناح عليه ، أن ينظر إليها لِخطبته ، وإن كانت لا تعلم)[2] والأفضل أن يجتمع بها مع أحد محارمه ، من والدة أو أخت أو غيرهما .

ترى الشريعة الإسلامية ، أن الذي يريد الزواج ، ينبغي أن يتعرف بمن يريد أن يرتبط بها ، تعرُّفاً يرشد إلى اتجاهات القلوب (وأن الأرواح ، كما قال ﷺ (جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف)[3] ، وللناس في سبيل التعرف على الخاطبين ، عادات مختلفة ، فمنهم من يرى أن رؤية الخاطب مخطوبته أمر منكر ، لا يسمح به شرف أسرتها ، ولا كرامتها ، ويكتفون بالتعرف عليها ، بوصفها من جارة المخطوبة ، أو من والدة الخاطب ، ويرى الغربيون والأجانب ومن يقلدهم اليوم ، من شباب وشابات المسلمين ، أن السبيل

---

١ — رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والنسائي من حديث المغيرة بن شعبة .
٢ — رواه الامام أحمد والطبراني عن ابي حميد الساعدي بسند حسن .
٣ — رواه البخاري عن عائشة تعليقا مختصراً ، وأخرجه مسلم من حديث ابي هريرة واخرجه البيهقي في شعب الايمان ، وأخرجه الحسن بن سفيان ، بسند حسن .

إلى معرفة المخطوبة ، هو عِشرتها الطويلة والاختلاط المؤسف المخزي بها ولا ريب أن هاتين العادتين ، بعيدتان عن المنطق والصواب ، فالصواب المؤدي إلى الحكمة هو أن يرى كلُّ واحد منهما صاحبه ، إذا كان الخاطب جاداً عازماً على الزواج عزماً أكيداً ، غير هازل ولا متلاعب ، في النظر إلى مخطوبته . فذلك أسْكَنُ للقلوب ، وأهنأ للضمائر ، وأدعى للطمأنينة . وقد يكون فيما تقرأونه وتسمعونه عن تلك العادات الذميمة كلَّ يوم ، في حوادث الخاطبين والمخطوبات ، ما يؤسف ويؤلم ، بل ما يندى له جبين الإنسانية خجلاً . فقد رُفعت الحجب بين الخاطبين ، وتمكنا من الاجتماع في الأسفار ، في السفر والحضر والمتنزهات ، ما يُغنينا عن التصريح بها .

أما شريعتنا المطهرة ، فتبيح لكل من الخاطبين أن يرى صاحبه مرات ومرات ، شريطة أن يكون معهما بعض المحارم والأقارب . هذا هو يا مسلمون حكم الشرع الحكيم ، وهدي الرسول العظيم ، في أدب الخطبة ، وهو محقق للغرض والمصلحة ، بعيد عن الشر والمنازعة ، إذاً فليعتبر هؤلاء وهؤلاء . فيا أيها الجاحدون المنكرون لدينكم . يا من تجنيتم على المرأة باعطائها الحرية الكاملة ، وإفساح المجال لها .

يا مسلمون . خففوا من رغباتكم في غلاء المهور لبناتكم ، ليحلَّ الرواج مكان الكساد ، ولنتقي ويلات الإجهاض والفساد . برهنوا على إسلامكم . وأظهروا غيرتكم ، ولا تُلقوا بفتياتكم في ظلام ، قد لا يشرق عليهن نور من أفقه . ويا أيها المسرفون الضالون ، الغائبون عن الموت ، وعن لقاء ربكم ، لا تتركوا لبناتكم الحبل على الغارب ، فإن الشباب شعبة من الجنون ، والعواطف دفاعة ، والكرامة أعزُّ شيء عند بني البشر .

عباد الله اتقوا الله حق تقواه ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[١] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ أفرادها وجماعاتها . اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً ، فوفقه وأعنه ، ومن أراد بهم سُوءاً ، فخذه أخذ عزيز مقتدر . اللهم أصلح أمة سيدنا محمد . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال . اللهم هيء له بطانة صالحة ، تحثه على الخير ، وتحذره من الشر .

﴿ **... وإقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[٢] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السابعة والسبعون بعد المائة :

١٩ رجب ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٦/٢٣

(البعد عن التكبر فضيلة)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على رسولنا المصطفى ، حثنا على التواضع ، وحذرنا من العجب والكبرياء .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت إن شئت جعلت الحزن سهلاً ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، عمده وخطأه سره وعلانيته ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * *

الحمد لله الكبير المتعال ، الحمد لله ذي النوال ، والإنعام والإفضال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، له الأمر كله ﴿ **وله الكبرياء في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم** ﴾[٢] وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، خيرُ من تواضع من غير مذلّة ، وعزّ في غير كبرياء ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، الذين تواضعوا لله ، فرفع شأنهم ، وأعلى أقدارهم .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .
٢ ـــ سورة الجاثية (٣٧) .

أما بعد . فإن ربكم أصدقُ القائلين ، خاطب نبيه ورسوله ، بقوله : ﴿ وآخفضْ جناحَكَ للمؤمنين ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ ...، أليسَ في جهنَّمَ مثوىً للمُتكبِّرين ﴾[2] ﴿ ...، أليس في جهنم مثوىً للكافرين ﴾[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة ، من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كبر » فقال رجل : (يا رسول الله) إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً (يعني جيداً نظيفاً) ويحب أن تكون نعله حسنة . قال ﷺ : (إن الله جميل يحب الجمال)[4] (يعني لا يحب جمال النساء ، كما تظنون) وإنما يحب الرجل ، المتخلق والمطبوع على الأخلاق الجميلة ، ثم قال رسول الله ﷺ مُستدركاً على ما قال ، الكبر هو بطر الحق . أي إنكارُه وردُّه على صاحبه ، وغمط الناس : أي احتقارهم . رواه مسلم والترمذي وقال ﷺ (لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر)[5] .

أيها المسلمون في زمن العظمة والكبرياء . إن الذي ينكر الحق ، ويردُّه على قائله ، هو المستكبر ، ومن يتعاظم ويتعالى في المجالس على إخوانه ، فهو المستكبر ، ومن احتقر الناس ، فلم يبال في مجلسه أو معاملته ، فهو متكبر متجبِّر .

ومآل المتكبرين ــ عباد الله ــ جهنَّمُ ، دار الذلة والهوان ، وقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ، عز وجل (العِزُّ إزاري ، والكبرياء ردائي . فمن ينازعني في واحد منهما ، عذَّبته)[6] رواه مسلم ، وعن أبي

---

١ ــ سورة الحجر (٨٨) .
٢ ــ سورة الزمر (٦٠) .
٣ ــ سورة الزمر (٣٢) .
٤ ــ رواه مسلم ، وقد تقدم تخريجه مع تعدد روايته .
٥ ــ رواه النسائي والطبراني عن ابي هريرة ، والخطيب في تاريخه ، قال الحافظ العراقي : سنده جيد وقال الذهبي اسناده صحيح . وبقيته : والامام الجائر .

هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف ، رجل يروج البضاعة كثير الحلف ، والفقير المختال (أي الفخور المتكبر) والشيخ الزاني)[1] أي الرجل الكبير الطاعن في السن .

أيها الناس . إذا كان الكبر من شر الصفات بين البرايا ، فالتواضع من أجلّ وأسمى المزايا ، وأفضل السجايا ، وهو خُلُقُ الأطهار ، وأهل العلم الأخيار ، وذوي الصلاح من أهل الرفق واللّين ، وما أجمل ما قيل :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ
على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تكن كالدُّخان يعلو بنفسه
على طبقات الجوِّ وهو وضيعُ

وقيل :

تواضَعْ . إذا ما نلت في الناس رفعةً
فإن رفيع القوم من يتواضعُ

وقد قيل :

هي الدنيا تقول بملءِ فيها :
حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركُمُ مني ابتسامٌ
فقولي مضحك والفعل مُبكي

إن المتكبر على خلق الله، يُتعب نفسه بكبره ، ويذيب شخصيته وكيانه .

---

١ ـ

لقد تكبر إبليس فلم يمتثل لأمر الله بالسجود لآدم ، عليه السلام . كما قال جل وعلا ﴿ **وإذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليسَ أَبى واستكبَرَ وكان من الكافرين** ﴾[1] وقال في مقام آخر ﴿ ... **أنا خيرٌ منه خلقتني من نار** ــ وإن كان يعني الفرق ما بين النار والطين ــ **وخلقتهُ من طين** ﴾[2] .

ظنَّ إبليس أن الطين لا يسمو سموَّ النار ، وظن بعقليته القاصرة ، أن النار أعلى وأرفع من الطين . مع ان السمو والعلوَّ ، إنما يكونان من الله العليِّ القدير ، الذي يعز من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ، ويرفع من يشاء ، ويخفض من يشاء ، بيده التقريب والإبعاد ، والإشقاء والإسعاد . يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . سبحانه من إلهٍ عادلٍ في حكمه ، وهو العليُّ العظيم .

ولكن أتدرون ماذا كانت عاقبة ابليس .؟ كانت تلك العاقبة طرده من رحمة الله ، ولعنهُ الى يوم الدين .

أيها المسلمون في زمن العنعنة والكبرياء . لقد تكبر فرعون ، حتى قال لقومه ﴿ ... **أنا ربكم الأعلى** ﴾[3] وقال في الثانية ﴿ ... **ما عَلِمْتُ لكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْري** ﴾[4] ﴿ **فأَخذَهُ اللهُ نكالَ الآخرةِ والأولى** ﴾[5] يعني أغرقه ربه ، وكتب عليه الاحراق في أخراه . ولقد ارسل الله له موسى وأخاه هارون ، لدعوته الى الله بالحسنى ، وهو يؤيدهما بنصره ﴿ ... **لا تخافا ، إنَّني مَعَكُما أسمَعُ وأرى** ﴾[6] فاستعلى فرعون ، وأخذته العزة بالإثم ، وأخذ يمنُّ على موسى بتربيته إياه . ومع معجزات العصا واليد

---

١ ــ سورة البقرة (٣٤) .
٢ ــ سورة الأعراف (١٢) .
٣ ــ سورة النازعات (٢٤) .
٤ ــ سورة القصص (٣٨) .
٥ ــ سورة النازعات (٢٥) .
٦ ــ سورة طه (٤٦) .

البيضاء . قال فرعون : جميع ما حصل من موسى ، إنما هو سحر مبين . فما أسوأ الكبر ، وما أشنع وأبشع عقباه . انتبهوا عباد الله تيقظوا ، لقد تعاظمت اسرائيل ، وتكبرت وتجبرت في الأرض بغير الحق ، وتناهى بها الغرور والكبرياء ، وكم تكبرٌ غيرُها من ذوي الكبرياء والتعاظم ، فأبادهم الله شر إبادة . لقد تكبر قارون ، ولم يعترف ان خيره وغناه من الله ، ليؤدي شكره على نعماه ، وإنما بعقلية المتكبر ، قال : ﴿**إنما أوتيته على علم عندي ،...**﴾[1] .

أيها المسلم في زمن الشكوك والأوهام . نتيجة كبرياء قارون ، ما حصل في قرآن الله ، عز وجل ﴿ **فَخَسَفْنا به وبدارِهِ الأرضَ فما كان لَهُ مِنْ فئةٍ ينصرونَهُ من دونِ اللهِ وما كان من المنتصرين** ﴾[2] .

هذه نتيجة حتميةَ واقعية للظالمين والمستكبرين . أتأمّلتُمْ كيف كانت النتيجة بل عظةُ وذكرى للغافلين ، قارون لم يُقدّر الحق ، ولم يعترف به ، بل ردّه بكبر وغطرسة وجَفاءٍ ، ظانا أن المال الذي بيده ، إنما هو منه ، لا من الله ، وان القوة التي يملكها منه ، لا من غيره . قال تعالى : ﴿ **وما بِكُمْ مِنْ نِعمةٍ فمن اللهِ ، ثم إذا مَسّكم الضُّرُّ فإليْهِ تجأرون** ﴾[3] .

لذلك فقد سلبه الله تعالى ماله ، الذي تكبر بسببه وطغى وتجبر ، وسلبه حياته كلّها . هل انتبهتم يا ذوي الغنى واليسر ، إلى ما وقع وحصل في ذكرى التكبرين الحاقدين الجاحدين .؟

إنكم يا أغنياء زماننا هذا . يا أغنياء اليوم . لم تملكوا ما مَلك قارون ، ولكنكم تحتقرون سواكم كما احْتقر قارون غيره ، ويطغيكم المال كما أطغاه ، فاحذروا عواقب أمركم ، ألا إن من تكبر كقارون وسواه ،

---

١ ــ سورة القصص (٧٨) .

٢ ــ سورة القصص (٨١) .

٣ ــ سورة النحل (٥٣) .

كان غافلا مغتراً ، يتقلب في ظلمات ، ويرتع في شهوات ، وينازع في الكبرياء جبار السموات والأرض ، ساعياً الى جهنم ، وبئس المصير .

أيها المتكبر المتجبر في الأرض بغير الحق . يا اسرائيل . ويا أيها المستعمرون . جاهك من الله منحة إن كان لك جاه ومالك منه سبحانه عطية وكرم ، وكل مواهبك نعمة من خالقك ، الذي صورك في الرحم كيف شاء ، وقد كنت نسياً منسياً . لقد رباك ورعاك في ظلمة الرحم ، ومنحك الحياة ، وأخرجك من بطن امك ضعيفا ، لا تعلم شيئاً ، وألقى في قلب أبويك محبتك ، ليعتنيا بشأنك في حياتك ، إذن كيف يحصلُ منك الكبر بعد هذا وذاك .؟ أبعد هذا لا تتواضع .؟ فما أظلمك أيها المتكبر لنفسك . قل لي بربك . اتستطيع أن تبقى حيا ، إذا سلبت الماء والهواء .؟ تالله لو كان الماء والهواء بيدك — أيها الانسان المتكبر — لقطعته عن غيرك . حتى ولم تكتب له الحياة . فعلام إذَن تستكبر وتتعالى على غيرك وتتجبر .؟ استحي أيها المسكين . وتواضع لمن خلقك من عدم ، ولم تك شيئاً .

ما بال نفسك ترضى أن تدنسـها
• وثـوب جسمك معمولٌ من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
إن السفينة لا تجري على اليبس

فطهر نفسك أيها المتكبر من الحقد والحسد والمكر . طهر قلبك من الموبقات والسيئات ، وارجع الى مولاك ، قبل أن تلقاه مجرَّداً .

أيها العاقل الرشيد — إن كنت عاقلاً رشيداً — اكتب بالتواضع المجد والحمد والثناء ﴿ **ولا تُصَعِّر خدَّك للناس ولا تمشِ في الأرض مَرَحاً ، إن الله لا يحبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخور** ﴾[1] أي لا تُمل جانبك عن

---

١ — سورة لقمان (١٨) .

اخوانك المؤمنين احتقاراً وتكبراً ، ولا تمش في الأرض عرضاً وطولا ، معجبا بنفسك . إن الله لا يحب كل متكبر ، فخور بأمواله وبنيه . لقد نادى عمر بن الخطاب ، وهو على منبره (أيها الناس . تواضعوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر قصمه الله)[1] أي أهانه وأذله . فإياك أيها الانسان والبطر والخيلاء . فإنها ممحقة للبركة ، مذهبة للنعمة ، قاضية على الشخصية ، تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وقال الحسن البصري ، رحمه الله ــ هم لا يعترفون بالحسن البصري سيد التابعين ولا بغيره ــ يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك ، فإنها عما قليل قبرك . رحم الله رجلا نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، وأبصر فصبر . وهذا القول يشبه ما قاله أبو العلاء المعري :

صاحِ هذي قبورنا تملأ الرُّحب   فأين القبور من عهد عـــادِ
خفِّــف الـوطءَ ما أظن أديم الأ   رض إلا من هذه الأجســـادِ

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال بعد ما ساق الحديث ، إن الله سبحانه يحب ثلاثة نفر وحبه لثلاثة منهم أشد ، يحب المتقين وحبه للشاب التقي أشد ، والثاني يحب الأسخياء (يعني الكرماء) وحبه للفقير السخي أشد ، والثالث يحب المتواضعين ، وحبه للغني المتواضع أشد)[2] أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم . ادعو الله ، وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

---

١ ــ رواه ابو نعيم ، في الحلية عن ابي هريرة وابن ماجة وهو عند أبي نعيم ومن تكبر خفضه الله ، وعن ابن ماجه ومن تكبر وضعه الله ، رواه احمد والبزار عن عمر وقد رواه مسلم والترمذي بلفظ ما تواضع احد لله الا رفعه الله عن ابي هريرة وقد تقدم .

٢ ــ وروي الديلمي عن عبدالله بن عمرو : خلقان يحبهما الله عز وجل ، وخلقان يبغضهما الله عز وجل ، فأما اللذان يحبهما الله ، فحسن الخلق والسخاء ، واما اللذان يبغضهما الله ، فسوء الخلق والبخل.

الحمد لله ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ ، وهو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله ، العلي العظيم ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صفيه وخليله ، وهو سيد المتواضعين . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين تحلّوا بالتواضع ، وتطهروا من الكبر والغرور ، وسائر الرذائل ، فأكرمهم الله بخير عاجل .

وبعد . فيا عباد الله اعلموا أن الكبر في الانسان نزق وطيش وتهور ، واستهانة بالناس ، يمنع صاحبه الاستفادة من العليم . ولذا قال ﷺ (من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدَّقه ربه ، فقال : (لا إله إلا أنا وأنا أكبر) رواه الترمذي وغيره ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، رضي الله عنهما ، فالسعيد يا قوم . من تواضع لله ولم يتعاظم ، ولم يترفع على غيره لكنه يتكبر على المتكبرين بغير الحق ، لما ورد عن رسول الله ﷺ (ان التكبُّر على المتكبرين صدقة)[2] والكبر والخيلاء لا يصحَّان الا في حالة الحرب . إغاظة للأعداء)[3] وهنا ذكرت قصة أبي دجانة ، عندما أخذ السيف من رسول الله ﷺ وصار يختال في مشيته بسيفه .

أيها المسلمون . إعلموا تماماً ، أن المستكبرين على عباد الله ، هم أذل الناس ﴿ ... **يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾[4] .

---

١ ــ سورة الحديد (٣) .

٢ ــ ورد في حديث غريب : إذ رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم ، اذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم ، فإن ذلك مذلة وصغار . وورد طوبى لمن تواضع في غير مسكنه ، رواه البزار .

٣ ــ وكان ابو دجانة له عصابة حمراء يعتصب بها عند الحرب ، فاعتصب بها ثم جعل يمشي بين الصفين ، فقال له رسول الله ﷺ انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموطن ، رواه الامام احمد .

٤ ــ سورة الحشر (٢) .

واسمعوا يا اخواننا المسلمين . كيف كان خلفاؤكم وأمراؤكم السابقون من سلفنا الصالح . اسمعوا واعتبروا وتدبروا . ورد أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه وأرضاه ، جعل بينه وبين غلامه (أي خادمه) مناوبة في ركوب الناقة ، بينما كانا مسافرين للشام ، فكان يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ، ويسير مقدار فرسخ ، ثم ينزل عمر ويركبُ الغلام ، ويأخذ عمر بزمام الناقة ، ويسير مقدار فرسخ . (ومعلوم لديكم) بأن الفرسخ ثلاثة أميال . فلما قرب من الشام ، كانت نوبة ركوب الغلام . فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة ، فمرَّ عمر على بركة ماء في طريقه ، فجعل عمر يخوض في الماء ونعله تحت إبطه اليسرى ، وهو آخذ بزمام الناقة ، فخرج أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وكان أميراً على الشام ، وقال يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام وعلماءها قد استقبلوك ، وهم يخرجون إليك ، فلا يحسن أن يروك (وأنت أمير المؤمنين) على هذه الحالة . واسمعوا بما أجاب عمر ، رضي الله عنه : (إنما أعزّنا الله تعالى بلاسلام ، فلا نبالي من مقالة الناس ، ولا غيرهم) .

أيها المسلمون . لقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع في كتابه فقال ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾[1] .

وقال ابن مسعود ، رضي الله عنه ، وهو موقوف عليه (من تواضع تخشعاً رفعه الله تعالى يوم القيامة ، ومن تطاول تعظيماً ، وضعه الله يوم القيامة . تذكروا دائماً الحديث القدسي عن رب العزة . جل جلاله (العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي . يعني أنهما من صفاتي أنا لا غيري .

---

١ ـــ سورة الفرقان (٦٣) .

وبعد هذا فلا ينبغي لعبد حقير ذليل أن يتكبر على من سواه ، اتقوا الله عبادالله . اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلا عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾(١) اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض الله عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم أعز الاسلام والمسلمين وأعل كلمة الحق والدين ، اللهم ألّف بين قلوب هذه الأمة ، أفرادها وجماعاتها قادتها وحكامها ورؤسائها وردهم الى دينهم رداً جميلا ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال . اللهم هَيِّءْ له بطانة صالحة .

﴿ **... أقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾(٢) .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والسبعون بعد المائة :

٣١ شعبان ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/٧/٧

(رياء الأعداء أصل البلاء)

أحمدك ربي ، حمداً يوافي نعمك ويكافىء مزيدك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى ، وعلى آله وصحبه ، أولي الصدق والوفا ، أولئك قوم صدقوا مع الله ورسوله ، فكانوا من الفائزين . اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، واغفر زلتي ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله ، الذي نهى المسلمين عن المنّ والرياء ، ليرفع بذلك ذكرهم ، ويزيد في اجورهم ، والله عليم حكيم . أحمده سبحانه وتعالى حمداً لا منّ فيه ، ولا عُجْبَ ولا رياء ، وأشكره شكراً لا سُمعةَ فيه ولا استعلاء . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المنّة على عباده بنعمه وآلائه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، أخلص لله في جميع المعاملات والعبادات ، وعلى آله وصحبه ، الذين أخلصوا دينهم لله في كل حال .

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه ، وهو أصدق القائلين ، وبقوله يهتدي المهتدون ﴿ والذين يُنفقونَ أموالَهم رِئاءَ الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكُنِ الشيطانُ لَهُ قريناً فساءَ قريناً ﴾[1] .

أيها المسلمون في زمن الرياء وحب الظهور . بعد أن بين الله حال البخلاء بوضوح وجلاء بين حال الذين ينفقون أموالهم رياء وسمعة وحباً في الظهور ، فهؤلاء غرتهم الحياة الدنيا . فما كان عملهم خالصاً لوجهه تعالى . بل أحبوا أن تذكر أسماؤهم في المحافل والصحف ووسائل الاعلام . فهؤلاء وأشكالهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، لأنهم يتبعون قرينهم الشيطان ، يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه ، ويظنون بالله الظنونا .

إن الرياء في الأعمال والعبادات والمعاملات يحبط الأعمال ، ويذهب ثوابها ، قال تعالى في وصف المرائين الذين يقولون ولا يفعلون ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الذينَ يفرحونَ بِما أتوا ويحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازةٍ من العذاب ، ولهم عذاب أليم ﴾[2] وقال تعالى ذاماً صفاتهم ، ومنددا بأفعالهم ﴿ فويل للمُصلّينَ . الذينَ هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يُراؤنَ . ويمنعونَ الماعون ﴾[3] .

كثير من الناس ، من يتخذ العبادة الناقصة ، وسيلة لجمع حطام الدنيا الزائلة الفانية . وفي هذا المعنى يقول ﷺ (كيف بكم إذا قلّتْ أُمناؤكم ، وكثرت قراؤكم وعلماؤكم ، وتُفُقِّهَ لغير الدين ، والتُمسَت الدنيا بعمل الآخرة .؟)[4] أما القرآن ، فقد جاء بوصف كامل للمرائين

---

١ ـــ سورة النساء (٣٨) .

٢ - سورة آل عمران (١٨٨) .

٣ ـــ سورة الماعون (من ٤ ـــ ٧) .

٤ ـــ رواه عبد الرزاق في كتابه موقوفا عن أبي مسعود وأوله : كيف بكم إذ لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة ، فإن غيرت يوما قيل هذا منكر ، وقالوا ومتى ذلك ؟ قال اذا قلت امناؤكم ... الحديث .

والمنافقين ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادِعُهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كُسَالى يُراءونَ الناسَ ولا يذكرونَ اللهَ إلاَّ قليلاً . مُذَبذَبينَ بين ذَلِكَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يُضللِ اللهُ فلن تجد له سبيلا ﴾ (١) .

وبعد ذلك كله ، حذّر الله نبيه المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والمؤمنين من مصادقة الكافرين وموالاتهم ، فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سُلطاناً مُبينا ﴾(٢) .

ألا قاتل الله الشيطان ، لقد أبى إلا أن يضع سلطانه على هذا الانسان ، ويهلكه بأية وسيلة ، حتى يباعد بينه وبين رضوان الله العظيم . أفكلما أغلق الانسان في وجهه باباً من الشر ، جاء من ألف باب وباب . أمر الانسان أن لا يبخل ، أمره أن يتصدق ، لكنه زين له حب السمعة والشهرة ، ودفعه الى التظاهر والرياء . وإذا قصد الانسان أن يتصدق من لقاء نفسه ، أمره أن يتصدق بالخبيث المكروه ، وإذا غلبه الانسان وتصدق بالطيب المحبوب ، دعاه الى الرياء وحب الظهور أمام الناس ، وذلــك مُحبط للعمــل ، ومضيــع للأجر والمثوبــة . ولا يــزال الشيطان بابن آدم (لأنه يجري منه مجرى الدم)(٣) حتى يفسد عليه سعيه ، ويكدر عليه إحسانه ، ويوقعه في المهالك والملمات ﴿ إنَّ الشيطانَ لكم عَدُوٌّ فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حِزبَهُ ليكونوا من أصحابِ السَّعير ﴾(٤) فلينظر كل واحد منكم ، الى أي حزب ينتمي .

---

١ - سورة النساء (١٤٢ - ١٤٣) .
٢ - سورة النساء (١٤٤) .
٣ - متفق عليه من حديث انس وصفية والامــام احمد وابو داود وابن ماجة ، ولفظــه : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .
٤ - سورة فاطر (٦) .

أجل أيها الناس . إي وربي . إن الشيطان لأعمالكم بالمرصاد ، يمنعكم من أعمال البر والتقوى ، وهو الذي يأمركم بالبخل والشحّ ، والحرص على الدنيا ، وهو الذي يدعوكم بالمنّ على من أسديتم إليه معروفا ، وفيه الرجال على الرجال يا قوم أشد من وقع الرماح والنبال . كما قيل .

لا تحملنّ لمن يمن من الأنام عليك منّة
منن الرجال على الرجال أشد من وقع الأسنّة

أيها المسلمون في زمن الرياء والمنة والبلاء . أيها القائمون بالمشاريع الحيوية . الانسانية التي تسمونها في عرفكم خيرية . يا من تراؤن بأعمالكم وإنفاقكم وذهابكم وإيابكم . يا من لا تريدون الا سمعة وشهرة ورياء . اتقوا الله في أعمالكم ، واعلموا أن الله لايقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، فمن الناس من عضّه الفقر بنابه ، ومزقه بأظافره ، لايملك من الدنيا شروى نقير ، يقضي نهاره دون طعام أو شراب . يلتحف السماء ، ويفترش العراء ، يتحمل ذلك كلّه مخافة المنّة عليه ، والاستذلال . كمل قيل :

تحمّلت خوف المنّ كلّ رزية وحملُ رزايا الدهر أحلى من المنّ

وكما قيل :

خير الصنائع في الأنام صنيعة تنبو بحاملها عن الإذلال

واليوم أيها الناس . أيها الواعون . ننتقل بكم من رياء ومنّة الأغنياء والمنافقين والمرائين ، إلى رياء ومنة المستعمرين . وأعود فأقول لكم بلاغَ الله في قرآنه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرينَ أولياءَ من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا للهِ عليكم سُلطانا مُبينا** ﴾[1] .

---

١ ـ سورة النساء (١٤٤) .

ننتقل بكم إلى حكام العرب والمسلمين اليوم ، الذين باعوا دينهم بدنياهم ، وسلّموا قيادهم وزمامَ أمرهم للكافرين ، واستسلموا لأعدائهم . ومن العجيب المُعيب أن من بينهم من لايزال يُلحُّ بطلب السلام والاستسلام ، ويطلب من صديقته أمريكا ، ومستشاريه في أمريكا ، العودة في البحث في موضوع السلام والاستسلام . وما يدري هذا المسكين ، أن الحاحه هذا ، يثبت أقدام الصهاينة والمستعمرين في أرض فلسطين .

أيها الواعون . أنظروا نظرة بعيدة ، اننا من يوم الفتح الاسلامي إلى سقوط غرناطة ، إلى يومنا هذا ، وأمة الاستعمار نفسُها تعادينا معاداةً عقائدية صليبية ، تذكروا إن كنتم تريدون الحياة الغالية السعيدة من الذي كان يضع العقبات في طريق الفتح الاسلامي ، وفي طريق رسول الله ﷺ وأصحابه .؟ إنهم يهود خيبر وأمثالهم . تذكروا محاكم التفتيش في الأندلس ، وماذا حل بالمسلمين يومئذ من عجائب التعذيب وغرائبه ، وكم ذكرتكم أيها الحكام ، لتستيقظوا ، وما أنتم بموقنين . هذه أمريكا التي تقدم بعض السلاح للعرب رياء ، إنما تفعل ذلك تقربا للعرب من وراء جدار . إن امريكا وأمثالها تمنُّ على العرب بسلاح غير فعال ، للدفاع عن النفس فقط ، وتعطي ربيبتها وولايتها ، التي فوق الخمسين ، سلاح الهجوم والدمار والخراب . إنها تعطينا ما قل وألهى ، وتعطي ربيبتها ووليدتها ما كثر ودمر . ولا تعطينا سلاحا الا تظاهراً ورياء ، ولا تعطينا الا بعد موافقة اسرائيل .

يا مسلمون يا عرب . يا بني العروبة المزيفة . هذه أمريكا ، ترسل مبعوثها (ولترمونديل) لاسرائيل أولا . (وهذا مبعوث السلام ووسيطه يبارك لاسرائيل خطواتها ، ويبكي في مبكاها المزعوم ، ويثبت احتلالها ، يظهر شهوته ورغبته لحكام اسرائيل . فوسيط السلام يا قوم في الأعراف

الدولية والذوقية لا يظهر شهوته وغايته . لا هنا ولا هناك ، حتى يتحقق من القضية بحذافيرها . إننا والله كأمة مسلمة ، نوقن تماماً ، ونعتقد حقا ، أن المماطلة في السلام والاستسلام ، ما هي الا مناورة لتثبت اقدام الصهيونية والاستعمار الغاشم . كل هذا يا حكام العرب . ونحن في خلافات وخصومات ، تمكن عدونا من ترسيخ أقدامه في أرضنا ، في مقدساتنا ، في ترابنا الغالي في خيراتنا .

إذ كيف يجوز لنا يا مسلمون ، أن نتولاهم أو نواليهم ، بعدما سمعنا وشاهدنا وتحققنا .؟ فأين هي المحبة الصادقة ، التي يدعيها طالبو السلام والاستسلام .؟ أين هي محبة أمريكا للعرب يا أمريكا . يا بانية إسرائيل . ويا حاميتها .؟ قل لي بربك . إذا كنت تعرف وتعلم ، لمن هي مصانع الأسلحة والطائرات المقاتلات ، التي هي كترسانة محضَّرة ومهيأة في قلب تل أبيب ، إسرائيل . هل هذه المصانع لاسرائيل أم لسيدتها .؟ وهل إسرائيل هي التي خلقتها منذ عام ١٩٦٧م .؟ إن هذا والله لأمر عجيب وغريب . ايظن الناس أننا مغفلون . فوالله لا شرق ولا غرب يأتينا وييسر القلب .؟ وما سايرنا الا للسلب والنهب . إننا إذا رجعنا الى التاريخ وقلبنا صفحاته ، وجدنا المسلمين ــ وحدهم ــ مُحاصَرين مُستعمَرين .

نعم . إذا رجعنا الى التاريخ وقلبنا صفحاته ، وجدنا الاسلام مضروبا على يديه ، بيد حديدية فولاذية ، ووجدنا المسلمين في سائر الأقطار ــ وحدهم ــ داخلين تحت وطأة الاستعمار ، محاصرين مستعمرين . وذلك كله بسبب انحراف حكامنا ، وابتعادهم عن العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ، وخلافاتهم التي لا معنى ولا طعم لها . هي الطامة الكبرى . كلٌ منهم يكيد ويدبّر للآخر ، ليبقى كرسيه سالماً ، وتأكدوا يا قوم ، بأنه من المستحيل علينا أن نصل الى حقوقنا ، أو نفوز بمطالبنا المشروعة ، ما دمنا متفرقين . ولا فوز لنا ولا كرامة ولا نصر ،

الا إذا اتحدت كلمتنا ، واجتمعت قلوبنا ، وتوافرت على الخير محبتنا ، بصدق واخلاص ، وتجرد عن الأغراض والأهواء الشخصية .

وما من مكان ولا بلد ولا قطر ، الا وهو مستعمر لفرنسا أو بريطانيا أو غيرها .

يا حكامنا في كل مكان وزمان . يا من اذا اجتمعتم تفرقتم . وإذا اتفقتم تخاذلتم . طالما ناديناكم ونشدناكم أن تَدَعوا الأحقاد والأضغان ، وأن تَدَعوا النواحي الخلافية ، جانبا ، وما ناديتكم باسمي الشخصي ، وانما ناديناكم باسم صاحب الشريعة الغراء ، صاحب القيادة الحقيقية العليا ، سيدنا محمد ﷺ ناشدناكم قبل سقوط البقية الباقية ، من فوق المنابر ، وخاصة من فوق منبر المسجد الأقصى ، الذي ذهب ضحية خلافاتكم ومهاتراكم ، ولكنكم في معزل عن هذا كله . قولوا بربكم . قبل أن تقفوا بين يدي ربكم ، فيحاسبكم على ما تعملون . إذا كنتم غير قادرين على تحمل الأمانة والمسؤولية ، فتخلوا عن كراسيكم . ادعوكم من هنا ، من على منبر المسجد الحسيني الكبير ، أن تتنحوا عنها ، ليتحمل الأمانة غيركم ، ممن يخشون الله ، ويخافون عذابه ، حتى يُهَيِّءَ الله لهذه الأمة من يأخذ بناصرها ، ويدفعها الى الأمام ، الى الجهاد ، الى العمل المثمر . يا حُكّامَ اليوم . ضاعت حقوقنا ، ضاعت مقدساتنا ، ذهبت كرامتنا ، بسبب بعدكم عن جادة الصواب . لقد أهين ــ والله ــ دين الاسلام أيام حكمكم . ديست مقدساته ، وانتهكت حرماته ، وكل ذلك ــ والله ــ في اعناقكم . ﴿**هذا بَلاغٌ للنَّاس ولِيُنذَروا به ولِيَعْلَموا أنَّما هو إلهٌ واحدٌ وليذَّكَرَ أولوا الألباب**﴾(١) .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٥٢) .

أجل . والله أن طالبي السلام والاستسلام ، قد زادوا في طمع إسرائيل وتعدياتها وتحدياتها ، حتى تجرّؤا على بث المستوطنات ، وهي الثُكن الحربية الاستراتيجية ، في قلب فلسطين والأردن نفسه ، كما قال السفير الشاذلي في اعتراضاته ، بعد نصر كاد أن يكون محققاً .

فإلى متى يا قوم .؟ لقد حذرناكم قبل عام ثمانية وأربعين ، فسقطت أراضٍ شاسعة تحت النفوذ الصهيوني الاستعماري . حذرناكم قبل سقوط المسجد الأقصى بثلاثة أيام ، من على منبر المسجد الأقصى ، فلم تبالوا ، ولم تأبهوا ، لقد هوى المسجد الأقصى بيد القوى المطوقة لحركات الإسلام والمسلمين . ولقد عذبتم شعب فلسطين ، بهجرته ونزوحه في كل مكان . يقول عليه الصلاة والسلام (أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة)[1] قال رسول الله ﷺ (إن الله مع القاضي) يعني مع الحاكم ومع السلطان ومع المسؤول ، ومع القائد ومع الرئيس ، يعني يكون الله عوناً له ، مالم يَجُرْ ، فإذا جار ، تخلّى (الله) عنه ، ولزمه الشيطان)[2] أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾[3] أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صل وسلم وبارك ، عليه وعلى آله وصحبه .

---

١ — رواه الحاكم والبيهقي والامام احمد عن خالد بن الوليد . وقد رمز له الحافظ السيوطي بالصحيح .

٢ — رواه الحاكم وقال صحيح واقره الذهبي والبيهقي عن ابن ابي أوفى والترمذي وابن ماجة ، عن عمران بن حصين ، وقال الترمذي حسن باللفظ المذكور أعلاه .

٣ — سورة الأنعام (١) .

وبعد . فيا أيها المسلمون . لقد رفع الله أقواماً عملوا لله مخلصين . فكانوا في طليعة المجاهدين ، أمرهم بالعدل ، وحذرهم من الكسل ، أمرهم بعمل الخيرات ، وحذرهم من المنكرات ، ليكونوا قادةً أعزةً منتصرين . اتقوا الله حق تقواه ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه تسليماً كثيرا ، وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين ، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . اللهم استر عوراتنا . اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيراً فوفقه وأعنه ، ومن أراد بهم سوءاً فخذه وأهلكه ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *
* * *
*

---

١ ــ سورة الاحزاب (٥٦) .
٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة والسبعون بعد المائة :

٢٤ شعبان ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/٧/٢٨

« استقبلوا شهر الصيام بقلوبكم »

أحمدك ربي ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، واتوب إليك ، واستغفرك من جميع الذنوب والخطايا والآثام ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد سيد الأنام ، وعلى آله وصحبه السادة الكرام . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت . اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه ، دقه وجله ، عمده وخطأه ، سره وعلانيته . اللهم بارك لي فيما رزقتني ، وارزقني وأنت خير الرازقين ؛ ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، جعل رمضان زمان إحسان وطاعة وغفران ، جعل من الأيام أياماً سعيدةً ، يُصَبُّ فيها الخير صبا ، ويضاعف فيها الأجر لمن أطاعه ، واتبع كتابه ، كما يضاعف العذاب لِمن أتخذ إلهه هواه ، وجعله رباً ومعبودا ، وسلك سبيل من غوى ، وجاهر بالمعاصي والذنوب والآثام ، وأشهد أن لا إله إلا هو القويُّ العزيز ، يعز المؤمنين المخلصين ،

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

ويرضى عن الصادقين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله الصادقُ الأمين ، شرح لَهُ صدره ، ووضع عنه وزره ، ومع هذه المنح والعطايا ، كان يقوم من الليل في العبادة حتى تورمت منه الأقدام ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه الصادقين في إيمانهم ، المخلصين لدينهم ، وجزاهم الله أحسن الجزاء بما كانوا يعملون .

أما بعد . فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكمُ الصِّيامُ كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[1] .

أيها المسلمون . ورد عن سَلْمانَ الفارسي ، رضي الله عنه ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ في اخر يوم من شعبان ، فقال : (أيها الناس . قد أظلّكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة القدر ، خير من ألف شهر . جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليلة تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير ، كان كمن أدى الفريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يُزاد فيه رزق المؤمن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار) ثم قال ﷺ في خطبته (ومن فَطَّر فيه صائماً ، كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره ، من غير أن يُنْقَصَ من أجره شيء)[2] .

أيها المسلمون . كان رسول الله ﷺ أرحم الناس للناس ، وكان أصدق الناس ، وأشجع الناس . كان إذا جاء شهر رمضان ، أطلق كلَّ أسير ، وأعطى كل سائل ، ورحم المسكين والأرملة وابن السبيل ،

---

١ ــ سورة البقرة (١٨٣) .

٢ ــ رواه ابن خزيمة عن سلمان الفارسي ، قد تقدم بتمامه وزاده البيهقي وابن الشيخ في الثواب باختصار .

وواسى كل مجروح ومكلوم ، وقدّم الماء والكلأ للإنسان والحيوان . وهكذا كانَ أصحابُه من بعده رُحماءَ بالناس ، يعطفون على كل فقير ومسكين ومحتاج . وفي شهر رمضان ، تتسع عطاياهم وهباتهم على غيره من الشهور . أما تجار ، اليوم فهم يتهيأوون للغلاء والاحتكار ، ورفع الأسعار .

أيها المسلمون . لكم من الله البشرى . ولقد مدحكم الله في كتابه فقال ﴿ **كنتم خيرَ أمة أُخرجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤمنونَ بالله** ﴾[1] .

يعني أن الله جعلكم أفضلَ أمة ظهرت على وجه الأرض ، لأن من صفاتكم أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بربكم على الوجه الحق . ولقد خصكم الله بهذا الشهر العظيم ، الذي يشتمل على فضائل كثيرة ، يشتمل على الرحمة والعتق والكفارة ، وقد أجزل الله لكم فيه الأجر والثواب ، بما تعملونه من صيام وقيام . يقول عليه الصلاة والسلام (لكل شيء باب ، وباب العبادة الصوم)[2] ويقول ﷺ (من صام يوماً في سبيل الله ، بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)[3] (أي سبعين عاما) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[4] . ذلك لأن الصوم يصفي الذهن ، ويكون سبباً في إشراق النور على القلب ، فينشرح الصدر للعبادة ، وتحصل الرغبة فيها .

---

١ — سورة آل عمران (١١٠) .

٢ — اخرجه ابو الشيخ في الثواب من حديث ابي الدرداء بسند ضعيف ، واخرجه ابن المبارك في الزهد .

٣ — متفق عليه والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري ولفظه : ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله ، إلا باعَدَ الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً .

٤ — متفق عليه . وابو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

واعلموا أيها المسلمون . أن في هذه الأحاديث بشائر متعددةً ، من النبي عليه الصلاة والسلام ، للمؤمنين من أمته ، الصادقة المخلصة ، بأن صيام رمضان على وجه التصديق واليقين ، والإخلاص لله وحده ، سبب لمغفرة ما وقع من الإنسان قبل صيامه ، وما تأخر منها ، إلى مثل ذلك اليوم من شهر رمضان المقبل ، واستغفر له كلَّ يوم سبعون الف ملك من صلاة الغداة إلى أن توارى بالحجاب . وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان ، بليلٍ أو نهارٍ ، شجرةٌ يسير الراكب في ظلّها خمسمائة عام)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام (الصيام والقرآن ، يشفعان للعبد يوم القيامة) يقول الصيام : (أيْ ربِّ منعته من الطعام والشهوة . فشفّعني . فيه ويقول القرآن ، منعته النومَ بالليل ، فشفِّعني فيه فيشفعان)[2] .

ويقول : (لكل شيء زكاةٌ ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر)[3] وورد أن موسى عليه الصلاة والسلام ، ناجى ربه ، فقال : إلَهي : هل أكرمت أحداً مثلَ ما أكرمتني ، حيث أسمعتني كلامك .؟ قال الله تعالى لموسى : يا موسى إن لي عباداً أُخرجهم في آخر الزمان ، فأُكرمهم بشهر رمضان ، وأنا أكون أقرب إليهم منك ، فإني كلمتُك وبيني وبينك سبعون ألف حجاب .

---

١ ــ رواه البيهقي عن أبي سعيد الخدري ، وأوله اذا كان اول ليلة من رمضان ، فتحت ابواب السماء فلا يغلق منها باب ، حتى يكون اخر ليلة من رمضان ، وليس عبد مؤمن يصلي ليلة فيها الا كتب الله له الفا وخمسمائة حسنة بكل سجدة ، وبنى له بيتا في الجنة من ياقوته حمراء لها ستون الف باب ، فكل باب منها قصر من ذهب موشح بياقوتة حمراء ، فاذا صام اول يوم من رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه الى ذلك اليوم من شهر رمضان ، استغفر له كل يوم سبعون الف ملك من صلاة الغداة الى أن توارى بالحجاب ، وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان بليل أو نهار ، شجرة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام .

٢ ــ رواه احمد والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، عن عبدالله بن عمر والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

٣ ــ رواه ابن ماجه عن ابي هريرة .

فإذا صامت أمة محمد ، وابيضت شفاهُهم ، واصفرّت ألوانهم ، أرفع تلك الحجب وقت الإفطار . يا موسى . طوبى لمن عطِشَ كبِدُه ، وجاع بطنه في رمضان ، فلا أجازيهم دون لقائي .

يا مسلمي هذا الزمان التعيس . يا شباب اليوم . يا شابات اليوم . صلّوا خمسكم وصوموا شهركم بإخلاص ويقين وإيمان ، وأدُّوا زكاة أموالكم ، فذلكم عليه مدار الإيمان ، بل تدور عليه رحى الإيمان . يقول ﷺ مصداقاً لذلك اسمعوا وعوا وتثبتوا ، عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث ، عليهن أُسّس الإسلام ، من ترك واحدة منهن ، فهو بها كافر حلال الدم ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المتكوبة ، وصوم رمضان)[1] .

فإن تجاوزتم حدودَ الله وتعديتم عليها . صدق عليكم قوله سبحانه وتعالى ﴿ ... ، ومن يتعدَّ حُدودَ الله فقد ظلم نفسه ، ... ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ ومن يتعدَّ حُدودَ الله فأولئك هم الظالمون ﴾[3] .

نعم . فإن أفطرتم نهار رمضان ، وتجاهرتم بالإفطار ، ذهبت حياتكم سبهللا . يقول ﷺ (من أفطر يوماً من رمضان ، من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر كلّه)[4] .

أيها المسلمون في زمن الكفران والإلحاد والجحود . إعلموا تماماً أن هذا الشهر أعظم الشهور يُمناً وبركة ، وأرفعُها منزلةً ومكانةً عند الله . هو شهر الأحداث التاريخية والانتصارات ، شهر أحلّه الله وعظّمه رسوله ، ﷺ وقدّسه المسلمون منذ قرونٍ . إنه شهر الصيام والقيام ،

---

١ ــ رواه ابو يعلي باسناد حسن ، عن ابن عباس .

٢ ــ سورة الطلاق (١) .

٣ ــ سورة البقرة (٢٢٩) .

٤ ــ رواه الترمذي ، واللفظ له ، بزيادة (وان صامه) وابو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي وذكره البخاري تعليقا . من افطر يوما من رمضان ، من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر ، وان صامه .

شهر الجود والكرم ، فيه منح الله نبيّه الرسالة ، ودعا الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، فيه كان نزول القرآن الكريم ، فيه كانت غزوة بدر الكبرى ، التي أعز الله بها الإسلام والمسلمين ، فيه العشر الأوائل والأواسط والأواخر ، فيه كانت مَواطِنُ انتصارات عديدة هائلة للإسلام والمسلمين ، وأهمها غزوة بدر الكبرى ، وإنتصارات صلاح الدين .

شهر أوله عيد واخره عيد ، تغلق فيه أبواب الجحيم ، وابواب الشرور والآثام ، وتصفَّد أي (تُغلُّ) فيه وتُقَيَّد مردة الشياطين ، وتفتح فيه أبواب الجنان ، وتبرز فيه الحور العين ، إلى غير ذلك من الخصائص والمزايا . فليت المسلمين اليوم يقْدُرُونه حقَّ قدره ، ليتهم ينزلونه منزلته اللائقة به ، ليتهم يحققون كلَّ ما فيه من فضائلَ وآداب ، إذن لتمنينا لهم شأناً غير هذا الشأن ، ولرجونا أن يكون لهم حال غيرُ هذا الحال ، ولكن هيهات هيهات أن يفعلوا .

يا مسلمون في أرض ليس فيها سميع ولا مجيب ، وبلدة ليس بها أنيس . ليس رمضاننا هذا بأول رمضانَ جاء وأطلَّ على المسلمين ، ولا بآخر رمضان سيجيء ، فكم جاء رمضان ورمضان ، وكم مضى رمضان ورمضان ، والمسلمون وقوف في مكانهم ــ إن لم يتأخروا ــ خلاعةً ومجون ، وتهتك واستهتار ، وإباحية في الأخلاق ، واستهانة بآداب الدين . وما الله بغافل عما تعملون .

إنما الأمم الأخـــلاق ما بقيت

فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبـــوا

إن في مجيئك وذهابك وإيابك يا رمضان ، لآياتٍ بيناتٍ لأولي الألباب ، وعظاتٍ بالغات لقوم يعقلون .

فالصائمون الأولون يا مسلمون . هم الذين صاموا بكلتيهم إلى الله ، فصامت بطونهم عن الطعام والشراب ، وصامت قلوبهم عن الحقد والمكر والحسد ، وصامت عقولهم عن الخداع والمداهنة . هم الذين صامت نفوسهم عن الشر والطمع ، وألسنتهم عن الكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ، وصامت عيونهم عن هتك أعراض المسلمين والحرمات . نعم . صاموا بآذانهم عن الفحش والسِّباب والخنا . يقول ﷺ (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر)[1] وأيديهم عن الغش والإيذاء ، وأقدامهم عن السعي الى الضرر والفساد . المؤمنون حقاً ، هم الصائمون حقاً . حتى إذا ما أذن المغرب أفطروا على الحلال من الطعام والشراب ، وأشركوا معهم إخوانهم في الله من الفقراء والمساكين والمعوزين ، ثم اتجهوا إلى بيوت الله ، فعمروها بالصلاة ومجالسة العلماء ، والذكر والتسبيح والتحميد ، والدعاء والاستغفار . فلا يزالون كذلك حتى مطلع الفجر . وهكذا كان نهارهم طاعة وصياما ، وليلهم سُجَّداً وقياما ، وبذلك لا ينتهي رمضان إلا وقد صفت أرواحهم ، وقوي إيمانهم ، وغفرت ذنوبهم ، رضي الله عنهم ، ورضوا عنه .

وبهذه الأعمال وأمثالها ، نصرهم الله على أعدائهم ، وحقق لهم كلَّ أمل ورجاء . ذلك لأنهم وقفوا جميعاً مع الله يداً واحدة ، وقلباً واحداً أمام جند الشياطين ، وأعوان الشيطان ﴿ ...، **أولئك حِزْبُ الله ، ألا إنَّ حزبَ اللهِ هُمُ المفْلحونَ** ﴾[2] الذين هيأ الله لهم وللمسلمين آنذاك ، جنداً من عنده ، وهم ملائكة الرحمن ، فحاربوا وقاتلوا معهم ، فنصرهم الله ، وأيدهم بروح منه ﴿ ... ، **ألا إنَّ نَصْرَ اللهِ قريبٌ** ﴾[3] .

---

١ — رواه الطبراني عن ابن عباس وقال الهيثم رجاله رجال الصحيح ،وبقيته: «وحرمة ماله كحرمة دمه».
٢ — سورة المجادلة (٢٢) .
٣ — سورة البقرة (٢١٤) .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم . أدعوا الله . وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، جعل الصيام جُنَّة للمؤمنين ، أي وقايةً وستراً وحصناً من الأهوال والنيران ، فضلَّه برحمته الواسعة على كثير من الأعمال ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، المتفضلُ على عباده بالقبول ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، مفتاح الوصول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . فيا أيها المسلمون . ليس الأسف والأسى على دنيا مصيرها الخراب والزوال ، إنما التأسف والتحسر على قلوب ضربت عليها الغفلة خيامها ، فغفلت عن ربها ، فأكلت وشربت يوم صيامها ، أجل . إن الأسف كلُّ الأسف ، على عقول ذَهَلْت عن يوم المعاد ، يوم الفزع الأكبر ، وغفلت عن أهواله ودواهيه . نسيت وقوفها يومئذ حائرة ذليلة يوم المآب . فمالكم أيها الناس . وقد أصابتكم القَسْوَةُ والنَسْوَةُ كل منكم قد أضاع عمره وشبابه . تعمُرون الدنيا وتصلحونها ، ولا تعمرون الآخرة ، وهي دار القرار ..! تركتم دينكم جملة واحدة ، وما منكم من أحد ، إلا وهو مُرَاءٍ أو كذابٌ ، أو دجال ، أو نمام ، أو مغتاب .

تالله . لقد عظُم الأمر ، وعمت البلوى ، وجل الخطب والمصاب ، فلا شيْخٌ ولا شاب ولا شابة ، براجع عن ضلاله واحتياله وهواه ، ولمقتُ الله أكبر ، والتجاهر بالمعاصي ، فيه مقت الله وغضبه ، وذلك من أعظم الأسباب . فاحذروا الدنيا وتقلباتِها بأهلها ، ولا تكونوا كمن اتخذ إلهه هواه . بادروا يا قوم بالمتاب ليوم المآب ، وإياكم والتسويف بالتوبة ، والرجوع إلى الله ، فإن الأيام تمرُّ بكم مَرَّ السحاب .

فاتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعنا على صيام شهر رمضان وقيامه ، وباعد بيننا وبين الفتن الظاهرية والباطنية ، واجعلنا من الصائمين القائمين فيه ، بحق ويقين وإخلاص ، يا أكرم الأكرمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين ، واجمع شملهم على العمل بكتابك وسنة رسولك يا رب العالمين ، اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك الحسين بن طلال .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ - سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ - سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثمانون بعد المائة :

٧ رمضان ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/٨/١١

« من ثمرات الصيام وفوائده »

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على حبيبك ورسولك المصطفى ، وعلى آله وصحبه أولي الوفا ، الذين قاموا بعبادة ربهم حق القيام ، وصاموا شهر رمضان معتزين بربهم ، وكان ربك قديرا ، وكان لهم نصيرا .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم لا تجعلنا من الغافلين . ﴿ **...رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، الذي جعل الصيام من أشرف العبادات ، وأعظم القربات ، فيه تتجلّى عبودية الصائم إلى ربه ، وافتقارُه إلى خالقه ، وصبره على بلائه ، سبحانك ربي ، ما أرحمك بعبادك ، وما أشدّ بطشك

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

على أعدائك ، أحللت لهم الطيبات في كل وقت وحين ، إلاَّ نهاراً في شهر رمضان ،فقلت : ﴿ ... **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين** ﴾[1] وقلت ﴿ ...، **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهُنّ وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبيّنُ الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾[2] .

وما فعل الله ذلك بكم ضناً منه عليكم ، ولا سُخطاً ولا غضباً ، ولكن ليهيِّء نفوسكم إلى تقواه ، ويعوِّدكم الصبر على محن الأيام وصُروف الزمان ، وليميز بين الخبيث والطيب ، ومن يخافه بالغيب ، إنه حكيم خبير . أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك ، لا شريك لك في تدبير مُلكك ، ولا مشرِّع للناس سواك . أمرتنا بصيام شهر رمضان ، الذي أُنزل فيه القرآن ، ووعدتنا عليه الأجر العظيم ، فصدعنا بأمرك وصدّقنا وعدك ، فأثبنا فيه ثواب الشاكرين ، وغفران الذاكرين الصابرين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، الذي كان يخُصُّ رمضان بما ليس في غيره ؛ من صلاة وصدقات وهبات ، وبرٍّ بالفقراء والمساكين . صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، الذين آثروا رضاءَ الله على شهوات نفوسهم فراحوا من الدنيا مأجورين وعلى سعيهم مشكورين .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . فقد أُهِل بكم هلالُ رمضان ، وحلّ بكم ضيفاً كريماً ، فلا تردُوه . ولا تُخزوه . ذلك الشهر الذي نزلت فيه الهداية الإسلامية ، تلك هي آيات القرآن هُدىً للناس ، وبيناتٍ من الهدى والفرقان ، فيه فرَّق الله بين عهد ، وعهد وبين أمة وأمة ، وبين

---

١ — سورة الأعراف (٣١) .

٢ — سورة البقرة (١٨٧) .

الوثنية والتوحيد ، والوحدة والفُرقة ، فرّق بين الحق والباطل ، وبين الفضيلة والرذيلة ، والوحشية والإنسانية ، هدى الله قلوباً غُلفاً ، وعيوناً عُميا ، وآذاناً صُمّا ، هدى الله به الضالين ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم . ومن الإشراك إلى التوحيد ، وجعل الأميين علماء نابغين ، اضاءت عبقرياتهم الدنيا وما فيها . وانتفع العالم بمواهبهم ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر ...** ﴾ (١) .

ﷺ ما أجمل هذا الشهر ، وما أروعه وأعظمه ، يحرم في نهاره المسلمون أنفسهم الطعام والشراب ، وكلّ ما فيه لذةٌ وانتفاع للأجسام ، متشبهين بالملائكة المقربين ، الذين لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وفي ليله يصفُّون أقدامهم في الصلاة ، كالمجاهدين في سبيل الله ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ (٢) .

مفترشين جباههم وأقدامهم وأكفّهم ، ضارعين إلى الله فما من سمعٍ ولا بصرٍ ولا يدٍ ولا قدم ، إلا وهي ﷺ .

قل لي برك أيها المسلم . أي شيء أجلُّ وأعظمُ من ترك المسلم طعامه وشرابه وشهوته امتثالاً لأمر ربه ، ورهبةً من عقابه ، ورغبته في ثوابه ، وليس عليه رقيب غيرُ خالقه ، ولا مُشرفٌ عليه إلا ربُّه ، وفي متناول يده طعام شهيٌّ ، وماءٌ روي والتمتع بالنساء .؟ فيأبى أن يفعل ذلك كلّه امتثالاً لأمر الله ، ووفاءً بعده .

---

١ ـــ سورة آل عمران (١١٠) .

٢ ـــ سورة الصف (٤) .

ولهذا فقد جاء في الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، لخلوف فم الصائم (يعني الرائحة الكريهة التي تُشم من فم الصائم) أطيب عند الله من ريح المسك » يقول الله عز وجل : ﴿ إنما يذر (أي يترك) طعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به ﴾ يعني أن جميع العبادات يُحتمل أن يكون فيها سمعة ورياءٌ إلا الصوم ، فإنه سرٌ بين العبد وربه . ولذلك يتولى الله جزاء الصائمين بالإكرام والإنعام ، علماً بأنه سبحانه هو المجازي على جميع الأعمال .

أيها المسلمون الصائمون . من الواضح حقاً أن الصيام الذي يريده الله منكم ، ليس هو عن الطعام والشراب ، والتمتع الجنسي فحسب ، وإنما الصيام هو كفُّ الجوارح جميعها ، من لمس وسمعٍ وبصر وبطش ومشي ، كفها ومنعها عن المعاصي ، يغضُّ بصره عما حرَّم الله ، يوقف سمعه على العلم والفقه في الدين ، وسماع القرآن ، وكلِّ ما فيه خير الدنيا والآخرة ، وما إلى ذلك من بقية الحواس . فإذا لم يصنُ الصائمُ جوارحه ويطهّرها من ارتكاب الذنوب والفواحش ، وإذا لم يطهر باطنه ، من الغلِّ والحسد والأحقاد والغِشِّ للناس في معاملتهم معه ، والملِق والنفاق والخداع ، فليس له ثوابُ صيامه ، ولا ترجى له رحمةُ ربه . إذ قد ورد (كم من صائم ليس له من صيامه ، إلا الجوعُ والعطش ، وكم من قائم ليس له من قيامه ، إلا السَّهرُ والتعب)[1] .

وفي حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : (من لم يدع (أي من لم يترك) قول الزور والعمل به ، والجهل ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[2] . هذا أيها

---

١ — اخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة .

٢ — اخرجه البخاري والامام أحمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .

المسلمون . وللصيام فوائدُ كثيرة ، ومنافع جمّة كثيرة منها فوائد صحية ، وهي تطهير المعدة من الرواسب ، التي تتبقى من عُصارة الطعام ، ففيها سمُوم قتاله لا تهضمها المعدة ، لأنها طعام مهضوم ، لا يُهضم مرة ثانية ، ومنها فوائد اجتماعية ، وهي المساواة بين الأغنياء والفقراء ، والسُّوقة والملوك ، والحكام ، فكلهم يصومون في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، لا يتقدمون ولا يتأخرون . هذا إذا أرادوا أن يصوموا .

ومن الفوائد الصحية ؛ تسكينُ الغريزة الجنسية ، لمن يقدر على الزواج . روى الشيخان عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءَةَ ، (أي النكاح والتزوج) فليتزوج فإنه أغَضُّ للبصر ، وأحصنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وِجاءٌ »[1] (أي قاطع للشهوة) .

أيها المسلمون . أحداث شهر رمضان كثيرة ، وإذا كانت الأشهر والأعوام تتفاضل بما يقع فيها ، فإن من أحداث شهر رمضان ، الذي مضى مع الزمان ، تلكم الأحداث التي وقعت عَبْر التاريخ ؛ فتحُ مكة المكرمة ، سُرّة الدنيا بأسرها ، وواقعة القادسية ، وفتح جزيرة رودس ، وفي شهر رمضان نفسه سنة أربع وثمانين وخمسمائةٍ هجرية ، هاجم البطل صلاح الدين الأيوبي ، الملك الصالح العادل الظافر جيوش الصليبيين الغاشمين المستعمرين ، في سوريا ، وهزمهم شر هزيمة ، وعادت إلى دمشق آنذاك صبغة الإسلام . وفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ردَّ صلاح الدين رضي الله عنه ، جموع الصليبية المستعمرة عن مدينة صور في لبنان ، في شهر رمضان . وهناك أحداث كثيرة مليئة بالانتصار ، وقعت في شهر رمضان .

---

١ ــ متفق عليه ، من حديث ابن مسعود .

أيها المسلمون في زمن الخنوع والاستسلام . لعل حكامنا وقادتنا ورؤساءنا ، في هذا الزمان المنحوس ، يأخذون العظة والعبرة ، ويتلقون دروساً ناجعة ، من جهاد محمد ﷺ وأصحابه ، ولعلهم يحذرون ، ويحسبون للمستقبل حسابه ، فيجمعون أمرهم ، ويتكاتفون ويتحابون ، ويرجعون إلى ما كان عليه الملك الصالح صلاح الدين ، ويعملون على استرجاع الوطن المسلوب ، المغلوب بمقدساته ، ولكن أنى لهم الذكرى ، وهم في سُبات عميق ، وفي سكرة عميقة ، في حب هذه الدنيا الغرورة الغدارة .

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ... شرك الردى ومرارةُ الأكدار
دار إذا ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً تباً لها من دارِ

ويطيب لي بهذه المناسبة ، عند ذكر صلاح الدين ، أن أذكر هذين البيتين على سمع الناس قاطبة :

يا صلاح الدين قم وانظر الى ... حالة في القدس تستبكي العيون
بُدِّلَ العهدُ الذي أسسته ... ذلَّةٌ واستاسَدَ المستعمرون

ولعل شعبونا هنا وهناك تصحو من غفلتها وكبوتها ، فلا يفرط شعبنا نفسه في أرضه ووطنه المحتل ، لدخيل ولا لمغتصب .

أيها المسلمون . هذا هو رمضانكم وأحداثه ، فصححوا صيامكم فيه ، وثابروا على قيامكم بصدق وإخلاص ، فما صام والله من كذب أو غشّ أو اغتاب ، أو سعى في الوشاية والسعاية ، أو سعى بالنميمة بين الناس ، ولا رأى خيراً ولا سعادة من رفع الأسعار في هذا الشهر ، واحتكر طعام المسلمين .

يقول ﷺ (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب)[1] أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله الكريم المفضال ، ذى الفضل والنوال ، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبيرُ المتعال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجهم ، وعمل بدعوتهم ليوم المآل .

وبعد . فيا أيها المسلمون . اتقوا ربكم ، واعملوا صالحاً ، هذه هي العشر الأوائل ، ذاتُ الأحداث العجيبة والغريبة ، وعما قريب ستحِلُّ بكم العشر الأواسط ، وفيها ما فيها من الأحداث ، من نزول القرآن ، ويوم الفرقان ، الذي فيه غزوة بدرٍ الكبرى ، التي أعز الله بها الإسلام والمسلمين . استقبلوها بقلوب ملؤها الإيمان . ولكن أين هم العابدون حقاً .؟ أين هم الصائمون حقاً .؟ الخاشعون حقاً .؟ أين هم الذاكرون حقاً .؟ أين هم اللائذون بالجنات العظام .؟ أين هم الواقفون على أبواب الملك العلام .؟ لينالوا مزيد الخيرات والبركات ، أين هم الرُّكَّعُ السُّجودُ .؟

اتقوا الله حق تقواه . وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً . قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الحبيب المحبوب ، شافي العلل ومفرج الكروب ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

---

١ ـــ تقدم مراراً .

٢ ـــ سورة الاحزاب (٥٦) .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

إنا ندعوك دعاء من يرجوك ويخشاك ، ونبتهل إليك ابتهال من لا يعبد سواك ، ورحمتك يا مولانا تسعُ من أطاعك ومن عصاك . اللهم فتداركنا هنالك برحمتك الواسعة يا رب العالمين ، اللهم إنا نسألك ياذا الفضل العظيم . ياذا المِنّه والكرم الجسيم . أن تجعل رمضاننا هذا رمضان نصر وعزة وكرامة ، واسترجاع الوطن والمقدسات ، وان تجعله شهر خلاص من شرور الصهيونية العاتية ، والمستعمرين في جميع بلاد الإسلام والمسلمين . اللهم ياذا المنّ ياذا الجلال والإكرام . أسألك أن تؤلف بين القلوب المتباغضة المتناحرة المتبعثرة يا أكرم الأكرمين ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال يا أرحم الراحمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾ [1] .

* * * * *

* * *

*

١ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والثمانون بعد المائة :

٢٨ رمضان ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/٩/١

(هنيئاً للصائمين والقائمين)

أحمدك ربي على آلائك ، وأشكرك على نعمائك ، تائباً من ذنبي ، ومستغفراً ، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى ، خير من صلى وصام وقام ، وعلى آله وصحبه ، ذوي الولاء والإخلاص والاعتصام .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم علمني ما ينفعني ، وانفعني بما علمتني ، وزدني علماً . اللهم رحمتك أرجوْ ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، واصلح لي شأني كله ، لا إله أنت .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، عاملني بما أنت له أهل ، ولا تعاملني بما أنا له أهل . إنك أهل التقوى وأهل المغفرة ، يا من لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله ، زين قلوب المخلصين بالايمان ، وألبسهم حلية التقوى ، وشرح صدورهم للعمل بالقرآن ، واتباع هدي سيد الأنام . الحمد لله الدائم فلا يزول ، الباقي على الدوام فلا يتغيّر ، (أحمده) وأستعينه ،

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

وأسأله المزيد من فضله ، وأشهد أنه القادر ونحن العاجزون ، وهو الغني ونحن الفقراء ، وهو القوي ونحن الضعفاء ، نسألك يا رب ، أن تعاملنا بلطفك ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، سيد الصالحين ، وأفضل الراكعين والساجدين . جعلته ربنا نبي الرحمة ، والشفيع للأمة ، بنوره نور قلوبنا ، وبسره ثبت أقدامنا ، وبجاهه أحسن ختامنا ، وتقبل منا أعمالنا ، وعلى آله وصحبه ، الذين تاجروا مع الله بطاعته ، فربحوا جنات النعيم ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، وفازوا بالفضل العظيم .

أما بعد ، فقد قال الله الحكيم العليم ، بما في السرائر والنفوس ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[1] . ترشدنا هذه الآية إلى أن الله سبحانه وتعالى ، مع الذين اتقوا ، والذين اتقوا هم الذين عظّموا أمر الله ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته ، والذين هم محسنون ؛ هم أهل الشفقة والرحمة على خلق الله ، باحترام الحقوق ، وحسن المعاملة ، ومعنى (مع) المعنية في قوله (مع الذين اتقوا) انه يتولى المتقين بالحماية والرعاية والاحسان والهداية ، ومن كان الله معه ، فقد ربح كل شيء ، وفاز فوزاً عظيماً ، ومن طرده الله من معيته ، حيث تلبس بالتقوى ظاهراً رئاء الناس ، فقد خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين . ليتنا معشر المسلمين اتقينا الله في أقوالنا وأفعالنا ، وليت حكام المسلمين اتقوا ربهم ، ولم يفرطوا في التراب الطهور ، في ارض الأقصى المبارك . ليتهم وليتهم . ليت أبناء المسلمين اتقوا ربهم ، وتباعدوا عن الفواحش والكبائر ، لكان الله معهم بالنصر والمعونة ، والفضل والعزة والكرامة والتأييد .

---

١ ـــ سورة النحل (١٢٨) .

أيها المسلمون . أيها الصائمون . ها هو ذا شهر رمضان شهر الصيام والقيام قد مضى ، ولم يبق منه الا القليل ، وها هي ذي الأيام تمر ، والعمر ينقضي ، والحياة تزول ، ولا يبقى الا صالح عملته أو معروف أسديته ، أو إحسان قدمته ، ينفعك يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

قل لي بربك . هل اتقيت الله في هذا الشهر ، وقمت بحقوقه .؟ وحافظت على آدابه وعملت بشروطه .؟ هل دفعت الظلم عن مظلوم .؟ وهل أحسنت فيه المعاملة مع خلق الله تعالى ، واحترمت حقوقهم .؟ واعلموا أيها الصائمون . أن الصيام ينوّر القلوب ، ويهذب النفوس ، ويقوي العزائم ، يُعرِّف العبد مقدار نعم الله عليه ، ويملأ قلبه رحمة بالضعفاء . فهل استنار قلبك في شهر رمضان بعد ظلمة الشهوات والعصيان .؟ هل تهذبت بالصيام نفسك ، وقويت عزيمتك .؟ هل عرفت مقدار النعمة بفقدها ، فشكرت عليها مولاك .؟ هل امتلأ قلبك رحمة بالناس ، فعطفت على الأرامل واليتامى .؟ أم قسا قلبك ، ونسيت ربك هل رحمت أيها الحاكم في امته ، الراعي لرعيته ، تلك الأمة المسكينة ، أم تركتها تحت رحمة انسان الغاب .؟ انسان اليوم ، الذي لا يعطف ولا يرحم . هل تشبهت واقتديت أيها الحاكم براعي المسلمين الأول .؟ ألا وهو سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الذي كان إذا دخل شهر رمضان ، اطلق كل أسير ، واعطى كل سائل . ولله درك يا عمر يا ابن الخطاب . لقد كان في خلافته ، إذا وقع بالناس كرب أو بلاء ، لبس ثوبا قصيرا ، وخرج باكيا ، يجأر الى الله برفع البلاء عن الأمة ، ويبقى على ذلك . حتى يرفع الله البلاء .

أيها التاجر الجشع . لقد ملأت قلبك نارا ، بقسوتك على عبادالله .فلم ترحم شيخاً كبيراً ، ولا طفلاً ولا امرأة ، ولا يتيماً بغلاء أسعارك ، والويل لك كل الويل . تالله لو كان قلبك قد استنار ، وتهذبت نفسك ، لظهر ذلك من أقوالك وأفعالك ، ومعاملاتك للناس أجمعين . وأسفاه وواعجباه كيف يهذب انسان كانت نفسه وقت الصيام في ملل وسآمة .؟! وهذا شأن من لم يذق حلاوة الايمان ، ولم يخلص في العمل لمولاه . قلها بصراحة ، أما كان البعض منا ينتظر انقضاء الشهر باليوم والساعة .؟ وذلك من علامات الغافلين .! وكيف يرجو أجر الصيام ، من يضجر منه لطول يومه .؟ أم كيف يطمع في الاعتاق من النار ، من يستكثر على نفسه صيام شهر في العام .؟ أم كيف يفوز بالعفو والغفران ، من كان فظاً غليظ القلب ، بذيء اللسان ، قاسياً جافياً .؟

يا هذا . كيف تستطيل أيامه ، وهو يصلح قلبك ويهذب نفسك .؟! كيف تستثقل صيامه وهو يصحح الابدان ويجلب الغفران .؟! والرسول ﷺ يقول : (صوموا تصحوا)[١] واغزوا تغنموا ، وسافروا تستغنوا)[٢] أم كيف تسأم من شهر أنزل فيه القرآن ، وكان فيه يوم الفرقان ، بغزوة بدر الكبرى ، التي أعز الله فيها دين الاسلام . أما الفتوحات والانتصارات والكرامات ، التي كانت فيه ، فحدث عنها ولا حرج . وقد ذكرناها لكم آنفاً ، أول شهر الصيام أيها الصائم . لقد مضى شهر الصيام ، فهل صمت أيامه ، وقمت لياليه فأحييتها بتلاوة كلام الله ، الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين .؟ هل أحييت ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر .؟ التي قال فيها رسول الله ﷺ (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[٣] .

---

١ ــ رواه ابن السني وابو نعيم في كتاب الطب عن ابي هريرة قال العراقي : سنده ضعيف .

٢ ــ رواه ابن السني وابو نعيم البيهقي وابن عدي والامام احمد عن ابن عباس سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا ورواية البيهقي سافروا تصحوا وتغنموا وسنده ضعيف .

٣ ــ رواه البخاري عن ابي هريرة ورواه الثلاثة .

يا فوز عبدٍ قد رآها مرة
في عمره ، إذ أدرك المأمولا
من قامها يغفر له ما قد مضى
من ذنبه وينال فيها السُّولا
فاجهد ، عساك تنالها فيما بقى
بالجد واحذر أن تكون غفولا
واسأل إلهك بِرَّه ونواله
يعطيك فضلاً من لدنه جزيلا

أيها الصائم . انقضى شهر العفو والصفح ، فهل عفوت فيه عمن ظلمك ، أو صفحت عمن أساء إليك .؟ انقضى شهر التوبة والقبول ، فهل صرت من التائبين والمقبولين .؟ كيف يرحم من أطلق لسانه بالكذب والغيبة والنميمة والفُحش ، ولم يستح من خالق الأرض والسماء .؟ وكيف يحسب من المرحومين ، من إذا جَنَّ عليه الليل . اشتغل بالطعن في أعراض الناس ، واشتغل باللهو عن الطاعة ، واستماع مجالس العلم ، وتلاوة القرآن .؟ وحبذا لو قبل الله منا مجلس علم واحدٍ ، بصدق وإخلاص ، فكثير ممن يتلون كتاب الله ، ويقرءون على الناس مادة علم أو إصلاح ، ولكنه ـ ويا للأسف ـ لا يجاوز حناجرهم .

أيها الصائم . هذا يوم وداعك لشهر رمضان . هذا يوم بكائك على ما فرط منك فيه . فبأي شيء تودعه ، وأنت لم تُحْسِنْ معه مدة الإقامة .؟ بأيِّ وجه تقول الوداع ، وأنت تودعه بالكراهة والسآمة .؟ كيف تفرح برحيله ، وهو عليك من الشاهدين ، بين يدي أحكم الحاكمين .؟

فيا أيها الصائمون . اتقوا الله وراقبوا ربكم ، وتداركوا ما فرط منكم ، بالتوبة وصالح الأعمال ، فلا تكونوا ممن عبدالله في شهر رمضان ، وترك عبادته في غيره من الأشهر والأيام . وغداً ترى المساجد ، لم يبين فيها إلا القليل .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولـم يسـمر بمَكّةَ سـامِرُ

وأحيوا ليلة القدر فيما بقي ، فإن الأعمال بخواتيمها . فالنصوص الشرعية ، اشارت إلى أنها في العشر الأواخر . صلوا الأرحام ، واسوا الأرامل والأيتـام ﴿ ... ، إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السَّيئاتِ ، ذلكَ ذِكرى للذاكرين ﴾[1]. وأخرجـوا صدقة الفطر فقد قدرت بثلاثين قرشـاً ومـن زاد زاد الله البركة في ماله ﴿ ... ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فهوَ خيرٌ له ، ... ﴾[2] فإن صوم رمضان كما قال عليه الصلاة والسلام ، معلق بين السماء والأرض ، حتى تؤدى صدقة الفطر . وهي تجبر الخلل الحاصل في الصيام . كجبر سجدتي السـهو ، للخلل الحاصل في الصلاة ، ولا تدفع صدقة الفطر ، ولا الزكاة نفسها ، للأصول ، ولا للفروع ، أي لا تدفع للآباء والأجداد ، ولا للأبناء والبنات . وادفعها للأقارب فهي صدقة وصلة[3] .

يقول ﷺ اغنوهم عن ذل السؤال ، في هذا اليوم . أي يوم العيد . فإن صدقة الفطر والإحسان ، وسيلةٌ لقبول الصيام ، واسعوا

---

١ - سورة هود (١١٤) .
٢ - سورة البقرة (١٨٤) .
٣ - روى مسلم عن أبي هريرة دينار انفقته في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك ، اعظمها اجراً الذي انفقته على أهلك ، وروى النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحهما الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صفتان صدقة وصلة .
٤ - رواه الحاكم عن ابي بن مالك قال ابن حجر سنده ضعيف .

في إصلاح ذات البين يوم العيد . وليستحل كل منكم من ظلمه ، ويستعطف من أساء إليه ، وليُحسن ، كما أحسن الله إليه ، ولا زيارة للنساء لقبور الموتى . أما الرجال فلا بأس بزيارتهم للموتى ، بأدب وخشوع ، وتذكر للموتى .

يقول ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تُرق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هجر)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (يا أيها الناس أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام)[2] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله يحب المطيعين ، ويكافىء المخلصين — ويضاعف برّه للعاملين . أشهد أن لا إله إلا الله ، أكرمنا بالإيمان ، وشرّفنا بأن جعلنا من أمة القرآن . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، رغبنا في طاعة ربه ، وبين لنا طريق الفوز والفلاح ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد . فيا أيها المسلمون . إن الأمر لخطيرٌ جداً ، وإن موقفاً من مواقف يوم القيامة ، تشيب فيه الولدان . لو كنتم تعلمون وتُصدقون . وتستغيث من هوله الخلائق ، من إنس وجان . يوم تمور فيه السماء مَوْرا ، وتسير فيه الجبال سيرا ، وتذهل فيه المراضع عن رضيعها ، وينسى الوالد ولده ، والابنُ أباه ، يوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ﴿ **يوم ترونها تَذْهَلُ كلُّ مُرضعةٍ عمَّا أرضَعَتْ وتضعُ كلُّ ذات حَمْل حَمْلها وترى الناسَ سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديدٌ** ﴾ .

---

١ — سورة الحج (٢) .

فيا أرباب الذنوب العظيمة . الغنيمة الغنيمة ، والمنحة الجسيمة ، إن كانت الرحمة للمحسنين . ويا أيها العاصي ــ وكلنا كذلك ــ لا تقنط من رحمة الله لسوء أعمالك . فكم من مُعْتَقٍ من النار ، في هذه الأيام والليالي من أمثالك . فأحسن الظنّ بمولاك ، وتب إلى الله ، فإنه لا ينساك . يا قليل الاعتبار . وقد سمع ورأى ، يا طويل الأمل . وقد نآى ، يا مشغولاً باللهو . مفتوناً بالمنى ، مع أنك توقن بأن عقباه الفنا . إرجع إلى مولاك ، لعله يرضاك ، فواعجباً أيخرج رمضان وما أُبْتَ وما رجعت .؟! هذا هو والله هو العمى . فاجتهد في لحاق القوم ، فقد جدُّوا . فيا أيها المسلمون . ودعوا شهر رمضان ، فقد ذهب وانصرم .

دع البـــكاءَ على الأطـلال والدارِ
واذكر لمن بـان من خل ومن جارِ
واذرِ الدموعَ نحيباً وابكِ من أسف
على فراق ليالٍ ذات أنــــوار
مـا كـان أحسننا والشـــملُ مجتمعٌ
منـا المُصلّي ومنا القانتُ القـاري
ترجـو الإلـه محبّ العفـــو يعتقنا
ويحفـظ الكل مـن شر وأكـــدارِ
ويُرجِـعُ القـدسَ في عزٍ ومكرمـة
حتى نكـون جميعاً مثل أقمـارِ
فابكوا على ما مضى في الشهر واغتنموا
ما قد بقي فهو حـق عَنْكُمُ جاري

يا شهر الصيام ترفق . فهذه دموع المحبين تدفق ، قلوبهم من ألم الفراق تشقق ، عسى وقفة الوداع ، تطفى من نار الشوق ، ما أحرق ؛ وعسى منقطع عن ركب المقبولين للحق يلحق . السلام عليك يا شهر الصيام ، السلام عليك يا شهر القيام ، السلام عليك يا شهر الإيمان ، السلام عليك يا شهر الدرجات ، السلام عليك يا شهر النجاة من الدركات ، السلام عليك يا شهر الأنوار ، السلام عليك يا شهر العفو والغفران ، السلام عليك يا شهر التائبين القانتين ، السلام عليك يا شهر المتهجدين ، السلام عليك يا شهر العابدين العارفين ، السلام عليك يا شهر الأمان ، السلام عليك يا شهر التراويح والمصابيح ، والعيون الساهرة ، والعيون الهاطلة ، والمحاريب المتعطرة ، والدموع المنسكبة ، والقلوب المتعطرة ، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة ، كنت للعاصين حبساً ، وللمتقين أنساً .

عباد الله اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه في السر والعلن ، ما ظهر منها وما بطن ، وحافظوا على الفرائض والسنن ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، والف بين قلوب هذه الأمة .

اللهم اجعل شهرنا هذا شاهداً بأداء فرضك ، ولا تجزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك ، ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد ، ولم يُرضك ، ولا تؤاخذنا بما قصرنا فيه من صيامه ، ولا تحملنا مالا طاقة لنا بِهِ . اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، واختم شهرنا بغفرانك ، وجد علينا بألطاف إحسانك ، واجعل مآلنا إلى جنانك .

اللهم ألهمنا الشكر على ما قدرنا على صيامه ، واعد علينا شهر رمضان أعواماً عديدة مديدة متوالية ، وارزقنا الزهادة في الدنيا الفانية . ربنا وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾ [1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية والثمانون بعد المائة :

٣٠ شوال ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/٩/٢٢

« نسألك اللهم فرجاً قريباً »

أحمدك اللهم ، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، وأتوب إليك ، واستغفرك من جميع الذنوب والآثام ، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد سيد الأنام ، وعلى آله وصحبه ملكة الرجال ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، عمده وخطأه ، سره وعلانيته ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾ [1] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله العلي القدير ، الذي يرفع عن عباده البلاء ، ويزيل عنهم الشدة ، ويبدلها رخاء ، سبحانه من إله قادر حكيم رحيم ، قادرٍ على تفريج كربتنا ، وكشف غمتنا ، يخفض ويرفع . ويعز ويذل ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . أشهد أنك الواحد الأحد ، المنفرد بالحكم والسلطان ، مشيئتك هي النافذة ، وإرادتك هي الماضية ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، لقي شدة في الدعوة إلى الحق ما بعدها شدة ، فلم يهن ولم يضعف ، بل جاهد جهاد الأبطال ، وصبر صبر

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

الكرام ، ففاز بالنصر والتأييد من الله العزيز الحميد ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، حُماةِ الإسلام ، وهداة الأنام .

أما بعد فيا أيها المسلمون . فقد ورد في الحديث الشريف ، عن النبي ﷺ إذ يقول لابن عباس ، رضي الله عنهما (واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا)[1] .

أيها المسلمون . في هذا الزمان القاسي . الشدائد والكُربات تصهر الرجال ، وتظهرُ الأبطال ، والدنيا يا قوم تارةً رخاءٌ ، وآونةً بلاءٌ . والعاقبة الحسنى للعاملين الصابرين المتقين . روى الطبراني بسنده عن أبي أمامة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله تعالى يُجرِّبُ عبده بالبلاء ، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار . فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، لا يربدُ (أي لا يتغير) وإن وقع في الشدائد ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرجُ أسودَ محترقا) .

أيها الناس . لم يضمن الله لأحد في هذه الحياة الدنيا أن تجري أموره على نسق واحد ، سُداه النجاح ، ولُحمتُه التوفيق ، وحواشيه السعادة والرضا والطمأنينة والأمن ، ولو شاء الله لفعل ، ولكنها الحكمةُ ، قضت أن يكون الناس بين قبض وبسط ، وعطاءٍ ومنع ، وغنى وفقر ، وصحة وسقم ، وعز وذل ، وفراغ وشغل ، وحرب وسلام ، واجتماع وافتراق ، وحب وبغض ، ورفع وخفض ، وغير ذلك من أعراض واختبار كل ذلك تحقيقاً لضعفهم أمام الربوبية ، وامتحاناً لهم بكلا الأمرين ، من نعمة ونقمة ، وتمحيصاً للصابرين ، وتمييزاً للمنافقين .

---

١ ــ رواه الترمذي والبيهقي عن ابن عباس بسند حسن صحيح .

هذه أيها المسلمون . سنة الله في خلقه ، ﴿ ...، **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلاً** ﴾[1] ﴿ **أحَسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنونَ . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ولنبلونَّكم حتى نَعْلَمَ المجاهدينَ مِنكم والصابرينَ ونبلُوا أخبارَكُم** ﴾[3].

أيها المسلم في زمانك هذا . إن الفتن التي يمتحن الله بها عباده كثيرة ذاتُ صُورٍ وألوان كما قال تعالى ﴿ **وآعلموا أنّما أموالُكُمْ وأولادُكُم فِتْنَةٌ ...** ﴾[4] وقال سبحانه ﴿ **وجعلنا بعضكُم لبعض فتنةً أتصبرون، وكان رَبُّكَ بَصيراً** ﴾[5] .

وهكذا يا مسلمون . فالمال فتنة ، والأولاد فتنة ، والفقر فتنة ، والغنى فتنة ، والصحة فتنة ، والمرض فتنة ، والجاه فتنة ، ومناصب الحاكمين فتنة ، ليرى هل هم صادقون ، أم كاذبون .؟ والنصر فتنة ، والكسر فتنة ، والثبات فتنة للعبد واختبار . والهزيمة في صفوف المسلمين فتنة واختبار .

أعود فأقول لكم ، أيها المسلمون . الحياة مليئة بالمتاعب ، إن صفت يوماً كدّرت أياما ، وإن أضحكت ساعة أبكت ساعاتٍ وأياما . كما قيل :

يا خاطب الدنيا الدنيّة إنهـــا ... شَرَكُ الردى ومـرارةُ الأكـدار
دارٌ إذا ما أضحكت في يومها ... أبكت غـداً فيالَها من دار

---

١ ــ سورة الاحزاب (٦٢) .
٢ ــ سورة العنكبوت (٢-٣) .
٣ ــ سورة محمد (٣١) .
٤ ــ سورة الأنفال (٢٨) .
٥ ــ سورة الفرقان (٢٠) .

وقد قيـل :

إذا الحادثـات بلغن النهـــى   فعنـــد التناهـــي يكون الفرج

وقيـل :

عسى الكرب الذي أمسيت فيـه   يكـون وراءه فـــرج قريـــب

ولكنها لا تدوم على حال ، كما قيل :

لكل شيء إذا ما تـــمَّ نقصـان   فلا يُغَـرَّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دول   من سرَّهُ زمن ساءتْه أزمـــانُ

أيها الناس . أيها المسلمون في كل زمان ومكان . لا تخافوا . إن الشدة يعقُبها رخاء ، وإن المرض يتبعه الشفاء ، وإن الفقر بعده غنى ، والعُسر يعقبه اليسر ، وإن الهزيمة يتبعها القوة والاستعداد ، وإن الكسر يتبعه النصر لا محالة . وخير ما يتوسل به العبد ، تقوى الله والاستعداد ليوم الميعاد . إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿ ...، **ومن يتَّقِ الله يجعلْ له مخرجاً** ﴾[1] ويقول ﴿ **ومن يتّقِ الله يَجعلْ له مِنْ أمرِهِ يُسْراً** ﴾[2] .

والرسول ﷺ يقول : (إتق الله حيثما كنت)[3] فاضرع إلى الله أيها المسلم . فقد ورد (أن الدعاء يرفع البلاء)[4] ولا تخدعنك الأقوال المعسولة المسمومة بترك الدعاء ، لأن الدعاء وارد في الكتاب والسنة والأحاديث الصحيحية ، وكما جاء في جوهرة التوحيد .

وعندنـا أن الدعـاء ينفـع   كما من القرآن وعداً يسمـع

---

١ ــ سورة الطلاق (٢) .

٢ ــ سورة الطلاق (٤) .

٣ ــ رواه الترمذي والامام احمد والبيهقي عن معاذ والحاكم عن أبي ذر .

٤ ــ رواه ابو الشيخ والديلمي عن ابي هريرة بسند حسن ، وهو الدعاء يردُّ البلاء .

سل ربك يا هذا بذلة وخضوع وانكسار ، لا بتكبر واشمئزاز واستكبار ، وقل مقالة أيوب ، عليه الصلاة والسلام ، الذي قال الله في حقه ﴿ **وأيُّوبَ إذ نادى رَبَّهُ أني مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الرَّاحِمينَ** ﴾[١] .

فنحن نشكوا لله ، ونقول مسنا الضر ، توسَّلْ إلى الله لصالح أعمالك ، ليرفع الله عنا بلاء المعتدين الأعداء ، تب إلى الله من ذنوبك ، وقل بقلب خالص مخلص (يا حيُّ يا قيوم . برحمتك أستغيث)[٢] قل يا أخي (يا مغيث المستغيثين أغثنا . كن قوي الإيمان بالله ، والثقة به ، وناجه بتلاوة كتابه ، وأطعه في السرِّ والعلن ، يكشف ما نزل بكم من ضُرٍّ ، ويبدل شِدتكم رخاءً ، ويجعل لكم من أمركم فَرجاً ومخرجا ، ويجعل عسركم يسرا ﴿ ... **ومن يتق الله يُكفِّرْ عنه سيئاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أجراً** ﴾[٣] .

أيها المسلمون . حقاً إن من نظر إلى الإنسان ، وفكّر في أحواله وطبائعه ، وجده كثير العجز ، قليل الصبر عند نزول الشدائد والبلاء . مع العلم بأن أيوب عليه السلام ، سأل ربه أن يكشف عنه الضرّ . نعم . لو نظر الإنسان إلى نفسه ، وجد نفسه كثير الغرور ، قليل الشكر ، يعجب بنفسه ، ويتعالى على غيره ، عند حصول الرخاء والنعماء . فإذا أصابه نوع مكروه ، كضيق وعسر ومرض وفقر ، وهزيمة وخيبة مع عدوه ، وغير ذلك من شدائد الدنيا ، استولى عليه اليأس ، وملكه الجزع ، وظهر ذلك على وجهه وجوارحه ، بالتغير والاضطراب . ثم إذا

---

١ ـــ سورة الأنبياء (٨٣) .

٢ ـــ وبقيته فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، واصلح لي شأني كله ، وهذه وصية رسول الله ﷺ لابنته فاطمة ، رضي الله عنها . رواه النسائي والحاكم والطبراني بسند صحيح .

٣ ـــ سورة الطلاق (٥) .

ثاب إلى رشده ، وعاد إليه صوابه ، أقبل على مولاه ، وأكثر من التضرع والدعاء له تعالى في جميع أحواله ، نائماً أو مضطجعاً ، قاعداً أو قائماً ، ساكناً أو متحركاً ، مجتهداً في التذلل والخضوع . طالباً منه إزالة تلك الشدة والمحنة ، وتبديلها بالنعمة والمنحة . فإذا ما استجاب له ربه ، وكشف عنه ما نزل به من شدة وبلية ، مضى في سبيله ، وعاد إلى سيرته الأولى ، واستمر على طريقته ، التي كان ينتهجها قبل أن يَمسّهُ الضُرُّ ويُصيبَه المكروه ، ونسي حالة الشدة والبلاء ، وأعرض عن شكر مولاه ، ولم يعرف نعمته عليه ، ونسي الدعاء وأعرض عنه ، كما قال تعالى ﴿ **وإذا مسَّ الإنسانَ الضُرُّ دعانا لِجنْبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضُرَّه مرَّ كأن لم يدعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه ، كذلك زُيِّن للمُسْرفينَ ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

وصفوة القول يا مسلمون . أن الإنسان جُبِل على الضعف والعجز والقلق ، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره ، كما جُبل على القلق والغرور ، والبطر والنسيان والتمرد والعتو ، فإذا نزل به البلاء ، حمله ضعفه وعجزه على كثرة الدعاء والتضرع ، وإظهار الخضوع والانقياد إلى الله تعالى . يقول عليه الصلاة والسلام (من سَرَّه أن يستجاب له الدعاء عند الكرب والشدائد ، فليكثر الدعاء عند الرخاء)[2] .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لِله ، شرع هذا الدين هدايـة للمؤمنين ، ووفق من شاء للتمسك بـه ، والتحلي بآدابـه ، فضلاً مـن الله ، ونعمـة ، والله عليـم حكيـم ،

---

١ ـــ سورة يونس (١٢) .

٢ ـــ رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح ، واقره الذهبي عن ابي هريرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، كتب رحمته للمتقين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الحافظين لحدود الله ، الصادقين الصابرين .

وبعد . فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصينَ له الدِّينَ حُنفاءَ ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ وذلكَ دِينُ القيِّمةِ** ﴾[1] .

عباد الله . اتقوا ربكم . وعودوا إلى دينكم ، يصلح لكم أعمالكم ، وينصرْكُم على عدوكم ، واعلموا ـــ عباد الله ـــ أننا نحن الأمة العربية الإسلامية ، وصلنا إلى نقطة لا يمكن المفر منها ، ولا يمكن الخلاص منها ، إلا بالرجوع إلى الله ، والتضرع والدعاء إليه ، فقد خذلنا حكامنا وساموا سوء العذاب ، فلا حاكم من حكامنا يرحمنا ، ولا مسؤول من أمتنا يسأل عنا ، ولا عدو يُنصفنا . أضاعوا منا أوطاننا ، وحرمونا مسجدنا الأقصى وقدسنا .

إن حكامنا لم يكتفوا بذلك ، فضيقوا على الشعب الخناق ، ولم يستطيعوا أن يقفوا في وجه عدونا ، فباعوا بلادنا بيع السماح ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، فقد فرضوا علينا ضرائب وأتاوى لا قبل لنا بها ، وشددوا علينا في ارتفاع الأسعار والغلاء ، إن هذا والله لهو البلاء المبين . إلى من نشكو يا رب أمرنا ، وأنت ربنا وولينا وحسبنا .

وما من يـد إلا يـد الله فوقهـــا
ولا ظالـــمٍ إلا ســـيبلى بأظلم

وعلى كل حال ، هي الدنيا تخفض وترفع ، وتعز وتذل .

علـــى عاداتها جـــرت الليـــالي
فـلا بـؤس يـــدومُ ولا ســرور

---

١ ـــ سورة البيِّنة (٥) .

اتقوا الله حق تقواه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم من شق عصا الطاعة وفارق الجماعة من حكام المسلمين ، فخذه أخذ عزيز مقتدر ، يا رب العالمين . اللهم بدد شمله وفرق جمعه ، واجعل الدائرة عليه وحده ، يا أحكم الحاكمين .

إلهي هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا عجزنا ظاهر بين يديك ، وهذه ذلتنا لا تخفى عليك . فأمهل حكامنا ولا تهملهم ، يا ناصر الحق المبين .

﴿ **.... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2]

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثالثة والثمانون بعد المائة :

٥ ذي القعدة ١٣٩٨هـ
١٩٧٨/١٠/٦

(الحج فريضة محكمة فيها متعة للنفس)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، أنت كما اثنيت على نفسك ، لا أحصي ثناء عليك ،وأُصلي واسلم على سيدنا ، محمد عبدك ورسولك ، الذي قال (خذوا عني مناسككم)[١] وقال (حجوا قبل الأّ تحجوا)[٢] وعلى آله وصحبه ، الذين اقتدوا بأقواله وأفعاله . اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلا أنت . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما اسررت وما أعلنت ، وما اسرفت . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ﴿... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[٣] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله ، سهّل طريق السعادة للسالكين ، وأنار سبيل الهدى للعالمين ، ودعا أحبابه الأبرار لزيارة بيته المشرق ، ليُحسِنَ ضيافتهم ،

---

١ ــ متفق عليه .
٢ ــ أخرجه الدارقطني والبيهقي وأحمد عن ابي هريرة .
٣ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ ٢٨) .

ويمحو ذنوبهم ، سبحانه وتعالى . ألزم حج بيته من استطاع إليه سبيلا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يمنح رضوانه من أخلص له في الطاعة والعبادة ، أثابهُ على عمله ثواباً جزيلاً ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله ، خير من حج واعتمر . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد الحبيب الشفيع يوم الجمع الأكبر ، وعلى آله وصحبه ، السالكين سبيله ونهجه الى يوم الدين .

أما بعد . فقد قال تبارك وتعالى ﴿ **إنَّ أولَ بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة مباركاً وَهُدىً لِلعالَمين . آياتٌ بيناتٌ مَقامُ إبراهيمَ ، ومن دخلهُ كانَ آمناً ، ولِلهِ على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنيٌّ عن العالَمين** ﴾[1] .

أيها المسلمون . نعم . إنَّ أول بيت بني لعبادة الله وتوحيده هو المسجد الذي ببكة ، وسميت مكة بهذا الاسم لكثرة ازدحام الناس فيها يوم الحج الأكبر ، يوم العجِّ والثج ، فالعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو إسالة دماء الهدي يوم النحر ، وقيل سميت ببكة لأنها كانت تدك وتدق أعناق الجبابرة ، ممن أرادوا بها سوءاً يوم العيد . وأما مكة فهي الحرم كلُّه ، قال عبدالله بن الزبير ، لم يقصد مكة جبار قط بسوء ، الا قَصَمَهُ الله عز وجل ، يعني كسره ودق عنقه .

أيها المسلمون . كان بين بناء المسجد الحرام بمكة ، وبين بناء المسجد الأقصى ، الذي وضع في بيت المقدس ، اربعون سنة . وجاء في صحيح مسلم عن أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه قال : (سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض .؟ قال : (المسجد الحرام) ،

---

١ ــ سورة آل عمران (٩٦ ــ ٩٧) .

٢ ــ متفق عليه وللفظ البخاري ، وقد تقدم .

قلت ثم أي ، قال : (المسجد الأقصى) . قلت كم بينهما .؟ قال : (أربعون عاماً) ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما ادركتك الصلاة فصل)[1] نعم . المسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس ، وأن يطوفوا به . وكان هذا قبل خلق آدم عليه السلام ، ثم إن ادم بنى منه ما قدر على بنائه ، وطاف به ، ثم بناء الأنبياء من بعده ، وطافوا به ، ثم أتم بناءه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل ، عليهما الصلاة والسلام ، وأما المسجد الأقصى ، فأول من بناه سليمان عليه الصلاة والسلام) كما خرَّجه النسائي بإسناد ، صحيح من حديث عبدالله بن عمر ، رضي الله عنهما (ان سليمان بن داود ، عليهما السلام ، لما بني بيت المقدس ، سأل الله خلالاً ثلاثة . (سأل الله عز وجل ، حكماً يصادف حكمه ، وهو الحكم بما أنزل الله فأديته ، وسأل الله عز وجل مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأديته ، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد ، ألاَّ يأتيه أحد لا ينهزه ، أي لا يدفعه الا الصلاة فيه ، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه ، والرواية الأخرى كيوم ولدته أمه)[2] أما فضل الصلاة في هذه المساجد الثلاثة ، فقد قال ﷺ (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى)[3] فالمسجد الأقصى هوالمسجد الذي بارك الله حوله ، وهو قبلة الانبياء والمرسلين من قبل ، والأمم الماضية . وهذا الحديث اتفق عليه البخاري ومسلم ، ورواه الأئمة الخمسة ، والامام أحمد في مسنده . تنكره الطائفة الجاحدة لقدر رسول الله ﷺ الحاقدة على الاسلام والمسلمين ، تنكره الجماعة المتعصبة ، والتي تفضل أئمة الكفر على المصلين والصائمين من امة محمد ﷺ زاعمين أن الزيارة للمسجد النبوي فقط ، لا لرسول الله ﷺ عاملهم بما يستحقون . وأما فضل الصلاة في هذه المساجد ، فعن أبي

---

١ ـــ متفق عليه للفظ البخاري ، وقد تقدم .

٢ ـــ متفق عليه من حديث ابي هريرة وابي سعيد الخدري .

٣ ـــ متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث ابن عمر وتمامه الا المسجد الحرام .

هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : صلاة فيما سواه[1] لأنه ورد عنه ﷺ أيضاً أنه قال (ما بين بيتي ومنبري ، روضة من رياض الجنة)[2] وفي رواية (ما بين قبري ومنبر روضة من رياض الجنة ، إلا المسجد الحرام)[3] وزاد في الرواية (وصلاة في المسجد الحرام ، أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ، وصلاة في المسجد الأقصى ، وهو مسجد (إيليا) بيت المقدس ، أفضل من خمسمائة صلاة فيما سواه)[4] وفي رواية أفضل من ألف صلاة ، فيما سواه)[5] وفي رواية أخرى أفضل من خمسين الف صلاة ، فيما سواه)[6] وحسبنا الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير ، على من حرمنا الصلاة والخطبة في المسجد الأقصى ، وعامل الله من حرمنا من الحاكمين ، ومن الدول الاسلامية والعربية ، عاملهم الله بما يستحقون يا رب العالمين . حيث سلم الملك العادل صلاح الدين الأيوبي ، المسجد الأقصى سالما وما حوله من بلاد المسلمين وأراضيهم ، بعد قتال مرير طال أمده . ولكن حكام اليوم ومسلمي اليوم ، فرطوا في المسجد الأقصى والحرم الشريف الابراهيمي ، لقمة سائغة للمستعمرين الصلبيين والصهيونين ، أعداء الدين ، بلا حرب ولا جهاد ، ولا قتال ولا تضحيات . أما الذي باعنا من رؤسائنا ، فيجعل من الهزيمة والكسر انتصاراً ، ويجعل من الفشل والخذلان احتفالا واستقبالا ، كانه استرجع فلسطين ، يا حسرتاه ويا أسفاه ...!

---

١ — متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث ابن عمر وتمامه الا المسجد الحرام .

٢ — متفق عليه والنسائي من حديث أبي هريرة .

٣ — هذه الزيادة لأحمد في مسنده .

٤ — رواه ابن خزيمة في صحيحه ورواه الطبراني عن أبي الدرداء والبزار ، واسناده حسن باختلاف يسير في بعض الالفاظ .

٥ — واوله : صلاة في مسجد المدينة بعشرة الاف صلاة ، صلاة في المسجد الاقصى بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، اخرجه ابن ماجه بسند جيد ، في بيت المقدس عن ابن عباس .

٦ — رواه ابن ماجه عن انس بن مالك ورواته ثقاه ، واوله صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمسة عشر صلاة ، وصلاة في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة في المسجد الاقصى بخمسين الف صلاة .

انظروا أيها المسلمون . كيف صار الدخلاء والمغتصبون أصحاب حق في مقدساتنا وأرضينا .! كيف صاروا هم أصحاب الحق يفرضون علينا الحلول فرضا ، وما مثلنا إلا كمثل رسول الله ﷺ حينما رده أهل الطائف ، في عام الحزن رداً أليما مؤسفاً ، ليصدوه عن دعوته ، فقال (إلى من تكلني يا رب .؟ الى بعيد يتجهمني ، أم إلى قريب ملكته أمري . إن لم يكن بكَ عليّ غضب فلا أبالي)[1] وأخيراً هاجر وهاجر اصحابه ، ونزح باقي أصحابه ، حتى هيأ الله له جيشاً إسلامياً صادقاً ، وعاد الى مكة وطنه وفتحها ،ونصره الله نصراً مؤزراً . فسنصبر ، والله مع الصابرين ، سوف لا نعتمد على أحد بعد الله ﴿... ، **وما النصرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العزيز الحَكيم**﴾[2] انظروا يا قوم كيف صار اليهود يعارضون دولة عظمى ، ويملون عليها الأوامر ، يعارضونها في إزالة مستوطنات ، وما هي والله الا حزام مليء بالاسلحة الفتاكة ، هَذِهِ هي عدالة الأرض ، وما عدالة السماء فينا ، وبينها بعد المشرقين .

فيـا لـك مـن قُبَّـرةٍ بمعمـرٌ

خـلا لك الجو فبيضي واصفـري

ونقـري ما شِئْتَ أن تنقّري

فوالله ما هذه المؤتمرات هنا وهناك ، الا من قبل اللف والدوران ، يقصد منها الاجهاز على ما بقي من أراض وخيرات في أرض فلسطين ، يساعدهم على ذلك بعض الحكام ، الذين يريدون الخلاص من فلسطين وأهلها ، زاعمين أنهم يمثلون الفلسطينيين وغيرهم ، علماً بأن الأمة بأسرها ، بل الأجيال القادمة ، لا تقرهم على ذلك أبداً .

---

١ ـــ قاله عليه الصلاة والسلام عند منصرفه من الطائف ورد فيما قبل بتمامه .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٢٦) .

أيها المسلمون . وقوله تعالى ﴿ **فيه آيات بينات** ﴾ يعني فيه أثر قدمي إبراهيم ، الخليل عليه الصلاة والسلام ، في المقام ، ومن الآيات البينات ،مقام ابراهيم ، وهو الحرم كله . ومن الآيات أيضا الصفا والمروة (الحجر الأسود) أو (الحجر الاسعد) يقول ﷺ (الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، يصافح بها عباده)[١] أيها الناس في زمن التباهي والتفاخر . إن أكثر حج الناس اليوم واعتمارهم ، أي وإتيانهم بالعمرة بين حين وآخر ، ما هو الا للسمعة والرياء والتباهي والتفاخر . يقول رسول الله ﷺ (يأتي على الناس زمان يحج فيه أغنياء امتي للنزهة ، وأوساطهم للتجارة ، وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة)[٢] (أي سؤال الناس في الحرمين . وهذا غير جائز شرعاً) ويعتبر هذا التنبؤ ، من رسول الله ﷺ قبل اربعة عشر قرناً ، معجزة من معجزاته ، وعليه يا أخي الحاج باكتساب المال الحلال ، فالحج المبرور المقبول عند الله ، هو الحج الصافي الخالي من الغش وكسب الحرام ، لأن الله طيب ولا يقبل الا طيباً . الحج المقبول هناك ، هو الذي ليس فيه أذى ، ولا فسوق ولا جدال في أرض الحرم . يقول عليه الصلاة والسلام (من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[٣] ويقول ﷺ في حق من حج بمال حرام أو مشبوه ، أو مغتصب من الناس . يقول (من يمم هذا البيت أي قصده للحج) بالكسب الحرام ، شخص ، (أي خرج في غير طاعة الله) فإذا أهلَّ ووضع رجله في الركاب ، وبعث راحلته وقال : لبَّيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء .

---

١ ــ رواه الخطيب في تاريخه وابن عساكر عن جابر بن عبدالله .

٢ ــ أخرجه الخطيب في تاريخه من حديث أنس باسناد مجهول ، ورواه ابو عثمان الصابوني في كتابه المائتين ، فقال : تحج اغنياء امتي للنزهة ، وأوساطهم للتجارة ، وقراؤهم للرياء والسمعة .

٣ ــ رواه عبد بن حميد عن جابر بن عبدالله انظر الجامع الصغير (٨٩٥٩) وسنده ضعيف .

لا لبيك ولا سعديك ، كسبك حرام وثيابك حرام ، وراحلتك حرام وزادك حرام . إرجع مأزوراً غير مأجور وأبشر ما يسؤوك . ويقول ﷺ في حق من خرج حاجاً بمال حلال ، ووضع رجله في الركاب ، وساق راحلته ، وقال لبيك اللهم لبيك . ناداه مناد من السماء (لبيك وسعديك ، أجبت بما تحب ، راحلتك حلال وثيابك حلال ، وزادك حلال ، إرجع مبروراً غير مأزور ، واستأنف العمل)[1] خرجه أبو ذر ، رضي الله عنه ، وأما النفقة في الحجّ من كسب حلال . فقد ورد عن بريدة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ والنفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف . وقال ﷺ (انفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه ، يعدل اربعين ألفاً فيما سواه)[2] أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله الذي جعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرما آمناً نحج إليه كل عام ، يأمن الناس في هذا البيت ، بل يأمن فيه سكان الأرض وطيور السماء ، وأشهد ان لا إله إلا الله الكبير المتعال ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فيا أيها المسلمون : هناك في الحج تتواضع النفوس ، وتعلم أن زخرف الحياة الدنيا باطل زائل ، تشعر كل حاج بالمساواة لا بالاستكبار والاستعلاء ، بمال ولا بأولاد ولا جاه ولا خدم ولا حشم ، خاصين لله القائل ﴿ ... ، **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[3] .

---

١ - مرُ تخريجه .

٢ - والذي اخرجه البيهقي عن انس الحجاج والعمار وعد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهما ما انفقوا الدرهم الف الف (والألف ألف مليون) .

٣ - سورة الحجرات (١٣) .

أما زيارة قبر رسول الله ﷺ فهي من الأمور المشروعة ، المحببة إلى كل مؤمن . فزر يا أخي قبر نبيك محمد ﷺ وقل بصوت حزين خاشع : يا سيدي رسول الله ، قم وانظر إلى امتك ، وما فعلته بعدك ، فقد تفرقوا شيعاً وأحزاباً ، ذهبوا مذاهب شتى ، وتركوا شريعتك ، ومنهم من منع زيارتك المتفق على القيام بها ، قم يا رسول الله وانظر الى حكام اليوم ، ماذا فعلوا بعدك . فقد تركوا كتاب الله ووضعوه على الرف . وتركوا سنتك ، واتخذوا بديلاً لذلك القوانين الوضعية ، التي لا رحمة فيها ، ولا إنصاف ، ولا عدالة لأحد ، قم يا أخي وزر قبر نبيك . فالذين لا يحبون زيارة رسول الله ﷺ هؤلاء ، لا يحبهم أيضاً ، ولا يستحقون شفاعته ، لأنهم ينكرون الشفاعة ، ولا يعترفون بأحاديثها الصحيحة . وإذا ذهبوا الى المدينة المنورة ، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية ، ولّوا عن زيارة قبر رسول الله ﷺ مدبرين ، ورضي الله عن سيدنا البوصيري ، حيث قال في همزيّته النبويّة : عن هذه الفرقة .

ثم ولّـتْ وما رأتــه ومن أيـ ... ـن ترى الشمـس مقلـةُ عمياءُ

ليتـه خصنّي برؤيـة طـه ... زال عـن كل من رآه الشقاءُ

جئناك يا رسول الله خاضعين مستشفعين . عباد الله . اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى قد قال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، اللهم

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا قريب سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين. اللهم اكتب لنا العودة الى زيارة حرمك، ومقام نبيك ورسولك، وحبيبك صلى الله عليه وسلم، اللهم لا تحرمنا شفاعته، واسقنا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدا يا أكرم الأكرمين. اللهم أعز الاسلام والمسلمين وأعل بفضلك كلمة الحق والدّين. ﴿ ... **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[1].

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥).

الخطبة الرابعة والثمانون بعد المائة :

١٩ ذي القعدة ١٣٩٨هـ

١٩٧٨/١٠/٢٠

(حفظ الأمانة عهد على كل أحد)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، واتوب اليك ، واستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم لاسهل إلا ما جعلته لي سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك انت العليم الحكيم ، اللهم أطلق لساني وقوِّ حجتي وبياني ﴿ **... رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله ، الذي أمر المسلمين بأداء الأمانات والحقوق والواجبات ، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، وليكون بعضهم لبعض ظهيراً ، أي معينا . أحمده سبحانه وتعالى ، وأسأله المعونة على آدائها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، قدّر فلطف ، وكلّف فيسر ، وأمر فأعان ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله ، الذي أدّى الأمانة ، وأمر بأدائها ﷺ أَللَّهُمَّ صَلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى أهله وأصحابه ، الذين عرفوا مكانة الأمانة في الدين ، فأدّوها على وجهها الأكمل ، وعرفوا سوء الخيانة وبطلانها ، فاجتنبوها ، ﴿ **...، أولئك الذينَ صَدَقوا ، وأولئك هُمُ المتقون** ﴾[٢] .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

٢ ــ سورة البقرة (١٧٧) .

أما بعد . فيا أيها المسلمون ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ، وأحكم الحاكمين ﴿ **إنا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبينَ أن يحملنَها وأشفقن مِنْها وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولا** ﴾[1] .

أيها الناس . الأمانة هي عبء الأنبياء والمرسلين ، ومسؤولية القادة والزعماء والمصلحين والحاكمين ، والتبعية الملقاة على عاتق الكافرين والمسلمين ، شرف الغني ، وفخر الفقير ، وواجب الموظف ، ورأس مال التاجر ، وسبب شهرة الصانع ، وسرّ نجاح العامل ، عز الرجال ، وجمال النساء ، مفتاح كل تقدم وسعادة ، ومصدر كل نجاح وفلاح . ولذلك أمر الله بأدائها الى أهلها ، ونهى عن الخيانة قال تعالى ﴿ **إنّ اللهَ يأمُركم أن تُؤدّوا الأماناتِ إلى أَهْلِها وإذا حَكَمْتُم بَيْنَ الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعمّا يَعِظُكُمْ بِهِ ، ان اللهَ كانَ سَميعاً بصيرا** ﴾[2] .

نزلت هذه الآية يوم فتح مكة ، في عثمان بن طلحة ، وكان أميناً لمفتاح الحرم ، إذ أقفل بابه ، ولكنه منع النبي ﷺ من دخول الحرم ، وهو يقول (لو علمت أنه رسول لما منعته . يعني أنه لا يعترف برسالة سيدنا محمد ﷺ وفتح الباب . وفي رواية أن عليّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، لما رأى عثمان يمنع النبي ﷺ أخذ منه المفتاح ، وفتح الباب ، فلما خرج رسول الله ﷺ من الحرم ، سأله العباس أن يعطيه المفتاح ، فنزلت هذه الآية التي سمعتموها ، فأمر النبي ﷺ عليا رضي الله عنه ، أن يرد المفتاح لعثمان بن طلحة ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ...** ﴾ فكانت هذه الآية سببا في إسلام عثمان[3] .

---

١ ـــ سورة الاحزاب (٧٢) .

٢ ـــ سورة النساء (٥٨) .

٣ ـــ رواه ابن اسحق وابن مردويه عن ابن عباس .

أيها المسلمون . ونزل قرآن آية كاملة في حق حكام الأرض ، تأنيباً وتقريعاً وتوبيخاً للخائنين . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1] ونزل في حق مَن خان الأمانة ، وهو أبو لبابة حين خان في قوله ، وساير بني قريظة من اليهود ، فتاب الله عليه ، وقد ندم أبو لبابة على خيانته ، وشد نفسه في عمود من عَمَد المسجد ، وأقسم لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يموت ، أو يتوب الله عليه ، فمكث سبعة أيام حتى سقط مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ، وأبى أن يحل نفسه حتى يحلّه رسول الله ، ﷺ فجاء ، وحلّه[2] .

أيها المسلمون . لا تظنوا أن الأمانة قاصرة على الودائع ، من كُلّ غال وثمين ؛ كالذهب والفضة والجواهر والأموال . إن الأمانة أوسع من هذا المعنى بكثير . فالأمانة في لسان الشرع ، كل عمل فيه طاعة لله ورسوله ، وامتثال لأوامره ، واجتناب كل ما لله فيه مخالفة وعصيان . سواء أكان ذلك في عبادة الله ، أم في معاملة الناس . فالصلاة يا أخي أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة ، والحج أمانة . نعم . فالصلاة أمانة لله عندك . يجب أن تؤديها مستوفية الشروط والأركان ، بقلب ملؤه الخشوع والخضوع ، وجسم ملؤه الطمأنينة والاتزان . ورد عن الامام زين العابدين ، أنه كان إذا حضر وقت الصلاة ، اصفر لونه ، وارتعدت فرائضه ، وذرفت عيناه . فلما سئل عن ذلك ، قال : لقد حضر وقت أمانة ، ولا أدري أأستطيع أداءها أم لا . والزكاة أمانة في عنقك للفقراء والمساكين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فيجب أن تؤديها لهم ، متى حال الحول على النقدين . وهكذا في كل ما يزكيه المسلم ، سواء أكان

---

١ ــ سورة الأنفال (٢٧) .

٢ ــ رواه الزهري وابن جرير وعبد الرازق بن أبي قتادة انظر تفسير بن كثير (٢/ ٣٠٠) .

من المأكولات ، أم من عروض التجارة ، ويجب أن تؤديها مما طاب كسبه من مالك ، طيبة بها نفسك ، لكي تبرأ منها ذمتك ، ولكي تطهر مالك وتزكيه . قال تعالى ﴿ **والذين في أموالهم حَقٌّ مَعلومٌ . للسَّائلِ والمحروم** ﴾[1] . قال تعالى ﴿ **والذينَ هُمْ لأمآناتهم وعَهْدِهِمْ رَاعونَ** ﴾[2] .

أيها المسلم . والصيام أمانة لله عندك ، فيجب أن تصوم بكلتيك ، يجب أن يصوم سمعك وبصرك ، يجب أن تملك جوارحك كلَّها عما يغضب الله تعالى ، فلا ينطق لسانك إلا حسناً مرضيّاً ، ولا تسمع أذنك إلا طيباً ، ولا تنظر عينك إلا مباحاً ، ولا تمدَّ يدك لأذى الناس . يجب أن تمدَّها في الخير ، في الصلاح بين الناس يقول ﷺ (الصيام أمانة بين العبد وربه)[3] .

وكذلك يا أخي الحج ، أمانة لله في عنقك ، فإن كنت من القادرين عليه ، مستطيعاً قادراً على الزاد والراحلة ، فيجب عليك أن تؤدي الحج بأمانة ، فلا تفرط في النسك ، ولا تترك رمي الجمار ، إلا بعد اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ، فرمي جمرة العقبة يوم عيد الأضحى ، لا يحسب من أيام الرمي . وقد رأيت بعيني في الحج ، من يتركون الرمي ويعودون إلى بلادهم ، ومنهم من يوكل غيره في الرمي . فلا يجوز التوكيل من الحاج هذا لغيره ، إلا إذا ثبت عجزه ومرضه وشيخوخته ، يجب أن تؤدي ما يجب عليك من حقوق وواجبات ، ومصالحة للخصماء قبل سفرك ، وتسجيل وصية شرعية ، فيما لك أو عليك .

---

١ ــ سورة المعارج (٢٤ و ٢٥) .

٢ ــ سورة المعارج (٣٢) .

٣ ــ اخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق ، من حديث ابن مسعود ، بسند حسن ، ولفظه : « انما الصوم أمانة ، فليحفظ احدكم امانته » .

يقول ﷺ (ما حق امرىء مسلم ، وله شيء يريد أن يوصي به ، يبيت ليلتين ، إلا ووصيته مكتوبة تحت رأسه)[1] وعليك يا أخي الحاج ، أن تنظر في المال الذي تحج . أهو من مال حلال ، حصّلته بالجهد والتعب .؟ هل جمعت هذا المال من عرق جبينك أم لا .؟ أم هو من دماء الناس .؟

إذ لا يجوز الحج بأموال الأوقاف الإسلامية ، في كل بلد ومكان وزمان . لأنها تخالف شرط الواقف كنص الشارع . فكر في نفسك ، أتريد الحج للرياء والسمعة ، والرتب العالية ، والألقاب .؟ إذ لم يرد في الإسلام لفظ حاج . هل سمعت بأننا نقول الحاج ابو بكر ، الحاج عمر ، الحاج عثمان ، الحاج علي ..! وفي هذه الأيام نرى الرجل عندما يعود من الحج ، يزين داره بالزهور ، فذلك كله للرياء والسمعة والشهرة . الحج يا أخي يحتاج إلى صيانة . أتريد الحج ابتغاء مرضاة الله .

أيها المسلمون . ما من إنسان منا ، إلا وعمله أمانة في عنقه ، وأهله وأولاده أمانة . فالشعب أمانة في يد الحكام والقادة ، والمسجد الأقصى أمانة ، والحرمان الكريمان الشريفان أمانة . لأن اليهود غير قانعين ، يريدون التوسع . والمقدسات أمانة ، والعلم أمانة ، في يد العلماء الساهرين ، المضحين في إرشاد الناس وتعليمهم ، ولا يجوز لهم أن يكتموا علماً يعرفونه ، وقد سئلوا عنه . يقول الله تعالى ﴿ **إنّ الذينَ يكتُمونَ ما أنزلَ اللهُ من الكتابِ ويشترونَ بِهِ ثَمَناً قليلا أولئك ما يأكلونَ في بُطُونهم إلاّ النارَ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم وهم عذاب أليم** ﴾[2] .

---

١ ــ متفق عليه والامام أحمد والأربعة عن ابن عمر ، وهي بلفظ (عنده) لا تحت رأسه .

٢ ــ سورة البقرة (١٧٤) .

ويقول ﷺ (من كتم علماً يعلمه ، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[1] أقول يا أخي في الأمانة العدل من الحاكمين والقضاة أمانة ، والحق أمانة في يد المحامين ، والجهر بالحق أمانة ، فلا يبالي ولا يخشى من قول الحق ولا يخاف من حاكم ولا محكوم ، إن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يقطعان رزقا ، ولا يقصران أجلا ، والصدق في الشهادة أمانة في يد الشهود ، والمرضى أمانة في يد الأطباء ، ومصالح الناس العامة أمانة بين الموظفين والمستخدمين ، والتلميذ أمانة في يد استاذه ، إذا كان سبباً في انحراف عقيدته ، والولد أمانة في أبيه ، مسؤول أمام الله عن تربيته وتأديبه ، وعن تعلمه العلوم الشرعية ، والوطن أمانة في عنق الحاكمين، والناس أجمعين ﴿... **فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربَّهُ ، ...**﴾[2] .

ثم قال تعالى في حق من يرون الشيء بأعينهم ، ويسمعونه بآذانهم ، ولا يشهدون به ﴿ ....، **ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبُه ، والله بما تعملون عليم** ﴾[3] .

روى البزار عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال : كنا جلوساً مع رسول الله ، ﷺ فطلع علينا رجل من أهل العالية ، فقال يا رسول الله ، أخبرني بأشدِّ شيء في هذا الدين وألينه ، فقال ألينه أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأشده يا أخا العالمين الأمانة . إنه (لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا حج له ، ولا بركة له ، ولا زكاة له)[4] . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، ادعو الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

١ ـــ رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ، وصححه من حديث أبي هريرة وقال الترمذي حديث حسن .

٢ ـــ سورة البقرة (٢٨٣) .

٣ ـــ سورة البقرة (٢٨٣) .

٤ ـــ رواه البزار عن علي .

الحمد لله ، أسعد وأعز بالأمانة ، من تمسك بها ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أشقى وأذل بالخيانة من اتصف بها ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الأمناء الكرام .

أيها المسلمون . الأمانة هي رعاية حقوق الله ، وحقوق العباد . فأين من يؤدي ما عليه من واجبات وفرائض لله .؟ ولا تخون له عهداً ولا يجحد له فضلا ، ولا يطمع في وديعة اؤتمن عليها ، ولا في مال ، وكل إليه أمر حراسته ، ولا يخون أحدا في عرضه ، ولا يقتل من أمنه على نفسه ، ولا يقول إلا حقاً وصدقاً ، ولا يفعل إلا جميلا ، ويعامل الناس بما يجب أن يعاملوه به . فهذه هي الأمانة ، فاستمسكوا بها .

نعم . أمينٌ من استمسك بالإسلام ، وعمل به . يقول رسول الله ﷺ (أدِّ الأمانة من ائتمنك ولا تخن من خانك)[1] .

يا أخي في الله . إن الحياة لا تصفو ولا تعمر ولا تهدأ إلا بالأمانة . ويكون الخراب والشقاءُ والمحن ، حيث تكون الخيانة . فوالله لو أن حكامنا اتقوا الله ربهم في أوطانهم ، وكانوا يداً واحدة ، وعلى قلب رجل واحد ، ما كان مصيرنا أن نكون في ذلة ، تحت إمرة أشقى الأمم واحقرها ، تحت حكمها وسيطرتها . وكفى بالأمانة شرفاً وعزاً ، إن الرسل يتصفون بالأمانة ، فالواجب اعتقاده في حق الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، والأمانة والتبليغ والفطانة .

١ — رواه البخاري في التاريخ وابو داود والترمذي والحاكم عن ابي هريرة والطبراني عن أبي امامة ، وغيرهم عن بعض الصحابة .

عباد الله اتقو الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم اعزنا بالأمانة ، وحلِّنا بالأمانة ، واجعل شعارنا ودثارنا الأمانة . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ، وسدد خطاها . اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وزكنا بالأمانة فيمن زكيت . اللهم هَيِّئْ لنا وللحجاج والمسافرين ، سبل الخير والسلامة والعافية .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال . اللهم هَيِّئْ له بطانة صالحة .

﴿**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون**﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والثمانون بعد المائة :

٢٩ محرم ١٣٩٩هـ

١٩٧٨/١٢/٢٩

(الدين المعاملة وحسن الخلق . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، واتوب اليك ، واستغفرك ، وأصلي وأسلم على من أرسلته رحمة للعالمين ، ومثلاً صالحاً كريماً ، قيماً للعاملين ، دعا الناس للإيمان والعمل الصالح ، وحثهم على حسن المعاملة ، وعلى آله وصحبه ، أولي النهي والهدى ، فكانوا خير من تمسك بالحكم الصالح .

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم اغفر لي ذنبي كلّه دقه وجلّه ، عمده وخطأه ، سره وعلانيته .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، وإسرافي في أمري ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

أحمدك اللهم حمد من أخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك ، لا طمعاً في جنتك ، ولا خوفاً من نارك . أطاعك

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

رغبةً ورهبة منك وإليك ، ابتغاءَ رضوانك العميم . أنت كما أثنيت على نفسك ، لا أحصي ثناء عليك ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذي انفرد بالعزة والجلال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، بعثه الله رحمة بني الإنسان ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الطيبين الأخيار .

أما بعد . فيقول الله ، سبحانه من إلهٍ ﴿ ... ، **قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ . يهدي به الله من اتبَع رضوانه سُبُلَ السلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويَهديهم إلى صِراطٍ مُستقيم** ﴾[1] وقال تعالى ، تعاظم حكمه ، وجلّت قدرته ﴿ **مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أوْ أنثى وهو مؤمنٌ فلَنُحيينَّهُ حياةً طيبةً ، ولَنجزينَّهم أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون** ﴾[2] .

أيها المسلمون في زمن التظاهر والمخادعة . هذا ما قصّه عليكم ذو الجلال والإكرام . اختلف علماء التفسير في معنى الحياة الطيبة ، في قوله تعالى ﴿ ... **فلَنُحيينّه حياة طيبة** ،... ﴾ فقال بعضهم نرزقه حلالاً طيباً غير حرام ، وهو قول ابن عباس ، رضي الله عنهما وغيرُه ، وفي قول (نرزقه القناعة بما قسم الله له ، فلا يمدّ يديه إلى مافي أيدي الناس ، ولا يمدّن عينيه إلى حلال غيره ، وفي قول آخر ان الحياة الطيبة هي توفيق العبد إلى طاعة مولاه ، فلا ينظر إلى من سواه من الخلق أجمعين) فإن ذلك يؤديه إلى رضوان الله ، وقيل الحياة الطيبة المعنية في الآية الكريمة ، هي أن يذوق المؤمن حلاوة الطاعة . أما إذا كانت طاعة الإنسان وأعماله وعباداته وصلاته وزكاته وصيامه وحجه ، لا يذوق المؤمن لذتها ، فهو محروم ، وكلها جسم بلا روح ، وشبح ، ومجرد خيال . وقيل الحياة

---

١ ــ سورة المائدة (١٥ ــ ١٦) .

٢ ــ سورة النحل (٩٧) .

الطيبة في الجهاد في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله ، لأن مصير الجهاد في سبيله الاستشهاد في سبيله ، ومصير الاستشهاد في سبيله الجنة التي عرضها السموات والأرض ، ولا تطيب الحياة الصحيحة لأحد من الناس ، إلا في الجنة . كما قيل .

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ   وكل نعيم لا محالة زائلُ

نعم . كل نعيم من نعيم الدنيا زائل . أما نعيم الجنة فإنه لا ينقص ولا ينقضي ولا يزول . ومعنى هذا ، أن من عمل صالحاً وأمراً مرضياً مقبولاً عند الله سواءٌ أكان ذكراً أم أنثى ، فإنه يستحق حياة السعادة في الدنيا ، ويستحق الخلود في الجنة الأبدية السرمدية .

أيها المسلمون . على هذا الأساس ، شبّ الإسلام عزيزاً كريماً ، لا يعرف الذلة والهوان ، لا يقبل الضيم والصّغار . كما قيل :

ولا يقيم على ضيم يُرادُ بِهِ   إلاَّ الأذلاَّنِ عيرُ الحيِّ والوتدُ

وهذا هو حالُنا وَمَثَلُنا ، نقيم على الذل والضيم .

الإسلام حمله كرام بررة ، رفعوا لواءَ عزه ، وشيدوا صروح مجده ، وطوفوا به في الآفاق ، نافِذَ السلطان رفيع الشأن والمكان ، ثم خلف من بعدهم خَلْفٌ فُتنوا بعَرض الحياة الدُّنيا ، واكتفوا بالشعارات الباطلة المزيفة ، فسوّل لهم الشيطان ، وزين لهم أعمالهم ، وظنوا أن الإسلام هو أركان الإسلام فقط . فركنوا إلى عملهم في الصلاة بحركات أوتوماتيكية ، وهي صورة لا لُباب فيها ، واكتفوا من الزكاة بإعطائها أمام الناس رياءً وسُمعةً ، واكتفوا من الصوم بالإمساك عن الطعا ، وألسنتهم مشغولة بالكذب والغيبة والنميمة ، وعيونهم سارحة نحو المحرمات ، وأيديهم عابثة في أموال الحرام ، وأرجلهم ذاهبة ماشية نحو

الملاهي والعصيان . والأعجب من هذا كلّه أنهم يظنون في كل عام ، أنهم حجوا إلى البيت الحرام ، وما حجوا ، يكتفون من الحج بالاثم العدوان في الخصومة والجدال ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في طوافهم وسعيهم ووقوفهم ، وفي رميهم الجمرات ، وأكثرهم بل الكثير والكثير منهم لا يعرف حكماً من الأحكام ، يطوف الواحد منهم ، بل العديد منهم عشرين مرة حول الكعبة ، وأخوه بانتظار طواف سبعة أشواط ، كما رأيت وشاهدت بنفسي . وما ذلك ــ والله ــ إلا بسبب قصور المسلمين عن التفقه في دينهم ، وقصور العلماء في تفقيه الناس ، وتعليمهم ، وإرشادهم .

يا مسلمون . الدين هذا والله لُبابٌ بلا قشور . هذه فرائض افترضها الله عليك أيها المسلم ، لا جميل لك فيها ولا فضل ، فإن فعلتها بأخلاص ، أثبت وجوزيت عليها ، وإن تركتها عوقبت عليها .

فالدين يا أخي . هو خلق ومعاملة ، كما ورد (الدين المعاملة)[1] الدين ذوق وإنسانية وشعور وإحساس . فلا يكتفي من العالم أن يكون عالماً بما يعمله فحسب ، وهو مجرد من الذوق ، والمسلم لا يكون مسلماً حقيقياً ، ولو صلى وصام وقام ، إلا إذا كان يتحلى بالذوق ومكارم الأخلاق ، كما ورد في حديث المنافق ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم[2] .

المسلم هو الذي يسعى لإنقاذ أخيه من المهالك . أخوك المسلم من كان معك في الشدة والرخاء ، والمرض والبلاء والفقر والغنى .

---

١ ــ مرّ الكلام عليه .
٢ ــ تقدم مراراً .

وكما قيل :

إن أخاك الحقّ من كـــان معــك
ومن يضـــرُّ نفسه لينفعــــــكْ
ومن إذا رسب الزمان صدعــك
شتت فيـــك شملَـــه ليجمعكْ

أيها المسلمون في زمن الاغترار والاحتيال ، لا تغترُّوا بدنياكم هذه . أيها المسلم . فأنت في يوم منها صحيح ، وفي يوم منها عليل ، أي مريض ، وفي يوم منها غنيٌّ ، وفي يوم منها فقير ، وفي يوم منها ملكٌ وأميرٌ وسلطانٌ ، وفي يوم منها سُوقيٌّ عاديٌّ ، تقع فريسةً بين فكى الظلم والظالمين ، فيتحكمُ فيك من ليس أهلاً للحكم . ولعلكم إذا كنتم تعقلون ، سمعتم ما جرى في حكام الهند وباكستان . وماذا كانت عاقبة أمرهم اليوم . يستجدون العفو بالبكاء والاسترحام .

قال لقمان لابنه : يا بُني إنك قد استدبرت الدنيا من يوم نزلتها . يعني أن الإنسان ينزل من بطن أمه يستقبله الموت ، واستقبلت الآخرة . فأنت إلى دار تقربُ منها ، أقربُ من دارٍ تتباعد عنها . وقال لابنه (يا بني إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيها أُناسٌ كثير ، فلتكن سفينتُك فيها تقوى الله عز وجل ، (وتقوى الله ليست أقوالاً بالألسنة) وليكن حشْرُ سفينتك يا بني الإيمان (الصادق) بالله تعالى ، وليكن شِراعها التوكل الصحيح على الله عز وجل ، لعلك تنجو ، وما أراك ناجيا)[1] .

يا قوم . إن عيسى عليه الصلاة والسلام ، لم يضع لبنةً على لبنة ، لِقصَر أمله في الدنيا . وكان يقول : إن الدنيا مقبرة فاعبروها ولا تعمروها ، وهذا لا يدعو إلى الخمول والكسل . فمن اليوم نعمرُ دنيانا ونهدم آخرتنا..! كما قيل :

---

١ ـــ انظر احياء علوم الدين للامام الغزالي (٣/٢٠٧) .

كفى حزناً أن لا مِهَادَ لعيشنا

ولا عملٌ نرضى به الله صالحُ

أو لا عملٌ يرضى به الله صالحُ ، ولا مهاه لعيشنا لا راحة لنا ولا هناء ، ما دامت الحياة منغصةً بشتى الأكدار . وقيل لابراهيم بن أدهمَ ، رضي الله عنه ، بم وجدت الزهد في الدنيا .؟ فقال بثلاثة أشياء : رأيت القبر موحشاً وليس معي أنيس يؤنسني ، ورأيت الطريق طويلاً وليس معي زاد ، ورأيت الجبار قاضياً وليس معي حُجة ولا برهان ، ولا من يدافع عني . فعلى العاقل الرشيد أن يتحرز بطاعة الله عن مساخطه ، ويتدارك أمره قبل أن ينزل به سلطان الموت ، فلا تقبل منه توبة ، ولا ينفع له عمل ولا شفاعة ، وليعتبر بهذه الأقوال قادة المسلمين وحكامُهم ، الذين لا يزالون في غيِّهم يعمهون ، وفي طغيانهم سادرون حائرون . وكتب سفيان الثوري ، موعظة لأمير المؤمنين هارون الرشيد ، وقال له فيها : (يا هارون . هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، فهل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها في أرض الله ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابنُ السبيل ، أم رضيَ بذلك حملة القرآن ، وأهلُ العلم (يعني العاملين بعلمهم) أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل ، أم رضي بذلك خَلْقٌ من رعيتك .؟! فشُدَّ يا هارون مئزرك وأعدَّ للمسألة جواباً ، وللبلاء جلبابا واعلم بأنك ستقف بين يدي الحكَم العدل فاتق الله في نفسك ، هارون ، وانتظر اليوم الموعود . فليعتبر بهذا أيضاً ، من فرطوا بأرضنا وأوطاننا ومقدساتنا .

يا ظالماً فرِحاً بالعز ساعده

إن كنت في سِنةٍ فالدهرُ يقظانُ

يعني إن كنت في غفلة ، فالله ـــ وهو الدهر ـــ يقظانُ ليس بغافل . الحديث : (لا تسبوا الدهر ، فإن الدهر هو الله)[1] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم . ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله خلقنا وسوَّانا وربَّانا ، وإلى موائد بره وكرمه دعانا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أثنى على نبيه بقوله ، جل وعلا ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خيرُ من أدّب وهذّب ، وعلى آله وصحبه ، الذين صلحت قلوبهم ، وتهذبت اخلاقهم ، فدانت لهم مشارق الأرض ومغاربُها ، وكانوا هم الفائزين الغالبين .

وبعد . فيا أيها المسلمون . إن الأرزاق لا تأتي بالخِداع والاحتيال ، وإنما هي كالآجال ، مقررة عند الله ومقدره ، وإن التظاهر بالإسلام والتمسك بالدين أمام الناس ، ما هو إلا الغِشُّ الذي لا يفيدك ، إلا الوزرَ . أجل . أن الغش لذنب كبير .

أيها الناس . ولا يكون إلا من نفوس خبيثة طاغية ، وإن الأَيْمانَ الكاذبة لترويج السلعة لا تصدر إلا عن قلوب مظلمة قاسية ، وكلاهما تغرير بالناس ، وتلاعب بالدين ، وخسران مبين . وكذلك غش العالم بعلمه ، والطبيب في علاجه ، والمعلم في مدرسته . وكل صانع وعامل يخدع الناس فهو غاشٌّ لهم ، والحكام الذين يتلاعبون بمقدرات الشعوب واوطانهم ومقدساتهم ، غاشون مخادعون .

---

١ ـــ رواه مسلم في الأدب عن ابي هريرة ولم يخرجه البخاري بهذ اللفظ .
٢ ـــ سورة القلم (٤) .

اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[١] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين ابن طلال .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[٢] .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة الاحزاب (٥٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والثمانون بعد المائة :

٢٧ صفر ١٣٩٩هـ

١٩٧٩/١٢/٢٦

(ذكرى ميلاد سيدنا محمد ﷺ تبعث على الرحمة بالناس)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، واستهديك لمواقف الخير والبر ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ، عبدك ونبيك ورسولك ، وعلى آله وصحبه ، الذين تمسكوا بشريعته وسيرته وطريقته . اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلا ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، وأسألك من خير ما تعلم ، ونعوذ بك من شر ما تعلم ولا نعلم ، اللهم إني أسألك من كل خير سألك فيه سيدنا محمد نبيك ورسولك ، وأعوذ بك من كل شر ، استعاذك من سيدنا محمد نبيك ورسولك ﴿... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهو قولي**﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله ، أكرمنا ببعثة خير الأنام ، أرسله للعالم بأسره ، بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كلّه هيأه الله للعالمين بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبدٍ مقرٍ بربوبيته ، شاهد بواحدانيته ، منقادٍ لمحبته ،

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

معترف بفضله وكرمه ونعمته ، مؤمل في عفوه وكرمه ورحمته ، طامع في مغفرته ، بريءٌ إليه من حوله وقوته ، لا أبغي سواك رباً ولا سلطاناً ولا حاكماً ، ولا أتخذ من دونك ولياً ، ولا ناصراً ولا وكيلاً وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، خيرته من خلقه ، أرسله للايمان منادياً ، والى الجنة داعياً ، والى الرحمة هادياً ، وفي مرضاته سبحانه وتعالى ساعياً ، وبالأطفال الرُّضع واليتامى والأرامل شفيقاً وراحماً ، ومن أذاهم والتعدي عليهم في حالتي الحرب والسِّلم ، وتابعيه الذين أخذوا عبرة من ميلاده ورسالته ، واتبعوا سنته وسيرته ، وعرفوا شمائله ، فعرفوا قيمته وقدره ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، تأدبوا بأدابه ، وتخلقوا بأخلاَقه ﴿ ... ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب ﴾(١).

أما بعد ، فيقول الله ، الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، **﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون . يوم نطوي السماء كطيِّ السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا ، إنا كنا فاعلين . ولقد كَتَبْنا الزَّبور من بعد الذكر أنَّ الأرضَ يرثُها عباديَ الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾**(٢) .

الحسنى(٣) هي الجنة . فأهل الجنة بعيدون يوم القيامة عن نار تضطرم وتتلظى . فهؤلاء المؤمنون الذين كتب لهم السعادة في الدنيا

---

١ ــ سورة الزمر (١٨) .

٢ ــ سورة الأنبياء (من ١٠١ ــ ١٠٧) .

٣ ــ الحسنى كما قالها عكرمة : الرحمة ، وقال غيره السعادة ، وقال ابن كثير في تفسيره : فكما احسنوا العمل في الدنيا احسن مآبهم وثوابهم ، ونجاهم من العذاب ، حصل لهم جزيل الثواب . =

والآخرة ، لا يسمعون حركة النار ولهيبها ، علماً بان الله تعالى يقول ﴿ **وان منكم الا واردُها ، كان على ربك حتما مقضيا . ثم نُنَجّي الذين اتّقوا وَنذَرُ الظالمين فيها جِثيا** ﴾[1] على ركبهم متحسرين ، آسفين على تفريطهم ، وتكذيبهم لرسل ربهم . أما أصحاب الجنة فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . إذ فيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، هؤلاء يقولون كلمة الحق ، لا يخافون الفزع الأكبر ، ولا يخشون أهوال يوم القيامة ، وتستقبلهم الملائكة قائلين لهم : هذا يوم الوعد الصدق ، الذي وعدتم به .

أيها المسلمون في زمن المتاهات والغفلات . يقول ربكم ﴿ **يوم نطوي السماء كطيِّ السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا ، انا كنا فاعلين** ﴾[2] .

أجل سيتغير هذا العالم ، وتندرس معالمه وآثاره ، في النفخة الأولى من اسرافيل عليه السلام ، فيطوي الله السماء ، وتلف الشمس ، وترمى في البحر . كما قال تعالى : ﴿ **إذا الشمسُ كُوِّرَتْ** ﴾[3] وتنكدر النجوم ؛ تنقض على الأرض وتتساقط ، وكما قال تعالى ﴿ **فإذا بَرِقَ البَصَرُ . وخَسَفَ القمر . وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ . يقول الانسان يومئذٍ أينَ المَفرُّ. كَلاَّ لا وَزَرَ. إلى ربِّكَ يومئذٍ المُستَقَرُّ** ﴾[4] يعني لا

= وقال ابن عباس في سبب نزولها : جاء عبدالله ابن الزبعري الى النبي ﷺ فقال تزعم أن الله أنزل عليك إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، أنتم لها واردون ، فقال ابن الزبعري قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا .

وفي رواية ابن اسحاق قال فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان معه في المجلس من قوله ، ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كل من احب أن يعبد من دون الله ، فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشيطان ، من امرهم بعبادته . فأنزل الله ﴿ **إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها ، وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون** ﴾ .

فاستثنى الله من المعبودين الملائكة وعزير والمسيح .

١ ـــ سورة مريم (٧١ ـــ ٧٢) . ٢ ـــ سورة الانبياء (١٠٤) .

٣ ـــ سورة التكوير (١) .

٤ ـــ سورة القيامة (من ٧ ـــ ١٢) .

وزر لـه ولا ملجأ يحميه من عـذاب الله ، بعـد النفخة الثانية ﴿ **يُنبَّؤا الانسانُ يومئذٍ بمـا قَدَّمَ وأخَّـرَ** ﴾[1] . وهو الذي يقول ﴿ **...، كما بدأنا أول خلـق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين** ﴾ فالاعادة أهون من البدء وهذه هي سنة الكون . ثم قال تعالى ﴿ **ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[2] من هم الصالحون يا ترى ؟ يعني أن الله تعالى ، بيّن لنا ولغيرنا من الأمم في القرآن والتوارة والانجيل والزبور أن أرض الجنة لا يرثها ولا يستحقها الا الصالحون ، العاملون على إعلاء كلمة الحق ، المجاهدون في سبيل الله ، للحفاظ على الأرض والوطن والمقدسات . فهذه المقدسات مهما طال احتلالها وبعدها وأمدها ، لا بد وأن يرثها عباد الله الصادقون . الذين لم يفرطوا بشبر منها .

وإن كان المراد بالأرض في قوله تعالى ﴿ **... ان الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ هي أرض الدنيا . فالمعنى يرثها الصالحون لاحياء مَواتِها وعمارتها ، لأن البقاء دائماً للأصلح . وهذا المعنى بعيد عن سياق الآيات السابقة ، ثم قال تعالى ﴿ **إنَّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين** ﴾ يعني أن ما قصّه الله علينا ، يعتبر إعلاماً لقوم يؤمنون مطيعين عاقلين ، وإنذارا عاماً للمعرضين عن قوله الحق ، المنحرفين عن الصِّراطِ السوي المستقيم .

أيها المسلمون . هنا فحوى الآيات وبيت قصيدها ، فخاطب الله رسوله بخطاب لا مثيل له ، ووجهه إلى توجيه ، يأخذ منه حكام الأرض جميعهم ، دروساً في الرحمة والاحسان ببني الانسان ، فقال له

---

١ ــ القيامة (١٣) .
٢ ــ الانبياء (١٠٥) .

﴿ **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾[1] يعني ما أرسلناك يا محمد جافياً قاسياً حاقداً منتقماً لنفسك من أحد . أرسلناك للناس كافة ، لاصلاح شؤون العالم كلّه . لو كانوا يعقلون ويتفكرون ، لأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان .

فداك أبي وأمي يا رسول الله . يا من بعثك الله رحمة للعالمين . لقد اندلعت الفتنة بين الأمم ، حتى رويت الأرض بالدماء . بل بدماء الأبرياء ، واستغاثت الأرض بالسماء ، وضربت الفوضى أطنابها في كل مكان ، وتولى الشيطان قيادة بني الانسان ، فزين له قتل أولاده ، ولو كانت فلذات أكباده ، ونسي الاله ، وهو خالقه وباريه ، ونسي اليوم الآخر وما فيه . وأخيراً اقيمت الوحشية مقام الانسانية وحلت الرذيلة محل الفضيلة فالضعيف لا ناصر له وقد لاذ بالقوي وعبده من دون الله . ولقد اصبح اليوم الحكم والتهديد للبشرية بالاسلحة الفتاكة المدمرة ، وبالقنبلة الذرية ، لا للبراهين القوية ، فسطوة السلاح المدمر من الشرق والغرب ، تطغى على الحقوق المشروعة المقدسة ، وتبطش بها ، وسلطان المال والمادة ، أضاع العدالة الحقيقة ، وثورة الترف والأنانية والاستعلاء والتحدي ، تعتدي على المروءات ، انها عيشة كعيشة الوحوش الضارية الهمجية .

---

١ - جاء في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين ، قال : اني لم ابعث لعاناً ، وانما بعثت رحمة ، وروى غيره مرفوعاً عن ابي هريرة إنما انا رحمة مُهداة ، وفي رواية إن الله بعثني رحمةً مُهداة ، بعثت برفع قوم وخفض آخرين .

وعندما تآلبت قريش على رسول الله ، وتآمروا على طرده ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، وقال والذي نفسي بيده ، لاقتلنهم ولاصلبنهم ولاهدينهم وهم كارهون ، اني رحمة بعثني الله ، ولا يتوفاني حتى يظهر دينه . لي خمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وانا الحاشر ، الذي يحشر الناس على قدمي ، وانا العاقب . وروى الامام احمد وابو داود عن رسول الله ﷺ : أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته لعنة فانما انا رجل من ولد آدم ، أغضب كما تغضبون وانما بعثني الله رحمة للعالمين ، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة .

هذه حالة الأمة ، التي تجافت عن شرعك وشريعتك . يا صاحب الرسالة ، والميلاد القريب بعد أيام . تنافرٌ وتدابرٌ وتقاطع وتحاسد واحتيال واغتيال ، ورجوع بالانسانية الى عصورها المنحطة ، وقرونها الغابرة المظلمة . كان العالم قبل رسالتك كالسفينة ، يفقد ربانها في بحر لجيٍّ ، يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب .

برامكـــة وليس لهـــم رشـــيد
وأقيـــال وكلهـــــم عبيـــد

فما أحوج السفينة الى ربانها وقائدها ومسيِّرها ، وما أحوج البرامكة الى الرشيد .! وما أحوج الناس في الليل البهيم الحالك والظلام الدامس الى شمس ضاحية ، تسطع في جنباته المظلمة ، وترشده الى الطريق الأقوم والصراط المستقيم .

أجل . أي شمس ضاحية بعد رسول الله الامام ؟ وأي بدر أسطع من نور خير الأنام ؟! ولأمرٍ ما ، شاءت العناية الالهية ، أن تنهض بالانسان من وهدته ، وتقيله من عثرته ، وتخلصه من براثن الشيطان ، واعداء بني الانسان ، وعذاب السموم ، فاصطفت لهذا الكون النبي المختار هادياً ، وبعثت له الامين مرشداً وداعياً ، فكان كما قال ربه ، في محكم كتابه ﴿ **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾[1] وكان كما قـال : ﴿ **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيراً ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[2] .

بشرت يا رسول الله ، قبل ميلادك بأيام البشائر ، وأيدت صدقك المعجزات والبراهين ، فكان ذلك أسطع شاهد ، جمعت العرب من

---

١ ــ سورة الانبياء (١٠٧) .
٢ ــ سورة سبأ (٢٨) .

شتات ، وأيقظت العالم من سبات ، أي من نوم عميق ، وطهّرت الأرض من عبادة الأصنام والأوثان . نظفت النفوس الحاقدة الحاسدة الماكرة ، صقلت القلوب صقلا ، فلم كن فيها أضغان ولا أحقاد ، وجعلت الدين والعلم رحماً بين أهله ، ولحمةً أقوى من لحمة النسب . فأصبح التنافس في الخير ، والتعاون الى البر ، والتفاضل بالتقوى . أجل لقد ربط الرسول بين نفوسهم ، وعمل على دعم المحبة الصادقة فيما بينهم ، حتى أصبح أعداء الأمس أحبَّاء اليوم .

سل الحضارة ماضيها وحاضرها   هل كان يتصـل العهدان لَوْلاهُ

وكما قيل :

وهل حَـرر الأفكـار الا محمـدٌ   فعودوا الى قرآنـه لتسـودوا[1]

أما اليوم . فقد تبدل الحال ، وتغيرت العهود ، وخفرت الذمم ، وفسد الأمر ، ونكست النفوس والقلوب ، وعادت الأمة الى جاهليتها الأولى ، الى ما قبل رسالة سيدنا محمد بخمسمائة عام ويا ليتها وقفت عند حدود الجاهلية الأولى . بل قد تجاوزت ذلك كلّه ، وأصبحت في فوضى اخلاقية عارمة وحشية همجية . قارنوا بالله عليكم ، بين ما كان عليه الناس زمن رسالته ﷺ قبل اربعة عشر قرناً ، أو يزيد ، وبين ما تفعله أمم اليوم وعالم اليوم وحكامه اليوم ، الطامعون في الاغتصاب والتوسع ، وزعامة الملك على حساب الضعفاء المحقين . انظروا بالله عليكم . هذا رسول الله ﷺ يوُصي جيشه قبل سفره لغزوة مؤتة ويودعه . يوصيه بتقوى الله ، وصية تكمُّ أفواه الملحدين والمتغطرسين والمتأفين والمستعلين

١ — ومن رحمته عليه الصلاة والسلام كما ورد في تفسير ﴿ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ . انه من آمن بالله واليوم الآخر ، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، عوفي مما اصاب الامم من الخسف والقذف والمسخ . إذن رحمته عامة شاملة ، للجميع عليه صلوات الله وسلامه الى يوم الدين .

على الأمة بالحديد والنار ، وفي هذا رد على المرجفين ، الذين يصمون الاسلام بانه دين الحرب وعدو السلام ، ويقولون ان الاسلام انتشر بالسيف لا بالبرهان . سبحانك ، هذا بهتان عظيم ﴿ ...، **كَبُرتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم ، إنْ تقولونَ الا كذبا** ﴾[1] إن الاسلام في سابق عهده كان يحارب ويجاهد ويدعو الى السلام ، لكنه ما كان يريد سلاما بلا قيد ولا شرط ، ما كان يريده استسلاما ، بل اراده سلاما قائما على الشرعية والحق والعدل ، الى أجل مسمى . لقد ذهبت منا مقدساتنا وبلادنا براً وبحراً . فلو كنا أقوياء بحقنا وبرهاننا وتماسكنا ، لجاهدنا وما طلبنا السلام . وفي زمن رسول الله ﷺ كان العدو نفسه ، هو الذي يطلب السلام ، من جيوش الاسلام والمسلمين . لأنها مكان القوة ، ولان تعود إليكم ، لنذكر لكم وصية رسول الله (أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله من كفر بالله ، لا تغدروا ، لا تغلوا ، لا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيرا ، فانياً ولا منعزلاً بصومعته (مكان عبادته) ولا تقطعوا نخلاً ولا تهدموا بناء)[2] ثم سكت عليه الصلاة والسلام ، طالبا من الله النصر والتأييد ، ثم استأنف وصيتهُ .

نعم . وإذا رحمتَ فأنت أم أو أب   هـــذان في الدنيا هما الرحماء

انظروا الى ما يجري اليوم ، من الحروب الطاحنة ، في كل مكان ، والتقتيل المريب بغير حساب . أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، ادعوا الله ، وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

---

١ ــ سورة الكهف (٥) .

٢ ــ هذا الحديث من عدة آحاديث ، فقد روى احمد وابو يعلي والبزار والطبراني عن ابن عباس ، كان رسول الله ﷺ : إذا بعث جيوشه قال : اخرجوا بسم الله ، تقاتلون في سبيل الله ، من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الولدان ولا اصحاب الصوامع ، وزاد في الأوسط ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً . وعن ثوبان انه سمع رسول الله ﷺ يقول : من قتل صغيراً أو كبيراً أو احرق نخلاً أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لاصحابها ، لم يرجع كفافا رواه احمد بسند ضعيف .

الحمد لله ، أنار الوجود بخير البرية ، وأكرمهم عند الله ونشر السعد والأمان برسالته المحمدية ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، أنزل على نبينا وحبيبنا صلوات الله وسلامه عليه الكتاب والحكمة وعلْمه ما لم يكن ، يعلم وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صفوة الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . فيا أيها المسلمون في زمن الانكار للحقائق . إعلموا إن للأمم على اختلاف ألسنتها وألوانها أعياداً باسمة ، ومواسم عزيزة غالية ، وللشعوب المتباينه ذكريات كريمات ، تحرص على إحيائها ، وتحفلُ بتمجيدها على مرّ الزمن وتضاعيفه ، ومن قديم الآباد . غير أن العيد الانساني الأكبر ، والموسم الروحيّ المشرق الأزهر ، هو عيد ميلاد سيدنا ومولانا ، وهو محمدُ ابنُ عبدالله ، رسول الله ومجتباه إلى الناس أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه .

أيها المسلمون . لقد ذكرت لكم شيئاً بسيطاً جداً عن حياة الرسول ، ورسالته قبل حلول موعد ميلاده ، لتكونوا على بصيرة من أمركم ، وليكون عندكم فِكرة صادقة عن حياة هذا الرسول العظيم ، الذي يجادل بعض المشدوهين ، البعيدين عن سلوكه في حياته ، أن يصرفوا بعض أفراد أمته عن محبته وزيارته ، حتى إنهم يجهِّلون ، ويندِدون بمن يُحبّ هذا المثل الكامل ﷺ .

إنه ﷺ نبي المرحمة . انظروا الى ما يجري اليوم من سفك الدماء ، وقتل الأبرياء ، وهدم منازلهم على رؤوسهم وأطفالهم . وأول حادث وقع في نسف المنازل على رؤوس أصحابها وهم نائمون ، ما فعلته اسرائيل نفسها في قرية قبية وغيرها) ، وذلك قبل ثلاثين عاماً ، وقبل إعلانها الحرب على أهل فلسطين . أما اليوم فهدم المنازل بالجملة في كل مكان

من أرضنا المحتلة وغيرها ، دون تمييز بين كبير وصغير وطاعن وعابد ، ولا بين غني وفقير . فأين هو الضمير العالمي .؟ هذه إسرائيل أخرجت شعباً بأسره من وطنه ، وتلاحقه في لجوئه في مكان اقامته ، تهدم منازله على الرجال والنساء والأطفال حيثما كانوا ، وأينما كانوا ، تمنع الشعب الفلسطيني من المطالبة بحقه . يا حاضنات اسرائيل . ويا من بنوها . يا من تنددون بمن ينتهك حقوق الانسان . أين حقوق الانسان يا أيتها الدولة العظمى .؟ يا من لا تزال تتعهد بحماية إسرائيل والتزاماتها . أرأيت كيف تنتهك إسرائيل حقوق الانسان ، في كل مكان ، وما أمر تل الزعتر عنا ببعيد ، فان اطفاله وزعت للرعاية والعناية بشأنهم ، بعد فقدهم الآباء والأمهات في البلاد الاوروبية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم النصير . اتقوا الله حق تقواه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما . هذه طبيعة اسرائيل وتعدياتها من أيام بزوغ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، ولا تزال متعطشة للدماء فهي بين حين وآخر تهدد بالحرب .

﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] ، اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب المحبوب ، خير خلق الله على الاطلاق ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعَلي ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، اللهم أعز الاسلام والمسلمين . اللهم بجاه محمد نبي الرحمة وهادي الأمة ، نسألك اللهم أن ترد إلينا مقدساتنا وما سلب منا بعزة وكرامة ، اللهم الف بين قلوب هذه الأمة . اللهم لا تجعل لأعدائنا سلطاناً ولا سبيلا ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، اللهم اسق

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

وكرامة . اللهم الف بين قلوب هذه الأمة . اللهم لا تجعل لأعدائنا سلطاناً ولا سبيلا ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله . اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وأحي بلدك الميت ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً ، وسائر بلاد المسلمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، وسائر حكام العرب والمسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السابعة والثمانون بعد المائة :

٣ ربيع الآخر ١٣٩٩هـ
١٩٧٩/١/٢

(لماذا لا نعمل بأحكام الشريعة الغراء) .؟

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيك ورسولك ، وعلى آله وصحبه ، الذين تمسكوا بشريعته ، فنصرهم الله على عدوهم ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا . وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلا ، سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك ، أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه ، لا إله إلا أنت . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم اغفر لي ذنبي كلّه ، دقه وجلّه ، عمده وخطأه ، سره وعلانيته . اللهم إني أسألك من الخير كلّه ، عاجله وآجله ، واعوذ بك من الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه ، ومالم أعلم ، ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله ، الذي دعا المسلمين إلى التعاون والإخاء ، ليوحد بذلك صفوفهم ، ويجمع كلمتهم . أحمده سبحانه وتعالى ، وأسأله أن يعلمنا من ديننا مالا نعلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، القائل في محكم كتابه ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ... ﴾[2] وأشهد أن

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .
٢ ــ سورة الحجرات (١٠) .

أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، أوّلُ من نفذ شريعة الإسلام ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ، الذين عملوا لدنياهم كما عملوا لآخرتهم ، وسَعَوْا في مرضاة ربهم .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ما أفاء اللهُ على رسوله من أهل القُرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولَةً بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديدُ العِقابِ ﴾[1] .

أيها المسلمون في زمن التجافي عن الإسلام . في هذه الأيام يتساءل الناس في تلهُّفٍ ، عن رأي الإسلام في الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وكونها صالحةً لكل زمان ومكان . وهل صحيح أن في الشريعة الإسلامية حلَّ المشاكل العالمية العالقة ، وإزالة التناحر والشقاق فيما بين الإخوة.؟ أم هو كلام يسمعه الناس . ويرددونه في المحافل والمجالس ؟.

أيها المسلمون . لئن دلَّ هذا التساؤل على شيء ، فإنما يدلُّ على جَدَلٍ فِطري ونوازعَ نفسيةٍ ، لأن الناس كلمّا ضاق بهم العُرْف أو القانون ، لجأوا إلى الدين ، متظاهرين به ، يمتسَّحون به ، ويحتالون عليه ، ويتلمّسُونَ النجاةَ فيه ، مستعينين على ذلك بتجار الدين من اللصوص ، الذين يُحِلُّون الحرام ، ويحرِّمون ما أحلَّه الله ، كلما لاح لهم درهم أو دينار ، فإذا ضاق عليهم منطوق القرآن ، لجأوا إلى مفهومه . وإذا ضاقت عليهم النصوص ، لجأوا إلى التأويل . وهكذا هو شأن من يريد أن يتخلص من الشريعة الإسلامية وأحكامها ، والسير على نهجها .

---

١ ـــ سورة الحشر (٧) .

إن رأي الإسلام في الشريعة الإسلامية، والعمل بها، واضح كلَّ الوضوح، جليٌّ كلَّ الجلاء. لا يخفى إلا على من تخفى عليه الشمس، ولا يضيق إلا على من ضاق عليه الفضاء، وما كان للإسلام — وهو دين عالميٌّ — ان يترك تلك المشكلة دون أن يبحثها، ويتكلم فيها. وكلكم تعرفون أنني منذ نشأتي للدعوة الإسلامية، وأنا أدعو الحكام والمسلمين في كل مكان، إلى العمل بالشريعة وتطبيقها. وطالما نادينا ودعونا الله من فوق أعواد المنابر، أن يرد الحاكمين إلى العمل بهذين المصدرين الهامين؛ وهما كتاب الله وسنة رسوله. ولكنَّ ضعفاء الإيمان، يظنون أن العمل بالشريعة وتطبيقها، يُشكلان خطراً داهماً على المجتمعات والأُسر، في كل مكان، ولا سيما المستعمرين واعداءَ الإسلام، لما علموا بوجود دولة إسلامية حقيقية، لا بالإسم والرسم فقط، أسقط في أيديهم، وأقضَّ الله عليهم المضاجع، لأنهم يعتقدون بأن الحكم بالإسلام — الذي هو في نظرهم مارِدٌ جبارٌ — سيفوِّت عليهم مصالحهم وشهواتهم، ويُضيع عليهم منافعهم، ولو علم والله هؤلاء وهؤلاء ما في الأحكام الإسلامية المشروعة من إنصاف وعدالة، لأقبلوا عليها، وهم يُهرولون ولحبوا على الرُّكَب. قال تعالى في حق هؤلاء المرجفين: ﴿ **يخادعون الله والذينَ آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً، ولهم عذاب أليمٌ بما كانوا يكذبون** ﴾[1].

أيها المسلمون. إن الآية السابقة ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى ...** ﴾[2] ترشدنا إرشاداً شافياً كافياً، إلى أن الشريعة الإسلامية، ما جاء بها داعي الخلق إلى التوحيد، وهو سيدنا محمد ﷺ إلا ليُقرِّبَ بين الطبقات، ويُسوِّيَ بين الناس في

١ — سورة البقرة (٩ — ١٠).
٢ — سورة الحشر (٧).

الحقوق والواجبات ، ليرتفع الفقراء من مرتبة الذلة والانكسار ، إلى درجة الإنسان الصحيح ، وليكون الأغنياء المتجبرون في درجة يستحقونها بلا جور ولا تحكم ، حتى يلتقي الناس جميعاً في صفة واحدة ، إلى معبود واحد ، وحاكم واحد ، تحت لواء واحد ، ذلكم هو قوله تعالى ﴿ **وإنَّ هذه أُمّتكم أُمّةً واحدةً وأنا ربُّكُمْ فاتّقونِ** ﴾[1] .

نعم . جاءت الشريعة الإسلامية لتسوّيَ بين الطبقات . لا بالنسبة إلى العرق الذي ينتسب إليه ، ولا إلى لونه ، ولا إلى لغته ، غير ناظرة إلى إقليمية أو قبلية . فالشريعة الإسلامية ، إنما تضع دائماً نُصْبَ عينيها قوله تعالى ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾[2] .

كما تضع نُصب عينيها إرشاده ﷺ في قوله (لا فضل لعربيٍّ على أعجمي ، ولا لأبيض على أسودَ ، إلا بالتقوى . كلكم لآدمَ ، وآدمُ من تراب)[3] .

الشريعة الإسلامية أيها المسلمون . فيها الإنصاف ، كلُّ الإنصاف والعدلُ كلُّ العدل في القسمة والحقوق بلا مواربة ولا مجاملة ، على حساب الآخرين . والمواربة هي المخادعة . ومنه حديث النبي ﷺ (وإن بايعتهم واربُوك) أي خدعوك . فالآية التي افتتحنا خطبتنا بها اليوم ، ترشدنا نحن المسلمين إلى أنَّ ما أصبناه وأحرزناه من غنائم الكافرين المحاربين ، فهو لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فما هو لله فهو لله ، أي للفقراء والمساكين والمحتاجين ، لئلا

---

١ ـــ سورة المؤمنون (٥٢) .
٢ ـــ سورة الحجرات (١٣) .
٣ ـــ تقدم من قبل مع اختلاف ألفاظه .

تكون الغنائم دائرةً ، يعني دولةً بين الأغنياء دون الفقراء . كما كان عليه الحال زمن الجاهلية . وبيانُ تقسيم الفيء والغنائم واضحٌ ومبيّنٌ ، في سورة الأنفال[1] ، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد كان ما يأتي من الغنائم يصرف للمجاهدين المرابطين ، والمترصدين للأعداء في الثغور ، بقصد إعلاء كلمة الله ، بحق وصدق .

نعم . كان يُصرف في مصالح المسلمين ، وسدّ ثغور الأعداء ، مُقدمين الأهم فالمُهم ، وقد قال ﷺ (ليس لي من غنائمكم إلا الخُمْسُ ، والخمْس مردود فيكم)[2] والأنبياء والمرسلون ، ما تركوا شيئاً موروثاً بعدهم ، من حطام الدنيا . فقد قال ﷺ (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقه)[3] فما كان ﷺ يأخذ من الغنائم إلا بقدر حاجته وعياله ، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين .

---

١ ــ وهي قوله تعالى : يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم . الآية . وقد روى الامام احمد عن سعد بن مالك قال : قلت يا رسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين ، فهب لي هذا السيف ، فقال : إن هذا السيف لا لك ولا لي ، ضعه ، قال فوضعته ، ثم رجعت فقلت عسى أن يُعطي هذا السيف من لا يبلي بلائي ، قال فاذا رجل يدعوني من ورائي ، قال قلت : قد أنزل الله فيَّ شيئاً ؟ قال كنت سألتني السيف ، وليس هو لي ، وانه قد وُهب لي ، فهو لك ، وأنزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ، ورواه ابو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح .

٢ ــ رواه ابو داود والنسائي عن عمر بن عبسة قال صلى بنا رسول الله ﷺ الى بعير من المغنم ، ولما سلم اخذ وبرة من جنب البعير ، ثم قال : ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذا الا الخمس ، والخمس مردود فيكم ، وسنده صالح .

٣ ــ رواه الاربعة عن عائشة وتمامه : ان فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ ، سألت ابا بكر ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ ، مما افاء الله عليه ، فقال لها : إن رسول الله قال : لا نورث ، ما تركنا ، صدقة ، وقال لست تاركاً شيئاً ، كان النبي ﷺ يعمل به : لا عملت به ، اني اخشى أن تركت شيئاً ان أزيغ ، وكانت فاطمة تسأل ميراثها عن النبي ﷺ من صدقته بالمدينة ، من خيبر وفدك .

أيها المسلمون في أرجاء هذه المسكونة . إن الإسلام لا ينكر التفاضل بين الناس ؛ فقراً وغنىً . بل يُقرّه ، ويعترف به . فلا بأس في الإسلام أن يكون هناك غنيٌّ وأغنى منه ، وفقير وأفقر منه ، بشرط أن يكون هذا التفاضل نسبياً ، أما أن يكون هذا في جنة ونعيم ، وذلك في نار وجحيم ، فهذا مالا يعترف به الإسلام ، ولا يُقرُّه إلا الرأسمالية والدكتاتورية الغاشمة .

أجل . جاءت الشريعة الإسلامية ، لتعلن الخلاص من الفوضى والمصالح الذاتية ، ولتسوي بين الطبقات ، ولتجعل العالم كلّه سلسلةً متصلة الحلقات ، يفضلُ بعضُها بعضاً . وليكون الكافر والذمي في الحقوق سواء ، له مالنا وعليه ما علينا ، حراً في صومعته وفي عبادته وشتان بين ضيقٍ وكبْتٍ وامتعاض ، وبين خلاصٍ وعزةٍ وانطلاق وانفراج .

أيها المسلم صورةً وشكلاً في هذه الحياة . إن الإسلام كدين حيوي ، لا يحقر المادة ، ولا يكره الكسب والاكتساب ، بل يحث على التعامل بالأموال ، وتحصيلِ الأرباح ، ولكن بقدر . فقد اعتنى الإسلام بالقلوب والنفوس ، وحثّ على تصفيتها من الأمراض المعنوية ، كالحسد والأحقاد والأضغان . كما اعتنى الإسلام بالمعدة ، وستر الأجسام ، ولوازم الإنسان ، ولكنه حذّر من إفساد المعدة بالطعام ، فقال ﷺ (إياكم والبطنة في الطعام والشراب ، فإنها مفسدةٌ للجسم ، تورث السّقم ، ومكسلةٌ عن الصلاة)[1] وبين لنا ﷺ في موضع آخر بـأن

---

١ — هؤلاء هم شرار الناس كما قال عليه الصلاة والسلام : سيكون رجال من امتي يأكلون الوان الطعام ، ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون الوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام ، فاولئك شرار امتي . رواه البزار بسند صحيح .

(المعدة بيتُ الداء والحمية رأس كل دواء)[1] فلقد حث الإسلام على المحافظة على صحة الإنسان . إذْ لا يمكن للقلب أن يطهر ، وللنفوس أن تزكو ، والبطون جائعةٌ فارغة ، ولا يمكن للنفس أن تُهذَّب تهذيباً صحيحاً ، والجسم عُريان . بل قد لا تصح عبادةٌ أساسها الفقر والإملاق ، لأن البطون إذا جاعت ضلّت العقول معها ، لا سيما إذا كثرت المفاتن ، وتعددت الكمالياتُ والمغرياتُ ، كما في زماننا هذا .

يقول ﷺ (ان لبدنك عليك حقاً ، وإن لزورِك (أي زائريك) عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقا)[2] .

أيها المسلمون في زمن الغفلة عن دينكم . لا يتجه القلب إلى عبادة الله في خشوع وخضوع ، ولا يستطيع العبد التفكر في مُلك الله وملكوته ، شاكراً لأنعمه وعطاياه ، إلا إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان ، خالياً من الهم والتفكير في الأمن والإستقرار ، والتفكير في عيشه وعيش بنيه وذويه ، يقول ﷺ (ابن آدم إذا أصبحت معافىً في جسدك ، آمنا في سربك (أي نفسك) وعندك قوت يومك ، فكأنما حيزت إليك الدنيا بحذافيرها)[3] فوصول الخير إلى الأمة والناس ، يقلل من الحوادث والجرائم . ألم تعلموا أن سيدنا عمر ، أمير المؤمنين رضي الله عنه ، توقف في أمر قطع يد السارق ، حتى يتبين له السببُ الذي دعاه إلى السرقة ، بقدر صاحبه فلما تبين له أنه جوعه وجوع أبنائه ، أمر بإطلاق سراحه وعافاه .

---

١ ـــ لم اره هكذا وإنما : المعدة بيت الأدواء والحمية رأس كل دواء واعط كل جسد ما عودته . انظر الحاكم لأحكام القرآن (١٩٢/٧) .

٢ ـــ رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

٣ ـــ رواه البخاري في الادب عن عبدالله بن محصن من اصبح منكم آمنا في سربه ، معاق في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها رواه الترمذي وابن ماجه عن عبدالله بن محصن بلفظ : من اصبح منكم معافى في جسده ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فقد حيزت له الدنيا .

أيها المسلم في ديار غربة الإسلام . انظر إلى محاسن الشريعة الإسلامية ، فقد أمرت بمعاقبة الجناة ، كما أمر الله ورسوله للسارق والزاني والقاتل وغيرهم ، واسمع ما قاله ربك قال تعالى ﴿ **ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألبابِ لعلكم تتقون** ﴾[1] .

فالقصاص هو المساواة في العقوبات المشتركة ، وفي مشروعية القصاص حياةٌ للناس ، حيث يقل عدد المجرمين ، ويَرُدُّ العادين والمعتدين ، ولا ينتشر القتل والإجرام بين العالمين ، يقول ﷺ : (إقامة حدٍّ بأرضٍ ، خيرٌ لأهله من مطر أربعين صباحاً)[2] وفي رواية (خيرٌ من أربعين ليلة) .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * *

الحمد لله ، الذي أعزنا بالشريعة الإسلامية ، وطهر قلوبنا من الصفات الذميمة الدنيئة . ﴿ ... **الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ،... ﴾[3] . وأشهد أن لا إله إلا الله ، العزيز القادر القاهر الغفار ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي أرسله ربه من المصطفين الأخيار ، وعلى آله وصحبه السادة الأبرار .

وبعد . فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تؤتي الملكَ من تشاءُ وتنزِعُ المُلكَ مِمَّنْ تشاء وتُعزُّ من تشاء وتُذلُّ من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير** ﴾[4] .

---

١ ــ سورة البقرة (١٧٩) .

٢ ــ رواه ابن ماجه عن ابن عمر والنسائي عن جر بلفظ (ثلاثين) وابن حبان بلفظ (أربعين) بسند ضعيف .

٣ ــ سورة الأعراف (٤٣) .

٤ ــ سروة آل عمران (٢٦) .

أيها المسلمون . إسمعوا وعوا وانتبهوا . موضوعنا اليوم لا بد من بيانه وتبيانه إن شاء الله ، لئلا يقع الناس في الإثم ، والحديث بغير علمٍ أتاهم ، ولئلا يقع العامة والخاصة في بلبلة ، لا حاجة لهم في بحثها .

إن مصدر التشريع الأول[١] هو نبينا محمد ﷺ ومصدرُ رسول الله هو وحي السماء الإلهي ، قال تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحيٌ يوحى** ﴾[٢] .

أما الدساتير الوضعية ، والقوانين الدولية اليوم ، فهي من وضع البشر وحده . كل دولة على حسب اجتهادها وهواها ، علماً بأنه لا مستند لها في قوانينها ودساتيرها ، إلا الرأيُ والعاطفة والهوى . وهي قابلة للتغير والتبديل ، والزيادة والنقص . أما تشريع السماء ، فقد قال فيه المشرع الأعظم الأعلى ، وهو الله ﴿ **لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه ولا من خلْفِهِ ، تنزيلٌ من حكيم حميد** ﴾[٣] .

وقد ردَّ الله على الذين حاولوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بقوله ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[٤] .

أيها المسلمون . إن طريقة التشريع في عصر النبوة ، لم تقم على فرض الحوادث ، بل كانت سائرةً مع الواقع ، ومبنية على الإسلام (دينٌ ودولة) واعلموا أيها الناس . أن سلطة التشريع في ذلك العصر ، كانت للنبي ﷺ وحده ، وان مرجعه الصحيح ، كان الوحي النازل من عند الله . أما النظام الإسلامي ، ونظم أية دولة ، فهي تتكون من مجموعات

---

١ ـ المصدر التشريعي الأول هو القرآن الكريم والثاني السنة الصحيحة الشريفة ، والثالث : الاجماع ، والرابع القياس ، كما هو معتمد على الجمهور من الاصوليين .

٢ ـ سورة النجم (٤٣) .

٣ ـ سورة فصلت (٤٢) .

٤ ـ معنى ظهيراً : معيناً ونصيراً . من سورة الاسراء الآية (٨٨) .

القوانين والمبادىء ، التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة . ومن هذه النظم النظام السياسي . والنظامي الإداري ، والنظام المالي ، والقضائي . وهناك نُظم أخرى في الدولة الإسلامية ، كالصلاة والصوم والحج . أما حكومة رسول الله ﷺ فكانت حكومةً دينية ، تعتمد إلى حدٍّ كبير على عقيدة الناس ، أن النبي ﷺ إنما تجري تصرفاته في أحكامه عن وحي الله وأمره . هكذا استمرت الأحكام العادلة ، في حياة رسول الله ﷺ إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ، وانتهى باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه . وهكذا تبعه الخلفاء الراشدون الثلاثة ، والخلافة ؛ هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا ، نيابةً عن النبي ﷺ وكما قال ابن خلدون : (الخلافة هي حمل الكافة ، على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم ، الأخروية والدنيوية) .

أيها المسلمون . لما أعرض المسلمون وحكام المسلمين عن دستورهم ، وسنة نبيهم ، سلط الله عليهم من لا يخاف الله ولا يرحمهم ، وجعل ما كان في أيديهم من مقدساتٍ وأراض وديار وغيرها في أيدي عدوهم . غفلتم عن جهاد عدوكم ، فأذاقكم الله لباس الجوع والخوف بما كنتم تصنعون . واسمعوا تهديد الله ووعيده وتقريعه ، لأمثال هؤلاء **﴿أفأمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا بَيَاتاً وهم نائمون . أوَ أَمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحىً وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكرَ الله إلا القومُ الخاسِرونَ﴾**[1] .

نعم أيها الناس . إن منزلة الخليفة من الأمة كمنزلة الرسول ﷺ من المؤمنين . له عليهم الولاية العامة ، والطاعةُ التامةُ . ولكن علينا الطاعة ما دام الأمر في طاعة . وإن كان في معصية ، فلا طاعة لمخلوق في معصية

١ ــ سورة الأعراف (٩٧ ــ ٩٨ ــ ٩٩)

الخالق ، كما قال ﷺ وهذا أبو بكر رضي الله عنه ، يقول في خلافته (أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)[١] وقد بين الرسول ، بأنه على المؤمن أحب أم كره ، السمع والطاعة . وإن تأمَّر عليكم عبد فأطيعوه ، فإنه من يعش منكم فيرى اختلافاً كثيراً . والخليفة له حق القيام على دينهم ، فيقيم حدوده وينفِّذ شرائعه ، وله أن يقوم حق القيام بشؤون دينهم . فكل ولاية أو خلافة فهي مستمدة من الخليفة نفسه ، وكل خِطة دينية أو دنيوية ، فهي متفرعة عن منصبه . وهذا بخلاف ما تقوم عليه اليوم دول الغرب والشرق ، من دكتاتورية مُطلقة وديموقراطية مريضة يحسبون انفسهم آلهة من دون الله . وبخلاف دُولنا العربية ، شرقيةً كانت أو غربية ، مصادرها القوانينُ الوضعية ، التي لاتمت بصلة إلى الوحي السماوي . قال تعالى استدلالاً على وجود الخليفة في المسلمين ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله،...** ﴾[٢] . وقد كان ابو بكر رضي الله عنه يقول (لستُ خليفةَ الله ، ولكنني خليفة رسول الله ﷺ)[٣] .

أيها المسلمون . لقد طال بكم الوقت ، وتوسع البحث ، لكنه من الأمور الهامة اللازمة . التي لا يستغني أحد من الحكام والمحكومين عنها .

---

١ ـــ قالها عند مبايعة المسلمين له بالخلافة ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وأولها : يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وان اسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى ارجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله . رواه ابن اسحاق باسناد صحيح .

٢ ـــ سورة ص (٢٦) .

٣ ـــ روى الطيالسي عن ابي مليكة قال قال رجل لابي بكر يا خليفة الله ، قال لست بخليفة الله ولكني انا خليفة رسول الله ، وانا راضٍ بذلك .

إذاً فمالنا لا نُسارع إلى العمل بالشريعة الإسلامية .؟ مالنا لا نعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وقد نادينا بهذا مراراً وتكراراً في المسجد الأقصى وفي كل مكان وزمان ، وشهدت به أعواد المنابر .؟! لماذا لا يتفق حكام المسلمين على إقامة الحكم بدستور واحد ، وتطبقه تطبيقاً عملياً تاماً .؟ ذلكم الدستور الذي أعزّ الله به الإسلام والمسلمين ، ذلكم الدستور الذي انتصر به الإسلام والمسلمون ، فشريعتنا يا قوم . تجمع ولا تفرق ، تعدل ولا تظلم ، ترحم ولا تقسو ، توحد ولا تبدِّد ، وبذلك كله ينتشر الأمنُ والأمان والاستقرار في ربوع العالم كلِّه ، متى نُفذت الأحكام الشرعية في كل مكان ، وأقيمت الحدود . ينعمُ الناس بالحياة ، فلا قتل ولا سلب ولا اعتداء . وقد ضاعت مقدساتنا وبلادنا وديارنا من بين أيدينا ، ونحن نرجو السلام والأمن من أعدائنا ، وأعداء ديننا . من هو الأوْلى في بلادنا هذه بتطبيق الأحكام الشرعية من أحفاد رسول الله ﷺ وأسباطه .؟ وهو المشرِّع الأعظم بعد ربه . هل لنا من وثبة لك يا حسين .؟ وكم لك من وثبات ووثبات . هل تؤيد إخوتنا المهتمين بشريعة الإسلام .؟ فلتكن أنت يا حسين المبادر الأول لحفظ تراث آبائك وأجدادك .

يقول ﷺ (الدين النصيحة . قالوا لمن يا رسول الله .؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1] .

اتقوا الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يسمعه ويراه . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات . إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

---

١ ـــ متفق عليه عن تميم الداري ، وبقية كتب السنة .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واجعلنا بالشريعة الإسلامية واحكامها من العاملين . اللهم ردّ الحاكمين ومن حولهم إلى دينك رداً جميلا . اللهم اعز الإسلام والمسلمين . اللهم اسقنا الغيث . اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وأحي بلدك الميت ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، اللهم ألهمه العمل بشريعة جده سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه آجمعين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

* * * * *

* * *

*

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثامنة والثمانون بعد المائة :

٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ

١٩٧٩/٤/٢٠

« ماذا تريد المرأة المسلمة من الإسلام .؟»

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على من أبرزته من أنوارك الذاتية القدسية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ذوي الهمم العليه ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا لأحد من الناس ، وأصلح لي شأني كله . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً ، فاغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**﴾[1].

* * * *

الحمد لله ، جعل السعادة لمن أحبه وأطاعه ، والذّلة والشقاء على من خالفه وعصاه ، وهو العزيز الحكيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، أرشدنا بدينه الحنيف إلى سبل الأدب والكمال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، أرسله بالهدى ودين ، الحق ليخرج الناس من ظلمات البدع والجهالة والضلالات ، وينقذهم من سيء الأخلاق والعادات ، وقبائح الصفات ، صلوات الله وسلامه على سيدنا محمد ، وآله وصحبه ومن سلك سبيله بإحسان إلى يوم الدين .

---

١ ـ سورة طه (من الآية ٢٥ ـ الآية ٢٨) .

أما بعد . فيقول أحكم الحاكمين ، في محكم تنزيله ﴿ **يا نساءَ النبيِّ لستُنَّ كأحَدٍ من النساء ، إن اتقيتُنَّ فلا تخْضَعْنَ بالقول فيطمَعَ الذي في قلبه مرض وقُلنَ قولاً معروفا . وقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ولا تبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهليةَ الأُولى ، وأقِمْنَ الصلاة وآتينَ الزكاة وأطعْنَ الله ورسوله ، إنما يُريدُ الله ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويُطهرَّكم تطهيراً** ﴾[1] .

أيها المسلمون في عصر المدنيّةِ الخادعة الفارغة . إسمعوا خطاب الله لنساء النبي ﷺ وغيرهنَّ ، يقول سبحانه مخاطباً لهنَّ ، لستنَّ كباقي النساء في تقواكُنَّ وعُلوِّ شأنكنَّ ، ولأجل هذا ، فلا تجعلْنَ كلامَكُنَّ خاضعاً ليناً ، لئلا يطمع فيكن الذي في قلبه مرض الكفر والخُبث والنفاق ، وقُلْنَ قولاً صادقا حسناً ، بعيداً عن الشك والارتياب . وإن كنتن ترغبن في الدار الآخرة ، وإرضاء الله سبحانه وتعالى ، فامكثْنَ واجلِسْنَ في بيُوتكن التي أعدت لكُنَّ ، ولا تُظهرْن زينتكُنَّ لأحد من الناس . فالله سبحانه يتعالى ويتعاظم عن العلة والغاية والغَرض ، لكنّه يريد لكُنَّ حياة كريمة ، فيشَدِّدُ عليكُن في هذا المقام ، لأجلِ أن يُذهب عنكم آل بيت النبوة الرجس والدنس ، ويطهركم تطهيرا . يا نساء النبي . اذكرن ما يتلى وما يقرأ في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، عدِّلْنَ أركان صلاتِكنَّ ، وأدينها على وجهها الأكمل ، وأدين الزكاة لمن يستحقها ، أطعن الله ورسوله ، لا تتبرجْنَ ولا تتبهرجْن ولا تظهرن زينتكُنَّ ، كما فعلت نساء الجاهلة الأولى ، إن الله كان لطيفاً فيما قرره ، لكن ولا يزال من الصَّوْن والعفاف حفظاً لكرامتُكُن ، خبيراً بما يُصلحكُنَّ ، ويرفع من شأنكُنَّ[2] .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٣٢ ــ ٣٣) .

٢ ــ التبرج الجاهلي كما ورد من تفاسير الأئمة ، قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية ، وقال قتادة معنى الآية : اذ خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية تكسّر وتغنّج . فنهى الله عن ذلك . وقال مقاتل بن حيان والتبرج انها تلقى الخمار على راسها ولا تشده ، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها ، وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . ومن يقرأ ويوازن ما بين التبرج الجاهلي . والتبرج العصري الحالي ، وما عليه نساؤنا ، لوجد ان التبرج الان قد فاق التبرج الجاهلي شكلا وصفة ومعنى ، والعياذ بالله تعالى .

أيها المسلمون . إسمعوا ما يتعلق بالحجاب ، الذي أمر الله به نساء المؤمنين .

أمر الله سبحانه وتعالى ، نساء النبي ﷺ بالإستقرار في البيوت والمنازل ، ونهاهُنَّ عن التبرج وإظهار الزينة للرجال الأجانب ، كتبرج النساء في جاهلية الكفر ، قبل الإسلام . وما ذلك إلا ليزيل عن سمعتهنَّ ما يدنس العِرض ، ويطهرهن من أدران الخزي والعار ، صوناً للشرف ، وحفاظاً على الكرامة[1] .

إسمع أيها المسلم . إذا كان ذلك التحذير لأمهات المؤمنين ، وهنَّ على ما تعلم من الطهارة والعفاف والصيانة والتقوى والإستقامة ، فغيرهن من نساء المسلمين أحقُّ وأولى بهذا الخطاب ، لتهاونهن بأمر الحجاب . ولا يخفى أن الخطاب عامٌّ شامل لجميع نساء المسلمين . وقد خصَّ الله نساء النبي ﷺ وحث على الاحتشام والتمسك بالحجاب ، ونهاهُنَّ عن التبرج ، لتأخذ النساء المسلمات الأخرى درساً عنهن في العظة والتأديب ، والتحذير من الميوعة والأنوثة .

معشر المسلمين . لقد أدخل علينا الغربيون ، باسم الحرية والأحرار والديموقراطية والحضارة والمدنية والرقي والنهوض والتطور ، وما أسرع ما ينخدع المسلمون بخلابة الأسماء وبريق الألفاظ ، فلقد فهموا من الحرية الإباحية الفوضوية في كل شيء ، حتى في الأعراض والحُرمات ، التي يعتز بها كل مسلم ، أكثر من اعتزازه بنفسه . نعم . إن الإسلام يحبِّذ الحرية والحضارة والتطور ، لكنه يفرق بين الحرية والإباحية ، والحضارة والفوضى ، لأن كل شيء يتجاوز حدَّه ، يعتريه العطب والفساد

---

١ — حتى ان الاستقرار في البيوت للنساء عبادة وجهاد في سبيل الله ، فعن انس قال : جئن النساء الى رسول الله فقلن يا رسول الله : ذهب الرجال بالفضل والجهاد ، فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ من قعدت منكن في بيتها ، فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله .

والتلف . فتناول الطعام مثلاً محمودٌ ، فيه قِوام الجسد ، لكنه إن زاد على حده ، انقلب إلى تُخمَةٍ مُهلكة ، والنور ضروريٌّ للإبصار ، لكنه إن زاد على حده ، انقلب إلى نار محرقة . وكذلك الاختلاط بين الجنسين أمرٌ محتوم ، ولكنه إن زاد على حدِّه ، انقلب إلى فسق وفجور ، ولقد كان من الممكن أن يكون الاختلاط حميداً ، لو حُجبت فيه مَحاسِنُ المرأة ، وسُتِرت فيه العورات ، وعفّت فيه الألسنة والعيون . فاختلاط هذا شأنه ، لا بأس به ، ولاشيةَ فيه ، لأن نوعاً منه كان موجوداً على عهد رسول الله ﷺ فلقد كان الرسول وأصحابه ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضوانه عليهم ، يقابلون النساء في المساجد والبيوت والشوارع والطرقات ، والأسواق والميادين ، ولكنهنَّ كن مستوراتٍ محتجباتٍ عن النواظر والعيون . كن يخرجن للصلاة ، ومجالس العلم ، ولكنهُنَّ متنقبات مستورات ، حيث كان ذلك الزمان زمان صلاح ، وعلم ورشاد . ولكن الحال تغيَّر ، لاسيما في هذا الزمان . ولقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ، بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر . تالله . لو رأى رسول الله ﷺ ما فعلته النساء بعده ، لمنعهنَّ الخروج إلى المساجد[1] .

ومع ذلك ، فقد رغَّبَ النبيُّ ﷺ المرأة في الصلاة في بيتها ، حتى في مخدعها . وبين لها أنها أفضل من الصلاة في مسجد قومها . واليكم ما قاله رسول الله ﷺ في ذلك . (صلاة المرأة في بيتها ، أفضل من صلاتها في حُجرتها (يعني في حظيرتها خارج البيت) ، وصلاتها في مِخدعها ، أفضل من صلاتها في بيتها)[2] وقال (صلاة المرأة في بيتها خيرٌ من صلاتها في حُجرتها ، وصلاتها في حجرتها ، خير من صلاتها في دارها ، وصلاتها في دارها ، خير من صلاتها في مسجد قومها)[3] .

---

١ ــ ومن اراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع كتابي (حجابك اختي المسلمة) تأليف بغداد بكور الباقني .

٢ ــ رواه ابن خزيمة عن عبدالله بن مسعود .

٣ ــ رواه ابو نعيم في الحلية والديلمي والحاكم وابو داود عن أم سلمة .

نعم . كان الاختلاط زمن النبي ﷺ وكانت المرأة تساعد زوجها في كثير من الأعمال ، وتخرج معه إلى حقول الزراعة ومراعي الحيوانات ، فإن كان مُزارعاً أعانته على زراعته ، وإن كان راعياً ساعدته على ماشيته . وإن خرج إلى الحرب ، خرجت في ركابه ، لتضميد الجرحى ومواساتهم ، وإعانة المحاربين . كانت تسقي الظمآن من المجاهدين . والتاريخ والسيرة النبوية المحمدية ، أصدق شاهد على ذلك كما ورد عنه ﷺ : (ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً في المعركة ، إلا وجدت نُسيبة المازنية ، تقاتل دوني بالسيف)[1] .

وهي — في أثناء ذلك كلّه — طاهرة الذيل ، نقية العرض ، مستورة المحاسن ، بارزة الشرف والمروءة ، مستورة الصدر والنحر والمفاتن ، غضّة الطرْف ، بريئة اللسان ، لا تخلوَنَّ بأجنبيٍّ آخر يَمسُّ كرامتها ، ويدنس عفافها . لا تظهر لها أنوثة ، ولا يلينُ ولا يخضع لها قول ولا لفظ ، ولا ينكسر لها صوت عند النداء والمحادثة ، ولا يميسُ لها قوام . بل هي جادة مجاهدة ، عاملة في حقل الحياة ، دؤوبةٌ يقظةٌ حذرة . فيها معنى الرجولة والإباء والشمم ، تُخفي أُنوثتها في موطن لا تحتاج إلى الأنوثة فيه ، لأنها تعلم وتتأكد أن الإسلام نهاها عن التبرج

---

١ — صحيح ان نسيبة المازنية خرجت تقاتل مع رسول الله ﷺ ، ولكنه لم يكتب الجهاد على النساء . فها هي ام سليم قالت يا رسول الله اخرج معك الى الغزو ؟ قال يا ام سليم ، انه لم يكتب على النساء الجهاد ، وقالت اداوي الجرحى واعالج العين ، واسقي الماء ، قال فنعم اذا .

وفي صحيح البخاري : عن انس لما كان يوم احد انهزم الناس ولقد رايت عائشة وام سليم . وانهما لمشمرتان ، ارى خدم سوقهما تنقزان ، القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في افواه القوم ، ثم ترجعان ، فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في افواه القوم ، والمعروف ان ذلك في يوم أحد ، ولما ينزل الحجاب بعد وبعدما فرض الحجاب تغيرت الصورة .

فقد روى ابو داود من طريق حشرج بن زياد ، عن جدته ، انهن خرجن مع النبي ﷺ في حنين وفيه : ان النبي ﷺ سألهن عن ذلك فقلن . خرجنا نغزل الشعر ، ونعين في سبيل الله ، ونداوي الجرحى ، ونناول السهام ، ونسقي السويق .

ولكن النساء اذا قاتلن ضمن الستر والحشمة والحجاب ، فيمكن خاصة في الحالات الدفاعية ، فقد اخرج مسلم من طريق انس ان ام سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقالت اتخذته ان دنا مني احد من المشركين ، بقرت به بطنه .

والتبهرج كتبرج الجاهلية الأولى ، وحرَّم عليها إظهار زينتها أمام جميع الرجال الأجانب ، اللهم إلا أمام زوجها الشرعي ، الذي أباحه لها الدين ، فلها أن تضع بجمالها بين يديه ، وتتزين له بما تحبه وتراه ، كما أباح لها إظهار الوجه والكفين ، وما ليس فيه فتنة ، لمحارمها كأبيها وأخيها وعمها وخالها وجدها .

هذا هو الاختلاط ، الذي يراه الإسلام ، وهو اختلاط تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة ، ويدعو إليه الواجب الدينيُّ ، وتحتِمُه ضرورة الحياة . وهو اختلاط ـــ كما ترون ـــ تهيمن عليه الفضيلة ، وتسيطر عليه العِفة ، وتنحسر عنه الرذيلة ، ويمسك بزمامه الدين .

أما الاختلاط في أيامنا هذه . فقد أصبح جريمة نكراء ، وفضيحةً شنعاء ، وداهية دهياء ، تذوب منها الأكباد والقلوب ، وتغْرَق فيها العيون بالدموع ، وتقشعر لها الأبدان .

أيها المسلمون . في زماننا هذا . لقد ولَّد لنا هذا الاختلاط ، ورفعُ الحجاب مصاعب جَمَّةً ، وكثيراً من العقد النفسية ، والأزمات الاجتماعية ، التي يعاني مرارتها كثير من الناس ، فلا يستطيعون ردَّها ، حيث صار الناس يعتبرون هذا الخروج على الإسلام حرية وتمدناً وتطوراً . كما قيل :

ليس التمدن أن تزيغ وتكفـــرا
إن التمدن أن تطيـــع وتشكـــرا

أيها المسلمون . ماذا تريد المرأة المسلمة أن يفعل الله في الحجاب[1] . أتريد تعطيل الحكمة الإلهية .؟ أتريد رفع القرآن من الأرض .؟ أتريد رفع

---

١ ـــ ان ارادت أم لم ترد لا يكون الا ما أراد الله عز وجل ، ولا عبرة بارادتها ، ولكن لنا صيحة مدوية في آذان الرجال القوامين على النساء ، ان يستعمل كل منهم سلطته التي منحه الله اياها ، فالمرأة مع جبروتها وتمردها وكيدها ، لا تساوي شيئاً أمام ارادة وتصميم وعزم وحزم الرجل فلو أن كل رجل نفذ ما منحه الله من القوامة والرعاية ، لوجدنا مجتمعاً غير هذا المجتمع ، ونساء غير تلك النساء .

آية الحجاب من القرآن .؟ أم تريد نسخ الآيات المختصة بتأديب المرأة وتهذيبها .؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . إنها تنادي بأعلى صوتها ، وتندد بالإسلام ، وتندد بالحجاب ، ومن شرعه ، وتصِم الإسلام بالرجعية ، وتحتج على الحكم بالشرع والإسلام ، وتصِمُ الإسلام بالتأخر والابتعاد عن المدنية والحضارة ، في عُرفها .

واسمعوا أيها الناس . ما قالته حرم الدكتور محمد رضا في كتابها التبرج : الدنيا في خير ، ليست النساء كلها طاغية .

أيها الناس . إنكم ترون المنكرات تحيق بكم آثامها ، وتسكتون حياءً من الفاسقين ، وترون الشرّ تتأجج ناره ، ويرميكم بشرره ، وتغضون أعينكم عنه . فأين أنتم ممن قال الله فيهم ﴿ **وَلْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينْهونَ عن المنكر ، وأولئك هم المُفلِحونَ** ﴾[1] .

ثم قالت حرم الدكتور محمد رضا في كتابها : قاطعوا من خرج على الآداب والاحتشام . حاربوا هذا الداء الوبيل ، الذي يهتك ويفتك بالأعراض والأجسام . بادروا إلى إنقاذ أنفسكم وأهليكم ، وبناتكم وزوجاتكم من هذا الوباء الفتاك . عالجوهم بآداب وشرائع الإسلام . لينجون من شر هذا الهلاك ثم قالت مخاطبة نساء هذا الزمان ، قائلةً (صوني أيتها الشريفة المؤمنة جسمك الطاهر من اعتداء الأعين الزانية ، وحصِّنيه بالاحتشام ، لتذودي عنه السهام الغازية . وهذا قليل من كثير مما قالته في كتبها ومحاضراتها ، جزاها الله عن الإسلام والمسلمين خيرا .

يقول عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده ، لتأْمُرنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشِكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم

---

١ ــ سورة آل عمران (١٠٤) .

تدعونه ، فلا يستجاب لكم)[1] عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . ويقول عليه الصلاة والسلام (ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)[2] أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، أدعو الله . وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله الحليم الكريم مالك المُلك ذي الجلال والإكرام أشهد أن لا إله إلا الله الحاكم العادل في حكمه لا تأخذه سِنة ولا نوم وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله دعانا إلى التمسك بشريعته ونهانا عن كل ما يعود علينا بالخسران والضرر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الهادين .

وبعد فيا أيها المسلمون . كأن القوم في هذا الزمان فقدوا الإباء والشمم والحمية والغيرة ، إذ أننا نرى الرجل على مابه من الوجاهة وجمال المظهر ، تقهقر ضعفاً وجُبناً في مثل هذه المواقف ، التي تتطلب رجولة وشهامة وثباتاً وحزماً وعزما ، فليس فينا — مع الأسف — من يغار على الآداب والأعراض . ليس فينا من يتألم لخروج النساء والزوجات كاسيات عاريات ، بهذا الشكل الفادح الفاضح . ليس فينا من يوقف الزوجة والأخت أو البنت عند حدها . ليس فينا من يدعو إلى الحجاب . والمتحجبات في هذا البلد قليلات قليلات . ليس فينا من يتألم لتجرد وتخلي المرأة عن الحجاب اللطيف الساتر طول المرأة وهيئتها إننا نرى الأقارب والأباعد على حد سواء ، لا دين يردعهم ، ولا شرف يحذرهم ، والساكت عن الحق شيطان أخرس .

---

١ — رواه الطبراني في الأوسط والبزار الخطيب عن أبي هريرة ، بسند ضعيف .

٢ — متفق عليه ، والنسائي والترمذي وابن ماجه والامام احمد عن عائشة .

ليس فينا اليوم من يتألم ويتحسر ، ويأمر بمعروف ، وينهى عن منكر ، فلا أبٌ تحركه نخوة الرجولة والأبوة ، فيغارُ ويهذب ابنته ، ولا زوج تدفعه الغيرة ، فيكبح جماح امرأته . ولا أخ يهتم لصون عفاف أخته . حتى عمَّ الفساد ، وساء الحال ، وفسد الأمر[١] . وصدق الله العظيم ﴿ **ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعضَ الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾[٢] ﴿ ... **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين** ﴾[٣] .

أما أنتم أيها المسؤولون . فالتبعة والإنحاء باللائمة ، كل ذلك عائد عليكم ، وأنتم مسؤولون أمام ربكم . يوم توفى كلُّ نفس ما عملت . اتقوا الله حق تقواه ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)[٤] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب . العالي القدر العظيم الجاه ، وعلى آله وصحبه وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين .

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين ، ونسألك اللهم أن تؤلف بين قلوب الأمة ، اللهم من تمسك بشريعتك واعتصم

---

١ ــ هذا الصنف من الرجال الديوث ، الذي لا يدخل الجنة ، كما مرَّ معنا سابقاً .

٢ ــ سورة الروم (٤١) .

٣ ــ سورة الاعراف (٢٣) .

٤ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

بحبلك فخذ بناصيته إلى الخير ، ووفقه لما تحبه وترضاه ، ومن حادَ عن شريعتك ، وتمسك بغيرك ، وتأمل النصر من غيرك ، فخذه أخذ عزيز مقتدر . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال . اللهم هَيِّءْ له بطانة صالحة مؤمنة صادقة ، تحثه على الخير ، وتحذره من الباطل ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، سخاءً رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[١] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التاسعة والثمانون بعد المائة :

٩ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ

١٩٧٩/٥/٦

« العدل أساس الملك »

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ، الداعي إلى الله على بصيرة من ربه ، وعلى آله وصحبه ، ذوي النصح والعدالة والإرشاد والسداد . اللهم لا سهل إلاَّ ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك ، أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه ، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * *

الحمد لله الحليم الكريم ، أمرنا بالعدل والعمل به ، ونهانا عن الظلم والاستبداد . وأمرنا باجتنابه . أشهد أن لا إله إلا الله الحكم العدل ، القائمُ على كل نفس بما كسبت ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، دعانا إلى حسن المعاملة ، وحذرنا من الجُبن والكسل ، وأمرنا أن نجهر بكلمة الحق أينما كنا ، فالثقة بالله أقوى أمل ، والتوكل عليه أزكى عمل ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا غُرّة العادلين .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فيقول الله أحكمُ الحاكمين ، وهو الحاكم العادل ، في محكم كتابه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامينَ لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمَنّكم شنئانُ قوم على ألاّ تعدلوا ، آعْدِلُوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إنَّ الله خبير بما تعملون** ﴾[1] .

أيها المسلم . أيها المسلمون . هذه الآية الكريمة ، ترشدنا إلى الجهر بالحق ، والقولِ بالصدق والصواب ، وترشدنا إلى العدل في الأحكام ، والتمسك بالعهود والمواثيق ، وإحكام الأعمال ، وإتقانها . فخاطب سبحانه عباده ، المؤمنين والخطاب عام شامل للمسؤولين وغيرهم ؛ للحاكمين والمحكومين . بل الآية تطالب كافة الخلق ، في كل مكان وزمان ، ومن باب أولى لمن ولأّهمُ الله زمام أمور الشعوب ، والناس أجمعين . وإنما خصّ المؤمنين بخطابه ، لأنهم همُ المنتفعون بالخطاب ، إذ يقول ـــ جلّت عظمته وتبارك اسمه ـــ يا أيها المؤمنون ، تمسكوا بعهود الله ، شاهدين بالعدل ولو على أنفسكم ، أو والدِيكم أو الأقربين دون محاباةٍ لأحد ، وكأنه سبحانه يقول : يا معشر المؤمنين (يا عبادي ، إني حرّمت الظلم على نفسي ، وجعلته محرماً بينكم ، فلا تظالموا)[2] ولا تحملّنهم كراهنكم لقوم ، أو لجماعات أو لأشخاص ، على الجور والظلم . فإن كنتم تريدون وجه الله والدار الآخرة في أعمالكم ، فاعدلوا في حكمكم على الناس ، في توقيعكم على المعاهدات ، من غير تدبر ولا تبصُّر في عواقب الأمور ، فذلكم أفضل وأقرب للتقوى . اتقوا الله يا حكام مصر فيما وقعتم عليه ، ووافقتم عليه دون رأينا وموافقتنا معشر الفلسطينيين . فلا أنتم تمثلوننا ولا غيرُكم ، ولسنا في حاجة إلى وصايتكم ، فلا يمثل القضية أحد إلا الفلسطينيون أنفسُهم . لا نقرُّ هذه

١ ـــ سورة المائدة (٨) .

٢ ـــ رواه مسلم ، وقد تقدم ذكره .

المعاهدة ، التي فيها حَرماننا من حقوقنا ، وتقرير مصيرنا ، سواءٌ أكانت بالألفاظ أم بالأقلام ، أم بالدسائس والمؤامرات . العدل أيها الناس . اعطاءُ كلِّ ذي حق حقّه بالعقل والمنطق السليم ، لا بالضوضاء والتظاهر ، والجلبة والتفاخر بالباطل ، وإضاعة الحقوق وإهدارِها . العدل مساواة بين الناس في الحق والرعاية . فأين هي حقوق الإنسان يا دعاة حقوق الإنسان .؟ العدل مساواةٌ بين الناس جميعاً ، والظُلم هو انتقاص الحقوق وإضاعتُها .

وقد أمر الله عباده بالعدل في الأمور كلِّها ، فالعدل إذن أساس الملك ، لا بل أساس بقائه وثباته .

أَجَل ألا وإن في العدل نظامَ الملك واستقراره ودوامه ، لأن الملك يدوم مع العدل . هذا وقد وعد الله العادلين بمحبته لهم ، وإجابته دعاءَهم ، ورفع درجاتهم فوق درجات الآخرين ، إذا كانوا أئمة وولاة عادلين ، وحكاماً مقسطين . أما اليوم فلا نرى إلا حكاماً قاسطين جائرين . نعم . وعد الله الحكام العادلين بإظلالهم تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظلّه ، وإعانتهم وتبصيرهم طريق الصواب والسّداد بالعدل .

يا أمتنا تحيا الأفراد والجماعات حياة راضية مرضية . فهل من العدالة يا حاضنة إسرائيل ووصيتها أن يُسلب منا أرضنا ومقدساتنا ، وتعطى للدخلاء والمغتصبين .؟ هل من العدالة أيتها الدولة العظمى والكبرى ، ولا عظيم ولا كبير إلا الله ، أن توطأ مقدساتُنا بالأقدام ، وتسلب منها شرعيتُها وأحقيتُها .؟ هل من العدالة يا سادات أن تتنصّل من إخوتك وأشقائك وأمتك .؟ وتقلب لهم ظهر المجن ولكن كان لمصر شأنها ووزنها وثقلها بين الأمم . أما اليوم ، فكما قيل :

هيهات بين اللؤم بون والكـــــرم

أبعدُ مما بينَ بُصرَى والحـــــرَمْ

إن أشقاءك العرب وأمتك الإسلامية العربية ، لا تخذل بإذن الله ﴿ ... **كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾[1] .

وكما استخذأتُ للحدثان حتى آتاني من ورائي ومن أمامي

وكما قيل :

ولكن إنساناً إذا ملّ صاحبا وحاول أمراً لم يزل يتجرّمُ

إن الله سبحانه . وتعالى نهانا عن موآلاة أعداء ديننا ووطننا وأمتنا ومقدساتنا . اسمعوا يا من وقعتم ووافقتم على معاهدة الصلح الجانبي قولة ربكم ، في حقكم وأمثالكم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا مَنْ يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يحبُّهم ويُحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم** ﴾[2] . ويقول سبحانه ﴿ ...، **ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾[3] .

وروى ابن ماجه والبزار ، واللفظ له (السلطان ظِلّ الله تعالى في الأرض ، يأوي إليه كلّ مظلوم من عباده ، فإنْ عدل كان له الأجر ، وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو حاف أو ظلم ، كان عليه الوزر ، وعلى الرعية الصبر)[4] وإذا جارت الوُلاةُ قحطت السماءُ ، وإذا مُنعتِ الزكاة ، هلكت المواشي ، وإذا ظهر الزنا ، ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أُخفرت أي نُقضت العهود والمواثيق ، أديل الكفار ، أي غلبوا غيرهم . وما أوردته من الوعيد بالنسبة لهؤلاء المفرطين ، قليل من كثير .

---

١ ــ سورة البقرة (٢٤٩) .

٢ ــ سورة المائدة (٥٤) .

٣ ــ سورة التوبة (٢٣) .

٤ ــ رواه الديلمي في فردوسه ، عن ابن عمر بسند ضعيف .

أيها المسلمون في زمن الحرمان من العدالة . يقول ربكم الأعلى : ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمانَ بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون** ﴾[1] .

لقد عاهدت الله يا (سادات) في مؤتمر الرّباط وغيره ، على أن تكون مع إخوتك وأشقائك جنباً إلى جنب ، في المكره والمنشط ، في الشدة والرخاء ، في الخير والشر ، في الحرب والسِّلْم ، يداً واحدة ، وقلباً واحداً ، ورأياً واحداً ، أليس كذلك .؟ فلماذا جُعِلتِ الشُّورى في الإسلام ، حصناً من حصونه .؟

عقل الفتى ليس يُغني عن مشاورة
كحِدة السيفِ لا تغني عن البطل

أما نقضت يا (سادات) أيمانك وعهودك ومواثيقك المغلظة ، بعد توكيدها ، بعدما جعلت الله عليك كفيلا .؟ كنت يا صاحب المعاهدة ، تخشى من الحسين بن طلال أن يلجأ إلى صلح منفرد . فها هو ذا موقف الحسين ثابت لا يتزعزع . نعم . إنه يريد سلاماً ، ولكنه يريد سلاماً منطقياً مرضياً ، يريد سلاماً عادلاً شاملاً يؤَمِّنُ مصالح الفلسطينيين في كل زمان ومكان ، لا يريد سلاماً سطحياً جزئياً يقضي على القضية برمتها . وكذلك إخوانه واشقاؤه ، يريدون ذلك .

إنها معاهدة مصطنعة ، مبنية على ترسيخ وتثبيت أقدام الصهيونية العالمية في أرض المقدسات . إن الحسين طالب عدة مرات وأشقاءه ، إسرائيل وهيئة الأمم ، بالجلاء عن مدينة القدس جلاء تاماً لا مفاوضة فيه ، ولا مساومة فهي قدسُنا ، يؤكد وجودها بأيدينا الفتوحات الإسلامية المتكررة .

---

١ ـــ سورة النحل (٩١) .

يقول ﷺ (يدُ الله مع الجماعة)[1] وفي رواية (يد الله على الجماعة) وكما قال ﷺ (من شذَّ ـــ يعني عن الجماعة ـــ شذَّ إلى النار)[2] أو في النار .

ويقول ﷺ (لا تُقدَّس أمةٌ لا يُقضى فيها بالحق ، ولا يأخذُ الضعيفُ حَقَّه من القوي ، غير متعتع)[3] يعني إذا لم ينل الضعيف حقه بحق وصدق ، من غير أن يصيبه أذىً يقلقه ويزعجه . ويقول عليه الصلاة والسلام (إن المقسطين (أي العادلين) عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم ، وما وُلّوا)[4] .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه يغفر لي ولكم ، أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، أقام بالعدل نظام ملكه وجعله وسيلة عطفه وبرِّه ، فأمرنا بإعطاء الحقوق لأربابها ، ونهانا عن انتقاصها ، ووعد على ذلك بمحبته وجنته ورحمته ، إنه كان وعده مأتيّاً ، وما كان ربك نسيّاً ، أشهد أن لا إله إلا الله ، الشديدُ في أخذه وبطشه ، ولا بدَّ منتقمٌ من الظالمين **﴿ ولا تحسَبَنَّ الله غافلاً عما يعملُ الظالمون ، إنما يؤخِّرُهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصارُ ﴾**[5] .

---

١ ـــ رواه الترمذي عن ابن عباس .

٢ ـــ رواه الترمذي عن ابن عباس ، وهو بقية للحديث الأول ، ورواه الطبراني .

٣ ـــ يد الله مع الجماعة والشيطان مع من خالف يركض.رواه الاصفهاني باللفظ المذكور . ورواه البيهقي عن بريدة بسند ضعيف ، وقد تقدم اختلاف رواياته . ورواه الطبراني بلفظ « ان الله لا يقدس امة لا يعطون الضعيف منهم حقه » .

٤ ـــ رواه مسلم واحمد والنسائي عن ابن عمرو بن العاص ، ولم يخرجه البخاري .

٥ ـــ سورة ابراهيم (٤٢) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، عدل بين رعيته ، وأنصف في قضية أمته ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتفى أثرهم من الحكام المقسطين ، والقضاة المنصفين .

وبعد فيا مسلمي زماننا هذا :

إعلموا أن السعيد من عدل ، والشقيّ من ظلم ، العادل راضيةٌ عنه نفسُه ، راضيةٌ عنه أمته ، محبٌّ له ربُّه ، والظالم إن كان له ضمير ، وخزه كلّ ساعة وكلّ لحظة ، فنفسه بظلمه شقيّةٌ دائماً ، يكون معذّب الفؤاد ، والرعية منه في بليّة ، عقوبة الله له بالمرصاد في الدنيا . زوال مُلكه وسلطانِه وهيمنته وخراب دياره ، وفي الآخرة عذابُ النار ، وبئس القرارُ . العادل لا يرعى إلا الله في عمله ، فلا يحابي أحداً من خلقه . فإن دُعيَ إلى الشهادة أقامها على وجهها بالقسطاس المستقيم ، ولو على نفسه ، أو الوالدين والأقربين ، يقضي بين الناس بالحق ، ويُعطي كلاً ما استحق ، العادل يخشى ، ولا تأخذه في الجهر بكلمة الحق لومةُ لائم ، ولا سطوةُ ظالم . أولئك الذين تقوم بعدالتهم الدولة ، وتعزُّ بهم الأمة ، يعيش أفرادها وجماعاتها وفقراؤها وأغنياؤها وضعفاؤها وأقوياؤها عيشةً راضية ، مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وأوطانهم وأعراضهم .

أيها الحكام . أيها الحاكمون . أيها المسؤولون . ما أجمل الوفاق بعد الشقاق . لقد اتفقت كلمتكم جميعاً في مؤتمر بغداد ، والحمد لله ، وهذا يبتغيه العالم بأسره ، تالله . لو عدلتم فيما ولّاكم الله إياه ، وفيما بينكم وبين ربكم ، وبينكم وبين عباده ، لانتصرتم ، ولو تمسكتم بشريعة ربكم ، بكتاب الله وسنة نبيكم ، لظفرتم بالفوز المؤكد . ولوعدلتم ، ولشعوبكم أحسنتم ، لجعل الله لكم ولشعوبكم التي رزحت وطأة العسف والجور من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجا .

ضاقتْ فلمّا استحكمت حلقاتُها فُرِجَتْ ، وكن أظنها لا تُفْرَجُ
ولَرُبَّ حادثة يضيق بها الفتى ذرعاً ، وعند الله منها المخرج

ولقد أجاد من قال :

إذا الحادثات بلغن النهى فعند التناهي يكون الفرج

قال الإمام القشيري ، رضي الله عنه : أمر الله تعالى عبده بالعدل ، فيما بينه وبين ربّه ، وفيما بينه وبين نفسه ، وفيما بينه وبين خلق الله تعالى . فالعدل فيما بينك وبين ربك ؛ أن تؤثر حقّ الله تعالى على حظ نفسك ، وتقدم رضاه على هوى نفسك ، ملازماً جميع أوامره ، مجتنباً نواهيه ، وأما العدل فيما بينك وبين نفسك ، أن تمنعها عما فيه إتلافُها وهلاكها ، وأما العدل فيما بينك وبين خلق الله تعالى ، فبذلُ النصيحة إليهم ، وتركُ الخيانة في أموالهم وأعراضهم وأوطانهم .

أيها المسلمون . الظلم إذا انتشر في أمة من الأمم ، فقدت عزتها وشوكتها وسلطانها ، الظلم إذا انتشر في أمة من الأمم ، سلّط الله عليها عدوَّها ، فاحتلّ بلادها وسلبها عزها ومجدها وكرامتها ، وقضى على هيبتها ، الظلم منشأ العداوات والأحقاد والأضغان والخصومات ، (الظلم ظلمات يوم القيامة)[١] يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرّماً ، فلا تظالموا)[٢] .

يا أمة الإسلام . العدل أساس الملك وثباته وقوامه ، لقد ظلمتنا يا (سادات) بتواطئك مع أعداء ديننا ، وقضيت على آمالنا . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . وحسبنا الله ، ونعم الوكيل ﴿ ...، وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقَلَبٍ ينقلبون ﴾[٣] .

---

١ ــ متفق عليه ، وقد تقدم وهو بلفظ « إن الظلم ظلمات يوم القيامة » .
٢ ــ رواه مسلم وقد تقدم مراراً .
٣ ــ سورة الشعراء (٢٢٧) .

عباد الله اتقوا الله حق تقواه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)[1] وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ؛ قادتها وجماعاتها وحكامها ، واجعل العدالة زاداً لهم ومهاداً .

اللهم يا مالك الملك ، ياذا الجلال والإكرام . يامن عدلت في خلقك وما ظلمت . نسألك اللهم وندعوك على من تواطأ مع عدونا على ضياع فلسطيننا ومقدساتنا وبلادنا . نسألك بعدلك بفضلك بجلالك بجمالك بكمالك ، أن تأخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولا تبلغه آماله يا رب العالمين . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسين بن طلال .

عباد الله : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[2] .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ـــ سورة النحل (٩٠) .

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة التسعون بعد المائة :

٢٠ رجـب ١٣٩٩هـ

١٩٧٩/٦/١٥

إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على نبيك ورسولك ، وعلى آله وصحبه الأطهار ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم ارزقني قوة في ديني وإيماناً وصدقا بيقيني ، وألهمني الجهر بكلمة الحق اينما كنت يا رب العالمين ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله العليم بما كان ، وما يكون ، المدبر الحكيم ، فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبيرُ المتعال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، صفوة الخلق ، وعين الكمال . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ، محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن سلك سبيل الهدى إلى يوم يبعث الله فيه عباده ، ليجزي الذين أساءوا بما علموا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد : فقد قال الله جلت حكمته ، وتعالت عظمته ﴿ **ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلا** ﴾[١] .

أيها المسلمون في كل زمان ومكان . اقتضت حكمة الله عز وجل ، أن يخلق هذا العالم على أكمل نظام ، وأبدع إحكام ، واختار من بينه هذا النوع الإنساني ، للخلافة في الأرض ، والقيام بالعدل ، ليكمل العُمران ، ويتمّ النظام . خلق الإنسان فسوّاه وعدّله ، وأبدع خَلْقه ، وصوّره فأحسن صورته ، ونفخ فيه من روحه ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين .

أودع فيه العقل ، ليميز بين النافع والضار ، ويفرِّق بين الحق والباطل ، والقبيح والحسن ، وركّب فيه من القُوى والحواس ، ما يستعين به على أمور دينه ودنياه ، ونصب له من دلائل وحدانيته ، وآيات علمه وقدرته ، ما يُخضعُه لعظيم سلطانه ، وجلال ربوبيته ، وأسبغ عليه نعمه ، ظاهرة وباطنة ليقوم بشكر نعمته ، ويمتلىء قلبُه بمحبته ، وسخَّر العوالم كلّها لمنافعه وخدمته ، ﴿ **الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخَّرَ لكم الفُلكَ لتجريَ في البحر بأمره ، وسخَّرَ لكمُ الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبينِ ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تَعُدّوا نعمة الله لا تُحصوها ، إن الإنسان لَظلومٌ كفّارٌ** ﴾[٢] .

أيها المسلمون . إن الذي خصّه الله بهذا التكريم ، يجدُر به أن يكون مصدر خير وفضل ، ومثال كمال وعنوان رحمة ، من خُصَّ بهذا الفضل ،

---

١ — سورة الاسراء (٧٠) .
٢ — سورة ابراهيم (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) .

يجب عليه أن يكون مَلكاً في طهارة نفسه ، وإنساناً في الوقوف عند حدود ربه ، بعيداً عن مساخط الله عز وجل ، متحلياً بمحاسن الصفات ، ومكارم الأخلاق ، يجب عليه أن يتباعد عن مظاهر الجبروت والكبرياء ، بعيداً عن الشر والفساد ، والانتقام والإضرار بالناس ، فاللائق إذَنْ بمن ولاه الله شؤون الناس ، وبمن أنعم الله بعدله ورحمته ، ووسعه بكرمه وحلمه ، أن يكون في معاملة الناس عادلاً رحيماً ، وحكيماً حليماً ومتسامحاً كريما ، فبعدله يكبح جماح الظالمين ، وتطمئن قلوب المستضعفين ، وبرحمته وشفقته ، تزول ويلات الأرامل واليتامى والمساكين ، وتخف آلام البؤساء والمعوزين ، وبحكمته وحزمه يدبر أمر نفسه ، ونظام أمته ، وبحلمه وتسامُحِه يملك القلوب ، وتخضع له النفوس ، وبه وبأمثاله يعيش الناس آمنين مطمئنين .

أيها الناس في زمن الالتباس والإفلاس . إن من تخلّق بهذه الأخلاق الكريمة ، وتجمّلَ بهذه الشمائل السامية ، وسلك سبيل الهدى والاستقامة ، وسلمت الناس من يده ولسانه ، كان عند الله وجيها ، وصار مَلَكاً كريما ، في صورة إنسان رحيم ، وذكره الله في سجل الرحماء الخالدين .

أما من خبثت طويته وضميرُه ، وتجردَّ من الأخلاق الفاضلة ، وعاث في الأرض فساداً ، وكان مصدراً للأذى والشر ، وداعيةً للتفرق والتنازع ، كأبي رُغال السادات ، الذي دلّ أبرهة الحبشي على مكان البيت الحرام ، لهدمه والقضاء عليه ، فهو لا شك داءٌ وبيل ، وبلاءٌ عظيم ، فما أتعسه في الدنيا . حيث أضاع الحقوق المشروعة لأهلها ، وقضى عليها قضاءً عاجلاً . وما أشقاه في الآخرة ﴿ **والذين يُؤذونَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثْماً مُبيناً** ﴾[1].

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٨) .

فيا قاسي القلب . ويا بعيداً عن الرحمة . ولم يعرف للرحمة لوناً ولا طعما . يا من حالفت الأعداء . وسرت في ركابهم ، وجانبت إخوتك . وأشقاءك وبني قومك . ابتسامة عريضة لأعداء دينك ووطنك ، وعبوسة قاسية للإخوة والأشقاء ، وعضة قاسية قاضية على حقوق الفلسطينيين . فيا مؤذياً لعباد الله . ماذا جنيت من الإيذاء والتعدي على خلق الله ، وقد خلقك الله إنساناً كريما ، يا من لا يخاف الله ، ولا يخشى غضبه وانتقامه .

ما أشقى الأمة بك . لقد أصبحت على الأمة بلاءً وأيَّ بلاء ، يا من اغترَّ بالدنيا وزُخْرُفها وزينتها . يا من اعتمدت على المروجين والمهرجين والمتفرجين حولك . اتق الله إن كنت تعرف مولاك . واجعل خطَّ مولاك من الدنيا نيلَ مرضاة الله . قدم لنفسك خيراً تجده عند ، الله فإنك إن عشت تعيش عزيزاً كريما . وإذا مُتَّ ذكرك ، وكنت عند الله حميداً محمودا ، ولقيت من ربك خير الجزاء ، بما قدمت من صالح الأعمال .

جدِّد لنفسك بعد موتك ذِكْرَها فالذِّكـرُ للإنسان عُمْرٌ ثـانِ

واسمع ماذا يقول ربك وخالقك ، سبحانه وتعالى ﴿ **إنه من يأتِ ربَّه مُجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يَحْيَى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لَهُمُ الدرجاتُ العُلى . جنّاتُ عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاءُ من تَزَكّى** ﴾[1] .

أيها الإنسان . سبيل الهدى واضح فاسلكه ، وطريق الفلاح بيِّنٌ ، فلا تعدل عنه ، فإنك إن سلكت سبيل الهدى ، وتجنبت عواقب الردى ، فأنت الرابح السعيد ، وإن عدلت عن الصراط السوي ، وطريق

---

١ ــ سورة طه (٧٤ ــ ٧٥ ٧٦) .

الفلاح ، كنت من الأشقياء الخاسرين . فما أسعد الموفقين الفائزين ، وما أشقى المخذولين المحرومين ، والصراخ على جسر العرب ، أما يكفينا ما نحن فيه ؟ أين هي الرحمة .؟ قل لي بربك . هل من العدل الرحمة أن يتسلط اليهود على أبناء العرب المسلمين على الذاهبين من وإلى الضفة الغربية ، فيكسروا لهم ويحرقوا هداياهم لأحبابهم واطفالهم .؟ وانك لتسمع البكاء ، كما قال جلّ وعلا ﴿ **مَثَلُ الفريقين كالأعمى والأصمِّ والبصير والسميع ، هل يستويان مَثَلاً ، أفلا تذكرون** ﴾[1] .

يقول عليه الصلاة والسلام (المؤمنون كرجل واحد ، إذا اشتكى عينُه اشتكى كلُّه ، وإذا اشتكى رأسُه ، يعني إذا تألَّم رأسُه ، اشتكى كلُّه)[2] أو كما قال : أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه ، يغفر لي ولكم . أدعوا الله ، وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد لله أرحم الراحمين ، وخالق الخلق أجمعين ، كتب على نفسه الرحمة ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، وأشهد أن لا إله إلا الله الخبيرُ البصير ، بما تخفيه صدوركم من خير أو شر ، العليمُ بما تكنه ضمائركم . إنه سميع عليم حكيمٍ رؤف رحيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، كان رحيماً بالمؤمنين ، وعلى آله وصحبه المتحابين المتراحمين .

وبعد . فيا أيها المسلمون . يقول الله تعالى ، في محكم كتابه ﴿ **قُل لمن ما في السموات والأرض ، قل لله كتب على نفسه الرحمة ، لَيجمَعَنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، الذين خسروا أنفسَهم لا يؤمنونَ** ﴾[3].

---

١ ــ سورة هود (٢٤) .

٢ ــ اخرجه مسلم واحمد عن النعمان بن بشير ولفظه : « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى راسه اشتكى كله ، وان اشتكى عينه اشتكى كله » .

٣ ــ سورة الأنعام (١٢) .

يعني قل لهؤلاء المشركين المنكرين رحمة الله . أتدرون لمن جميعُ ما في السموات والأرض .؟ قل لهم يا محمد إنه الله الذي كتب على نفسه ، أي ألزم نفسه بنفسه الرحمة ، والرأفة بعبادة تفضلاً منه وإحسانا ، قل لهم يا محمد وعزة الله وجلاله ـ ليجمعنكم يومَ القيامة ، وهو يوم قريب عصيب ، لا شك فيه ، وسيجازيكم على شرككم ، وعلى تصرفاتكم وأعمالكم ، لأنكم خسرتم وأضعتم أنفسكم . قل لهم لأنكم لم تؤمنوا بربكم ، ولم ترحموا أنفسكم ، ولا غيركم . روى الإمام المقدسي عن أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه . قال : (أوصاني خليلي ، يعني محمداً ﷺ مِنْ واحد خليلي ، أوصاني بأربع كلمات ، هُنَّ إلي أحبُّ من الدنيا وما فيها . قال لي : (يا أبا ذرٍّ أحكم السفينة ، فإن البحر عميق ، واستكثر من الزاد ، فإن السفر طويل ، وخفف ظهرك ، فإنّ العقبة كؤود وأخلِص العمل ، فإن الناقد بصير) واللبيب بالإشارة ، يفهم المقصود من هذه الحكم .

أيها المسلمون في زمن الحيرة والظلم والاستبداد في كل مكان . لقد مدح الله أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ، بقوله ﴿ **محمد رسول الله ، والذين معه أشدّاءُ على الكفار رحماء بينهم** ﴾[1] .

وسأروي لكم ، ما كان عليه حكام المسلمين وخلفاؤهم بالأمس القريب ، لتقارنوا بين حكام الأمس ، وحكام اليوم . فحكام الأمس كانوا رحماء بالمسلمين ، والخلق أجمعين ، وبأهل الذمة من غير المسلمين ، فكيف بالمسلمين !!

روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، أنه رأى رجلاً من أهل الذمة ، يطرق أبواب الناس ، ويسألهم ، يعني ـ بلغة العامة ـ يشحد

---

١ ـ سورة الفتح (٢٩) .

منهم ما يقتات منه ، وهو شيخ كبير طاعن في السن ، فقال عمر رضي الله عنه ، وهو يتفقد الناس ، ويتعرف أحوالهم ، لما رأى الشيخ ما أنصفناك ، أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً ، ثم أضعناك اليوم . وأمر بأن يُجرى عليه قوتُه من بيت مال المسلمين . قال الفقيه السمرقندي رحمه الله ، الحكمة في رعي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام الغنم وغيرها . أن الله تعالى ابتلاهم بالبهائم أولاً حتى تظهر شفقتهم على خلقه ، وهو أعلم بهم ، وإذا وجدهم رحماء مشفقين على البهائم ، جعلهم أنبياء ، وجعلهم حكاماً على بني آدم في أمر دينهم .

وورد أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام . قال : يا رب بأي شيء اتخذتني صفياً .؟ قال يا موسى برحمتك على خلقي ، فإنك كنت ترعى غنماً لشعيب عليه السلام ، فندّت . أي هربت منك شاة من غنمك فتبعتها برفق ورحمة ، فأصابك الجهد والتعب في طلبها ، حتى أدركتها في مكان بعيد ، فلما أمسكت بها ضممتها إلى صدرك ، وقلت لها بهدوء وفتوراً يا مسكينة أتعبتني وأتعبتِ نفسك ، فبرحمتك يا موسى على خلقي ، آصطفيتك وأكرمتك بالنبوة . انظروا معشر المسلمين . هذا هو والله هو الرفق بالحيوان ، وهذه هي والله حقوق الإنسان والحيوان .

أيها المسلمون . يا من تسمعون ولا تعلمون . أنظروا إلى حكام اليوم وخلفاء اليوم ، أين هم من الرحمة بالإنسان .؟ أين هو الرفق بالإنسان والحيوان .؟

ما هذه الضرائب والأتاوى التي تسنُّ لها الدولة قوانين ونظماً لتفرضها على الشعب فرضاً .؟ فتارة بزيادة رسوم الجوازات أضعافاً مضاعفة ، وتارة بالمياه والماء غير موجود . ولكنَّ المسارحَ والمسابح لا تحصى ولا تعد ، عائلات حقيرة فقيرة ، لا تستهلك من الكهرباء أكثر من

كيلو واحدٍ ، أو اثنين شهرياً تلزم بنظام وقانون إجباري ....! وضعي هاهي ذى شكاوى الناس بين يدي . أيجوز أن يدفع هذا الفقير المسكين ، وهو لا يملك شروى نَقير أن يدفع ثمن ما استهلكه من كهرباء بقروشٍ وأنصاف قروش ، يتعاطاها من الناس ، وهو لا يجد ما يقتات ، به ويلزم بدفع خمسمائة فلس زيادة ، وهو لا يوجد عنده تلفزيون ، ولا يجد له بيتاً مناسباً ينام فيه ، وستفرض على الشعب ضرائب لا قبيل له بها ، اللهم إلا أغنياء الشعب وأصحاب العمارات .

أتريدون أن تفعلوا مثل إسرائيل في دفع الضرائب ، حتى يضطر الناس إلى الهجرة في العراء ، لتلتحف السماء ، وتفترش الغبراء.؟ نعم . يا أمتنا يجوز للسلطان أن يفرض على شعبه ما يناسب ، لأجل الحفاظ على بلده وأمنه ، ولكن برفق ورأفة ورحمة . إنني أطلب من المسؤولين ، أن يحصوا أبناء هذا البلد ، ليعرفوا نسبة الفقراء من الأغنياء .

لقد اضطررت أن أطرق هذا الباب ، لكثرة ما سمعته من الناس من تضجر وتأفف ، ودعاء على المسؤولين ، وبكاء . ومن الذي يستطيع أن يصل إلى مكان حاكم ليشرح لها الأوضاع التي يرزح تحتها الشعب .؟ إذ على المسؤولين في كل مكان أبواب عاجيه محصّنة بأسوار . يقول ﷺ (أحب الناس إلى الله ، أنفعهم لعباده)[1] وقال عليه الصلاة والسلام (من احتجب عن أُولى الضعيف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة)[2] يعني يبقى واقفاً متحيراً في حَرٍّ وشدة ، لا يجد له نصيرا .

---

١ ـــ رواه الطبراني عن ابن عمر بسند ضعيف ، وأوله ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : أي الناس احب الى الله .؟ وأي الأعمال أحب الى الله .؟ فقال رسول الله ﷺ ، أحب الناس الى الله انفعهم للناس ، وأحب الاعمال الى الله سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولان أمشي مع اخ لي في حاجة أحب الى من أن اعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة ، ومن كف غضبه ، ستر الله عورته ، ومن كظم غضبه ولو شاء ان يمضيه امضاه ، ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة ، ومن مشى مع اخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام .

٢ ـــ رواه احمد بسند جيد ، واوله : من ولي من امر المسلمين شيئاً فاحتجب عن اولي الضعف والحاجة ، احتجب الله عنه يوم القيامة .

وقال ﷺ (خُطوةٌ في قضاء مصلحة أخيك ، قُضيت أم لم تُقض ، أفضل عند الله من اعتكاف ، في مسجدي هذا)[1] .

اتقوا الله عباد الله . اتقوا ، الله حق تقواه واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، وقال ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[2] اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، الحبيب العالي القدر ، العظيم الجاه ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . اللهم أصلح أمة سيدنا محمد ﷺ ، اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد ﷺ . اللهم انصر أمة سيدنا محمد ﷺ . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمناً ، سخاءً رخاءً ، سائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[3] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ هو قطعة من الحديث الماضي رقم (١) .
وروى الطبراني في الاوسط عن انس : من مشى في حاجة اخيه المسلم ، كتب الله له بكل خطوة يخطوها سبعين حسنة . ورواه ايضا بسند جيد ، عن ابن عباس من مشى في حاجة اخيه . كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق ، كل خندق ابعد مما بين الخافقين .

٢ ـــ سورة الاحزاب (٥٦) .

٣ ـــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الحادية والتسعون بعد المائة :

٣ رمضان ١٣٩٩هـ
١٩٧٩/٧/٢٧

(استبشار المؤمن بقدوم شهر رمضان المبارك)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأستعين بك ، وأتوب إليك ، واستغفرك ، واصلي وأسلم على حبيبك وصفوتك من خلقك ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، رب اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله ، أمر باتباع شريعته ، ونهانا عن مخالفتها ، وجعل السعادة في اتباع هداه ، والسير في الطريق الذي رسمه وارتضاه ، الحمد لله ، جعل للطاعات مواسم يمتحن فيها عباده ، يربح فيها الموفقون ، وينشط فيها المؤمنون الصادقون المجدون ، الذين يخشوْن عذاب ربهم ، ويفعلون ما يؤمرون . أشهد أن لا إله الا الله ، يُمدُّ بالقبول والرضا والرضوان من أناب إليه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله، أقرب الخلق الى الله، وأكثرهم عبادة وطاعة لله ، ليله قيام لربه، ونهاره عمل لخير أمته وسعادة الأنام، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، الذين اهتدوا بهداه، واتبعوا النور الذي جاء به، فكتب لهم الفوز والنجاة، والسعادة في الدارين.

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات ، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر ، وعلى الذين يُطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له ، وأن تصوموا خير لكم ، إن كنتم تعلمون** ﴾[1] .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون . فقد ورد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال : (أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرَّب فيه (إلى الله) بخصلة (أي بفضيلة) من خصال الخير ، كان كمن أدى الفريضة فيما سواه ، ومن أدّى فيه فريضة ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهـو شهر الصبـر والصبر ثوابـه الجنة ، وهـو شهر المواسـاة أي (التسامح والمواخاة) وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره ، من غير أن ينقص من أجره شيء . ثم قال صلى الله عليه وسلم ، من أشبع فيه صائماً ، كان له مغفرة لذنوبه ، وسقاه ربه من حوضه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، ثم قال : ومن خفف عن مملوكه ، أو أجيره غفر الله له ، وأعتقه من النار) ثم قال ﷺ في خطبته : فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غنى لكم عنهما .

أما الخصلتان اللتان تُرضون بهما ، ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما ؛ تسألون ربكم الجنة ، وتستعيذون من النار)[2] .

---

١ ــ سورة البقرة (١٨٣ ــ ١٨٤) .

٢ ــ رواه ابن خزيمة ، في صحيحه عن سلمان الفارسي .

أيها الصائمون . لكم من الله البشرى ، ولقد مدحكم الله تعالى ، وخصكم بهذا الشهر العظيم ، الذي فيه الرحمة والعتق والغفران ، وأجزل لكم الثواب بما تعملونه من صيامه وقيامه . يقول رسول الله ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر)[1] ففي هذا الحديث إخبار يتضمن بشارة ، من النبي ﷺ للمؤمنين من أمته ، بأن صيام رمضان على وجه التصديق والاخلاص له ، سبب لمغفرة ما تقدم من ذنوب الصائمين وما تأخر . وبشرنا بحديث آخر بقوله ﷺ (من صام رمضان وعرف حدوده ، وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ ،كفر ما قبله)[2] وبشرنا أيضا وقال عليه الصلاة والسلام (من صام رمضان في إنصات وسكوت ، وذكر الله تعالى ، وحرّم حرامه ، ولم يرتكب فيه فاحشة ، لم ينسلخ الأ وقد غُفرت ذنوبه كلها)[3]أحببت أن أسوق لكم هذه الآيات والأحاديث ، لأن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ولا عجب أن أسوق لكم هذا الحديث ، لتستعدوا للقاء رمضان بقلوب مؤمنة مخلصة صادقة . يقول ﷺ (إذا كان أول ليلة من رمضان ، يقول الله تعالى : من ذا الذي يحبنا فنحبه ، ومن ذا الذي يطلبنا فنطلبه ، ومن ذا الذي يستغفرنا فنغفر له ، بحرمة رمضان) .؟ فيأمر الله تعالى الكرام الكاتبين في شهر رمضان ، بأن يكتبوا لهم الحسنات ، ولا يكتبوا عليهم السيئات)[4] هذا إذا أحسنوا صيامهم ، وأخلصوا لله ربهم . وورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال (إذا استيقظ أحدكم

---

١ ـــ متفق عليه ، ابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة وزيادة (ما تأخر) رواه احمد باسناد حسن .

٢ ـــ رواه ابن حيان والبيهقي عن ابي سعيد الخدري .

٣ و٤ـــ لم أجدهما . (المدقق) .

من نومه في شهر رمضان ، وتحرّك في فراشه ، وتقلب من جانب الى جانب ، يقول له ملَك (وهو لا يسمعه ، لأن رؤية الملائكة لا يتحملها قلب بشر ، يقول له : قُم بارك الله فيك ، ورحمك الله ، فإذا قام بنية الصلاة ، يدعو له فراشه ، ويقول : اللهم أعطه الفرش المرفوعة قال تعالى ﴿ **وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين . في سِدْر مخضود . وطَلْح منضود . وظلٍّ ممدود . وماءٍ مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفُرشٍ مرفوعة . إنا أنشأناهُنَّ إنشآءً . فجعلناهنَّ أبكاراً . عُرُبا أترابا . لأصحاب اليمين** ﴾[1] نواصل ذكر الحديث . وإذا لبس ثوبه يدعو له ، ويقول : اللهم أعطه من حلل الجنة ، ويدعو له كل ما حوله ، حتى ينظر الله إليه بالرحمة ، ويقول عند الدعاء . يا عبدي منك الدعاء ومنا الاجابة ، ومنك السؤال ومنا النوال ، ومنك الاستغفار ، ومنا الغفران) .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

الحمد لله ، جعل الصيام من أشرف العبادات ، وأعظم القربات ، فيه تتجلى عبودية الصائم لربه ، وافتقاره الى خالقه ، وصبره على بلائه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، في تدبير مُلكِكَ ، ولا مشرّع للناس سواك ، أمرتنا بصيام شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، الذي كان يخص رمضان بما ليس في غيره ، من صلاة وصدقات وهبات ، وعلى آله وأصحابه الذين آثروا رضاء الله على شهوات نفوسهم ، فراحوا من الدنيا مأجورين ، وعلى سعيهم مشكورين .

---

١ ـــ سورة الواقعة من (٢٧ ـــ الى ٣٨) .

وبعد . فيا أيها المسلمون . يقول ﷺ (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته من الطعام والشهوات ، فشفعني فيه . ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر)[2] .

فيا مسلمي اليوم . ويا شباب اليوم . ويا شابات اليوم . صلوا خمسكم ، وصوموا شهركم باخلاص ويقين ، إيمانا واحتساباً ، أدوا زكاة أموالكم ، فذلكم عليه مدار الايمان . يقول ﷺ (عُرَى الاسلام وقواعد الدين ثلاث ؛ عليهن أسِّسَ الاسلام . مَن ترك واحدةً منهن ، فهو بها كافر حلال الدم ، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، الصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)[3] .

أيها المسلمون . أيها الشباب إنكم إن تجاوزتم حدود الله ، وتعديتم عليها ، فصدق عليكم وعيده الشديد : ﴿ ...، **ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ،... ﴾[4] فإن أفطرتم نهار رمضان ، وأسررتم ، وتجاهرتم بالافطار ، ذهبت حياتكم سدى ، وخسرتم الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين . يقول ﷺ الذين تسمعون حديثه ، ولم تروا شخص محمد عيانا (من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر كله)[5] .

---

١ — رواه الامام احمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي اسناده حسن .

٢ — رواه الطبراني عن سهل بن سعد وابن ماجة ، عن ابي هريرة بسند ضعيف .

٣ — رواه ابو يعلي باسناد حسن ، عن ابن عباس وفي رواية : من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ، ولا يقبل منه صرف ولا عدل ، وقد حلّ دمه وماله .

٤ — سورة الطلاق (١) .

٥ — وبقيته : (وان صامه) رواه الترمذي واللفظ له) وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة عن ابي هريرة وذكره البخاري تعليقاً ، ويرفعه الى ابي هريرة بلفظ « من افطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر وان صامه » .

وآمنوا به (طوبى لمن رآني وآمن بي مرة ، وطوبى لمن لم يرني سبع مرات)[١] عباد الله : اتقوا الله حق تقواه ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه . واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما . ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[٢] ، اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم أعز الاسلام والمسلمين وأعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . اللهم انقلنا من ذل المعصية ، الى عز الطاعة ، اللهم أعزّنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك ، وتوّجنا بتاج عزك ، يا مذل كل جبار عنيد ، بقهر عزيز سلطانه ، يا كبير أنت الله الذي لا تهتدى العقول لوصف عظمته ، أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك الحسين بن طلال ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، وسائر بلاد المسلمين .

﴿ **... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[٣] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ رواه البخاري في الأدب وأحمد في مسنده عن انس .

٢ ــ سورة الأحزاب (٥٦) .

٣ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الثانية والتسعون بعد المائة :

١٧ رمضان ١٣٩٩ هـ
١٩٧٩/٨/١٠

(غزوة بدر الكبرى وأساليب الفوز فيها)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، واستغفرك ، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى ، ورسولك الكريم ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه . اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[١] .

* * * * *

الحمد لله ينصر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، في غزوة بدر الكبرى منحهم آنذاك قوة فعالة، وطاقة عالية عارمة ، حطموا بها أعداءهم، وأنزلوا بهم المهانة والمذلة العظمى، بالصبر والاتحاد، أشهد أنلا إله الا الله، يؤيد بنصره من يشاء على من يشاء، من يعتز بخالقه يثبت له الأقدام، وأشهد أن محمداً رسول الله، جاهد في سبيل الله حق جهاده، فهيأ له جنداً من السماء، وحقق له النصر على الأعداء ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين أخلصوا في جهادهم في سبيل الله، لاعلاء كلمة الله.

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . فقد قال الله جل وعلا ، وبقوله يهتدي المهتدون ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾[1] يا مسلمي هذا الزمان المليء بالعظات والعبر . إن النصر الحقيقي بيد الله ، يمنحه من يشاء من عباده ، ويمنعه عمن يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

إن أول معركة فاصلة ، دارت رحاها بعد الهجرة النبوية (هي غزوة بدر الكبرى) . كانت في شهر رمضان المبارك ، وهو أول يوم ابتدأ فيه نزول القرآن ، وفي العشر الأواسط من الشهر نفسه ، صبيحة اليوم السابع عشر إن هذه الغزوة المحمدية ، كانت من المعارك الحاسمة الفاصلة ، بين الحق والباطل ، بين الايمان والشرك ، لم يكن فيها ميزان القوى معتدلا ، بينما كانت جنود الباطل أضعاف أضعاف جنود أهل الحق والايمان ، مع وفرة التفوق في العدد والعُدد والسلاح . لكن القيادة السليمة المخلصة ، كانت من جانب أصحاب رسول الله ، رضي الله عنهم ، إذاً ليس النصر متوقفاً على الكم أو الكيف ، بل العبرة بقوة العقيدة وثباتها ، وأكيد صدقها ، ورباطة جأشها ، واشتداد قلوبها ، فلم يفرّ من الفزع ، كما قال تعالى ، في تنزيله العزيز ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[2] . أي ترصدوا لغزو الاعداء في الثغور والموانىء والأجواء .

إذن فماذا يجدينا ، السلاح وما هو في قوة السلاح ، إذا خلت قلوبنا من الايمان الصيحيح .؟ وماذا تصنع هذه النفوس الخاوية ، من جيوشنا ، إذا زايلها الخوف ، وفارقها ثبات اليقين ، والموقف الحازم والصلب .

---

١ ـــ سورة آل عمران (١٢٣) .
٢ ـــ سورة آل عمران (٢٠٠) .

أيها المسلم . إن الايمان القوى العارم ، لا تقف أمامه الجيوش الجرارة ، ولا الأساطيل المدمرة الكرارة ، ولا ترهبه الكثرة ، ولا يفزعه السلاح ، ولقد بين الله الكريم في ذكره الحكيم ، أن العشرين مجاهداً من المؤمنين ، إن كانوا صابرين ثابتين على الحق ، يغلبوا مائتين من الكافرين . ذلك لأن المؤمن الصادق ينطلق من بيته وعمله ومتجره الى حومة الوغى وساحة الجهاد غير هيَّاب ولا وجل ، لاعتقاده بأنه سيلقى أمامه جنة عرضها السموات والأرض . والموت في سبيل الله ، أسمى أمانيه ، فلا يحرص على الحياة الدنيا الفانية ، التي لا عزة فيها ولا كرامة ﴿ **يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾(١) نعم . لا يفقهون ، أي لا يفهمون الحق ، فلا يثبتون ثبات المؤمنين .

أيها المسلم المجاهد في زماننا هذا . شتان بين من يحب الموت في سبيل الشهادة ، وبين من يحب الحياة ، يائساً طامعاً في غير شهادة ، شتان بين من يقاتل لنصرة الحق وحمايته ، لاعلاء كلمة الله ، وبين من يقاتل لنصرة الباطل . شتان بين من يقاتل للصيت والسمعة والشهرة بين الناس ، وهو لا يؤدي لربه حرفا ولا عدلا ولا فرضاً ، ولا نفلا . شتان بين من يقاتل مُكَرهاً أخاك لا بطل ، مسحوباً على وجهه ، وبين من يقاتل طوعاً واختياراً ، حباً في الله ، لينال الشهادة في الأعليْنَ المتقين .

واسمع يا أخي المسلم . كيف كان الجهاد في عصر النبوة ، تحت قيادة القائد الأعلى بحق وصدق . ذلكم هو رسول الله .

---

١ ـــ سورة الأنفال (٦٥) .

سار جيش الباطل في كثرته وجبروته وخيلائه ، وتقدم جيش ذوي الايمان ، تصحبه العناية الالهية . سار في قلة من العتاد والسلاح ، ووفرة من العقيدة والايمان الراسخ . يقود هذا الجيش الاسلامي[1] المظفر . نعم يقوده النور الساطع ، والتوحيد الجامع الشامل ، فالتقى الجمعان وتقاتلا ، وتصارع الجيشان وجهاً لوجه . وقبل البدء بالقتال ، قال القائد الأعلى الحقيق المجرّب ﷺ لأصحابه (أشيروا علي أيها الناس)[2] وفي طلب الاستشارة هذا من القائد عبرة وعظة ، للمتألّهين والمتغطرسين والمستبدين من قادة زماننا . دون الرجوع الى كتاب ولا الى سنة ، ولا الى ذوي العقول والألباب . إنه سبحانه لا يحب المستبدين ، قال الله جل وعلا ﴿ ... إنّهُ لا يُحبُّ المُسْتكبِرينَ ﴾[3] كما أنه سبحانه لا يحب الإمّعات ، السائرين وراء شهواتهم وغاياتهم ومصالحهم الخاصة ، لأن أمثال هؤلاء يضعفون بآرائهم شوكة الاسلام والمسلمين .

نعم أيها المسلمون : استشار النبي ﷺ أصحابه ذوي العقول الحكيمة والآراء الصائبة السديدة ، فتكلم المهاجرون وقال قائلهم (إمض لما أمرك الله يا رسول الله . فقد آمنا بك وصدقناك وصدّقناك وسترى منا ما تقر به عينك ، فسرّ النبي ﷺ والتفت الى الأنصار وقال : (أشيروا علي أيها الناس . فقالوا قولتهم المشهورة (والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر ، لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد) الى آخر ما قالوه لرسول الله ، ﷺ فتهلل وجهه بشراً ، وظهرت علائم السرور والحبور على وجهه وقال : (أبشروا ، فكأني انظر الى مصارع القوم)[4] .

---

١ ــ وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستضعَفونَ في الأرض تخافونَ أن يتخطفكُمُ النّاسُ فآواكم وأيدكُم بنصرهِ ورزقكم منَ الطّيباتِ لعلكم تشكرون ﴾ . صدق الله العظيم سورة الانفال (٢٦) .

٢ ــ كان ذلك في غزوة احد .

٣ ــ سورة النحل (٢٣) .

٤ ــ تقدم من قبل ، رواه النسائي والطبراني ورواه اصحاب السير .

أيها المسلمون . وفوراً التفت الصحابة حول رسول الله ، واصطفت الصفوف وانتظمت كانتظام صفوف الملائكة ، وفرحوا بجهادهم مع قائدهم ، حتى قال أحدهم للرسول (كم بيني وبين دخول الجنة .؟ أن تقاتل فتقتل ، وكان بيد هذا المجاهد تمرات يأكلها ، فألقى بها ، وقال : لو انتظرت حتى أفرغ من التمرات ، فذلك والله كثير ، وأنشد قائلا :

ركضاً الى الله بغير زاد   إلى التقى وعمل المعاد

تقدم هذا المؤمن الصامد المجاهد ، يخطر بسيفه في مشية هادرة ، ونفس مطمئنة مستبشرة ، كالأسد الهصور . وهذه مشية يحبها الله ورسوله كما قال لأبي دجانه[1] أقبل هذا المجاهد يجزُّ رقاب المشركين حتى استشهد رضي الله عنه وأرضاه وهنا تلاطم الجيشان وتلاقيا بالسيوف والرماح ووقف النبي ﷺ في عريشه يطلُّ منه على جيشه وينظم صفوف المقاتلين وهو يجأر الى الله بأعلى صوته ويقول : (اللهم إن هذه قريش جاءت بخيلائها وكبريائها تُحادُّك وتكذب رسولك اللهم إن تُهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض أبداً)[2] وهنا وقف أبو بكر رضي الله عنه في شفقية وحبه للنبي ﷺ يقول له (يا رسول الله حسبك حسبك هوِّن على نفسك فإنّ الله منجز لك ما وعد)[3] ، حَمي وطيس الحرب ودارت رحاها قيَّد الله جنود الحق بجنود السماء أيدهم الله بجنود لم يروْها كما أخبرهم قائدهم الصادق الحق بأنه يرى مصارع القوم وقال هأنذا والله أرى رؤوساً تتطاير ﴿ **فلم تقتلوهم ولكنَّ الله قتلهم، وما رميتَ إذ رميت ولكنّ الله رمى ،...** ﴾[4] .

---

١ — سبق تخريجه .

٢ — متفق عليه ، باختلاف يسير في بعض الألفاظ .

٣ — رواية البخاري فأخذ ابو بكر بيده ، فقال حسبك ، فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، ورواية مسلم : فأتاه ابو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك .

٤ — سورة الأنفال (١٧) .

الخطبة الثالثة والتسعون بعد المائة :

١٢ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ

١٩٧٩/١٢/٢

(بريطانيا ووعد بلفور للصهيونية العالمية ، وطرد الفلسطينيين من وطنهم)

أحمدك ربي ، وأشكرك وأتوب إليك ، وأستغفرك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ، عبدك ورسولك ، وصفوتك من خلقك ، وعلى آله وصحبه ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي . اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي خلقي ، وطيب لي كسبي ، وقنعني بما رزقتني ، ولا تذهب قلبي إلى شيء صرفته عني ﴿... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

★ ★ ★ ★

أحمد الله سبحانه ، الذي له الخلق والأمر ، وعنا لجلاله وعظمته كلُّ من في السموات والأرض ، سبحانك ما أجلَّ شأنك ، وما أعز سلطانك ، تُكرم أولياءَك وأصفياءَك ، ومن قام منهم على إعلاء كلمة الحق والدين ، ونشر لواء العدل والتمكين ، وإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، ولا ظهير ولا

---

١ ــ سورة طه (من الآية ٢٥ ــ الآية ٢٨) .

معين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُك ورسولك ، ختمت به النبوة ، وأقمت مقامه خلفاء في الأرض ، يحكمون بشرعه ، رفعت بعد التهم شأن بني الإنسان ، وعلى آله وصحبه ، الذين عزروه ووقروه وعظموه ، ونصروه ومن سار على نهجهم القويم ، إلى يوم الدين .

أما بعد . فيا أيها المسلمون : إننا نحن الأمة الإسلامية العربية ، لا نزال منذ نصف قرن في صراع بين الحق والباطل لا نزال في صراع مع الصهيونية العالمية ، والقوى الاستعمارية .

إن الأرض أرضنا ، والمقدسات مقدساتنا ، ولكن بريطانية الجائرة الظالمة ، حال انتدابها علينا . غدرت بنا نحن الفلسطينيين ، وقطعت على نفسها لبني ملتها اليهودية العالمية المشتتة في أقطار الأرض ونواحيها ، ووعدت بوعد بلفور المشؤوم سنة ١٩١٧ ، وهي الذكرى (٦٢) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبموجب كتابها الأبيض ، بل هو الكتاب الأسود الفاحم ، الذي أباح الهجرة بموجب صك الانتداب البريطاني ، الذي صدر عن لجنة بيل ، في الثلاثينات . وقد صرحت بلا خجل ولا مبالاة ، أن تضع الفلسطينيين تحت حالتين ؛ سياسية واقتصادية ، وذلك لإنشاء وطن قومي لليهود ، وفعلاً عملت على إفقار الشعب الفلسطيني ، وألجأته إلى بيع أراضيه ، وأما الحالة السياسية فإنها فعلاً حاربت مع اليهود ، سياسياً وعسكرياً ، ونظمت لها القوى الضاربة في كل مكان ، وسلحتها ودربتها وجندتها ، ونحن في غفلة عن الحق ، حتى جعلت أهل فلسطين تحت هاتين المادتين ؛ الإفقار والجلاء .

إنه يا مسلمي هذا الزمان الفاسد . عداءُ عقيدةٍ ، وطمعٍ في التوسع والاستيطان ، على حساب العرب أجمعين . وخاصة على حساب الفلسطينيين . إنها العنصرية البغيضة ، وحُبُّ الاستئثار ، والتعدّي على حقوق الغير ، بالقوة والاستبداد .

نعم . لقد كانت الصهيونية العالمية والقُوى الاستعمارية طامعةً في احتلال فلسطين كلّها . وذلك قبل (هرتزل) بنصف قرن ، مع أن (هرتزل) نفسه ذلك اليهودي المعروف ، لم يكن مهتماً بقيام دولة يهودية على أرض فلسطين ، لأن فلسطين ــ حسب رأيهم ــ على ملتقى قارات ثلاث . وهذا المركز الاستراتيجي ، جديرٌ بأن يجرها إلى صراع دولي ، هي في غنىً عنه . إن فكرة الدولة اليهودية على أرضنا ، وفي قلب وطننا مصدرها بريطانيا ، ومن كان في ركابها من الدول المستعمرة . وقد وجدت فكرة الدولة اليهودية ، قبل انعقاد مؤتمر (بال) بأكثر من خمسين عاما . إن رجال الدولة اليهودية معروفون ، لن ننساهم مع الأجيال القادمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وهو خير الوارثين .

إن أبطال الدولة اليهودية هم من رجالات الإمبراطورية البريطانية ، يوم كانت امبراطوريةً ، ويوم كانت دولةً عظمى ، وذلك حرصاً على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية ، ولا تزال بريطانيا تسعى وراء تثبيت فلسطين لليهودية العالمية . ولذلك فقد كان لبريطانيا ويهوذا ما أرادتا بإيجاد الدولة اليهودية على أرض فلسطيننا ، دون سواها ، لاستمرار نفوذ بريطانيا ، ولتزايد اهتمام الدول الأوروبية الكبرى بها ، وهي منطقة المشرق العربي (الشرق الأوسط) . ألا فلتعلم بريطانيا ومن أزرها ونص نصها من الدول العظمى . أنها مهما بالغت في تسمين وتنشيط ربيبتها إسرائيل ، ومهما دللتها وسايرتها ، فستقع كل دولة من هذه الدول في شركها ، إن عاجلاً وإن آجلاً ، وستكون إسرائيل عدواً جافياً ، لها ومتسلطاً عليها ، لما في الحديث (من أعان ظالماً سلط عليه)[1] يا بني البشر . يا بني الإنسان قاطعوا انتخابات الحكم الإداري ، الذي هو لعبة في أيديهم ، يضحكون بها على الذقون .

١ ــ رواه ابن عساكر عن ابن مسعود بسند ضعيف .

إن اليهود هم اليهود . هم يهود خيبر ، وبنو قريظة ، وبنو النضير ، وغيرهم ممن كانوا يعاهدون نبيكم ، وينقضون العهد والميثاق . يقول سبحانه وتعالى في حقهم وهو أصدق القائلين ﴿ **أَوَ كُلَّما عاهدوا عَهْداً نَبَذَهُ فريقٌ مِنْهم ، بل أكثرُهُم لا يؤمنون** ﴾[1] .

هذه يا قوم . خلاصة الاحتلال والاستيطان ، ولا يزالون يحتلون كلَّ جزء من أجزائها . إنهم يسومون إخوتنا وأبناءنا وشبابنا في الضفة الغربية سوءَ العذاب . ولقد كانت انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من آذار ، أكبر شاهد وأعظم دليل ، في ذلك نثبت للعالم أجمع ، بأن الفلسطيني العربي سيبقى محافظاً على أرضه ومقدساته وكرامته ووطنه ، ولسان حاله يقول :

ولـي وطـنٌ آليـتُ ألاّ أبيعـه ... وألاّ أرى غيرى له الدهر مالكا
عمرتُ بـه شرخ الشباب مُنعما ... بصحبة قومٍ أصبحوا في ظلالكا
وحبَّـب أوطانَ الرجال إليهمـو ... مآرب قضَّاهـا الشبابُ هنالكـا

أعود فأقول يا قومنا :

أنا لا ألـــوم المستبــدَّا ... إذا تعنَّـــت أو تعَّــدى
فسبيلُـــه أن يستبـــدَّا ... وطريقنـــا أن نستعــدا

أيها المسلمون في كل ومان ومكان . لقد أعلنا في الصحف والمجلات ، ومن فوق المنابر ، أن من يبيعُ أو يُملِّكُ العدو شبراً من أرضه ، فهو كافر ، لا يستحق الرحمة من الرحمن . يا بائعي الأراضي في كل مكان . تذكروا نهايتكم ، ومثواكم دنيا وأُخرى . وقد قيل :

---

١ ـــ سورة البقرة (١٠٠) .

في الجبن عار وفي الإقبال مكرُمَةٌ
والمرء بالجبن لا ينجو من القَـدَرِ

وبعد فيا أيها الناس . اتقوا ربكم . وفكروا مليّاً في مستقبلكم ومستقبل أولادكم وذراريكم . فالعربي من طبيعته يأبى الضيم والعسف والذلة والهوان . واليوم ونحن في القرن الرابع عشر للهجرة ، وفي القرن العشرين ، عصر النور والعلم والتكنولوجيا ، أي العلوم الحديثة ، التي تهيئها الدول الكبرى لفناء البشر ، وفي عصر الذرة والأسلحة النووية . وقد علمتم بأن عدوكم عدو للإسلام ، منذ بداية القرن الرابع عشر . فالتاريخ يعيد نفسه . فيخلُق لنا الاستعمارُ الغاشم دولةً أسماها دولة إسرائيل ، فوق حُطام العرب والمسلمين ، وهي ركيزةُ وربيبةُ وحاضنة المستعمرين ، تهاجمنا في عُقر دارنا . في أرضنا ، في وطننا ، في قلب وروح مقدساتنا ، التي لها قدسيتها العالمية وحياتها . وقد وقفت بجانبنا اليوم غالبية الدول الأجنبية ، بل في أكثرها هيئة الأمم ، واعترفت بأحقيتنا في بلادنا وشرعية دعوانا ، واليوم وبعدما وقع لنا من تفريط وإفراط ، وفي غفلة الحق ، ومؤيدو الباطل كثيرون . لكن الاعتراف بحقوقنا وقدسنا أصبح إجماعاً عاماً ، لا سبيل لنقضه . فتمسكوا بحقوقكم أيها العرب والمسلمون في كل مكان . وكونوا كما كان أسلافكم . فقد نفضوا عن وجوههم غبار المذلة والهوان . وهم كما قال قائلهم :

عافوا المذلة في الدنيا فعندهُـــمُ
عِزُّ الحيــاة وعِــزُّ الموت سيّــان
لا يصبرون على ضيـــم يحاولُــهُ
باغٍ من الإنس أو طاغٍ من الجان

ولا يبالون إن كانت قبورهُــــم

ذرى الشوامــخ أو آثار حيتــان

اتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله أيها العرب في فتيانكم وفتياتكم ، وفي مستقبلكم . كونوا على حذر تام من عدوكم . وأنت أيتها الدول العربية الإسلامية ، ويا دولنا الإسلامية الحديثة فالباطل لا ينتصر إلا في غفلة الحق ، والعدو الماكر يستغل خلافاتنا وتهاوننا بأرضنا ومقدساتنا ، يستعمل كل وسيلة لإرغامنا على قبول مصالحة (السادات) لعدونا ، ورضاه بغزونا وبقتل أبنائنا وبناتنا ، نعود فنكررها عالية مدوية ، من فوق المنبر الحسيني ، إننا لا نقبل بأرباع الحلول وأنصافها ، ولا نرضى أن يكون (السادات) علينا وصياً ووكيلا ، ونرفض الحكم الذاتي من أساسه ونرفضه بشتى صوره وأشكاله ، ويكفيك يا (سادات) قول ربــك خالق البريــات ﴿ ...، **ومن يتولهم منكم فإنــه منهــم** ...، ﴾[1] ﴿ ...، **وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلَبٍ ينقلبون** ﴾[2] .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، أدعوا الله . وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، جعل الشهادة في سبيله دليلاً على الإيمان وصدق اليقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحقُ المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، جاهد الكفار والمشركين ، وعلى آله وصحبه الصادقين العاملين .

---

١ ـــ سورة المائدة (٥١) .

٢ ـــ سورة الشعراء (٢٢٧) .

وبعد . فيا مسلمي زماننا هذا . إن عدوكم ليس بغافل عنكم ، والله ليس بغافل عما يعملون ، وتعلمون إنه عدو ماكر ، راغب في التوسع والتغلغل في البلاد العربية والإسلامية ، تؤيده الدول التي صنعته ، وتقويه بالمال والنواحي السياسية والعسكرية ، ولولا ذلك لما كان في الأرض ، أو على وجه الأرض دولة يقال لها إسرائيل والمسألة صليبية ماكرة كما قيل :

حـــرب على الديـــن لا حـــرب على الوطن

إن عدوكم يتذرع بالأساليب الخادعة الماكرة . إنهم يستوطنون ويدمرون ، ويسلبون وينهبون ، وعلى أراضينا ومقدساتنا يستولون ، وهم بمقررات هيئة الأمم لا يعترفون .

لا تحسبنَّ ذهاب نفسك ميتـــة

ما الموت إلا أن تعيش ذليـــلا

وأعود فأكرر :

فما ضاع حق لم ينم عنه أهلـه

ولا عاش من في العالميـن مقصرٌ

كونوا يقظين ، على حذر من مكر عدوكم الدفين ، لا تكونوا ساهين ولا لاهين ، ولا متحزبين لأغراض شخصية ، وأمراض داخلية ، اتقوا الله في أعمالكم أيها الناس . ألم تعتبروا بالماضي القريب ، الماثل بين أعينكم . ارجعوا إلـــى ربكم . وصلوا على نبيكم ، وقولوا اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومـــن سار على نهجه القويم ، اللهم انصرنا على عدونا . اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ ابي بكر وعمر وعثمان وعلـــي ، اللهم اغفر للمؤمنيـن والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمـات ، الاحياء منهم والأمـوات ، إنك سميع مجيب الدعوات يا رب العالمين . اللهم إنك تعلم بأن عـــدونا قد تمادى في طغيانه وغيه ، فاجعل تدميره في تدبيره .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة ، اللهم رد إلينا مقدساتنا وأرضنا وبلادنا ، بعزة ونصر وكرامة يا رب العالمين . ونسألك اللهم أن تشمل مليك البلاد الحسين بن طلال برعاتيك يارب يارب العالمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1].

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الرابعة والتسعون بعد المائة :

٢٨ ذي القعدة ١٣٩٩هـ

١٩٧٩/١٠/١٩

« كيف تدعي محبة الله ورسوله ولا تعمل لها ..؟! »

أحمدك اللهم على ما تفضلت به وقدّرت ، وأسألك العون على ما به وقعت ، أنت كما أثنيت على نفسك ، لا أحصى ثناءً عليك ، مصلياً ومسلماً على نبيك ورسولك ، وعلى آله وصحبه ، المحبين المخلصين . اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ﴿... **رب اشرح لي صدري .ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**﴾[١] .

الحمد لله ، من تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً ، ومن رجع إليه تائباً ، قبله وفرح به سراعا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، يضاعف الحسنات للمحبين ، ويعفو عن سيئات العُصاة التائبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، حُبُّه كنز وذخيرةٌ وصفاء وراحة وهناء ، وعلى آلِهِ وصحبه العاملين : ﴿... **أولئك الذينَ هَدَاهُمُ اللهُ ، وأُولئكَ هُمْ أولوا الألبابِ**﴾[٢] .

أما بعد فيا أيها المسلمون . مَن ادعى دعوى ظاهرُها الصِّحةُ، فعليه إثباتُها، وإقامةُ البيِّنة والدليل عليها . إذن فما بالُنا نرى كثيراً منا يدعي محبة الله ورسولِهِ، ومحبةَ عباده المخلصين، ولكنه لا يعمل أعمال المحبين الصادقين .

إن محبة الله، أن تُحِبَّ ما أحبَّه الله، وتُبغِضَ ما أبغضه الله، ولا تؤثر على حُبه شيئاً، ليكون الحبُّ في الله، والبُغضُ في الله، إنه سبحانه حقيقٌ بالمحبة

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

٢ ـــ سورة الزمر (١٨) .

والإخلاص ، لأنه وحده وليُّ النعم . وقد أنشأك من العدم ، ساق إليك رزقك ، هو الذي يُحييك ويُميتُك ، ويبعثك إليه وحيداً فريدا ، بلا مال ولا ولد ﴿ **إنَّكَ مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتون** ﴾[1] الحب في الله ، قربك من الحلال ، وبعد عن الحرام .

أيها الانسان الجاحد ، مهما تناسيت وغفلت عنه ، فهو عنك ليس بغافل ، ومهما تعاميت عن إمداده وإحسانه وكرمه ، فأنت عبده وهو ربك . ومهما عشت فإنك ميت ، عش ما شئت فإنك ميت ، واحبب من شئت فإنك مفارقه . إنك يا هذا مغمور بسابغ فضله ، تعيش في ملكه ولا ملك لسواه ، فهو مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، تحملك أرضه ، وتُظللك سماؤه ، ولكنك تأكل رزقه ، وتجحد فضله . أيا لهذا العار من عار .؟ جاء في الحديث القدسي (أنا أخلُق ويُعْبَدُ غيري ، وأرزق ويُشكرُ سواي ، خيري الى العباد نازل ، وشرُّهم إليَّ صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي ، وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إليَّ بالمعاصي ، وهم أحوج شيء إليّ ، إلى أن قال في الحديث أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل محبتي ، ابتليتهم بالمصائب (لأرفع ذكرهم) ، واطهرهم من الذنوب والمثالب (فالشاكر لربه) يقول (إلهي نعمتني فلم تجدني شاكراً ، وابتليتني فلم تجدني صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر ، ولا أنت أدمت الشدة لترك الصبر ، فما يكون من الكريم الا الكرم) .

أيها الانسان المسلم . ألم تقرأ قول ربك الحكيم ﴿ **وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ الا ليعبدون** ﴾[2] ما خلقتهم ليعصوني ويخالفوني ظلما وعنادا ، ولا ليوقظوا فتنا ، ويعيثوا في الأرض فساداً .

---

١ ــ سورة الزمر (٣٠) .

٢ ــ سورة الذاريات (٥٦) .

أيها الجاحد لنعم ربك . لقد عرفت ربك فتجاهلت ، وعن الدعوة الى الخير والحق تصاممت ، ولو عرفت نفسك بالذل والفناء ، لرجعت الى ربك بالسيادة والعزة والبقاء ، واعرف ربك ، وتحبب إليه .

يا سروري ومنيتي وعمـــادي وأنيســي وغايتــي ومـــرادي
أنت روح الفؤاد وأنت رجائــي أنــت لي مؤنس وحبُّك زادي

من علامة محبة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، اتباع شريعته وهديه وإرشاده ، والجهر بالحق قولا وعملا . ومن علامة محبة العبد لربه ولرسوله ، الشفقة على خلق الله تعالى ، والرحمة بهم ، والتجاوز عن زلاتهم وهفواتهم ، لعلهم يثوبون الى رشدهم ، بالتوبة الى خالقهم .

أيها العبد المسلم . أين أنت من الايمان .؟ وأين الايمان منك .؟ سارع الى حاجة أخيك ، وتفقد أحواله قياماً بواجبك نحوه ، وحقه عليك (وافعل الخير لحب الخير) وليكن عملك وصنيعك معه لله ، لا تبغي من روائه جزاء ولا شكورا .

إي وربي . إنه لحق : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرسولَ فأولئكَ مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصالِحينَ ، وحَسُنَ أُولئكَ رَفيقاً** ﴾ (١) .

لقد قسَّم الله سبحانه ، رفقاء المحبين لله ولرسوله إلى أربعة أقسام بحسب منازلهم ومراتبهم ، في الاخلاص والعمل ، وحَثَّ كافة الناس على الاقتداء بهم ، والسير على هَدْيهم ، وهم الأنبياء والمرسلون الفائزون البالغون درجة الكمال والتكميل ، لغيرهم من الخلق أجمعين ، ثم الصديقون الذين رقت نفوسهم وصفت ، تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات الدالة على مكوِّن الأرض والسموات ، وتارة أخرى بمعارج

١ ــ سورة النساء (٦٩) .

الصفاء والرياضات ، إلى أوج المعارف والعرفان في سر الكائنات ، ثم الشهداء الذي جدُّوا في طاعة ربهم ، وحَرَصُوا على إظهار الحق ، فبذلوا المهج والأرواح رخيصة في سبيل الله ، ولاعلاء كلمة الله ، ثم الصالحون ، ومَنْ في درجتهم من العلماء العاملين ، الذين وقفوا حياتهم ، وصرفوا أعمارهم وأموالهم ، في الحفاظ على دين الله وأوطانهم ، بالصدق والأمانة بفضل الله نزلت هذه الآية في ثوبان الصحابي الجليل من موالي رسول الله ﷺ فقد كان ثوبان هذا ، شديد الحب لرسول الله ، قليل الصبر على مفارقته ، فأتى النبيَّ يوما وقد تغيَّر وجهه ، ونَحَل جسمه ، وعُرِف الحزن في وجهه ، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله . (ما بالك يا ثوبان تغير لونك) .؟ فقال (يا رسول الله : ما بي من وجع ولا مرضٍ ، غير أني إذا لم أرك (يوما) استوحشت وحشة شديدة ، حتى ألقاك ، فذكرت الآخرة (والمنازل في الجنة) فخفت الا أراك هناك ، لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيين في أعلى الفردوس . وإن أدخلت الجنة (بفضل الله) كنت في منزل دون (أي أقل) من منزلك : وإن لم أدخل ، فلا أراك أبداً (وبكى ثوبان بكاء شديداً) فكيف يكون فيها حالي يا رسول الله[1] .؟ فنزلت الآية ﴿ **وَمَنْ يُطع الله والرسُول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾[2] وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : (من تمسَّك بسنتي عند فساد أمتي ، فله أجر مائة شهيد)[3] . أيها الناس نعيم الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال .

---

١ — رواه ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً ، ورواه الطبراني والمقدسي واللفظ كما هو : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي واحب الي من اهلي واحب الي من ولدي ، واني لأكون في البيت فأذكرك فما اصبر حتى آتيك فانظر إليك ، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك : اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وان دخلت الجنة خشيت ان لا اراك ، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت الآية .

٢ — سورة النساء (٦٩) .

٣ — تقدم من قبل باختلاف الفاظه وقد قال عليه الصلاة والسلام ، كما رواه الطبراني عن عتبة بن غزوان ، من ورائكم ايام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما انتم عليه ، كأجر خمسين منكم . قالوا يا نبي الله أو منهم قال بل منكم ، ثلاث أو أربع مرات .

عن حاتم الزاهد ، رضي الله عنه ، أنه قال (مَن ادعى حُبَّ مولاه من غير ورع ولا مراقبة ، فهو كذاب ، ومن ادعى دخول الجنة من غير عمل ولا جهاد ولا بذل مال في سبيل الله ، فهو كذاب ، ومَن ادعى حب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، من غير اتباع سنته والعمل بشريعته ، فهو كذاب . ومن ادعى وأراد الدرجات العلا ، مِن غير مجالسة الفقهاء والعلماء والفقراء والمساكين فهو كذاب إقرؤا إن شئتم ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشّي يريدون وجهه ، ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمرُهُ فُرُطاً** ﴾[1] .

روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال (ما أقبل عبد على الله بقلبه ، الا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه ، بالود والرحمة)[2] .

أين هُم المسلمون .؟ أين هُم المؤمنون .؟ الذين يقول الله فيهم ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجلتْ قلوُبهم ، وإذا تُليتْ عليهم آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[3] .

أيها المسلمون . إن بين المسلم وربه صلة من المحبة لا تنقطع ، ومن هذه الصلة تنمو في نفس المسلم مشاعر عُليا ، تسمو به إلى آفاق الكمال ، وتذيقه ألواناً من الفرح والراحة ، والاطمئنان والثقة واليقين ،

---

١ ــ سورة الكهف (٢٨) .
٢ ــ والحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ان الله : اذا احب عبداً دعا جبريل فقال : أني احب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبداً دعا جبريل فيقول اني ابغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض وزاد الطبراني ثم قرأ رسول الله سيجعل لهم الرحمن وداً .
٣ ــ سورة القمر (٥٥) .

وتدفعه الى الصبر الجميل ، ومداومة الطاعة ، والاعتصام بالله . متى قويت صلة العبد بربه استأنس المسلم الحقيقي بحب مولاه ، وشعر بعاطفة الحب نحو خالقه . عند ذلك فلا ترى هذا المسلم عند ابتلاء مولاه له ، الا صابراً صبرا جميلا ، وراضياً بالله حسيبا ووكيلا وكفيلا . إنه كان به حفيّاً فلا تراه الا راضياً مرضيا ، وروى البخاري عن حلاوة الايمان ، ان رسول الله ﷺ قال « ثلاث من كنَّ فيه ، وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يقذفَ في النار »[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * * *

الحمد لله ، يحب من أحبه ويبغض من عصاه وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود بحق ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه الصادقين الصابرين ، (في مقعد صِدْقٍ عندَ مليكٍ مُقتدر)[2] .

عباد الله . إذا كان من طبيعة الانسان مقابلة الاحسان بمثله . فكيف لا تمتلىء القلوب بحب الاله الحق ، الذي لا تحصى نعمه ، ولا تنفد عطاياه .؟ فإن الحياة وما فيها من أيادٍ ونعم ، فمن الله ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾[3] .

حب المسلم لربه يسيطر على فؤاده ، ويمتزج بروحه وقلبه ، فإذا أخلدَ الى نوازع الفزع والجزع والخوف ، واستجاب للضعف والتردد ، وآثر زهرة الحياة الدنيا على حب الله ورسوله ، فقد همدت شعلة الايمان واليقين بالله من قلبه ، ا تقوا بالله ربكم أيها الناس . أنه يحب المنافحين

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ سورة القمر (٥٥) .

٣ ـــ سورة النحل .

المجاهدون الصامدين في أرضهم ومقدساتهم ، الثابتين على دينهم ، الصابرين على ما أصابهم ﴿ ... **فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يُحب الصابرين** ﴾[1] .

اتقوا الله عبادالله . أحبوا ربكم . فإنه يحب الصادقين ، وصلوا على نبيكم ، يزيدكم إيمانا وتسليما (اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم عاملنا بما أنت له أهل ، ولا تعاملنا بما نحن له أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، واجمع شملنا على كتاب الله وسنة سيد المرسلين ، وردَّ الحاكمين الى دينك رداً جميلا . اللهم من كان الجهاد ذو المقدسات غايته وهدفه فانصره وأعزه ، يا رب العالمين . واشمل اللهم مليك البلاد الحسين بن طلال بتوفيقك ورعايتك وهدايتك يا رب العالمين ، وَهيِّئ له بطانة صالحة .

﴿ ... **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾[2] .

* * * * *

* * *

*

١ ــ سورة آل عمران (١٤٦) .

٢ ــ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة الخامسة والتسعون بعد المائة :

٢٥ محرم ١٤٠٠هـ
١٩٧٩/١٢/١٤

(وعد بلفور والصهيونية العالمية)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب اليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد ، عبدك ورسولك ، وصفوتك من خلقك ، وعلى آله وصحبه ، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي . اللهم اغفر لي ذنوبي ، واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي خلقي ، وطيب لي كسبي ، وانفعني بما رزقتني ، ولا تذهب قلبي الى شيء صرفته عني ﴿ ... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب إليك ، واستغفرك ، سبحانك ما أجل شأنك ، تكرم أولياءك وأصفياءك ، ومن قام منهم لاعلاء كلمة الحق والدين ، ونشر لواء العدل المكين ، أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك ، فلا ظهير ولا معين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدك ورسولك ، الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه ، الذين عزروه ووقروه ونصروه ، ومن سار على نهجهم القويم الى يوم الدين .

١ ــ سورة طه (٢٥ ــ ٢٨) .

أما بعد . فيا أيها المسلمون . لقد كان بودي أن تلقى هذه الكلمة في حينها ، في اليوم الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وهو موعد وعد بلفور المشؤوم ، وذلك من المسجد الحسيني الكبير ، ولعدم وجود اذاعة يسمعها العالم كله ، أرجأتها لمثل هذا اليوم . نعم أريد أن تعيها اذن واعية ، كما قال تعالى ﴿ **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾[1] إننا أيها المسلمون . إذا نسينا وعد بلفور المشؤوم أو تناسيناه ، اضعنا حقوقنا وقضيتنا بلا ريب . يجب علينا أن نكون دائماً على ذكر مَنْ هو أصل الداء ، وأسس البلاء .

أجل . إننا نحن الأمة الاسلامية العربية ، لا نزال في صراع دائم ، منذ نصف قرن فأكثر مع الصهيونية العالمية ، بتأييد من الدول الاستعمارية .

كانت أرض فلسطين أرضنا ومقدساتها لنا وللعالم كله ، لكن بريطانيا الجائرة حال انتدابها ، علينا قد غررت وغدرت بنا ، وقطعت على نفسها لبني ملتها الصهيونية العالمية ، عهداً أكيداً بوعد بلفور الزائف ، وذلك سنة ١٩١٧ ووعدته بإقامة وطن قومي في قلب فلسطين ، وهذه هي الذكرى الثانية والستون ، وفعلا كما جاء في كتاب لجان بريطانيا الأبيض ، بل هو الاسود وفي لجنة بيل . وفي لجنة حقوق الانسان التي يزعمونها ، وضع الفلسطينيين تحت حالتين سياسية واقتصادية ، وفعلا عملت بريطانيا الى افقار شعبنا حتى ألجائه الى بيع أرضه ، أما الحالة السياسية التي قررتها بريطانيا فهي طرد الفلسطينيين وإخراجهم من وطنهم بالقوة ، وفعلا تسلمت اليهودية المشتتة في أقطار الأرض ، المتعطشة لهذا الوطن الغني بخيراته وآثاره واستراتيجيته ، قبل خروجها من فلسطين يداً بيد .

---

١ ـ سورة الحاقة (١٢) .

يا مسلمي زماننا هذا أنه عداء دين وعقيدة ، منذ قرون ، منذ عهد رسالة محمد ﷺ قبل أربعة عشر قرنا . إنه عداء طمع ، وعداء وحقد في التوسع والاستيطان على حساب العالم بأسرهم ، والفلسطينيين بصورة خاصة . نعم . كانت الصهيونية العالمية ، والقوى الاستعمارية ، طامعة في احتلال فلسطين كلها وذلك قبل (هرتزل) بنصف قرن ، الذي يجلس معه (السادات) وجماعته الذي يتبجح اسرائيل بذكر اسمه ، وبنت فنادق ومسارح ، وأسمت شوارع باسمه ذلكم اليهودي المعروف ، لقد حرصت أمريكا وبريطانيا ، على جعل فلسطين قاعدة عسكرية ، لاعتقادهم وعلى حسب رأيهم ، على ملتقى قارات ثلاث ، وهذا مركز استراتيجي حصين ، كذلك فإن فكرة اقامة الدولة اليهودية على أرضنا ، قبل انعقاد مؤتمر (بال) بأكثر من خمسين عاما .

أيها المسلمون : تدبروا وفكروا ، وتأكدوا بأن أبطال الدولة اليهودية هم من رجالات الامبراطورية البريطانية ، يوم كانت امبراطورية ، ويوم كانت دولة عظمى ، ويوم كانت لها الكلمة النافذة ، وذلك حرصاً على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولاستمرار نفوذها في الشرق لأنها منطقة (المشرق العربي) ألا فلتعلم بريطانيا ومن سار في ركابها ، كامريكا ومن آزرها ، من الدول العظمى ، والدول العربية ، أنها مهما بالغت في تنشيط اسرائيلها ، ومهما بالغت في تأييدها ، ودعمها فستقع كل دولة من هذه الدول يوما ما شركها ، وستكون اسرائيلها عدواً جافياً لها متسلطا عليها إن عاجلاً أو أجلاً لما ورد (انَّ من أعان ظالما ، سلط عليه)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (من أعان على

---

١ ـــ مرّ قريباً انظر .

خصومة بغير حق ، لم يزل في سخط الله حتى ينزع)[1] ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : (من أعان ظالماً ليُدْحِضَ بباطله حقا ، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله)[2] .

يا مسلمون اليهود هم اليهود . فكم من هم مع رسول الله ﷺ ومع يهود خيبر ، وبني قريظة ، وبني النضير ، وغيرهم ، كم كان بينهم وبينه ، من معاهدات ومحالفات ، أما نقضوها وخرجوا على المسلمين ، أما نقضوا معاهداته .؟ واخيرا ، قلبوا له ظهر المجن .

يا اخوتنا في الضفة الغربية ، استقيموا ، تمسكوا بوطنكم ، قاطعوا الحكم الذاتي ، الذي ابتدعه لنا (أظلم السادات) والظلمات ، عامله الله بما يستحق ، حتى يرى جزاءه بأم عينه ، يقول سبحانه في حق هؤلاء المعتدين الناقضين للعهود ﴿**أَوَ كُلَّما عاهدوا عَهْداً نَبَذَهُ فريقٌ مِنْهُم ، بل أكثرُهُمْ لا يؤمنون**﴾[3] .

أيها المسلمون في زمن الفوضى والاستبداد . إن اسرائيل احتلت أرضكم ودياركم ومقدساتكم ، ولا تزال تحتل وتستولي ، وتحكم وتقتل وتسجن وتعتقل وتعذب ، تحت سمع وبصر هيئة الأمم ، أو عصبة الأمم كما كانوا يسمونها ، ولا تزال تمعن في الأذى ولا تبالي بالدول التي بلغ عددها أكثر من مائة . تلكم التي اعترفت بحقوقنا المشروعة . إنهم لا يزالون يسومون إخوننا في فلسطين سوء العذاب ﴿ ...، **وما الله بغافلٍ عمّا يعملون** ﴾[4] لقد كان يوم الأرض يوماً مشهوراً ، وكان في حينه في الثلاثين

---

١ ـــ رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر .

٢ ـــ رواه الحاكم عن ابن عباس .

٣ ـــ سورة البقرة (١٠٠) .

٤ ـــ سورة البقرة (٨٥) .

من آذار الماضي أكبر شاهد ، وأعظم دليل على أن الفلسطيني العربي ، سيبقى محافظا على أرضه ومقدساته وكرامته ووطنه ولسانُ حاله يقول :

ولي وطــنٌ آليتُ ألاَّ أبيعــه وألاَّ أرى غيري لـه الدهرُ مالكا
عَمَرت به شرخ الشباب منعَّمــاً بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكـا
وحبب أوطانَ الرجال إليهــمُ مآربُ قضَّاها الشباب هنالكـا

ومع ذلك يا قوم نحن لا نلوم اليهود ، وانما نلوم المتهاونين .

أنــا لا ألــوم المستبدَّا إذا تعنت أو تعدى
فسبيله أن يستبدَّ وطريقنـا أن نستعدا

أيها المسلمون . يا إخوتنا في فلسطين ، لا تفرطوا في أراضيكم ولا تبيعوا منها شبراً واحداً ، فمن باع أو سمسر أو ملك كافراً من أرضه ، فهو كافر لا يستحق رحمة الله وعفوه . تذكروا في النهاية ، فكروا مليا في مستقبلكم ومستقبل أبنائكم واحفادكم وأسباطكم ، فالعربي من طبيعته يأبى الضيم والذل . لقد مضى القرن الرابع عشر بخيره وشره ، ونحن الان في مستهل القرن الخامس عشر الهجري ، نسأله سبحانه ، أن يجعله والعام الهجري الجديد ، عام يُمن ونصر وعزة وكرامة .

ربنـا إيـاك ندعو ربنـا آتنـا النصر الـذي وعدتنـا
إننـا نبغي رضـاك إننـا ما ارتضينـا غير ما ترضى لنا
أنفسـاً طاهـرة طهر الحـرم تمـلأ التاريـخ مجدا وكـرم
وافيـات للعهـود والذمـم راقيـات للمعالي والهمـم

لقد علمتم أيها الناس ، بان عدوكم عدو للاسلام ، وقد استولى على أرضكم ومقدساتكم ، خلال القرن الرابع عشر ، فهو عدو قديم وعلى كل فإن أكثرية الدول الأخرى قد اعترفت بأحقيتنا في بلادنا ، وشرعية

قضيتنا . كونوا أيها المسلمون في كل مكان معتصمين بحبل الله ، مستمسكين بعقيدتكم وحقوقكم ، وكونوا كأسلافكم . فقد نفضوا عن وجوههم غبار المذلة والهوان .

كما هو لسان حالهم :

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عز الحياة وعز الموت سيأن
لا يصبرون على ضيم يحاوله باغ من الإنس أو طاغ من الجان
ولا يبالون إن كانت قبورُهُمُ ذرى الشوامخ أو آثار حيتان

اتقوا الله أيها المسلمون . كونوا على حذر من عدوكم . أما أنت أيتها الدول العربية والإسلامية ، ويا دولنا الإسلامية الصديقة . إعلمي أنه لا يضيع حق وراءه مطالب ، وأن الباطل ما انتصر إلا في غفلة الحق ، وإن العدو الماكر يستغلّ خلافاتنا وخصوماتنا ، ويبني عليها مقاصده وأهدافه ، وإذا خرج (أنور السادات وأظلمُ الظلمات) عن حظيرة العرب ، وشذّ عنهم ، فلا يضر بمصالح عالمنا ، ما دُمنا متماسكين بصفوفنا ، وأيدينا ، فأظلم الظلمات ليس وحياً علينا ، ولا وكيلاً عنا ، فالكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والرجل والمرأة ، والمثقف وغير المثقف ، يرفضون وساطة أنور اللاسادات ، وحلوله وتصريحاته ، ولا نقبل بأي حكم ذاتي أو إداري ، إلا بالانسحاب الكامل من أرضنا ووطننا ، هذا هو لسان حال الأمة بأسرها . طال الزمن أم قصر ، فأبناؤنا من بعدنا وأجيالُنا القادمة ، يحفظون هذا الحل الثابت المعقول . يقول الله سبحانه ﴿ ...، **ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم** ،... ﴾[1] ويقول جل وعلا ﴿ ...، **وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة المائدة (٥١) .

٢ ــ سورة الشعراء (٢٢٧) .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

الحمد لله ، جعل الشهادة في سبيله دليلاً على الإيمان وصدق اليقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، جاهد الكفار والمشركين ، وأعلى كلمة الحق والدين ، وعلى آله وصحبه الصادقين العاملين .

وبعد . فيا مسلمي زماننا هذا . إن عدوكم ليس بغافل عنكم ، والله ليس بغافل عما يعملون . إنها حرب على الدين ، على العقيدة ، على الإسلام ، حرب صليبية ، يعيد بها التاريخ نفسه ، كما قيل حرب على الدين ، لا حرب على الوطن .

إن عدوكم أوغل في الاستيطان والتملُّكِ بقوة السلاح ، ولا يزال يسْعن في الأذى والتحدي والتعدي على رؤساء بلدياتنا في أرضنا ، كأنه المالك المنفرد الجبار ، وهم بعصبة الأمم ومجلس الأمن والتحقق والتحري وحقوق الإنسان ، لا يعترفون ولا يبالون ، ونحن كذلك أمامنا جنة عرضها السموات والأرض ، فلا نبالي بالموت .

لا تحسبَنَّ ذهاب نفسك ميتــةً

ما الموت إلا أن تعيش ذليــــلا

وأعود فأقول :

فما ضاع حق لم ينم عنه أهلــه

ولا عاش مَنْ في العالمين مُقصّــرُ

أيها الناس اتقو ربكم . وارجعوا إلى دينكم ، وصلوا على نبيكم ، امتثالاً لأمره ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾[1] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، ابي بكر وعمر وعثمان وعلي .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع مجيب الدعوات ، رب العالمين . اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم انك تعلم أن عدونا قد تمادى في طُغيانه وظلمه وغيِّه ، فاجعل تدميره في تدبيره ، واجعل الدائرة عليه يا رب العالمين . اللهم ألف بين قلوب هذه الأمة . اللهم رُدّ إلينا أرضنا ومقدساتنا يا أكرم الأكرمين . ونسألك اللهم أن تشمل الحسين بن طلال بعنايتك ورعايتك ، واجعل هذا البلد آمناً ، سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين .

﴿ ... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون ﴾[1] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦) .

٢ ـ سورة العنكبوت (٤٥) .

الخطبة السادسة والتسعون بعد المائة :

٢٥ محرم ١٤٠٠هـ

١٩٧٩/١٢/١٤

(الفرج بعد الشدة)

أحمدك ربي ، وأشكرك ، وأتوب اليك ، وأستغفرك ، مصلياً ومسلماً على حبيبك المصطفى ، الذي كان يفرح بالضيق ، لأنه يأتي بعده الفرج ، ويقول « **فإن مع العسر يسرا** » وعلى آله وصحبه ، ذوي الصبر والإحتساب عند الشدة والاكتئاب . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . ﴿ **... رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي** ﴾[1] .

* * * * *

الحمد لله الرحيم بعباده ، المزيل عنهم الشدة والبلاء ، يا وليّ من ظُلِم ويا حسيبَ من ظَلم ، ويا كاشف الغُمم . أشهد أنك الواحد الأحد ، المنفردُ بالحكم والسلطان ، مشيئتك هي النافذة ، وإرادتك هي الماضية ، سبحانك لا إله إلا أنت ، تخفض وترفع ، وتعز وتذل ، وأنت على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، لقي من الشدة في سبيل دعوته إلى الله ، ما لا يحتمله بشر ، ولكنه صبر وصابر ، صبر صبر الكرام ، وجاهد في سبيل الله بسلاحه وعبادته ، حتى تورمت منه الأقدام ، إنه صلى الله عليه وسلم ، لم يُهن ولم يضعف ، ولم يستكن لأحد غير ربه . جاهد جهاد الأبطال ، ففاز بنصر من الله ، وتأييد من العزيز الحكيم .

---

١ ـــ سورة طه (من الآية ٢٥ ـــ الآية ٢٨) .

أما بعد . فيا عباد الله : إن الشدائد كلما ازدادت ، تصهر الرجال وتظهر الفحول والأبطال ، ولا يخفينَّ عليكم ما ترونه من تغلبات الزمان . فالدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، تارة شدةٌ وتارةً رخاء ، وتارة عُسرٌ وتارة يسر ، وتارة نصر ، وتارة كسرٌ . وليكن لكم قدوةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ حماةِ الإسلام وهداةِ الأنام . فقد كانت حياتهم مليئة بالمتاعب والمصاعب ، وهذه هي طبيعة الحياة الدنيا ، على مر الزمان ، وكرّ الأعوام .

فيوم علينا ويوم لنا
ويوم نساء ويوم نسر

وتأكدوا أيها المسلمون . أن طبيعة الدنيا هكذا . فلا بؤسٌ يدوم ولا سرور . انظر لدنياك بعين الاعتبار لتتيقن أنها ليست بدار ، إلى متى تتحمل الأوزار وهي ثقال .؟ ويحك بادر بالتوبة ، وأسرع إلى مولاك بالأوبة ، إلى متى أنت في هذه الدار .؟ أليس لكل بداية نهاية .؟ أليس لكل مطلوب غاية .

يا خاطب الدنيا الدنية إنها
شرك الردى مَرارةُ الأكدار
دارُ إذا ما أضحكت في يومها
أبكت غدا تبّاً لها من دار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلبٌ ف الماء جدوة نار

أجل . حياة عجيبة . وأي عجيبة ممزوجة بالهموم والأكدار ، إن صفت يوماً كدّرت أياما ، وإن أضحكت ساعة ، أبكت ساعات وأياما وأعواماً لا تدوم على حال . فقرٌ وغِنىً ، عافية وبلاء ، نعيم وشقاء ، صحة ومرض ، عز وذل ، استبداد عدو تحكمه في أمة ذات حق

مشروع ، خير الناس في هذه الحياة الدنيا من لا تُبْطِره النعمة ، ولا تضعفه الشدة ، ولا تؤيه ولا تُقنطه من رحمة الله الشدةُ اللأواء ، مستمسكاً بقول الله تعالى ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، ...**﴾[1] .

خير الرجال من صبر وظفر ، وخيرهم من ثبت وصمد ، فتراه في النعمة شاكراً ، وفي البلاء صابراً ، يتوسل ويتذرع بالأسباب الموصِّلة إلى كشف المكروه ، والتفوق على عدوه ، ومحتل وطنه وأرضه وبلاده ومقدساته بأية وسيلة كانت ، لا يستكين للحادثات ، ولا يضعف أمام الملمات ، بل يحاول التخلص منها في حزم الأقوياء ، وعزيمة الأصفياء ، وصبر الكرماء . وليكن الجزاء من جنس العمل . قدوته في ذلك سيدُ الأنبياء والمجاهدين والأصفياء ، فقد حل به وبأصحابه من الاعتداء والإيذاء ، ما تقشعر من هوله الأبدان ، فما وهن وما ضَعُف ولا استكان ، ولا لانت له قناة ، بل قابل هو وأصحابه الشدائد بالثبات : ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوْهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوانَ الله ، والله ذو فضل عظيم**﴾[2] .

عن أبي العباس ، عبدالله بن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف النبي ﷺ فقال : يا غلام إني أعلمك كلماتٍ : إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الإقلام ، وجفت الصحف)[3] .

---

١ ـ سورة الزمر (٥٣) .

٢ ـ سورة آل عمران (١٧٣ ـ ١٧٤) .

٣ ـ رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي : احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك ، لم يكن ليُصيبك ، وما أصابك ، لم يكن ليخطئك ، واعلم ان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً[1] .

★ ★ ★ ★ ★

الحمد ﷺ ، ضمن السعادة دنيا وأخرى ، لمن امن وعمل صالحاً ، الحمد ﷺ يكافىء الصابرين والصامدين والمجاهدين على صبرهم وثباتهم بالفوز المبين والنصر العميم ، فسبحانه من إله حكيم وعادل ، يحكم ما يريد ، أشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضي لنا بها جميع الحاجات ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد السادات وخصمه يوم الحساب ، هدى الناس إلى صراط مستقيم ، فصلوات ا ﷺ وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد ، فإن العز والسعادة والاستقلال لا تنال بالنوم ، والانغماس في الشهوات والملذات ، واتباع الهوى والضلالات ، وترك كتاب الله وراءكم ظهريا ، كما قيل :

كذا المعالي إذا ما رمت تدركهـــا

فاعبر إليها على جسر مـن التعـــب

لا يأتينا الفرج والنصر ، ما دمنا وراء الشهوات والضلالات ، وما دمنا عن حقوقنا غافلين ، لا فرج لنا ولا نصر ولا عزة ولا سعادة ، إلا باتباعنا سيرة سيد المرسلين ، فمن رغب في السعادة وأرادها ، فلا يهتمنّ بالشدائد والمحن ، ما دام الزمن .

انمـــا يبتغي الحيـــاة فتـــىً

عـــاش في أمـــنٍ من المحـــن

لولا ما أصاب دولة الترك وغيرها من الذلة والانخذال في الحرب العظمى ، بعد أن حكمت العالم نحو أربعمائة سنة ، لولا ما قاسته من الويلات والدواهي الكبرى ، لما وصلت اليوم إلى مكانتها العليا ، والدرجة العظمى ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثلُهُ ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين . وليُمحّصَ اللهُ الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلَمَ الصابرين** ﴾[1] .

عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : ستةُ لعنتُهم لعنهم الله وكلُّ نبيٍّ مجاب الدعوة ، الزائدُ في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط على أمتي بالجبروت ، يعني بالقوة والقسوة والإساءة وهذا يشمل جميع الحاكمين في البلاد الإسلامية العربية ، لأن كل واحد من هؤلاء الحكام ، متسلط على الشعوب الضعيفة ، بل ليُذلْ من أعزَّ الله ، ويعزْ من أذل الله ، والمستحل حُرَم الله ، يعني يبيح ما حرم الله ويُحرم ما أحلّه الله ، والمستحلُّ من عترتي ما حرَّم الله ، والتاركُ لسنتي ، المفارق للجماعة . وهذا يشمل (السادات) وأمثاله من ذوي الكفر والإلحاد في دين الله)[2] .

---

١ ـــ سورة آل عمران (من ١٣٩ ـــ ١٤٢) .

٢ ـــ رواه الترمذي والحاكم وقال على شرط البخاري عن عائشة ولفظه ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ، فيعز بذلك من أذل الله ويذل من اعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرّم الله ، والتارك لسنتي .

عباد الله . اتقوا الله حق تقواه . ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما ، ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] . اللهم صل صلاة كاملة ، وسلم سلاماً تاماً ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة الأحزاب (٥٦) .

الفهرس

الجزء الثالث

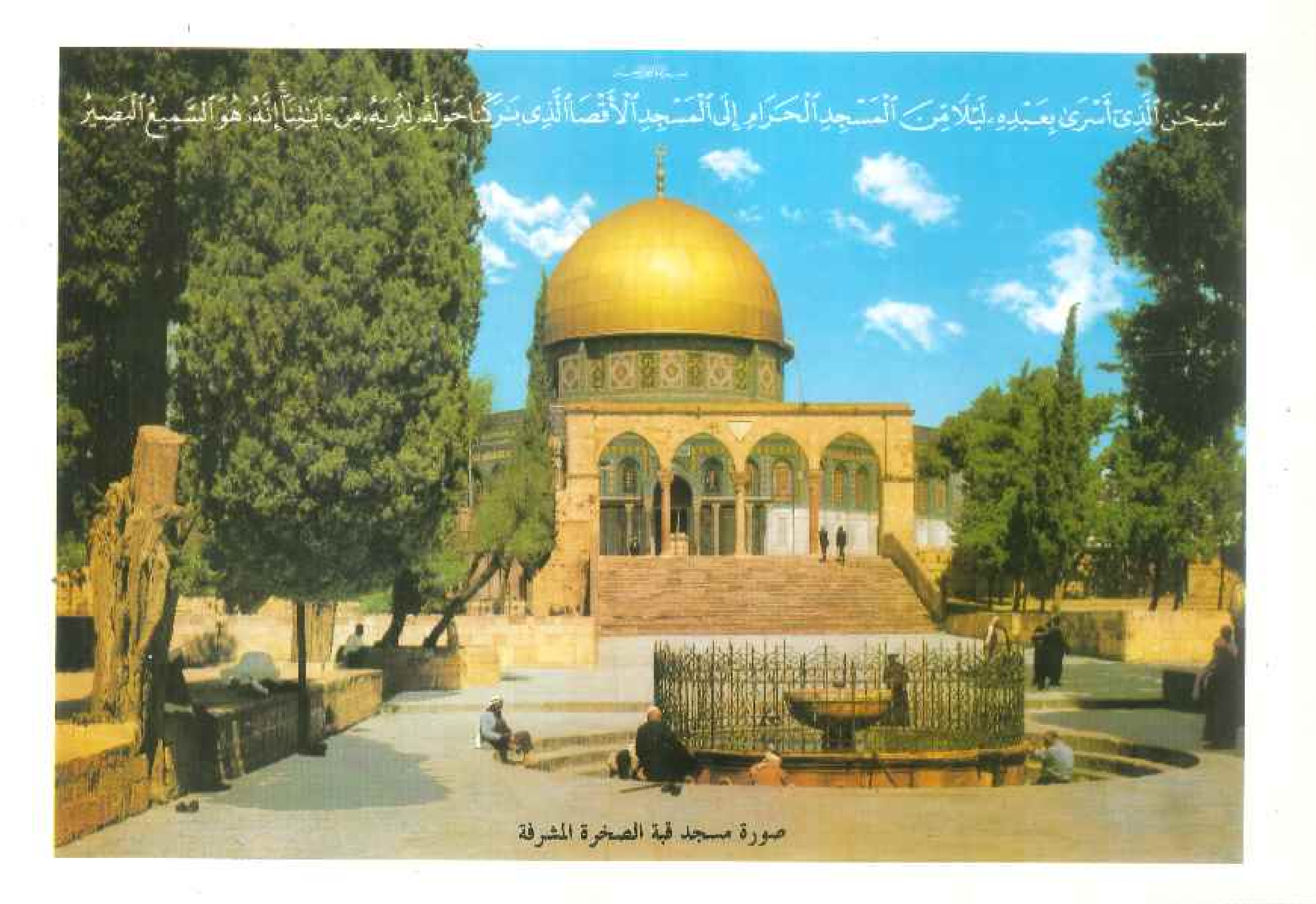
الموضـــــوع		الصفحة

الموضـــوع		الصفحة

الموضوع		الصفحة

الموضـــــــوع		الصفحة

الموضوع	الصفحة


سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ
صورة مسجد قبة الصخرة المشرفة

المؤلف في سطور

* ولد في الخليل ١٩١٨م وتوفي في عمّان ١٩٨٥م.
* أجيز في المحاماة، وحصل على شهادة الأزهر العالمية (الدكتورارة) مما أهله للعمل في القضاء والافتاء والوعظ والارشاد والخطابة.
* تقلد في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين مناصب:
١-مدرس الدين في الكلية العربية بالقدس.
٢-مدير مدرسة الفتح الاسلامية بالخليل.
٣-رئيس كُتّاب الحاكم الشرعي، ووكيل القاضي الشرعي في القدس، غزة، صفد، الخليل، بيسان.
وفي العهد الأردني:
١-عضوية هيئة كبار العلماء. القاضي الشرعي والمستشار للشؤون الشرعية لسماحة قاضي القضاة.
٢-أمانة الفتوى بالقدس.
٣-خطيب المسجد الأقصى المبارك، وواعظ لواء القدس، ومدير المعهد العلمي الاسلامي في المسجد الأقصى.
٤-مدير دار الفقه والحديث في بيت حنينا والخليل وعمان.
٥-مدرس اللغة العربية في جامعة الرياض (الكليات والمعاهد) بالسعودية.
٦-خطيب المسجد الحسيني الكبير.
٧-المفتي العام للملكة الأردنية الهاشمية.
٨-المستشار الديني لوزراة الأوقاف.
٩-المفتش العام لشؤون الوعظ والإرشاد.
* له مايزيد على العشرين كتاباً، منها:
١-بداية الإرشاد في الرد على ذوي الإلحاد.
٢-النبراس الوهاج.
٣-شرح مجموع الأوراد.
٤-حقوق المرأة في الاسلام.
٥-الشباب عدة المستقبل
٦-بلاغة القرآن.
٧-الأدلة العقلية على وجود الصانع العظيم.
٨-كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الاملائية.
٩-الخطب المنبرية (٣ أجزاء).
كتب في الصحف الأردنية والسورية والمصرية، وللاذاعة والتلفزيون، وله محاضرات علمية وأدبية واجتماعية وندوات عربية.
شغف بكتاب الله الكريم (القرآن) وسنة رسوله، وأمته العربية الاسلامية، وجلالة الحسين والهاشميين.